

شَهَادَاتُ وَرِثَاتُ

حَرَامِ الْكَرَمِ

مُعَدَّاتُ الْوَرِثَةِ

# شُبُهَاتٌ وَرَدُّهُنَّ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



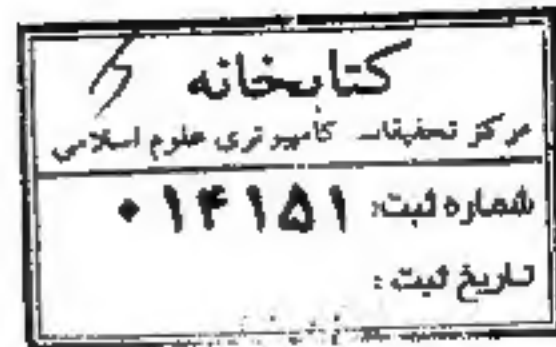
مركز أبحاث الدراسات الإسلامية

تأليف:

الأستاذ محمد هادي معرفة

تحقيق:

مؤسسة التمهيد - قم المقدسة



مؤسسة التمهيد

الجمهورية الإسلامية الإيرانية.  
قم المقدسة. شارع الإنقلاب. فرع ۱۸.  
رقم ۴۹. هاتف و فاكس:  
۰۰۹۸/۲۵۱/۷۷۱۹۳۳۵

الطبعة الأولى

۱۴۲۳ هـ. ۲۰۰۲ م

جميع الحقوق محفوظة

التوزيع:

منشورات ذوي القربى: قم المقدسة،  
شارع إرم، بناية القدس التجارية،  
هاتف: ۰۰۹۸/۲۵۱/۷۷۴۴۶۶۳  
بسموستان كتاب: قم المقدسة،  
شارع الشهداء، هاتف:  
۰۰۹۸/۲۵۱/۷۷۴۳۴۲۶

السعر: ۳۰۰۰ تومان

ISBN : 964 - 06 - 1983 - 3



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

### ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

وبعد، فقد صدق الله وحده إذ قال: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»<sup>١</sup>

كان القرآن منذ أول يومه ولا يزال موضع عناية ذوي الأحلام الراجحة والنفوس الطيبة من علماء ونبهاء ملأت بهم الآفاق. كما كان مطمح غواية ذوي الأحقاد الرديئة والأنفس الخبيثة، لم ترعهم شاكلة القرآن الوضيئة، فطفقوا يناوئونه في محاولة مستمرة لغرض الحط من كرامته الرفيعة أو النقص من دعائمه القويمة وهيئات «وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»<sup>٢</sup>

وكان من مضاعفات تلكم المحاولات الفاشلة أن تراكمت هناك (في غياهب التيه) شبهات هي ظلمات بعضها فوق بعض «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»<sup>٣</sup>



والشبهات حول القرآن - في قديمها أو الحديث منها - تتنوع إلى أنحاء:

١ - منها ما يعود إلى التشكيك في كونه وحياً مباشراً تلقاه نبي الإسلام من ملكوت أعلى، إما لعدم إمكانه، نظراً لعدم التوائم بين عالمين أحدهما أعلى لطيف والآخر أسفل كثيف! وقد أجبنا على ذلك<sup>١</sup> بإمكان الاتصال بالجانب الروحاني (حقيقة الإنسان الذاتية) من الإنسان إذا كان قد بلغ الكمال واستعد روحياً للاتصال بالملا الأعلى.

وإما لزعم أنها ملتقطات التقطها نبي الإسلام من أفواه الرجال (أهل الكتاب) كان يلتقي برجال من أهل الديانات المعروفة في جزيرة العرب في رحلاته وأسفاره إلى مختلف البلاد، بل وفي مكة والحجاز ممن آوى إليها من المعتنقين للمسيحية وأبناء اليهود. «قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيل»<sup>٢</sup>.

أضف إليه ما كان يستلهم من صميم وعيه المطعم بإيحاءات البيئة التي كان يعيشها، كان يستوحىها من داخل ضميره عندما يغتلي بنفسه في غار حراء. فكان يستصفي أحسن ما تلقاه ليبدیه وحياً من الله وقرأناً نازلاً من السماء.

هكذا فرضوا فيما زعموا من غير برهان اتاهم وسنفضل الكلام في ذلك.

٢ - ومنها زعم التأثر بالبيئة وثقافات جاهلية كانت ساطية حينذاك. حسبوا أن في القرآن الشيء الكثير من رسوم وعادات بائدة كانت قد تعارفها العرب وربما البشرية يومذاك وقد خضع لها القرآن في كثير من تعاليمه وبرامجه، والتي منها ما يبدو غليظاً أو شديداً أو متجافياً للحكمة ويتعافاه العقل الرشيد فيما تقدمت ركب البشرية فيما بعد، وأخذوا من عقوبات الإسلام دليلاً على ذلك فيما وهموا!

٣ - ومنها ما حسبوه متهافتاً من إيهام التناقض في القرآن، ولو كان من عند الله لم يوجد فيه هذا الاختلاف! هكذا حسبوا حسابهم لاعن مداقة!

٤ - ومنها احتمال وجود اللحن في القرآن إما تأريخياً أو أدبياً أو متنافياً مع بداهة العلم، فيما توهموه عبر الخيال!

٥ - ومنها احتمال التحريف في نصه الكريم والذي يذهب بحجته وإمكان الاستناد إليه، فيما حسبه أهل الظاهر المقلدة ممن كانت تهتهم الرواية وتُعوزهم الدراية إلى غير ذلك من تساويل شيطانية حيكت حول هذا الكتاب الإلهي العزيز الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»<sup>١</sup> ومنذ أمد غير قصير قمنا بجمع تلك السقاسف والأقاويل لنأتي عليها بما أوتينا من حول وقوة «ما تدر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم»<sup>٢</sup> وهو توفيق رباني نحمده عليه.

ولننظر فيما سطروه بهذا الصدد تباعاً حسب الترتيب.



## هل القرآن من مصادر؟

«إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى»

سؤال أثارتته شاكلة المستشرقين الأجانب

لكنه رجع قول قد قاله رجال من قبلهم:

«وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا»

(الفرقان ٢٥: ٥)

## الوحي مصدر القرآن الوحيد!

«إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَىٰ»

قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتَأْتُونَهُ عَلَىٰ مَا يَهْدَىٰ»<sup>١</sup>.

كانت الدلائل على أن القرآن كله -بلفظه ونظمه ومحتواه جميعاً- كلام رب العالمين، وافرة وظاهرة، وقد تكفل عرضها مباحث الإعجاز القرآني باستيفاء وإحكام<sup>٢</sup>. كما وأصبحت سفاسف المعاكسين لذلك الاتجاه الناصع هباءً منثوراً تذروه عواصف الرياح.

والآن، فلنشهد تجوالهم الحديث في هذا الميدان الرهيب:  
وليعلم أن صمدة مستند القول باستيحاء القرآن تعاليمه الدينية من زُبر الأولين هو تواجد التوافق -نسبياً- بين شريعة الإسلام وشرائع سالفه.  
لكن هذا لا يجدي نفعاً بعد اعترافنا بوحدة أصول الشرائع وأنها جميعاً مستقاة من عين واحدة: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ»<sup>٣</sup>.

٢ - قد استوفينا البحث عنها في التمهيد، ج ٤ و ٥ و ٦.

١ - النجم ٥٣: ٤-٢١.

٣ - آل عمران ٣: ٦٤.

هذا فضلاً عن وجود التخالف الفاحش بين أكدار أحاطت بتلك الكتب على أثر التحريف، وقداسة زاكية حظي بها القرآن الكريم، ولا يزال مصوناً في حراسته تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»<sup>١</sup>

هذا إجمال الكلام في ذلك وَلَنُخْصُ في تفصيل الحديث:

كتب الكثير من الكتاب المستشرقين عن نبي الإسلام والقرآن حسب أساليبهم في التحقيق عن سائر الأديان، حيث لا يرون لها صلة بوحى السماء. فكان من الطبيعي في عرفهم أن يلتسوا من هنا وهناك مصادر غدت تلوكم الشرائع في طول التاريخ.

وحتى من تظاهر منهم بالمسيحية يعتقدونها شكلياً وليس عن صدق عقيدة.

غير أن المسيحية - ولو شكلياً - كانت من الدوافع الحافزة للبغى على الإسلام وللنظر إليه نظرة سوء. وهذا ما يستلزم بالاستشراق الديني الذي قام به أبناء الفاتيكان، كان أول رواده من رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت حيث ظلوا المشرقين على هذه الحركة والمسيرين لها طوال القرنين الأخيرين. وكان الهدف من ذلك:

١ - الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه.

٢ - حماية النصارى من خطر الإسلام بالجيلولة بينهم وبين رؤية حقائقه الناصعة وآياته البينة اللاتعة.

٣ - محاولة تنصير المسلمين، ولأقل من تضعيف العقيدة في نفوسهم

أضف إلى ذلك دوافع استعمارية: ثقافية وسياسية وتجارية تحول دون خلوص مهنة الاستشراق (استطلاع تاريخ الثقافة الشرقية بسلام) ومن ثم فقد أسيء بهم الظن في كثير ما يبدو منه من نظر.

جاء في قصة الحضارة: وكان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين وكان منهم عدد قليل في مكة، وكان محمد على صلة وثيقة بواحد منهم على الأقل هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، الذي كان مطلعاً على كتب اليهود والمسيحيين المقدسة. وكثيراً ما كان محمد يزور المدينة التي مات فيها والده عبدالله. ولعله قد التقى هناك ببعض اليهود وكانوا

كثيرين فيها. وتدلّ كثير من آيات القرآن على إعجابه بأخلاق المسيحيين، وبما في دين اليهود من نزعة إلى التوحيد، وبما عاد على المسيحية واليهودية من قوّة كبيرة لأنّ لكتبيهما كتاباً مقدساً تُعتقد أنّه موحى من عند الله.

قال: ولعلّه قد بدا له أنّ ما يسود جزيرة العرب من شرك، ومن عبادة للأوثان، ومن فساد خلقي، ومن حروب بين القبائل وتفكك سياسي، تقول: لعلّه قد بدا له أنّ حال بلاد العرب إذا قورنت بما تأمر به المسيحية واليهودية حالٌ بدائية لا تشرف ساكنيها. ولهذا أحسّ بالحاجة إلى دين جديد. ولعلّه أحسّ بالحاجة إلى دين يؤلف بين هذه الجماعات المتباغضة المتعادية ويخلق منها أمة قويّة سليمة، دين يسموا بأخلاقهم عمّا ألفه البدو من شريعة العنف والانتقام، ولكنّه قائم على أوامر منزلة لا ينازع فيها إنسان. ولعلّ هذه الأفكار نفسها قد طافت بعقل غيره من الناس. فنحن نسمع عن قيام عدد من المتنبّين في بلاد العرب في بداية القرن السابع، وقد تأثر كثير من العرب بعقيدة المسيح المنتظر التي يؤمن بها اليهود. وكان هؤلاء أيضاً ينتظرون بفارغ الصبر مجيء رسول من عند الله. وكانت في البلاد شيعة من العرب تُدعى بالحنيّفة أبت أن تقرّ بالألوهية لأصنام الكعبة، وقامت تنادي بإله واحد يجب أن يكون البشر جميعاً عبيد له وأن يعبدوه راضين (هم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل). كانوا قد أيقنوا أنّ ما هم عليه من الوثنية ليس بشيء، ففترقوا في البلاد يلتمسون الحنيّفة دين إبراهيم عليه السلام...

وكان محمّد - كما كان كلّ داعٍ ناجح في دعوته - الناطق بلسان أهل زمانه والمعبّر عن حاجاتهم وآمالهم...

ويقول الأسقف يوسف درّة الحدّاد: <sup>١</sup> استفاد القرآن من مصادر شتى أهمّها الكتاب المقدّس ولا سيّما كتاب موسى، وذلك بشهادة القرآن ذاته:

١ - ول ديورانت: قصّة الحضارة ج ١٢، ص ٢٤ و ٢٣، ترجمتها العربية.

٢ - مارس دتية الكهنوتية في الكنيسة اللبنانية عام ١٩٣٩م. ثمّ انقطع زهاء عشرين عاماً يبحث عن شؤون الإسلام والقرآن على أسلوبه الكهنوتي، حاول التقارب والتقارب بين القرآن وكتب العهدين ليكمل الأخيرة منابع للقرآن ومصادره في كلّ ما ينسب إلى وحي السماء. توفي سنة ١٩٧٩م.



«إِنَّ هَذَا لَيِ الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»<sup>١</sup>

«أَمْ لَمْ يَكُنْ بِمَا لِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ لَدِي وَقَدْ أَنْ لَانْتَزَرُ وَازِرَةً وَرَزَّ أُخْرَى»<sup>٢</sup>

«وَلَئِنَّ لِي رُبَّ الْأَوَّلِينَ أَوْلَمْ يَكُنْ هُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»<sup>٣</sup>

قال فآية محمد الأولى هي مطابقة قرآنه للكتب السابقة عليه وآيته الثانية

استشهاده بعلماء بني إسرائيل وشهادتهم له بصحة هذه المطابقة ولكن ما الصلة بين

القرآن وكونه في رُبِّ الأولين؟! هذا هو سرُّ محمدنا فيكون من ثَمَّ أَنَّهُ بَرُلَ فِي رُبِّ الْأَوَّلِينَ

بلغة أعجمية يجهلونها، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ بِوَسْطَةِ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَنْذَرَهُ مُحَمَّدٌ

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

فَأَصْلَ الْقُرْآنَ مَنْزِلَ فِي رُبِّ الْأَوَّلِينَ، وَهَذَا يُوحِي بِصِلَةِ الْقُرْآنِ بِمَصْدَرِهِ الْكَتَابِيِّ رُبِّ

الْأَوَّلِينَ، أَيِ صَحُفِهِمْ وَكُتُبِهِمْ

وَأَيْضاً فَإِنَّ شَهَادَةَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِصِحَّةِ مَا فِي الْقُرْآنِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا

شُرَكَاءَ هَذَا الْوَحْيِ الْمَوْلُودِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَحْيَ الْإِسْرَائِيلِيَّ أَمْرٌ شَخْصِيٌّ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ صَاحِبِهِ

فَحَسَبَ

وَالْآيَةُ «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيَّاتٍ»<sup>٤</sup> فِيهَا

صِرَاحَةٌ بِأَنَّهُ تَتَلَمَّذَ لَدَى كِتَابِ مُوسَى وَجَعَلَهُ فِي قَالِبِ لِسَانِ الْعَرَبِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ مِنَ

الْقُرْآنِ نَسْخَةً عَرَبِيَّةً مَتْرُجَةً عَنِ الْكِتَابِ لِإِمَامِ

«كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيَّاتٍ»<sup>٥</sup> لِنَتَّصِلَ هَا يَعْنِي النِّقْلَ مِنَ الْأَصْلِ الْأَعْجَمِيِّ إِلَى

الْعَرَبِيِّ فَالْقُرْآنُ مَوْحِيٌّ، وَالتَّفْصِيلُ الْعَرَبِيُّ لِنُكْتَابِ مَنْزِلٍ، لِأَنَّ الْأَصْلَ وَحْيِي مَنْزِلٌ<sup>٦</sup>

وَعَلَى هَذَا الْفِرَارِ جَرَى كُلُّ مَنْ «نَسَدَلُ» وَ«عَاسِيَهُ» وَ«أَنْدَرِيَهُ» وَ«لَا مَنَزَ» وَ«جَوْلِدُ

تَسِيرُهُ» وَ«نَوْلِدِيكُهُ»<sup>٧</sup> إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ اسْتِعَادَ كَثِيرًا مِنْ رُبِّ الْأَوَّلِينَ، وَحَجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ

٢ - النجم ٥٣ - ٣٦ - ٣٨

٤ - الأحقاف ٤٦ - ١٢

١ - الأعلى ٨٧، ١٨ و ١٩

٣ - الشعراء ٢٦، ١٩٦ و ١٩٧

٥ - فصلت ٤١، ٣

٦ - «دروس قرآنية ليويسف دة العنكد ج ٢، ص ١٧٣-٨٨ القرآن والكتاب، بينة القرآن الكتابية، فصل ١١ أهل القرآن من مصادر») منشورات المكتبة البولسية - لبنان ١٩٨٢م

٧ - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره نصر رحور، ج ١، صفحات ٢٧٢ - ٢٩٠ و ٣٣٥

محضر التشابه بين تعاليم القرآن وسائر الصحف فالقصص والحكم في القرآن هي التي جاءت في كتب اليهود، وكذا قصايا جاءت في الأناجيل وحتى في تعاليم زرادشت والبرهمية في مثل حديث المعرج ونعيم الآخرة والجحيم والصراط والافتتاح بالبسملة والصلوات الخمس وأمثالها من طقوس عبادة، وكذا مسألة شهادة كل نبي بالآتي بعده، كلها مأخوذة من كتب سألقة كانت معهودة لدى العرب.

زعموا أن القرآن صورة تلمودية وصلت إلى نبي الإسلام عن طريق علماء اليهود وسائر أهل الكتاب ممن كانت لهم صلة قريبة بجزيرة العرب، فكان محمد ﷺ يلتقي بهم قبل أن يعلن نبوته، ويأخذ منهم الكثير من أصول الشريعة

يقول «ول ديورانت» وجدير بالذكر أن الشريعة الإسلامية لها شبه شريعة اليهود ثم جعل يسرد قصايا مشتركة بين الفرق والعهد من بعد ما سأل التوحيد والنبوة والإيمان والإنابة ويوم الحساب والجنة والنار، راعياً أنها من تأثير اليهودية على دين الإسلام وكذا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) مأخوذة من كلمة إسرائيلية. أفاسمع يا إسرائيل وحدك والبسملة مأخوذة أيضاً من تلمود ولقطة «ارحمنا» معربة من «ارحمانا» العبرية إلى غيرها من تعابير حامت في الإسلام محدرة عن أصل يهودي الأمر الذي جعل البعض يتصور أن محمداً كان عارفاً بمصادر يهودية وكانت هي مستقاة في تأليف القرآن...<sup>١</sup>

### شرائع إبراهيمية منحدره عن أصل واحد

نحن المسلمون نعتقد في الشرائع الإلهية أجمع أنها مسندة عن أصل واحد ومنبعثة من مهل عذب فارد، تهدف جميعاً إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة والإخلاص في العمل الصالح والتحلي بمكارم الأخلاق، من غير اختلاف في الجذور ولا في الفروع المتصاعدة «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

١ تاريخ التمدن (عنه الحضارة) الفارسية، مؤلفه ول ديورانت، مجلد ٤ ص ٢٣٦-٢٣٨، عصر الإيمان، الفصل التاسع وراجع عنه المصادر، ج ١٣ ص ٢٢، فيه إلمامة إلى ذلك

وَصَبَّأَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ. <sup>١</sup>

إذن، قال الدين واحد والشرعة واحدة، ولأحكام والتكاليف تهدف إلى غرض واحد وهو كمال الإنسان «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» <sup>٢</sup> يعني أن الدين كله - من آدم وإلى الخاتم - هو الإسلام أي التسليم لله ولإخلاص في عبادة معصاً

«وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ». <sup>٣</sup> الإسلام هو الدين الشامل، فمن حاد عنه فقد حاد عن الوحدة الوسطى وصل الطريق في نهاية المسير وهكذا تأدب المسلمون بالإسلام بجميع الأنبياء من عبر ما عارق «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيُحْيَىٰ وَنُوحٍ وَآدَمَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». <sup>٤</sup>

وهذا منطق القرآن يدعو إلى كلمة توحيد وتوحد الكلمة، وأن لا تفرقة بين الأديان مادام التسليم لله رب العالمين، وبذلك يكون لا هتداء والانحاد، وفي غيره الصلال والشقاق، «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَبِلْهُمُ اقْبَلُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» <sup>٥</sup> وفي ذلك ردة وشيخ بشار اليهود والنصارى، أولئك الذين يدعون إلى الحاد والانحاز «وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا» <sup>٦</sup> أي قالت اليهود كونوا مسحاريين على اليهودية لا غيرها حتى تهتدوا<sup>٧</sup> وقالت النصارى كونوا حياً على النصرانية لا غيرها حتى تهتدوا<sup>٨</sup>

والقرآن يرد عليهم جميعاً ويدعو إلى الالتفات حول الحنبلة الإبراهيمية «قُلْ نَبَلَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَبيراً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» <sup>٩</sup> «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ». <sup>١٠</sup>

نعم، صبغة الله شاملة وكافيه للإسعاد بالبشرية جمعاء، الأمر الذي يعتنقه المسلمون أجمع، والحمد لله

٢ - آل عمران ٣: ١٩

٤ - البقرة ٢: ١٣٦

٦ - البقرة ٧: ١٣٥

٨ - البقرة ٢: ١٣٨

١ - الشورى ٤٢: ١٣

٣ - آل عمران ٣: ٨٥

٥ - البقرة ٢: ١٣٧

٧ - البقرة ٧: ١٣٥

وحدة المنشأ هو السبب للتوافق على المنهج

وبعد، فإن اتلاف الأدب بماويه و تحاد كلمتها لابد أن يكون عن سبب معقول، وهذا يحتمل أحد وجوه ثلاثة.

١- إما لوحة منشأ، حيث الجميع منبعث من أصل واحد، فكان التشابه في الفروع المتصاعدة طبيعياً

٢- أو لأن البعض متحد من البعض فكان لثاكل تبعة داك التبادل يدا بيد

٣- وجاء التماثل عن مصادفة بفاقية وليس عن علّة حكيمه ولا شك أن لأخير مرفوض بعد مضادة الصدفة مع الحكمة الساطية في عالم التدبير

بقي الوجهان الأولان، فليسأل نقوم ما نلهم بغافلوا عن الوجه الأول الرصين و يو كبا جميعاً على الوجه الهجين؟ إن هذا لشيء مريب

هذا، والشواهد متطافره تدعم الشقة الأولى لنهدم لأخرى من أساس أولاً صراحة القرآن نفسه بأنه موحى إلى نبي الإسلام وحياً مباشرياً مرل عليه ليكون للعالمين بديراً، فكيف الاستشهاد بالقرآن لإنساب خلافه؟ إن هذا إلا تناقص في الفهم واحتهاد في مقابلة النص الصريح!

ثانياً معارف ضخمة قدمها القرآن إلى البشرية، بحثاً وراء فلسفة الوجود ومعرفة الإنسان ذاته، لم يكذبانيها أية فكرة عن لحياء كانت البشرية قد وصل إليها لحدّ داك العهد، فكيف بالهرائل المسوخة لسي شعننت بها كتب العهدين؟!

ثالثاً: تعاليم راقية عرضها القرآن لاتجناس مع ضئالة الأساطير المسطرة في كتب العهدين، وهل يكون ذاك الرفيع مستقن من هذا الوضيع؟ إلى غيرها من دلائل سوف يوافيك تفصيلها

## القرآن يشهد بأنه موحى

وأما إن كنا نستطلق القرآن فإنه شهد بكونه موحى إلى نبي الإسلام محمد ﷺ كما أوحى إلى النبيين من قبله «إنا أوحيت إليك كي أوحيت إلى نوح والنبيين من بعده وأوحيت إلى إبراهيم وإسماعيل وإشحاق ويعقوب والأشعب وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتيت داود زبوراً ورسلأ قد قصصناهم عليك من قبل ورسلأ لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً. رسلأ مبشرين ومنذرين إننا نكون بس على الله حجة بعد الرسل وكان الله غريباً حكيماً. لكي الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً»<sup>١</sup> «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ»<sup>٢</sup>

والآيات بهذا الشأن كثيرة، ناطقة صريحة بكون القرآن موحى إلى نبي الإسلام وحياً مباشراً ليذكر قومه ومن بلغ كافة  
أما أنه ﷺ تلقاه (التعطف) من كتب السانين وتعلمه من علماء بني إسرائيل فهذا شيء غريب يأباه نسخ القرآن الحكيم.

## القرآن في زبر الأولين

وأما ما تدرج به صاحبنا الأسقف دره فلامح الوهن عليه نادية بوضوح قوله تعالى «إن هذا نبي الصلح الأولى صلح إبراهيم وموسى»<sup>٣</sup>  
هذا إشارة إلى نصائح تقدمت الآية «قد ألتع من تركي وذكر اسم ربك فصل. بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى» وذلك تأكيد على أن ما جاء به محمد ﷺ لم يكن بدعاً مما جاء به سائر الرسل «قل ما كنت بدعاً من الرسل»<sup>٤</sup> فليس الذي جاء به نبي الإسلام جديداً لاسابقة له في رسالات الله، الأمر الذي يستدعيه طبيعة وحي السماء

١- الأنعام ٦: ١٩

٢- الأحقاف ٤٦: ٩

٣- النساء ٤: ١٦٣-١٦٦

٤- الأعراف ١٨٥: ١٩

العام وفي كل الأدوار من آدم فإلى الخاتم من شريعة الله واحدة لا يختلف بعضها عن بعض فالإشارة راجعة إلى محتويات الكتاب توالى نزولها حسب توالي بعثة الأنبياء، فالنصائح والإرشادات تكررت مع تكرار الأحياء هذا ما تعنيه الآية لا ما زعمه صاحبنا الأسقف!

وهكذا قوله تعالى «أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِى فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى»<sup>١</sup>.

يعود الصير إلى من وقف في وجه الدعوة مستهزئاً بأن سوف يستحيل أقام الآخرون إن لم يؤمنوا بهذا الحديث فبرء عليهم القرآن ألم يبلغهم أن كل إنسان سوف يكافأ حسب عمله ولا تزور وزارة وذر أخرى؟ فإن لم يعيروا القرآن اهتماماً فليعيروا اهتمامهم لما جاء في الصحف الأولى، وهلا يبلغهم ذلك وقد شاع وذاع خبره منذ حين؟! وهكذا سائر الآيات تروم هذا المعنى لا غيرا

«أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ»<sup>٢</sup>

وآية أخرى على صدق الدعوى المحمّدية أن الراسخين في العلم من أهل الكتاب يشهدون بصدقها متى عرفوا من الحق  
«لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ (أي من أهل الكتاب) وَالْمُؤْمِنُونَ (أي من أهل الإسلام) يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ»<sup>٣</sup>

«وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ فَيُصِّمُونَ الدَّمْعَ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْ مَعَ الشَّاهِدِينَ»<sup>٤</sup> وهؤلاء هم الفاسوسة والرهبان الذين لا يستكبرون، ومن ثم فهم خاصعون للحق أين وجدوه، وبالفعل فقد وجدوه في حظيرة الإسلام  
«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ (أي الكافرون بالقرآن) وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ (معن آمن برسالة الإسلام) عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ»<sup>٥</sup>

١ - الشعراء ٢٦ : ١٩٧

٢ - المائدة ٥ : ٨٣

٣ - النجم ٥٣ : ٣٦ و ٣٧

٤ - النساء ٤ : ١٦٢

٥ - الأحقاف ٤٦ : ١٠



الصمير في قوله «على مثله» يعود إلى القرآن يعني أن من علماء بني إسرائيل من يشهد بأن تعاليم القرآن تماماً مثل تعاليم التوراة التي أنزلها الله على موسى، ولذا آمن به لما قد لمس فيه من الحق المتطابق مع شريعة الله في الغابرين.

وكثير من علماء أهل الكتاب آمنوا بصدق رسالة الإسلام فور بلوغ الدعوة إليهم، حيث وجدوا ضالتهم المنشودة في القرآن فأمنوا به فكانت شهادة عملية إلى جيب تصرّيحهم بذلك علماً على الملأ من بني إسرائيل.

وهذا هو معنى شهادة علماء بني إسرائيل بصدق الدعوة، حيث وحدوها متطابقة مع معايير الحق الذي عندهم لا ما حسبه صاحبنا الأسقف بعد أربعة عشر قرناً أنه مقتبس من كتبهم ومتلقى من أفواههم هم!! الأمر الذي لم يقله أولئك الأنجاف وقد أنصفوا الحق الصريح: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ»<sup>١</sup> «الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ»<sup>٢</sup>.

وهذه المعرفة ناشئة عن لمس الحقيقة في الدعوة ذاتها وفقاً لمعايير وافهم على أيدي الرسل من قبل. وقد لمسها أمثال صاحبنا الأسقف اليوم أيضاً ولكن «بخذوا به واستهتتوا أنفسهم ظُلماً وَعُلُوّاً»<sup>٣</sup> كالذين من قبلهم «فلما جاءهم ما عَزَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»<sup>٤</sup> متن حاول إحقاق الحقيقة - قديماً وحديثاً - فضلوها وأضلوها وما كانوا مهتدين.

## مقارنة عابرة بين القرآن وكتب سالفة محرقة

### معارف فخيمة امتاز بها الإسلام

والآن، فلنعارن - شيئاً - بين ما جاء في القرآن من معارف وتعاليم كانت في قمته لشموخ والعظمة، وبين ما ذكرته سائر الكتب أو بلغتها الفكرة البشرية في قصور بالغ وليكون برهاناً قاطعاً على أن هذا الهزيل لا يصلح لأن يكون مستنداً لذلك الفخيم!

١- الأنعام ٦- ١١٤.

٢- الأنعام ٦- ١١٤.

٣- البقرة ٦- ٨٩.

٤- النمل ٢٧- ١٤.

## جلال صفات الله في القرآن

حاء وصفه تعالى في القرآن ما يعوق تفكير لبشري آتاك، بل ولولا القرآن لما تستنى للبشرية أن يبلغه على مدى لزمان حيث أدق لو صف ما وصف الله نفسه في كلامه العزيز (القرآن الكريم وليس في غيره إطلاقاً).

حاء في سورة الحشر «هُوَ أَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَرِّ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>١</sup>.

وفي سورة النوح «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»<sup>٢</sup>.

وفي سورة الرعد «عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ»<sup>٣</sup>.

وفي سورة النور «لَا يَطْرُقُ السَّامَاتِ وَالْأَرْضِ خَفَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَدْرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ تَعَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَسَطَّرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ بِهِ يَكُفِّرُ نَجْمٌ عَنِ»<sup>٤</sup>.

وفي سورة البقرة «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>٥</sup> إلى غيرها من جلائل صفات رحر به القرآن الكريم واحتلى عنها سائر الكتب، اللهم إلا التور اليسير، فياترى هل يصلح أن يكون هذا النور اليسير منشأً لذلك الجسم العفير؟!

وكل واحدة من هذه الصفات سم عن حقيقة ملحوظة في الذات المقدسة هي منشأ

٢ - الاحلاس ١١٢

٤ - النور ٤٢ و ١١ و ١٢

١ - الحشر ٥٩: ٢٤-٢٢

٣ - الرعد ١٣ و ٩

٥ - البقرة ٢ و ٢٥٥

لآثار و بركات فاضت بها سلسلة الوجود، وقد شرحها العلماء الأكابر ملاً موسوعات كبار

### وصفه تعالى كما في التوراة؟

وأدنى مراجعة لكتب العهدين نكفي للإشراف على مدى الوهن في وصفه تعالى بما يجعله في مرتبة أحسن مخلوق ويتصرف تصرفات لا يليق بساحة قدسه الربيع تلك قصة بدء الخليقة جاءت في سفر التكوين مشوّهة شائبة تعد الإله الخالق المتعالي هناك إلهاً يحشى مملكة مخلوق له، فيدبر له المكائد في خداع فاصح حاء فيها إله الرب الإله لقا أسكن آدم وزوجه حواء في جنة عدن رخص لهما الأكل من جميع شجر الجنة وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكلا منها وما كرها في ذلك قائلاً «لأنك - خطايا لآدم - يوم تأكل منها موتاً تموت»<sup>١</sup>

وهي كذبة حاول خداعهما بذلك لئلا يصحبا عارفين كالإله ويناعسا سلطانه، الأمر الذي صادقهما منه إبليس وقال لهما «لن يموت، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين للخير والشر»<sup>٢</sup>

وحينما أكلا منها تئس صدق إبليس وكذب الإله - وحاشاء - فافتحت أعينهما وشعرا بأنهما عريانان فجعللا لحيطار لأنفسهما مآزر من ورق التين

وفي هذا الأثناء حاء الإله يتمشى بأرجله في الجنة إذ سمعا الصوت فاختبأ وراء شجرة لئلا يفتضح أمرهما، وناداهما الرب أين أنسا؟ فقال آدم: هانحن هنا غفشييت لأنني عريان فاختبأت!

فهنا عرف الرب أنهما أكلا من الشجرة وأصحبا عارفين للخير والشر فقال: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، والآن لعنه يمدّ يده ويتناول من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد، طردهما من الجنة وأقام حرساً عليها لئلا يقربا منها

هكذا إله التوراة يخشى منافسة مخلوق صعه بيده فيما كره ويخاتل كي يصرفه عنها، ويجهل ويكذب كذبة عارمة افتصحت نورها على يد إبليس منافسه الآخر الأمر الذي يشقّ عن عجز وصعف مضافاً إلى الوهن في التدبير والعياذ بالله!



هذا، والقرآن يعلّل السمع (من تناول الشجرة) بشقاء (عناء في الحياة) سوف ينتظرهما لو أكلتا منها، معاً إرشادياً لصالح أنفسهما «فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى»<sup>١</sup> أي تقع في مشاق الحياة بعد هد الرعد في لعيش إلهي.

وإبليس هو الذي ما كرهما وكذب كذبه العاصحة «قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَسَمْتُ لِي أَنِّي لَكُمَا مِنَ الْبَاصِلِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُمَا سُوءُ ثَمَّتِهَا وَطَفَافٌ خَافِضًا عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ»<sup>٢</sup>

فالذي كذب وافتصح هو إبليس، كما جاء في القرآن، على عكس ما جاء في

التوراة!

وفارق آخر كان آدم وحواء متلبسين بلباس يسر سوءا لهما قبل أن يعويهما الشيطان ليرع عنهما لاسهما ويريهما سوءا لهما<sup>٣</sup>

وهذا على عكس لنوراة (المصطنعة، تفرصهما عريابين من غير شعور بالعرء حتى إذا ذاقا الشجرة، فعند ذلك شعرا بالعرء وحاولا التستر بورق الجنة

فكان الله قد خلقهما عريابين من غير أن يشعرا بالخجل والحياء كسائر الحيوان فجاء إبليس ليخجرهما من الغمة إلى العفن لرشيد!

وفارق ثالث: القرآن يمدّد الإله برحمته الواسعة على العباد، وحتى الذين أسرفوا على أنفسهم أن لا يقنطوا من رحمة الله «إِنَّ اللَّهَ يَعْمُرُ لُدُوبٍ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>٤</sup> وبالفعل فقد تاب الله على آدم واجتباء مع ما فرط منه من السيئ ومخالفه وصيّة الله «ثُمَّ

١- الأعراف ٢٠-٢٢

٢- الزمر ٣٩-٥٢

١- طه ١١٧

٣- إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الأعراف

اجتهد زيه فتاب عني وهدى»<sup>١</sup> ووعدته الرحمة المتواصلة والعناية الشاملة طول حياته وحياة ذريته في الأرض «فَمَا يَأْتِيَكُمْ فِي هُدًى مِّنْ نَّهْيِ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>٢</sup>.

وهذا يعطي امتداد بركات الله على أهل الأرض بدءاً على خلاف ما ذكرته التوراة بامتداد سطحه تعالى على آدم، وحمل لأرض ملعونة عليه وعلى زوجته وذريتهما عبر الحياة أبدأ «ملعونة الأرض بسلك»<sup>٣</sup>.

نعم كان الإله - حسب وصف القرآن - غفوراً ودوداً رؤوفاً عباده، وحسب وصف التوراة، حقوداً عنوداً شديداً الانتقام

فأين ذلك التوافق المزعوم ليحمل مصطلمات اليهود أصلاً تفرع منه القرآن؟

### الله يصول ويجول ضد بني آدم؟

ومسرحاً آخر تربنا التوراة كيف شدد الإله الرب جموعه لمكافحة بني آدم، فرى شملهم ولبل ألسنتهم فلا يجتمعوا ولا سواررو ولا يعارف بعضهم إلى بعض ولا يندوبوا في حياتهم الاجتماعية - لماذا؟ لأنه كان - وحاشاه - يحاف سطوتهم فيثوروا، ضد مطامع الإله!!

حاء في سفر التكوين كان سو الإنسان على لسان واحد متفرقين على وجه الأرض، فحاولوا التجمع وبناء مدينة في أرض شعار (بين دجلة والفرات من أرض العراق)<sup>٤</sup> فنزل الرب لينظر بناء المدينة والبرج (برج بابل) ولكن هابه ذلك وخاف سطوتهم، فعمد إلى تدمير المدينة وتفريق الألسن، فلا يستطيع أحدهم أن يجتمع مع الآخر ليتفاوض معه، فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض ومنعهم من البنيان<sup>٥</sup>

٢ - البقرة ٢٨١

١ - طه ٢٠، ١٧٢

٣ - سفر التكوين، إصحاح ١٧/٣

٤ - حرفت باسم بابل عاصمة الكلدانيين مقابلة على النهر الفرات

٥ - سفر التكوين، إصحاح ١١

هكذا تُبدي التوراة عداوة تعالى مع بني الإنسان!  
هذا والقرآن يحثُّ الأمم على الاجتماع دون التفرُّق، وعلى التعارف بعضهم مع بعضهم ليتعاونوا في الحياة، دون التساعض والتساعد والاختلاف  
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي خَلَقْتُكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...»<sup>١</sup>  
«وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»<sup>٢</sup>

### الإنسان سرُّ الخليفة

الإنسان - كما وصفه القرآن - صفوة الخليفة وفلذتها وسرّها الكامن في سلسلة الوجود.

لا تحد وصفاً عن الإنسان وأقرباً بيان حقيقته الذاتية التي حَكَمَ الله عليها - فهي جميع مناحيها وأبعادها المترامية - فهي سوى قرآن يصفه بأجمل صفات وأفضل نعوت لم يُنعم بها أي مخلوق سواه، ومن ثمَّ فقد حظى بعناية الله الخاصة وحُبي بكرامته منذ بدء الوجود

ولنشر إلى ههنا تدكم الصمات والميراب التي أهلتها لمثل هذه العناية والحناء

١ - خلقه الله بيديه «ما مَعْنَى أَنْ تُسَجِّدَ لِمَا خَلَقَ يَبْدِي»<sup>٣</sup>

٢ - نفخ فيه من روحه «إِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»<sup>٤</sup>

٣ - أودعه أمانته «إِنَّ عَرْضَنَا الْأُمَةِ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ»<sup>٥</sup>

٤ - علَّمه الأسماء كلها: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...»<sup>٦</sup>

٥ - أسجد له ملائكته «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...»<sup>٧</sup>

٢ - الأنعام ١٨، ١٦

١ - الحجرات ١٦، ١٣

٣ - ص ٣٨، ٧٥

٤ - الحجر ١٥، ٢٩ و ص ٣٨، ٧٢ وفي سورة السجدة ٢٢، ٩ «ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»

٦ - البقرة ٣١، ٣٦

٥ - الأحزاب ٣٣، ٧٢

٧ - البقرة ٢، ٣٤



٦ - منعه الخلافة في الأرض. «إني جاعلٌ في الأرض خليفة».<sup>١</sup>

٧ - سخر له ما في السماوات والأرض جميعاً. «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ جَمِيعاً».<sup>٢</sup>

ومن ثمَّ بارك نفسه في هذا المخلوق لِممتاز «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْمَخْلُقِينَ».<sup>٣</sup>

مميزات سبع حظي بها الإنسان في أصل وجوده، فكان المخلوق المفضل الكريم

وإليك بعض التوضيح:

### مميزات الإنسان الفطرية

امتاز الإنسان في ذات وجوده بمميزات لم يعط بها غيره من سائر المخلوق.

فقد شرفه الله بأن خلقه بيده. «مِمَّنْ مَخْلُوقَاتِهِ (حِطَاناً لَا يَسُدُّ) أَنْ تَشْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ

بِيَدَيْ».<sup>٤</sup> والله خالق كل شيء فلا بد أن تكون هناك خصوصية في خلق هذا الإنسان

تستحق هذا التتويج هي خصوصية العناية لرأسية بهذا الكائن، ويداعبه نفحة من روح الله

دلالة على هذه العناية!

قال العلامة الطباطبائي: سببه خلقه إلى اليد تشريف بالاختصاص كما قال:

«وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»<sup>٥</sup> وتنبه اليد كناية عن الاهتمام البالغ بخلقه وصنعه، ذلك أن

الإنسان إذا اهتم بصنع شيء استعمل يده معاً عناية به<sup>٦</sup>

وهكذا نفحة الروح الإلهية فيه كناية عن جانب اختصاص هذا الإنسان - في أصل

فطرته - بالعلو الأعلى حتى ولو كان متعذراً - في جانب جسده - من عناصر تربطه

بالأرض، فهو في ذاته عنصر سماوي قل أن يكون أرضياً

ولقد خلق الإنسان من عناصر هذه الأرض ثم من النفحة العلوية التي فرقت بينه

٢ - العناية ١٥: ١٣

٤ - ص ٣٨: ٧٥

٦ - تفسير الميراث، ج ١٧، ص ٢٣٩

١ - البقرة ٢: ٣٠

٣ - المؤمنون ٢٣: ١٤

٥ - الحجر ١٥: ٢٩

وبين سائر الأحياء، ومنحته حصائمه الإيسائية الكبرى وأولها القدرة على الارتقاء في سلم المدارك العليا الخاصة بعالم الإنسان

هذه النفخة هي التي تصله بالملأ لأعلى، ونجعه أهلاً للاتصال بالله، ولتلقّي عنه ولتجاوز النطاق المادّي الذي تتعامل فيه لمعضلات واحواس، إلى النطاق التجريدي الذي تتعامل فيه القلوب والعقول والتي تمنحه ذلك لسرّ الحقي الذي يسرب به وراء الزمان والمكان، ووراء طاقة العضلات والحواس، إلى ألوان من المدركات وألوان من التصوّرات غير المحدودة في بعض الأحيان<sup>١</sup>

و بذلك استحقّ إبداعه أمانة الله التي هي ودائع ربّانية لها صفة ملكوتية رفيعة أودعت هذا الإنسان دون غيره من سائر المخلوق وتلخص هذه الودائع في قدرات هائلة يمتلكها الإنسان في حملته الأولى والتي أهّته للاستلاء على طاقات كامنة في طبيعة الوجود وتسخيرها حيث يشاء

إنّها القدرة على الإرادة والتصميم، القدرة على التفكير والتدبير، القدرة على الإبداع والتكوين القدرة على الاكتشاف والتسخير إنها الجرأة على حمل هذا العبء الخطير فال سيد قطب إنّها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل النعمة، هي هي ميرة هذا الإنسان على كثير من خلق الله وهي هي مناط التكريم لدى أمّله الله في الملأ الأعلى وهو يُسجد الملائكة لآدم وأعلمه في قرّنه نياقي وهو يقول: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»<sup>٢</sup> فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله، وليهض بالأمانة التي اختارها والتي عرضت على السماوات والأرض والجال، فأببر أن يحملنها وأشفقن منها<sup>٣</sup>

إنّها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير لحجم الكبير، القويّ القويّ العزم. ومن ثمّ كان ظلوماً لنفسه حيث لم ينهض بأداء هذه الأمانة كما حملها، جهولاً لطاقاته هذه الهائلة المودعة في وجوده وهو تغدّ لا يعرفها

١ - من إشارات سيد قطب، راجع في ظلال القرآن، ج ١٤ ص ١٧، المجلد ٥، ص ٢٠٣

٢ - في ظلال القرآن، ج ٢٢، ص ٤٧، المجلد ٦، ص ٦١٨

٣ - الإسراء ١٧ ٧

وهكذا علّمه الأسماء القدرة على معرفة الأشياء بدواتها وخاصيّاتها وآثارها الطبيعية العاملة في تطوير الحياة، والتي وقعت رهن إرادة الإنسان لتسخّرها في مآربه حيث يشاء، وبذلك يتقدّم العلم بحسده وجموعه في سبيل عماره الأرض وازدهار معالمها، حيث أرادته الله من هذا الإنسان «هُوَ نَشَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا»<sup>١</sup>

وبذلك أصبح هذا الإنسان - بهذه الميزات - خليفة الله في الأرض،<sup>٢</sup> حيث يتصرّف فيها وفق إرادته وطامابه المودعة فيه، ويعمل في عماره الأرض وتطوير الحياة

وإسجاد الملائكة له في عرصه الوجود، كناية عن إخضاع القوى النورانية برمتها للإنسان، تعمل وفق إرادته الخاصة من غير ما تحنّف، في مقابلة القوى الظلمانية (إيليس وجنوده) تعمل في معاكسه مصالحه إلّا من عصمه، «لَهُ مِنْ شُرُورِ الشَّيَاطِينِ» (إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ وكفى برّئك وكبلاً).<sup>٣</sup>

كما وأنّ تسخير ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، كناية عن إخضاع القوى الطبيعية المودعة في أجواء السماوات والأرض - لهذا الإنسان، تعمل فور إرادته بلافتور ولاقصور ومعنى تسخيرها له أنّ الإنسان تُطر على إمكان تسخيرها

فسيحانه من خالي عظم، إذ خلق خلقاً بهذه العظمة والافتدال الفائق على كلّ مخلوق!

هذه دراستنا عن الإنسان على صفحات مشرفة من القرآن الكريم، فاترى أين يوجد مثل هذه العظمة والتبجيل لمخلوق هو في هدامه صغير وفي طاقاته كبير، كبرياءاً ملأ الآفاق!

أتزعم أنّك جسمٌ صغيرٌ      وفيك انطوى العالم الأكبر

فتبارك الله أحسن الخالقين بحلقه أحسن المخلوقين!

٢ - رجع البقرة ٢ - ٣

٤ - رجع الحاثيه ٤٥ - ١٣

١ - هود ١١ - ٦١

٣ - الإسراء ١٧ - ٦٥

## خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي!

حديث قدسي معروف<sup>١</sup> خطأ مع بنى آدم، حيث كانوا هم العاية من الخليقة، كما كانت الذات المعدسة هي العاية من حقيقة الإنسان، فكما وأن الأشياء سرقتها - علواً وسهلاً - سحرها الله لهذا الإنسان ولتكون في قصته فتجلى فيها قدرته الهائلة، كذلك خلق للإنسان مظهراً تاماً لكامل قدرته تعالى في الخلق والإبداع

ما من مخلوق - صغير أو كبير - إلا وهو مظهر لبحلي جانب من سمات الصانع الحكيم «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد»<sup>٢</sup> لما لإنسان فكان المرآة الصقيلة التي تتجلى فيها جميع صفات الجمال والجلال

فإذا سئلت ماهي العاية من خلق ما في السموات وما في الأرض حسماً؟ قلت - حسب وصف القرآن - هو الإنسان ذاته مودع أمانات الله وليكون خليفته في الأرض

وإذا سئلت ماهي العاية من خلقة الإنسان ذاته؟ قلت هو الله الصانع الحكيم، حيث الإنسان بقدرته على الخلق والإبداع أصبح مظهراً تاماً لكامل الأسماء والصفات، فكان وجه الله الأكمل وعين الله الأتم<sup>٣</sup>

فكان الإنسان غاية الخليفة، وكان الله لغاية من خلق الإنسان، فالله هو عاية العايات وبذلك ورد «كنت كراماً مخفياً فأحييت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف»<sup>٤</sup>، حيث لإفاضة - وهي تجلي الذات المعدسة - كنت بالخلق والإبداع ومظهره الأتم هو الإنسان

## الحفاظ على كرامة الأنبياء

يماز القرآن بالحفاظ على كرامة الأنبياء، سيما التوراة تحط من كرامتهم

١ راجع، علم اليقين للفيض الكاشاني، ج ١، ص ٢٨١

٢ حديث قدسي معروف، راجع البصائر ج ٨٤ ص ١١٩، وهامش عوالي اللئالي ج ١ ص ٥٥؛ وكتاب كشف الغطاء

للمعاصري، ج ٢، ص ١٣٢

لم يأت ذكر نبي من الأنبياء في القرآن إلا وقد أحاط بهم هالة من التسجيل والإكرام، كما ونزههم عن الأدناس على وجه الإطلاق

خذ مثلاً سورة الصافات جاء فيها ذكر أنبياء عظام مرفقاً بعظيم الاحترام.

«وَلَقَدْ بَدَأْنَا نُوحًا نَبِيْعَ الْمُجْسِمِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَفْنَدْنَاهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ»<sup>١</sup>

«وإن من شيعته لإبراهيم إذا جاء ربه بقلب سليم» ويستهي إلى قوله. «وتركنا عليه في الآخرين. سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين. ونشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين. وبذرنا عليه وعلى إسحاق.»<sup>٢</sup>

«ولقد متنا على موسى وهارون. ونجيتهم وقومهما من الكرب العظيم. وضرناهم فكانوا هم العارلين. وآتيناهما الكتاب المنشئ. وقديماهم الصراط المستقيم. وتركنا عليهما في الآخرين. سلام على موسى وهارون. إن كذلك نجزي المحسنين. إنيها من عبادنا المؤمنين.»<sup>٣</sup>

«وإن إلياس ابن المرسلين» إلى قوله «وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين. إن كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين»<sup>٤</sup> وهكذا كلما مر ذكر نبي بصحبه لمة من الإجلال والتكريم

وأما التوراة فلا تمر فيها بقصة من قصص الأنبياء إلا وملؤها الإهانة والتحقير، وربما بلغ إلى حد الإبتدال والتعبير مما لا يليق بشأن عباد الله المحلصين

هذا نوح شيخ الأنساء تصفه التوراة رجلاً سيئاً مستهتراً لا يرعوي شناعة حال ولا فضاة بال

تقول عنه التوراة. إنه بعد ما نزل من أسفينة هو ومن معه غرس كرماً وصنع خمرأ وشربها حتى إذا سكر وتعري داخل حباته. إذ دخل عليه ابنه الصغير حام فرأى أباه

مكشولاً عورته فاستحى ورجع ليخبر إخوته بذلك، وثمًا صحا نوح وعلم بفصيح أمره دعا على الله هذا ولعنه هو وذريته في الآخرين فكان من أثر دعائه عليه أن كانت ذريته عبيداً لذرية أخويه سام وياقت أيد الأبدى<sup>١</sup>

يالها من مهرة سحبتها دهشة الحافدين على أهل الدين، فما شأن التوراة وثبت هكذا سفاسف حقائقية تمس بكرامة شمع الأنبياء!

وهذا إبراهيم خليل الرحمان وأبو الأنبياء وصاحب الشريعة الحنيفة ولتي أورثها الأنبياء من بعده، نَحَدَه في التوراة رجلاً أُرْصِيَّ يتاجر بزوجه الحسناء «سارة» ليفتدي بها، لا لشيء، لا ليحظى بالحياة الدنيا على غرر سائر المرابين، يفعلون الفحور للحصول على القليل من حطام الدنيا الدنية<sup>٢</sup>

وما هي إلا فرية فاصحة يكذبها ماريح حياء إبراهيم عليه السلام كانت سارة عندما صحبت زوجها إبراهيم في سفره إلى أرض مصر قد طعنت في السن من السبعينيات وكان الدهر قد وسم على وجهها آثار الكهولة والهرم. ولم يعهد من عادة الملوك لجبايرة وأصحاب الترف والندخ أن يطعموا في هكذا ساء عجورات! كان إبراهيم عندما عاد «حاران» موطن أبيه «نارح» فاصداً بلاد كنعان، قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره، واجتار أرض «شكيم» ليسي هناك مذبحاً (معبدًا) وارتحل إلى الجبل شرق «بيت إيل» وهكذا تدوم في رحلته يحوب البلاد ويبني مذابح، إلى أن حدث جدت عم البلاد، فأنحدر إلى أرض مصر لسجع هناك

ولم يأت في التوراة مدة هذا التجول والرحلات، لكن جاء فيها أن سارة لقها وهبت جارتها «هاجر» لإبراهيم كان قد مضى من معادرتهم أرض مصر عشر سنين<sup>٣</sup> فحبلت هاجر وولدت إسماعيل بعد ما انقضى من عمر إبراهيم ست وثمانون عاماً<sup>٤</sup> فكان إبراهيم عند مقدمه مصر قد تجاوز الست والسبعين وبما أن سارة كانت أصغر من إبراهيم

٢- المصدر: ١٢/١٦-٢٠

١- سفر التكوين، إصحاح ١٨/٩-٢٤

٤- المصدر: ١٦/١٦

٣- المصدر: ١٦/٣



بعشر سنين فقد كانت عند قدومها مصر قد نهزت الست والستين وهو سنٌ لعجائزاً<sup>١</sup>

إبراهيم، لم يكذب قطاً!

جاء في أحاديث العامة برواية أبي هريرة -وهي أشبه بالإسرائيليات- أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله: «إني سقيم»<sup>٢</sup> وقوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا»<sup>٣</sup> والثالثة بشأن سارة أنها أخته<sup>٤</sup>

وهي حديث الشعاة برواية أبي هريرة أيضاً أن أهل الموقف يأتون الأنبياء واحداً بعد واحد يستشفعون منهم، حتى يأتوا إبراهيم فيأبى معتذراً إني كذبت ثلاث كذبات ولستُ هناك<sup>٥</sup>

وقد وصلت لجنة مشايخ الأزهر هذه الروايات بالصحيح، وعارضت الأستاذ عبد الوهاب النجار استنكاره لهذه المفتريات<sup>٦</sup>

قلت وحاشا إبراهيم الخليل -الذي عي إلى الحنيفة البيضاء- أن ينطق بكذب، وإنما كُذِبَ عليه بلاريب والرواية عامة لإسناد لا اعتماد بها في هكذا مجالات ولقد أحاد الإمام الراري حيث قال فلا يُصاف الكذب إلى رواة هذا الخبر أولي من أن يُضاف إلى الأنبياء، وأحد في تأويل لموارد الثلاثة، وأصاف فائلاً، وإذا أمكن حمل الكلام على طاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء فحيث لا يحكم بنسبة الكذب إليهم إلا رنديق<sup>٧</sup>

أما قوله «إني سقيم» فلعله أراد ومن حادته الجسدية ممّا كان يرى قومه على غفّة الغباء، وقد أحسّ ألماً شديداً انتاب قلبه المرهف تجاه تلكم الجهالات العارمة وأما قوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فاشألوهم إن كانوا ينطقون» فقوله قالها مستهزئاً بهم

٢- الصائغ ٣٧: ٨٩

١- المصدر ١٧/ ١٧.

٢- الأنبياء ٢١، ٦٣

٤- صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٧١ وج ٧، ص ١٧، وصحيح مسلم، ج ٧، ص ٩٨، ومسنّد أحمد، ج ٢، ص ٤- ٤٠٤

٥- جامع الترمذي، ج ٤، ص ٦٢٣ وج ٥، ص ٣٢١ -٦- راجع هامش قصص الأنبياء للنجار، ص ٨٦

٧- التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ١٨٥ وج ٢٦، ص ١٤٨

مستخفاً عقليتهم الكاسدة.

والكذب لا يكون إلا لفرض التموه أتما إذا كان السامعون عارفين بواقع الأمر وأن إبراهيم لم يقصد الحقيقة وإنما أراد التسفيه من عقولهم محضاً فهذا لا يُعدّ كذباً، لأن الكذب إخبار في ظاهر غير مطابق للواقع وهذا إنشاء لمحض التسفيه والهزء بهم والإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب، فتدبر.

وأما الثالثة - بشأن سارة أنها أخته - فحديث خرافة يا أمّ عمرو!

### قصة الطوفان في التوراة

جاءت قصة الطوفان في سفر التكوين<sup>١</sup> بصورة تفصيلية تشبه أن تكون أساطيرية، وفيها ما ترفضه العقول وتبأه واقعية الحياة، فضلاً عن منافاتها لأصول الحكمة المهيمنة على مظاهر الوجود.

جاء فيه: أن قوم نوح فسدوا وأفسدوا في الأرض، فغضب الله عليهم وأنذرهم على لسان نوح بعذاب الاستئصال بإرسال الطوفان العارم، فلم يعبهوا بذلك وظلّوا يعبثون ويهثون في البلاد.

ولما بلغ نوح من العمر ستمائة سنة أمره الله بصنع الفلك (هي ٣٠٠ ذراع طولاً و ٥٠ ذراعاً عرضاً و ٣٠ ذراعاً في الارتفاع).

فعاء الطوفان، وحملت ينابيع الأرض تتفجر والسماء تمطر بغزارة أربعين صباحاً والماء يرتفع شيئاً فشيئاً على وجه الأرض كلّها حتّى بلغ قمم الجبال الشامخة في كل جوانب الأرض وارتفع على أشمخ قمة من الجبال بحمس عشرة ذراعاً، وبذلك هلك الحرث والنسل و مات كلّ ذي حياة على وجه الأرض من الدوابّ والبهائم والندبّابات و الرخّافات وحتّى الطير في السماء ودام الطوفان مائة وخمسين صباحاً يحوم نوح بأهله وذويه وما حمّله معه في الفلك على وجه الماء حتّى أخذ الماء ينحطّ ويفور فاستقرّت

سفينته على جبل «آارات» بأرمينية فزلوا من السفينة وعاش نوح بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين عاماً، فكان كل يوم نوح تسعمائة وخمسين سنة على ما جاء في الإصحاح التاسع عدد ٢٨

وكان الذي حمله نوح معه في السفينة - غير أهله ودويه - أرواجاً (ذكراً وأنثى) من كل أنواع الحيوانات لثلاثين قرص نسلها وتزيد من الوحود «من جميع البهائم والطيور ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسلها على وجه كل الأرض»<sup>١</sup>.

وهذا يعني أن جميع الأحياء هلكوا على أثر العرق «مات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الرخافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس، كل ما في الله سمة روح الحياة فبما في اليابسة مات»<sup>٢</sup> وذلك أن الماء غمر وجه الأرض كلها وطغى على أعالي الحبال الشامخة في كل أكناف الأرض «وتعاطمت المياه كثيراً جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع فتغطت كل الجبال»<sup>٣</sup>.

### حادث الطوفان في القرآن

وحاشا القرآن أن يساير التوراء (لمتداوله) في سرد أقاصيص أسطوريه واهيد، وإنما هي الواقعيه بنتقيها وينبذ الأوهام العرفانيه والتي أحدثت بها على أثر طول المهد وإليك الحادث على ما جاء في سورة هود

«حَقَّ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورَةُ قُلْنَا خُلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَخْلَكَ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ازْكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ازْكُبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوتِي إِلَى جَبَلٍ يَخَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لِعَاصِمِهِ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا

١ - المصدر ٤/٧

٢ - المصدر ٢٦/٧

٣ - المصدر ١٩/٧

٤ - كلمه أعجميه وتطلق في كلام العرب على معبر المياه جاء في القاموس التور كل معبر ماء

مَنْ رَجِمَ وَحَالَ يَتَنَبُّهُا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ. وَتَمَرَّ بِأَرْضِ الْهَلْمِيِّ مَاءُكَ وَبِنَا سَاءُ أَقْنَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ<sup>١</sup> وَقَلَّ يُغْدَأُ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسَالِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنْ أَتَنَزَّلْتُمْ لِي وَتَزَحَّمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسِتْنَاهُمْ لِيَوْمِهِمْ يَمَسُّهُمُ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>٢</sup>.

### مواضع عبر أغفلتها التوراة

جاءت القصة في التوراة كسائر الأحداث التاريخية القديمة مشوّهة في خضم من حرافات بائدة ومن غير أن تتأكد على مواضع العبر منها، بل وأعلنها في الأكثر أمّا القرآن فما أنه كتاب هداية وعبر نراه يقتطف من أحداث التاريخ عبرها ويبحثني من شجرة حياة الإنسان السالفة يابح ثمرها، فليستع الإنسان بها في حياته العاصرة في شعب وهناء وقد أغفلت التوراة جانب زوجة نوح وابنه اللذين شملهما العذاب بسوء اختيارهما إنها عبرة كبرى، كيف يعفل الإنسان أوفر إمكانيات الهداية والصالح، وينجرف بسوء اختياره مع تيار الصلالة والفساد، وفي النهاية الدمار والهلاك!! ذكر السيد ابن طاووس أنه كان لنوح زوجان إحداهما وميئة وأخرى غيبية، فركبت الصالحة مع أسائها السفينة، وهلك الأخرى الطالحة مع الآثمين<sup>٣</sup>

قال الله تعالى عنها وعن زوج لوط «خَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ لُوطِ وَإِمرَأَةُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَدَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ»<sup>٤</sup>

١- قال أبو مسلم الإصهاني: الجودي كل جبل وأرض صبة.

٢- هود ٦١، ٤٨-٤٩.

٣- راجع: سعد السعود لابن طاووس، ص ٢٣٩، وبيمار الأتول، ج ١١، ٣٤٢.

٤- التكملة، ٦٦، ١٠.

وكانت خيانتها هي المسايرة مع الكافرين وبهذا معالم الهداية التي كانت في متناولهما القريب

وابن نوح يقول عنه تعالى إنه ليس من أهله لا يصلح للالتساب إليه بهذا لعنوان الفخيم (أهل نوح) لأنه عمل غير صالح، إنه حصيلة أعماله غير الصالحة، ومن ثم فإنه كان يعيش خارج الإطار الذي كان يعيشه نوح وأهله وهذا أيضاً من أعظم العبر، كيف ننحدر الإنسان من أعلى قمم الهداية والتوفيق لينخرط مع البائسين الحيارى لايهندون سبيلاً؟

أمّا وكيف ابتغى نوح نجاه الله هذا وهو يعلم ما به من عواية الضلال؟ فهذا يعود إلى حسن الأبوة ورحمة العطفة التي كان يحميها نوح ﷺ لا سيما مع ما وعده الله بجهنم أهله، فعمله شملت العناية الرئانية وأصبح من المرجومين ومن ثم جاء به الإجماع باليأس وأنه لا يصلح أن يكون أهلاً له وكان محتملاً عليه أن يمسي من المرجومين

#### هل عم الطوفان وخه الأرض؟

صرح النوراني أن الطوفان عمّ وجه الأرض وأهلك النعرات والسل وحش الطير في السماء

وليس في القرآن دلالة ولا إشارة إلى ذلك، بل على العكس أدل وأن الطوفان إنما عمّ المنطقة التي كان يعيشها قوم نوح ولم يتجاوزها

جاء في سورة الأعراف «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» إلى قوله «فَكَذَّبُوهُ فَأَعْيَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَعْرِقْنَاهُم بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ»<sup>١</sup>

فالذين كان يُحاف عليهم عذاب يوم عظيم من كذبوه وكانوا قوماً عمين، كانوا هم المغرقين.

ولا دلالة فيها على غرق آخرين من أقوام لو كانوا مبعثرين عاشين في سائر قطار الأرض ممن لم تبلغهم دعوة نوح ولم يكن مرسلًا إليهم هذا فضلاً عن سائر الحيوان من الرخاءات وندابات المنتشرة في وجه الأرض، وكذا الطير في الهواء، مما لا شأن لها ورسالات الأنبياء ولا وجه لأن يعذبها العذاب وهو عقاب على معصية لا أساس لها بعير الإنسان الأمر الذي يؤخذ على التوراة أشد الأخذ! ولا سيما بذلك الوصف الذي وصفته: غمر الماء وجه الأرض كلها وارتفع حتى غمر قمم لجبال الشامخات وعلاهن بحمس عشرة ذراعاً (سبعة أمتار)!

#### نقض فرضية الشمول

يقول «ولتر» - الكاتب الناقد الفرنسي (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) بصدد سحب أسطورة الطوفان على ما وصفته التوراة -: كان يجب لمثل هذا التصخم من الماء المتراكم على وجه الأرض أن تصطم اثنا عشر بحراً، كثر في سمع البحر الأطلانتي المحيط، بعضها فوق بعض، ليكون الأعلى في حجم أكبر بأربع وعشرين ضعفاً، وهكذا حتى تجميع في مثل هذا الماء المتراكم ليغمر شامحات الجبال!

ويريد - مستخفاً عقلية مسطر هذه الأساطير وناقماً على الذين اعتنقوها باعتبارها حياً من السماء (وحاشاء) - يكفي بذلك معصرة خائفة لا حاجة معها إلى سائر المعاجز، حيث لا مثيل لها في غرق نواويس الكون!!

ويقول آخر إن المحاسبات العلمية اندقيقة تعطي أن الأبخرة المنثثة في أجواء الأرض لو تكثفت جميعاً وهطلت أمطاراً لما كنت تكفي لأن تغمر وتعلو عن وجه الأرض بأكثر من بضع سائتي مترات، فكيف بجبال شامحات؟!

يقول الدكتور «شفا» لو كانت السماء تهطل بأمطارها أربعين صباحاً - كما هو نص التوراة - لما كاد أن يغمر هضة مابين النهرين - على صعرها - فكيف بعمق وجه الأرض

وأن يعلو قمم الجبال؟! وجل «آرارات» يرتفع عن سطح البحر بأكثر من خمس كيلومترات ما يكاد أن يعمره، فكيف بسائر الجبال انشامخة؟!<sup>١</sup>

### الطوفان ظاهرة طبيعية حيث أرادها الله

نعم، كان حادث طوفان ظهيرة طبيعية وعلى ما وصفه القرآن ممّا لا يكاد لغمز

فيه

كان قد مرّ على حياة الأرض في أدوارها الأولى كثير من تعييرات حيوية مفاجئة، كان وجه الأرض مسرحاً لتناوب هطول أمطار عريرة وسيول هائلة مسعدة من أعالي الجبال كادت نعم لهصاب ولوديان والماضى منحفضة من سطح الأرض وكان طوفان نوح إحدى تلكم لظواهر الكونية حدثت بعد الله «فَتَقَطَّعَ أَنْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَجِرٍ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ»<sup>٢</sup> فانحدرت سيول هائلة على سفوح العمال وتفجّر ينابيع الأرض المشبعة بالأمطار، وهكذا أحاط لماء الهائم بقوم نوح وسدّ عليهم طرق النجاة وحتى ابن نوح حاول اللجوء إلى أعالي المرتفعات لولا أن حابهه سيول هائجة لتصرعه إلى حيث مهوى الهلاك، بل وحتى لم يجد فرصة الريث فيما كان يصحبه أبوه، وحال بينهما الموج فكان من المفرقين

وهي تواريخ الأمم ما يستغل حدوث طوفانات هائلة حرفت بقسط من الحياة، ولعلّه لتراكم الفساد والنس في تلكم البعاع فمن قدماء الفرس أن طوفاناً هائلاً غمّ أرض العراق إلى حدود كردستان وهكذا روي عن قدماء اليونان والهنود أثبتوا وقوع الطوفان سبع مرّات شمل شبه الجزيرة الهندية ويروي تعدّد الطوفان عن اليابان والصين والبرازيل والمكسيك وغيرهم ويروي عن الكلدانيين «وهم الذين وقع طوفان نوح في بلادهم - أن المياه طغنت على البلاد وحرفت بالحرث ونسبل فقد نعل عنهم «برهوشع» و

١ - راجع ما كتبه الدكتور شجاع الدين شعاعي كتابه «بوئدى بيكر» ص ٢٨٥ متبدأ قصّة الطوفان على ما وردت في الكتب الدينية.

٢ - القمّر ٥٤: ١١ و ١٢

«يوسيفوس» أن «ديرستروس» رأى في الحلم بعد موت ييه «أوتيرت» أن المياه ستطفي وتغرق الناس كلهم (ممن كان يعيش هناك طبعاً) فأمر بصنع سفينة يعتصم فيها هو ودووه، ففعل وقد كان هناك جابرة طمو هي لبلاد وأكثروا فيها الفساد فعاقبهم الله بالطوفان والاستتصال

وقد عثر بعض الإيجليز على ألواح من الآجر نُقشت فيها هذه الرواية بالحروف المسمارية هي عصر «آشور بانيبال» من نحو (٦٦٠) سنة قبل ميلاد المسيح وأنها منقولة من كتابة قديمة من القرن السابع عشر قبل الميلاد أو قبل ذلك ومن ثم فهي أقدم من كتابة سفر التكوين (يرجع ندويه إلى عام ٥٣٦ قبل الميلاد بعد الرجوع من سبي بابل)

ويروي اليونان خبراً عن الطوفان وردده «فلاطون» وهو أن كنهه مصر قالوا للحكيم اليوناني «سولون» أن السماء أرسلت طوفاناً غير وجه لأرض مراراً فهلك الناس (ممن عمرو البلاد في المنطقة) وسمحت آثارهم ولم يبق للجيل العديد شيء من تلكم الآثار والمعارف وأورد «مانتيون» غير طوفان حدث بعد «هرمس» الأول الذي كان بعد «مساس» الأول وهو أقدم من تاريخ نوره أيضاً<sup>١</sup>

وهكذا جاء خبر الطوفان في «أوسد» كتاب المعوس<sup>٢</sup>

وحاء في كتاب «تاريخ لأدب الهندي» الحرء، الأول المختص بالثقافة لوئسية الهندية، للسيد أبي نصر أحمد الحسيني لهوبالي لهندي (مخطوط) ص ٤٧ و ٤٣، في الباب الخامس، وعنوانه «برهمانا وأويانشاء»

ومما بلغت النظر في «ساتا نانا برهمانا» قصة الطوفان، التي بيّنت في ضمن الضحايا والقصة وإن اختلفت من وجوه كثيرة عما في القرآن والتوراة، وإن لم توجد شواهد قاطعة تربط القصة لهندي مع السامية نوجب الاهتمام

فهي هذه القصة البرهمانية يقوم «مانو» بدور نبي الله نوح عليه السلام في القرآن وفي

١ - راجع تفسير المنار لمحمد عبيد، ج ١٢، ص ١٠٥

٢ - هي ترجمتها الفرنسية. راجع الميراث للطباطبائي، ج ١٠، ص ٢٦٧



التوراة و«مانو» اسم نال التقديس والاحترام في أدب الثقافة بأسره من الوثنيين، فهو ابن الله، ومصدر جميع الناس وحدهم الأسطوري.

وخلاصة انقصة أنه بينما كان «مانو» يغسل يده إذ جاءت في يده سمكة، ومما اندهش به «مانو» أن السمكة كلمته وطلبت إقادها من الهلاك، ووعدته جزاءً عليه أنها ستنقذه في المستقبل من خطرٍ عظيم والخطر العظيم المحقق الذي أنأت به السمكة كان طوفاناً سيحرف جميع المحلوفات وعلى ذلك حفظ «مانو» السمكة في «المرتبان» فلما كبرت السمكة أخبرت «مانو» عن انسة التي سيأتي فيها طوفان، ثم أشارت عليه أن يصنع سفينة كبيرة، ويدخل فيها عند طغيان الماء، فائدة أنا أنقذك من الطوفان. فمانو صنع السفينة، والسمكة كبرت أكثر من سعه «مربى»، لذلك ألغاه «مانو» في البحر ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل «مانو» لسفينه، عادت لسمكة إليه، فربط السفينة بقر على رأس السمكة، فحرّتها إلى الجبال الشمامسة وهنا ربط «مانو» السفينة بشجرة وعندما تراجع الماء وخفت، بقي «مانو» لوحده<sup>١</sup>

فدلالة الكلام: إنّ ما أنبأت به الأمم وحدثت به الأجيال من حوادث حوّنه حطيره داهمت الحياة البشرية الأولى وكان فيها الهلاك ودمار ومنها حادث الطوفان في كرات ومرات ليُشرف بالاطمئنان على تحقق الحادث إجمالاً ولو لم يكرس بذلك الشكل الأساطيري المنقول، شأن سائر القصص السائدة حبكت حولها مخاريف، الأمر الذي لا يوجب إنكارها من رأس ولا سيما أنّ مثل حادث الطوفان كان طبيعياً أن يهاجم حياة الإنسان ويواجهه بالنكبات في الأيام الأولى بكثرة، ولا يزال يتأب وجه الأرض بعد حين وآخر.

وربما كان من أعظمها وأشملها طوفان نوح، عمّ المنطقة ودمّر وأباد هذا شيء لا مبالغ فيه لإنكاره، بعد كونه طبيعياً وخبر به صادق الأمين

أما الريادات التي جاءت في الأساطير القديمة وبقيتها التوراة على علّاتها فهذا شيء نستخلص منه ونستدّه كما نبذه القرآن واستخلص الحادث صافياً جلياً الأمر الذي اختص به القرآن وكان نبأ عيسى لا يعلمه أي إنسان ذلك لحين «يَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»<sup>١</sup>  
أي لا تعلمها بهذا الخصوص والجلء أما صورتها المشوّهة فكان يتداول بها أقوام جاهلون بحقيقة الأمر.

#### لشاهد على شمول الطوفان

لاشك أن شواهد الطبيعة لا تدع محلاً لاحتمال شمول الطوفان، ولا سيما ذلك الارتفاع الهائل كما لا موجب لتناول الإحصاء لمثل هذا الحدّ غير الضروري قطعياً  
بقي ظاهر النصّ (التعبير الواردة في القرآن الكريم) ممّا حسب البعض ذا دلالة أو إشارة إلى ذلك، فضلاً عن قرائن أخرى

قال الشيخ محمد عبده: وأما مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الأديان وأهل النظر في طبقات الأرض وموضوع خلاف بين مؤرّحي الأمم أمّا أهل الكتاب وعلماء الأئمة الإسلامية فعنى أن الطوفان كان عامّاً لكل الأرض ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الأصداف والأسماك المتحصّنة في أعالي لجبال، لأنّ هذه الأشياء ممّا لا تتكوّن إلا في البحر، فظهورها في رؤوس الجبال دليل على أن الماء صعد إليها مرّة من المرات، ولن يكون ذلك حتّى يكون قد عمّ الأرض<sup>٢</sup>

وقال السيّد الطباطبائي لحق، أن ظاهر القرآن الكريم - ظهوراً لا سكر - أن الطوفان كان عامّاً للأرض، وأن من كان عليه من البشر أغرقوا جميعاً  
ومن شواهد الآيات التي استند إليها قوله تعالى - حكاية عن نوح - «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

الأرض من الكافرين دياراً»<sup>١</sup> وقوله «لأعاصم أيتوم من أمر الله»<sup>٢</sup> وقوله «وجعلنا ذريته هم الباقين»<sup>٣</sup>.

قال. ومن الشواهد من كلامه تعالى على عموم انطوفان ما ذكر في موضعين من الأمر بأن يعمل من كل زوجين اثنين<sup>٤</sup> ومن الواضح أنه لو كان الطوفان خاصاً بالمنطقة (أرض العراق كما هو معروف) لم تكن حاجة إلى ذلك<sup>٥</sup> نظراً لإمكان تداوم النسل بسائر أفراد النوع المنبئة في أقطار الأرض حينذاك

### آثار جيولوجية؟

لكل وحود انفسايل وبغايا متحجرة لحيوانات مائية وهكذا آثار الردم المشاهد في أعالي بعض الجبال لا يصلح شاهداً لصعود الماء إليها، إذ لا يكفي لحدوث هذه الآثار ووجوده هذه البغايا صعود الماء أيتاماً معدودة ولمرة قصيرة، بل ومن المحتمل القرب أنها من بقايا رسوبية كانت يوماً ما تحت البحر وعلى ضفافه، غير أن التغيرات الجيولوجية ولتمتجات الحاصلة على قشرة الأرض على أثر لزلزل وغيرها هي التي أوجب بعيداً في وجه الأرض، فسمها ما ارفع بعدما كان مغوراً، أو انعم بعدما كان عالياً، وهكذا تعرجات حدثت على الأرض ولا سيما في الفترات الأولى على أثر انخفاض حرارة سطح الأرض

قال الشيخ محمد عده إن وحود الأصداف والحيوانات البحرية المتحجرة في قتل الجبال لا يدل على أنها من أثر ذلك الطوفان، بل الأقرب أنه كان من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء فإن صعود الماء إلى الجبال أيتاماً معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر فيها<sup>٦</sup>

١- هود ١٠، ١٣

١- يوح ٢٦: ٧١

٢- راجع: سورة هود ١١، ٤٠ والمؤمنون ٢٣، ٢٧

٣- الصافات ٣٧، ٧٧

٤- راجع تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٢٧٧ و ٢٧٤ ووافقه على ذلك الدكتور محمد الصادقي في تفسيره الفرقان، ج ١٢، ص ٣١٦-٣١٧

٥- تفسير المنار، ج ١٢، ص ٨

«وَبِئْسَ لَاتَتَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ»<sup>١</sup>

أخذوا من هذه الآية دليلاً على عموم لطوفان وشموله لوحه الأرض كلها قال الشيخ محمد عبده لست لآية بصاً في أن المراد بالأرض هذه الكرة كلها، فإن المعروف في كلام الأنبياء والأقوام وفي أحبارهم أن تذكر الأرض ويراد بها أرضهم ووطنهم، كقوله تعالى حكاية عن خطاب فرعون لموسى وهارون «وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ»<sup>٢</sup> يعني أرض مصر، وقوله «وَلَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِنْ الْأَرْضِ لِخُرُوجِكَ مِنْهَا»<sup>٣</sup> فالمراد بها مكة، وقوله: «وَقَصْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَقْبِلُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ»<sup>٤</sup> والمراد ديار فلسطين، والشواهد على ذلك كثيرة

قال وظواهر الآيات تدلّ معونة لغرائس والفعاليات الموروثة عن أهل الكتاب، على أنه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح، لا قومه - «وهو في أوليات حياة البشر» - وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان ولم يبق بعده فيها غير ذريته وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في النقرة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبالها، لا في الأرض كلها إلا إذا كانت اليابسة منها هي ذلك الرمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر عليها فإن علماء النكوتين وطبقات الأرض (الحيولوجية) يقولون: «إن الأرض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية، ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج»<sup>٥</sup>

وبذلك ظهر عدم دلالة الآية «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ»<sup>٦</sup> على شمول الطوفان لعامة وجه الأرض، بعد فرص محدودة بطرق السبل الشرعي آنذاك (في عهد بعيد جداً، وعدم الانتشار في أقطار الأرض ولا سبل ما حدّده التوراة من التاريخ القرب ولا مسند لها

«لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»

شاهد آخر التمسوه دليلاً على عموم الطوفان

قال تعالى «وَهِيَ تَحْرِي بِهْمَ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ. وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَغْرَلٍ يَابِسٍ

٢ - يونس ١٠ ٨٧

٤ - لوقا ١٧ ٤

٦ - الصافات ٥٧ ٧٧

١ - نوح ٧٦ ٢٦

٣ - الإسراء ١٧ ٧٦

٥ - تفسير المنار، ج ١٢، ص ١٠٦

ازْكَبْ مَعًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ نَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالُ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ<sup>١</sup>

في هذه الآية موضعان يمكن الاستناد إليهما تدليلاً على شمول الطوفان

١ - التعبير بالموج الهائل كالجبال، مما لا يحدث إلا في متع من حصم الماء

المتراكم

٢ - محاولة ابن نوح للصعود إلى جبل يعصمه من الماء، ولكن سوحاً أضره أن لا عاصم اليوم ومعنى ذلك أن الماء سيفطى الجبال بضاً ولا يضر موضعاً يأوي إليه وهكذا ابتلع الموج الهائم فكان من المفترقين

لكن لا شك أن هضبة كبيرة واسعة الأرجاء إذا ازدحمت عليها المياه واكتثفتها السيول العارمة من كل جانب وقاصت مدح الأرض فإن الماء ليحول ويصول في ساحتها وربما ارتفعت إلى عشرات الأمتار وفي مثل هذا الحضم من الماء الهائم والذي هي عرصة الطوفان وهبوب رياح عاصف لا بد أن تحصل أمواج عادية وعاتية تلوي على كل شيء، ولا بد أن ابن نوح كان واقفاً على مرتفع من الأرض ليرى تحوال السفينة على وجه الماء، وحيما كلمه أبوه - وهو راكب في السفينة - لم يمه نصيح أبه، وأنه سوف يأوي إلى أعالي لجبال لكنه غافل أن السيول لهامة المسحرة على سفوح الجبال سوف تلوي به إلى أعماق الفرق، وبالفعل نزلت به اسزلة وحال بينه وبين أبيه الموج فكان من الهالكين

وليس في ذلك دلالة على أن الماء سوف يرتفع على قمم الجبال الشامحة في كل

مناحي الأرض

وهكذا رجح العلامة الشعراي أن الماء لم يرتفع في أرض الطوفان (هضبة مابين لنهرين) أكثر من عشرين أو ثلاثين متراً، مما لا يمكن غشيانه قتل جبال رفيعة كغلة آراوات من سلسلة جبال جودي.<sup>٢</sup>

١ - هود ١١: ٤٢ و ٤٣

٢ - معجم لغات القرآن للعلامة أبي الحسن الشعراي (ملحق تفسير أبي الفتح الرزقي ج ١١، ص ١٤٤)

«قُلْنَا اخْبِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»<sup>١</sup>

شاهدٌ ثالث أخذوه دليلاً على عموم الطوفان

قال العلامة الطباطبائي هذا كالنص في أن الطوفان عمّ البقاع اليابسة من الأرض جميعاً أو معظمها الذي هو بمرلة الجميع قال ولو كان الطوفان خاصاً بصقع من أصفاع الأرض وناحية من نواحيها - كالعراق على ما قيل - لم يكن أي حاجة إلى أن يحمل في السفينة من كل جنس من أحباس الحيوان زوجين اثنين<sup>٢</sup>

وهذا المعنى قائم على أساس ما حسيه المفسرون في سبب حمل زوجين من كل جنس من الحيوان لعلّه استبقاء نسلها لئلا تنقرض قال صاحب المنار والتقدير - على قراءة حمص [تتويين كل] - احمِلْ فيها من كل نوع من الأحياء أو الحيوان زوجين اثنين ذكراً وأنثى، لأجل أن تبقي بعد غرق سائر الأحياء فتتأسل ويبقى نوعها على الأرض<sup>٣</sup> وعامة المفسرين على ذلك، ولعلهم متنبّهون لنص التوراة ونوارد الإسرائيليات بهذا المعنى جاء في سفر التكوين ومن جميع انهم انما طاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين ذكراً وأنثى، ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض<sup>٤</sup> وهكذا ورد في الإسرائيليات<sup>٥</sup>

ولكن ما قدر السببه حتى يحمل فيها مثل هذا العدد النعم من أنواع الحيوان الأهلية والوحشية والحشرات والطيور لئلا يقرض نسل الأحياء بل وفي هذه الروايات حمل الأزواج من أنواع الباب والشجر والأعشاب، وهو من العراة بمكان!! وبحق قال سيّد قطب ومرة أخرى تنترق الأقوال حول «من كل زوجين اثنين».

وتشيع في الجوّ رائحة الإسرائيليات قويّة

وتعقّبه بقوله - أمّا نحن فلا ندع الخبال يلعب بنا ويشتطّ حول النصّ «احمل فيها من كل زوجين اثنين» ممّا يملك نوح أن يمسك وأن يستصحب من الأحياء، ومما وراء ذلك خبط عشواء<sup>٦</sup>

١ - هود ١٦، ١٧: ٢٤، ٢٧

٢ - تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٢٧٤

٣ - تفسير المنار، ج ١٢، ص ٧٦

٤ - سفر التكوين، إصحاح ٢/٧، ٣

٥ - راجع الدر المنثور للسيوطي، ج ٤، ص ٤٢٣ وما بعد - في ظلال القرآن، ج ١٢، ص ٦٢، محلّد ٤، ص ٥٤٨

وهذا هو الرأي الصحيح، فقد رخص الله لنوح أن يحمل معه ما يملكه من الحيوانات لأهلية بقدر ما يحتاج إليه من زادٍ وراحلة، ولا يشغل حمله حتى تعود الأحوال إلى وصاعها الأولى وأما سائر الأحياء الأهلية والوحش فتشرد لوجهها ولا تبقي في المنطقة المصابة بالحادث، كما هو مألوف. هذا ما يدلّ عليه نصّ القرآن لا أكثر والزوجان - في الآية - يراد به المتعدد في تشاكل، أي من كلّ جنسٍ عدداً يفي لتأمين الحاجة بها.

وهذا نظير قوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا (في الأرض) زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»<sup>١</sup> أي من كلّ نوعٍ في أشكالٍ وألوانٍ متقاربةٍ ومتنوعةٍ، كالنخلة في أشكالها وألوانها، وهكذا الليمون والزمان وسائر الفواكه من كلّ نوعٍ فيها أرواح متشابهة كما قال تعالى: «الرُّيُوثُ وَالزُّمَانُ مَثَابَهُ»<sup>٢</sup> أي متشاكلًا وغير متشاكل.

وجاء في وصف فواكه الجنة: «فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ نَضِيجٌ»<sup>٣</sup> أي صنفان متشاكلان. والمراد المتعدد في أشكالٍ وأصناف، كما قال: «وَأَوْتُوا بِهِ مَثَابَهُ»<sup>٤</sup> أي متشاكلًا ومن الواضح أنّ الثمرة - وهي الفاكهة - ليس فيها ذكر ولا أنثى ولا تزواج للفاح، وإنما ذاك في بذور الأزهار لا في الفواكه والثمار.

على أنّها لغة دارجة: أن يراد بالمتنّى الشيع في الجنس لا الاثنان عدداً قال أبو علي: الزوجان في قوله: «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ» يراد بهما الشيع وليس يراد بهما عدد لاثنين، كما قال الشاعر:

فاعمد لما يعلو فمالك بالذي      لاتستطيع من الأمور يدان  
يريد: الأيدي والقوى الكثيرة حتى يستطيع التغلب بها على الأمور  
قال، ويبين هذا المعنى أيضاً قول الفرزدق:

وكلّ رفيتي كلّ رحل وإن هما      سحاطي القنا قوماً هما أخوان<sup>٥</sup>

١- الأنعام: ٦، ١٤١

٢- الرعد ١٣، ٢

٣- البقرة: ٢٥

٤- الرحمن ٥٥، ٥٦

٥- سحاطي مخفف سحاطية، حذف اللام للضرورة جامع التوليد، ص ٣٧٤

إذ رفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رجل، وإنما يريد الرفقاء كل واحد مع صاحبه يكونان رفيقين

وأما وصف الزوحير بالاثنين ولإرادة التأكيد والتشديد في المتبوع، كما قال تعالى: «لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ»<sup>١</sup> خطاباً مع لمشركين، نهى عن اتخاذ الآلهة، ومع ذلك جاء تأكيداً بالاثنين، زيادةً في المبالغة<sup>٢</sup> ومن ثم عقبه بقوله: «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازٌ هَبُونَ». وإنما جاء بالثنية باعتبار اتحاد إله آخر معه سبحانه، أي لا تتخذوا مع الله إلهاً آخر، والمعنى: النهي عن التعدد في الآلهة وإن كان في صياغة المثني<sup>٣</sup> وقد بحسباً عن إرادة الشياخ من المثني بتفصيل فليرجع إليه<sup>٤</sup>

### «وَأَسْتَوْتُ عَلَى الْجُودِيِّ»<sup>٥</sup>

يقال إنه تعريب «جورداي» اليونانية، تسم لسلسلة جبال تمتد من شمالي العراق إلى تركيا وبلاد أرمينية ذات قمة رفيعة (١٧٥٠ متر) عرفت بـ «آراراط». شاع عند الأرامنة - الفاطنين في المنطقة - أنها مرسى سبيد يوح، وأخذ عنهم العرب من عبر تحقيق

ويرجع هذا الشياخ إلى عهد متأخر (مد القرن العاشر بعد الميلاد) حيث ترجعت عبارة التوراة، (رست السعبيه على جبل لأكرد) بجبل آراراط ولم تكن الأرامنة تعرف لذلك الوقت مرسى معيناً للسعبيه، حتى شوّهت عليهم هذه الترجمة العاطئة، وجعلت الأوهام تحيك حولها أساطير

جاء في دائرة المعارف الإسلامية والمحقق من كتابات كثير من المؤلفين الأرمن وغيرهم من الكتاب أن جبل «آراراط» لم يكن له حتى القرن العاشر صلة ما به عادت

١- النحل ١٦، ٥١. ٢- راجع: مجمع الياض للطبرسي، ج ٥، ص ١٦١

٣- المصدر ج ٦ ص ٣٦٥

٤- فيما يأتي في البحث عن آية «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَفْظًا وَرُوحَيْنِ» فيما توهم من المعالفة مع العلم.

٥- هود ١١، ٤٤.



الطوفان. فالرواية الأرمنية القديمة لا تعرف - على التحقيق - شيئاً على جبل استقرت علمه فلك نوح فلما أن جاء ذكر جبل في المؤلفات الأرمنية المتأخرة نُسب أن ذلك كان بتأثير الكتاب المقدس، المترادف في هذه المؤلفات والكتاب المقدس هو الذي يقول إن السفينة استقرت على جبال أراراط وأعلى هذه الجبال وأشهرها جبل «ماسك» (ماسيس) ومن ثمّ قلاباً أن نوحاً قد حطّ بسفينته على هذا الجبل

أما لمرحلة الثانية من نمو هذه الرواية الأرمنية فتردُّ إلى الأوربيين الذين أطلقوا اسم آراراط (بالأرمنية ريراط) وهو اسم ناحية على جبل ماسك، استناداً على تفسير لحاطي لسفر التكوين<sup>١</sup>

وإنما أحدث الرواية القائلة بأن «ماسك» هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة، تجد مكاناً في المؤلفات الأرمنية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وبذهب التفاسير الدينية السابقة على هذا في الزمن، إلى أن الجبل المعروف الآن بجبل «الهودي» أو جبال «جوردين» (بالسريانية: قردو وبالأرمنية كُردُج، - كما تقول المصادر السريانية - هو المكان الذي رست عليه سفينة نوح

والمحقق أن هذا المحدد للمكان الذي استقرت عليه السفينة - وهو المحدد الذي ذكر حتى في الترغوم (الترجمة الكلدانية لمعهد انديم) - يستند إلى الرواية البابلية وقد نشأ من الاسم البابلي «برسوس»

رد على ذلك أن جبل «نصر» الذي ذكر في قصة الطوفان في الكتابات المسمارية يصحّ أيضاً أن يحدّد مكانه في جبال «جوردين» بالمدلول الواسع لهذا الاسم وقد أخذ النصارى بالرواية البابلية اليهودية القديمة، وعرفها العرب منهم عندما وصلوا بفتحاتهم إلى إقليم «بهستان» (بلاد أرمينية) وأطلق العرب اسم «الهودي» - الوارد في القرآن - في غير تثبّت على جبل «قردو» لمعروفة بذلك منذ أقدم الزمن

وما زالت المنطقة المحيطة بجبل الجودي إلى يومنا هذا حافلة - كالمنطقة المحيطة بجبل آراراط - بالأساطير والكبريات المتصلة بفضة الطوفان وحياة نوح بعد إذ غادر السفينة.<sup>١</sup>



وهكذا نرى الجغرافي الكبير ناقوس الحموي (ت ٦٢٦) متأثراً بتلكم الأساطير المسطرة، يقول: الجودي جبل مُطلٌّ على حريرة «ابن عمر» في لحانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح ﷺ  
ثم يذكر نص التوراة - مستشهداً به - : «واستقرت السفينة على الجودي في شهر كدا ويوم كذا» ويقول هذا تعريب التوراة حرفاً حرفاً<sup>٢</sup>  
ما ندري ماذا كان الأصل حتى ترجمه إلى ذلك ولعله لقى بذلك - وهو رومى الأصل - من بعض الأرامية المسيحيين وهكذا نقى أثناء الإسلام بأوهام جاءتهم من قبل أهل الكتاب!

هذا، ومن ورائهم ررافات من لمفتريين سواء في العابر والحاضر - مع الأسف - من غير ترتب ولا تحقيق، وكم له من مدثر في مواضع من التفسير، أشهرها وأشعبها تفسيرهم ذا القرنين بالإسكندر الكبير!

ومن مضاعفات هذا الرعم - كما نبه عليه لمحقق الشعراني -<sup>٣</sup> القول بعموم الطوفان المستحيل<sup>٤</sup> إذ لا زمة أن يكون الماء قد عمر رؤوس لجبال الشامخات، حيث رست السفينة - بعد ما أخذت المياه في التصوب - على قمة جبل ترتفع خمس كيلومترات!  
ومما يجدر التنبيه له أن لقوم حسبوا من كلمة «الجودي» - باعتبارها اسم جبل - أنها أعجمية معربة، فراحوا يجوبون البلاد عنهم يعثروا على ذلك الأصل أهو «جورداين» أو «جورداي» أو «قوردو» أو غيرها؟

١ - راجع دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية ج ٢ ص ١٦١ ١٦٣ الجودي

٢ - معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٩ ٣ - معجم نعات القرآن للسعدي ج ١١ ص ١٤٤

٤ - عادة في الطبيعة ولا ضرورة تدعو إلى مثل هذا الإعجاز

لكن لا مبرر لهذا الحسبان بعد أن كان لهذه الكلمة أصل عربي خالص ولها سابق التعبير في جاهلية العرب قال أمية بن أبي لصنت

سبحانه ثم سبحاً بعد به وقبله سيح الجودي وخمّد

الجودي - من الجود - الرّبوّة من الأرض تجود بنباتها إذا أصابها وابلٌ أتت أكلها  
ضعفين والجمّد الحرّة من الأرض تحمد سنها وتجل سواء أصابها وابل أو طلّ  
قال أبو مسلم الإصبهاني الجودي اسم كلّ حبلٍ وأرض صلبة<sup>١</sup> هي مقابلة الرّحوة  
أي استقرّت على مرتفع من الأرض غير ذات وحن، وكانت ذات بركة عليه حينما نزل  
بها

«قيل يا نوح اهبط بسلامٍ مِنّا وبركاتٍ عَنّيكَ وعلى اسمٍ يحسّ مَعنك»<sup>٢</sup> فأولّ مسانح  
البركات نزوله بأرض ذات بركة وعود  
وأين هذا من حسبان نزوله في أعالي جبال شامعات ترتفع عن الأرض السهلة  
بـخمس كيلومترات؟!  
وهل كان نزوله حينذاك بسلام وبركات أم بشقاء وعناء؟!  
«حَتَّى إِذَا جَاءَ أَهْرَؤُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ»<sup>٣</sup>

هذه العبارة «وفار التنور» إمّا كناية عن فورة سحطه تعالى بمعنى وثار غضب  
الربّ، كما يقال فار فائره إذا اشتدّ غضبه وبنو فلان تغور علينا قدرهم أي يشتدّ غضبهم  
علينا

قال الشاعر:

تغور علينا قدرهم قديمها وسعّوها عتّا إذا حشّوها علاء  
وهكذا فار تنورهم أي احتدّ سحطهم وثارت نائزتهم فمعنى «فار التنور» حمى

٢- هود ١٦ ٤٨

١- مجمع البيان، ج ٥، ص ١٦٥

٣- هود ١١ ٤٠

٤- أساس البلاغة للزمخشري، ج ٢، ص ٢١٧ وفنّا القدر - بانتهاء المشقة - إذا حشّ عليه منهأ يارد<sup>٤</sup> ليعمر عليه

غضب الرب وإما أن نأخذ التعبير على حقيقته ليكون الثَّور مفجر الماء  
غير أن الثَّور - في أصله - اسم لما يُخَر فيه، والكلمة فارسية واستعملتها العرب  
بلا تحوير

قال ابن دريد: الثَّور فارسيٌّ معرَّب لا تعرف العرب له اسماً غير هذا، فلذلك جاء  
في التنزيل لأنهم خوطبوا بما يعرفون

وقال ابن قتيبة روي عن ابن عباس أنه قال: الثَّور بكلِّ لسان، عربيٌّ وعجميٌّ<sup>١</sup>  
واستعير لمفجر الماء والتناير ينابيع الماء، حيث نمر كما يثور الثَّور بالنار  
قال الفيروز آبادي الثَّور كلُّ مفجر ماء، ومحمل ماء الوادي أي مجتمعه وتناير  
الوادي محاذيه (مواضع تجمع فيها المياه) وهي لوهاد والمستنقعات في البراري  
ومعنى الآية على ذلك وفارت تناير الأرض أي فاصت ينابيعها ونارب  
وهكذا جاء التعبير في سورة القمر: «فَنَفَخْنَا فِي السَّاءِ بِمَاءٍ مَّهِينٍ. وَفَجَزَا الْأَرْضَ  
عُرُوباً فَأَلْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ. وَنَحْنُ عَلَى الْوَاوِجِ وَدُورٍ»<sup>٢</sup>

«قَلْبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً»<sup>٣</sup>

وهل يعيش إنسان في مثل هذا العمر تطويل؟ الأمر الذي لم يكذب يكون معروفاً  
وحتى في القرون الماضية، هؤلاء الفراعنة في مصر نجد أحسامهم كأجسام أهل هذه الأيام  
وأعمارهم لم تختلف عن أعمارنا وقد مرَّ لهم أربعون قرناً أو أكثر، فكيف يكون ذلك؟  
يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار لا مانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعماراً  
طويلة، لأنَّ النوع الإنساني كان في بدء نشأته لم يحمل هموماً ولم تعتوره الأمراض  
المختلفة ولم تنهك قوته الأطعمة التي لا يدر عى هضمها، فكان من المعقول أن يعيش  
طويلاً وأما نحن وأمثالنا ممَّن كانوا قبلَ أربعين قرناً فقد جئنا بعد أن أسهكت النوع

١ - المعرَّب لأبي منصور الجواليقي، ص ٢١٢ وراجع جعفر، قلعة لابن دريد، ج ٣، ص ٢، ج ٢، ص ٢، ص ١٤ وأدب  
الكاتب لابن قتيبة، ص ٢٨٤

٢ - القمر ٥٤: ١١-١٣

٣ - العنكبوت ١٩: ١٤

الإنساني الأمراض وطحنته الأدوية فالوحد منا عصارة لآلاف الأمراض التي استابت آباءه وأمهاته، فلم تعد فوانا تتحمل العمر الطويل

وعند العلماء بالطب والأحوال الاجتماعية أن الإنسان قواه محدودة والحياة لعريضة تستنفدها بسرعة بحلاف الحياة لضيقة، وبها تكون طويلة لقلة ما يستنفد من قوى الأجسام بتلك الحياة فنحن الآن لانعيش عيشة البساطة التي كان يعيشتها آدم ومن قرب منه، بل نتفنن في أنواع طعام ولد له المعيشة بما يهلك قواها، فلا غرابة أن تكون أعمارنا قصيرة، وقد اجتمعت عليها الأمراض لمتوارثة والتبسيط في العيش ويقول بعض الأطباء الألمان: إن إنسان هذا الزمان يمكن أن يعيش ثلاثمائة سنة إذا اتبع نظاماً خاصاً<sup>١</sup>

وهكذا ذكر الشيخ محمد عبده في إمكان إطالة الأعمار في عهد كانت الحياة غير موسعة الأطراف والمعيشة على بساطتها الأولى غير معقدة الحوائج ولا كانت مردحهم الأمراض والأدواء والشدائد والآلام حيث كانت طبيعة العمران ومعيشة الإنسان البطرية أسلم للأبدان<sup>٢</sup>

«وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ»<sup>٣</sup>

دلّت الآية على أنه لم يبق بعد الطوفان سوى نوح ونيه وذريته وحمى الذين ركبوا معه في القلک ممن آمن به وسجوا من الغرق هلكوا وانقرصوا بلا عيب هكذا جاء في الروايات الإسلامية عن ابن عباس وقتادة قال الكسبي لما حرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده وساء هم<sup>٤</sup> ومن ثم كان نوح عليه السلام هو الأب الثاني لكافة البشر بعد آدم عليه السلام

لكنه يتنافى وقوله تعالى خطاباً لبني إسرائيل «دُرِّيْهِ مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ»<sup>٥</sup>

١ - قصص الأنبياء للبشار ص ٤٨

٢ - تفسير المسدح ج ١٢ ص ١٠٤

٣ - الصافات ٣٧ ٧٧

٤ - مجمع البيان ج ٧ ص ٤٤٧

٥ - الإسراء ١٧ ٣

والموصول عامٌ يشمل من ركب مع نوح من المؤمنين، ولا يخص ولد صلبه - كما قيل - إذ لا شاهد عليه في ظاهر تعبير القرآن العام

والقول بتشعب البشر من ولد نوح الثلاثة (سام، حام، يافث) رواية إسرائيلية بحثة ذكرتها التوراة: «ومن هؤلاء تشعب كل الأرض»<sup>١</sup>

غير أنها ذكرت أيضاً أن الذين ركبوا مع نوح هم سوء ورواحهم محسب<sup>٢</sup> ليكون غيرهم لم يؤمنوا به إطلاقاً متى يبدو عريباً حدثاً، أو كانوا أموا ولكنهم بقوا ليبكوبوا مع المفرقين، وهذا بعد وأغرب!

فالصحيح ما ذكره القرآن: «ألف آمنٌ فيه من كل زوجين الذين وأهلك إلا من سبى عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل»<sup>٣</sup> بعد ركب معه من المؤمنين جماعة وإن كانوا في فلة بالنسبة إلى قومه الأكثرين وقد ذكر لمفسرون أنهم كانوا ثمانين نفساً.<sup>٤</sup>

فلا بد أن هؤلاء الذين ركبوا معه ونجوا كانوا معه وهبطوا جميعاً بسلام «قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم»<sup>٥</sup> والتعبير بالأمم ممن معه يعطي تدسس الأمم معهم، منهم المؤمنون كأبائهم ومنهم الكاسفون، وهذا أيضاً مطلق شامل لكل من ركب معه وهبط إلى الأرض بسلام فالعطاب - مع بني إسرائيل - بأنهم ذرية من حملنا مع نوح (يعني الذين آمنوا به) يشمل الجميع

ثم لو كان المراد ذرية ولد نوح، الذين ركبوا معه لكان التعبير بذرية نوح أولى، من غير ضرورة تدعو إلى هذا الالتواء في التعبير لموهم!

والوجه فيما ذكره الكلبي وغيره أنه تأثر بروايات إسرائيلية وينبؤ عنه ظاهر تعبير القرآن.

بقي قوله تعالى «وجعلنا ذريته هم الباقين»<sup>٦</sup> يظهر منه أن البشرية أصبحت جميعاً

٢ - المصدر ٨/٧

١ - سفر التكوين، إسحاق ١٨/٩

٤ - مجمع البيان ج ٥، ص ١٦١

٣ - هود ١١ - ٤٠

٦ - الصافات ٣٧ - ٧٧

٥ - هود ١١ - ٤٨

من ذرية نوح ولم يُعقّب الآخرون

لكن في رواية أبي الجارود عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام في قوله تعالى «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» قال: الباقيون بالحق والسيوة والكتاب والإيمان في عقبه قال: وليس كل من في الأرض من بني آدم، من ولد نوح واستشهد عليه السلام بالآية من سورة هود «ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِكُمَا مَعَ نُوحٍ»<sup>١</sup>

وهو تأويل وحيد يدعمه قوله تعالى «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ»<sup>٢</sup> وهذا هو معنى ابتلاء «وَجَعَلْنَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ»<sup>٣</sup> يعني إبراهيم عليه السلام وقال تعالى: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ»<sup>٤</sup> فالبقية الباقية في مصطلح القرآن هم الذين ورثوا الكتاب والسيوة والإيمان، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هذا هو ابتلاء وفي غيره الفناء، الأمر الذي تحقق في ذرية نوح وإبراهيم عليهم السلام

قال الحسن البصري: هناك المتعتمدون في الدنيا، لأنّ لجهل بقلب عليهم والغفلة، فلا تتفكرون إلّا في الدنيا وعمارتها وملاذمها<sup>٥</sup>  
قال الإمام أمير المؤمنين عليه صلوات الله وسلامه وبركاته: هناك حرّان الأموال وهم أحماء والعلماء باقون ما بقي الدهر<sup>٦</sup>

نوح عليه السلام بعد الهبوط

قال تعالى «قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٍ سَأَسْتَعْتِبُهُمْ ثُمَّ يَكْسِبُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ»<sup>٧</sup>

دلّت الآية على أنّ نوحاً هبط بسلام وبركات فقد أسّس أمةً ونهى حصاراً من

٢ - العدد ٥٧: ٢٦

٤ - هود ١١: ١١٦

١ - تفسير القمي ج ٢، ص ٢٢٣

٣ - الزمخري ٤٣: ٢٨

٥ - مجمع البيان، ج ٥، ص ١٦٨

٦ - نهج البلاغة، فصار الكعب، رقم ١٤٧ في كلامه عليه السلام مع كعب بن زياد النخعي عليه الرحمة، ص ٤٩٦.

٧ - هود ١١: ٤٨

جديد وعمر الأرض وأحصى لبلاد وسعى في علاء كلمه الله في الأرض على بُنيانٍ  
مرصوص

فقد أخذ من تحارب ماضيه دليلاً هادياً له إلى تأسيس معالم جديدة تدير درب  
الإنسان إلى حيث سعادته لعالمه، وكان توفيق حليفه في هذا الشطر من حياته  
الكريمة، وصار قدوة لمن جاء بعده من الأنساء وحتى أن إبراهيم الحليل عليه السلام أصبح من  
شيعته، «إذ جاء ربهُ بقلب سليم»<sup>١</sup>

قال تعالى «وَلَقَدْ رَءَوْنا نوحَ فَلَنَّمْ نُحِبُّونَ وَنَحْبُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا  
دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.  
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ...»<sup>٢</sup>  
وكم عاش نوح بعد لطوفان؟ القرن س كت عنه، وهي الروايات اخلاف، حمسين  
إلى خمسة عام<sup>٣</sup> أو أكثر مما لا اعتدال<sup>٤</sup>

### والد إبراهيم عليه السلام تارح أو آزر

ذكرت التوراه، أن والد إبراهيم عليه السلام هو «تارح» راء مفتوحة وحاء مهملة<sup>٥</sup>

وجاء في القرآن: «وَبِذَ قالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ»<sup>٦</sup>

قال الزجاج: لاخلاف بين السائين<sup>٧</sup> اسم والد إبراهيم عليه السلام تارح ومن المدهدة من  
جعل هذا طعناً في القرآن وقال هذا النسب - الذي جاء في القرآن - خطأ وليس بصواب  
وحاول الإمام الرازي لإحاطه عن ذلك بأنه من المحتمل أن والد إبراهيم كان  
مسمى باسمين، فلعل اسمه الأصلي آزر، وجعل تارح لقباً له، فاشهر هذا اللقب وخفي  
الاسم، ولقرآن ذكره بالاسم<sup>٨</sup>.

ويتأيد هذا الاحتمال بأن «تارح» يعبريه يعطي معنى الكسول المتقاعس في

١ - الصائبات ٣٧: ٨٤ ٢ - الصائبات ٣٧: ٧٥-٨٤

٣ - راجع كمال الدين للصدوق، ص ١٣٤ رقم ٣ ويحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٨٩

٤ - سمر التكوين، بصحاح ٢٧/١١ ٥ - الأنعام ٦: ٧٤

٦ - راجع التفسير الكبير، ج ١٣، ص ٣٧ وغيره اليساوي، ج ٢، ص ١٩٤



العمل<sup>١</sup> أما «آزر» فهو الشيطان في العمل، لأنه من «الأزر» بمعنى القوة والنصر والعون ومنه «الوزير» أي المعين قال تعالى حكمة عن موسى بشأن هارون «أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي»<sup>٢</sup> وهذا المعنى قريب في اللغات السامية، ومن ذلك عازر وعزير في العبرية، وجاءت المادة بنفس المعنى في العربية، قال الله تعالى: «فَالَّذِينَ شَرُّوا بِهِ وَعَزُّوهُ وَنَصَرُوهُ»<sup>٣</sup> ومعلوم أن العين والهمزة يتعاوران في اليعنين لعبرية وعربية<sup>٤</sup>

فلعل اسمه الأصلي كان «آزر» بمعنى الشيطان، لكنهم رأوا منه كسلاً وفشلاً في العمل والهمة فلقلبوه بتأرجح وكما اشتهر نبي الله يعقوب بلقب «إسرائيل»



أما مفسرو الشيعة الإمامية فيرون أن «آزر» هـ لم يكن والد نبي الله إبراهيم عليه السلام وإن كان إبراهيم يدعوه أباً، لأن «الأب» أعم من الوالد، فطبق على الجد للأب، وعلى العربي والمعلم والمرشد، وعلى العم أيضاً حيث جاء إطلاق الأب عليه في القرآن فقد حكى الله على أولاد يعقوب قولهم «نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَنُؤْتِيكَ إِبراهيم وإسماعيل وإسحاق»<sup>٥</sup> وإسماعيل كان عمّاً ليعقوب

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي ونذى قاله رَحْمَتُ اللَّهِ يَقْوِي مَقَالَهُ أَصْحَابُنَا أَنَّ آزر كان جده إبراهيم لأمه، أو كان عمه، لأن أبه كان مؤمناً، لأنه قد ثبت عندهم أن آباء النبي ﷺ إلى آدم كنهم كانوا موحدين لم يكن فيهم كافر، ولا خلاف بين أصحابنا في هذه المسألة

قال، وأيضاً روي عن النبي ﷺ أنه قال، بقلبي الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لم يدنسني بدنس الجاهلية وهذا حصر لا خلاف في صحته<sup>٦</sup> فبين النبي ﷺ أن

١ - جاء في قاموس الكتاب المقدس (بالفارسية) ص ٢٤٦ «آزر» أي الكسلا

٢ - طه ٢٠ - ٣٦ - ٣ - لأعراف ٧ - ١٥٧

٤ - راجع قصص الأنبياء للنجاشي ص ٧٠ - ٥ - بقره ٢١ - ١٣٣

٦ - ورد في تأويل قوله تعالى «وَتَقْبَلُكَ فِي الشَّاهِدِينَ» الثمراء ٢٦ - ٩ - ٢ بطرق الفريقين أحاديث متطابقة أنه ﷺ

قال «هم أول أنفل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» راجع النصير الكبير ج ١٣ ص ٣٩ والدر المنثور ج

٦ ص ٣٣٢ مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٧

الله نقله من أصلاب الطاهرين، فلو كان فيهم كافر لما حاز وصفهم بأنهم طاهرون، لأن الله وصف المشركين بأنهم أنجاس «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ نَجَسٌ»<sup>١</sup>

قال ولهم في ذلك أدلة لا طول بذكرها الكتاب لئلا يخرج عن الغرض.<sup>٢</sup>

\*\*\*

وللإمام الرازي هنا بحث طويل وحجج أقامها دعماً لما يقوله مفسرو الشيعة وأخيراً يقول: ثبت بهذه الوحوه أن «آزر» ما كان والد إبراهيم عليه السلام بل كان عمّاً له، ولعمّ قد يسمى بالأب، كما سمي أولادُ يعقوب، إسعيل أباً ليعقوب وقال النبي ﷺ بشأن عمّة العباس حين أسروا: ردّوا عليّ أبي

قال. وأيضاً يحتمل أن «آزر» كان ولداً ثم إبراهيم وهذا قد يقال له الأب وللدليل عليه قوله تعالى «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَعِيسَى»<sup>٣</sup> فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، مع أنّه عليه السلام كان جدّاً لعيسى من قبل الأم<sup>٤</sup>

\*\*\*

ولستدنا الطباطبائي تحقيقاً بهذا الشأن، استظهر من القرآن ذاته أن «آزر» الذي خاطبه إبراهيم بالأبوة وحاء ذلك في كثير من الآيات لم يكن والده قطعياً وذلك أن إبراهيم في بداية أمره حين كان بين أظهر قومه من أرض كلدان، وكان تحت كماله آزر، وقد حاح قومه وحاحٌ به كثيرٌ وفي فترات ومساسات مؤاتية، وكان أبوه آزر يطارده ويؤثبه على حرّاته عسى تهة قومه «وَدُكِّرَ فِي الْكِتَابِ إِبرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَكَّنَكَ عَدَاؤُكَ مِنَ الرِّجَالِ فَيَكُونُوا لَشَيْطَانٍ وَلِيّاً قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَكَ وَخُذُنِي مَيْتاً قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي

١ - التوبة ٢٨، ٢٩

٢ - تفسير التبيان للطوسي ج ٤، ص ١٧٥، وراجع أيضاً مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٢٢

٣ - الأنعام ٦، ٨٤ و ٨٥  
٤ - التفسير الكبير، ج ١٣، ص ٤٠

حَقِيقًا<sup>١</sup>

فإبراهيمُ هنا قد وعد أنه أن يستعمر له، وبالفعل وفى بوعده «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا  
وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ، وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاعْفُ عَنِّي لِأَنِّي  
إِنِّي كَانُ مِنَ الضَّالِّينَ»<sup>٢</sup>.

لكن سرعان ما رجع عما كان قد رح فى أبيه حبراً، ومن ثم تراء منه حين لم يرح  
فيه الصلاح وينس منه قال تعالى «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهُ إِيَّاهُ  
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَسِيمٌ أَوْ»<sup>٣</sup>

هذا في بداية أمره قبل مفارقة بلاده وقومه فاصداً البلاد المقدسة والدليل على  
ذلك أنه بدأ لدعاء بقوله «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَخِفْني بِالصَّالِحِينَ الخ»

\*\*\*

وبعد ذلك مأتى دور معادرتة إلى الأرض المقدسة، ويستهل إلى الله أن يررقه أولاداً  
صالحين «فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي يَسْتَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ رَبِّ هَبْ لِي  
مِنْ الصَّالِحِينَ»<sup>٤</sup>.

وهنا بحبيب الله دعاءه «وَعِثَّنَا وَلَوْ كُنَّا إِلَى الْأَرْضِ الْأَوْسَى أَلْقِي بِرُكْنٍ مِمَّنْ يَلْعَلْنَ وَوَهَبْ لَهُ  
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ رِيسَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ»<sup>٥</sup>

ثم إنه لما كبر ابنه إسماعيل وبى البيت لهرام مرة يدعو لوالديه ويستغفر لهما:  
«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» إلى قوله «رَبَّنَا اغْفِرْ  
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ»<sup>٦</sup>

قال العلامة الطباطبائي والآية بما فيها من لسياق والقرائن المحتففة بها خير شاهدة  
على أن والده الذي دعاه واستعمر له هنا عمر أبيه آرر الذي تبرأ منه في سالف الأيام فقد  
حصل أن آرر الذي جاء ذكره في تلك لايات لم يكن والد إبراهيم ولا أباه الحقيقي،

١- إشعراق ٢٦ ٨٦-٨٩

١- مريم ١٩ ٤٦-٤٧

٤- الصافات ٢٧ ٩٨ ١

٢- التوبة ٩ ١١٤

٦- إبراهيم ١٤ ٣٥-٤٦

٥- الأنبياء ٢١ ٧١ و٧٢

وإنما صحَّ إطلاق الأب عليه لوجود عناوين تسوِّغ اللغة مثل هذا الإطلاق، كالجدِّ للأمِّ والعمِّ، وروح الأمِّ، وكلُّ من يتولَّى شأن صغير، وكذا كلُّ كبير مطاع، ونحو ذلك وليس مثل هذا النوسع في إطلاق لفظ الأب مختصاً بلغة العرب، بل هو جارٍ في سائر اللغات أيضاً<sup>١</sup>

### الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق!

جاء في سفر التكوين، الإصحاح ٢٢.

١ - وحدث بعد هذه الأمور أنَّ الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، خذ ابنك وحيدك الذي تحبُّه إسحاق واذهب إلى أرض المريّا وأصعده هناك.  
٩ - فلما أتيا إلى الموضع ورَّب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب.

١٠ - ثمَّ مدَّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه

١١ - فناداه ملاك الربِّ من السماء.

١٢ - فقال: لا تمدَّ يدك إلى العلام ولا تفعل به شيئاً، لأنِّي الآن علمت أنَّك خائف

الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني.

١٣ - فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مُمسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب

إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه.

١٥ - ونادى ملاك الربِّ إبراهيم ثانية من السماء، وقال: بذاتي أقسمت يقول الربُّ:

إني من أجل أنَّك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر سلكك

تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك بسبب أعدائه،

ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنَّك سمعت لقولي



بطلُّ هذه القصة عند اليهود هو إسحاق، ولعلَّ لفظ إسحاق حُشر حشراً في غضون

القصة، وذلك حرصاً من بني إسرائيل على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذي جاء بنفسه في

طاعة ربه، وبورك للعالمين في نسله

غير أن التعبير بـ «أهلك وحدك» - دليلاً على سخاء نفس إبراهيم بولده الوحيد - يذبحه امتثالاً لأمر ربه - مما يتنافى وكون الدبش هو إسحاق، الذي كان أصغر من أخيه إسماعيل بأربعة عشرة عاماً.

فالابن الوحيد الذي جادت نفس إبراهيم بذبحه ليس سوى إسماعيل وقرينة أخرى إن الذي بورك للعالمين نسله وأفاض نسله بالبركات على العالمين هو إسماعيل، دون إسحاق الذي كان ولا يزال نسله (بنو إسرائيل) مكبته في العالمين، ومفهر الفساد بين العباد، والعيث في البلاد

وفي القرآن إشارة إلى ذلك حيث يقول تعالى «بَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَاقُوتُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا أَتَمَّ وَتْلَاهُ لِلْحَبِيبِينَ وَرَدِيتهُ أَنْ يَبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ لِلَّذِينَ وَقَدَّتْهُ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ وَتَزَكَّى عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ»<sup>١</sup>

فالتبشير الأول بغلام حليم يُسَمَّى عن ن إبراهيم لم يكن صاحب ولد لعينذاك، حيث بشره بغلام.

والتبشير الثاني جاء تصريحاً باسم إسحاق نبتاً من الصالحين فيدل على أن التبشير الأول كان بغير إسحاق، وهو إسماعيل وفي الإصحاح ٢١ من سفر التكوين،

إِنَّ الرَّبَّ بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ بِسَلٍ فِي وَدَّهِ إِسْحَاقَ وَسَلٍ فِي وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَكِنْ يَجْعَلُ مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ أُمَّةً

جاء في العدد ١٢: لَأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى نَسْلُ

وفي العدد ١٣، وابن لحارية أيضاً ساجعه مُمةً لأنه سذك  
ومن ذلك يُعرف أنَّ البركة العامة الشاملة التي جُعدت في نسل الذبيح خاصة بولد  
إسماعيل فقد أصبحوا أمه هيمنت ببركتها ما بين لخافقين

### قصة لوط مع ابنتيه كما هي في التورة

جاء في الإصحاح ١٩ من سفر التكوين  
٣٠ - وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابناه معه، لأنه خاف أن يسكن في  
صوغر، لسكن في المطارة هو وابنتاه  
٣١ - وفالت البكر للصغيرة أبونا قد شاح ولس في الأرض رحلٌ لبدحل علينا  
كمادة كل الأرض

٣٢ - هلم سقى أنا خمرًا واضطجع معه، فتحبي من أبنا سلاً  
٣٣ - فسقتنا أباهما حمراً في تلك ليلة، ودحت الكر واضطجعت مع أبيها، ولم  
يعلم باضطجاعها ولا بقيامها

٣٤ - وحدث في العد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي،  
سقيه حمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه، فتحبي من أبنا سلاً  
٣٥ - فسقتنا أباهما حمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه،  
ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها

٣٦ - فجعلت ابنتا لوط من أبيهما

٣٧ - فولدت الكر ابناً ودعت اسمه مؤب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم

٣٨ - والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عتي وهو أبو بني عثمون إلى

اليوم.



هذا، ولكن القرآن يأبى أن تتلوّث ساحة قدس نبي من أنبيائه بمثل هكذ تلوث  
فضيع فقد نزلت شأنه ورفعة مقامه آيات تُسنى ولتكون شهادة من الله بزهة ساحة قدس

## أوليائه الكرام

قال تعالى «وَلَوْ طَأَّ آتِيَاهُ حُكْمٌ وَعَقِبٌ وَنَحْنُاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبَائِثَ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. وَأَذْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الْمُصْطَفَى»<sup>١</sup>  
 «وَإِنْ لَوْ طَأَّ لَيْنَ أَرْضَيْلَ إِذْ نَحْنُاهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُورًا فِي الْعَابِرِينَ»<sup>٢</sup>

## يعقوب يفتهب النبوة من أخيه عيسو

لم تنوار اليهود في انحط من كرامة الأنبياء حتى ولقد مدوا يد التدنيس إلى حياة أبيهم يعقوب ليحعلوه مترواً ألتس لأمر عني أنه يسحق ليسهب النبوة من أخيه «عيسو» حيث كان مرشحاً لها من قبل أنه فاعل يعقوب أباد إسحاق وسعل عماء لنصور أنه عيسو فسارك له بالسوة هي مثل هد لتلاعب لصياني نذكر لنوراء حادث انتقال النبوة من إسحاق إلى يعقوب يالها من مهرله حمقانة وإساءة أدب إلى ساحه أساء الله الأعظام!<sup>٣</sup>

١- الأبياء ٢٦ و٢٧ و٢٨ ٢- التصادف ٣٧ و٣٨ و٣٩

٣- جاء في الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين

وحدث بنا ساح إسحاق وكلف عيسو به الأكر وقال خرج إلى البرية ومضت لي صيداً وصنع لي أظعمه حتى يباركك نفسي قبل أن أموت وكاتب رهنه وجه إسحاق وتم يعقوب) سمعه أن يكلم إسحاق مع عيسو ابنه فكلم يعقوب ابنه ما قال أبوه قالت فالان نسي ذهب إلى الصمد وحد جديين جديين من المعري فاصعبهما أظعمه لأبيك كما يحب فحضرها الله فباركك من وقته فذهب يعقوب وحده وحضر لأخته فصعب أظعمه كما كان يحب أبوه. وحدث رهنه لباس عيسو الفاحرة ونسبها ابنها يعقوب. واليس يد به وملاسه عجمه جلود جديي المعري لأن عيسو كان أشعر ويعقوب كان أملس - صعبت دنت بلبساً عني إسحاق. وأعطت الأظعمة هي يد يعقوب فذهب إلى أبيه وقال يا أبي ففان هاد دا من سي يا سي ففان يعقوب يا عيسو يكره فذهب كما كالمضي فمضى فاجس وكن من صيدي لكي يبارككي ففان إسحاق يا هاد بدو اسرعاً فقال إن الرب الهك قد يرسلني فقال إسحاق فعدم لأجلك يا سي أنت هو بني عيسو لا ففانم يعقوب ففان وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين بيد عيسو ولم يفرقه لأن يديه كانا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركك وقال هو أنت هو بني عيسو فقال أنا هو فدهاه إسحاق وقال ليستعبدك شعوبه وتسجد لك قبائل كس سيداً لأخوتك وليسجد لك هو أمك. وعندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب وخرج من صده جاء عيسو وأتى بالصيد ليبارك به أبوه فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً. ونطق الأمر فصرع عيسو صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه يارككي بعضاً فقال ففانم أحوك بكر واحد يركك ودمع عيسو صوته وبكى وقال ففانم أخذ يعقوب بكورمى وبكرمى وعزم على ففانم أخيه ففانم ففانم من وجهه واحتضنه عند الموالد بإشارة من أمه رهنه وهكك صبح يعقوب بياً وأصبح يحونه عبيد ففانم

## يعقوب يصارع الرب

وكارثة أخرى أصفوها نبي الله يعقوب، وهي أنه صارع الرب لسلته كلها، ولم يتركه حتى ضربه الرب على خُوق فحده أي رأس وركه، مباركته حتى تركه يعقوب<sup>١</sup> أما القرآن فإنه يصف إسحاق ويعقوب بأجمل وصف وأنها من عباد الله الصالحين «وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَنْصَارِ إِنَّا اخْتَلَصْنَاهُمْ لِمَخْلِصِهِ ذِكْرِي الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِبْدَانِي الْمُضْطَلَّيْنِ لِأَخْبَرِ»<sup>٢</sup>

«وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِنِّيهَا إِِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ بَرِّفَعُ دَرَجَاتٍ مَن شَاءَ إِن رَّتْكَ حَكِيمٌ عَمِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَّبْنَا الْيَحْيَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَى الصَّلَاحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا قَضَيْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنَ آسَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَجَعَلْنَاهُمْ فِتْنَةً لِّبِ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِه مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ»<sup>٣</sup>

والآيات بررفع شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل كثيرة في القرآن، على العكس ممّا جاء في النوراء اليهودية من انحط بكرامه الأنبياء عليهم السلام

## خروج بني إسرائيل وتجاوزهم البحر

جاء في سفر الخروج<sup>٤</sup> فرعون اضطّر إلى إطلاق سراح بني إسرائيل لما أصاب القبطيين من الحذب ولبلاء، لكنه فور ما أطلق سراحهم بدم على ذلك فأحد هو وحوده

١ - جاء في الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين رقم ٢٢ - ٢٩

ثم قدم في تلك الليلة وأعد امرأته وجاريته وأولاده الأحد عشر، وغير مخاضة يوق أحدهم وأجارهم الوادي وأجار ما كان له. فبقي يعقوب وحده وصدرته يفسح حتى طمّوع الفجر وبما رأى أنه لا يدر عليه ضرب حق فحده، فأنبع حق فحده يعقوب في مصارعة معه، وقال: «طبعي لأنه قد طبع البحر فقال لا أظفرك بي لم يركس فقال له ما سمكت؟ فقال يعقوب: فقال لا بدعي سمكت هي ما بعد معويته بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقطرت وسأل يعقوب: فقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي؟ وبما أنه هناك فدعا يعقوب اسم المكان هيبيل، فأنزل

٢ - من ٣٨ - ٤٥ - ٤٧

لأنني ظفرت الله وحيها لوجه

٣ - الأنعام ٦ - ٨٣ - ٨٨



يعقبونهم ليردّوهم إلى الذلّ والعبودية لأولى، غير أنّ بني إسرائيل ضلّوا الطريق إلى فلسطين - وكانت قريبة - فأخذوا في نصريّ انبيد وتقول التوراة إنّ الله هو الذي أصلهم كي لا يندموا إذ رأوا حرباً فيرجعوا إلى مصر فأدركهم فرعون وهم على ضفّة البحر الأحمر فلمّا رأى بنو إسرائيل فرعون وحنوده دُعِروا وقرّعوا إلى موسى، فأوحى الله إليهم أنّهم ناجون وأنّ فرعون وحنوده سوف تُغرقون، وحال بينهم وبين فرعون، فأمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر ويشقّه، ففعل فأحرى الله بريح شرفة شديدة كلّ اللّيل وجعل البحر طريقاً بابسةً وانشقّ الماء، فمشى بنو إسرائيل على اليابسة في وسط البحر والماء كالسور عن مصيبتهم وعن سائرهم وعبروا إلى الصفّة الأخرى وراهم فرعون يسيرون على اليابسة فسار في أثرهم، فلمّا توسّط البحر وعبر بنو إسرائيل جميعاً انطلق الماء على فرعون وحنوده فأغرقوا جميعاً ولم يبق منهم ولا واحد<sup>١</sup>

ونصّت التوراة أنّ البحر الذي جاوره بنو إسرائيل هو بحر سُوف<sup>٢</sup>، والموضع الذي انشقّ منه كان عند فم الحيروث أتام محلّ صغون<sup>٣</sup> وجاء في قاموس الكتاب المقدّس أنّه «الفلزم»<sup>٤</sup>

و«فم الحيروث» مضيق قرب نهاية حديق أسويس على ما جاء في خارطة الأراضي المقدّسة - ملحق كتب العهدين

وهكذا جاء في المأثور من دعاء «نسماء» المعروف بدعاء «شّبور» «ويوم فرقت

لبني إسرائيل البحر وهي المبحصات التي صنعت بها العجائب في بحر سُوف»

وقال العلامة المجلسي - في شرح لدعاء - سماء الهروي في انعريبين «إساف»

قال وهو الذي غرق فيه فرعون قال المحنسي وهذا لبحر هو بحر الفلزم<sup>٥</sup>

ولعلّ ما جاء في عبارة الدعاء «وفي حلّ حوريث»<sup>٦</sup> أيضاً إشارة إلى «فم

٢ - المصدر ١٨/١٣ و ٥/١٥

٤ - قاموس الكتاب المقدّس لجمعية هاكس، ص ٤٩٦

٦ - بحار الأنوار، ج ٨٧ ص ١١٢

١ - سفر الخروج، إصحاح ١٠ - ١٤

٣ - المصدر ٩/١٤

٥ - بحار الأنوار، ج ٨٧ ص ١١٢

الحيروث».

\*\*\*

والذي جاء في القرآن بهذا الشأن ليس فيه ما يخالف التوراه جوهرياً وجاء تفصيل القصة في القرآن في سورة الشعراء<sup>١</sup> وأجرها في سائر السور<sup>٢</sup> وجاء التعبير في هذه الآيات بالبحر وباليَم وهو لَحَّة الماء ومعظمه

لكن هناك في التفسير أمور يبدو عليها بعض الاتهام، فقد ذكر المفسرون أن الطرق التي انفلقت لبني إسرائيل للعبور كانت على عدد أساطهم اثني عشر طريقاً<sup>٣</sup> الأمر الذي لبست عبارة القرآن نصاً فيه دل ولا إشارة إليه

وأما قوله تعالى «فانمق فكن كُرُ مرقٍ كسطودٍ العظيم»<sup>٤</sup> فالمعنى أن البحر مشق وتجمّع الماء في كلّ جانب يمناً ولسار<sup>٥</sup> كالجبل ويفرق - يكثر الماء - اسم لما افترق قال الراغب الفرق القطعة المنفصلة فكلّ جانب من لبحر انفصل عن الجانب الآخر وصار كلّ جانب كجبل عظيم

ولعلّ في قوله تعالى «فاصربت همّ طريقاً في البحر يمساً»<sup>٦</sup> ما يتنافى وقولهم بعدد الطرق على عدد الأساط

وهكذا نجد أن بعض المفسرين أحصل أن يكون المقصود هو بهر النيل، بحجة أن العرب تسمي الماء العذب أيضاً بحراً إذاً أكثر قل لاكوسي واختلفوا في هذا البحر، فقيل القلزم، وكان بين طرفيه أربعة فراسخ (١) وقيل، أنيل، والعرب تسمي الماء المالح والعذب بحراً إذاً أكثر، ومنه «مَرَحَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ»<sup>٧</sup> وقال لطبرسي وهو بهر النيل ما بين أيلة

١ - الشعراء ٢٦ ٥٢-٦٨

٢ - راجع سورة البقرة ٢ ٥٠، والأعراف ٧ ١٣٦-٢٨، ويونس ١ ٩٠، والإسراء ١٧ ١٠٣ و ١٠٤، وطه ٢٠ ٧٧، والقصاص ٢٨ ٣٩ و ٤٠، والزمر ٤٣ ٥٥ و ٥٦، والندجان ٤٤ ١٧-٣٦، والندريات ٥١ ٣٨-٤٠.

٣ - راجع جامع البيان للطبري ج ١، ص ٢١٩ تجد فيه الجانب والعرب بهذا الشأن وراجع أيضاً مجمع البيان ج ٧

٤ - الشعراء ٢٦ ٦٣

ص ١٩١

٥ - الرحمن ٥٥ ١٩

٥ - طه ٢٠ ٧٧

ومصر. وقيل هو بحر القلزم ما بين اليمن ومكة إلى مصر<sup>١</sup>

ولقد فات هؤلاء أن سي إسرائيل أخذوا في طريقهم إلى أرض فلسطين عبر وادي سيناء، ولم يعترض طريقهم إلى وادي سيناء سوى البحر الأحمر، أمّا لنيل فلامساس له بذلك ولم يكن على جهة مسيرتهم نحو دمياط، إذ كان النيل على جهة الغرب وفلسطين على جهة الشرق حيث نوحه بنو إسرائيل، وليس في طريقهم ما يحول بينهم وبين فلسطين سوى مصيبي السويس في بهايه لبحر الأحمر

### قصة العجل والسامري

نسب النوراء صنع العجل إلى هارون بنو السامري الذي تذكره القرآن جاء في سفر الخروج<sup>٢</sup> ر موسى لما أتى على بني إسرائيل طلبوا من هارون أن يصنع لهم آلهة، فأجابهم هارون إلى ذلك، وأخذ أقرط الذهب، وصنع منها عجلًا مسبوكة، وقال هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعدتكم من أرض مصر فأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح، وأكلوا وشربوا وقاموا، باللعب حول العجل وأحرار الرث موسى أن الشعب قد فسد، فقد صنعوا عجلًا وسجدوا له فحمي غضب الرب وأراد أن يهلكهم لولا أن موسى تشفع لهم وكان عندما اقترب إلى المحلة أبصر العجل والرفص، فحمي غضبه وطرح لنوحس من يده وكسرهما، ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار، وطحنه ودرّاه على الماء وسقاه بني إسرائيل وقال لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيئة عظيمة؟ فاعتذر أنهم افتقدوك فصنعت لهم العجل<sup>٣</sup>



ونقرأ في سورة طه

«وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكَ قَوْمُكَ بِأُتُومِي قَالَهُمْ هُمْ وَلَاءٌ لِّعَلِيَّ تُقَرِّي وَعَجِبْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ قَالَ

١- روح المعاني، ج ١ ص ٢٢٢ وراجع مجمع البيان ج ٧ ص ١٩١

٢- سفر الخروج، إصحاح ١/٢٢ - ٢٤

هَاتَا قَدْ قَتَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَخْلَفْتَ السَّامِرِيَّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَقَطَّلَ عَلَيْكُمْ الْبَهِيمَةَ أَمْ أَزِدْتُمْ أَنْ يَجْلُ عَلَيْكُمْ غَضَبُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِبَهِيمَةٍ وَلَكِنَّا خَلَلْنَا أَوْرَاءَ مِنْ رِبْضَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَعَلْنَا هَذَاكَ الَّذِي السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ. قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى نَسِي. أَفَلَا يَزِيدُونَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا. وَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَنْ لَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ بَايَسُ أَمْ لَا تُتَاَعَذُ بِالْحَقِيقَةِ وَلَا بِرَأْسِي إِلَى حَسْبَيْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَأَيْتُ بَيْنَهُمْ إِسْرَافِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي. قَالَ لِمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي. قَالَ فَادْهَبْ فَبَيْنَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْبَحْرِ نَسْفًا<sup>١</sup>.

### مواضع الاختلاف بين القرآن والنبوة بشأن العجل

١- ذكرت النبوة أَنَّ الَّذِي صَحَّ نَمَعْنُ هُوَ هَارُونُ أَخُو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وجاء في سورة طه أَنَّهُ السَّامِرِيُّ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاقِعَ<sup>٢</sup> وَأَنَّ هَارُونَ أَرَادَ مَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ «قَالَ إِنْ أَمْ أَنْ الْقَوْمَ اسْتَضْطَرُّوا وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِيتُنِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»<sup>٣</sup>

٢- وذكرت أَنَّ مُوسَى لَمَّا حَمَى غَضَبَهُ طَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا

وجاء في القرآن أَنَّهُ أَلْقَى الْأَلْوَحَ<sup>٤</sup> - لَكِنَّا لَمْ تَتَكَبَّرْ - وَمِنْ ثَمَّ «لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي سُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِبَشَرٍ لَمْ يَرْهَبْهُمْ يَرْهَبُونَ»<sup>٥</sup>

٣- وذكرت أَنَّ مُوسَى أَخَذَ الْعَصَى وَحَرَفَهُ وَطَلَعَنَهُ وَدَرَّاهُ فِي مَاءٍ وَسَقَاهُ بَنِي

٢- طه ٢٠، ٨٥ و ٨٧ و ٩٥

٤- الأعراف ٧ و ١٥٤

١- طه ٢٠، ٨٣-٩٧

٢- الأعراف ٧ و ١٥٠

٥- الأعراف ٧ و ١٥٤

إسرائيل.

وجاء في القرآن أنه حرقه وسفحه في نيم سفاً

٤- وجاء في القرآن أنهم اتخذوا «عجلاً جسداً له خوار»<sup>١</sup> لكنه لا يكلمهم ولا يرجع إليهم قولاً<sup>٢</sup>

وقد سكنت التوراة عن ذلك

٥- وجاء في القرآن قوله السامري «قل بضرب بما لم يبصروا به قُبِضَتْ قَبْضَةٌ مِنْ

أَمْرِ الرُّسُولِ قَبْضَتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي»<sup>٣</sup>

وسكنت التوراة عن ذلك

\*\*\*

وحسب الأستاذ عبدالوهاب البخار أن هناك وجهاً سادساً للفرق بين القرآن

والتوراة بشأن قصة العجل، قال وأندى يظهر من عبارة سفر الخروج<sup>٤</sup> «ذهب الشيوخ السبعين كان قبل عبادة العجل، وأما القرآن فإنه يذكر أنه ذهب لنفسي الألواح قبل عبادتهم العجل، وذهب مع الشيوخ السبعين بعد ذلك، وهذا هو المعقول»<sup>٥</sup>

والذي أوقع الأسناد في هذا الوهم أنه وجد قوله تعالى «وَأَخَارَ مُوسَى فِزْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَفْجَکْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُوبُكَ بِمَا فَعَلَ الشُّعْرَاءُ مِنِّي»<sup>٦</sup> بعد قصة لعجل في نفس السورة<sup>٧</sup>

لكن الثابت الموجود في المصحف لشريف لا يصلح دليلاً على الترتيب في الحوادث التي يذكرها القرآن، بل لا دليل فيه على أن التوراة كان على نفس ترتيب الثابت، حسبما تبيننا عليه في الجزء الأول من التمهيد

من ذلك قصة ذبح البقرة ثبتت في المصحف قبل قصة درء القتل في بني إسرائيل<sup>٨</sup>

١- طه ٢٠، ٩٧

٢- الأعراف ١٤٨، طه ٢٠، ٨٨

٣- الأعراف ١٤٨، طه ٢٠، ٨٩

٤- طه ٢٠، ٩٦

٥- قصص الأنبياء للبخار ص ٢٢٦ وراجع القصص في التوراة في سفر الخروج، إصحاح ٣٢-٢٤

٦- الأعراف ٧، ١٥٥

٧- الأعراف ١٤٨-١٥٤

٨- البقرة ٦٧، ٧٢

على أن في القرآن ما يشهد بوقوع مأساة العجل بعد ذهاب الشيوخ السبعين للميقات

أولاً: أن ذهاب الشيوخ السبعين كان حسب الوعد للميقات، وقد صرّحت الآيات بأن مأساة العجل وقعت بعد هذا الميقات، نذّي هذا أربعين ليلة

قال تعالى: «وَوُعِدْتُ مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَتْهَا بِغَضَبٍ فَمُتُّ مَيِّتًا رُبُّهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاعْتَدِ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِيهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُور»<sup>١</sup>

وقال بشأن السبعين رجلاً «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِهِ»<sup>٢</sup>

أما فعل السفهاء، الذي يعتذر منه موسى فهو طلبهم الرؤية «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُخْرُجَ عَنْهُمْ كِتَابًا مِنَ الشَّأْنِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءُوا أَرْبَا أَلْفًا بِجَهَنَّمَ فَأَخَذَتْهُمُ الْعَصَافَةُ يَوْمَئِذٍ فَفُتِحُوا»<sup>٣</sup>

ثانياً: التصريح بذلك في سورة النساء: «لَا خُذْتُمْ الْعَصَافَةَ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِصَى مِنْ بَعْدِهِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَبَاسَاتُ»<sup>٤</sup>

ومن المعلوم أن هؤلاء الشيوخ السبعين إنما صاحبوا موسى للميقات لإيلاء رسالته القوم في طلب الرؤية، ومن ثم جاء في سورة طه: «وَمَا أَغْنَىٰكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ. قَالَ فَإِنَّ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ»<sup>٥</sup>



وهكذا جاء في سفر الخروج (١ ص ٢٤)

وقال لموسى اصعد إلى الرب أنت وهارون ونادب وابيهو وسعور من شيوخ بني إسرائيل، واسجدوا من بعيد، ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون وأما الشعب

٢ - الأعراف ١٧ - ١٥٥

٤ - النساء ٤: ١٥٣

١ - الأعراف ٧ - ١٤٢ - ١٤٨

٣ - النساء ٤: ١٥٣

٥ - طه ٦ - ٨٣ - ٨٥

فلا يصعد معه...

ثم يذكر بتفصيل ما جرى بين موسى وأهله وآتاه معالمة الشريعة، وكان موسى يكتبها في الألواح وهكذا يستعروا اليدين عذرة إصاحاحات  
ثم يقول، ولما رأى الشعب أن موسى أبطل في الرسول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة<sup>١</sup>

### نظرة في قولة السامري

«يَصُوتُ بِمَا لَمْ يَصُوتُوا بِهِ فَتَبَضُّتْ قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ الرُّسُولِ فَسَبَدَتْهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي»<sup>٢</sup>

زعمت المشربة من أهل الحديث أن السامري هذا كان قد ولد أيام فرعون، وكانت أمه قد خافت عليه فخلعته في غدير وأعطت عليه بالصحارة فوكل الله جبرائيل أن يأتيه فيعده بأصابه بوحدة لباً وبأخرى عسلاً وثلاثه سمناً، فلم يزل يكفله جبرائيل حتى شأ وشت، وأصبح يعرف جبرائيل بسماته

ثم إن فرعون وأصحابه لما هجموا لسحر ورأى بني إسرائيل أنهم فرسه عن الدخول وعند ذلك تمثل جبرائيل راكباً فرساً أشي في مقدمة فرعون وأصحابه، فلما رآها فرعون اقتحم البحر وراءها

وعند ذلك كان السامري قد عرف جبرائيل، ورأى أن فرسه كلما وضع حافره على تراب حصلت فيه رجفة وحركة وحياة فألقى في روعه: أن من أثر حافر فرس جبرائيل أن لا يقذف في شيء إلا حصلت له الحياة، ولذلك قبض قصة من أثر حافر فرسه وضعتها عنده

ولما أبطل موسى في الميقات دعا بني إسرائيل أن يأتوا بعليهم ليصنع لهم آلهة، فصاغها عجلاً وألقى من تلك القبضة فيه، فأصبح ذا حياة يخور كما يخور البقر، وقال هذا

إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى، وَأَضْلَهُمُ عَنِ الطَّرِيقِ

هكذا روى الطبري بأسانيد السيوطي وغيرهما من أرباب النقل في التفسير<sup>١</sup> وزادوا في الطين بله أنهم قالوا إن موسى سأل ربه فعدل بآب من أحوار العجل؟ فقال الله أنا، قال موسى فمن أحياء؟ قال الله أنا وأردت ففتنهم، فقال موسى يارب، فأنت إذن أظلمتكم، إن هي إلا فسك<sup>٢</sup> وهذا عندما قال الله تعالى لموسى: «وَأَصْلُهُمُ التَّيْمِيُّ»<sup>٣</sup>



قال أبو مسلم الأصفهاني ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون، فهاها واحدة أخرى، وهو أن يكون المراد بالرسول هو موسى عليه السلام، وبآثره سنته ورسمه الذي أمر به فقد يقال فلان يفتوا إثر فلان وبقص أثره إذا كان بمثل رسمه والتقدير أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم ونسأل عن الذي دعاه إلى إضلال القوم قال السامري «هَضَرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا بِهِ» أي غرقتم أن الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت فصب قبضة من أترك أيها الرسول، أي شئت من سنتك ودينك، فدفعه أي طرحته وإنما أورد بلفظ الإخبار عن عائب، كما يقول الرجل لرجلته وهو مواجه له ما يقول الأمير هي كذا، وبماددا بأمر الأمير وأما دعواه موسى عليه السلام رسولاً مع جحده وكفره فعلى مثل ما حكى الله عن المشركين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ لَمْ يَنْقُصْ عَلَيْكُمْ لَبِئْسَ جُزْءٌ لَكُمْ أَنْ تُقْبَلُوهُمْ فِي بَنَاتِكُمْ خَالَاتٍ لِمَا نَكَّرَ فِيكُمْ مِنْ ثَوْبٍ وَمِنْ أَهْلِ بَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَوْنَ»<sup>٤</sup> وإن كانوا لم يؤمنوا بإيزال الذكر عليه.

والإمام الرازي رشح هذا القول وأيده بوجوه قال إن هذا القول الذي ذكره أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين، ونكته أمرت إلى التحقيق<sup>٥</sup>

وهكذا الشيخ المراعي، قال إن موسى لما أقبل على السامري باللوم والتعنيف والسؤال عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم رد عليه بأنه كان استنّ سنته، واقتفى أثره

١ - راجع جامع البيان ج ١ ص ٢٢٣ والدر المنثور ج ٥ ص ١٥٩٢ وتفسير الصافي بكشاف ج ١ ص ٩٢ وتفسير

القلم ج ٢ ص ٦٢ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٤ وتفسير البهائي ج ٢ ص ٢٩

٢ - راجع الدر المنثور ج ٥ ص ١٥٩٢ وتفسير الصافي ج ٢ ص ٧٥

٣ - الحجر ١٥

٤ - طه ٢٨٥

٥ - التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١١١



وتبع دينه، ثم استبان له أن ذلك هو الضلال بعينه، وأنه ليس من الحق في شيء، فطرحه وراءه ظهرياً وسار على النهج الذي رأى.<sup>١</sup>

### ما كانت صفة العجل؟

جاء في تفسير ابن كثير وغيره: أن السامري ألقى في روعه أنه لا يشذ التراب الذي أخذ من تحت حافر فرس جبرائيل على شيء ويقول له كن كذا إلا كان كما أراد، ومن ثم لما أخذ حلي القوم وألقاها في البار قذف من تلك القبضة عليها وقال: كن عجلاً، فصار عجلاً ذا لحم وعظم ودم، وجعل يخور كما يخور ولد البقر.<sup>٢</sup>

وقال بعضهم: إنه جعل مؤخره العجل على حائط فيه ثقب، وأقعد هناك من يتكلم مع القوم ليظنوا أن العجل هو الذي يتكلم معهم.<sup>٣</sup>

كل ذلك مخالف لصريح القرآن، حيث إنه عبّر بالجسد وصفاً للعجل «عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُور»<sup>٤</sup>، وقال: «أَفَلَا يَرَوْنَ أَن لَّا يُزْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا»<sup>٥</sup>، وقال: «أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَّا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَمُّ بِهُمْ سَبِيلًا»<sup>٦</sup>.

على أن الروايات بهذا الشأن - في المسائل الثلاث - على ماوردت في التفاسير المعتمدة على النقل والأثر كلها متضاربة ومتعارضة بعضها مع البعض، فضلاً عن مخالفة أكثرها لفهم العقل الرشيد، ومن ثم فالإعراض عنها أجدر.

نعم، يبدو أن السامري كان صاحب صنعة وصياغة الحلي، فسك لهم من حليهم صنماً بصورة عجل، وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى فعبأ فيه مسامات ومسافذ للهواء، بحيث يحدث من ذلك صوت الخوار، وهو صوت البقر وهذا أمر بسيط، ربما تصنع أمثال

١ - تفسير المراغي، ج ٦، ص ١٤٥.

٢ - راجع تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٦٤، والذوالمثون، ج ٥، ص ٥٩٢، وتفسير البضاوي، ج ٤، ص ٢٩، وتفسير القمي

ج ٢، ص ١٢، وجامع البيان، ج ١٦، ص ١٤٩، و ج ١، ص ٢٢٢، وتفسير الميراث، ج ١٤، ص ٢١١.

٣ - راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ص ٢٥١، وبحار الأنوار، ج ١٢، ص ٢٢٦.

٤ - طه ٢٠، ٨٩.

٥ - طه ٢٠، ٨٨.

٦ - الأنعام ٧، ١٤٨.

ذلك للعبة الصبيان اليوم وقبل اليوم، وليس من الأمر العجيب

مَنْ هُوَ السامري؟

رَبِّمَا تَشْكُكُ بعض الكتاب لمسيحيين<sup>١</sup> في «السامري» نسبةً إلى السامرة بلدة كانت في أرض فلسطين بناها «عُمري» رابع ملوك بني إسرائيل المتأخّر عن عهد نبيّ الله موسى ﷺ بخمسة عرون! فكيف يكون معاصراً له وقد صنع الجبل كما جاء في القرآن؟ جاء في سفر الملوك وفي السنة ٣٦ لآسائيك يهوذا مَلَكُ عُمري على إسرائيل ١٢ سنة، مَلَك في ترصة ٦ سنين، واشترى جبل لِسامرة من شامر يوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة. وكان ذلك بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر بسبعو من ثلاث وعشرين وخمسةائة عام.<sup>٢</sup>

لكن السامري لعظة معرّبة ويشت على أصلتها العبرية، والشين العبرية تبدّل سيماً في العريّة كما في «موسى» معرّب «موشي» لعربية، و«البسع» معرّب «اليشوع»<sup>٣</sup> وكما في «السامرة» نسبةً إلى اسم صاحب بجبل «شامر» أمّا السامري - في القرآن - فليس منسوباً إلى بلدة السامرة هذه، وإنّما هي نسبة إلى «شمرون» بلدة كانت عامرة على عهد نبيّ الله موسى ووصيّهُ يوشع بن نون والنسبة إليها شمروني عُرِّيت إلى سامري. ويجمع على شمروني (سامريّين) وقد فتحها يوشع وجعلها في سبط «زبولون» كما جاء في سفر اليشوع<sup>٤</sup> وكان الملك عليها حين افتتحها يوشع «مراون»<sup>٥</sup>.

١ - مصادر الإسلام لشمال، ص ٣٧ فما بعده، وآراء المنشترقين حول القرآن ج ١، ص ٣٥٢

٢ - قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٥٩، وراجع سفر الملوك، إصحاح ١٦/٢٤

٣ - قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٥٩

٤ - راجع سفر اليشوع، إصحاح ١١/١، و ١٢/٢٠، و ١٥/١٩

٥ - المصدر ٢٠/١٢

هذا ما حققه العلامة الحجة البلاغي<sup>١</sup>

والسين والشين كانا يتبادلان في العبرية أيضاً كان سبط يهوذا يطفون بالشين وسبط افرايمي بالشين في مثل «السوع» و«ايشوع»<sup>٢</sup>

قال الأستاذ عبد الوهاب لجّار ويعلم أن تكون «الشين» في العبرية «سيناً» في العربية، كما كان ينطق بها أيضاً سبط افريم بن يوسف وقد كان رجال سبط يهوذا يختبرون الرجل لمعرفة من سبط يهوذا أو افرايمي، فيأمروه أن ينطق بـ «شبولت» (سنبلة) فإذا قال «سبولت» عرف أنه افرايمي

واحتمل في السامريّ نسبة إلى شامر أو سامر بمعنى «حارس»<sup>٣</sup> وتطلقها في العبرية «شومير» مأخوذ من «شمر» أي حرس فقد جاء في سفر التكوين فقال لربّ لقائيل: أين هابل أخوك؟ فأجاب لا أعلم وعقبه بقوله هـ شومير أخي أو أخي؟ يعني أحارس أنا لأخي؟<sup>٤</sup> وما ذكره الحجة البلاغي أقرب في الطر

مَنْ هُوَ قَارُون؟<sup>٥</sup>

يقول تعالى عنه «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبِعَى عَنْهُمْ»<sup>٦</sup>

قارون، هو قُوزَح بن يصهار بن قهات بن لاوي من أبناء عمّ موسى وهارون. ثار هو وجماعة من رؤساء بني إسرائيل في مائتين وخمسين شخصاً، وحاولوا مقابلة موسى وهارون لينزعوا رعاية إسرائيل عنهما

وكان قارون ثرياً جداً ويعتزّ بثرائه ويفخر على سائر بني إسرائيل وكان أولو

١ - راجع كتابه «المهدي إلى دين المصطفى»، ج ١، ص ١٠٣

٢ - قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٥١

٣ - ذكر جيمس هاكس في قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣٠ أن أحد معني «شمر» كشيكشي (مكهن) يعني الحارس.

٤ - قصص الأنبياء للجّار، ص ٢٢٤ وراجع، سفر التكوين، إصلاح ٥

٥ - من شبهات أوردها هاشم العربي في معحق ترجمه كتاب لإسلام لجرس سال، ص ٣٨١ راعماً أنه ساهض في القرآن، غمرة من قوم موسى وأخرى مردّها بفرعون وهامان!!

٦ - القصص ٢٨، ٧٦

البصائر من قومه ننصحونه ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من الحيلاء والزهو فكان يتبجح ويقول: إنما أوتيته على علمٍ عندي - ويقول إنه كان واقفاً على سرِّ الصناعة أي الكيمياء - فكان يخرج على قومه في رينته ممتحراً عليهم، ويتحسره القوم ويقول الضعفاء: «يأليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لَدُو حَفْظٌ عَظِيمٌ»<sup>١</sup> وبذلك كاد أن يتغلب على موسى وقومه، لولا أن حلف الله به وداره لأرض، وبكل ما كان يملكه من كور<sup>٢</sup> وأما قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِأَيَّاسَ وَشُلَيْمَانَ مُبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَفَارُونَ قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ»<sup>٣</sup> حيث يبدو أنه كان مع فرعون ومن قومه، فالظاهر إرادة أنه بالذات كان مقصوداً بالإنذار إلى جنب فرعون وهامان، من غير أن يستدعي ذلك أن يكون منهم، بل معهم في العنوة والطغيان، ولعله كان وهاً بصفهم إزاء موسى وهارون قال تعالى «وفارون وفرعون وهامان وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ»<sup>٤</sup> فقد كان قارون مقصوداً كما كان فرعون وهامان، لعنواهم واستكبارهم في الأرض جميعاً.



«مَا إِنَّ مِفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ»

قال تعالى بشأن ضحامة نراء قارون «وَأَنبَأَهُ مِنَ الْكُورِ مَا إِنَّ مِفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ»<sup>٥</sup>.

قال الطبرسي «ما» هذه موصولة بمعنى الذي وصلتها إن، مع اسمها وحبرها أي أعطيناها من الأموال المدخرة قدر الذي سبيء مفاتيحه العُصْبَةُ<sup>٦</sup> أي يُثْقَلُهم حمله والعُصْبَةُ الجماعة الملتفة بعضها ببعض، أي المتآمرة على عملٍ ثَقِيلٍ أي كان حملها يثني بالقيام من أقوياء الناس

١ - أي بحالة المبررات الخسيسة إلى قدر رئيس هو الذهب وقد أحاطه قوم، لكن الاستمرار في البحث في الذرة - أو الجواهر الفرد - أصبح أن جمعة ممكناً، والعلماء جادون في نصريين أجزاء القوة، حتى يد، ثم لهم ذلك أمكنهم إيجاد أي مركب شاذوا، الذهب أو غيره، وحيداً يكون ما كان يبدو مستحيلاً قد صار جازراً، قصص الأنبياء للنجاشي ص ٢٨٥

٢ - القصص ٢٨: ٧١ ٣ - راجع سفر الخروج، إصحاح ١٦/١-٣٠

٤ - عامر ٤٠: ٢٣ و ٢٤ ٥ - السكوت ٢٩: ٣٩

٦ - القصص ٢٨: ٧٦ ٧ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٦

قال: والمفاتيح - هما - الخزن في قول أكثر المعسرين وهو اختيار الزجاج، كما في قوله سبحانه «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ»<sup>١</sup> والمفتاح، جمع مفتاح والمفتاح بكسر الميم المفتاح وبالفتح الخزانة، وكل خزانة لصف من الأشياء أو الأموال قال الفراء في قوله تعالى: «إِنَّ مِفْتَاحَهُ لَثَرَوْهُ بِالْعَصَةِ» يعني خزائنه<sup>٢</sup>

قال الفراء نوّوها بالعصاة أن تُسبّحهم ومفاتيحه خزائنه والمعنى: ما إن مفاتيح الكور أي خزائنها لتنبى لعصاة أي تُميلهم من ثلثها وإذا أدخلت لباء قلت سوء بهم<sup>٣</sup> قال الشاعر:

الأعصا أرزب طارت براينها نسوء صربتها بالكف والمضد<sup>٤</sup>  
وفي مسائل نافع بن الأروى سأل من عتس وهل يعرف العرب ذلك؟ قال نعم،  
أما سمعت قول امرئ القيس إذ يقول

تمشي فتتعلمها عجزتها مشي الضعيف ينوء بالوشق<sup>٥</sup>  
والوشق ستون صاعاً، حمل بغيره وكذا وقر النخلة

ومن العرب ما يجد لها من أجسى عن سمعة - هو هاشم العربي - يعترض و يرى أن الصور «لنوء بها العصاة»<sup>٦</sup> هذا في حين أن الرمخشري - وهو الطلّ الفصل - يقول يقال: ناء به الحمل، إذا أنقله حتى أماله<sup>٧</sup> فسواء قلت ناء به الحمل أو ناء بالحمل والمعنى واحد فالمعنى على الأول مال به الحمل ثقلاً، وعلى الثاني مال بالحمل ثقلاً وعلى الأول هو على الحقيقة كما جاء في القرآن، وعلى الثاني كما يه كما جاء في البيت

### حادث نتوق الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل

وحادث نتوق الجبل - وهو زعرته من الأعلى، وقد ذكره القرآن، وأكره بعض

١ - الأنعام ٦٠٩. راجع مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٦ ٢ - المصدر: ج ٤، ص ٣٦٠

٣ - معاني القرآن للفراء، ج ٢، ص ٣٦٠ ٤ - الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٨٩

٥ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٤٣٨ ٦ - ملحق ترجمه كتاب الإسلام، ٤٢٥-٤٢٦

٧ - الكشف للرمخشري، ج ٣، ص ٤٣٠



كان الصبح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا في أسفل الجبل وكان حمل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً، فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً موسى يتكلم والله يجيب بصوت<sup>١</sup>

ثم جاء فيه بعد ذلك.

وكان جميع الشعب يرون الرعود وبروق وصوت البوق والجبل يدخن، ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد، وقالوا لموسى تكلم أنت معنا، فسمع ولا نتكلم مع الله لئلا نموت<sup>٢</sup>



أما اقتلاع لجبل من أصله ويرسته ورفعته في السماء فوق رؤوسهم فهذا ما لم يذكره القرآن ولا جاء في رواية معتمدة عندنا، وإنما هو شيء جاء في روايات إسرائيلية عامة اغترب بها بعض المفسرين من غير تحقيق<sup>٣</sup> فهي الذر المنثور عن فتادة «وإذا تنفخ الجبل» قال الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم، ثم قال لنا نحن أمرى أو لأرؤسكم به قال محمد رشيد رضا شائع الأستاذ الإمام [محمد عبده] المفسرين على أن رفع الظور كان آية كونية، أي أنه اشرع من الأرض وصار معلماً فوقهم في الهواء وهذا هو المبادر من الآية بمعونة السياق، وإن لم نكن نأخذها بصاً فيه

وقال في وجه عدم نصبة القرآن في ذلك إن أصل النقي في اللغة - الزعرة والزلزلة وأما الظلة فكل ما أظنك وأظن عليك سواء كان فوق رأسك أو في جانبك مرتفعاً له ظل فيحتمل أنهم كانوا يحاسب الظور رأوه من فوقاً أي مرتفعاً مرعراً، فظنوا أن سيقع

١- سفر الخروج، إصحاح ١٩/١٥ - ١٩

٢- المصدر: ١٨/٢٠ - ١٩

٣- راجع الذر المنثور، ج ١ ص ١٨٤، وح ٣ ص ٥١٦ وجامع البيان ج ١ ص ٢٥٨، وح ٩ ص ٧٤ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ وغيرها من تفاسير معروفة. ورجع أيضاً التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ص ٢٧ والإحتجاج المنسوب إلى الطبرسي، ج ٢ ص ١٥

بهم وينقض عليهم ويجوز أن ذلك كان في أثر زلزل ترعزع له الجبل وإذا صح هذا التأويل لا يكون منكراً ارتفاع الجبل في الهواء مكذباً للقرآن<sup>١</sup>

\*\*\*

كما ولم يأت في شيء من روايات صحيحة الإسناد إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يدل على أن جبل الطور قتلع من مكانه فرفع في السماء فوق رؤوس القوم، سوى ما جاء في تفسير مجهول منسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام من أن الله أمر جبرائيل فقطع بجناح من أجنحته من جبل من جبال فلسطين على قدر معسكر موسى عليه السلام وكان طوله في عرضه مرسخاً في فرسخ، ثم جاء به فوق المعسكر على رؤوسهم، وقال إنا أن تقبلوا ما اتاكم به موسى وإنا وضعت عليكم بحبل فصخطتكم نخته

وفي كتاب الإصحاح (لم يعرف مؤلفه) روى رسلاً عن أبي بصير قال، سأل طاووس اليماني الإمام محمد بن عيسى الباقر عليه السلام عن طائر طار مرة ولم سطر قبلها ولا بعدها، ذكره الله في القرآن، ماهو؟ فقال طور سياء، أطاره الله على بني إسرائيل حين أظلم بجناح فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة<sup>٢</sup>

\*\*\*

إذن، فالروايات من طرق الفريقين لأساس لها ولا يمكن الاعتماد عليها في تفسير الذكر الحكيم ولذا فمن لعريب مانجده من لجنة عديم الأثر اعراضهم على الأستاذ النجار في رفضه الأحاد بأقوال المفسرين هنا قالوا لم يسع السيد رشيداً ومؤلف هذا الكتاب (أي الأستاذ النجار) ما وسع الأستاذ لإمام في موافقة جميع المفسرين على أن رفع الطور آية كونية، أي أنه انتزع من الأرض وصار معلقاً فوقهم في الهواء مع اعتراف لأول (أي السيد رشيد) بأنه لم يتبادر من الآتين بمعونة السياق بل أبدى (رشيد والنجار) احتمالاً مخترعاً في الآيتين أخرجاهما عن إيدده تلك الآية الكونية، بحجة أن الماظهرهما

١. تفسير المنار، ج ٩، ص ٣٤٢-٣٤٣

٢. راجع تفسير البرهان للبحراني، ج ٩، ص ٢٢٣-٢٢٤، رقم ٩، وج ٣، ص ٣٢٤، رقم ٩



ليست نصّاً فيما أجمع عليه المعشرون، وتبعهم عليه الأستاذ الإمام<sup>١</sup>

وكذا قول سيّدنا الطباطبائي هذا لتأويل وصرف الآية عن ظاهرها والقول بأن بني إسرائيل كانوا في أصل الجبل هرلرل وزعزع حتى أطلّ رأسه عليهم فظنّوا أنّه واقع بهم فعبر عنها برقبه فوقهم أو نتقه فوقهم، مبني على أصل إنكار المعجرات وحوارق العادات<sup>٢</sup> وكلام سيّدنا الطباطبائي هنا يُشعر باعتداده لروايات المأثورة والاستناد إليها في تفسير القرآن بما لا صراحة فيه، بل ولا ظهوراً قوياً يمكن الاعتماد عليه وليس ذلك سوى تفسير القرآن بالروايات الضعيفة، الأمر الذي يبدو خلاف مسلكه في التفسير ولاسيّما إذا لم يكن للروايات أصل معتمد في أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

قال - في غير هذا الموضع - إنّ أخبار الأحاديث لا حجّية فيها في غير الأحكام الشرعية، فإنّ حفيظة الجمل لتشريعي (حجّية التعديده لحبر الواحد) معناه ترتيب أثر الواقع على الحجّة الظاهرية، وهو متوقّف على وجود أثر عملي للحجّة، كما في الأحكام والتكاليف، وأمّا غير ذلك فلا أثر فيه حتى يترتب على جعل الحجّية مثلاً إذا وردت الرواية بأنّ البسمة حرة من السورة كان معنى ذلك وحب الإتيان بها في القراءة في الصلاة وأمّا إذا ورد - مثلاً - أنّ السامري كان رجلاً من بلدة كذا، وهو خبر طيّس، كان معنى جعل حجّيته أن يجعل الظنّ بمضمونه قطعاً، وهو حكم تكويني ممتنع وليس من التشريع في شيء<sup>٣</sup>

قلت والأمر في الآية هنا نصّاً كذلك، لأنّ المسألة مسألة فهم المعنى من ظاهر اللفظ، أي إدعان النقص بذلك، الأمر الذي لا مجال للتعمّد فيه حيث الآية في سورة الأعراف استعملت لفظ التوق مصحوباً بالنشبيه بالطلّة «وإذ نتقّ الجبل فوقهم كأنه ظلة» ثم أردفه بقوله: «وظنّوا أنّه واقع بهم».

ونتقّ الجراب أي نقضه بمعنى: حرّكه ليزول عنه العبار ونحوه. ونتقّ الشيء: فتقه،

١ - هامش قصص الانبياء للبخاري، ص ٢٣٦

٢ - الميزان، ج ١، ص ٢

٣ - الميزان، ج ١٤، ص ٢٢٦

زعزعه، رفعه، بسطه وتنتفت المرأة أوالدقة كثر ولدها فهو يعطي معنى السط والكثرة والانتشار وتوسع وإذا كان هناك بسط وتوسع في أعالي الجبل كان ذلك رفعا أي ارتفاعا بالشيء وتعاليا به، وليس فلعا من مكانه وانتقلا به إلى محل آخر في السماء، كما زعم قال الراغب نى الشيء جذبه وبرعه حتى يسترحي، كنتق عرى الجمل قال تعالى: «وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ»

وهذا يعطي معنى الرعرع في قس لجبل واسراع صخور عظيمة منها وسدائها جانبياً مطلة على القوم وهم في أسفل، وكنت كطلة مطلة عليهم، والأطلة كما تصلح من علو كذلك تصلح من جانب، وفي كتب الصورتين تصدق القوقبة وبذلك اتضح معنى قوله تعالى «وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» أي رفعا جانبياً، لاشيء سواء

### قصة داود وامرأة أوريا

حاء في «صموئيل الثاني» لإصحاح ١١

كان داود أقام في أورشليم، وكان في وقت المساء، قام ونمشى على سطح لست، رأى امرأة تسنح، وكانت جميلة جداً فسأل عنها فقيل له إنها بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود إليها وأحدها وصطح معها فحبلت منه فكتب داود إلى يوب قائد معسكره، وأرسله بيد أوريا، وكسب منه أن جعلوا أوريا في مقدمة الجيش ليقتل. فعزل يوب ما أمره داود وقتل أوريا. فلما سمعت امرأة أوريا بموت زوجها ناحت عليه وبعد انقضاء أيام البياحة أرسل داود فصتها إلى بيته وجعلتها مع نسائه فولدت له ابناً، ومات ذلك الولد وأما الأمر الذي فعله داود ففبح في عيني الرب

وفي الإصحاح ١٢

وعزى داود بثشبع بموت ولدها، وصطح معها ثابئة فولدت له ابناً فدها اسمه سليمان، فكان سليمان قد ولد من امرأة اعتصمها داود من زوجها، وبأمر على قتله!

وفي الإصحاح ١٣ و ١٤ و ١٥

وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أحب جميلة سحها ثامار، فعشقها أخوها من غير أمها اسمه أمون بن - ود، واحتل عليها، فتمارض وطلب منها أن تمارضه، فلما دخلت عليه اضطجع معها ثم إن أخاه أبشالوم تمكن بعد سنتين أن يشب على أخيه أمون فيقتله وبعد مدة ثار على به داود، فطارده بجيش عظيم، وفر داود من وجهه ومما أركمه أبشالوم من الشائع أن دخل على سرري أبيه أمام جميع إسرائيل

هكذا لعنت اليهود بقداسة نبي الله ﷺ فوصموه وأهل بيته بافصع وصمات منافية للشرف والعفة، فجعلوا منهم أسرة نعيش في الخطايا والدنس بكل ألوانه! أما القرآن فجاء ليظهر ساحه الأنبياء فيصور من داود فديساً وعبداً مسبباً إلى الله «وَأَذْكُرْ عَبْدَ دَاوُدَ إِذْ قَالَ أَنَا مُغْرِبُ الْجِبَالِ مَعَ رَسُولٍ عَلِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالْعَلِيِّ نَحْشُورُهُ كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ، وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَنْتَاهُ الْفُجْكَهَ وَبُغْلُ الْخَطَابِ»<sup>١</sup>

«وَوَهَبَ لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ بَعْمَ الْعَهْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ»<sup>٢</sup>

«إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ»<sup>٣</sup>

وقد ذكرنا حديث اعتبار داود ﷺ مع نبي - ساحته التريفة عن أمثال تلك الخرافات الإسرائيلية، عبد الكلام عن تربيته لأبياء<sup>٤</sup>

## القرآن والأنجيل

زعم «سندل» أن النصرانية كانت أحد لمصادر النبي أخذ منها القرآن، في حين أن من هذه المصادر ما لم تكن موثوقة بل كانت تفرق شاذة لها أساطير غريبة اعتمدها القرآن

وزعم أن قصة مريم وبها المسيح ﷺ لم ترد في كسب النصرانية المعتمدة،

٢- ص ٣٨ - ٣٠

٤- في الجزء الثالث من التمهيد

١- ص ٣٨ - ١٧ - ٢٠

٢- ص ٣٤ - ١٣

واعتبرها خرافة وهمية وحجته في ذلك عدة شبه في ذهنه

١- أن ولادتها لعيسى، حسبما جاءت في القرآن، أشبه ما يكون بأسطورة «ميلاد

يده» عند الهنود، حيث ولد «يده» من عذراء لم يمستها رجال.

٢- خدمتها للهيكل، مع أن هذا لا يجوز للنساء

٣- ذكر القرآن أنها أخت هارون أخي موسى بن عمران - على حد فهمه - واعتبر

ذلك من الخطأ التاريخي في القرآن

وهكذا أنكر كلام عيسى في المهد، وكذا معجزة التي ظهرت على يده ممّا ذكره

لقرآن، مثل صنعه من الطين طيراً ثم يكون طيراً بإذن الله وقصة المائدة التي برئت من

السماء وصلب عيسى عليه السلام حيث نفاه لقرآن، في حين قد أتته الكتاب المقدس

ومثل برول عيسى في آخر الزمان ومسألة لتبشير بمقدم نبي الإسلام حسبما

ذكره القرآن، ولم يأت في الإنجيل ونحو ذلك من أمور سردها «تسدال» بهذا الشأن سرد

عاجز سقيم.<sup>١</sup>

### الصديقه مريم

أنكر «تسدال» قصة الصديقه مريم عليه السلام أن تكون وردت بهذا الشكل في كتب

النصرانية المعتمدة، واعتبرها خرافة

قال الدكتور رضوان هذه القصة من الشهرة و لانتشار والصداه في الوسط

المسيحي بمكان، حتى أن قرعه «لبربرانية»<sup>٢</sup> منهم آلهوها و بنها المسيح عليه السلام نظراً لولادتها

لابنها بطريقة حارقة للعاده، وقد أشار القرّان بكرم لقصية تأليهم لهما عليه السلام<sup>٣</sup>

أمّا زعم «تسدال» أن القصة غير موجودة في الكتاب المقدس فيردّه ماورد في

١- (راجع، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، ج ١، ص ٢٩٠ و ٢٩٦)

٢- ج٢، في «الفضل في الملل والنحل» لابن حزم، ج ١، ص ٤٨ ومهم - طوبى النصرانية - البربرانية، وهم يعونون، بن

عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل وهذه القرعه قد وردت.

٣- في قوله تعالى: «واد قال الله يا عيسى بن مريم أنت قنت ناساً أعجبوني وأنتي إلحيتي من دوي الله المائدة ٥- ١١٦

إنجيل «لوقا» ونصّه «. أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الحليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملاك وقال. سلامٌ لك أنتِ التي المسمّ عني، مباركة أنت في النساء فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما حسى أن تكون هذه لتحيّة؟ فقال لها الملاك لا تحافى يا مريم، لأنك قد وجدتِ نعمةً عند الله، وهذا أنتِ سحبلين وتلدِين ابناً وتسمّينه يسوع هذا يكون عظيماً، وابن العلى يدعى، ويعطيه لربّ الإله كرسيّ داود أبه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم للملاك، كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها روح القدس يحلّ عندك، وقوّة العلى تظلك، فلذلك أبصاً أنفدوس المولود منك يدعى ابن الله

وهوذا «البصايات» نسيك هي أيضاً حبلى بابن في تسخوحتها، وهذا هو لشهر السادس لتلك المدعوة عافراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب، لكن لي كقولك معصى من عندها الملاك<sup>١</sup>

وجاء في إنجيل «متى» «أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجمعها وحدث حسنى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تحليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم فائلاً يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأنّ الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، مستلداً بها وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»<sup>٢</sup>.

وفي إنجيل برنابا - في الفصل الأول - نصّه «لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبرائيل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا بينما كانت هذه

١ - هي امرأة زكريا، حسب يوحى على أثر دعاء روحه، إنجيل لوقا، الإصحاح ١/١٢-٢٥. وجاء ذلك في القرآن في سورة آل عمران ٣٨: ١٩، والانبيا ٢٦: ٨٩

وكانت البصايات خالة مريم (تفصّل الأنبياء للبحار، ص ٢٧٥).

٢ - إنجيل لوقا، الإصحاح ١/٢٦-٣٨. ٣ - إنجيل متى، الإصحاح ١/١٨-٢١

العدراء - «العائشة بكلّ طهر بدون أدنى ذنب، المنزهة عن اللوم، المثابرة على الصلاة مع الصوم - يوماً ما وحدها وإذا بالملاك جبرائيل قد دخل مخدعها وسلّم عليها قائلاً ليكن لله معكِ يا مريم فارتفعت العدراء من ظهور الملاك، ولكن الملاك سكن روعها قائلاً: لا تخافي يا مريم، لأنّكِ قد نلتِ نعمةً من لدن الله الذي اختارك لتكوني أمّ نبيّ يبعثه إلى شعب إسرائيل، ليسلكوا في شرائعه بإخلاص فأجابت العدراء: وكيف ألدّ بنين وأنا لا أعرف رجلاً؟! فأجاب الملاك: يا مريم إنّ الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان لقادر أن يخلق فيك إنساناً من غير إنسان، لأنّه لا محال عنده. فأجابت مريم: إني لعالمة أنّ الله قدير، فلتكن مشيئته فقال الملاك: كوني حاملاً بالنبيّ الذي ستدعيه يسوع فامنعيه الخمر والمسكر وكلّ لحم نجس، لأنّ الطفل قدّوس الله. فأنحنت مريم بضعةً قائمةً ها أنا ذا أمة لله، فليكن بحسب كلمتك.<sup>١</sup>



قلت: ما جاء في إنجيل برنابا أسلم وأوفق بالاعتبار ممّا جاء في إنجيلي لوقا ومتّى.

أولاً: جاء في إنجيل لوقا: «القدّوس المولود منك يدعى ابنُ الله».<sup>٢</sup>  
وفيه أيضاً: أنّ مريم لما أتت خالتها «اليصابات» باركتها ووصفتها بأنّها أمّ ربّها.  
«وقالت: أنتِ مباركة في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أمّ ربي إليّ».<sup>٣</sup>

وهذا شيء غريب، كيف يكون المولود من امرأة ابناً لله، بحجة أنّه لم يولد من أب؟! إذن لكان الأولي أن يكون آدم ابناً لله، حيث لم يلدّه أب ولا أمّ.  
ثم كيف أصبح هذا المولود من غير أب إلهاً من دون الله؟! الأمر الذي يرفضه العقل الرشيد

٢ - إنجيل لوقا، الإصحاح ١/٣٥

١ - راجع، قصص الأنبياء، للجبار، ص ٣٧٧

٣ - إنجيل لوقا، الإصحاح ١/٢٢ و ٢٣

قال صاحب كتاب «الفرق بين المخلوق والخالق» ما جاء في إنجيل لوقا (ص ١٠٣٢): «وابن العليّ يُدعى» هذه الجملة منتزعة من قول زكريّا عليه السلام في ابنه يحيى «وأب أيها الصبيّ نبيّ العليّ يُدعى» (لوقا ١ ص ١٧٦)، محروّب في حق عيسى عليه السلام إلى قول لوقا على لسان الملّك «وابن العليّ يُدعى» ليوهموه للناس أن المسيح إله ابن إله<sup>١</sup> وثانياً قوله: «هذا يكون عظيماً، وابن نعلنيّ يُدعى، ويعطيه الربّ الإله كرسيّ داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب ولا يكون منكه بهاية»

قال الأستاذ النجار إن هذه العبارات مرّد بها لوقا، ولم يذكرها أحد من كتّاب الأناجيل سواء، ونحن لانقول بأن الإلهام قصّر معهم - وميهم أصحاب المسيح المشاهدون لأحواله العالمون شأنه - وأفاض على لوقا الذي ليس تلميذاً ولا من الإثني عشر، بل رجل دخل في الدين متأخراً وصار تلميذاً لبولس الذي لم ير المسيح ولم يعاشره فهذه العبارة ممّا جاء به ليرتّب أمر المسيح ويدخل على الناس تعظيمه، والمسيح ليس في حاجة إلى ذلك

وقد طعن صاحب كتاب «الغاروق» على هذه الجملة «ويعطيه الإله كرسيّ داود أبيه» بوجهين وجهين

الأول أن عيسى عليه السلام من أولاد الملك «يهوياقيم»<sup>٢</sup> ولا يصح أن يجلس على كرسيّ داود، لأنّه لمّا أحرق الصحيفة التي كتب «دريخ» من قم النبيّ «أرمياء» نزل الوحي: «قال الربّ عن يهوياقيم (يوافيم) ملك يهودا، لا يكون له جالس على كرسيّ داود»<sup>٣</sup> الثاني أن المسيح - مع كونه لم يجلس على كرسيّ داود - أمر «بيلاطس» بضربه وإهانته، وسلّمه إلى اليهود - كما يرعاه النصاريّ - ففعلوا به ما فعلوا وصلبوه

على أنّه يبدو من إنجيل يوحنا (١ ص ٦) أنّه كان هارباً من قومه عندما أرادوا أن

١ - راجع: قصص الأنبياء للنجار ص ٣٧٨

٢ - في إنجيل متى الإصحاح الأوّل. إنّه من ذريّة «الياقيم» وقد عبّر عن مصر اسمه إلى «يهوياقيم». (قاموس الكتاب المقدّس، ص ١٩٨٦. وراجع سفر الملوك ٢، إصحاح ٢٣/٢٤)

٣ - كتاب أرمياء، إصحاح ٣٦/٣٠

يجعلوه مدكاً ولا يُعقل أن يهرب من أمر بعثه الله لأجله، على ما بشر جبرائيل أمّه الغدراء قبل ولادته ومعلوم أنه لم يملك بثّ محبوب ساعة فصلاً عن الأند<sup>١</sup>

## يا أخت هارون؟

ويقول القاضي عبدالجبار في كتابه «تنزيه القرآن عن المطاعن»: وربما قيل في قوله تعالى «يا أخت هارون» كنف يصح أن يقال لها ذلك وبينها وبين هارون أخي موسى الزمان الطويل؟ وجوبها أنه ليس في ظاهره<sup>٢</sup> هارون الذي أخو موسى، بل كان لها أخ يسمى بذلك، واثبات الاسم واللقب لا يدل على أن المسمى واحد وقد قيل كانت من ولد هارون، كما يقال للرجل من فريش يا أخ فريش<sup>٣</sup>

ويشرح المبشرون هذه الباحية ويقولون ورد في سورة مريم «فَأَنثَ بِسَ تَوْفَئِهَا فَخَبَّئْتُهَا قُلُوبًا مَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيحًا يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَاقِيَةً»<sup>٤</sup> يبدو من هذه الآية أن محمداً كان يرى أن مريم كانت أخت هارون أخي موسى. ومما يريد هذا الأمر وصوحاً وجلالة ماورد في سورة التحريم وسقته «وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ»<sup>٥</sup> وفي سورة آل عمران «إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي سَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا»<sup>٥</sup> فلا شك أن محمداً توهم أن مريم أخت هارون التي كانت أيضاً ابنة عمران (عمرام) هي مريم نفسها التي صارت أم يسوع (المسيح عيسى) بعد ذلك بنحو ألف وخمسمائة وسبعين سنة وهذا خطأ جسيم. لأنه لم يقل أحد من اليهود أن مريم أخت هارون وابنة عمران بقيت على قيد الحياة إلى أيام المسيح<sup>٦</sup>.

هكذا وهم تسدال ومن حدا حذوه من المبشرين! لكنه وهم فاحش، إذ كيف يمكن أن يخفى مثل هذا الفصل البين بين موسى والمسيح ﷺ على العرب العائشين في

٢ - تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار، ص ٢٤٧

١ - قصص الأنبياء لشعار ص ٣٧٧ - ٣٧٨

٤ - التحريم ٦٦: ١٢

٣ - مريم ١٩: ٢٧-٢٨

٥ - آل عمران ٣: ٣٥

٦ - مصادر الإسلام، ص ١٠٢-١٠٤ والفن القصص ص ٥٧-٥٨



جوار اليهود وبين أظهرهم طيلة قرون، وكذا مردتهم مع نصارى نجران والأحباش، فضلاً عن سبي الإسلام النابه النصر، لتصور من مريم أم المسيح هي مريم أخت موسى وهارون!

إذ من يعرف أن لموسى وهارون أخت اسمها مريم. لا يمكنه الجهل بهذا انفصل الزمني بين مريمين!

ثم كيف بسكت اليهود - وهم لعداء الإسلام - على هذا الخط التاريخي الفاحش ولم يأخذوه شمه على لقرآن وإسلام؟

هذا وقد وقع السؤال عن هذا التشابه على عهد الرسول ﷺ على ما نقله السيد رضى الدين ابن طاووس عن كتاب «عريب القرآن» لعبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي (من كبار رجال القرن الثالث) بسنده إلى المغيرة بن شعبه، قال بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرأون؟ يا أحب هارون، وهارون أخو موسى، بينه وبين عيسى المسيح بكدا وكذا؟ قال: فرجعت ودكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ألا أخبرتهم (أوقلت لهم) أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم!

وهكذا أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والبيهقي وابن لصدّر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبرني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن المغيرة بن شعبه الحديث<sup>١</sup>

نعم وسمعت عائشة أنها أحب هارون أخي موسى، فسميتها كعب الأخبار بأنها غيرها، والفصل الزمني بينهما كبير وإنما هو من تشابه لأسماء، فرجعت من زعمها<sup>٢</sup>

وذكر كعب أن الفصل برمني بينهما ستمائة سنة ولعله من حذف الألف في نقل

الرواة

إذن لم يكن ذلك خافياً على أهل النباهة ذلك العهد وهكذا طول عهد الإسلام،

١ - سعد السعود ص ٣٢١.

٢ - الدر المنثور ج ٥ ص ٥٠٧.

٣ - فيما رواه ابن سيرين، راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ٥٠٧.

حتى يأتي تسدل وأضرابه من أهل السدسف في مؤخرة الرمان ليجعلوه شئمة على القرآن الكريم!!

والخلاصة، أن السمية باسم الآء، ولأثمت شريفاً بهم، شيء معروف كما جاء في كلام الرسول ﷺ ولا سيما وهارون كن سيد قومه مهياً عظيماً له شأن في بني إسرائيل وهو أول رأس الكهنة الذي ترأس في اللاويين أكبر قبائل بني إسرائيل<sup>١</sup> أضف إليه أن أم مريم - وهي أخت لبصبات أم يحيى - كانت من سبط لاوي من نسل هارون<sup>٢</sup> فهي من جهة الأم مسبة إلى هارون، فالتعبير بأخت هارون، معاتبة لها، حيث علم أخذها بحرمة هذا النسب العالي وهذا كما يقال للتميمي بأخت تميم، وللهاشمي بأخت هاشم روي ذلك (اتسابها إلى هارون) عن السدي<sup>٣</sup> وهذا لا ينافي أن تكون مريم من جهة الأب مسبة إلى داود من سبط يهودا<sup>٤</sup> لأن العقاب إنما يقع بأشرف الأبوين

وهناك احتمال أنها شتهت بمریم أخت هارون وموسى، لمكان قدستها وكانت ذات وجاهة عند قومها وكانت تدعى بصاً بأخت هارون وعبر عنها بالنيبة كهارون أخيها<sup>٥</sup> وكانت أكبر من موسى بعشر سنين، وهي التي قالت لها أمها قصيده، عندما قذفت بتابوت موسى في النيل

والمعنى، أنك تماثلين الصديقة مريم أخت موسى وهارون، فكان حديراً بك المحافظة على هذا المقام<sup>٦</sup>

### ابنة عمران؟

لم تذكر التوراة عن والد مريم شيئاً سوى أنها من سبط يهودا من نسل داود ولا بعد أن يكون اسم والدها عمران (عمرام)، وكانت لتسمية بهذا الاسم شائعة في بني

١ - راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٩١٦  
٢ - المصدر ص ٧٩٥  
٣ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٥١٢.  
٤ - المصدر ص ٧٩٥-٧٩٦  
٥ - راجع، سفر الخروج، إصحاح ١٥ - ٤.  
٦ - راجع: تفسير سورة، ج ١٣، ص ٥١

إسرائيل وكان في حشد عزرا من كان يسمى بهذا الاسم<sup>١</sup> كما لم ينكر هذا الانتساب منذ العهد الأول فالإلى الآن، دليلاً على صحة الانساب

وعلى أي حال فلا غرو أن يأتي القرآن بحديث لم يأت مثله في كتب الأقدمين ولا عرفه أصحاب الديانات المعاصرة لمرور لقرون وقد نبهنا أن القرآن يأتي بالصفو الصحيح من آثار الأنبياء والصديقين، بما أعجب وأسهر، ولذلك يقول سبحانه بشأن قصص الصديقة مريم: «ذلك من أنباء الغيب يوحيه إليك»<sup>٢</sup>

إذ جاءت قصتها في كتب السابقين مشوهة محرّفة، ولكنها في القرآن نقية زاكية

### تأليه الصديقة مريم<sup>١</sup>

«وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت لبس عجين وأنتي إله من دون الله»<sup>٣</sup>

وهذا تعرض بفرقه من فرق النصارى قالوا بألوهية المسيح وأمه الأمر الذي

انكرته فرق النصارى اليوم، بحجة أنه لم توجد فرقة تعتقد ألوهية مريم القذراء!

لكن التاريخ يشهد بوجود فرقة فرق من المسيحيين الأوائل كانوا يعتقدون

بألوهيتها إلى جنب ألوهية المسيح

يقول عنهم ابن البطريق - الطسب المؤرخ المسيحي (٢٦٣-٣٢٨

هـ/ ٨٧٧ - ٩٤٠ م)<sup>٤</sup>:

«وكانوا مختلفين في الآراء والأديان فمنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان

من دون الله وهم «البربريتية» ويسمّون «الريميتيين» (الريمانيّة) ومنهم من كان يقول:

إنّ المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انصدمت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال

الثانية منها وهي مقالة «ساليوس» وشيعته ومنهم من كان يقول: لم نحبل به مريم تسعة

٢ - آل عمران ٤٤.

١ - راجع: عزرا، إصحاح ٨٠، عدد ٣٤.

٣ - المائدة ١١٦.

٤ - هو سعيد بن البطريق من أهل مصر ولد بفسطاط وأقيم بطريركاً في الإسكندرية وسُمّي أنتيشيوس (Entychus) سنة

٣٢١ هـ. قدّمه كتب في الطب والتاريخ ولاسيما تاريخ المسيحية كتب عن فرق النصارى وما بينهم من شقاق وخلاف.

راجع: الوافي بالوفيات للصدّيق (٧٦٤ هـ)، ج ١٥، ص ١٢٧، رقم ٤٨٥٨، والأعلام للزركلي، ج ٣، ص ١٤٤.

أشهر، وإنما مرّ في بطنها كما يمرّ ماء في لميراب، لأنّ الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهي مقالة «إيمان» وأشياعه ومنهم من كان يقول: إنّ المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد من في جوهره، وأنّ ابتداء الابن من مريم، وأنّه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، صحت له النعمة الإلهية، وحلّت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي «ابن الله» ويقولون إنّ الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة «بولس الشمشاطي» بطريرك أنطاكية وأشياعه وهم «لبوليقيتيون» ومنهم من كان يقول: إنّهم ثلاثة آلهة لم تزل، صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة «مرقيون» وأصعابه، وزعموا أنّ «مرقيون» هو رئيس الحواربيين وأبكر وأبظرس ومنهم من كان يقول بالوهمية المسيح وهي مقالة «بولس» الرسول ومقاله الثلاثة ونماية عشر أمقاً

ولتصنيف هذه الخلافات اجتمع في عام ٣٢٥ ميلادية «مجمع بيقية» عند الملك «قسطنطين» وبدعوة منه، فاجتمع ثمانمائة وأربعون أسقفاً، ودارت البحوث، وقد ابحار الإمبراطور الروماني (قسطنطين) ما لديه من قدر دخل في النصرانية من الوثنية منذ عهد قريب ولم يكن يدري من النصرانية شيئاً - هذا الرأي الأخير (رأي بولس الرسول) وسلط أصحابه على مخالفيهم، وشرّد أصحاب سائر المذاهب، وبخاصة القائدين بالوهمية الأب وحده، وناسوتية المسيح<sup>١</sup>

وهكذا يقول ابن حزم الأندلسي، ٣٨٣-٤٥٦هـ وهو قريب عهد بابن البطريق - بعد شرح الخلافات بين طوائف النصارى أيام قسطنطين وكان أوّل من تنصّر من ملوك الروم فكان ممّا عدّ من تلك المذاهب ونعرق البربرية قال: «ومنهم البربرانية، وهم يقولون إنّ عيسى وأمه إلهان من دون الله عزّ وجلّ قال وهذه الفرقة قد بادت»<sup>٢</sup>

١ - راجع ما كتبه سيد قطب بهذا الشأن (في ظلال القرآن ج ٦ ص ١١٧-١٢٦، المجلد الثاني ص ٦٨٥-٦٨٩) نقل من كتاب محاضرات في النصرانية للشبح محمد أبو هريرة ص ١٠ من كتاب تاريخ الأمة القبطية وغيره من مراجع

٢ - الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ٤٨

## ويكلم الناس في العهد وكهلاً؟

حاء في القرآن في ثلاثة مواضع، يكلمكم لمسيح في العهد

١- في سورة آل عمران (الآية ٤٦)، «رُكِّلُمْ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ».

٢- هي سورة المائدة (الآية ١١٠)، «وَيُذَكِّرُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا».

٣- في سورة مريم (الآية ٢٩): «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ

صَبِيًّا».

ذكر الرازي أن النصارى أنكروا كلام مسيح في العهد، بحجة أنه لم يمت عندهم وكانوا هم أولى بفله لو كان، لأنه حادث عجيب وبرهان ساطع على صدق نبوته ولشهادة حمّ عمير ونقل بالواتر لسفر الدواعي عنه، بما لا يمكن حفاؤه لكي يظهر على يد سبي الإسلام فحسب؟<sup>١</sup>

لكن هذا الاعتراض إنما كان يرد لو كان أثناء المسحّة قد احتفظوا بمستنداتهم الدينية طول عهد الناريخ ولم يضيّعوها ولم يدعوه على دمه التحريف والحلط والتدليل على أنهم من البدء لم يأخذوا ديانتهم عن أصل وتلقوا عرفوا شيئاً من حياة صاحب الرسالة إلا أقاويل وأساطير، فقد ضاعت عنهم كل معالم الشريعة والصحيح من سيرة المسيح منذ بداية الأمر

تلك الأنجيل الأربعة، ثلاثة منها (مى مرقس، لوقا، لم يحفظ على معاجر المسيح (الثلاث والثلاثون معجزة) سوى معجزة واحدة وإنجيل يوحنا لم تذكر منها سوى سبع معاجز<sup>٢</sup> فأين الباقي؟

على أن هذه الأنجيل بينها اختلاف كبير وهي قريبة العهد بالتدوين والعمدة أنها كتبت في عهد متأخر (بعد انتهاء أمر المسيح، فخطت الحابل بالنابل وكان فيها الغث والسمين، وبعد أن أفاق المسيحيون من الاضطهادات التي كانت تتوالى عليهم نظروا في

تلك الأساطير واختارت الكنيسة من بينها تلك التي لا تتعارض مع نزعتها وجعلتها رسمته ولم تكثر لما بين مضاميتها من الخلف ولتتأقضى مادام ذلك لا يخالف المنزع العام لذي قصده الكنيسه والأنجيل حمده منقطعه السند، ولا توجد نسخة إنجيل بخط تلميذ من تلاميذ ذلك المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحة فيها<sup>١</sup>

من ذلك الحلط الفاحش، سناد «توق» لتكنم في المهد إلى يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) بدل المسيح (عيسى بن مريم)،<sup>٢</sup> وسكت عنه سائر الأنجيل

جاء في إنجيل لوقا كان في تمام هيروديس ملك اليهود (٤٠-٤١ ق م) كاهن اسمه زكريا وامراته من بنات هارون واسمها «إيصابات» وكانت عاقراً فستما زكريا يكهون في بوبة مرفقة أمام الله، إذ ظهر له ملاك أتت بشره يحيى ولما حلت الإصابات أخفت نفسها حمسه أشهر، وفي لشهر السادس أرسل حبرائيل إلى مدينته باصره إلى العذراء مريم ليشرها بعسى وقال لها: ها هي خالك الإصابات أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وفي تلك الأيام ذهبت مريم إلى مدينته يهوذا ودخلت على الإصابات وسلمت عليها، وظلت عندها ثلاثة أشهر ثم عادت إلى بيتها في الباصرة

ولما تمّ زمان حمل الإصابات ولدت ابناً وسمي الحيران والأقرباء ومرحوا بذلك، وفي اليوم الثامن جاؤوا ليحتنوه وسمّوه يحيى - بإشارة من أبيه - وفي الحال انفتح فيه لسانه وتكلّم وبارك الله فمحبّب الجميع من ذلك الحادث العريب؟!

١ - رجع. قصص الأنبياء للبخاري، ص ٣٩٩

٢ - كان لوقا طبيباً من أهل طركية ولم ير المسيح أصلاً وقد تشّ النصارية عن «بولس» ديون هذا كان يهودياً متعصباً على المسيحية ولم ير المسيح في حياته وكان سبي إلى النصارى إيمان متواضعة ولما رأى أن اضطهاد النصارية لا يجدي عمداً من طريق الحيلة إلى الدخول فيها وظهر الاعتقاد بالمسيحية ودعى أنه صرع وفي حال صرعه لمسه المسيح ورحمه عن الإساءة إلى متابعيه ومن ذلك الوقت من وأرسده المسيح ليشر بإنجيله بطير ما حنلقه كعب الأخبار - الكهنة اليهودي - تعليلاً لإسلامه يوم عمر بن الخطاب وانظمت حيلته على الكنيسه. وهو الذي حمل النصارى يهزقون من وجبات الناموس الذي جاء للمسيح لتأييدها فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر وأن الإيمان وحده كان في النجاة بدون عمل... قصص الأنبياء للبخاري، ص ٤٠٠

وكان نأيف لوقا إنجيله بإيصابات من شيعه بولس هذا الذي حاول التويه في شريعة المسيح والحط من عدلته، ومن ذلك سبب الكلام في المهد - وهي طعة قدمية - إلى يحيى فبر أن يأتي عيسى المسيح الأمر الذي اعتبر به تبع المسيح من غير دراية.

وأما مريم العذراء فلما تم أيام حملها ولدت ابناً فقمطته وأضجته في المذود.

ولما تمت ثمانية أيام حاووا ليختنوا بصني وسمي يسوع<sup>١</sup>

ولنتساءل كاتب الإنجيل هل كنت هناك ضرورة تدعو إلى تكلم يحيى في اليوم

الثامن من ولادته؟ (مع العلم أن المعجرات حورق للعادات لا تظهر على يد أولياء الله إلا حينما تدعو الضرورة إليه)

والصحيح أنه من سهو الكاتب إن لم يكن هناك عمد؟!

\*\*\*

هذا، وليس في القرآن تصريح بأن المسيح تكلم في المهد حال رصاعه وقبل أوان

الكلام، ذلك أن الله امتن على المسيح إذ أيده بروح القدس ومنح له عملاً وافرأ بكلم الناس

- بكلام معقول - منذ طفولته قال أوان كهولته فكان مثلاً مد صغره زكياً بارعاً وافر العقل.

ينطق كما ينطق الرجل الخبير وسنذكر معاجزته مع العلماء في أورشليم مذ بلغ من العمر

اثنتي عشرة سنة بحيث أصعب الجميع كلامه. فعافت مريم عليه وعقته على ذلك<sup>٢</sup>

وهذا هو الظاهر من قوله تعالى: «إذ قال الله يا عيسى بن مريم ادكزي بعنقي عليك وعلى

والذلة إذ أيديك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً»<sup>٣</sup>

أخرج الطبري بإسناده إلى سعيد بن جبير عن قتادة قال يكلمهم صغيراً وكبيراً

وهكذا أخرج بإسناده إلى الربيع بن أنس وعن ابن خريج قال، كالمهم صغيراً وكبيراً

وكهلاً<sup>٤</sup>

وهذا كقولهم: «اطلبوا العلم من المهد إلى المهد» أي منذ الصغر فإلى نهاية الكبر.

والمهد كناية عن حالة الصبي في نعومة أظفاره ورخاوة هداياه، فيضطجع فيما مهد له من

مضجع ناعم فاره

١ - إنجيل لوقا، إصحاح ١ و ٢

٢ - قصص الأنبياء للبخاري، ص ٢٨٧ وسنذكر الحديث بتفصيله

٣ - جامع البيان ج ٣ ص ١٨٨

٤ - المائدة ٥: ١١٠

## مريم تعود بابنها وقد جاوز سن الرضاعة

على أنَّ مريم لما جاءت بالمسيح كان قد تجاوز دور الرضاعة الأولى بعد مدَّة طويلة من ولادته

جاء في إنجيل متى ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيروديس الملك، جاءت جماعة من المجوس ليقْدِّسوه وعمم الملك بذلك واستفسر الكهنة عن مولده فأنبأوه مكان ولادته وكان قد همَّ بعثته، وقال للمجوس إذا عرفتموه فأخبروني لكي أقْدِّسه معكم

أما المجوس فوجدوه في بيت لحم مع أمه مريم فسخرّوا وسجدوا له وقَدِّموا هداياهم ورجعوا منصرفين على غير طريق الملك

وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر لـ يوسف خطيب مريم في حلم وأمره أن يهرب بالصبي إلى مكان بعيد لا يعرفونه، خوفاً على الصبي من السلطان فلما مات الملك ألهم يوسف بأن يرجع مع الصبي إلى أرض إسرائيل وقد كان «أرجيلوس» ملك اليهود، خائف يوسف وعُرج على نواحي النجبل وسكن في مدينة يعال لها ناصرة<sup>١</sup>

وفي أنجيل برنابا نفس العبارة مع شيء من التوضيح

«ولما مات هيروديس ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف قائلاً: عد إلى اليهودية، لأنَّه قد مات الدين كانوا يريدون قتل الصبي فأخذ يوسف الطفل ومريم - وكان لطفل بالغاً سبع سنين من العمر - وجاء إلى اليهودية، حيث سمع أنَّ أرجيلوس بن هيروديس صار حاكماً فيها فذهب إلى الجليل لأنَّه خاف البقاء في اليهودية (أورشليم) فذهبوا ليسكنوا في الناصرة

وهكذا يبدو من ظاهر تعبير القرآن قل تعالَى «واذكُر في الكتاب عزيزاً إذ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً.. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيّاً..



فَعَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَادَهُ الْمَخَضُ إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا. فَمَادَاهُ مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُرِّي إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا خَبِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيًّْا. قَبْلَمَا تَزِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا قَالَتْ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا..

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ مُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي لَهْدٍ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ..<sup>١</sup>

يبدو من هذه الآيات أن مريم اختارت لعبادتها أرضاً غير أهلة بعيدة عن مساكن أهلها لتختلي بعبادة ربها دور أعين كظرين وفي هذا الدور جاءها ملاك الرب ليشرحها بالمسيح ولما حملت به أخذت تستعد أكثر حوف الصصحه وكان هناك (في المكان القصي) نحل ومعين ماء، فوضعت حملها هناك بعيداً عن الناس كافة وأمرها الملاك أن لا تتكلم مع أحد يمر عليها أو تمر عليه بحجة أنها صائمة صوم صامت فكانت محتلية بنفسها وولدها يعيشان في هدوء وهدوء بار. بعيداً عن هرج العامة «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ»<sup>٢</sup>

وكم عاشا هناك في خلا من الناس؟

يبدو أنها لم تعيش هناك سوى سنتين أو ثلاث، لأنها حين رجعت إلى قومها كانت تحمل طفلها، ولا بد أن الطفل عندما يبلغ مثل هذا السن قادر على التكلم، وليس ذلك بغريب أما قولهم «كَيْفَ مُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي لَهْدٍ صَبِيًّا» فلعله من جهة أنهم استعربوا أنها جاءت بولد وهي غير متروجة، فلا بد أنها هي المعجبة على ذلك، وليس الطفل - الذي هو نتاج الحمل - بمسؤول ولا قادر على حل الإشكال فالطفل غير عارف بسبب هذا الإنتاج، فلامعنى للسؤال منه!

لكنهم عندما واجهوا كلام المسيح في ررنة وتعقل متين، عرفوا أن ذلك آية من آيات الله، فلا موضع للاستغراب!

هذا ولم يتكلم من أصحاب الأنجيل عن الحمل بالمسيح وولادته شيئاً يذكر سوى ما جاء به باختصار وإجمال - في متى (١ ص ١٨) ولوقا (١ ص ٢٧-٣٢)

### عيسى يحتاج العلماء في سن مبكر

جاء في إنجيل برنابا (١ ص ١٠٢-١٥) «ولمات هيروديس ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف قائلاً عد إلى اليهودية (أورشليم) لأنه مات الدين كانوا يريدون موت الصبي. فأخذ يوسف الطفل ومريم - وكان الطفل بالعماسع سنين من العمر - وجاء إلى اليهودية حيث سمع أن أرخيلائوس بن هيروديس كان حاكماً في اليهودية. فذهب إلى الجليل، لأنه خاف أن يبقى في اليهودية مذهبوا لسكنوا في الناصرة فعما الصبي في العمة والحكمة أمام الله والناس.

ولما بلغ يسوع اثني عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف إلى أورشليم، ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة في كتاب موسى ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا يسوع، لأنهم ظنوا أنه عاد إلى الوطن مع أقربائهم ولذلك عادت مريم ويوسف إلى أورشليم سندان يسوع بين الأقرباء والجيران

وفي اليوم الثالث وجدوا الصبي في الهيكل وسط العلماء يحادثهم في أمر الناموس. وأعجب كل أحد بأسئلته وأحويته، قائلاً كيف أوتي مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم لقراءة؟! فعرفته مريم قائلة: يا بني ماذا فعلت بنا، فقد شدت وأبوك ثلاثة أيام ونحن حزينان. فأجاب يسوع ألا تعلمين أن خدمة الله يحب أن تقدم على الأب والأم ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف إلى الناصرة وكان مطعماً لهما بتواضع واحترام<sup>١</sup> ولعل هذا هو المراد بتكلمه مع ناس صغيراً وكبيراً (في المهد وكهلاً) والله العالم.

### الكهولة هو تخطي الثلاثين

قال الراغب: الكَهْلُ مَنْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ،<sup>٢</sup> أي خالط سواد شعره، وهو الذي تحطى الشاب وحانت مشيئته

والمعروف أنَّ المسيح ﷺ أرسل إلى الناس عندما بلغ ثلاثين سنة، ورُفِعَ إلى السماء بعد ثلاث سنين.<sup>١</sup>

لكن الشباب قبل بلوغ ثلاثين عاماً، وعنده يأتي دور الكهولة حتَّى بهانه الأربعين قال الجوهري - في الصحاح -، الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب وقال ابن الأثير - في النهاية - الكهل من الرجال مَنْ زاد على ثلاثين سنة إلى أربعين فما بين الثلاثين والأربعين هي سنّ الكهولة.

ويبدو من كلام أهل اللغة أنَّ الكهولة هي السنّ التي تجتمع فيها القوى، ويكون المرء في أجمع قواه ما بين سنّ الثلاثين إلى أربعين.

قال ابن فارس: الكاف والهاء واللام أصل يدلّ على قوّة في الشيء، أو اجتماع جبلة. من ذلك الكاهل: ما بين الكتفين، سميّ بذلك لقوّته ويقولون للرجل المجتَمع إذا وَخَطَه الشيب كهل وامرأة كهلة<sup>٢</sup> قال أبو منصور الثعالبي: يقال للرجل إذا اجتمعت لهيبته وبلغ غاية شبابه: مجتَمع.<sup>٣</sup>

### التبشير بمقدم رسول الإسلام محمد ﷺ

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ»<sup>١</sup>

أنكروا وجود هذه البشارة في بشائر المسيح ﷺ بحجة خلوّ الأناجيل عنها!

لكن البشارة موجودة، والقوم حرّفوها في التراجم تحريفاً

جاء التبشير بمقدم سيّدنا محمد ﷺ في وصايا المسيح ﷺ للمُحَوَّارِيِّينَ والذين

اتَّبَعُوهُ بلفظة تدلّ على وصف المبشّر به بأنّه «كثير المحمّدة» المنطبقة مع لفظة «أحمد» وهو أفضل التفضيل من الحمد.

١ - تفسير آلاء الرحمن للبلاعي، ج ١، ص ٢٨٤. ٢ - معجم معاني اللغة لابن فارس، ج ٥، ص ١٤٤.

٣ - فقد اللغة وسمّى العربي للثعالبي، ص ١١١.

وكانت لغة المسيح التي بشر بها هي العبرانية، وهي لغة إنجيل يوحنا الذي جاء فيه هذا التشير، لكنها ترجمت إلى اليونانية، ولم يعرف المترجم، ولا سبب الترجمة إليها وضاع الأصل، ولم يعد له وجود حتى الآن والتراجم الموجودة حالياً هي ترجم عن لُسخ اليونانية والبشارة في اليونانية كانت بلفظة «بيركلوطوس» ومعناها «الذي له حمدٌ كثير» لكن القوم حرّفوا اللفظة إلى «باراكلي طوس» لترجم إلى المبشر أو المصلّي أو المعزّي<sup>١</sup> وجاء تعريبها «فارقليط» كما هو معروف



يعول الأستاذ النجار كتب في سنة ١٨٩٢ - ١٨٩٤ ميلادية طالباً بدار العلوم في السنة الأولى، وكان يجلس بحاسي - في درس اللغة العربية - العلامة الكبير الدكتور «كارلو نلينو» المستشرق التلياني، وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية فانهقد أواخر الصحبة لمينة بيني وبينه، وكان المرحوم «أحمد بك نجيب» يعطي محاضرات في الانقياس والعمومي، وكنا نحضرها ونعطي ملارم من كتابه «الأثر الجليل في قدماء وادي النيل» ففي ليلة السبع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣١١ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا في «درب الجماميز» فقال لي الدكتور «نلينو»: هذه الليلة ليلة المعراج؟ قلت نعم فقال وبعد ثلاثة أيام عبد السيدة ريشب؟ فقلت نعم

ثم قلت له - وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة - ما معنى «بيريكلتوس»؟ فأجابني بقوله إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها «المعزّي» فقلت إنني أسأل الدكتور «كارلوبينو» الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً فقال إن معناها «الذي له حمدٌ كثير» فقلت

١ - جاء في إنجيل يوحنا، إصحاح ١٥/٢٦ و ٢٧ وحتى جاء قمرى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب يثبت فهو يشهد لي وتشهدون أتم أيضاً لأتكم معي من الابتداء. وفي إصحاح ١٦/٧ لكني أقول لكم الحق، إنه حينئذٍ لكم أن تطلقوا، لأنّه إن لم تطلقوا لا يأتكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم.

وفي النسخة الفارسية جاءت عبارة «سلى دهنه» في المعنى

هل ذلك يوفق أفعل التفضيل من حمداً؟ فقال نعم! فقلت: إن رسول الله ﷺ من أسمائه «أحمد» فقال يا أحمى أنت تحفظ كثير<sup>١</sup> وقد أرددت بذلك بثبناً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ أَكْبَرُ»<sup>٢</sup>.

وقال الحق البلاغي الكلمة في الأصل ليوناني «بير كلو طوس» الذي تعريبه «فيرقلوط» بمعنى «كثير المحمدة» الموفق لاسم «أحمد» و«محمّد» لكنهم صحّحوه - حسب رعمهم - إلى «بير اكني طوس» ويعتبرون عنه - «فارحليط» كما عن التراجم لمطبعة بلندن سنة (١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤١م) ومطبعة وليم بلندن (١٨٥٧م) على النسخة الروميه المطبوعة سنة (١٦٦٤م) والترجمه العبريه المطبوعة سنة (١٩٠١م) لكن أبدله بعض المترجمين إلى لفظه «المعري»<sup>٣</sup> و«المسلى» وشاع ذلك<sup>٤</sup>.



وذكر محمّد بن إسحاق المؤرخ الإسلامي المعروف صاحب السيرة النبوية المتوفى سنة (١٥١ هـ) نقلاً عن إنجيل يوحنا أن كلمة البشارة كانت بالسريانيه «المُنْحَمَتَا»، وهي بالروميه «البِرْقَلِطُس»<sup>٥</sup>، يعني محمّد ﷺ قال وقد كان سما بلعبي عما كان وصع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ ممّا أثبت لهم «يُحْمَس»<sup>٦</sup> الحواري<sup>٧</sup> لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد<sup>٨</sup> عيسى بن مريم ﷺ في رسول الله ﷺ أنّه قال «من أبغضني فقد أبغض لربّي، ولولا أنّي صنعت بحصرتهم صنائع لم يصعب أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن يطرو ويطوّأهم يعروني<sup>٩</sup>، وأيضاً للرب ولكن لا بد من أن تتم الكلمة بني في الدوموس<sup>١٠</sup> أنهم أعصوني مجاناً<sup>١١</sup> أي باطلاً لو

١ - هامش قصص الأنبياء للبخاري ص ٣٩٧-٣٩٨، والآية ٦ من سورة الصف.

٢ - راجع: الرحلة المدروسة للبلاغي، ج ٢، ص ٣٣.

٣ - ولعنه يقصد بالروميه اليونانيه، حيث تعال العرب باليونان يومذاك كان عن طريق الروم الشرقيه.

٤ - ولعنه معرّف «يوحنا» حيث البشارة بذلك موجودة في يوحنا ١٥/٢٦.

٥ - ظاهر العبارة أن هذا الإنجيل كتب متأخراً عن عهد المسيح ﷺ وهو كذلك لأن الأساقفة اجتمعوا عهد يوحنا سنة ١٦ وقيل ٦٥ والمعلوم منه أن يكتب لهم عن المسيح ويثادي يتعجب من لم يكتبه أصحاب الإنجيل الآخر (راجع.

قصص الأنبياء للبخاري، ص ٤٠١).

٦ - أي يعصوني.

٧ - وجاءت عن العبارة في إنجيل يوحنا، ص ٢٣/١٥ - ٢٥ هكدا، «الذي يعصي بعض بني أيضاً لو لم أكن قد

قد جاء «المُثَمِّنَات» هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس، وهذا الذي من عند الرب خرج، فهو شاهد علي وأنتم أنصب، لأنكم قديم كتم معي في هذا قدت لكم لكيما لا تشكوا<sup>١</sup>

وهذه العبارة الأخيرة أيضاً جاءت في إنجيل يوحنا، هكذا ومتى جاء «المعزى» الذي سأرسله أنا إليكم من لأب روح الذي من عند الأب يثبت، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معي في الابتداء<sup>٢</sup>

قال ابن إسحاق والمُثَمِّنَات السريانية محمد وهو بالرومية البرقديطس عليه السلام انظر إلى هذه التطابق مع إنجيل يوحنا قبل اثني عشر قرناً، وكيف حصل التعريف في لفظه إلى «المعزى» وغيره

### قِصَّةُ الصَّلْبِ

جاءت قصة صلب المسيح عليه السلام ولاسيباب التي دعت إلى صلبه في الأنجيل محتلمه أشد الاختلاف، ولا تكاد جزئية من تحريكات في أحدها تتحد مع الحزنية نفسها في إنجيل آخر

ولما كانت هذه الأنجيل من تأليف ناس يدعي المسيحيون لهم الإلهام ويعقدون خلوها من الخطأ كان يسعى أن تكون كتبهم في مثل هذه العادة المهمة - لني هي مناط النجاة ودعائه الإيمان في نظرهم - متفقة متوافقة، بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلاً، إذ النفس لا تطمئن إلى الأخذ برويات جاءت بشأن قصية واحدة، إذا اختلفت وتضارب بعضها مع البعض الأمر الذي يثبت عن عدم أمانه لراوى كل الأمانة، وتزول الثقة بروايته، فلم يجوز التصديق بها في نظر الاعتبار

عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن به حطبه وأنا الآن قد رأو وأبغضوني أنا وأبي لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أعضوي ولا سبيس

١ - راجع سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٤٨ والروص الأنف، ج ١، ص ٢٦٤

٢ - إصحاح ٢٦/١٥-٢٧

وقد فصل الكلام الأستاذ البجّار عن هذه الاختلاف الفاحش، وأبان مواضع التناقض والتهاقت بين الأناجيل بشأن قصة الصلب، قال لم يختلف الأناجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافها في تفصيل مسأله صلب المسيح وقبلة<sup>١</sup> قال، إن أدنى نظر يهدي إلى أن عبارات هذه الأناجيل الأربعة منخلفة وشهادتها لاتصلح أن تكون مستنداً نشأت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح لتي يدّعيها المسيحيون ويحعلونها أساس إيمانهم

١- أن «متى» يقول إن يسوع جاء مع تلاميذه إلى قرية «جثيماني» ووافقه «مرقس» و«لوقا» وقال إلى جبل الزيتون. وقال «يوحنا» عبر وادي «قدرون»  
٢- وقال «متى» ثم أخذ معه «مطرس» وابي «ردي» وأبدأ بحرق ويكتتب ووافقه «مرقس» و«لوقا» في ذلك وذكر أنه انفصل عنهم رمية حجر وصار يصلي وأسقط «يوحنا» هذه العبارة

٣- ذكر «متى» أنه قال لس معه «نفسى حريّة حتّى الموت، امكثوا هاهنا واسهروا معي» ثم راجعهم فوجدهم نياماً وهكذا للمرّة الثانية والثالثة فأبأهم للمرّة الثالثة أن «ابن الإنسان» - معني نفسه - سلم إلى أيدي حظه ثم قال قوموا، سطلق هودا الذي سلمني قد اقترّب، وعبارة «مرقس» توافق عبارة «متى» في المعنى

وأما «لوقا» فزاد أن ملكاً من السماء نزل إلى المسيح يقويه، وأنه كان يصلي بأشدّ لجأجه وصار عرقه كقطرات دم وأسقط محبته إلى التلاميذ للمرّة الثالثة  
وأما «يوحنا» فقد أسقط ذلك كلّهُ ولم يذكر شيئاً منه وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ، وهو دليل على عدم حصول شيء من ذلك

٤- قال «متى». وبعثا هو تنكّم ذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخهم وشيوخ الشعب والذي سلّمه أعطاهم علامة قائلاً: هو هو امسكوه فللوقت تقدّم إلى يسوع وقال السلام عليك ياسيدي وقبّله،

فقال يسوع، يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيدي على يسوع وأمسكوه. وافق «مرقس» «متى» في المعنى وقال «لوقا» إن المسيح قال يا يهوذا أبقبله تسلم ابن الإنسان؟! بدل قوله «يا صاحب لماذا جئت» وراد إن المسيح خرج إليهم وقال: من تطلبون؟ قالوا يسوع الناصري. فقال لهم أنا هو، فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ثم أعاد سؤاله وأعادوا الجواب، ثم قال حينئذ كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون

٥ - ذكر «متى» أنهم قبضوا على يسوع، ثم إن بطرس استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، حينئذ تركه لتلاميذ كنهم وهربوا أما «مرقس» فلم يذكر هرب التلاميذ وأما «لوقا» فانفرد عن الجميع بأن المسيح لمس أذن العبد وأبرأها

٦ - يقول «متى» إن الذين أمسكو يسوع مصوا به إلى «قيافا» رئيس الكهنة وأما «يوحنا» فقال إنهم أوثقوه وذهبوا إلى «حنان» رحماً «قيافا»

٧ - ذكر «متى» أن رؤساء الكهنة و الشيوخ والجمع كنهم كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع فلم يعدوا، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا  
قال الأساذ الجار، انظروا إلى هذا كلام العلق المسافض كل المسافض، إذا كانوا طلبوا شهود زور فلم يجدوا فكيف يقول بعد ذلك «ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا»؟!

٨ - المفهوم صراحة من عبارة «متى» و«مرقس» أن المحاكمة كانت ليلاً عقب القبض على المسيح ووصله إلى دار رئيس الكهنة ولكن «لوقا» و«يوحنا» جعلوا المحاكمة صباحاً

٩ - قال «يوحنا» وكانت واقعات عند صلب المسيح أمه وأخت أمه وكلهم المسيح مع أنه وقد انفرد «يوحنا» يذكر هذه العبارة وأما «لوقا» فلم يذكر قرب أحد من معارفه إليه ولم يشر إليهم بكلمة ولم يذكر «مرقس» أحداً من معارفه نظر حادثة الصلب من قريب



١٠- ذكر «متى» أن حجاب الهيكل قد انشق إلى نصفين اثنين من فوق إلى أسفل حين أسلم المسيح الروح، والأرض ترلزلت و تصحور تشقق وتنبور نفتحت، وقام كثير من أجساد المدبسين الأموات وأما «مرقس» فقد أهمل هذا القول كله ولم يذكر منه شيئاً وقال «لوقا» واظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل، ولم يذكر رلولة الأرض ولا غير ذلك مما ذكره «متى»

وعدد الأستاذ الجارُّ أكثر من ثلاثين موضعاً حالت فيها لأناجيل، وعقبها بقوله أراني قد ملئت حذراً من إيراد الأقوال المتخلفة بهذا الشأن، وأظن أن القارئ قد سئم كما سئمت، ولو دهست في هذا الشوط أعدده لتصادف بين الأناجيل لأصعب وقت شتاً قال وبعد ذلك فهل يظن طان أن محمد ﷺ هو الذي ابتدع مسألة بني صلب المسيح؟ وإذا نظرنا إلى مسأله صلب المسيح وقيله لم يجدها عند المسيحيين إجماعية، بل وجد من طوائف المسيحيين من نفى الصلب والقتل منهم «الساطر سوسيون» و«الكاربو كسراتسيون» و«المركيونيون» و«الساديسيانيون» و«التاباسيون» و«البارسكاليون» و«البوليسيون» وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سقر فعلاً ومات على الصليب

وما ذكرنا هنا مقرر في تاريخهم أندي يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية باسم «موسى هم» وهناك شهادات من علماء نصرانية تعيد المطلع بصيرة

١- قال المسبو «ارادوار سيوس» الشهير -أحد أعضاء «الاسيودي فراسي» في باريس والمشهور بمعارضة المسلمين- في كتابه «عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية، ص ٤٩» إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه قال وما قاله انقرن موحود عند طوائف من المسيحيين، منهم «الباسيليديون» كانوا يعتقدون أن عيسى وهو ذهب لمحل الصلب ألقي الشبه على

١- بل لم يكن له غاية من هذا النفي. ولعل إيمانه أنفع به، حيث اليهود الذين وجههم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق. فكانت حادثه صلب المسيح على أيديهم دلّ على أن هذا المدعى الأمر الذي يدّعي أن محمد ﷺ كان على وضع بيان الحقيقة لا غير

«سيحون» السيرتاي تماماً ثم أخفى نفسه ومهم «السرنيون» فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صُلب بدل المسيح وقد عثر على فصل من كلام الحواريين، وإذا كلامه كلام «الباسيليديين» قد صرح بنحيل نقديس «برسبا» باسم الذي صُلب بدل عيسى أنه «يهودا»

٢ - وقال «الهرارنست دي بونس» الألماني في كتابه «الإسلام أي الصرانية الحقّة» في ص ١٤٣ ما معناه أن جميع ما يخص بمسائل الصلب والعداء هو من مبتكرات ومخترعات «بولس» ومن شبهه من لم ين لم يروا المسيح، ولبس من أصول النصرانية الأصلية

٣ - قال «ملس» في الجزء الأول من كتابه «تاريخ الديانة الصرانية» إن تنفيذ الحكم كان في وقت انعكس وإسدال ثوب لظلام، فيستح من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القديس مسطرين تنفيذ حكم القتل عليهم، كما اعتقد بعض الطوائف المسيحية. وصدقهم القرآن<sup>١</sup>



وللشيخ محمد عبده أيضاً بحث مدّين حول مسألة الصلب والعداء، وأنها عبدة وثنية، ورثتها المسيحية من اليهود ويعرّض لشبهات أثارها المسيحيون بشأن إنكار الصلب وكانت الشبهة الثانية أن قصة الصلب متواترة متفق عليها بين طوائف النصارى لكنّها شبهة إنّما تعبّر على من بجهل تاريخ لمسيحية، أمّا من نطلع على تاريخهم فالإجابة على هذه الشبهة بسيرة عليه، حيث هناك فرق مهم أنكروا الصلب، كفرقة «السيرنشييين» و«الثاتيانوسيين» أتباع «ثاينوس» تلميذ «يوستينوس» الشهير وقال «فوتيوس» أنه قرأ كتاباً يسمى «رحمة نرسس» فيه أحبار «بطرس» و«يوحنا» و«اندراس» و«توما» و«بولس» ومما قرأه فيه «أنّ المسيح لم يُصلب، ولكن صُلب غيره وقد ضحك بذلك من صاليه» وأنّ مجامع المسيحيين حينذاك قد حرّمت قراءة

١ - راجع الفاروق بين الخالق والمخلوق، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ونقص الأنبياء للنجار ص ٤٤٧ - ٤٤٩.

أمثال هذه الكتب التي تحالف الأناجيل الأربعة والرسائل التي اعتمدتها الكنيسة فجعلوا يحرقون تلك الكتب ويتلفونها وقد سلمت بعض تلك الكتب كإنجيل برنابا، وهو سكر الصلب<sup>١</sup>

وسنذكر أن جماعة اعتقدوا بظهور المسيح بالموت، في توأطى مع أحد تلاميذه يوسف وساعده الوالي بيلاطس بتحريض من امرأته، حذرته أن يمسس الرجل البار بسوء<sup>٢</sup>



إذن، ليس الأمر كما زعمه النصارى، أن المسيح قد صُلب وقتل يقيماً، بل الأمر كان مشكوكاً لديهم، منذ بداية الأمر ومن بعد ذلك على عميدة الصلب والفداء، وهي بدعة ورثوها من عبدة الأوثان

ومن ثم، فالحق ما صرح به القرآن الكريم الذي «لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه نزيل من حكيم حميد»<sup>٣</sup> قال تعالى «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهتهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا نسمع نظرف وما قتلوه يقيماً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً»<sup>٤</sup>

### مسألة التوقي

قد عرفت تصريح القرآن الكريم بأن الأمر قد شُئ له، وما قتلوه وما صلبوه، بل رفعه الله إليه

وكان القوم من أول أمرهم على شك من ذلك، وكان هناك أهواء أنكروا وقوع القتل على شخص المسيح، وكان اختلاف الأناجيل الأربعة في سرد القضية تأسداً لهذا الشك والترديد

٢- حصص الأنبياء للبخاري، ص ٤٢٩

٤- تلك، ٤: ١٥٧-١٥٨

١- تفسير المنار ج ٦، ص ٣٤-٣٥

٣- فصل ١، ٤٢



منطلقتان إذا يسوع قال لهما سلاماً لكما فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له، فقال لهما يسوع، لا تخافا، اذهبا قولاً لإخوسى أن يذهبا إلى الجليل وهناك يروثنى وأما التلاميذ فانطلقوا إلى لجليل حيث أمرهم يسوع ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا فتقدم يسوع وكلّمهم قائلاً دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبا وتسلمّذا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما وصّيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين<sup>١</sup>

وفي إنجيل لوقا إنهم<sup>٢</sup> دخلوا القبر ولم يجدوا جسد يسوع وفيما هم متعجّرات إذ وقف بهمّ رحلان بشاب برّاقة، وقالوا لهنّ بعد بضيقٍ لحى بين الأموات، وإنه في الجليل وإنّ لتلاميذ لنا وحدوا انمسخ نفسه في وسطهم هناك وقال لهم سلاماً لكم فخرعوا وخافوا وظنّوا أنهم يطردوا روحاً، فقال لهم ما بالكم مضطربين؟ انظروا يديّ ورجليّ إنى أنا هو، حسّوسى فإنّ لروح ليس له لحم وعظام كما يرون لى فطلب منهم طعاماً، فناولوه جراً من سمك مشويّ وشبّة من شهد عسل، فآخذ وكلّ فذّاهم، ثمّ أوصاهم برصاها، ثمّ رفع يديه إلى السماء وبركهم، وعسا هو يباركهم انهم وأصعد إلى السماء<sup>٣</sup>

وقريب من ذلك جاء في إنجيل يوحنا<sup>٤</sup>

وعى إنجيل «مرقس» ثمّ إنّ الربّ بعد ما كلّمهم ارفع إلى السماء وجلس عن يمين الله<sup>٥</sup>

ومن هنا يعتقد البعض أنّ قوله تعالى: «وَمَا تَتْلُوهُ وَمَا صَلَوَهُ»<sup>٦</sup> بمعنى أنّ صلبه لم يؤدّ إلى قتله، ولكن شبه لهم أنّه قُتل على حشبة الصليب، ولم يكونوا على يقين من أنّه مات حقيقة وذلك معنى «وَمَا تَتْلُوهُ يَقِيماً»<sup>٧</sup>

١- إنجيل متى إصحاح ١٦/٢٨ ٢

٢- ذكر مرقس ولوقا، أنّ ثلاث من التلاميذ ذهبوا ليعثس من القبر

٣- إنجيل لوقا، إصحاح ٢٤/١-٥٣

٤- إنجيل يوحنا، إصحاح ٢٠ و ٢١

٥- إنجيل مرقس، إصحاح ١٦/١٩

٦- النساء ٤ ١٥٧

٧- النساء ٤ ١٥٧

وذلك أن «بيلاطس» كان يعتقد براءة المسيح من كل ما يرميه به اليهود كما أن امرأته أيضاً كانت عاطفة على يسوع، مهتمة بأمره، حريصة على أنه لا يُمسَّ بسوء، وقد أوصت زوجها بذلك

ففي إنجيل متى<sup>١</sup>، وإذا كان جالساً على كرسيّ لولايته، أرسلت إليه امرأته قائلة إنيّ كذلك البارّة، لأنّي اليوم تألمت كثيراً في حلم من أجله<sup>٢</sup>

ومن ثم نرى أن المسيح لم يمسك على خشبة لصلب طويلاً، ولم يكسر رجلاه كما كسرت رجلا المصلوبين الآخرين بل جاء يوسف - وهو أحد تلاميذ المسيح - وتسلم الجسد، وتعجبوا من موته سريعاً، فلجّ في كفن ووضع في قبر له كان هناك

ولا سبب لذلك إلا العناية الخاصة التي كانت تحوط المسيح من صاحبه الوالي بيلاطس وزوجه ويوسف وتيقوديموس

فهذه الاعتبارات جعلوا يقولون بهذا المسيح نفاً بالموب وحسنه الناس ميّناً، ولم يكن قد مات والذي تولّى إمراله رجلٌ من تلاميذه في العفّة، وكان ذلك التظاهر بإحائه وساعده الولي على ذلك بأن سلّم له في نر له عن العفّة، واليهود في عفّة عمّا بينه وبين المسيح من العلاقة ولقّه في كفن ووضع في القبر وأجاف على الباب حجراً<sup>٣</sup>

\*\*\*

هذه، ولم يصرّح القرآن بنوعية لشبهة ونفّة إلقاء الشبهة على «يهودا الأسخر يوطى» جاء في إنجيل برنابا وبعض المصادر النصرانية<sup>٤</sup> ولعلّه الأصل في شيوع ذلك بين معسري العامة، وعمدتهم وهب بن ميثم<sup>٥</sup> الذي اشهر بكثرة النقل عن أهل الكتاب ولا سيما نصارى نجران<sup>٦</sup> ولم يؤثر عن أنفة أهل البيت (عليه السلام) شيء من ذلك في تفاسيرنا القديمة المعتمدة<sup>٧</sup> سوى ما جاء في تفسير المسسوب إلى علي بن إبراهيم

١- إنجيل متى إصحاح ٢٧/١٩ ٢- راجع: قصص الأنبياء للخوار، ص ٤٢٨-٤٢٩

٣- المصدر ص ٤٤٨-٤٤٩

٤- راجع: جامع البيان، ج ٦، ص ١٠-١٢ ومجمع البيان، ج ٢، ص ١٣٦

٥- راجع: الإسرائيليات والموضوعات لأبي شوبة، ص ٥٠ ومجمع البلدان، ج ٥، ص ٢٦٧

٦- راجع: تفسير الفيّاض، ج ١، ص ١٧٥ و ٢٨٣ وتفسير الثمين، ج ٢، ص ٤٧٨ و ج ٣، ص ٣٨٣ ومجمع البيان، ج ٢

ص ٤٤٩ و ج ٣، ص ١٢٥ وتفسير أبو الفتح الرازي، ج ٣، ص ٥٥ و ج ٤، ص ٦١

القمي<sup>١</sup> ولم يثبت انتساب هذا التفسير إلى علي بن إبراهيم، وإنما هو من صنع أحد تلامذته المجهولين<sup>٢</sup> ومن ثم لا يعتمد بما تفرد به هذا التفسير ما لم يدعمه شواهد توجب الاطمئنان

والمهم أن الأناجيل وإذ ذكرت قصة الصلب لكس ليس فيها تصريح بموت المسيح بذلك. وقد عرفت عبارة «لوقا»: «لماذا تظلمن الحي بين الأموات»<sup>٣</sup> الأمر الذي يلتزم واشتباه اليهود في زعمهم أنهم صلوا للمسيح بالصلب والقرآن مصرح بأن الأمر قد شبه عليهم «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا»<sup>٤</sup>

وأيضاً فإن الأناجيل مفعلة على أن المسيح رُفع بحسبه وروحه، وهذا هو ظاهر تعبير القرآن الكريم أيضاً «يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ»

ومن ثم لم يعهد للمسيح<sup>ﷺ</sup> قبر، لا عند مسيحيين ولا عند غيرهم. نعم زعم «علام أحمد القادياني» أن المسيح أبعاه الله من كبد اليهود، فذهب إلى بلاد الهند، واسمعه في بلاد كشمير - شمال الهند - بسبع الجبل (جبال همالايا) وأقام هناك إلى أن واهاه أجهله، ودُفن في تلك البلاد قرب بلدة «سرنجار» وقبره معروف هناك قال الأساد المخار كنت مسافراً في رحلة إلى «اسطنبول» في سنة ١٩٢٤م وكان في السفينة الأستاذ الشيخ أبو الوفاء الشرقوي، فسألته: هل سمع حين كان في «سرنجار» بكشمير عن قبر يقربها يقال له قبر النبي الأمير - حسب تعبير القادياني - يعني المسيح؟ فقال: نعم، سمعت بذلك وأنه في الصحراء

والقادياني في زعمه هذا حاول إثبات كونه هو المسيح الموعود بمجيئه في آخر الزمان، ولكن كيف يكون هو المسيح وهو معروف السب بين قومه؟! فذهب إلى تأويل الأمر على أن المسيح مات ولا يمكن أن يعود بشخصه ولكنه يعود في شخصية أخرى

٢ - رجع صياحه القرآن من التحريف، ص ٢٢٩، طبع ١٤١٨

٤ - النساء ١٥٧

١ - تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٣

٣ - إنجيل لوقا، إصحاح ٢٤/٥

فقال: إني أنا هو المسيح آتٍ يهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة . وله كلام طويل في كتبه ومجلته التي كان يصدرها في حياته، ولا يزال جماعته في نشاط من التبشير بمسيحيته... والدولة الإنكليزية - في وقته - كانت تؤيدهم، لأنهم كانوا يقولون أن مسيحيهم أبطل الجهاد وكان مغرماً بالكافر المستعمر ويمدح حكمهم في البلاد ويروى نعمة على أهل الهند.<sup>١</sup>

بقي الكلام حول قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»<sup>٢</sup> إلى مَ يعود الضمير من قوله «قبل موته»؟ فيه قولان أحدهما: أنه يعود إلى المسيح، ويكون دليلاً على أنه لم يمت وتظاهرت الروايات بأنه ينزل في آخر الزمان ليكون مؤيداً للمهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، فهناك يبدو الحق وتتجلى الحقيقة لدى أبناء كل من اليهود والنصارى، أما اليهود فيبدو لهم خطأهم في إنكار نبوته، وأما النصارى ففي زعمهم أنه إله

قال علي بن إبراهيم القمي: حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب، قال: قال لي الحجاج: إن آية في كتاب الله قد أعيتني! قلت: أية آية هي؟ قال: قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» وإني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتى يخمداً فقلت: ليس علي ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي. قال ويحك أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: جئت بها والله من عين صافية.<sup>٣</sup>

وأخرج ابن المنذر عن شهر بن حوشب مثله، فقال الحجاج: من أين أخذتها؟ فقلت: من محمد بن علي قال: لقد أخذتها من معديها وفي رواية أخرى، يعني



ابن الحنفية<sup>١</sup>

وأخرجه كبار المفسرين، قال الشيخ أبو جعفر الطوسي ذهب إلى هذا القول ابن عباس وأبو مالك والحسن وعادة وسرر بن، واختاره أنطوري، قال والآية خاصة لمن يكون في ذلك الرمان<sup>٢</sup> وهو الذي ذكره عمي بن إرهيم في تفسير أصحابها وذكر الحديث عن شهر بن حوشب عن محمد بن علي ابن بصيرة وذكر الطوسي مثل ذلك.

قال. وضئف هذا الوجه الرجّاح وقال الدين يهون إلى من نزول عيسى من أهل الكتاب قليل، والآية تقتضي عموم إيمان أهل كتاب أجمع<sup>٣</sup> وهكذا الطبرسي في مجمع البيان.<sup>٤</sup>

وذكر الإمام الراري حديث شهر بن حوشب، قال فاستوى الحجّاج جالساً - حين ذكرت له ذلك - وقال عمن يعلب هذا؟ فقلت حدثني به محمد بن علي ابن الحنفية وأخذ نكت في الأرض بقصص، ثم قال لقد أخذتها من عبي صافنة<sup>٥</sup>

والقول الثاني: أن يعود الضمير إلى الكتابي، ومعناه لا يكون أحد من أهل الكتاب حين يخرج من الدنيا عند الموت إلا ويؤمن بالمسيح، وذلك عند زوال التكلف ومعاينة الموت، حيث الحقيقة تنكشف لدى حضور الموت

قال الطبرسي، وذهب إليه ابن عباس في رواية أخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وحويبر، قال ولو صرّبت رقبتك لم تخرج نفسك حتى يؤمن<sup>٦</sup>

قال الشيخ محمد عبده «قتل قوتيه» أي قبل موت ذلك الأحد، لذي هو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم وحاصل المعنى أن كل أحد من أهل الكتاب عندما يدركه الموت ينكشف له الحق في أمر عيسى وغيره من أمر الإيمان، فيؤمن بعيسى إيماناً صحيحاً، فاليهودي يعلم أنه رسول صادق غير دعوي ولا كذاب، والنصراني يعلم أنه عبد الله ورسوله فلا هو إله ولا ابن الله

٢ - راجع، جامع البيان، ج ٦، ص ١٦

٤ - مجمع البيان، ج ٣، ص ١٣٧

٦ - مجمع البيان، ج ٤، ص ١٣٧

١ - الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٣٤

٣ - تفسير البيان، ج ٣، ص ٣٨٦

٥ - التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٠٤

ورجح هذا المعنى على المعنى الأول باحتياج ذلك إلى تأويل النفي العام هنا بتخصيصه بمن يكون منهم حتماً عند رول عيسى قال وللمبادر من الآلة هو المعنى الذي اختاره، وهذا التخصيص لا دليل عليه، وهو مني على شيء لا نص عليه في القرآن حتى يكون قرينة له قال والأخبار التي وردت فيه لم ترد معصرة للآية أمّا المعنى المختار الذي هو الظاهر المتبادر من العظم البمع فؤيده ما ورد من اطلاع الناس قبل موتهم على منازلهم في الآخرة قال ومما يؤيد هذه الحقيقة نص في سورة يونس على تصريح هرعون بالإيمان حين أدركه لغرق<sup>١</sup>

غير أن سياق الآية يوضح القول لأول، حيث وقع هذا التعبير عقيب رد مزعومة اليهود أنهم صلوه وعلوه، بل شبه لهم الأمر وما فتدوه يقياً فمعناه أنه لم يقتل ولم يمب، وأنه حي يرق، وما من أحد من أبناء اليهود واسصارى ليؤمنن به إيماناً بسوته الصادقة قبل أن يموت المسيح، فالكلام هنا كلام عن موت المسيح، وأنه مات بالصلب وقتل أم لا، فالآية تذكر ذلك، ونص على أنه لم يمب، فكان قوله تعالى «قُتِلَ مَوْتَهُ» إشارة إلى موت المسيح ﷺ

ولسيدا لعلامة الطباطبائي عليه السلام هنا نظره دفعة في دلالة سياق الآية على عود الضمير في «قُتِلَ مَوْتَهُ» إلى المسيح ﷺ وذلك حيث قوله تعالى -عقيب ذلك-: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» فإنه يدل على أنه عليه السلام شهد يوم القيامة بشأن من آمن به في حياته قبل موته أمّا فكرة الوقي ورفعه إلى السماء فكان الشاهد عليهم هو الله سبحانه، كما جاءت في سورة المائدة: ١١٧.<sup>٢</sup>

وأما مسألة تخصص العموم فليس من التخصص حقيقة، وإنما هو من باب التسامح و لتوسعة في التعبير، فحوظب الآباء بما يعده الأساء، كما عوتب الأساء بما فعله الآباء في كثير من مواضع القرآن

## الباب الثاني

# القرآن وثقافات عصره!

هل تأثر القرآن بثقافات كانت ساطية على البيئة العربية آنذاك؟

القرآن جاء ليؤثر ويظهر على الأعراف كلها

لا ليتأثر ويخضع لرغبات الطواغيت!

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِمَا هَدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»

## التأثر بالبيئة

### هل تأثر القرآن بثقافات عصره؟

حاء القرآن ليؤثر ويكافح عادات جاهلية بائدة لا لينأثر ويخضع لأعراف كانت جافية إلى حدٍّ بعيد «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَثَدَى دَرَسِ الْحَقِّ لِيُطَهِّرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»<sup>١</sup> وَمَنْ أَمِنَ النَّظَرَ مِنْ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الرَّشِيدَةِ - بَعْدَهَا بِحَقِّ نَابِيَةٍ عَنِ التَّشَابِهِ لِأَعْرَافٍ كَانَتْ نَابِيَةٍ فَكَيْفَ بِالسَّائِرِ بِهَا

ولكن هناك مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِقَاءَ كَثِيرٍ مِنْ تَعَالِيمِ تَوَاتِمِ أَعْرَافِ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ مِمَّا يَنْبَغِي عَنْهَا أَعْرَافٌ مَتَحَصِّرَةُ الْيَوْمِ وَأَحْذَوْا مِنْ وَصْفِ بَعْضِ الْآخِرَةِ وَالْحُورِ وَالْقُصُورِ مِمَّا يَلْتَمِمْ وَعَيْشَةُ الْعَرَبِ الْقَاحِلَةِ حَيْدَ ذَلِكَ، شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ وَكَذَا الْإِشَارَةُ إِلَى أُمُورٍ خَرِافَةٍ كَانَتْ تَعْتَنِقُهَا الْعَرَبُ وَلَا وَاقِعَ لَهَا الْيَوْمَ دَلِيلَ آخِرٍ وَاعْبُدْهُ أَنَّ التَّكَلُّمَ بِلِسَانِ قَوْمٍ لَيْسَتْ دَعَايُ الْإِعْتِرَافِ بِمَا تَحْمِلُهُ الْكَلِمَاتُ مِنْ مَعَانِي عِنْدَهُمْ لِاحْظَوْهَا عِنْدَ الْوَضْعِ فَلَا بُدَّ أَنَّهَا مَلْحُوظَةٌ أَيْضاً لَدَى الْإِسْتِعْمَالِ

هَكَذَا زَعَمَ الْقَوْمُ وَلَكِنَّهُمْ تَوَهَّمُوهُ مَعْضاً، وَإِلَيْكَ التَّفْصِيلُ

وَلِنَمْهَدَ قَبْلَ ذَلِكَ مَقْدِّمَاتٍ تَنْفَعُنَا فِي صَمِيمِ الْبَحْثِ

١ - تكرر هذا المقطع من الآية في القرآن ثلاث مرات (التوبة ٩: ٨٣ الفتح ٨: ٢٨، الصف ٦٦: ٩) دليلاً على التأكيد البالغ.

## ١ - مجازاة في الاستعمال

هل كان النكلم بلسان قوم يستدعي الاعتراف بما نحمله لعنهم من ثقافات؟ أم كان لا يعدو سوى المجازاة معهم في الاستعمال؟

الثاني هو الصحيح الواقع ذلك أن لمحاورة لأجل التفاهم في أي لغة لا يستدعي سوى العلم بمعاني الكلم الإفرادية والجمالية في الاستعمال الدارج فعلياً لدى القوم، فكان ينبغي المماشاة معهم ومخاراتهم في تبادل المفاهيم حسبما يتعاهدونه الآن، من غير نظير إلى أصل الوضع والدواعي التي دعت إلى وضع كل لفظة لمعنى خاص فإن هذه الدواعي كانت ملحوظة لدى الوضع ولا تلحظ حين الاستعمال، وربما كان مستعملو اللفظة في ذهول عن الأسباب الداعية للأوضاع الخاصة الأوليه

حد مثلاً لفظة «المجنون» وصفت لمصاب بداء توتر الأعصاب، وكان السبب الداعي لهذا الوضع في حبه اعتقاد أنه أصيب بمساس الجن، ومن ثمّ كان في العهد القديم يعالجون المصابين بهذا الداء بالرقى والتعاويد لعرض إبعاد الجن عنهم فيما رعموا واليوم أصبح هذه العقيدة خرافة، غير أن أبناء لغة لا يزالون يتداولون اللفظة لعرض التفاهم مع بعضهم، حيث اللفظة أصبحت مجرد علامة للدلالة على هذا المعنى بمفهومه الجديد لا الخرافة البائدة، وإن كانت هي سبب للوضع في وقته، غير أنه غير ملحوظ بل مرفوض في الاستعمال حالياً

والصحراء القاحلة سميت «معار» تدوّلًا، وتتداول التسمية من غير أن تدلّحظ فيها داء التفاؤل الملحوظ عند الوضع أو من سقى به جميلًا لما يرى عليه مسحة جمال، وغيره ممن يستعمل اللفظة إنما يستعملها لأنها علم عليه، رغم عدم لحاظ جمال فيه أو كان يرى العكس ذلك لأن التسمية تحققت وأصبح الاسم علمًا له من غير أن يحمل مفهومه الملحوظ عند التسمية

وعليه، فالاستعمالات الدارجة تامة مدليل للأعاط كعلامات على المعاني محضاً، ولا تدلّحظ الدواعي والماسبة الأوليه التي لاحظها الوضع حين الوضع

فنلغزض نَ لفظة «الخلق» إنما وضعت للصفات والملكات النفسية إما كانت جاهلية العرب نعتقد أن للصفات النفسية منشأ في الخليفة الأولى، و لإنسان مجبول عليها ومسير في حياته وفق ما فطر عليه تلك عقيدة جاهلية بادت ولكن التسمية دامت، والمستعملون اليوم لا يريدون هذ المعنى قطعياً وهكذا فيما جاء استعماله في القرآن، فإنها محارة في الاستعمال ولس اعترافاً بما تحمله اللفظة من مفهومها الأثري البائد

## ٢ - خطاب القرآن عام

القرآن وإن كان واحه العرب في وقته لكنه حاطب الناس عامة عبر لأجيال فقد واحه العرب وخاطبهم بلسانهم وعلى أساليب كلامهم المعهودة لديهم وذلك لعرض التفاهم معهم حينذاك «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوميه ليبين لهم»<sup>١</sup> لكن هذا لا يعني الإختصاص بعد أن كانت لرسالة عامة والخطابات شاملة

جاءت في القرآن تعابير قد يبدو من صاهرها الإختصاص لكن في طيتها مفاهيم عامة تشمل جميع الناس في جميع الأزمان الأمر الذي جعل من القرآن دستوراً عاماً لكافة الأمم وفي كل الأدوار وكذا الأمثل ولحكم الواردة في القرآن لا تتركز على ذهنيات العرب خاصة وإنما على ذهنيات يتعدها جميع الأمم عبر الأيام، حتى في مثل «الاييل» جعلت عبرة لا للعرب خاصة وإنما هي للعموم بعد أن كانت منبئة على وجه الأرض يعرف عجائبها كل الناس

وهكذا جاءت أوصاف نعم الآخرة وشديد عقوباتها على معايير يتعاهدها الجميع وليس عند العرب خاصة، حسبما نبين

قال رسول الله ﷺ «ما من آية في القرآن إلا ولها ظهير وبطن» سئل الإمام الباقر عليه السلام عن ذلك، فقال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله<sup>٢</sup> وعنى بالتنزيل: ظاهر الآية حيث

نزلت بشأن خاص. وبالتأويل المفهوم لعدم منبرع من الآية وهو شامل يجاري الأيتام والليالي أبداً

وأضاف عليه أن العبرة بهذا المفهوم لعدم نذى ضمن خلود القرآن، وإلا فلو كانت العبرة بظاهر التعبير الخاص إذن لكان القرآن قيد التاريخ في حقه القصير وذهب بهلاك تلكم الأقوام!

وسنفضل الكلام عن ذلك في مجالات متناسبة

### ٣- حقيقة لا تحييل

ما يأتي به القرآن من عبر وصرح الأمثال فإنها جميعاً حكاية عن أمر واقع، إما حقيقة ثابتة في الأعيان، أو تصوير لحالة راسخة في القلوب وهكذا فيما أخبر عن عالم وراء عالم الشهود، لست نصورات وهمية وإنما هي حقائق راهنة في أصقاعها المتناسبة لميزان التاريخ يمثل بها القرآن لها واقعية يأخذها القرآن عبره، وإلا فلا عبرة بالأوهام! وكذلك الصور النحيلية لحالات وهو حسي نفسية يضرب بها الأمثال لها واقع مرصوها القرآن والسها ثوب العباة في أدع تصوير

أما الحكاية عن مغيبات ما وراء الستار فهي حقائق ثابتة مثلها القرآن في قالب الإستعارة والتشبيه، فيتنبه الباب لوجه الإستعارة والتشبيه ولا محال للإنكار بعد عدم الدليل على الإمتناع

فهؤلاء ملائكة الرحمان لها أجنحة مثنى وثلاث ورباع<sup>١</sup> ذكرها القرآن تعبيراً عن مختلف مدارج القوى والطاقات تملكها ملائكة السماء المدبرات أمراً حسب وظائفها في التمييز المخول إليها والتعبير عن القدر والقوى بالأسححة شائع وليس المراد أجنحة كأجنحة الطيور.

وهكذا في سائر الموارد عمدة القرآن إلى لتشبيه والتمثيل حكاية عن أمر واقع وليس مجرد تصوير وتخييل

١- وهو قوله تعالى «جاعلي الملائكة رؤلاً أوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»، طبر ٣٥

## ثقافات جاهلية كافحها الإسلام

كان المجتمع العربي إبان ظهور الإسلام أهلاً بثقافات هي ضلالات وحشالات، وكان الفساد والفحشاء قد غطَّ البلاد وكفى شاهداً على ضخامة هذا الظلام ما رسمه القرآن عن منكرات كانت قد عمَّت لحريرة هي من المضاعفة بمكان فجاء الإسلام لينقذهم من الجهالة وحيرة الصلابة ويضع عنهم بصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وقد منح بالفعل في خطوات واسعة، حيث جاء الحق ورهق اساطيل إن الماطل كان رهوقاً<sup>١</sup> إذن، جاء القرآن ليتخفف البشرية جمعاء والعرب خاصة بمعالم حضارة راهية «والله غاليه على أمره»<sup>٢</sup> فقد جاء ليؤثر لا ليدثر، ومن انعفاء زعم العكس فيما حسبه المتشاكسون

ودليلاً على ذلك تأتي عادات ورسوم جاهلية حاظته عارضها الإسلام وعلب عليها «ونَضَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمْ الْعَالِينَ»<sup>٣</sup> و«كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»<sup>٤</sup> ولتبدأ شؤون المرأة وقد سحفت كرامتها الإنسانية في ذلك الجو العائلك، فجاء الإسلام وأحد بيدها ليرفعها إلى حيث مستواها، الكريم

## المرأة وكرامتها في القرآن

للمرأة كرامتها الإنسانية في القرآن، وقد جعلها الله في مستوى الرجل في الخطوة الإنسانية الرفيعة، حينما كانت في كل الأوساط المتحضرة والجاهلة مهانة وصيقة القدر، لا شأن لها في الحياة سوى كونها أمة الرجل وتلقته في الحياة فجاء الإسلام وأحد بيدها وصعد بها إلى حيث مستواها الرفيع الموري لمسوى رجل في المجال الإنساني الكريم «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ»<sup>٥</sup> «وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»<sup>٦</sup>

٢ - الصادق ٣٧: ١١٦

٤ - النساء ٤: ٣٢

١ - يوسف ١٢: ٢١

٣ - المحادلة ٥٨: ٢١

٥ - البقرة ٢: ٢٢٨



القرآن عندما تتحدث عن الإنسان - وليس في حقيقة الإنسانية ذكورة ولا أنوثة - إنما يتحدث عن الجنس ذكراً وأنثى على سواء وعندما تتحدث عن كرامة الإنسان وتفضيله على كثير ممن خلق وعن الودائع التي أودعها هذا الإنسان<sup>٢</sup> وعن نفخ روحه فيه<sup>٣</sup> وعندما يبارك نفسه في خلقه لهذا الإنسان<sup>٤</sup> إنما يتحدث عن الذات الإنسانية الرفيعة المشتركة بين الذكر والأنثى من غير فرق هو عندما يقول: «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»<sup>٥</sup> وعندما يقول: «إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى<sup>٦</sup>» وإلى أمثالها من تعابير لا يفرق بين ذكر وأنثى: «أَنْتِ لَا أَضِيعُ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَى تَنْصُكُمُ مِنْ نَحْسٍ»<sup>٧</sup> لا يميز بينهما ولا تفارق فيما يمنار به الإنسان في أصل وجوده وفي سعيه وفي السلوع إلى مراتب كماله «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَدِّينَ وَالْقَدَّاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْمُكِبِّينَ وَالْمُكِبَّاتِ وَالسُّجُّدَ وَالسُّجَّادَاتِ وَالْمُتَوَكِّلِينَ وَالْمُتَوَكِّلَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْرَباً وَأَجْراً عظيماً»<sup>٨</sup> وقد جاء قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَكُمُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى»<sup>٩</sup> دليلاً قاطعاً على موارة الأنثى مع الذكر في أصالة النوع البشري، ولا تزال هذه الأصالة محصطاً بها عبر تناسل الأحيال

نعم، هناك خصائص نفسية وعملية ميّرت أحدهما عن الآخر في تكوينهما الذاني ممّا أوجب تفاعلاً في توزيع الوظائف التي يقوم بها كلٌ منهما في حقل الحياة، توزعاً عادلاً يتناسب مع معطيات ومؤهلات كلّ من ذكر والأنثى، الأمر الذي يؤكّد شمول العدل في التكليف والإختيار ولنظر في هذه لموارق الناشئة من مقام حكمته تعالى في الخلق والتدبير

٢- الأعراب ٥٣: ٧٢

٤- المؤمنون ٢٣: ١٤

٦- الحجرات ٤٩: ١٣

٨- الأعراب ٥٣: ٣٥

١- الإسراء ١٨٧: ٧٠

٣- السجدة ٣٢: ٩

٥- النجم ٥٣: ٣٩

٧- آل عمران ٣: ١٩٥

٩- المحمرات ٤٩: ١٣

## والرجال عليهن درجة

هنا وقفة قصيرة عندما يلحظ <sup>١</sup> لقرآن فضل الرجال على النساء بدرجة ما  
فهل في ذلك حظاً من قدر المرأة؟ أو كمال حظي به الرجل دونها؟  
ليس من هذا أو ذاك في شيء، وإنما هي مرافقة مع ذات لفطرة التي حُبل عليها كل  
من الرجل والمرأة

إن معطيات الرجل النعسة والحُنية تختلف عن معطيات المرأة، كما تختلف  
طبيعتها الأنثوية المُرَهقة الرقيقة عن طبيعة الرجل الصلبة الشديدة، كما قال الإمام  
أمير المؤمنين <sup>٢</sup> «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» فنعمومة طبعها وطرافة خلقها تجعلها  
سريعة الانفعال بجاء مصطدمات الأمور، على خلاف الرجل في نريئة ومقاومته عند  
مقابلة الحوادث

فالمرأة في حقوقها ومراياها الإنسانية تعادل الرجل «وَالْحَسَنُ مِثْلُ الْبَدِيِّ عَالِمُونَ  
بِالْمُغْرُوبِ» <sup>٣</sup> هذا في أصل حملها لتكون للرجل زوجاً من نفسه أي نظيره في الحسن،  
فبتكافلان ويتعاونان معاً في الحياة الروحية على سوء، فلها مثل الذي عليها من الحق  
المشترك، وهذا هو التماثل بالمعروف أي التساوي فيما يعترف به العقل ولا يستكره  
لكن الشطر الذي يتحمله الرجل في الحياة الروحية، هو الشطر الأثقل الأشق،  
فضلاً عن القوامة والحماية التي تثقل عبء الرجل في مراولة الحياة الأمر الذي استدعى  
شيئاً من التمايز في نفس الحقوق الروحية، مما أوجب للرجل امتيازاً بدرجة «وَاللَّهُ جَالٍ  
عَلَيْهِمْ فَرَجَّةٌ» <sup>٤</sup>

وهذا التفاضل في الذات والمعطيات هو الذي جعل من موضع الرجل في الأسرة  
موضع القوامة «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ تَفَضُّهُمُ عَلَى بَعْضِهِمْ وَإِنَّمَا أُنقِصُوا مِنْ  
أَمْوَالِهِمْ» <sup>٥</sup>

٢ - البقرة ٢: ٢٢٨

٤ - النساء ٤: ٣٤

١ - نهج البلاغة الكتاب رقم ٣٦ ص ٤٠٥

٣ - البقرة ٢: ٢٢٨

إن الأسرة هي المؤسسة الأولى في حماية الإنسانية، وهي نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق، والتي تراول إنشاء وشئنة لعصر الإنساني، وهو أكرم عناصر هذا الكون في التصور الإسلامي وإدراك كسب المؤسسات - التي هي أقل شأنًا وأرحص سعراً - كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية وما إليها - لا توكل أمرها عادة إلا للأكفاء من المرشحين لها متى تخصصوا في هذا المرفع عسماً ودرّبوا عليه عملياً فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعيّة للإدارة والقوامة، فالأولى أن تُشجّع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة التي تُنشئ وتُشقى أئمن عناصر الكون، ذلك هو عنصر الإنساني

والمنهج الرباني براعي هذا، ويراعي به انعطارة والاستعدادات الموهبة لشطري النفس - العقلاني والجسماني - لأداء الوظائف المنوطة بهما معاً، كما يراعى به العدالة في توزيع الأعباء على شطري الأسرة لو حدة، وتعداته في اختصاص كل منهما بنوع الأعباء المهيأ لها، المعان عندها من طرته واستعداداته المتميزة المتفردة

والمسلم به ابتداءً أن الرجل والمرأة كلاهما من خلق الله، وأنه تعالى لا يريد ظمناً بأحد من خلقه، وهو يهيئ وتعدّه لوظيفة خاصّة ويصحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيفة وقد خلق الله الناس ذكراً وأنثى زوجين على أساس القاعدة الكلّيّة في بناء هذا الكون وحمل من وظائف المرأة أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثمرّة الاتصال بينها وبين الرجل وهي وظائف ضخمة وخطيرة وليست هينة ولايسيرة، بحيث يمكن أن تؤدّى بدون إعداد عضويّ ونفسيّ وعقليّ عميق غائر في كيان الأنثى فكان حديراً أن يوط بالشطر الآخر - الرجل - توفير الحاجات لضرورته، وتوفير الحماية كذلك للأنثى كي تنفّرخ لأداء وظيفتها الخطيرة ولا يحمل عليها أن تحمل وتضع وترضع وتكفل ثم هي التي تعمل وتكدّ وتسهر ليلاً ويحهد بهراً لحمايته بنفسها وكفالة ولدها في آي واحدًا فكان عدلاً كذلك أن يسمح الرجل من الحصائص في كونه العضويّ والعصبيّ والعقليّ والنفسيّ ما يعينه على أداء وظائفه هذه الخطيرة أيضاً وكان هذا فعلاً «وَلَا يَغْلِبُ رَبُّكَ أَحَدًا»<sup>١</sup>

ومن ثم زُوِّدَت المرأة - فيما زُوِّدَت به من الخصائص - بالرفقة والعطف والحنان، وسرعة الانفعال والاستجابة لمعالجة مطالب الطفولة بعير وعي ولا سابق تفكير، لأنَّ الضرورات الإنسانية العميقة كُنْها والمنحةُ حياً - حى في الفرد الواحد - قد لا تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطنه محالاً، بل فرصت الاستجابة لها غير إرادية، لتسهل تلبستها فوراً وفيما يشه أن تكون قسراً، ولكنه قسراً دُخِي غير مفروض من خارج النفس، ويكون لذيذاً ومستحثاً في معطى الأحياء، لتكون الاستجابة سريعة من جهة ومريحة من جهة أخرى، مهما يكن فيها من المنفعة والتصحیح «شنع الله الذي أثقن كلَّ شيء»<sup>١</sup>

قال سَدَّ فط ب وهذه الخصائص لسبب سطحية، بل هى عائرة فى التكوين العصوي والعصبي والعقلي والنسي للمرأة بن يقول كبار العلماء المختصين: إنها عائرة فى تكوين كلِّ حلقة، لأنها عميقة فى تكوين لحنه الأولى، التى يكون من انفسها وبكائرها الجنين، بكلِّ خصائصه الأساسية<sup>٢</sup>

وكذلك رُوِّد الرجل - فيما رُوِّد به من لخصائص - بالمقاومة والصلابة، وبطء الانفعال والاسحابة، والروى واستحدم نوعي واستفكير قبل الحركة والاسحابة، لأنَّ وطائفة كلها منذ بدء الحياة وممارسة السزج فى الماء كانت تحتاج إلى قدر من للروى قبل الإقدام، وإعمال الفكر والبطء فى لاسحابة بوحه عام<sup>٣</sup> وكلها عميقة فى تكوينه عمق خصائص المرأة فى تكونها وهذه الخصائص تجعله أندر على القوامة وأفضل فى مجالها كما أن تكليفه بالإنفاق - وهو فرع من توزيع الاختصاصات - يجعله بدوره أولى بالقوامة

وهذان العنصران هما الدان أبرهما نص لقرآني، وهو يقرر قومة الرجال على

١ - النمل ٢٧، ٢٨

٢ - تفسير فى ظلال القرآن، ج ٥، ص ٥٨-٥٩، للمجلد الثاني، ص ٣٥٤-٣٥٥

٣ - بن معقل سعة الدماغ فى الرجال ١٤٨٠ سم مكتب ومي ساء ١٣ سم مكتب، وورن دماغ الرجل ١٣٦٠ سم بيوم وورن دماغ المرأة ١٢١٠ سم إن هذ المعدل معتل كنه شعوب البشر بصورة عامة كتاب الحيوان للدرسة الجامعية ص

النساء في المجتمع الإسلامي. قوامه لها أسبابها وعللها من التكوين والاستعداد، إلى جنب أسبابها من توزيع الوظائف والاختصاصات، الأمر الذي جعل من مرتبة الرجل أعلى من مرتبة المرأة بدرجة.

قال سيد قطب، إنها مسائل خطيرة، أخطر من أن تتحكم فيها أهواء الشر، وأخطر من أن تترك لهم يخبطون فيها خبط عشواء. وحين تركت لهم ولأهوائهم في الجاهليات القديمة والجاهليات الحديثة هددت البشرية تهديداً خطيراً في وجودها ذاته، وفي بقاء الخصائص الإنسانية التي تقوم بها الحياة الإنسانية وتتميز.

ولعل من الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها، ووجود قوانينها المتحكم في بني الإنسان، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتفكرون لها، لعل من هذه الدلائل ما أصاب الحياة البشرية من تخبط وفساد، ومن تدهور وانحيار، ومن تهديد بالدمار والبوار، في كل مرة خولفت فيها هذه القاعدة فاهتزت سلطة القوام في الأسرة، أو اختلطت معالمها، أو شذت عن قاعدتها العنصرية الأصلية.

ولعل من هذه الدلائل ثوقان نفس المرأة ذاتها إلى قيام هذه القوام على أصلها الفطري في الأسرة، وشعورها بالحرمان والتقص والقلق وقلة السعادة، عندما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوام وتنقص صفاتها اللازمة، فيكل إليها هي أمر القوام! وهي حقيقة ملحوظة تسلم بها حتى المنحرفات الخابطات في الظلام.

ولعل من هذه الدلائل أن الأطفال الذين ينشأون في عائلة ليست القوام فيها للأب، إنما لأنه ضعيف الشخصية بحيث تبرز عليه شخصية الأم وتسيطر، وإنما لأنه مفقود لوفاته أو لعدم وجود أب شرعي فلما ينشأون أسوياء وقل أن لا يحرفوا إلى شذوذ ما، في تكوينهم العصبي والنفسي، وفي سلوكهم العملي والخُلقي.

فهذه كلها بعض الدلائل التي تشير بها الفطرة إلى وجودها وتحكمها، ووجود قوانينها المتحكم في بني الإنسان، حتى وهم ينكرونها ويرفضونها ويتفكرون لها<sup>١</sup>

ونتيجةً على ما سبق، كان تفصيل الرجل على المرأة بدرجة باظراً إلى جهة قوامته في الأسرة، وهذه القوامة تعود إلى خصائص في تكوين الرجل ووظيفته التي خولها له عرف الحياة الزوجية فتعود نقرأ الآية «لِلرَّجَالِ قُورَاتُ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» في تكوينه «وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» حسب وظيفتهم العائلية

قال الشيخ محمد عوده: وأما قوله تعالى: «وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» فهو يوجب على المرأة شيئاً وعلى الرجل أشياء، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرئاسة والقيام على المصالح المعشّرة بقوله تعالى «الرَّجُلُ قُرْأُونٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» فالعبادة الزوجية حياة اجتماعية، ولا تقوم مصلحة هذه الحياة إلا برئيس مطاع، والرجل أحقّ بالرئاسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوّته وماله، ومن ثمّ كان هو لمطالب شرعاً بحماية امرأته والنفقة عليها.<sup>١</sup>

وقد فسّر العلامة الطباطبائي «المعروف» في الآية<sup>٢</sup> بما عرفه الناس واستأنسوا به وفق فطرتهم الأصيلة، فكان من المعروف أيضاً أن يفاضل الرجل على المرأة بدرجة، حسب ما منحت العطرة لكل منهما من استعدادات وقوى وصلاحيات ووظائف في حياتهما الاجتماعية وشرح ذلك شرحاً مستوفى على أصول متبينة، فراجع<sup>٣</sup>

### تفصيل البنين على البنات

قالوا إنّ في القرآن كثيراً من تعابير جاء فيها التنويه بشأن البنين وتفضيلهم على البنات، الأمر الذي يدلّ على تأثره بالبيئة العربية العاهلة، حيث كانوا يئدّون البنات خشية العار «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَتْمِسُّكُ عَلَىٰ هُوٍ أَمْ يَنْدُسُ فِي الثَّرْبِ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»<sup>٤</sup>

نرى أنّ القرآن الكريم قد شجّع القوم على فكرتهم هذه العاهلة ووبّخهم في الفرق بين البنين والبنات أشدّ تشنيع وتوبيخ

١ - تفسير المنار، ج ٢، ص ٣٨٠، وج ٥، ص ٦٧

٢ - في قوله تعالى «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» المير، ٢: ٢٢٨

٣ - تفسير الميراث، ج ٢، ص ٢٤٣ و ٢٧٣-٢٩١ ٤ - الميراث، ١٦: ٥٨ و ٥٩

ولكن مع ذلك قد نجد في القرآن موضع فيها بعض المرافقة مع القوم؟<sup>١</sup>  
 فقد كانت العرب ترى من الملائكة إناثاً وأنهن بنات الله سبحانه: «فَاسْتَفْتَيْهِمْ زَيْلِكَ  
 الْبَنَاتُ وَلَهُنَّ الْبُتُونَ أَمْ خَلْقُوا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ  
 وَإِنَّهُمْ لَكَادِبُونَ. أَصْطَفَى الْبَنَاتُ عَلَى الْبَيْنِ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»<sup>٢</sup>  
 فجاء النسخ في هذه الآيات من ناحيتين أولاً دعوا من الملائكة إناثاً، وثانياً  
 أنهن بنات تعالى من صلبه وأنه تعالى وَلَدَهُنَّ!

وجرباً مع عادة العرب في الازدراء بشأن إنبات يسسرك عليهم كيف اصطفي  
 البسات على البنين؟ «الْكُمُ الذَّكَرُ وَهُوَ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذْ نَسَمَةٌ خَيْرٌ»<sup>٣</sup> أي قسمة غير عادلة  
 «أَمْ اتَّخَذُوا إِذَا تَخَلَّقُوا بِبَنَاتٍ وَأَصْدَكُمْ بِالْبَيْنِ وَبِأَيْشُرِ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظُلًّا وَجْهَهُ  
 مُنَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٍ أَوْ مَنْ يُشَاءُ فِي الْخَلْقَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ»<sup>٤</sup>

وفي هذه الآية جاء الفارق بين الذكر والأنثى ناشئاً من جسلتهما، لتكون المرأة  
 بدافع من فطرتها الانوثة تمجدد إلى الربرج أكثر من اهتمامها بواقعات الأمور ومن  
 جانب آخر هي ذات طبيعه رقيقة لا تنفرد تجاه لكوارث، فتعمل فور اصطدمها  
 بمصطلحات الحوادث، فهي بدات فطرتها وشأنها غير صالحة لمعابلة شدة الحياه  
 وعاجزة عن حلّ مشابك العضلات فقد جمعت بين الطراوة والضعف، على عكس  
 لرجل الذي يملك صلابه وقوة إرادة

ومن ثم تعقبت الآية بالاستتكار على مرعومتهم هي الملائكة أنهم إناث «وَجَعَلُوا  
 الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُ حَتْفِهِمْ مُتَكَبِّبٌ شَهَادَتُهُمْ وَيُسَالُونَ»<sup>٥</sup>  
 وقد عبر القرآن عن الملائكة بصفة الذكور «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي  
 الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ  
 قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هؤلاء إن كنتم صادقين. قلوا سبحانه لا يعلم له إلا ما عنت. لقد أنت العليم الحكيم. قل يا آدم أنتهم بأنسابهم قلها أنبأهم بأنسابهم قل ألم أقر لكم إني أعظم عيث السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسنجدوا...<sup>١</sup> والضمائر كلها جمع ذكور، وهكذا في سائر مواضع القرآن<sup>٢</sup>

ومن ثم وجه إليهم التوبيخ اللادع «فأضفكم ربكم بالبين واتخذ من الملائكة رباً إنكم لتقولون قولاً عظيماً»<sup>٣</sup>

كل ذلك إن دل فإبنا يدل على ازدرء بشأن الأنثى، جرى عليه العرب وجاراهم القرآن

لكن ليس في شيء من هذه التعبير للآذاعه الموصحة للعرب أي تعبير أو شائبة بشأن المرأة في دت نفسها، لا تصريحاً ولا سرياً وإبنا بوجه التشنيع على العرب بالذات في نظرهم الحاطنة بشأن الملائكة، وأنهم إناث، وسأ الله سبحانه «إنهم من إناهم ليقرؤن ولداً الله»<sup>٤</sup> وأن ولده سات<sup>٥</sup> ومن ثم سمون الملائكة نسمة الأنثى<sup>٦</sup> الأمر الذي يدل على سهاه عقولهم وغاة هههم وما وراء سار العيب ذلك ميلهم من العلم وإنهم إلا يفرصون

والذي يبدو عليه أثر السفاهة أنهم نسبوا إلى الله ما يكرهونه لأنفسهم، فجعلوا لأنفسهم المفضل من الولد، وأما المشنع فجعلوه لله سبحانه وهي فسمه غير عادلة حتى في ضياهب أوهام الخيال

فكان موضع التشنيع هو هذا التقسيم غير العادل حتى في مفروض الأوهام، الأمر الذي ليس فيه أي تقرير للتفضيل المرعوه<sup>٧</sup> واعترف به في واقع الأمر فلم تكن هناك مجارة، وإبنا هي مناداة صريحة على أصول الجدال في محاوره الكلام



١ - البقرة ٣٠-٣٤

٢ - وسكلم عن مواضع جاء التعبير فيها بالتأنيث في مثل المديرات وسجود

٣ - الصافات ٣٧ و ١٥١ و ١٥٢

٤ - الإسراء ١٧ و ٤٠

٥ - النجم ٥٣ و ٢٧

٦ - الزمر ٤٣: ١٦-١٨



وأما التعبير بجمع المؤنث الساتم (بالألف والتاء) في قوله تعالى «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا. وَالسَّاعِيَاتِ سَيْحًا. فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا»<sup>١</sup> وكذا قوله «وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا» إلى قوله «فَالْمُغْتَبَاتِ ذِكْرًا»<sup>٢</sup> وقوله «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»<sup>٣</sup> بناءً على أنَّ المراد هم الملائكة القائمة بهذه الأمور فتأويل ذلك كله أنَّه باعتبار كون الموصوف هم الجماعات، لأنَّ القائمة بهذه الأمور هم جماعات الملائكة لا الآحاد، فكما أنَّ الجماعة تجمع على الجماعات، كذلك الجماعة النازعة تجمع على النازعات، وهنَّ جرَّاء كما أنَّ الشخصيه أيضاً تجمع على الشخصيات، وليس كلَّ جمع بالآلف والتاء دليلاً على تأنيث المفرد كما في جمع القياس على القياسات وكل اسم مفرد - في المصدر قياساً وهي غيره سماعاً - إذا حاور ثلاثة حروف يجمع بالآلف والتاء كالعربيات والامبيارات ومن سماعي نحو السماوات وسرادقات وسجلات وغير ذلك

ومن ثمَّ عاد ضمير الجمع المذكور إلى لمُعَقِّبَاتٍ «مَحْفُوظَةٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ». وهو دليل على عدم تحمُّم الجمع بالآلف والتاء حاجتاً بالإثبات.

ولأبي مسلم محمد بن بحر الإصطهاسي هنا كلام - بعد الفخر الرازي - يرجِّح عدم كون هذه الجموع أوصافاً للملائكة، وإنَّما هي أوصاف للأيدي والسهام والخيول والابل في ساحة القتال.<sup>٤</sup>

### للمذكر مثل حذف الأنثيين

مما أثار النقاش حول نظرة الإسلام عن المرأة هي مسألة إرثها نصف إرث الرجل، وربما كان الجدل عسفاً في أوساط أُممية وفي مؤتمرات عالمية حول قضية المرأة ومما توافق عليه ممثلوا الدول الإسلامية مع خصومهم هو أنَّ الإسلام أقرَّ للمرأة ميراثها إجمالاً

٢ - المرسلات ٧٧ - ١ - ٥.

١ - النازعات ٧٩: ١ - ٥.

٣ - الرعد ١٣: ١١.

٤ - تفسير الكبير، ج ٣١، ص ٣١، وتفسير أبي مسلم، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

تجاه الأنظمة القديمة وبعض الأنظمة القبلية نقائلة بحرمانها من الإرث رأساً واقتنعوا بهذا القدر من النوافق بشأن إرث امرأة، مع نقص - حالياً - عن لمقدار وسائر الجواب التي يفصلها الإسلام

لكنّ الإسلام باعتباره شريعة الله لحادثة الجامعة الشاملة قد قال كلمته الأخيرة ولا مجال للمحاجة فيما حكم به الإسلام حكمه البات الصريح الأبدي. ونحن نرى أيّ توافق يستلزم تداركاً ما عن الأسس الإسلامية، مدهمةً وتراحعاً أمام هجمات العدو الجاهل، الأمر الذي يبدو على محيّا الوهن والنصف المميت

إنّ البيئة التي يرسمها الإسلام للحياة الاجتماعية - سواء في صورتها الصغرى (الأسرة) أو الكبرى العامة - تعمل من وظائف رجل أثقل، وإنّ مسؤوليته في حمل أعباء الحياة أشمل، حسماً أوثق من قدره وتفكير أوسع، فكان طبيعة الحال أن يحمل نصيبه من الميراث أكثر.

إنّ الله تعالى يرفض أولاً تلك العادات انجاليه التي كانت تحرم النساء من الميراث «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً»<sup>١</sup> وبذلك أبطل عادة جاهلية كانت مسكّمة في نفوس أبناء الجزيرة، بل وفي أوساط أممية كانت سائدة في أكثر أرجاء العالم لمتحضّر يومذاك

روي عن ابن عباس أنّه لقّا نزلت الآية فكتب على نفوس جاهلة، فجعلوا يتخافتون فيما بينهم أن اسكتوا عن هذا الحديث ففعل رسول الله ﷺ نساء أو تقول له فيغيّره فجاء بعضهم إليه وقال: كيف تُعطى الحارثة من الميراث وهي لم تتركب الفرس ولم تُعابل؟ وهم لا يعطونها ولا الأطفال الصغار إلا ليس استطاع لركوب ولقنال!<sup>٢</sup>

وبعد ذلك يأتي دور تعيين نصيبها من ميراث «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلزَّكَوِّ مِثْلُ حَقِّ الْأُنثَيَيْنِ»<sup>٣</sup> إنّ الله هو الذي يوصي، وهو الذي يفرص، فمن عند الله ترد التنظيمات

والشرائع والقوانين، وعن الله يتدبّر الناس في شخص شؤونهم في الحياة. وهذا هو الدين فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شؤون حياتهم كلها من الله وحده، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا في أي أمر من هذه الأمور - حلّ أو حصر - من مصدر آخر إنما يكون الشرك أو الكفر، ويكون العاهلية التي جاء للإسلام ليقتلع جذورها من حياة الناس فليس للناس أن يقولوا: إننا نختر لأنفس ولدينا ونحن أعرف بمصالحنا فهذا - فوق أنه باطل - هو في الوقت ذاته موقّع وتبجح ومغال على الله، وادّعاء لا يرغمه إلا متوقّع جهول.

وعليه، فليس الأمر في هذا أمر معناه لجسسي على حساب جنس، إنما الأمر توازن وعادل بين أعباء الرجل وأعباء المرأة في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي فالرجل يتزوّج امرأة يكلف إعالتها وإعالة أسرتها منه في كلّ حالة، وهي معه وهي معافاة من هذه التكاليف أمّا هي فإنّما أن تقوم بنفسها فقط، وإنّما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده سواء، وليست مكلفة نفقة لزوج ولا للأبناء في أي حال فالرجل مكلف - على الأقل - صعب أعباء المرأة في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي - أي النظام الذي رسمه لنا الإسلام - ومن ثمّ يبدو العدل كما يبدو انساق بين العنم والغنم في هذا التوزيع الحكيم فما دامت الحياة التي نعيشها في ظلّ الإسلام مخطّطة وفق هذه الحكمة الرشيدة، فهذا التوزيع يتطابق مع هذا المحصّل ما دمنا نعترف به وسنستسلم لقبادته ويبدو كلّ نقاش في هذا لتوزيع جهلة من ناحية وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعي والأسري، لاستقيم معها حياة حسب معتقدا ونحن مسلمون والتجربة العنيفة التي نجرّعتها سائر الأمم ولا تزال هي خير شهادة على اعتدال هذا النظام واستجابه مع فطرة الإنسان وتكوينه في الحياة.

### محاولات فاشلة

هنا وفي يومنا الحاضر نحابه محاولات يبدو الفشل في محيّاها بعد حيادها عن منهج فهم النصّ على ما رسمته طريقه الاستنباط من كتاب الله فمن قائل إنّ النصّ الوارد

في القرآن الكريم جاء بلفظ لنوصية «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ»<sup>١</sup> والإيصاء ترعّب في الأمر وليس فرصاً واحداً ولعلّ الشرائط الرمنية حينذاك كانت تستدعي هذا التفاضل لمدوب إليه وبكر في وفيها. الأمر لدي لا يحتم الحكم لا بصورة فرض ولا بشكل دائم على الإطلاق.

قالوا واليوم، حيث تعيّر الشرائط وتبدل الأحوال البيئية والاجتماعية العامة فلا أرضية لهذا التفاضل ولا هو بسبب مع لأوضاع الراية المتغيرة مع الوضع القديم لا سيما والأمر لم يكن فرصاً بل محرّد سبب، فلا مقتضى في الوقت الحاضر للأحد بهذا الأمر الذي كان راجعاً في ظرفه ولا رجحان له اليوم.

وقائل آخر، إنه على فرض إرادة العريضة لكن التداوم لا مجال له بعد ملاحظة رهي أحكام الشريعة - في قسمها المتعيّر - بأوقاتها وظروفها الخاصة حيث المصالح المقتضية حينذاك والمستفبة في لحال الحاضر.

هذا القائل يرى من أحكام الشريعة على نوعين ثابتة ومتغيرة والثابتة هي التي أصدرها صاحب الشريعة بشكل عام شامل أبدي حيث إسمائها على مصالح هي ثابتة لا تتغيّر مع الأبد وفي جميع الأحوال ومختلف الأوضاع، وذلك في مثل العبادات الأمر الذي يخلّف الحال فيه في مثل المعاملات والانتظامات، المتغيرة بمصالح هي وقبئية وفي تحوّل على مسرح الحياة وفي هذا تكون لأصول ثابتة أمّا لفروع والتفاصيل فهي رهي شرائط الرمان، فنجور لنصرف فيها حسب المصالح المؤاتية ولكن في ضوء تلك الأصول ومع الحفاظ عليها جذرياً فحسب!

قلت أمّا لمزعومة الأولى فهي محرفة صريحة لنصّ الكتاب العزيز حيث تبدئ آيات الموريث بلفظة الإيصاء، وتنتهي بما يجعل من هذا الإيصاء فرصاً من الله لا مجال للتخلّف عنه «وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَنِيمٌ حَمِيمٌ بَيْنَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ

حُدُودُهُ يُدْخِلُهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ»

يعنى أن هذه الوصية من الله نافذة لا مجال للنخلف عنها، لأنها تبيّن لحدود الله التي من تعدّاها فسوف يُدخِلُهُ ناراً وله عذابٌ مُهِينٌ والعذاب المهِينُ هنا إشارة إلى أن المتجاوز لحريم الشريعة قد أطاح بكرامة نفسه وسقط حيث مستوى المهانة لفظية.

أفهم هذا التأكيد على الأحكام بما أوصى الله بشأن الميراث يتحرراً ذو مسكة على التلاعب بنص الكتاب، اللهم إلا إذا فقد وعيه

ثم الذي يفضح من موضع هذه المزعومة، أن لفظة الإحصاء تتصريفها كلها جاءت في القرآن بمعنى الإلزام والإيجاب<sup>١</sup> قال ابن منظور وقوله عز وجل «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» معناه يقرض عليكم، لأن الوصية من الله إنما هي قرص والدليل على ذلك قوله تعالى «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ لَنْ لَأُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَنْ يَفْعَلْ يَفْعَلْ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُم بِهِ»<sup>٢</sup> وهذا من الفرض المحكم عليها<sup>٣</sup>

وأما المزعومة لأخيرة فهي بذكر الوهن، بعد أن كان الأصل في التشريع هي الأبدية والشمول، أحداً بعموم العطاء وشمول إطلاقه لجميع الأحوال والأحوال والأزمان، وهي قاعدة أصولية مطردة وإلى ذلك ينظر قوله ﷺ «حلالٌ محمدٌ حلالٌ أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرامٌ أبداً إلى يوم القيامة»<sup>٤</sup> اللهم إلا إذا ثبت دليل خاص أن الحكم الذي أصدره النبي ﷺ كان لمصلحة استدعها سياسة التدبير الحاضرة حينذاك فيسمى قيد تلك الشرائط ولا يعم ولا يستديم على الإطلاق وهذا بحاجة إلى دليل قاطع يخرج عن عموم الأصل المتقدم على أن ذلك خاص بالأحكام الصادرة عن مقام السياسة النبوية وتكون من سببه، لا من فرض الله الناص عليها في الكتاب. فالذي جاء

١- النساء ١٢-١٤

٢- راجع البقرة: ١٣٢ الشورى ١٣ الأنعام ١٥١ النساء ١٥٢ النساء ١٣١ الأنعام ١٥ وغيرها.

٣- لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ص ٣٩٥.

٤- الأنعام ١٥١.

٥- راجع الكافي، ج ١ ص ٥٨ رقم ١٩.

في القرآن من الفرائض والأحكام هي من اللدنيات مع الأبد بإجماع الأمة وإطباق كلمات العلماء جميعاً فقد اتفقت كلمتهم على أن ما جاء في القرآن من تشريع وفرائض وأحكام هي أبدية مسجلة على كاهل الدهر مع الأبد.

وعليه، فمن كان يحمل في طئه العقيدة بأن القرآن كلام سماوي نزل من عند الله وأن ما فيه، هي أحكام وفرائض فرضها الله تعالى للبشرية جمعاء على طول الدهر، فلا محال له أن يحدث نفسه بما شاء وأما إذا لا يعتمد ذلك ويرى أنها أحكام صادرة من عقيدة بشرية أرضية لفقتها - والعياد بالله - ذهنية محمد ﷺ حسبما رآه في وقته وإن كان نسبها إلى الله في ظاهر تعبيره كما يراه هؤلاء المنتحرفون، فليتحدثوا بما شاوروا إلى ما لا نهاية من هراءات ولا كلام لنا معهم ونذرهم في طغيانهم يعمهون

#### دية المرأة على النصف

وإذا قد عرفنا موضع كل من الرجل والمرأة في الحياة العائلية وفق مارسها الإسلام، نعرف مبلغ الخسارة التي تتحمّلها العائلة على أثر فقدان عضوها من ذكر أو أنثى إنها إذا افتقدت أنثى فقد خسرت كأفلة العتده ومرتبها التي تنص عليها بالعطف والحنان وفي رفق ومدارة أما إذا افتقدت ذكراً فقد خسرت حاميتها وكافل مؤونتها، وخسرت أضعاف ما خسرت عند فقدان أنثى

والدية جبران للخسارة إلى حدّ ممكن ومعمول، ومن ثمّ تحاسب على قدر ما خسره المجنى عليه عرفياً، وقد قدره الشارع الحكيم بمقادير هو أعلم بسكافونها مع مقادير الخسارة لواردة فليس هناك تفصيل وإنما هو تدير إليه حكيم والمزعومة في حديث المواريث جرت ها أيضاً وهي كأختها مرفوضة ولاسيما على وجه التنبيه الأخير

والغريب - هنا - ما شدّ عن بعض المعاصرين من القول بتساوي دية المرأة مع الرجل إطلاقاً، سواء كان في النفس أو الطرف، نظراً لإطلاق أدلة الدية وعدم دليل معتبر

على التعريق فيما حسب. وهكذا رعم تتساوي في القصاص من غير ردّ التفاضل، وهو خلاف إجماع الفقهاء عامتهم وخاصّتهم

قال ابن رشد الأندلسي و تَعْقُوا عَلَى أَنْ دِيَةَ لِمَرْأَةٍ نِصْفُ دِيَةِ الرَّجُلِ فِي النَّفْسِ وَخْتَلَفُوا فِي الشَّجَاحِ وَعُضَائِهَا، فَقَالَ جَمْهُورُ فَهَاءِ الْمَدِينَةِ تَسَاوَى الْمَرْأَةُ لِلرَّجُلِ فِي عَقْلِهَا مِنَ الشَّجَاحِ وَالْأَعْضَاءِ إِلَى أَنْ تَلْعَ ثَلَاثُ الدِّيَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ ثَلَاثَ الدِّيَةِ عَادَتْ دِيَتُهَا إِلَى النِّصْفِ مِنْ دِيَةِ الرَّجُلِ، أَعْنِي دِيَةَ عُضَائِهَا مِنْ عُضَائِهِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ فِي كُلِّ إصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهَا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ، وَفِي أَيْمَنِ مِثْلِهَا عَشْرُونَ، وَفِي ثَلَاثَةِ ثَلَاثُونَ، وَفِي أَرْبَعَةِ عَشْرُونَ وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ عَلَى النِّصْفِ مَطْلَقًا فَاسَاءً وَسَأَلَ رُبْعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ - الْمَعْرُوفُ بِرُبْعَةِ الرَّأْيِ - سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَمْ فِي أَرْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهَا؟ قَالَ عَشْرُونَ قَالَ رُبْعُهُ قُلْتُ حِينَ عَظُمَ حَرْحُهَا وَاشْتَدَّ بَيْنُهَا بَعْضُ عَقْلِهَا (أَي دَبْسُهَا) قَالَ سَعِيدُ أَعْرَاقِي أَنْتَ؟ [حَيْثُ تَقْبِضُ] قُلْتُ بَلْ عَالِمٌ مُتَثَبٌ أَوْ جَاهِلٌ مُعَلَّمٌ، فَقَالَ سَعِيدُ هِيَ السَّنَةُ<sup>٢</sup>

وردوا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: دية المرأة على النصف من دية الرجل

وردوا عن رسول الله ﷺ المرأة بعدل الرجل إلى ثلث الديه<sup>٣</sup>

قال عميد الطائفة الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان والمرأة تساوي الرجل في ديات الأعضاء والجوارح حتى تبلغ ثلث الدية، فإذا بلغت رجعت إلى النصف من ديات الرجال مثال ذلك أَنَّ فِي إصْبَعِ الرَّجُلِ إِذَا قُطِعَ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ، وَكَذَلِكَ فِي إصْبَعِ لِمَرْأَةٍ سَوَاءٌ وَفِي الْإِصْبَعَيْنِ مِثْلُهَا عَشْرُونَ، وَفِي ثَلَاثِ أَصَابِعٍ مِثْلُهَا ثَلَاثُونَ، وَفِي أَرْبَعِ أَصَابِعِ الرَّجُلِ أَرْبَعُونَ مِنَ الْإِبِلِ، وَفِي الْمَرْأَةِ عَشْرُونَ، لِأَنَّهَا زَادَتْ عَلَى الثَّلَاثِ فَرُجِعَتْ بَعْدَ الزَّيَادَةِ إِلَى أَصْلِ دِيَةِ الْمَرْأَةِ - وَهِيَ النِّصْفُ مِنْ دِيَاتِ الرِّجَالِ - ثُمَّ عَلَى الْحِسَابِ كُلَّمَا زَادَتْ أَصَابِعُهَا وَجَوَارِحُهَا وَعُضَاؤُهَا عَلَى الثَّلَاثِ رُجِعَتْ إِلَى النِّصْفِ قَالَ

١ - منتخب الأحكام ليوסף الصائغي ص ٢٤٩ م ٧٩٧ ٢ - يد يد المجاهد لابن رشد ج ٢ ص ٤٦٠

٣ - الفقه على المذاهب الأربعة للحريري، ج ٥ ص ٣٧١

وبذلك ثبتت السنة عن بيّ لهدى ﷺ وبه تواترت لأخبار عن الأئمة من آلِهِ ﷺ<sup>١</sup>  
وبذلك صرّحت صحبته بأن عن الصادق عليه السلام وقد أجاب الإمام في دفع استعراب  
أبان ما أجاب سعيد بن المسيب لربيعه الرّبيّ ولِ عِلَّة يا أبان، إنك أخذتني بالقياس،  
والسنة إذا قيست معق الدين<sup>٢</sup>

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي دية المرأة نصف دية الرجل، وبه قال جميع  
الفقهاء وقال ابن علية والأصم - من العامة - هما سواء في الدية قال دليلنا إجماع  
الفرقة وأيضاً روي عن النبي ﷺ ذلك وروي معاذ نحو هذا عن رسول الله، وهو إجماع  
الأئمة وروي ذلك عن علي عليه الصلاة والسلام

قال المرأة تعامل الرجل إلى ثلث دينها في الأروش المفدرة، فإذا بلعته فعلى  
النصف قال دليلنا إجماع الفرقة وأخبارهم ومصر السنة في كلام سعيد بسنة النبي ﷺ  
وإجماع الصحابة والتابعين<sup>٣</sup>

وقال السيّد العاملي وجماعتنا محض ومحكم في كلام جماعة، وفي الرياض أن  
حكايه مستفيضة حد الاستفاضة مصدقاً إلى الصحاح المستفيضة وغيرها من المعتمدة  
التي كادت تكون مواتره ولم ينقل الخلاف عن أحد من علماء المسلمين سوى ما عن  
ابن علية والأصم على ما حكاه الشيخ<sup>٤</sup>

أمّا الروايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام فتألف حدّ التواتر وفيها الصحاح وذوات  
الاعتبار على حدّ الاستفاضة كما ذكره السيّد القباطي صاحب الرياض  
روي محمد بن يعقوب الكليني بإسناده الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ودية  
المرأة نصف دية الرجل<sup>٥</sup>

وأيضاً بإسناده الصحيح عنه عليه السلام في رجل قبل امرأة متعمداً، قال إن شاء أهبتها أن

١ - المعجم للمفيد، ص ١٧٦٤، ووسائل الشيعة ج ٢٩، ص ٢٥٣

٢ - وسائل الشيعة، ج ٢٩، ص ٣٥٢، باب ٤٤ من أبواب ديات الأعضاء

٣ - كتاب الخلاف للطوسي، ج ٢، ص ٣٩٠-٣٩١ مسألة ٦٣ و ٦٤.

٤ - مفتاح الكرامة للسيّد العاملي ج ١٠ ص ٣٦٨

٥ - الكافي، ج ٧، ص ٢٩٨، رقم ١ ووسائل الشيعة ج ٢٩، ص ٢٠٥، باب ٥ من أبواب الديات



يقتلوه ويؤدّوا إلى أهله نصف الدية، وبث ثوب واحد ونصف الدية خمسة آلاف درهم<sup>١</sup> وفي الصحيح أيضاً سئل عن رجل قتل امرأة خطأ، قال عليه الدية خمسة آلاف درهم<sup>٢</sup>

وروى الشيخ بإسناد صحيح عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في الرجل يقتل المرأة، قال: إن شاء أولياؤها قتلوه وغرموا خمسة آلاف درهم لأولياء المقول، وإن شاؤوا أخذوا خمسة آلاف درهم من الغاتل.<sup>٣</sup>

وأورد الحرّ العاملي في باب ٥ من أبواب الديات<sup>٤</sup> والباب ٢٣ من أبواب القصاص في النفس<sup>٥</sup> أحاديث متظاهرة منها صحاح في أنّ دية المرأة نصف دية الرجل سواء في الخطأ أو العمد، وكذلك في ردّ المصاص إذا كان القاتل رجلاً

وأورد في الباب ٤٤ من أبواب ديات لأعضاء<sup>٦</sup> والباب ٣ من أبواب ديات الشجاج والجراحات<sup>٧</sup> أنّ المرأة تعاقب الرجل بما أن تبلغ ثلث الدية فإذا جاورت الثلث رجعت إلى النصف حديث متظافر من متواتر

وعليه، فلا محال للتشكيك في نمسأله من لتاحنة المعهية حسب صوابت الأصول

### المرأة في مجال الشهادة

قال تعالى «واششهدوا فشهدت من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تصل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»<sup>٨</sup>

كانت شهادة رجل واحد تعادل شهادة امرأتين، ولماذا؟ وجاء التعليل في الآية بأن إحداهما قد تصل فيما نحملته حين الأداء، فكانت

١- الكافي، ص ٢٩٩، رقم ٤.

٢- المصدر رقم ٥.

٣- تهذيب الأحكام للطوسي، ج ١، ص ١٨٢، رقم ٧١٣.

٤- وسائل الشريعة ج ٢٩، ص ٢٠٥-٦، وفيه أربعة أحاديث ط آ البيت

٥- المصدر ص ٨٠-٨٧ وفيه ٢٦ حديثاً

٦- المصدر ص ٣٥٢-٣٥٣ وفيه ثلاثة أحاديث.

٧- المصدر ص ٣٨٢-٣٨٤ وفيه حديثان.

٨- البقرة ٢٨٢.

الأخرى هي التي تذكرها ما غاب عنها. فكانت شهادة المرأتين بتذكر إحداهما للأخرى، بمنزلة شهادة رجل واحد.

وذلك أن المرأة أكثر عرضة للسيان فيما لا يعود إلى شؤون نفسها بالذات مما لا يهتمها في حياتها الأتنية. فربما لاتضبط تفاصيل ما تحمّلته بجميع خصوصياته وحزباته ولاسيما إذا بعد عهد الأداء عن عهد التحمل. فكانت كل واحدة منهما تذكر الأخرى ما ضلّ عنها، وبذلك تكمل شهادتهما معاً كشهادة واحدة بتلقيق بعضها مع بعض وضم بعضها إلى بعض، بتفاعل الذاكرتين وتعاملهما بعضاً إلى بعض. الأمر الذي لا يجوز في شهادة الرجال، فلو اختلفت الشهادات ولو في بعض العصوريات فقدت اعتبارها ومن ثم جاز التفريق في شهادة الشهود لفرض الاستيثاق.

قال الشيخ محمد عبده: إن الله تعالى جعل شهادة المرأتين شهادة واحدة، فإذا تركت إحداهما شيئاً من الشهادة كأن نسيته أو ضلّ عنها تذكرها الأخرى وتتم شهادتها. وللقاضي بل عليه أن يسأل إحداهما بمحضور الأخرى ويعتدّ بجزء الشهادة من إحداهما وبياقية من الأخرى. قال: هذا هو الواجب وإن كان القضاء لا يعملون به جهلاً منهم. وأما الرجال فلا يجوز له أن يعاملهم بذلك، بل عليه أن يفرّق بينهم، فإن قصر أحد الشاهدين أو نسي فليس للأخر أن يذكره، وإذا ترك شيئاً تكون الشهادة باطلة، يعني إذا ترك شيئاً مما يبين الحق فكانت شهادته وحده غير كافية لبيانه فإنه لا يعتدّ بها ولا بشهادة الآخر وإن بيّنت<sup>١</sup>

وقالوا في سبب ذلك: إن المرأة ليس من شأنها الاهتمام بالأمر المالية ونحوها من المعامضات، فذلك تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولاتكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل، يعني أن من طبع البشر - ذكراً وإناً - أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهتمهم ويكثر اشتغالهم بها ولا ينافي ذلك اشتغال بعض نساء الأجانب في هذا العصر بالأعمال المالية، فإنه قليل لا يعول عليه. والأحكام العامة إنما تناط بالأكثر في الأشياء وبالأصل فيها.<sup>٢</sup>

نعم، المرأة إنما تهتمُّ بهتمامها ابلع بما يعود إلى ذات نفسها وإلى ما يرتبط وشؤونها الأنثوية وزنارج الحياة، ولا تغير شؤون خارج حياتها لأنثوية الزخرفية ذلك الاهتمام وتبعاً لذلك يكون عمل دأكرتها - عني عرر سائر فواها العقلانية والجسمانية - في هذا الجانب ينمو ويشند، وينمى أسسها يأخذ في انضعف والوهن في الجانب الآخر وفي دراسة عميقة بشأن حالة المرأة، النسبة جاءت في آية أخرى «أو من يُنشأ في الخلية وهو في الخضم غير مُبين» وهو من أدقّ العابير في معرفة النفس بشأن المرأة إنها ترى كمالها في جمالها، وترى جمالها في زيارح حبيبها من ذهب وقصة وأحجار كريمة ومن ثم فهي في مظلمات الحياة ومصطدماتها بطر حائرة ورما تضيق عليها الحال فلا يمكنها الإعراب عما في صميمها أو تلجج وبصطرب لها، المبال

ولذلك نرى الشرع قد أمسحت لها المحال واكتفت بشهادتهن لوحدتهن في أمور تخص شؤون النساء - في مثل الولادة والعمل وحبس وماشابهه - مما لبس للرجال فيها شأن



وهكذا ذكر سيد قطب في تفسير الآية، قال إنما دعا الرجال لأنهم هم الذين يزاولون الأعمال عادة في المجتمع المسلم السوي الذي لا تحتاج المرأة فيه أن تعمل لتعيش، وتهدر جانب أمومتها وأبويتها وواجبها في رعاية أئمن الأربعة الإنسانية - وهي الطفولة الناشئة المعثلة لحيل المسعير - في مقابل لقومات ودرهمات تنالها من العمل، كما تضطر إلى ذلك المرأة في المجتمع شكك المسحوف الذي يعيش فيه اليوم!

ولكن لماذا امرأتان؟ إن النص لا يدع نحس، ففي مجال التشريع يكون النص محدداً واضحاً معللاً «أن تصل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى» والصلال هنا يشأ من أسباب كثيرة فقد يشأ من فله خبرة المرأة بموضوع لتعاقد، مما يجعلها لا تسوعب كل دقائقه وملابساته بحيث تؤدي عنه شهادتها دقيقة عند الاقتضاء، فتذكرها الأخرى بالتعاون معاً على تذكر ملابسات الموضوع كله وقد يشأ من طبيعة المرأة الانفعالية،

فإنها بوظيفتها الأمومية شديدة الاستجابة لوجدانيه لانفعالية لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لا ترجع فيهما إلى تفكير نظري. وهذه الطبيعة لا تتحزراً، فالمرأة شخصية موحدة، هذا طابعها حين تكون امرأة سوية يسما الشهاده على التعاقد بحاجة إلى تجرّد كبير عن الانفعال، ووقوف عند الوقائع بلا تأثر ولا يحياء. ووجود امرأتين فيه ضمانه أن تذكر إحداهما الأخرى - إذا حرفها الانفعال - فتتذكر ونفي إلى الوقائع المجردة<sup>١</sup>

وبعود السر في ذلك كله، إلى بعض ضبط فيهن، لأسباب نرجح إلى طبيعتها الأثوثية. قال الطبرسي لأن النسيان يغيب على نساء أكثر ممّا يغلب على الرجال<sup>٢</sup> أي في مثل الأمور التي لا تحسن شؤونها النسبية وتربية الأولاد

#### نكتة أدبية في الآية

أمّا لحاداً تكرّرت لفظة «إحداهما»؟ ما كان يكفي أن يقول «أن تفضل إحداهما فتذكرها الأخرى»؟

لكن نظراً لفحوى الآية كان هذا التعبير غير واف بمفادها، إذ هذا التعبير إنما يعني أن إحداهما إذا سست شيئاً ممّا تحمّلتها فإن الأخرى تذكرها وهذا ليس مقصود الآية بل المقصود أن كلتيهما عرضة للخطأ والسيئ، فتقوم كل واحدة منهما بسميم أو تكميل ما نقص من شهادة صاحبتها فهذا التعامل والتفاعل في شهادتهما ونكامل شهادة كل منهما بشهادة الأخرى تعدّ شهادة واحدة كامنة في مقابل شهادة الرجل الكاملة بوحدها.

ومن ثمّ وحب إعادة «إحداهما» - بلفظه لا بضميره - لإفاده هذا المعنى<sup>٣</sup>

وذكر الطبرسي وجهاً آخر نقده عن الوزير الأديب الحسين بن علي المغربي وهو أن المعنى: أن تفضل إحدى الشهادات عن إحدى المرأتين فتذكرها بها المرأة الأخرى. فجعل «إحدى» لأولى للشهادة والثانية لمرأه. قال معناه أن تفضل إحدى الشهادات أي

١ - راجع: في ظلال القرآن لسيد قطيب، المجلد الأول، ص ٤٩٣ مع احتزال يسير

٢ - راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ٣٩٨ وتفسير القاسمي، ج ١، ص ٦٣٥.

٣ - راجع: تفسير المنار لمحمد عبده، ج ٣، ص ١٢٢

تضيق بالنسيان، فتذكر إحدى المرأتين الأخرى، وبذلك لم ينكر اللفظ  
وأئده الطبرسي بأن نسيان الشهادة لا يستلزم ضلالاً ولا يستلزم ناسي الشهادة ضالاً  
لأن الضلال معناه الضياع، والمرأة لا تضيع، ونقل لشهادة ضلت إذا ضاعت كما قال  
سبحانه. «قالوا ضلوا عنا» أي صاعوا ما<sup>٢</sup> ومثله «لا يوصل ربّي ولا ينسى»<sup>٣</sup>  
لكن الزمخشري فسر الآية على ظاهرها، قال «أن تصل إحداها» أن لا تهدي  
إحداهما للشهادة بأن تسيها، من قولهم صل الطريق، إذا لم يهتد إليه<sup>٤</sup> فيكون الضلال  
هنا بمعنى عدم الاهتداء

وقوله تعالى «ضلوا عنا» أي ذهبوا عت وفتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا  
وظلت عبادتنا أيهم<sup>٥</sup> وقوله «لا يوصل ربّي» أي لا يذهب عليه شيء،<sup>٦</sup> بمعنى لا يفقد  
ولا يغيب عنه

وقد فسر الراغب «الضلال» في الآية بمعنى النسيان<sup>٧</sup>

### المرأة في مجال القضاء

القضاء باعتباره منصباً رسمياً لفصل الخصومات في النظام الإسلامي الحاكم وهو  
منصب خطير وذو مسؤولية جسيمة فإنه لا يصلح للمرأة - وهي ذات نفسية مرهقة - أن  
تتصدى له، على غرار سائر المسؤوليات الحظيرة مما هو من شؤون الولاية العامة،  
الخاصة بولي أمر المسلمين

وبذلك اتفقت كلمة الفقهاء على أن قضاء من شؤون الولاية الكبرى الخاصة بإمام  
المسلمين،<sup>٨</sup> وكل شأن من شؤون الولاية الكبرى في الحكم الإسلامي لا يجوز إيكاله إلى

١ - الأعراف ٧: ٣٧ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٩٨

٢ - طه ٢: ٥٢، والآية ذكرها الشيخ محمد عبده تأييداً للطبرسي حسب الظاهر

٣ - الكشاف، ج ١، ص ٣٢٦ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٤١٦

٤ - المصدر، ج ٧، ص ١٢

٥ - أي في قوله تعالى: «أن تصل إحداها فتذكر إحدى الأخرى» البقرة ٢: ٢٨٢

٦ - قال الشهيد السيد أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي وهو القضاء ولاية شرعية على الحكم في المصالح العامة من  
قبل الإمام الدروس الشرعية، ص ١٦٨

امراً ولا تصلح لحمل عبئه الثقيل وقد نكر النبي ﷺ على قوم (يريد بهم الفرس يومذاك) <sup>١</sup> ولوا أمرهم امرأة وأبذروهم بعدم الفلاح قال «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» <sup>٢</sup> وقد أوصى النبي ﷺ إلى علي عليه السلام ومن حميتها ما جاء بشأن النساء: «ولا تولي القضاء» <sup>٣</sup> وفي حديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام «ولا تولي المرأة القضاء ولا تولي الإمارة» <sup>٤</sup> والعمدة إجماع لعهاء على ذلك لم يخالف فيه أحد <sup>٥</sup>

وعُلل ذلك بما ورد في القرآن في وصف شأنهن بأنهن مرهفات الحال، رفقات البال، فاقدات تلك الصلابة التي تناسب ومصب القضاء قال تعالى «أَوَمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» <sup>٦</sup> إنها لنعومة بالها ورقة خاطرها سرعة الانفعال، تحن إلى العطف والحنان أكثر مما تحن إلى الحزم ولعل الرشيد ولذلك قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتبه إلى ابنه الحسن عليه السلام «ولا تملك المرأة من أمرها ما جاور نفسها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» <sup>٧</sup> إشارة إلى ما جاء في الآية الكريمة من نعومة حال المرأة بما تفقدها صلاحية التصلب أمام فصل الخصومات

وللبحث هنا جوانب حقاها في دراسنا الفقهاء بشكل مستوعب، فلنراجع

هناك

## المرأة في مجال الحضانة

اشتهر القول بأن حق حضانتها بشأن ولدها البين ينهي بانتهاء أمد الرضاعة وهي الستتان. أما في السنوات فالتقضاء سبع سنين.

لكن أبا جعفر الصدوق جعل أمد حضانتها مالم تتزوج، من غير فرق بين البنين

١ - حيث ولوا أمرهم حينذاك امرأة (بورتندحت) هي ابنة خسرو پرويز

٢ - من البيهقي، ج ١٠، ص ١١٨ ومسند أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٣٨ و ٤٣ و ٤٧ و ٥١ بألفاظ وتعابير متضاربة.

٣ - من لا يعطره الفقيه للصدوق، ج ٤، ص ٢٦٣

٤ - بحار الأنوار ج ١٠٠، باب جوامع أحكام النساء، ص ٢٥٤، رقم ١

٥ - لذلك شرح طويل عرصاء هي محال الفقه ٦ - الزحري ٤٣: ١٨

٧ - نهج البلاغة، كتاب رقم ٣٦، ص ٤٠٥

والبنات.<sup>١</sup> وذكر في جامع حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام سُئل عن رجل طلق امرأته وبينهما ولد، أيهما أحق به؟ قال المرأة ما لم تتزوج<sup>٢</sup> والولد يطلق على الذكر ولا أنثى وذكر ابن العنبد الإسكافي (ت ٣٨١) - وكان معاصراً للصدوق - أن الأم أحق بالصبي إلى سبع سنين، فموج وزها ولم يبلغ رشد عقله بقي على حضانه الأم حتى يرشد وأما البنت فالأم أحق بها من غير تحدده بالنسب، ما لم تتزوج الأم<sup>٣</sup>

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠) في المبسوط الطفل ما لم يميز يكون في حضانه الأم والتعفة على أبيه فإذا مَرَّ فيما إذا بلغ سبع أو ثماني سنين فما فوقها إلى البلوغ، فإن كان ذكراً فالأب أحق به، وإن كانت أنثى فالأم أحق بها أيضاً ما لم تتزوج الأم<sup>٤</sup> واسند في ذلك إلى روايات الأصحاب، وهكذا ذكر في كتاب الخلاف<sup>٥</sup> وذكر قريباً منه القاضي ابن البراج الطبرلي (ت ٤٨١)<sup>٦</sup> وهو من أعلام فقهاء الإمامية الموقنين

والرواية الوحيدة ذات السند الصحيح في الباب وقد عمل بها لأصحاب هي ما رواه الصدوق بإسناده إلى عبد الله بن جعفر نجمي عن أيوب بن روح - كوفي ثقة - قال كتب إليه (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) بعض أصحابه أنه كاتب لي امرأة ولي منها ولد وخلّيت سبيلها، فكتب عليه السلام في جوابه: امرأة أحق بالولد إلى أن يبلغ سبع سنين، لا أن تشاء المرأة.<sup>٧</sup>

وهكذا ابن إدريس في المستطرفات بالإسناد إلى أيوب، قال: كتبت إليه: جعلت فداك، رجل تزوج امرأة فولدت منه ثم فارقها، متى يجب له أن يأخذ ولده؟ فكتب عليه السلام إذا صار له سبع سنين، فإن أخذه فله وإن تركه فله<sup>٨</sup>

هاتان روايتان صحيحتا بالإسناد، جعل حق الحضانه للأم بشأن ولدها إلى سبع

١ - ذكره العلامة في المختلف، ج ٧، ص ٦. ٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٧٥ باب ١٢٧، رقم ٢

٣ - المختلف للعلامة ج ٧، ص ٣٠٧

٤ - المبسوط للطوسي، ج ٦، ص ٣٩ والخلاف، كتاب التعف، ج ٢، ص ٣٣٥ مسألة ٣٦

٥ - راجع كتابه المهذب، ج ٢، ص ٢٥٢ ٦ - وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٧٢، رقم ٦ و ٧

٧ - المصدر، رقم ٦ و ٧

سنيين، ذكرراً أو أنثى ولا معارض لهما ولا تنقيده، والعمل بهما متعين  
ولذلك قال السيد محمد العاملي صاحب المدارك والذي يفتضيه الوقوف مع  
الرواية الصحيحة أن الأم أحق بالولد أبي ن يسع سبع سنين مطلقاً<sup>١</sup>  
ومن الفقهاء المعاصرين سيدنا الأستاذ لإمام الخوئي طاب ثراه اختار هذا الرأي  
وجعل حق لحصانة للأم إلى سبع سنين سواء على النسب والبنات<sup>٢</sup>  
وهذا هو أيضاً مقتضى قوله تعالى «لا تُضَارُّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا»<sup>٣</sup> بعد أن كان ذلك حكماً  
عاماً يشمل جميع أنحاء الإصرار بها من جانب ولدها، إذ فصل عنها بعد النكاح وقد  
لفظنا الكلام عن ذلك في مجال الفقه

### الطلاق والعدة والعقد

مما أخذ على الإسلام وعلى القرآن بهنداب طلاق سراح الرجل بشأن المرأة في  
الطلاق والإمساك وإعصالها عن أن تملك نفسها إلا حيث شاء الزوج، حقاً قانونياً له  
دورها، الأمر الذي يجعلها مهانة لا وزن لها في نحياء الزوجية مادامت لا تعدو متعة للرجل  
يعت بها حسبما شاء!

وهذا من الأثر المتبقي من أعراف جاهلية أولى، قام الإسلام بتعديلها وربما أهدأ  
بجانيتها ولكن في شيء لم يرفعها إلى حيث كرمتها الإنسية العليا  
قال الشيخ محمد عبده كان للعرب في نكاحية طلاق ومراجعة في العدة، ولم  
يكن للطلاق حد ولا عدد فإن كان لمغاضبة عارضة عاد الزوج واستقامت عشرته، وإن  
كان لمضارة المرأة راجع قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقاً، ثم يعود إلى ذلك المرأة بعد  
المرّة أو يفيء ويسكن غضبه، فكان المرأة ألغوبة بيد الرجل يضارّها بالطلاق ماشاء أن  
يضارّها، فكان ذلك ممّا أصلحه الإسلام من أمور لاجتماع<sup>٤</sup>

١ - نهاية المرام للعاملي، ج ١، ص ٤٦٨.

٢ - منهاج الصالحين، ج ٢، ص ٢٦١ مسألة ٩، فصل ٩ في أحكام الأولاد

٣ - الآية ٢٢٢، ٤. راجع، تفسير المنار، ج ٢، ص ٢٨١.



وذكر في سبب نزول الآيات ٢٢٨-٢٣٢ من سورة البقرة بهذا الشأن. أنَّ الرجل كان يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته يد ارجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر، حتى قال رجل لامرأته والله لا أطفك فتيني، ولا آويك أبداً قالت: وكيف ذلك؟ قال: طلقك، فكلما هممت عدتك أن تقضي راحتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأحبرتها، فصبرت عائشة حتى جاء النبي ﷺ فأحمره بذلك، فسكت النبي هنيئة حتى نزل القرآن «الطلاق مَرَّتَانِ فَإِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ أَوْ تَشْرِيحٌ بِحَسَابٍ... فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَقٌّ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ...» إلى آخر الآيات<sup>١</sup>

حاول بعض الكتاب المعاصرين أن يجعل من التشريعات الإسلامية متأثرةً بعض التأثير بتقاليد كانت سائدة ذلك العهد، فهو وإن كان قام بتعديلات خطيرة في تقاليد العرب لكنه مع ذلك اضطرَّ إلى الرصوح لبعض تقاليدهم جرياً مع مقتضيات الزمان، ومنها أمر الطلاق حيث جعله بيد الرجل وفقاً مع عرف القوم السائد آنذاك ولا سيما إذا مالا حظاً أنَّ التشريعات الإسلامية في مثل هذه الشؤون إصصائية وليست تأسيسية كما هو معروف<sup>٢</sup>



ولنا أن نتساءل هل تمارل الإسلام في تشريعاته الأولى -ولو في جوانب منها- إلى حيث مستوى ثقافة ذلك العهد وتلاؤماً مع مقتضيات عصره حتى تصبح صالحة للتغيير مع تطوُّر الزمان؟

العواب كلاً، ولا سيما التشريعات التي جاءت نصاً في القرآن الكريم الإسلام جاء بثقافة جديدة شاملة ليرفض كلَّ تقاليد جاهلية كانت سائدة ذلك اليوم، وألبسها ثوب الحلود «حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»<sup>٣</sup> إلا ما كان من قبل التدبير في شؤون السياسية لإدارة البلاد وفق شرائط الزمان على ما أسلفنا ومن ثم كانت التشريعات الإسلامية منذ البدء تنقسم إلى قسمين

١- النذر المنشور، ج ١، ص ٦٦٢؛ ومجمع البيان، ج ٣، ص ٣٢٩

٢- الدكتور حسين مهرپور أخصائي في الحقوق مجلته «تأمة معية» العدد ٢٩، ص ١٦٦

٣- راجع، صحيحه روضة في الكافي، ج ١، ص ٥٨، رقم ١٩

أساسيين ثابتة ومتغيرة أما لكاتبة فهي التي شرّعت وفق مصالح عامة عموماً يشمل الأجيال والأزمان مدى الدهر، وهي الأصل في الشريعة حسب ظاهره الأولي، لا إذا دلت القرائن على أنها من المتغيرات، وهي التي شرّعت لمصالح وقتية تنوط ببقاء تلك المصالح وتذهب بروالها وهذا في جانب الأحكام السياسية الصادرة من أولي الأمر نجده بكثير وقد فصلنا الكلام في ذلك وذكرنا المعايير التي يمكن التمييز بين القسمين، والأصل المرجع عند الشك<sup>١</sup>

أما القول بالتنازل والمداهمة والمحاميه مع القوم فهي عقيدة باطلة برفضها أصالة لتشريع الإسلام المستند إلى وحي السماء، ويأبى الله ورسوله ذلك «ولئن اتَّخَذْتَ أهواءَهُمْ لَفُتَّ دُونَكُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ مِن آفَةٍ مِّنَ الْوَالِيِّ وَلَا تَصِيرُ»<sup>٢</sup>



وسؤال آخر هل كان الطلاق والرجوع في العدة - بذلك الشكل الفطري - عادة جاهلية ليكون موضع الإسلام منها تعديلها إلى وجه صحيح؟ قال الشيخ محمد عبده كان للعرب في جاهلية طلاق ومراجعة في العدة، ولم يكن للطلاق حد ولا عدد فكان ذلك ممّا أصححه الإسلام في حين أن جوار الرجوع في العدة - في الطلاق الرجعي - وكذا تشريع العدة للطلاق أمر لم يكن للعرب ولا لسائر الأمم عهد بذلك من ذي قبل، وإنما هو من مبدعات الإسلام ونشريعاته التأسيسية الحكيمة حتى أن الإمام عبده استشهد بقضية وقعت في عهد متأخر في المدينة، حيث جاءت المرأة وشكت عند عائشة لترفع أمرها إلى النبي ﷺ ونزلت آيات من أخريات سورة البقرة، ولعلّها في العام السادس أو لسابع للهجرة! وقد صرح الطبري بأنه كان على عهد النبي، وكان رجلاً من الأنصار.<sup>٣</sup>

١ - نجد جانباً من ذلك في رسالتنا «ولاية العقبه» الفارسيه ص ١٧٢-١٧٤

٢ البقرة ٢- ١٢ وفي آية أخرى: «وَلْيَنكِحُوا أَمْهَرَهُمْ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْإِيمَةُ إِنَّكَ إِذْنُ لِّبَنِي الْفَالِغِينَ» البقرة ٢٠

١٤٥ وفي ثالثة: «وَلْيَنكِحُوا أَكْثَرَهُمْ مِّنْ فِي الْأَرْضِ يَطْمَئِنُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ» الأنعام ٦- ١١٦

٣ - جامع البيان، ج ٢ ص ٢٧٦

هذه، وقد أخرج أبو داود وابن أبي عمير والبيهقي في سننه عن أسماء بنت يربد الأنصارية، قالت طَلَّقْتُ على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله - حين طَلَّقْتُ - العدة للطلاق «وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»<sup>١</sup> فكانت أول من أنزلت فيها العدة للطلاق.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال كان أهل الحاهلية يطلق أحدهم لسبب لذلك عدة<sup>٢</sup> وأما الرواية الأخرى عن قتادة بأن لطلاق لم يكن له في الحاهلية عدد وكانوا يراجعون في العدة<sup>٣</sup> فبطل الدليل بزيادة من لروى أو بيان للمراجعة بعد شريع العدة في الإسلام، إذ لا تقاوم هذه الرواية ما تقدم من روايات مستتبضة

\*\*\*

وسؤال ثالث هل الطلاق بعد الرخص ورهن برادته على الإطلاق؟

ذهب المشهور إلى ذلك استناداً إلى قوله ﷺ «بُعَا الطَّلَاقُ بَعْنُ أَحَدٍ سَالِسٍ»<sup>٤</sup> والحديث كما رواه ابن ماجه في السنن عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، إن سدي زوجتي أمه وهو يريد أن يعرق سبي ويسبها فصعد النبي ﷺ المنبر فقال أيتها الناس، ما بال أحدكم يروج عنه أمه ثم يريد أن يعرق بينهما؟! إنما الطلاق لمن أخذ بالساق

والحديث وإن كان بمختلف طرفه ضعيف الإسناد إلا أن الفقهاء تسالموا على الاستناد إليه، حتى أن صاحب الحوهر عثر عنه بأسبوي المقبول وذكر أن الحكم إجماعي، وقد أرسل المحقق حكمه باختصاص الصلاق بمائك لبضع إرسال المسلمان<sup>٥</sup>

١ - البقرة ٢: ٢٢٨

٢ - الدر المنثور، ج ١، ص ٦٥٦، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٥، رقم ٢٢٨٦؛ وسنن البيهقي، ج ٧ ص ٤١٤ كتاب العدد

٣ - جامع البيان ج ٢، ص ٢٧٦

٤ - سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٤١ باب ٦٦٧ طلاق المهر رقم ٢١٧ وفي كمر العتال ج ٩، ص ٦٤٠ رقم ٢٧٧٧ نقله عن الجامع الكبير للطبراني، وأورد الهيثمي في مجمع الروايات ج ٤ ص ٣٣٤ وعن عصمة الخ، وقال: فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف (هامش الكفر). أما عن ابن عباس - كما في سنن ابن ماجه والطبراني - ففي طريقه ابن لهيعة قال في الزوائد، وهو ضعيف (هامش ابن ماجه). ٥ - جواهر الكلام ج ٣٢، ص ٥.

وعليه، فلا شأن للمرأة في أمر الطلاق والفرق، وإنما هو رهن بإرادة الرجل حسب مشيئته الخاصة

\*\*\*

غير أن المسألة بحاجة إلى دقة ونظرة فاحصة  
الطلاق - وهو الفرق بين المتأمنين - لابد أن يكون عن كراهية معقدة لا يمكن حلها إلا بالمعارفة والكراهية إما من الزوج والطلاق رجعي، إذ كان عن دحول بها ولم تكن التطبيقية الثالثة، ولم تكن المرأة يائسة، وشرائط أخر مذكورة هي محلها، وإما من الروحة، فالطلاق حتمي، لأنها بدل مهرها لتتخلع أي تتخلص بنفسها وتنفدت عن قيد الزوجية

وإما من الطرفين، ويعبر عن ذلك في مصطلحهم بالمسافة، من المبارأة وهي التخلص والفصل بين الشريكين أو المتزاوجين يقال بارأ شريكه فاصله وفارقه وتارأ الزوجان، تمارقا

فالطلاق في الصورة الأولى عن رغبة الزوج، وفي الصورة الثانية عن رغبة الروحة، وفي الصورة الثالثة عن رغبة معاً  
فهل الطلاق في جميع هذه الصور بيد رجل محضاً ورهن إرادته، إن شاء فارقها وخلّى سبيلها، وإن شاء أمسكها بضرراً؟ ولا شأن للمرأة في ذلك ولا لولي الأمر إطلاقاً؟

وإليك بعض الكلام حول هذه المسألة لحظيرة لشأن  
جاء في الحديث السوي لمستفيض رَأَ امرأة - ولعلها جميلة بنت أبي بن سلول - تزوجها رجلٌ دميم (كراه المنظر) وأصدقها حديفة، فلما رآها كرهته كراهةً شديدة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ وأدت كراهتها له وقالت إني لأكرهه لدمامته وقبح منظره حينما رأيته، وزادت إني لولا معافاة الله لصقت في وجهه قالت إني رفعت الخباء فرأيتُه مقبلاً في عدو، فإذا هو أشدهم سوداً وقصرهم قاماً وأقبحهم وحياً قالت والله، لا يجمع

رأسي ورأسه شيء فقال لها رسول الله ﷺ: تردّين عليه حديثه؟ قالت: نعم، وأزیده. قال لها النبي لا، حديثه فقط. تردّدت عليه حديثه، ففرّق بينهما رسول الله ﷺ ويبدو أنّ ذلك كان بمغيب عن الرجل، وذلك لأنّ الرواية ذكرت أنّه لمّا بلغه قضاء رسول الله وحكمه بالفراق بينهما قال قد قبست قضاء رسول الله قال ابن عباس، وكان أوّل حلع وقع في الإسلام<sup>١</sup>

وظاهر الحديث أنّه في صورة كراهة نروحه ترفع أمرها إلى ولي الأمر (الحاكم الشرعي) وهو الذي يتولّى شأنها ويعصي بفرقها وليس للزوج الامتناع «وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»<sup>٢</sup> والمراد بقضاء الله والرسول أن يكون قضاء النبي وفق شرعة السماء، ولا يكون إلّا كذلك وعليه فقبول الرجل كان فرضاً عنه ولم يكن له الردّ وهكذا جاء في أحاديث أئمة أهل البيت عليه السلام

روى الشيخ بإسناده إلى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال لا يكون لخلق حتى تقول: لا أطيع لك أمراً ولا أبرّ بك قسماً ولا أقيم لك حداً فحد منّي وطلّعتني، فإذا قالت ذلك فقد حلّ له أن يخلعها ما ترصا عليه من فليح أو كنهر، ولا يكون ذلك إلّا عند سلطان فإذا فعلت ذلك فهي أمك بنفسها من غير أن يستمي طلاقاً<sup>٣</sup>

وروى بإسناده عن ابن بريع قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن المرأة تباري زوجها أو تخضع منه بشهادة شاهدين على غير طهر من غير جماع، هل تبين منه بذلك؟ أو هي امرأته ما لم يتبعها بطلاق؟ فقال: تبين منه قال: إنّه روي لنا أنّها لا تبين منه حتى يتبعها بطلاق قال عليه السلام ليس ذلك ذن حلع، فقال: تبين منه؟ قال عليه السلام نعم<sup>٤</sup>

وقد أفتى بذلك الشيخ وجماعه من كبار الفقهاء وأوجبوا على الزوج الإجابة على طلبها من غير أن يكون له الامتناع

١- راجع من البيهقي، ج ٧، ص ٣١٤، ومن ابن ماجة، ج ٢، ص ٦٣٣ باب ٦٥٨ والدر المنثور، ج ١، ص ٦٧-٦٧٢

وقد قلنا نحن بصورة منفقة والأكثر للدر

٢- الأحزاب ٣٣: ٣٦

٣- تهذيب الأحكام، ج ٨، ص ٩٨-٩٩، رقم ٣٣٦

٤- المصدر: رقم ٣٣٢

قال الشيخ في النهاية وإنما يجب خلع إذا قالت المرأة لزوجها. إني لأطيع لك أمراً ولا أقيم لك حداً فمتى سمع منها هذا القول أو علم من حالها عصيانه في شيء من ذلك وإن لم تنطق به وجب عليه خلعها<sup>١</sup>

قال العلامة في المختلف وتبعه أبو الصلاح الحلبي والقاضي ابن البراج في الكامل وعلي بن زهرة الحلبي<sup>٢</sup>

قال أبو الصلاح (ت ٤٤٨) فإذا قالت ذلك فلا يحل له إذ ذاك إمساكها.<sup>٣</sup> وقال ابن زهرة (ت ٥٨٥) وأما الخلع فيكون مع كراهة الزوجة خاصة الرجل، وهو مخير في فراقها إذا دعت إليه حتى تقول له: لئن لم تفعل لأعصين الله بترك طاعتك، أو يعلم منها العصيان في شيء من ذلك، فوجب عليه والحال هذه طلاقها<sup>٤</sup>

فإذا كان ذلك واجباً عليه ولم يكن له الامتناع عند ذلك لزمه طلاقها، أو يلزمه السلطان (ولي الأمر - الحاكم الشرعي) أو يتولى لهاكم ذلك بنفسه حسبما تقدم في ظاهر الحديث النبوي

على أن ذلك هو لازم اشتراط أن يكون بمحض السلطان، كما اشترطه أبو علي ابن جريد الإسكافي، أسسداً إلى حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فإن جئتم أن لا يقبض حدود الله فلا جرح عليها في الفتنة به»<sup>٥</sup> وهذا خطاب للحاكم.

فإن مقتضى هذا الاشتراط أن يقوّم الحاكم بتنفيذ الأمر حسبما يراه من مصلحتهما، إن إلزاماً للزوج أو التولي بنفسه

وقد ناقش صاحب الحواهر القوّن بوجوب خلعها على الرجل بعدم الدليل على الوجوب، إذ ليس في شيء من الروايات أمرٌ بذلك وبعدم تمامية كونه ردعاً عن المنكر مضافاً إلى كونه منافياً لأصول المذهب؛<sup>٦</sup>

١ - النهاية في مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ص ٥٢٩ ٢ - المختلف، ج ٧، ص ٣٨٣

٣ - الكافي في الفقه للحلي، ص ٣٠٧ ٤ - عيه النور لابن زهرة ج ١، ص ٣٧٤-٣٧٥

٥ - البقرة ٧، ٢٢٩ ٦ - المختلف، ج ٧، ص ٣٨٨

٧ - جواهر الكلام، ج ٣٣، ص ٣-٤

لكن جانب الإضرار بالمرأة - إذا لم تطق الصبر معه - يرفع سلطة الرجل على الطلاق حتى في هذه الصورة، إذ «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»<sup>١</sup> بمعنى، أنه لم تُشرع في الإسلام أي تشريع - سواء أكان تكليفاً أم وضعاً - إذا كان مordه ضررياً وهذه القاعدة حاكمة على جميع الأحكام الأولية في الشريعة المقدسة «وما بقول عليكم في الدين من حرج»<sup>٢</sup> ولا شك في أن الحكم باختبار الرجل بشأن الطلاق - حتى في صورة كون الزوجية أو تداومها حرجاً على المرأة وضاراً بها - حكم ضرري، فهو مرفوع، فعموم سلطة الرجل على أمر الطلاق مُحْصَصٌ بغير هذه الصورة

وهكذا ورد صحيحاً عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فيمن كانت عنده امرأة ولا يقوم بنفقتها قال: كان حقاً على الإمام أن يقر بينهما<sup>٣</sup>

على أن دليل عموم سلطة الرجل على الطلاق ضعيف، بعد كون مستنده الحديث النبوي المعروف «إنما الطلاق لمن أخذ بالاق»<sup>٤</sup>. وهذا الحديث بمختلف طرقه ضعيف الإسناد على ما تقدم عن الهيتمي في مجمع الروائد.<sup>٥</sup>

وعمد ما استدلل به صاحب الجواهر على ذلك هو الإجماع،<sup>٥</sup> ولم يكن دليلاً لفظياً ليكون له إطلاق أو عموم. إذن، فمستند العموم ضعيف الشمول.

وبعد، فإذا لم يكن لعموم سلطة الرجل على الطلاق دليل قاطع وشامل وكان أمر الخلع منوطاً بالتراجع لدى السلطان كان مقتضى ذلك هو إمكان إلزام الزوج بالطلاق إذا كانت المصلحة قاضية بذلك، ومدعماً بحديث «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»

وهناك بعض الشواهد عليه في بعض النصوص، كما في حديث حمزان عن الصادق عليه السلام وفي آخره: «والطلاق والتخيير من قبل الرجل، والخلع والمباراة يكون من قبل المرأة»<sup>٦</sup>.

١ - وسائل الشريعة، باب ٦ من أبواب موانع الإرت، حديث ١٠، ج ١٧، ص ١١٨.

٢ - الحجج ٢٢، ٧٨.

٣ - وسائل الشريعة، باب ٦ من أبواب النفقات، ج ٢١، ص ٤٠٩، رقم ١٧٦ و ١٧٧.

٤ - راجع هامش كثر المثال ج ٩، ص ١٤٠، وهامش ابن ماجه ج ١، ص ١٤١، ومجمع الزوائد ج ١، ص ٣٣٤.

٥ - جواهر الكلام، ج ٣٢، ص ٥.

٦ - وسائل الشريعة ج ٢٢، ص ٢٩٢، رقم ٤، باب ٦ من كتاب الخلع.

وهذا يعني أن أمر الخلع موطئ بمصلحة المرأة واختيارها، ولا خيار للزوج فيه مضافاً إلى ما فعله النبي ﷺ بشأن المحتلعه

إذن فطريق الخلاص للمرأة - إذ لم تطل الصبر مع زوجها - منفتح، وليست أسيرة رهن إرادة الرجل محصاً

بقي هنا شيء وهو كلام صاحب الجواهر بالمسافة مع أصول المذهب! ولم نتحققه، كيف وقاعدة لا ضرر ولا حرج هما البدن بشكلاّن قواعد المذهب، والعلم عند الله والسؤال الأخير ما هو سبب الفرق بين الرجل والمرأة، حيث كان الرجل مطلق السراح بشأن طلاق زوجته، وأمّا المرأة فبعد مراجعة المحاكم الشرعي ورهن تصميمه في الأمر؟

وهذا يعود إلى ما بين لرجل والمرأة من فروق في طبيعتهما، حيث هي مرهفة الطبع، رقيقة النفس، ذات عواطف جياشه، ثار لأي مؤثر وتنبري لأي وخرة، وكل أمر إذا أنط بجانب العاطفة السريعة التأثر ربّما أوجد مشاكك ومصاعفات لا يُحمد عفاها أمّا الرجل فبطبيعته الهادئة المتربته، وهو الذي تحمّل تكليف هذا لازدواج، ولا يمكن أن يتغافل عن عواقب سوء سوف نرتب على الفراق أحياناً، ويكون عباء ثقلها على عاتقه في الأعدب، فإنّه بذلك ولنغيره من الجهات لا يتسرع في الأمر مهما بلغ به الغضب أو ثارت ثائوته في حينه، مادام لم ينظر في عاقبته لأمر وما يترتب عليه من أثرا

ومع ذلك، فإنّ القوانين المدنية الحاكمة اليوم في البلاد الإسلامية تفرض على الرجل تربته المصاعف ومراجعة المحاكم لصالحة، من غير أن يكون مطلق السراح ونحن الآن - في ظل ولاية الفقيه - نرى مشروعية هذه القوانين المحددة من تصرفات الرجل العابثة وهذا من آثار الإيجابية لسطرة ولاية الفقيه على القوانين الحاكمة في البلاد



ونجد هناك بعض المحاولات لسدّ هذه الثغرة عن طريق الاشتراط على الزوج - في عقد الكاح أو ضمن عقد آخر لارم - أن يوكل الزوج زوجته في طلاق نفسها متى



شاءت أو مشروطاً بعدم إمكان المؤالفة ونحو ذلك فتقوم المرأة بتطبيق نفسها وكالة عن زوجها

وبهذا النحو من العلاج أفتى سبدا الأستاذ الإمام الحميري - طاب ثراه - إجابةً على استفتاء قدمته إليه جماعته النسوة المناصرة في يرن عام ١٣٥٨ هـ ش<sup>١</sup> وقد كان هذا الإشتراط على الزوج في صالح لزوجة رائحةً في أوساطنا مسد القديم، لكن على النحو المشروط، أما بصورة الإطلاق ومضى شاءت فقد اختص لإمام الراحل رحمه الله بالإفتاء به

وإليك نصُّ العبارة - مترجمةً - بعد البسطة

قد سهل الشارع المعضد طرعه معتد نساء، كي يستطعن بولئ الطلاق بأنفسهن، وذلك بأن بشرط المرأة في ضمن عقد النكاح أن تكون وكيلة عن الزوج في الطلاق بصورة مطلقة، أي متى شاءت أن تطلق نفسها ففعلت حسب مشيئتها، أو بصورة مشروطة ما إذا تحلف الزوج عن بعض وظائفه الزوجية أو أورد أن يتزوج امرأة أخرى، ونحو ذلك، فهي محتارة - حسب وكالتها عن الزوج - في تطليق نفسها قال وبهذا النحو من العلاج تتحل مشكلة أمر الطلاق (روح الله الموسوي الحميري)

لكن الظاهر أن هذا ليس بالعلاج لحاسم، والمشاهد أن الأزواج لا يوافقون على هذا النحو من الإشتراط ولا سيما صورة إطلاقه وليس الرجل - مهما كانت المرأة بالمعتن بها - بهذا النحو من الرضوخ لإرادتها الخاصة - طول حبايهما الزوجية - لاسيما وتضخم عدد النساء الطالبات للزواج بلا شرط ولا قيد!

إن للرجل - في طبيعته الرجولية - قوة وشموخاً لا يستسلم لقيادة المرأة مهما كانت عاقبة، إلا إذا بلغ به الذل وله أن ما يحمله حاصعاً لهذا الرضوخ على أن هنا حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام في رجل جعل أمر امرأته بيدها قال

«وَلَى الْأَمْرُ مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ، وَخَالَفَ السُّنَّةَ، وَلَمْ يَجِزِ الْكَاحَ»<sup>١</sup>  
 ولقي رواية أخرى في رجل قال لامرأته: أمرك بيدك! قال: «أنى يكون هذا، والله  
 يقول «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»؟<sup>٢</sup> ليس هذا شيء<sup>٣</sup>  
 وأيضاً هنا كلام عن هذه الوكالة - وهي عقد حائر، متى شاء الموكل عزل الوكيل  
 - هل تصبح لازمة باسقاطه في ضمن عقد الكاح أو أي عقد لازم؟ وهل الشرط ضمن  
 عقد لازم يعبر من ماهية المشروط؟  
 وأخيراً، فإنَّ الشيخ ذكر في كتابه «المبسوط» قال وإن أراد الرجل أن يجعل  
 الأمر إليها فعندنا لا يجوز على الصحيح من المذهب وهي أصحاً من أجزائه<sup>٤</sup>  
 ومن ثم فإنَّ المسألة ليس بيهينة، لاسيما وحطوره أمر البصع المقنضية للاحتياط  
 فيه كما وقد رشح صاحب العواهر جانب الاحتياط قال وعلى كل حال فالاحتياط  
 لا ينبغي تركه.<sup>٥</sup>

#### واضربوهن!

قال تعالى «وَاللَّاتِي يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ يَعْطُونَهُنَّ مِنْ أَصْغَرِ مَا فِي الْمَصَاحِجِ وَأَضْرِبُوهُنَّ  
 فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَنْفَرُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا»<sup>٦</sup>  
 قالوا في هذه الآية أيضاً مهانة بشأن المرأة، ممّا يتناسب وذلك العهد الجاهلي  
 الذي كان موضع المرأة فيه موضع الصعة والصغار  
 لكن بأدنى مراجعة لكتب التفسير والسير وكلمات الفقهاء في ذلك يتضح أنَّ الأمر  
 ليس بتلك العدة التي كانت تُصوّر عن العصر الجاهلي المظلم وإمكان تأثيره على  
 التشريعات الإسلامية الناصعة البيضاء، لسهولة السمحاء

١ - تهذيب الأحكام ج ٨ ص ٨٨ والإسبصار ج ٣ ص ٣١٣ والكافي ج ٦ ص ١٣٧، رقم ٤.

٢ - النساء ٤: ٣٤.

٣ - وسائل الشريعة ج ٢٢ ص ٩٢ - ٩٤ رقم ٥ و ٦ باب ٤١ من أبواب مقدمات الطلاق.

٤ - المبسوط للطوسي ج ٥ ص ٢٩. - جواهر الكلام ج ٣٢ ص ٢٥.

٥ - النساء ٤: ٣٤.

كانت المرأة في العصر الجاهلي في مستوى هابط جداً، وجاء الإسلام ليأخذ بيدها ويرفعها إلى حيث مستواها الإنساني لرفع، ولكن هذا التحول الجذري شأنها هل أمكن حصوله بصورة فجائية وبلا تمهيد مقدمات؟ أم كان بحاجة إلى مهل وبصورة تدريجية لقلب تلك العلظة الموهجة إلى رقة ورأفة هادئة؟ الأمر الذي يستدعي المسيرة مع القوم بعض الشيء في هذا الطريق الوعر لممكن إيقافهم أو تمهيد أسباب هذا الإيقاف فيمكن إرجاعهم إلى حيث فطرتهم لإسائبة الأصله

وهكذا جرى الإسلام العرب في بادئ الأمر في قسم من عاداتهم - كانت متحكمة عليهم تحكماً وثقاً - وفي أثناء هذه المجاورة والمسايرة، أخذ يفت في روعهم روح الملاءمة وإبعاد العشوة لتلين قلوبهم ويهدو إلى وجه الصواب، غير ندعوا بأنفسهم شيئاً فشيئاً عن الأخطاء التي كانت تجذبهم بقوة ذلك العهد

وهذا النحو من سياسة التدبير تروى الإسلام قد اتخذها شأن لعيف من عادات جاهلية لم تكن متحكمة على العرب وحدهم، بل على سائر الأمم على وجه العموم ومن ثم كان قلع جذورها بحاجة إلى مهلة وفرصة رسمه، قصيرة أو طويلة، وتمهيد مقدمات أصولية تمهد هذا السيل

ويمكننا التمثيل لذلك بمسألة الرقية التي جاراها الإسلام، حيث تحكمتها على العالم كله يومذاك، وكانت سلعة تجارية ضخمة، لا يمكن مجابقتها بلا تمهيد مقدمات، فقد قام الإسلام في وجهها، لكن لا بشكل عنق صريح، ولكن أعلن مخالفته لمنشأ الاسترقاق الذي كان عليه جمهور الأمم ذلك العصر، وسد طريقه - شرعياً - ما عدا حالة الاستيلاء على المحاربين في ميدان القتال الأمر الذي كان يخص الرجال المحاربين ضد الإسلام دون غيرهم، ولا النساء ولا الأطفال ونسيوخ، ورفض رفضاً باتاً إمكان لاسترقاق بأي وجه كان

ثم إنه مع ذلك جعل الطريق لتحررهم مسيحاً وفي أنحاء وأشكال، حسبما نذكره واتخاذ مثل هذه الاجراءات لقطع جذور عادة جاهلية ساطية، قد اصطالحنا عليه

بالنسخ التدريجي المسير مع الزمان، مما قد مهدت أسبابه منذ البدء وعلى عهد صاحب الشريعة



ومن هذا القبيل مسألة قومة الرجل على المرأة بشكلها العام، بحيث تشمل ضربها ضرباً مبرحاً موجعاً! فلو كان قد نزل به الوحي، ولكن جاء تفسيره على لسان صاحب الشريعة بما يجعله هيناً في وقته، وتمهيداً لفتح حذوره على مدى الأيام

أولاً: جاء تفسير الضرب بكونه غير مبرح، أي غير شديد ولا مؤلم، فيكون ضرباً خفيفاً لا يؤلم والضرب إذا لم يكن مؤلماً لا يكون ضرباً في الحقيقة، وإنما هو مسح باليد مسحاً في طرافة ومن ثم جاء تعييده بأن لا يكون بسوط ولا خشب أو آلة غيرهما، ما عدا عودة السواك التي يستاك بها الرجل

الأمر الذي يجعل من ظاهر دلالة الآية عسمة، ويرفض سلطة الرجل على إيلام زوجته بالضرب والأذى على كل حال

أخرج ابن جرير عن عكرمة رحمته في الآية - قال: قال رسول الله ﷺ: «ضربوهن إذا عصبنكم في المعروف، ضرباً غير مبرح» ورواه نصاً بإساده عن حماد مصنفاً إليه تفسيره «غير مبرح» بغير مؤثر يعني لا يؤثر في معيرون البشرية، حتى الحرة

وعن عطاء قال قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: بالسواك ونحوه

وعن قتادة: ضرباً غير مبرح أي غير شائن<sup>١</sup>

والشين العيب، أي لا يوجب عيباً

ومن ثم قال الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمته وأما الضرب فإنه غير مبرح، بلا خلاف<sup>٢</sup>

قال الإمام أبو جعفر الباقر رحمته هو بالسواك<sup>٣</sup>

قال القاضي ابن البراج الطرابلسي رحمته وما اضرب فهو ضرب تأديب، كما يضرب

١ - جامع البيان، ج ٥، ص ٤٤، والدر المنثور، ج ٢، ص ٥٢٢-٥٢٣

٢ - وهذا يعني أن هذا التفسير «ضرباً غير مبرح» مجمع عليه عند الفقهاء.

٣ - تفسير الثيان، ج ٢، ص ١٩١

المهين على الذنب، ولا يضربها ضرباً مبرحاً ولا مزمناً ولا مدمياً ويفرقه على بدنها ويتقى وجهها وإذا ضربها كذلك فسكن بالسواك وذكر بعض الناس (من فقهاء العامة) أنه يكون بمندبل ملفوف أو ذره، ولا يكون بخشب ولا سوط<sup>١</sup>

المبرح الشديد الموحع والعرض من ارمية، وهي لعاهة، أي العيب والنقص والمدمي المؤثر في ظهور الدم على الشرة ولو بالحرش والدرّة، نوع من اسياط، لا توجع ولا تؤلم وتُصنع من الخرق وهي تشبه المندبل الملفوف

وقال في موضع آخر: وإذا نشزب المرأة على زوجها، جاز له أن يهجرها في لمصاحح وفي الكلام، ويضربها ولا يبلغ بصرها حداً ولا يكون ضرباً مبرحاً، وستوقى وجهها ولا يهجرها ترك الكلام أكثر من ثلاثة أيام<sup>٢</sup>

جاء في فقه الرضا والضرب بالسواك وشبهه ضرباً رقيقاً<sup>٣</sup> أي برلق وفي جامع الأخبار للصدوق عن النبي ﷺ: «بني تعجب من يضرب امرأته وهو بالضرب أولى لا يضربوا ساءكم بالحشيش فيه لفصاص، ولكن اضربوهن بالجوع والعري، حتى يريحوا في الدنيا والآخرة» وجاء في آخر الحديث «احفظوا وصيتي في أمر نساكنكم حتى تنجوا من شدة الحساب، ومن لم يحفظ وصيتي فما أسوء أحواله بين يدي الله<sup>٤</sup>

وفي هذا الحديث صراحة بأن المراد من الضرب في الآية هو التأديب، ولكن لا بالعصا والسوط - كما يفعل مع البهائم - ولكن بالتصديق في المطعم والملبس ونحوهما وهذا أوفق بتعديل المعيشة معها

وثانياً: النهي عن ضربهن، والتشديد على المنع، منعاً يجعل المتخلف من شرار الأمة وليس من خيارهم!

١ - المذهب ج ٢، ص ٢٦٤ ٢ - المصدر ص ٢٣١

٣ - بحار الأنوار ج ١٠١، ص ٥٨ رقم ٧، باب النشور والمقد

٤ - المصدر ج ١٠٠، ص ٢٤٩ رقم ٢٨ عن جامع الأخبار ص ١٥٧-١٥٨، طبع النجف

جاء في الحديث إن نساء أكثر من أزواج أصحاب رسول الله ﷺ أطافن ببيوت آل الرسول شككين أزواجهن - حيث رُوِيَ بإحاطة ضربهن - فقال رسول الله «لبس أولئك خياركم»<sup>١</sup>

وأخرج ابن سعد والبيهقي بالإسناد إلى مَمْ كَثُوم بنت أبي بكر قالت كان الرجال نهوا عن ضرب النساء، ثم شكوهن إلى رسول الله ﷺ فأجاز لهم ضربهن، ولكنه ﷺ أضاف قائلاً «ولي يضرب خياركم»<sup>٢</sup>

وفي رواية ابن ماجه - فلما أصبح رسول الله ﷺ قال «لقد طاف بآل محمد سبعون امرأة، كل امرأة نشنكي روحها فلا تعدون أولئك خياركم»<sup>٣</sup>

وأخرج عبدالرزاق عن عائشة عن سبي بن سبي قال «ما يسعي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب تعد، يضربها أول النهار ثم يصاحفها آخره»<sup>٤</sup>

قالت عائشة - ما ضرب رسول الله ﷺ ما دماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً<sup>٥</sup> ولم يؤثر عن أحد من الأئمة المعصومين ﷺ الأظهار ولا من الصحابة الأخيار والناسخين الأبرار أن واحدها ساء لهم بعض صفة فضلاً عن الضرب ولطم بل كابت شيمتهم العفو والغفران، كما مر في حديث الإمام الصادق عن أبيه الإمام الباقر ﷺ<sup>٦</sup>

وثالثاً: التوصيات الأكيدة بشأن لمرأة ولتحفظ على كرامتها والأخذ بجانبها في عطف وحنان ورأفة ورحمة، بعيداً عن العظة والشدة، بل حتى مواضعها على ما فرط منها ما سوى العفو والغفران.

جاء في رسالة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام «فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تغدُ بكرامتها نفسها»<sup>٧</sup> أي حد بكرامتها، ولا تجعلها بحيث تضطر إلى أن تستشفع بآخر، فلنكن كرامة نفسها لديك هي الشمعة لها دون غيرها وجاء في

٢ - المصدر.

١ - الدر المنثور ج ٢، ص ٥٢٣.

٢ - سنن ابن ماجه ج ١، ص ٦١٢، باب ٦٢٥، رقم ٢٠١٠.

٤ - الدر المنثور ج ٢، ص ٥٢٣.

٥ - حرجه ابن ماجه، ج ١، ص ٦١٢، رقم ٢٠٩.

٧ - نهج البلاغه، باب الكتب، رقم ٣١، ص ٥.

٦ - الكافي، ج ٥، ص ٥١٠، رقم ١.

رواية الكليني: «واعضص بصرها بسترک، وکفها بحجابک، ولا تطمعها أن تشفع بغيرها...»<sup>١</sup>

وروى الكليني بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فيما ذكر من حقوق المرأة على زوجها قال «وإن جهلت غفرلها» وزاد «كأنت امرأة عند أبي (الإمام الباقر (عليه السلام) تؤديه فيغفرلها»<sup>٢</sup>

وفي وصية الإمام لانه محمد بن الحنفية ما يشبه وصية لانه الحسن، وزاد «فدارها على كل حال وأحسن الصحبة لها ليصغروا عيشك»<sup>٣</sup>

وأوصى الإمام لصادق (عليه السلام) يونس بن عمار بالإحسان إلى زوجته، فسأله وما الإحسان؟ قال: «واعفر ذنبها»<sup>٤</sup> وفي حديث «داووا عيها بالسكوت»<sup>٥</sup> وفي لفظ آخر: «استروا العي بالسكوت»<sup>٦</sup>

وقال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة، حتى ظننت أنه لا ينبي طلاقها إلا من فاحشة مبينة»<sup>٧</sup>

وروى الصدوق بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) قال: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عز وجل قد ملكه ناصتها وجعله القيم عليها»<sup>٨</sup> وحاء في الحديث السابق تفسير الإحسان بالعص عنها والستر عليها

وقد فسّر لقاضي ابن البرّاج القيمومة هنا بالقيام بحقوقها التي فرض الله لها على الزوج قال وقال تعالى «الرّجال قوّامون على النّساء»<sup>٩</sup> يعني أنّهم قوّامون بحقوق النّساء التي لهنّ على الأزواج<sup>١٠</sup>

١- الكافي ج ٥، ص ٥١٠، رقم ٣ وصححه على النهج

٢- المصدر، رقم ١

٣- من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٦٢، رقم ١٣/١٧٢٤، باب ١٧٨ (النواذر).

٤- الكافي، ج ٥، ص ٥١٦، رقم ٤.

٥- معار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٥١، رقم ٤٨ من أمالي الشيخ الطوسي، ج ٤، ص ١٩٧

٦- المصدر، ص ٢٥٢، رقم ٥ عن الأمالي لخطوسي، ج ٤، ص ٢٧٦

٧- المصدر، ص ٢٥٢، رقم ٥٨

٨- من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٢٨١، رقم ١٣٣٨

٩- النساء، ٣٤

١٠- المهذب، ج ٢، ص ٤٢٥

وهذا هو معنى قوله تعالى «وعاشروهن بالمعروف»<sup>١</sup> ويتأكد بقوله تعالى «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»<sup>٢</sup> قال ابن البراج يعني «لكن» وحدث منهما ما علمه لصاحبه، يجمع بينهما من حيث الوجوب.<sup>٣</sup>

وقد لمن رسول الله ﷺ من صيغ حقوق امرأته ولم يراع جانبها قال: «ملعون ملعون من يضطجع من يعول»<sup>٤</sup> وفي حديث آخر «كفى بالمرء هلاكاً أن يضطجع من يعول»<sup>٥</sup> وقال ﷺ «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>٦</sup> وقال: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»<sup>٧</sup>

وأخرج الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن الأحوص، أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ قام وحطب، وفيما قد في خطبته «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ليس تمكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإنعلن فاهجروهن في المصالح واضربوهن ضرباً غير مبرح»<sup>٨</sup> قوله «عوان عندكم» يعني: إنهن قد قضين عندكم عُمرأً وفقدن ريعان شبابهن عندكم

قال رسول الله ﷺ «خيركم خياركم لنسائهم»<sup>٩</sup> وقال «ومن اتخذ زوجة فليكرمها»<sup>١٠</sup>

وفي رواية أبي القاسم بن قولويه عن أبي عبد الله عليه السلام قال «من اشتد لنا حباً اشتد للنساء حباً»<sup>١١</sup>

١- النساء ٤: ١٩.

٢- البقرة ٢: ٢٢٨.

٣- من لا يحضره الفقيه ج ٢، ص ١٠٣ رقم ٤١٧.

٤- المهذب، ج ٢، ص ٢٢٥.

٥- عوائد الإسلام للقاضي محمد بن المصطفى ج ٢، ص ١٩٢، رقم ٦٩٩.

٦- من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٦٢، رقم ١٧٢٦.

٧- المصدر ص ٢٨١ رقم ١٣٣٩، ووسائل الشريعة، ج ٢٠ ص ١٦٧-١٧١ باب ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ من أبواب مقلدات النكاح.

٨- المنهاج للفتاوى ج ٢، ص ٥٢٣.

٩- بحار الأنوار، ج ١٠٠ ص ٢٢٦، رقم ١٥ عن كتاب الأمالي بطوسي ج ٢، ص ٦.

١٠- مستدرک الوسائل، ج ١٤، ص ٢٥٠، رقم ٢، باب ٦٦ من أبواب مقلدات النكاح.

١١- السرائر لابن إدريس، ج ٢، ص ٦٣٦، وراجع: البحار، ج ١٠٠، ص ٢٢٧، رقم ٢٠.



وفي كتاب النوادر للراوندي: قال رسول الله ﷺ «أعطينا أهل البيت سبعة لم يُعطهن أحدٌ كان قبلنا - وعدٌ منها - وامنحنه نساء»

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ كنما ازداد العبد إيماناً ازداد حثاً للنساء.<sup>١</sup>  
والمراد بالحب في مثل هذه الأحاديث الإشتاق والإرفاق والموادّة والتحفّظ على كرامة المرأة على مستواها الإنساني الرفيع، ونبس النظر إلى حاسب الشهوة، كلّاً وحاشا  
وفي حديث الحولاء جاءت إلى نسي ﷺ تسأله عن حق الرجل على المرأة، وعن حق المرأة على الرجل - إلى أن قالت - فما للنساء على الرجال؟ قال رسول الله ﷺ: «أخبرني أخي حبرائيل، ولم يرل يوصيني بالنساء حتّى ظننت أن لا يحلّ لزوجها أن يقول لها أف! يا محند، اتقوا الله عزّ وجلّ في النساء، فبهنّ عوان بين أبد بكم، أهدتموهنّ على أمانات الله - إلى أن قال - فاسمعوا عليهنّ وطيطوا فنيوهنّ حتّى يقص معكم، ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهن»<sup>٢</sup>

وروى الصدوق في كتابه «عسى لترايع» و«الأمالي» بالإسناد إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال «فداروهنّ على كلّ حال، وأحسنوا لهنّ المال، لهنّ يحسنّ الفعال»<sup>٣</sup>

وعن الصادق عن أبيه عليه السلام «من اتخذ امرأة فليكرمها، فإنما امرأة أحدكم لعبة، فمن اتخذها فلا يضيقها»<sup>٤</sup>

\*\*\*

وبعد، فإن المتحصّل من تلكم الأحاديث المتوفّرة أنّ للمرأة كرامتها الإنسانية الرفيعة، وعلى المرء أن يحافظ على كرامتها ولا يُشينها ولا يُهينها، ويُحسن المعاشرة معها، ويجعل نفسه ونفسها شريكين متوازيين في إدارة شؤون الحياة العائلية، بتوزيع

١ - نوادر الراوندي، ص ١١٤.

٢ - مستدرک الوسائل، ج ١٤ ص ٢٥٢ رقم ٢، باب ٦٨ من أبواب مقدّمات النكاح.

٣ - بعد الأنوار، ج ١٠٠ ص ٢٢٢ رقم ١ عن علل الترائع، ص ٥١٣ والأمالي للصدوق، ص ٢٠٦.

٤ - المصدر ص ٢٢٤ رقم ٥.

المسؤوليات توزيعاً عادلاً، ولا يكرهها على شيء، بل يستميل خاطرها ويستريح جانبها، ويعاشرها برفق ومداراة، فإنها ربحانة وليست تقهر مائة. وإذا رأى منها زلة غض بصره عنها، وإذا أحسن الشقاق والنجاح أحسن المداراة معها ليسميح خاطرها المرفف الرقيق فلا يعلف ولا يحتد معها، فإنهم عوان (خضعات) لكم، فاشعفوا عندهم وطيبوا قلوبهم، حتى يقص معكم، ولا تكرهوهن ولا تسخطوهن - كما مر في الحديث النبوي - فداروهن على كل حال، وأحسوا لهن المقدر، لعلهن يحسن الفعال - كما مر في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فمن اتخذ زوجة فليكرمها، فإنما هي لعبة، فمن اتخذها فلا يضيّعها كما قال الإمام الصادق (عليه السلام).

وأما الصرب، فقد منع منه معاً نأث، إلا إذا كان غر مروح ولا شائن، والأولى أن يكون تأديباً عن طريق التصديق عليها في الإيقاع، لا الصرب باليد ولا بالمصا والأولى من ذلك ترك الضرب ألبتة اقتداءً بالنبي الأكرم والأئمة المعصومين عليهم صلوات المصلين «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»<sup>١</sup>

ومن مراك هذه الأسوة الحسنة لم يكن متبعاً لنبي الإسلام «قل إن كنتم تحبون الله فأطيعوني فحبهكم الله»<sup>٢</sup>.

وخياركم خياركم لنسائهم، ولبيي خير الناس لنسائه ألا ومن ضرب امرأته أو لطمها فهو أحق بالصرب واللطم، ولم يكن من خيار الأئمة، ولعله من شرارهم، والعياذ بالله ذلك أنها إذا فعلت أمراً ففعلها من حاسب غلبه العاطفة عليها، وهي جياشة أمّا الرجل فلماذا يسترسل قيادته لأحاسيس عابرة، ولا يستسلم للعقل الرشيد، فهو أولى بالضرب والتأديب وعلى أي حال فهو ليس من خيار الأئمة، ممن تربوا على منهج التربية الإسلامية الرفيعة.

ونتيجة على ذلك: كانت الآية بظواهرها المطلق مسوخة نسخاً تمهيدياً، كان

الناسخ لها تلك التوصيات الأكيدة بشأن امرأة، ولأخذ بجانبها والحفاظ على كرامتها وكذا المنع عن طريقها على أي نحو كان إلا ما لا يعدّ ضرباً، وهو بالعطف والحنان أشبه منه إلى الإيلام وهكذا عَمِلَ الرسول وكبراء الأئمة، متى أمرنا بالتأعهم على كل حال إذن، فالأخذ بظاهر إطلاق الآية أخذ بظاهر منوع، ومخالفة صريحة لمنع الرسول وتوصياته البالغة، وكذا الأئمة الطاهرين من بعده

### وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ<sup>١</sup>

لحجاب المرأة - في الإسلام - مكانة رفيعة، تصونها عن الانتدال وتحفظ على كرامتها دون الانحطاط إنها محترمة احترم إنسان كريم لها عزها وشرعها التليد وليس بطارف، ولم تكن فرض الحجاب عليها إلا صبة لهذا الشرف وحفاظاً على ذاك العز، فلا تسترسل حيث ساقها أهل الاستهواء

هذا فصلاً عن أن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تنهаж فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه دهعات البدن في كل حين فعمليات الاستثارة المسمرة تنهي إلى سعار شهواني لا سطحي ولا يروي والمطرقة الحائنة، والحركة المثيرة، والزينة المنبرجة، والجسم العاري كلها لا تصنع شيئاً لأن تهيج ذلك الشعار الحيواني المجنون، وإلا أن يفلت رمام الأعصاب والإرادة فيما الإهواء الموصوي الذي لا يتفقد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من كبح بعد الإثارة وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سديماً وبقوته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وإنما تصريفه في موضعه العامون النظيف

١- النور ٢٤ ٣١

٢- كما يبدو من أحاديث جواز النظر إلى شعور ساء أهل الفقة لعدم حرمتهم وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٢٠٥، باب ١١٢ من أبواب مقدمات النكاح

ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتبه جواباً عن مسائل محمّد بن سنان: «وحُرِّمَ النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج وإلى غيرهنّ من النساء لما فيه من تهيج الرجال وما يدعو إليه التهييج من الفساد والدخول فيما لا يحلّ ولا يُجْمَل...»<sup>١</sup>

قال سيّد قطب: ولقد شاع أنّ النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحّة بين الجنسين والاطّلاع على مواضع الفتنة المخبوءة شاع أنّ كلّ هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات العبيسة، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية، وتخفيف من حدة الضغط الجنسي، وما وراءه من اندفاع غير مأمون إلخ.

شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريّد الإنسان من خصائصه التي تفرّقه من الحيوان، والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الفارقة في الطين.. ولكن هذا لم يكن سوى غرض نظريه، رأيت بعيني في أشدّ البلاد إباحيةً وتسلّطاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والإنسانية، ما يكذبها وينقضها من الأساس.

نعم، شاهدتُ في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي واختلاط الجنسي بكلّ صوره وأشكاله أنّ هذا كلّ له ينته بتهديب الدوافع الجنسية وترويضها إنّما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلّا ريشما يعود إلى الظلم والاندفاع وشاهدت الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهومها أنّها لا تنشأ إلّا من الحرمان وإلّا من التلهّف على الجنس الآخر المحبوب. شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكلّ أنواعه، ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذي لا يقيد قيد ولا يقف عند حدّ، وللصداقات بين الجنسين تلك التي يباح معها كلّ شيء، وللأجسام العارية في الطريق، وللمحركات المثيرة والنظرات الجاهرة، واللفقات الموقظة... كلّ ذلك لمّا بدّل بوصوح

١ - وسائل الشيعه ج ٣٠، ص ١٩٣-١٩٤، رقم ١٢، باب ١٠٤ من أبواب مقدّمات الذكاح.

٢ - راجع كتابه «أمريكا التي رأيت» وعبه التفصيل وعرض العواطف والشواهد وراجع أيضاً كتاب (الإنسان بين المادية والإسلام) لمحمّد عظم، فصل «المشكلة - الجنسية» فقد توسّع في هذا المجال.

على ضرورة إعادة النظر في تلك النظريات التي كذبها الواقع المشهود<sup>١</sup>  
 إن الميل العطري بين الرجل والمرأة ميسر عميق في التكوين الحيوي، لأن الله قد  
 ناط به امتداد الحياة في هذه الأرض، ونحسب الخلافة لهذا الإنسان فيها فهو ميل دائم  
 يسكن فترة ثم يعود وإثارتها في كل حين تزيد من عرامته، وتدفع به إلى الإقصاء المادي  
 للحصول على الراحة فإذا لم تتم هذا انهارت الأعصاب المستثارة، وكان هذا بمثابة  
 عملية تعذيب مستمرة. والظرة ثيراً والحركة ثيراً والضحكة ثيراً والدعابة ثيراً  
 والنبرة المعبرة عن هذا الميل ثيراً. والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات، بحيث  
 يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية، ثم يبنى تلبية طبيعية وهذا هو المنهج الذي يخناره  
 الإسلام، مع بهذيب انطع، وشغل الطاقة البشرية بهوم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع  
 اللحم والدم، فلا تكون هذه لتلبية هي المنفذ، لو حيد

وفي القرآن إشارة إلى نماذج من تقليل فرص الاستثارة والعوايز والفتنة من  
 الجانبين الرجل والمرأة قال تعالى: **ثُمَّ لَئِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِأَعْيُنِهِمْ** ويحفظوا فروجهم  
**ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**<sup>٢</sup>

قال سيد قطب وعرض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاستعلاء  
 على الرغبة في الاطلاع على لمعاسن وصفات في الوجوه والأجسام. كما أن فيه إعلناً  
 للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والعوايز، ومحاولة عميقة للحيلولة دون وصول السهم  
 المسموم!

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «الظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم  
 من نظرة أورثت حسرة طويلة» قال «من تركها لله عز وجل لا يغيره أعقبه الله أمناً وإيماناً  
 يحد طعمه» وقال: «الظرة بعد الظرة نزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»<sup>٣</sup>  
 وأما حفظ الفرج فهو الثمرة لطبيعة لغض البصر، أو هو الخطوة التالية لتحكيم

١- راجع في ظلال القرآن، تفسير سورة النور، ج ١٨، ص ٩٣، المجلد السادس

٢- النور ٢٤، ٣٠

٣- وسائل الشيعه، ج ٢٠، ص ١٩١-١٩٢ رقم ١ و ٥ و ٦، باب ١٠٤ من أبواب مقدمات النكاح

الإرادة ويقظة الرقابة والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى ومن ثمَّ يُجمع بينهما في آية واحدة، بوصفهما سبباً ونسيجه، أو دسارهما خطوتين منوالتين في عالم الضمير وعالم الواقع، كلتاهما قريب من قريب

قال رسول الله ﷺ «لكم - أي بعفركم - أول نظرة إلى المرأة فلا تتبعوها نظرة أخرى واحذروا الفتنة»<sup>١</sup>.

«ذلك أذكرني ثم» فهو أظهر لمشاعرهم وأضمن لعدم ملوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع النظيف، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط وهو أظهر للجماعة وأصور لحُرُماتها وعرضها وحوها الذي تتنفس فيه قال الإمام الصادق عليه السلام «ما يامن الدين ينظرون في أديار النساء أن ينظر بذلك في نساءهم؟»<sup>٢</sup>

والله الذي يأخذهم بهذه الوقاية، وهو العدم مركبيهم النفسي وتكوينهم العطري، الخبير بحركات نفوسهم وحركات جوارحهم «إن الله خبير بما يصنعون»<sup>٣</sup>

روى الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: «من ملأ عينه من حرام ملائكة عينيه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب ويرجع ومن صافح امرأة تحرم عليه بعد بقاء بسخط من الله عز وجل ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من نار مع شيطان فيقذفان في النار»<sup>٤</sup>.

«وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ الْخُضُوعَ مِنْ أَنْبَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ مُرُوجَهُنَّ» فلا يرسن نظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتعة لعنيرة سستير كوا من الفتنة في صدور الرجال ولا يسهن فروجهن إلا في حلال طيب، يلبي داعي غطرة في جو نظيف، لا ينجل لأطعال الدين يجهشون عن طريقه، عن مواجهة المجتمع ولحياة!

«وَلَا يُنْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» والزينة كل ما يفتتن به من المرأة ويشير الرغبة فيها مما يوقر في جمالها وبذلك عمت الحلى وغيرها من مفاتن جسدها المهيجة، كل

٢ - المصدر ص ١٩٩، باب ١٠٨ رقم ١

٤ - المصدر ص ١٩٦، باب ١٠٥ رقم ١

١ - المصدر ص ١٩٤، رقم ١٥

٣ - النور ٢٠: ٢٤

ذلك زينة لها يجب عليها التستر عن لأحباب، وحتى المحارم فيما سوى لزوج، ومن ثم عقيبها بقوله «وَلْيَضْرِبْنَ خُفْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ»<sup>١</sup> فتسدل الخمار على صدرها حتى يستتر مفاتن جيدها وأطراف صدرها

نعم سوى مواضع لا يمكن سترها وهي ترول التعامل في مسرح الحياة، كالوجه والكفين، في غير مارية وهي صحيفة المصيرين بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام سألته عن الذراعين من المرأة، هما من الرينة التي قال الله «وَلَا يُدِينُ زِينَتُهُنَّ»؟ قال: «نعم، وما دون الخمار من الزينة. وما دون السوارين»<sup>٢</sup>

وفي حديث عبدالله بن جعفر عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن الزينة الظاهرة، قال: الوجه والكفان<sup>٣</sup>

#### تعهد الزوجات

وأيضاً كان الجدل عنيفاً حول مسألة «تعهد الزوجات» كانت عادة جاهلية ومهينة بموضع المرأة في الحياة الاجتماعية والأسرية، حينما نجد الإسلام قد أقرها «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ»<sup>٤</sup>

غير أن الآية نزلت في ظروف خاصة وعلاجاً لمشكلة اجتماعية كانت تقتضيها طبيعة الاسلام الحركية ولا تزال، وهو دين كدح ونضال مستمر مع خصوم الإنسانية عبر الأجيال

كان الإسلام من أول يومه نهضة إنسانية دفاعاً عن حریم الإنسان وكسراً لشوكة خصومه الألداء «وَلْيُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَهْلًا لِلْأَرْضِ. وَنُكَفِّرَ عَنْهُمْ فِي الْأَرْضِ»<sup>٥</sup> «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»<sup>٦</sup> فلا يزال الإسلام في كدح مستمر مع المستكبرين في الأرض وفي صالح

١- المصدر ص ٢٠٦-٢٠٧

٢- النساء ٢٤

٣- الأنبياء ٢٦-٢٧

٤- النور ٢٤، ٢٥

٥- المصدر ص ٢٠٢، رقم ٥.

٦- القصص ٢٨، ٢٩، ٣٠

المستضعفين، حتى يتحقق هذا الهدف المقدس ويتمكن الصالحون من الحكم على أرجاء العالم المعمور

ولاشك أن ديناً كان ذلك منهجه وهدى دأبه كانت لمشاكل الاجتماعية التي تستعقبها هذا المنهج بحركي حليفته عبر الأيام، فلا بد هناك من وضع برامج لمعالجتها علاجاً حاسماً دون تعقّد العراقيل

ومن المشاكل هذه مشكلة الأيتام القُصّر وأموالهم إلى جنب الأرمال الشابات، التي تخلّفها الحروب وهي تلهم الشك من الرجال فلا بد من قسومة بشأن القُصّر وعلاج مشكلة الأرمال دون تفشي الفساد

كان المسلمون بدورهم ابداء موطئ بكماله لآيسام والقيام بشؤونهم دون ضياعهم وضياع أموالهم ورتما كان بعضهم يتحرّجون من ذلك خشية قصور أو تقصير بشأن اليتامى وهكذا كانت مشكلة الأرمال حقيقة واقعة لا مهرب منها سوى الترخيص في الزواج معهن من قبل رجال أكفاء، وكان في ذلك رعاية لكلا الجانبين عدم التحرّج في التصرف في أموال اليتامى حسب مصالحهم وهم ربائب، والحؤول دون تفشي الفساد والعشواء مادامت المرأة تجد نفسها في حمى رجل مؤمن كفى والآفة في وقتها نزلت بهذا الشأن

«وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا، الْهَيْبَةَ بِطَبَاطِيبٍ وَلَا تُكَلُّوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حَبّاً كَبِيراً وَإِنْ جِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَاطِبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشَقٌّ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَبِنْ جِفْتُمْ أَنْ لَا تُعْدِلُوا فَوَاحِدَةً»<sup>١</sup>

انظر إلى التناسب القريب بين قوله تعالى «وَبِنْ جِفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ» وقوله: «فَانكِسُوا مَاطِبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أي الأرمال الشابات، وهذا التعرّيع بالفاء مقار يتبوك على هذا الترابط بين الأمرين بوضوح

فلنفرض أن مؤسسات خيرية قامت بشؤون اليتامى، ولكن ما هو العلاج الحاسم



..الدائم مع دوام حركية الإسلام - بشأن الأراذل، فيما سوى نرحيص التعدد في الزواج، وعلى شريطة التعادل في حمايتهن وفق موازين الشريعة بشأن الأزواج؟!

ومن ثم كانت قضية الرحيص في تعدد الزوجات - مع ملاحظة هذه الشرائط والظروف والملايسات - قضية حاسمة لمشكته إجتماعية هي من أهم المشاكل التي قد تعرقل في سبيل الحركة لإصلاحية، وهي مريضة عامة شاملة ودائمة

هذا بالنظر إلى النص القرآني الوارد بشأن تشريع تعدد الزوجات في حالات اضطرارية وظروف حرجية ومشاكل لا يحسنها سوى هذا التشريع العادل وكم من مفاسد اجتماعه فظبعة قاستها أمم إثر حروب عارمة اتهمت عامة الرجال وسقط النساء الأراذل يتبعين حمايه رجال أكفاء فلا يحدن، ثم سادت الفحشاء وراح الاندال الحلبي لافي النساء فقط بل في الأطفال الصُغى الصغار أبصاً

وهذه العرب العالمية الثانية كم حُلّت من مساوئ ومفاسد عصّت أرجاء البلاد الأوربية ولاسيما الفطر الألماني الذي تألب عليه حشد المحاربين من كل الجهات. حلفاء لدول الأوربية وأمريكا والسوفييت في بحاف ثلاثي صدّ الألمان المسكر بعد ذلك لتهاجم العيب

ثم مع قطع النظر عن شأن نزول الآية يرى إن في هذا التشريع إجابة لواقع الإنسان في فطرته وصيانه للمجتمع دون تعشّي لفساد فيه، تشريعاً في ظروف خاصة وهي ظلّ شرائط محدّدة، فقد جاء الإسلام ليحدّد لايتطرق ويترك الأمر لهوى الرجل، فقد قيد التعدد بالعدل وإلا امتنعت الرخصة ولكن لماذا نباح هذه الرخصة؟ إن الإسلام نظام للإنسان، نظام واقعي إيجابي يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه ويتوافق مع واقعه وضروراته ويتوافق مع ملايسات حياته المستفيرة في شتى القاع وشتى الأزمان والأحوال إنّه نظام واقعي إيجابي يلتقط لإنسان من واقعه الذي هو فيه ومن موقعه الذي هو عليه، ليرتفع به في المرتقى الصاعد إلى نفثة السامقة، في غير إنكار لفطرته أو تنكّر، وفي غير إغفال لواقعه أو إهمال، وفي غير عيب في دفعه أو اعتساف

إنه نظام لا يقوم على العذلة الحرفة، ولا على التفرق المانع، ولا على المثالية العارغة، ولا على الأمنيات الحاملة التي تصطدم بعطرية الإنسان وواقعه وملايسات حياته ثم تتبخر في الهواء

وهو مع ذلك نظام يرعى خلق الإنسان وطاقته المجتمع، فلا يسمح بإنشاء واقع مادي من شأنه إحلال الخلق وبلوكت المجتمع تحت مطارق الضرورة التي تصطدم بذلك الواقع بل يتوخى دائماً أن يُنشئ واقعاً يساعد على صيانة الخلق وطاقه المجتمع مع أيسر جهد يبذله الفرد ويبدله المجتمع

فإذا استصحبنا معنا هذه الخصائص الأساسية في النظام الإسلامي ونحن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات معاداً نرى؟ نرى أن هناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة - تاريخية وحاضرة - تبدو فيها زيادة عدد النساء لصالحات للزواج، على عدد الرجال الصالحين للزواج فيكف نعالج هذا الواقع الذي يقع ويتكرر وقوعه بنسب مختلفة؟ هذا الواقع الذي لا يجدي فيه الإنكار، نعالجه بهز الكتفين؟ أو نتركه يعالج نفسه بنفسه حسب الظروف والمصادفات؟ إن هز الكتفين لا يحل مشكلة كما أن ترك المجتمع ليعالج هذا الواقع حسبما تقع لا يقول به إنسان حاد يحترم نفسه ويحترم لجنس البشري فلا بد إذن من نظام، ولا بد إذن من إجراء

وعندئذ نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة احتمالات

١- أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة من الصالحات للزواج ثم تبقى واحدة أو أكثر - حسب درجة الاختلال الواقعة - بدون زواج، تقضى حياتها - أو حياتهن - لا تعرف الرجال الأكفاء

٢- أن يتزوج كل رجل صالح للزواج واحدة فقط زواجاً شرعياً نظيفاً، ثم يخادن أو يسافح واحدة أو أكثر من هؤلاء اللواتي ليس لهنّ مقابل كفؤ من الرجال، فيعرف الرجل خديتاً أو خليلاً في لهرام والظلام

١ - وقد عالجت فرنسا هذه المشكلة بإعادة الخديعة قانونياً إلى جنب الزواج الشرعي ولكن المشكلة لم تقف عند

٣- أن يتروّج الرجال الصالحون - كلّهم - أو بعضهم - أكثر من واحدة وأن تعرف المرأة الأخرى الرجل، روجة شرفه في وضع السور لاختدبته ولا غليظة في الحرام والظلام.

الاحتمال الأول ضدّ الفطرة وضدّ طبيعة المرأة في شعورها الأنثوي، إذ ليس الاشتغال بالاكْتساب ولعلّ ممّا بسدّ حاجة المرأة في الحياة، فإنّ المسألة أعمق بكثير ممّا يظنّه هؤلاء المتحدّثون بسطحيتي فكما أنّ الرجل يكتسب ويعمل ولكن هذا لا يكفيه فيروح يسعى للحصول على الكثير، كذلك المرأة، فهما من نفسي واحدة على سواء.

والاحتمال الثاني ضدّ الاتجاه الإسلامي الباطني وضدّ قاعدة المجمع الإسلامي العفيف وضدّ كرامة المرأة الإنسانية المترقّعة عن الابتذال

والاحتمال الثالث هو الذي يختاره الإسلام، يختار في إطار محدود وعلى شرائط عادلة، وهو العلاج النافع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

وللسيد قطب هنا بحثٌ عذيل ومسوّف بحواشٍ الموضوع، وكذلك صاحب تفسير المسار، والعلامة الطباطبائي في الميزان، وغيرهم من أعلام<sup>١</sup>

ثمّ لم يكن هذا التشريع تشريعاً مطلقاً بل متقيّداً برعاية العدل وفي رقابة من تقوى القلوب نعم إنّ هذه الأرض لا تصلح بالتشريعات والتنظيحات ما لم يكن هناك رقابة من التقوى في الضمير، وهذه التقوى لا تجيش إلّا حين يكون التشريع صادراً من الجهة المطلّعة على السرائر الرقبيّة على الضمائر عندئذٍ يحسّ الفرد - وهو يهمّ بانتهاك حرمة القانون - أنّه يحون الله ويعصي أمره ويصادم إرادته، وأنّ الله مطلع على نيّته هذه ومملى فعله هذا، وعندئذٍ تنزّل أقدامه ويرجف معاصده وتحور قواه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

١- هذا البحث حيث هناك مشكلة أعمق هي مشكلة تلج هذه العجيلة من أولاد هل يعتبرون أولاداً شريفيين أم ماذا؟ ولذلك طالبت الحكومة الفرنسيّة أخيراً من الحكومات الإسلاميّة أن ترغّع إليها أطروحة تعدد الزوجات، لمّاها تجد فيها حلاً لمشكلتها القانونيّة في هذا الجانب من الحياة العائلية العربيّة

١- راجع في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٤٠-٢٤٥، بمجند الثاني وتفسير المسار ج ٤، ص ٣٥٧-٣٦٢ والميزان، ج ٤،

رَقِيبًا»<sup>١</sup> «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا»<sup>٢</sup> «بَلْفِظْ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»<sup>٣</sup> «وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَقِيقٌ»<sup>٤</sup> «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَعِينَ بِمَا فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا خَاضِرًا وَلَا يَظُنُّمْ رَبُّكَ أَخْذًا»<sup>٥</sup> هذه هي الرقابة الداخلية التي يحس بها كل إنسان صاحب ضمير

إن الله أعلم بعباده وأعرف بفسادتهم وأخبر بتكوينهم النفسي والمخاطفي - وهو خلقهم - ومن ثم جعل التشريع تنزيهاً ولقدون قابوه والنظام نظامه، ليكون له في القلوب وزنه وأثره ومخالفته ومهابته وإن ناس مهملات أفعالهم تحت تأثير البطش والإرهاب والرقابة الظاهرية التي لا تطيع على الأفتدة فإنهم لابد متفلسون منها كلما عاقلوا الرقابة وكلما وانهم الحيلة

ومن ثم قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زُجُرَ هَٰؤُلَاءِ هَٰؤُلَاءِ هُمُ الْمُسَاءِلَةُ - مَسْأَلَةُ إِبَاحَةِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ بِذَلِكَ التَّحْقِيقِ الَّذِي قَرَّرَهُ الْإِسْلَامُ - يَحْسِنُ أَنْ تَتَوَخَّذَ بِسِرٍّ وَوَضُوحٍ وَحَسْمٍ، وَأَنْ تُعْرِفَ الْمَلَابِسَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْوَاضِعِيَّةِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا فَالْإِسْلَامُ بِظَاهِرِهِ بَرَاعِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَظَافَةِ الْمَجْتَمَعِ، فَلَا يُسَمِّحُ بِإِنشَاءِ وَاقِعٍ مَادِّيٍّ مُلَوِّثٍ، مِنْ شَأْنِهِ إِحْلَالُ الْحَلْقِ وَتَلَوِيثُ الْمَحْنَمِ، تَحْتَ مَطَارِقِ الْضَّرُورَةِ الَّتِي تَصْطَلِمُ بِذَلِكَ الْوَاقِعِ بَلْ يَتَوَخَّى دَائِمًا أَنْ يُنْشَأَ وَاقِعًا يُسَاعِدُ عَلَى صَيَانَةِ الْخَلْقِ وَظَافَةِ الْمَجْتَمَعِ مَعَ أَيْسَرِ حَقْدٍ يَبْذُلُهُ الْفَرْدُ وَيَبْذُلُهُ الْمَجْتَمَعُ

### تعدد زوجات النبي

هناك مسألة أخرى ناسب التفرع لها، فيما رخص النبي ﷺ لنفسه اختيار تعدد الزوجات فوق الأربع، الأمر الذي لم يرحصه لأمته وقد أثير حولها عجاج عارم، محاولة لليل من قداسة مقامه الكريم لقد قام المستشرقون وقعدوا وصاحوا بصيحاتهم قصداً إلى

١ - النساء ٤: ١٢

٢ - ق ٥٠: ٤

٣ - البقرة ٢: ٢٨

٤ - النساء ٤: ١٢

٥ - ق ٥٠: ١٨

٦ - الكهف ١٨: ٤٩

تشويه سمعة صاحب الرسالة ليصوّروه رجل شهوة منهمكاً في عومه للنساء ابهماك الملوك المترفين وقد حاكوا أفاصيص حول بزويج النبي بعدة روجات - بعد تجاوزه العقد الخامس من عمره الكريم. السن التي تفتربعدده رعبه الرجال في النساء، وحعل يكرّرها ويردّها أمثال «مؤيّر» و«إرفنج» و«شربجر» و«فيل» و«دزمنجم» و«لأمش»<sup>١</sup> وغيرهم ممن تناولو كتابة حياء محمد ﷺ بكتبها شهوة التبشير المكشوف تارة، والتبشير باسم العلم أخرى

والخصومة القديمة للإسلام خصومة أُنشئت في الفوس منذ الحروب الصليبية التي ثملت على هؤلاء جميعاً ما يكتبون ويسطرون، وتجعلهم في أمر زواج السي ﷺ فيمن بروح، يتحنّون على التاريخ ويحاولون قلب الحقيفة من واقعها الناصع التزبه إلى ظاهرة مشوهة كريهة.

أما الحقيقة فهي تشهد بوضوح أن محمد ﷺ لم يكن رجلاً يأخذ بعقده الهوى، وهو لم يتزوّج من تزوّج من نسائه بدافع من شهوة فائضة أو غرام عارم وإذا كان بعض الكتاب المسلمين في بعض العصور قد أبحوا لأنفسهم أن يقولوا هذا القول وأن يقدموا لحصوم الإسلام - عن حسن نية - هذه الحجة فدك لأنهم احذر بهم التعلد إلى المادية، فأرادوا أن يصوّروا محمداً عظيماً في كل شيء، عظيماً حتّى في شهوات الدنيا وهذا تصوّر خاطئ ينكره تاريخ حياته الكريمة أشدّ إنكار، وتأيي مشيته التزيهة - التي عاشها في ذلك الجوّ الحالك - أن تقرّه وتشهد به

فهو قد تزوّج من حديجة - وهي أكبر منه بسنين - وهو في ثلاثة والعشرين من عمره، وهو في شرح الحيا وربعان المتوّدة ووسامة الطلعة وجمال القسامات وكمال الرجولية مع ذلك طلّت حديجة وحدها زوجه ثمانياً وعشرين عاماً حتّى تخطى الخمسين هذا على حين كان تعدد الروجات أمراً شائعاً بين العرب ذلك الحين، وعلى حين كان لمحمد مندوحة في التزويج على خديجه أن لم يعيش له منها ذكر، في وقت

كانت تُؤادُ فيه البنات وقد ظلَّ محمد ﷺ مع خديجة ﷺ سبع عشرة سنة قبل بعثته واحدى عشرة سنة بعدها، وهو لا يفكر قط في أن يشرك معها غيرها في فراشه كما لم يعرف عنه في حياة خديجة ولم يعرف عنه رواجه معها أنه كان متين تعريضهم مقارن النساء في وقت لم يكن فيه على النساء حجاب، وكانت النساء متبرجات، يبدن من زينتهن ما حرّمه الإسلام من بعدد فمن غير الطبيعي أن نراه - وقد تحطى الخمسين - يسقط لبجاء هذا لانقلاب الذي يجعله ما يكاد يرى بت حش وعنده نساء حمس حتى يُقنن بها وتأخذ تفكيره ليله ونهاره حسبما سطره

ومن غير الطبيعي أن نراه - وقد تحطى الخمسين - يجمع في خمس سنوات أكثر من سبع روجات، وفي سبع سنوات سبع روجات، وذلك كله بدافع من الشهوة الملحة والرغبة العارمة في النساء - والعياذ بالله - رغبة صورها بعض الكتاب المسلمين وحذا الاغرنج حذوهم بصويراً لا يلبق في صحته بمرجل مادّي، بله الرجل العظيم الذي استطاعت رسالته أن تنقل العالم وأن تغير محرى التاريخ وما ترال على استعداد لأن تنقل العالم مرة أخرى وتغير محرى التاريخ طوراً جديداً، وهو على وشك التحقق ونحن على طلائعه بحوله تعالى وقوّته إن شاء الله

وإذا كان هذا عجيباً وكان غير طبيعي فمن العجيب كذلك أن يرى محمد ﷺ بلد له خديجة ما ولدت وهو ما قبل الخمسين، وأن مارية تلد له إبراهيم وهو حوالي الستين ثم لا تلد له نساؤه غير هانيئ، وهن بين شابة في مصل لعمر وبين من كملت أنوثتها بين ثلاثين والأربعين وبعضهن كن ذوات ولد من قبل فكيف تفسر هذه الظاهرة الغريبة في حياة النبي؟ هذه الظاهرة التي لا تخضع للقوس الطبيعية في تسع سوة جميعاً هذا وقد كان محمد ﷺ قد كانت نفسه كإنسان تهو من غير ريب إلى أن يكون له ولد!

ثم إن التاريخ ومنطق حوادثه أصدق شاهد يكذب مزعومة المبشرين والمستشرقين في شأن تعدد زواج النبي، فهو لم يشرك مع خديجة امرأة مدى ثمان وعشرين عاماً عاش معها فلما توفيت لستين قبل لهجرة تروج سودة بنت زمعة وكانت

قد توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، ولم يرو راوي أنها كانت ذات جمال أو ثروة أو مكانة بما يجعل لمطعم من مطامع الدنيا أثراً في هذا الزواج وإنما كان زوجها من الرجال السابقين الأولين الذين احتتموا الأذى في سبيل الإسلام وكان ممن هاجر إلى الحبشة بأمر النبي عبر البحر إليها، وكانت سودة هاجرت معه وعاشت من المشاق ما عانى ولقيت من الأذى ما لقي فإذن تروّحها النبي بعد ذلك لبعولها وليرتفع بمكانتها إلى أُمومة المؤمنين وكان رواجه مع عائشة بعد شهر وهي لم تبلغ مبلغ لسان، وبقيت سنتين قبل أن يني بها، فليس من العقل أو برضاء المطلق أن يكون قد علق قلبه بها وهي في هذه السن الصغيرة

قال الأستاذ هـ كل<sup>٢</sup> يؤد ذلك روحه مع حفصة بنت عمر - بعد وفاة زوجها خيس بيد - في غير حب، بشهادة أبيها عمر، قال لها، عندما أذت هي وعائشة رسول الله والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك<sup>٣</sup> قال أفرايت إذن أن محمداً ﷺ لم يتزوج من عائشة ولم يتزوج من حفصة لهما أو لرغبة، وإنما تزوج منهما ليؤمن أواصر هذه الجماعة الإسلامية الناشئة كما تزوج من سودة ليعلم المجاهدون من المسلمين أنهم إذا استشهدوا في سبيل الله قتل تركوا وراءهم نسوة وذرية ضعافاً يحافون عليهم عيلة وهكذا في زواجه من زيب بنت حريمة ومن أم سلمة فقد كانت ربيب زوجاً لعبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر ولم تكن ذات جمال، وإنما عرفت بطيبتها وإحسانها حتى لقيت أم المصاكين، وكانت قد تحطت الشباب، فلم تكن إلا سنة أو سنتين ثم قبصها الله أمًا أم سلمة فكانت روحاً لأبي سلمة وكان لها منه أبناء عدة علماً توفي زوجها على أثر جراحة أصابته في أحد فممرت عليه ولحق بجوار ربه وبعد أربعة أشهر وعشر من وفاته طلب النبي إلى أم سلمة يدها فاعتذرت بكثرة العيال وبأنها تحطت الشباب، فما زال بها حتى تزوج منها وحتى أخذ نفسه بالعناية لها وتنشئة أولادها

١ - قال ابن هشام: زوجها من رسول الله أبوها أبو بكر ولها سبع بنين وبس بها بالمدينة ولها سبع أو عشر (سيرة ابن هشام،

٢ - حياة محمد، ص ٢٨٨

ج ٤، ص ٢٩٣)

٣ - الدر المنثور ج ٨، ص ٢٢٦

أفئزعم المبشرون والمستشرقون بعد ذلك أن مَسَلَمَةَ كانت ذات جمال وهو الذي دعا محمداً إلى التزوج منها؟! إن يكن ذلك فقد كانت غيرها من بنات المهاجرين والأنصار من تفوقها جمالاً وشباباً وثروةً ونضرة، ومن لا يهبطه عبء عيالها لكنه إنما تزوج منها لهذا الاعتبار السامي الذي دعاه ليتزوج ربيب بنت حريمته<sup>١</sup> بطير الذي دعاه للتزوج من حفصة بنت عمر حسيماً عرفت

ماذا يستنبط التحبيص التاريخي صريحه من ذلك؟ يستنبط أن محمداً ﷺ نصيح بالزوجة الواحدة في الحياة العادية. وقد دعا إلى ذلك بمثله الذي صر به في حياته الزوجية مع خديجة، وبه نزل القرآن الكريم «لَا تَنْكِحُوا مَا طَبَّ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَثَلَاثَ زَوْجٍ فَإِنْ حَقَّكُمْ أَنْ لَا تَعْدُوا مَوَاحِدَةً»<sup>٢</sup> «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ»<sup>٣</sup> ولقد نزلت هذه الآيات في أحرىات السنة لثمة للهجرة بعد أن كان قد سنى بأرواحه جميعاً، ونزلت لتحدد عدد الروحانيات بأربع وقد كان إلى حين نزولها لا حد له، ممّا يسقط قول القائلين إن محمداً أباح لنفسه ما حرّم على الناس

على أنه رأى في ظروف حياة الجماعة الاستثنائية إمكان الحاجة للمعدّد إلى أربع على شرط العدل، وهو عد دعا إلى ذلك بمثله الذي ضرب أيتام عزوات لمسلمين واستشهد من استشهد منهم.

ولعمرك هل تستطيع أن تقطع بأن الإقتصار على الروحة الواحدة حين تحصد الحروب أو الأويثة أو الثورات ألوف الرجال وملايينها، خير من هذا التعدّد الذي أبيع على طريق الإستثناء؟<sup>٤</sup>



أما قصة زيب بنت جحش - وما ضعى بعض الرواة وأضفى المستشرقون والمبشرون عليها من أسرار لحيال حتى جعلوها قصة غرام وولّه - فالناريح الصحيح

٢ - النساء ٤: ٣

١ - حياة محمّد، ص ٢٨٩.

٣ - النساء ٤: ١٢٩

٤ - وقد حصلت الحرب الصّداكية الاستعماريّة ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة أكثر من متّى ألف شهيد وهم من حيرة شبّان المسلمين على وجه الأرض.



يحكم بأنها من مفاخر نبي الإسلام ومواقفه الحاسمة في مكافحة رسوم جاهلية بائدة، وأنه - وهو المثل الأعلى للإيمان - قد طبّق فيها حديثه الذي معناه لا يكمل إيمان المرء حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه. وقد جعل نفسه أوّل من يضرب المثل لما يضع من تشريع يمحّو به تقاليد الجاهلية وعاداتها، ويقرّ به النظام الجديد الذي أنزله الله هدىً ورحمةً للعالمين.

ويكفي لهدم كلّ القصة - حسبما سطرناها - أن تعلم أنّ زينب بنت جحش هذه هي ابنة أئمة بنت عبدالمطلب عمّة رسول الله ﷺ، وأنها تربّت بعينه وعنايته، وكان يعرفها ويعرف أمي ذات محاسن أم لا قبل أن تتزوّج بزيد، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه. وكان أخوها يابى من أن تتزوّج قرشية هاشمية من عبد رقٍّ اشتريته خديجة وأعتقته لرسول الله، فكان يرى في ذلك عاراً على زينب أخته، كما هو عارٌ عند العرب لكنّ النبي ﷺ يريد أن تزول مثل هذه الإعتبارات القائمة في النفوس على العصبية الجاهلة، وأن لا فضل لعربيّ على أعجميّ إلا بالتقوى. وهو يرى أن يضحي من قبيله في كسر شوكة جاهلية، فلتكن زينب بنت عمّته - وهي امرأة صالحة مطيعة لربّها خاضعة لصالح الإسلام - هي التي تحتل هذا الخروج على تقاليد العرب وهذا الهدم لعاداتها الجاهلة، مضحية في ذلك بما يقول الناس عنها ممّا تخشى سماعه

فاستسلمت هي لما فاتحها الرسول بشأن مكافحة عملية، ابتغاء مرضاة الله وفي ذلك نزلت الآية: «وَمَا كَانَ لِلَّذِينَ لَا مُؤْمِنَةَ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»<sup>١</sup> لم يبق أمام عبد الله وأخته زينب بعد نزول هذه الآية إلا الإذعان والإستسلام، فقالا: رضنا يا رسول الله فلمّا سارت زينب إلى زوجها لم يتلاءم خلقتها مع زيد، ولعلّه لأسباب ترجع إلى أعراف شتّى عليها كلّ منهما وعادات وورثاتها من أصل نشأتهما. وربما كانت تفخر عليه أو تحتقره حسب فطرتها فلم يكن زيد يتحمّلها واشتكى إلى النبيّ غير مرّة من سوء معاملتها إياه واستأذنه غير مرّة في

تطليقها، فكان النبي بحبيبه «أَمْسِكْ عَيْنَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ»<sup>١</sup> ولعلّه أيضاً كان يشيء إليها في معاشرته معها غير المناسبة لشأنها، الأمر الذي شئى إليه الأمر بتقوى الله لكنّ زيداً لم يطق الصبر معها حيث بعد الشقة بين حُلُمهما طنّفها

وكان النبي ﷺ يعلم بهذه العاقبة، وأن وراءها حكمة حُرّى يحب تنفيذها لإبطال عادة جاهلية أخرى كان عليها العرب كما يريدون بشأن الأدعياء أن لهم اتّصلاً بالأنساب من إعطائهم جميع حقوق النساء وجرء أحكامهم عليهم حتّى في الميراث وحرمة السب، أمّا الإسلام فلم يكن يرى بنسبتي واللصيق سوى حق المولى والأخ هي الدين لا أكثر «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذُنُوبَكُمْ تَوَلَّيْتُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَدْعَوْهُمْ لِأَبْنَانِهِمْ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ فَرَنْ لَمْ تَغْلَبُوا أَبَاءَهُمْ فَبِخَوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ»<sup>٢</sup>

لها يأتي دور إبطال هذه العادة الجاهلية إبطاً عملياً، والمرشح لهذه النغذية أو التضحية هو نفس النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل صلوات المصلّين، إذ لم يكن من العرب من يستطيع أن يقوم بهذه المصحة وسقمس بها تقاليد لأحيال السالفة سوى محمدٍ نفسه الذي كان على قوّة عزيمة وعميق إدراك لحكمة الله

هذا ما كان النبي يعرفه بقوّة طنّفه، وأن سيؤول إلى ذلك، ولكن كان كلّما يراجعه زيد بشأن تطليق زُنْب يوصيه بالإمساك بوجهه، وهو يدري في قرارة نفسه أنّه بطلّفها لا محالة، وأن سوف يؤمر بالتروّج منها، وكان يحفي ذلك في نفسه وما كان يبديه «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ. وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» أي سوف يبدو أن وراء هذه التطبيق حكمة حُرّى يحب إحراؤها «وَتَخْفِي النَّاسَ» في إبداء ما يكتنه صدره من معرفة حكمة الله «وَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا رَوَّجْنَاهَا لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»<sup>٣</sup>

والآيات النالية لها توضيح من هذه لحكمة أكثر توضيحاً.

«مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِي فَرَضِ اللَّهِ لَهُ سُنَّةٌ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا. مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا»<sup>١</sup>

ونلفت النظر هنا نكتتان الأولى أن الذي كان بحفيه النبي في نفسه وأداءه الله، كان علمه ﷺ بمآل الأمر وأن هذا الروح سيسهي إلى الفراق، تمهيداً لتحقيق حكمة أخرى دبرها الله تعالى في تحكيم شريعته في الأرض

والنكتة لثانية كانت خشيته ﷺ هي خوف أن تنور نائرة الجاهلية الأولى، فلا تتحمل العرب نقض عاداتها الموروثة واحدة بعد أخرى، وكانت ضربة قاضية على عاداتها التي جرت عليها آباؤهم الأولون ومن ثم طمأنه تعالى ووعد به بظهور ديبه وهيمته على كل طريقة أو عادة تكاد نمرقل سبيله إلى شريعة الله «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الذِّبِّ كُلِّهِ وَيُزَكِّيَهُ الْمَشْرُكُونَ»<sup>٢</sup> «إِنَّا نَحْنُ الذُّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَاقِظُونَ»<sup>٣</sup> «وَلَا نَكُ فِي حَيْثُ يَمَّا يَمْكُرُونَ»<sup>٤</sup> «وَلَقَدْ يَنْصِتُكَ مِنَ النَّاسِ»<sup>٥</sup>

### تحرير الرقيق تدريجياً

وهكذا الأمر بشأن ملك اليمين، أقره الإسلام في ظاهر الحال، ولكن قريناً مع تمهيدات تزعزع من دعائمه وتجعله على شرف الانهيار

جاء الإسلام، والرق نظام معترف به في جميع أنحاء العالم، بل كان عملة اقتصادية واجتماعية متداولة، لا يستنكرها أحد، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً يحتاج إلى تدرج شديد وزمن طويل وقد احتاج إبطال الخمر إلى

١ - الأحزاب ٣٣، ٣٨-٤٠.

٢ - النوبة ٩، المص ٦٦، الفتح ٤٨، ٢٨، والصور الثلاث مدنيات، وفي الأخير «وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا».

٣ - الصبر ١٥، ٩ - البص ١٦، ١٢٧ وفي سورة النمل ٢٧: ٧ «وَلَا تَكُنْ...».

٤ - المائدة ٥: ٦٧.

بضع سنوات، والخمر عادة شخصية قبل كل شيء، وإن كانت ذات مظاهر اجتماعية، وكان بعض العرب أنفسهم في الحاهلية يتعفون عنها، ويرون فيها شراً لا يليق بذوي النفوس العالية والرق كان أعمق في كيان المجتمع ونفوس الأفراد، لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية ولم يكن أحد يستكره كما أسلفنا لذلك كان يظاله في حاجة إلى رمن أطول مما تتسع له حياه الرسول، وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم والتشريع فلو كان الله يعلم أن يظال الخمر يكفي فيه إصدار تشريع بهذه لساعته، لما حرّمها في بضع سنوات ولو كان يعلم أن يظال لرق يكفي له مجرد إصدار «مرسوم» بإلغائه، لما كان هناك سبب لتأخر هذا المرسوم!

كان الرقيق في عرف الرومان - وهم لأصل في استرقاق الأناسي - يُعدّ «شيئاً» لا «بشراً» (شخصاً إنسانياً) شيئاً لا حقوق له لبنة - كالبهائم والامتعة - وإن كان عليه كلُّ ثقل من الواجبات.

ولنعلم أولاً، من أين كان يأتي هذا الرقيق؟ كان يأتي من طريق العرو والسهب والأسر، ولم يكن العرو لفكرة ولا لمبدأ، وإنما كان بسببه الوحيد شهوة الاستيلاء والاستثمار واستبعاد الآخرين ونسخيرهم لمصلحه المترفين فلكني يعيش الروماني عيشة الرزخ والترف، يستمتع بالعمائم الباردة والساخنة، والثياب الفاخرة، وأطياب الطعام من كل لون، ويفرق في المتاع الفاخر من حمر وساء ورقص وحفلات ومهرجانات، كان لابد لكل هذا من استبعاد الشعوب الأخرى وامتصاص دمايتها في سبيل هذه الشهوة الفاجرة كان الإستعمار الروماني، وكان الرقّ لدي نشأ من ذلك الإستعمار

أما الرقيق فقد كانوا - كما ذكرنا - أشياء ليس لها كيان لبشر ولا حقوق البشر كانوا يعملون في الحقول وهم مصفّدون في الأغلال لنقمة التي تكفي لمنعهم من الفرار، ولم يكونوا يُطعمون إلا إبقاءً على وجودهم ليعملوا، لأن من حقهم - حتى كالبهائم والأشجار - أن يأخذوا حاجتهم من لعداء وكانوا - في أثناء العمل - يساقون بالسوط، لغير شيء إلا اللذة الفاجرة التي يحسبها استبداد و كسله في تعذيب المخدوقات ثم كانوا

يامون في «رنزانات» مظلمة كريهة الرائحة تعيث فيها الحشرات والفئران، فيلقون فيها عشرات عشرات قد يبلغون خمسين في المئة الوحدة - بأصقادهم - فلا يتاح لهم حتى الفراخ الذي يتاح بين بقرة وبقرة في حظيرة الحيوانات

ذلك كان الرقيق في العالم الروماني ولا نحتاج أن نقول شيئاً عن الوضع القانوني للرقيق عندئذٍ، وعن حق السند المطلق في قتله وتعديه واستغلاله دون أن يكون له حق الشكوى، ودون أن تكون هناك جهة نظر في هذه الشكوى أو تعترف بها، فذلك لم يعد كل الذي سردناه

ولم تكن معاملة الرقيق في فارس والهند وغيرها، تختلف كثيراً عما ذكرنا من حيث إهدار إنسانية الرقيق إهداراً كاملاً، وتحمله أثقل الواجبات دون إعطائه حقاً معابها، وإن كانت تختلف فيما بينها (الرومن والفرس والهند) قليلاً أو كثيراً في مدى قسوتها وبشاعتها

وإذا كان هذا شأن الرقيق في بلاد متحضرة، فكيف ياترى شأنه في أوساط منأخرة، في مثل الجزيرة المتوحشة في جهالة العماء والغي والفساد كان يعيش أحدهم على حساب دمار الآخرين وكان ذلك محرراً لهم يقول أحدهم

أصبحنا حيتهم قتلاً وأسراً عدى الشمطاء والطفل الصغير!

وكفى لشناعة حالتهم الاجتماعية، وأد البنات<sup>١</sup> وقتل الأولاد مخافة الإملاق،<sup>٢</sup> وأشنع من الجميع التعيش على حساب بناء الفتيات<sup>٣</sup>

ففي مثل هذا المجتمع الذي يعيش، لأسباب على حساب إكرام الفتيات (الأرقاء) على البغاء وارتكاب الفحشاء، جاء لإسلام ليكافح، فمن أين يكافح، وكيف يكافح؟ جاء الإسلام ليردّ لهؤلاء البشر إنسانيتهم المعصبة منذ عهد سحيق!

جاء ليقول للسادة عن الرقيق: «نتم وهم سواء» «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ»<sup>٤</sup> وقال يوم الفتح

٢ - الأنعام ٦: ١٥٦ الإسراء ١٧: ٣١

١ - التكوين ٨: ٨

٣ - النور ٢٤: ٣٣

٤ - وردت الآية بشأن نكاح الإماء في عرض نكاح العرائر (النساء ٢٥)

بمكة. «أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبثة الجاهلية<sup>١</sup> وتعاظمها بآبائها فالناس رحلان برّ تقي، كريم على الله وعاجر شقي، هين على الله والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم»<sup>٢</sup>.

ومعنى ذلك أن الناس كلهم - الأسيد والعبيد - إخوان من ولد أبي واحد وأم واحدة ولا فصل فيمن أصله من تراب ولا بالأحساب

جاء في رسالة الحقوق التي بعثها الإمام زين العابدين عليه السلام إلى بعض أصحابه: «وأما حقّ مملوكك فإن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأهلك ولحمك ودمك»<sup>٣</sup>.

وفي ذلك فرض الأخوة - الأصبه - بين السيد وعبد المملوك له الأمر الذي لم يكن بطبقه مطلق البشرية آنذاك، لكن للإسلام فرصة فرض حتم

جاء في مسائل علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام الرجل يقول لمملوكه يا أخي ويا ابني، أيصنع ذلك؟ قال عليه السلام لا بأس<sup>٤</sup> أي لا حرازة بعد فرض المساواة في أصل النساء

وزيادة في رعاية الرفيق يقول الرسول الكريم: «لا يقل أحدكم هذا عدي وهذه أمتي، وليقل فتاي وفتاتي»<sup>٥</sup> وعلى ذلك يستند أبوهريرة فيقول لرجل ركب وخلّعه عبداً بجري. «احمله حلفت، فبئس أخوك وروحه مثل روحك»<sup>٦</sup>

وقد فرض الإسلام على السادة أن يساووا بين أنفسهم والعبيد من غير أن يتفاضلوا عليهم

١ - الشبهة، النخوة والكبر والمفاخرة بالأحساب.

٢ - الحبراب ٤٩: ١٣ راجع جامع الترمذي، ج ٥، ص ٣٨٩، رقم ٣٢٧ ومسند أحمد ج ٢، ص ٣٦١.

٣ - بحار الأنوار ج ٧١، ص ٥ و ١٤ و ١٥، والمصالح للصديق (أبواب العمى وما فوقه، رقم ١) ص ٥٦٧-٥٦٨.

٤ - بحار الأنوار ج ١، ص ٢٨٦ ومسائل علي بن جعفر ص ٨٨، رقم ٣٧٩ ووسائل الشيعة، الحديث ٧ من الباب ٥، من أبواب التدبير ج ٢٣، ص ١٢٤.

٥ - رواه أحمد في مسنده ج ٢، ص ٤٢٣ وفي غير موضع، والبخاري ومسلم وغيرهما.

٦ - إحياء علوم الدين، للرازي، ج ٢، ص ٢٢٠.

قال المعروف بن سويد الأسدي الكوفي - من كبار التابعين - دخلنا على أبي ذر<sup>١</sup> بالربذة، فإذا عليه برد، وعلى علامه منه فعبث لو أخذت برد علامك إلى بردك، كانت حلة، وكسوته ثوباً غيره! قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مائة كل، وليكسه مائة يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه.<sup>٢</sup>

وروى إبراهيم بن محمد الثعفي في كتاب عبارات بإساده إلى مختار التتار قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام سوق الكرابيس، فاشترى ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين فقال بائع، هذا الذي بثلاثه! أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المبر وتحطب الناس قال بائع، أنت شئت ولدك شراء لشاب، وأنا أستحيي من ربي أن أبطل عليك، لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول أسوهم مائة تلبسون، وطعموهم مائة تأكلون.<sup>٣</sup>

وكان من مكارم أخلاقه عليه السلام الأكل مع العبيد وليكون سنة من بعده، أي التناول مع الأرقاء، لفرص الترفيع بهم<sup>٤</sup> وكان يجيب دعوة العبد<sup>٥</sup> على خبر الشعر، ولا يرفع عليه.<sup>٦</sup>

وفي كتاب لإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ابنه الحسن «وأحسن للمماليك الأدب»<sup>٧</sup>

وهكذا كان يفعل دريخته لأطياب كان لإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إذا حلا جمع حشمه كلهم الصغير والكبير فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم وكان إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتى السائس ولحجّام إلا أقعده معه على مائدته<sup>٨</sup> وفي حديث آخر كان إذا خلا ونصت مائدته، أجلس معه على مائدته مماليكه

١ - بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٤١ رقم ١١.

٢ - المصدر ص ١٤٣-١٤٤ رقم ١٩.

٣ - المصدر ص ١٤٠.

٤ - المصدر ج ١٦ ص ١٩٩ و ٢٢٢ رقم ١٩.

٥ - المصدر ج ٧٤ ص ٢١٦ و ٢٢٣.

٦ - عيون أخبار الرضا للصدوق ج ٢ ص ١٥٧ باب ٤٠ رقم ٢٤.

ومواليه، حتّى البواب والسائس.<sup>١</sup>

ومن هنالك لم يعد الرقيق شيئاً. كما حسبه الرومان وإثماً صار بشراً له روح كروح السّادة، وقد رفعه الإسلام إلى مستوى لأخوة الكريمة، لا في عالم المثال والأحلام فحسب، بل في عالم الواقع كذلك

\*\*\*

وكان ﷺ يشدّد النكير على من أساء بعبده ويؤكد على وحبوب الرقيق معهم قال رسول الله: «ألا أتبيّحكم شرّ الناس من سافر وعده ومنع رفقده وضرب عبده»<sup>٢</sup> قال أبو مسعود الأنصاري كنت أصرب غلاماً، فسمعتني من حلفي صوماً أعلم أبا مسعود، أعلم أنا مسعود، إن الله قدر عبيك منك عليه، فالتفت فإذا هو لسي ﷺ فقلت يا رسول الله ﷺ هو حرّ لوجه الله فقال أما لو لم تعمل لعمّتك النار<sup>٣</sup> قال الصادق عليه السلام: من اغتري على مملوك غزراً، لحرمة الإسلام.<sup>٤</sup> وروى قتادة عن الحسن بن سمرّة بن جندب، قال قال رسول الله ﷺ: «من قتل عبده قتلناه، ومن جدد عبده جددناه، ومن أحصى عبده أحصناه»<sup>٥</sup> وروى الشيخ بإساده الصحيح إلى السكوبي عن الصادق عن بيّانه عن علي عليه السلام أنّه قتل حرّاً بعبدٍ قتله عمداً<sup>٦</sup>

١- المصدر ج ٢، ص ١٨٣، باب ٤٤، رقم ٧.

٢- يشار إلى آيات ج ٧١، ص ١٤١.

٣- المصدر ص ١٤٢.

٤- المصدر ج ٧٦، ص ١١٩ رقم ٦٥.

٥- روى النسائي في باب القود بين الأحرار والمملوك المجتبى، ج ٨ ص ١١٩ وابن ماجه في الباب ٩٢٢ ج ٢ ص ١٤٦، وأبو داود في النسب في كتاب الديار، رقم ٤٥١٥ ج ٤، ص ١١٦، والدارمي في سننه ج ٢، ص ١٩١ وأحمد في مسنده ج ١٥ ص ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٨ والترمذي في الجامع رقم ١٤١٤ ج ٤، ص ٢٦ قال هذا حديث حسن عريب، لأنّه بروايه سمرّة وحده وهو مضمون فيه عدا ومن لم يخرجه الشيخان، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٣٦٧-٣٦٨ وصحّحه على شرط البخاري.

وقالوا: إن الحسن نفسه لم يأخذ بهذا الحديث وذهب إلى أنّ الحرّ لا يفتاد بالعبد ومن الأئمة الأربعة ذهب أبو حنيفة لوحده إلى الإقتصار بنعموم ولأنّ العسمين تكافأ دماءهم النسائي ج ٨ ص ١٨ والفقه على المذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٨٧-٢٨٨.

٦- تهذيب الأحكام ج ١، ص ١٩٢، رقم ٧٥٧ والاستبصار ج ٤، ص ٢٧٣، رقم ٣٥، ووسائل الشيعة ج ٢٩ ص ٩٨، رقم ٩ وحمله الشيخ على عمود القتل وفي الخلاف ج ٢ ص ٣٤٢ كتاب الجانيات، مسألة ٤ لا يقتل حرّاً بعبد وذلك إجماع الأصحاب.



وروي أن علي بن الحسين عليه السلام ضرب مملوكاً ثم دَحَلَ إلى منزله فأخرج السوط، ثم تجرد له، قال: اجلد علي بن الحسين فأبى، فأعصاه خمسين ديناراً<sup>١</sup> وبذلك قد أصبح الرقيق كائناً إنسانياً له كرامه يحميها القانون، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل فأما القول فقد نهى الرسول، الشادة عن تذكير أرقائهم بأنهم أرقاء وأمرهم أن يخاطبواهم بما يشعرهم بحودة الأهل، ونهي عنهم صفة العبودية، وقال لهم في معرض هذا التوجيه «إِنَّ اللَّهَ مِنْكُمْ إِيَّاهُمْ، وَلَوْ شَاءَ لَمَلَكَهُمْ إِيَّاكُمْ»<sup>٢</sup> فهي إذن مسجود ملابسات عارضة جعلت هؤلاء رقيقاً، وكان من المحكم أن يكونوا سادة لمن هم اليوم سادة! وبذلك يقض من كبرياء هؤلاء، ويردّهم إلى الأصرة الشريرة التي ترتبطهم حسيماً، والمودة التي ينبغي أن تسود علاقات بعضهم بعض.

وأما الاعتداء الحسدي فعمومه الصريحة هي المعاملة بالمثل، «من افترى على مملوك عزر»<sup>٣</sup> و«من جدد عبده جدد»<sup>٤</sup> وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الإنسانية الكاملة بين الرقيق والسادة، وصريح في بيان الضمانات التي يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر - التي لا يفرحها وضعها لعرض عن صفها البشرية الأصيلة - وهي ضمانات كاملة ووافية تبلغ حدّاً عجيباً لم يصل إليه قطّ تشريع آخر من تشريعات الرقيق في التاريخ كله، لا قبل الإسلام ولا بعده، إذ جعل مجرد ضرب العبد - في غير التأديب -<sup>٥</sup> مبرراً قانونياً لتحرير الرقيق!!<sup>٦</sup>

١ - بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ١٤٣، رقم ١٦.

٢ - ذكره أبو حامد الغزالي في كتاب «إحياء علوم الدين» (ج ٢ ص ٢١٩) في الكلام عن حقوق المملوك ورجع المحجة البيضاء للفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٤١٤.

٣ - وللتأديب حدود مرسومة لا يتعداها، ولا يتجاوز عن أي حال ما يؤدّب السيد أباه.

قال رواية من أعين سنت لأبي عبد الله عليه السلام أحلقت الله، ما نرى من ضرب العبد؟ قال: ما أتى منه على يديه - أي من غير تعصير - فلا شيء عليه. وأما ما عصاك فيه فلا بأس. هبت: كم أضربه؟ قال: ثلاثه، أربعة، خمسة. روى البرقي في المحاسن، ج ٢، ص ٦٥، باب ١١، رقم ٢٦١٣/٨٦، واليه، ج ٧٦، ص ١٤١، رقم ٦٠.

٤ - قال أبو جعفر الباقر عليه السلام، إن أبي (علي بن الحسين عليه السلام) ضرب غلاماً به قرعة واحدة بسوط وكان به في حاجة فأبطأ عليه، فبكى الغلام وقال: الله يا عمي بن الحسين، تبسني في حاجتك ثم طرني؟ قال: فبكى أبي وقال: (إي يا بني، اذهب إلى غير رسول الله صلى الله عليه وآله فصل ركعتين ثم قل: اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئة يوم الدين، ثم قل: للعلام،

بل ورفع من مكانتهم حتى أجاز لائتمام بهم في الصلاة - وهي أفضل عبادات الإسلام - جاء في «قرب الإسناد» للحميري عن الإمام الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «لأناس بأن يؤم المملوك إذا كان قارئاً»<sup>١</sup>.

وليكون ذلك دليلاً على صلاحيتهم تصدي جميع المناصب الرسمية وغير الرسمية في النظام الإسلامي وأن لا فرق بينهم وبين الأحرار في ذات الأمر وهذا من المساواة في أحقر وأصغر شكلها، المعقول. وذلك يرى الرسول ﷺ قد أمر ريداً مولاه على رأس جيش فيه كبار الأنصار ولهاجرين فلما قتل زيد ولي ابنه أسامة قيادة الجيش وفيهم أبوبكر وعمر فلم يعط الرقيق بذلك محرر المساواة الإنسانية، بل أعطاه حق القيادة والرئاسة على الأحرار فأعطى العبد بذلك الحق في أرفع مناصب الدولة كلها

وقد وصل الإسلام في حسن المعاملة وردّ الاعتبار الإنساني للرقيق إلى درجة صعبة، حتى ولقد آحا الرسول ﷺ بين بعض العبيد وبعض أكابر الأصحاب من سادة العرب، فأخى بين بلال بن رباح وأبي ربيعة الخثعمي، وبين مولاه زيد وعمته حمرة،<sup>٢</sup> وكانت هذه المواخاة صلة حقيقية تعدل رابطته ابدم والنسب

كما وزوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد والزواج مسألة حساسة جداً وخاصة من جانب المرأة، فهي بأبي أن يكون زوجها دونهما في الحسب والنسب والثراء، وبحسب أن هذا يحط من شأنها ويغض من كبريائها ولكن الرسول كان يهدف إلى

١- اذهب، فأنت حر لوجه الله قال أبو بصير فكتب به سميت بذلك كان المولى كفارة الضرب؟ فسكت! البحار، ج ٧١ ص ١٤٢، رقم ١٢

وكان رجل من بني فهد يضرب عبداً به وهو يسمعه بالله ولم يعلم منه حتى إذا أبصر رسول الله ﷺ استعاد به فأفزع عنه فقال له النبي: ينعوذ بالله فلا يعبده، ويتعوذ بمحمد فعبده؟ ولقد أحق أن يجاز عاتذه من محمد! فقال الرجل: هو حر لوجه الله. فقال النبي ﷺ والذي بعثني بالحق نبياً لو لم تعف عنه لأشفقت وجهك حر النار بهار الأنوار، ج ٢٦ ص ١٤٣، رقم ١٥ وإسياه علوم الدين، ج ٢، ص ٢٢٠

وقال الزهري: من قتل مملوكك: أغرك الله، فهو حر المصدح ج ٢، ص ٢٢ والآثار من هذا القيل كثير

٢- بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٤٣، نقلاً عن قرب الإسناد، ص ٩٥، طبعه. والمجلد من هذا (ص ٤٥) بيان واقف.

٢- راجع السيرة لابن هشام، ج ٢، ص ١٥١-١٥٣

معنى أسمى من كل ذلك، وهو رفع الرقيق من لوهده التي دفعته إليها البشرية الظالمة، إلى حيث مستوى أعظم سادة العرب من قرش

\*\*\*

كل ذلك هي خطرات واسعة لتحرير الرقيق روحياً، برده إلى الإنسانية، ومعاملته على أنه بشر كريم، لا يفرق عن السادة من حيث الأصل، وإنما هي ظروف عارضة حدثت من الحرية الخارجية للرقيق في التعامل المباشر مع المجتمع، وفيما عدا هذه النقطة كانت للرقيق كل حقوق آدميين

ولكن الإسلام لم يكن ليكتفي بهذا المقدار، لأن قاعدته الأساسية العظمى هي المساواة الكاملة بين البشر، وهي التحرير الكامل لكل بشراً وكل الذي بعدهم كان نهيداً للبلوغ إلى هذه العاية، والتي كان النبي ﷺ يترقبها، إنما هي حال حياته أو فيما بعد، ترقباً غير بعيد

قال ﷺ «ما زال جبرائيل يوصيني بالعدل حتى ظننت أنه سيجمع لهم وقتاً إذا بلغوا ذلك الوقت أعتقوا»<sup>١</sup>

وبالفعل جعل وسيلتين كبيرتين هما بحق والكتابة إلى التحرر التام هذا فضلاً عن رفض مطلق لأسباب الاسترقاق - والتي كانت متفشية وعن طرق معادية - والنهب والأسر والإغارة الفاشمة كان الإسلام يرفضها رفضاً باتاً وبذلك انسدت - شرعياً - باب الاسترقاق نهائياً منذ ذلك الحين

ويكفيك نموذجاً عن شناعه نظام الاسترقاق في العصر الجاهلي، حادث استرقاق زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول الأعظم ﷺ

كانت أمه سعاد بنت سعد من بني مسطى، أرادت أن تزور قومها فاصطحبت بنها زيداً وهو لم يبلغ ثمانية من عمره، فما أن وردت القوم إلا وأغارت عليهم خيل بني القين، فنهبوا وسلبوا وأسروا، ومن جملة الأسارى زيد، فقدموا به سوق

١ - أورده الصديق في الأمالي، المجلس السادس والثمانون ص ٣٨٤ وفي كتابه «من لا يحضره الفقيه» ج ٤، ص ٧

عكاظ، فاشتراه حكيم بن حرام لعمته خديجة بنت خويلد. فوهبته خديجة للنبي ﷺ بمكة قبل البعثة، وكان زيد قد بلغ الثمانية

وكان أبوه قد وُجد لفقده وحداً شديداً، قال فيه.

بكيّت علي زيد ولم أدر ما عمل

أحسّي يُسرّجسي أم أتى دوني الأهل

فوالله مسما أدري وإن كُنت سائلاً

أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة

فحسبي من الدنيا رجوعك لي عمل

تذكرني الشمس عند طلوعها

ويمرض ذكره إذا قارب الطفل

وإن هبّت الأروح هبّح ذكره

ميا طول ما حزني عليه وما وجل

سأعمل نصّ العيش في الأرض جاهاً

ولا أسأم التسلطواف أو تسأم الأبل

حياتي أو تأتي علي منسي

وكلّ امرئ فاني وإن غره الأمل

إلى آخر أبيات له تُنبؤك عن شدة حرته الذي لم يزل يكابده.

ثم إن أناساً من كلب (قوم زيد) حجّوا فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه وقال لهم: أبلغوا

عني أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم جزعوا علي فقال

أحنّ إلى قومي وإن كنت نائياً

فكفّوا من الوجد الذي قد شجاكم

فإني بحمد الله في خير أسرة

كرام معدّ كابرأ بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وأخوه كعب لعدائه فعدما مكّة مدحلاً على النبي ﷺ فصلاً يا أس عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في انتنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في قدائنا فقال، من هو؟ قالاً زيد بن حارثة فدعاه وحرّره فاحترار البقاء في كنف رسول الله ﷺ ورصياً بذلك

وكان ﷺ قد عزم على تسيه فسأه على ملأ من قريش، فأصبح مولاه عن رصاً نفسه<sup>١</sup>

لما ترى هل من المعقول أن شريعة - كشرعية الإسلام الداعية إلى تحرّر الإنسانية - تقرّر من رقبة مثل زيد، بهذا الشكل الفصيح لمشحى الذي تمجّه النعوس الآية فصلاً عن لعقول الحكيمه؟

كلّا، لا يقرّره أبداً، ما عرفنا من الإسلام دين العطرة، دين الإنسانية المتحرّرة، الذي بأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وحرّ لهم انطيات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم<sup>٢</sup> قالوا.

وهنا يحطر لسؤال الحائر على لأفكار واصمائر إذا كان الإسلام قد خطا هذه الخطوات كلّها نحو تحرير الرقيق، وسبق به لعالم كنه متطوعاً غير مضطّر ولا مصفوط عليه، فلماذا لم يخطّ الخطوة الحاسمة الدفة؟ فنعس في صراحة كاملة إلقاء الرّق من حيث المبدأ، وبذلك يكون قد أسدى للبشرية خدمة لا تُقدّر، ويكون هو النظام الأكمل الذي لا شبهة فيه، والحدير حقاً بأن يصدر عن الله الذي كرّم بني آدم، وفصّلهم على كثير ممّن خلق؟<sup>٣</sup>

قلب، ليس يخفى على ذوي النّب أن الإسلام قد جفّ منابع الرّق كلّها - كما

١ - راجع، تمام القصّة في أسد الغابة لابن الأثير في ترجمة زيد، ج ٤، ص ٢٢٤-٢٢٥

٢ - من الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.

٣ - سؤال طرحه سيد طلب واجاب عليها بما جاء منحصراً هنا شبهات حول الإسلام، ص ٣٩.

ذكرنا - فيما عدا منبعاً واحداً لم يكن من المصلحة نجفيفه آنذاك، وذلك هو ورق الحرب، لملاسات سوف يذكرها وعليه فقد أعلن - لكن في غير صراحة - إلغاء نظام الرّق مس حيث المبدأ، وإن كان الشدبد عليه بحاجة إلى توفر شرائط لم تكن مؤاتية حينذاك، كما أشرنا إليه وسنشير وينبغي أن ندرك حقائق اجتماعية وسيكلوجية وسياسية أحاطت بموضوع الرّق، وأحرّت هذا الاعلان (الصريح) المرتقب. وإن كان ينبغي أن ندرك أنه تأخر في الواقع كثيراً جداً عما أراد له الإسلام، وعمّا كان يمكن أن يحدث لو سار الإسلام في طريقه الحق، ولم تفسده الشهوات والانهزافات.

يجب أن نذكر أولاً أن الإسلام جاء والرّق نظام معترف به في جميع أنحاء العالم كما أسلفنا، وكان إبطاله في حاجة إلى زمن. ويكفي الإسلام على أي حال أن يكون هو الذي بدأ حركة التحرير في العالم، وأنه في الواقع جفّف منابع الرّق القديمة، لولا منبع جديد ظلّ يفيض بالرّق من كلّ مكان، ولم يكن بوسع الإسلام يومئذ القضاء عليه، لأنه لا يتعلق به وحده، وإنما يتعلق بأعدائه الذين ليس له عليهم سلطان، ذلك هو ورق الحرب فقد كان العرف السائد يومئذ هو استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم. وكان هذا العرف قديماً جداً موغلاً في ظلمات التاريخ يكاد يرجع إلى الإنسان الأول، ولكنه ظلّ ملازماً للإنسانية في شتى أطوارها

وجاء الإسلام والناس على هذا الحال، ووقعت بينه وبين أعدائه الحروب، فكان الأسرى المسلمون يُسترقّون عند أعداء الإسلام، فتُسلَب حرياتهم، ويعامل الرجال منهم بالعسف والظلم الذي كان يومئذ يجري على الرقيق. وتمتلك أعراض النساء... هندئذ لم يكن في وسع الإسلام أن يطلق سراح من يقع في يده من أسرى الأعداء فليس من حسن السياسة أن تشجّع عدوك عليك بإطلاق أسراهم، بينما أهلك وعشيرتك وأتباع دينك يسامون الخسف والعذاب عند هؤلاء الأعداء. والمعاملة بالمثل هنا هي أعدل قانون تستطيع استخدامه، أو هي القانون الوحيد

ومما هو جدير بالإشارة هنا أن الآية الوحيدة التي تعرّضت لأسرى الحرب: «فإنما

مناً بعدُ وإِثماً فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْرَاقَهَا،<sup>١</sup> لم تذكر الاسترقاق للأسرى، حتَّى لا يكون هذا تشريعاً دائماً للبشرية، وإِثماً ذكرت لعداء أو إطلاق السراح بلا مقابل، لأنَّ هذا وذاك هما القانونان الدائمَان، اللذان يريد القرآن لبشرية أن تفصر عليها معاملتها للأسرى في المستقبل القريب أو البعيد وإِثماً أحد المسمومين بعبء الاسترقاق، خضوعاً لضرورة قاهرة لا فكاك منها، وليس خضوعاً لنص في التشريع الإسلامي

إذن فلم يلجأ الإسلام إلى هذا الطريق، ولم يسترَق الأسرى لمجرد اعتباره أنهم ناقصون في آدميتهم وإِثماً لجأ إلى المعاملة بالمثل بحسب، فعَلَّق استرقاقه للأسرى على اتفاق الدول المتحاربة على مدِّ آحر غير الاسترقاق، ليضمن فقط ألا يسع الأسرى المسلمون في ذلِّ الرِّقِّ بغير مقابل

ومع هذا فلم يكن تقلد الإسلام لدنم هو استرقاق الأسرى، فحيثما أُنِمن لم يسترَقهم وقد أطلق الرسول بعض الأسرى بلا فداء، كما وأحد من نصارى نجران حزمة وردَّ إليهم أسراهم ولم يعهد أَنَّهُ يُكَلِّمُ استرقَّ لأسرى - كما كان عليه عرف ذلك اليوم - وليضرب بذلك المَثَل لما يريد أن يهدى إليه البشرية في مسستها، حين تتخلص من ورائاتها الكريهة، وتستطيع أن تستعيد إلى حظيرتها أصالتها الكريمة

### خرافات جاهلية بائدة

قالوا، هناك خرافات جاهلية بائدة جاءت في القرآن جريباً مع ثقافته العصر الذي عاشه، ومتأثراً بها ممَّا يتناهى وكونه كلام عليم حبير من ذلك الكلام عن الجنِّ والسحر وإصابة العين ومسَّ الجنِّ!

غير أنَّ هذه النسبة الطالعة شأب عن مراوغ الفهم لمعاني القرآن ومزالق الوهم عند مواجهة تعابيره القويمة.

أما الجنُّ فحقيقة ثابتة لا تُنكر، وقد بدت طلائعها منذ عهدٍ غير بعيد وليس كلُّ ما

لا يُدرك بالحواس الظاهرة محكوماً عليه بـ 'رفض وعدم الوجود، بعد أن لم تكن الحواس الظاهرة هي لوحدها المقياس للرد والقول - كما نكها - ولم يكن العلم يوماً ما معترفاً بهذه الكلية المنهارة الأساس فهناك لكثير من أمور لا تقع تحت معيار الحق ولكنها ثابتة بدليل الوجدان لداتي ومرتد العقل الحكم

وأما السحر فلم يعترف به القرآن في شيء بل رفض إمكان تحقيقه بمعنى تأثيره في قلب الحقائق، وإنما هي شعرة وحيل ووسوس خبيثة لا أكثر  
وأما إصابة العين فلم يتعرض لها القرآن في شيء من تعابيره، سواء أكانت لها حقيقة أم لم تكن وكذا مس الجن وما أشبهه مقابله بتفصيل

### الجن في تعابير القرآن<sup>١</sup>

من العريب أن يرى بعض الكُتّاب الإسلاميين يلتهجون بما لا كنه المستشرقون الأجانب من فرض التعابير الواردة في القرآن بشأن الجن، تعابير مستعارة من العرب توافقاً معهم جداً كعامل تنفيذ في أوساطهم على سبيل المعاشاة، لا على سبيل الحقيقة المعترف بها إذ يبعد اعتراف القرآن بما لا يعترف العلم التجريبي بوجوده أو سوف ينتهي إلى إنكاره رأساً لكن ذلك لا يوهن شأن القرآن بعد أن كان تعبيره بذلك ظاهرياً ومجازاً مع القوم وهكذا تعبيره عن السحر وإصابة العين تعبير ظاهري وليس على حقيقته قالوا وهذا نظير تأثيره ظاهراً بسلطان الملك الباطليوسي والطب الجاليلوسي القديمين، وقد رفضهما العلم الحديث.

قلت أما اعتراف القرآن بوجود الجن في جنب الإنس واشتراكهما في الخلق والتكليف وفي نهاية المطاف، فمما لا يعمره شك، ولا يسوغ لمسلم يرى من القرآن وحياً من السماء أن يرتاب في ذلك، فإن هناك ورء عالم الشهود كائنات ملكوتية أعلى تُسمى بالملائكة، وأخرى أدنى تُسمى بالجن الأمر الذي صرح به القرآن الكريم بما لا يدع

١ - جاء التعبير بالجن في ٢٢ موضعاً والجن جمع الجن، في ٧ مواضع والجنة في ٥ مواضع.



مجالاً للريب فيه أو احتمال لتأويل «وَحَقَّقْ لُجُنَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ تَارٍ»<sup>١</sup> «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»<sup>٢</sup> ويبدو أن خلق الجن كان قبل الإنس، حيث أمر إبليس وكان من الجن<sup>٣</sup> أن يسجد مع الملائكة لآدم، بعد أن خلقه من طين قُأبَى واستكبر وكان من الكافرين<sup>٤</sup>

وأما العلم التحريبي فلا مَتَّسَع له في هذا المجال، بعد أن كان سلطانه مهيماً على عالم لحس، ومحدوداً بآفاقه من غير أن يمكنه لمس ما وراء ستار الغيب فكيف يجوز له بالنسبة إلى أمر خارج عن سلطانه أن يحكم عليه بنفي وإثبات أو يجعله موضع رفض أو قبول؟!

نعم، هناك لأصحاب المذاهب انعتبية من علماء المسلمين وغيرهم من المعنفين بوحى السماء كلام عن مدى مقدرة هذا الكائن العيبي، وهل له سلطان على التدخل في شؤون الإنس أو يمسّه بسوء؟ الأمر الذي أنكروه أشدّ الإنكار، على خلاف أصحاب التزمّت في الرأي ممن ركضوا وراء أهل البدعة في التفكير، واتبعوا حرافتهم الأساطيرية البائدة

هالاعراف بوحود الجن شيء، ورفض مقدرتهم على التدخل في شؤون الإنس شيء آخر، والرفض في هذا الأخير لا يستدعي رفضاً في أصل الوجود ذهب أصحاب القول بالعدل<sup>٥</sup> إلى أنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يتسلط كائن عيبي على كائن عيبي فتلاعب نفسه ومقدّراته وهو لا يستطيع الدت عن نفسه حيث لا يراه وكل ما قيل في مسّ جنون وما شابه، فهو حديث حرافه ومن مرادهم باطله تفنّده الحكمة الرشيدة نعم سوى بعض الوسائس (بحاء ت مغربة) يُلقبها شياطين الجن على شاكلتها من الإنس «يُوحى بخصمهم إلى بخص زُحُوف القول عُرُوراً»<sup>٦</sup> «وإن الشياطين ليوحون

٢- الداريات ٥١: ٥٦.

١- الرحمن ٥٥: ١٥.

٤- البقرة ٢: ٣٤.

٣- الكهف ١٨: ٥٠.

٦- الأنعام ٦: ١١٢.

٥- راجع في ذلك التفسير الكبير، ج ٧، ص ٨٨.

إلى أوليائهم»<sup>١</sup> ويقول الشيطان لما قصي لأمر «وَمَ كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ»<sup>٢</sup>

وزعم الإمام الرازي أن ظاهر المقول عن أكثر الفلاسفة إنكار وجود الجن، استناداً إلى كلام الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته في حدود لأشياء، حيث يقول: الجن حيوان هوائي متشكّل بأشكال مختلفة ويُعَمِّقُهُ بِقَوْلِهِ وَهَذَا شَرْحٌ لِلْإِسْمِ قَالَ الرَّازِي وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِّ شَرْحٌ لِلْمُرَادِّ مِنْ هَذَا مِصْطَ، وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج<sup>٣</sup>

وقد أخذت دائرة المعارف الإسلامية لمت ترجمة إلى العربية هذا الاستظهار من الرازي مسنداً لتسبب إلى الشيخ الرئيس إنكاره الباطل لحقيقة الجن جاء فيها: ولكن ابن سينا عند تعريفه لكلمة «جن» أكد في غير مواضع أنه ليست هناك حقيقة واقعة وراء هذه الكلمة<sup>٤</sup>

غير أن ذلك الاستظهار من الرازي خطأ، وكانت عبارة الشيخ الرئيس يعني أن هذا التعريف للجن ليس حداً تاماً - حسب مصطلحهم - وإنما هو رسم ناقص لا يعدو شرح الاسم، كما في قولهم سعدانة نبت، إذ ليس فيه ذكر لذاتيات المعرف (الجنس القريب والعصل القريب)، ومن ثم فهو تعريف ناقص لنوارم والآثار وليس بالجنس والعصل القريبين

إذن، فنسبة إنكار حقيقة الجن إلى مثل الشيخ الرئيس - كبير الفلاسفة الإسلاميين ومن ذوي العقول الراححة المعتقدة بالإسلام والقرآن - خطأ يُشبه الافتراء ومن العريب أن الإمام الرازي يُعَقِّبُ ذَلِكَ، بقوله وأما جمهور أرباب الملل والمصدقين للأنبياء فقد اعترفوا بوجود الجن ياترى أليس شيخ فلاسفة الإسلاميين من المصدقين للأنبياء ولا سيما نبي الإسلام والقرآن العظيم؟<sup>٥</sup>

وبعد، فإذا لم يُعَدَّ البحث عن حقيقة نجن إلى مسأله فلسفية بحثة ولا إلى فرضية

١ - الأعمام ٦: ١٢١

٢ - برهيم ١٤: ٢٢

٣ - التفسير الكبير، ج ٢٠: ص ١٤٨

٤ - دائرة المعارف الإسلامية ج ٧: ص ١١٣

علمية محضة، وإنما هو إخبار عيبي لا مصدر له سوى وحي السماء، وقد أكدت عليه جميع الكتب السماوية واعتقدته أصحاب الملل من صدق يرسلات الله في الأرض، من غير خلاف بينهم في أصل وجوده، إذن فلا مجال للتراجع تجاه إيهام أن سوف يرفضه العلم، مع فرض أن لا متسع للعلم في هكذا مجالات هي وراء ستار الغيوب

وللشيخ محمد عبده كلام تفصيلي حول الملائكة والجن والشياطين، له وجهة وحيه لمن تدبره بامعان، وعبثاً حاول بعضهم الإنكار عليه ورتما رميه بالخروج عن مظاهر الدين، وما هذه الهجمة إلا جفاء بشأن علم مجاهد في سبيل الإسلام خبير.<sup>١</sup>

#### كلام عن مس الجن

وأما الكلام عن مس الجن وأن الجن داء عارض من مسه فيعالج باللجوء إلى الرقي والتعويدات ودمدمة الكهنة وأصحاب التسخيرات وما إلى ذلك من خرافات بائدة فالذي يمكننا القول فيه أن ليس في القرآن شيء من ذلك، حتى ولا إشارة إليه، إذ لا شك أن الجنون داء عصبي وله أنواع بعضها صالح لعلاج بأسباب عادية ذكرها الأطباء في كتبهم قديماً وحديثاً، وهناك مراكز لمعالجة هذه الأمراض أو التخفيف من وطئتها بالأساليب العلاجية الطبيعية المتعارفة وليست بالأساليب الغريبة

وليس في القرآن ما يبدو أنه أن صاحب هذا الداء إنما يُصاب على أثر مس الجن له نعم سوى استعماله لهذه اللفظة (المجنون) في أحد عشر موضعاً<sup>٢</sup> وكذا التعبير بمن به حجة في خمسة مواضع.<sup>٣</sup>

وهذا من باب المجازاة في الاستعمال<sup>٤</sup> - كما نيتها - حيث كان التفاهم بلسان

١ - راجع ما كتبه بهذا الشأن في تفسير الماد، ج ٦ ص ٢٦٧-٢٧٣ وج ٣ ص ٩٦ وراجع أيضاً المبر، للسيد الطباطبائي، ج ٢ ص ٤٣٣-٤٣٩.

٢ - الحجر ١٥: ١٨، الشعراء ٢٦: ٢٧، الصافات ٣٧: ٣٦، المدثر ١٤: ١٥، الذاريات ٥١: ٣٩ و ٥٢: الطور ١٥٢، القمر ١٥٤: ٩، القلم ٦٨: ٢ و ١٥٦: التكويم ٨١: ٢٢.

٣ - الأعراف ١٧: ١٨، المؤمنون ٢٣: ٢٥ و ٢٧: ٨٥، سبأ ٨٥: ٨٦.

٤ - أي من تسمونه بهذا الاسم، أو يسمونه بهذا اللفظ في محالكم المتعارف عندهم.

القوم. وليس عن اعتراف بمنشأ هذه التسمية لمعوية ولا يرال الأطباء المعالجون - قديماً وحديثاً - يعبرون عن المصاب بهذا الداء بالمجنون وعن نفس الداء بالمجنون، مجازاً مع لغة العامة، ولا يعني ذلك اعتمادهم بمسّ الحنّ يّاه حصيداً وتلك دور المجانين معدّة لمعالجة المصابين بهذا الداء أو للحراسة عنهم مرسوم عليها نفس العنوان وليس إلّا لأجل التفاهم مع العرف الدارج لا غير

وأما قوله تعالى «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»<sup>١</sup> فالمراد من المسّ هنا هو مسّ وساوس الحبيشة المعريّة، والتي هي عبارة عن استحواده على عقيدة أهل المطامع لينيه بهم لدرب ويحعلهم في السعي وراء مطامعهم يتحبطون حبط عشواء وفي عياهب عنهم يعمهون وهذا إنّما يعني استيلاء الشيطان على شرائر وجودهم فعموا وصموا «كَأَلَدَىٰ لَهْوَ الْغُلَامِ لَا يَذْكُرُ الْوَعْدَ»<sup>٢</sup> «إِسْتَفْزَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»<sup>٣</sup> قال تعالى - بحكاية عن نبيّ الله أيّوب عليه السلام -: «إِذْ مَادَىٰ رَبُّهُ أَلِيَ مَسِيَّ الشَّيْطَانِ يُفْسِدُ وَعْدَابِ»<sup>٤</sup> أي مَسِيَّ ضرّ وساوسه ودسائسه الحبيشة في سبيل إيقاع أولياء الله في النصب ومكابدة الآلام، كما في قوله «إِذْ مَادَىٰ رَبُّهُ أَلِيَ مَسِيَّ الصُّرِّ وَأَنْتَ أَزْهَمُ الزَّاجِحِينَ»<sup>٥</sup> فمسّ الشيطان هو مسّ ضرّه على أثر دسائسه الخبيثة، لا الإضرار مباشرة<sup>٦</sup>

#### التشبيه في رؤوس الشياطين

قال تعالى: «أَذَلَّكَ خَيْرٌ أَمْ شَجَرَةُ الزُّرُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّمَا شَجَرَةُ زُرُّومٍ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَا كَيْفَونَ مِنْهَا فَيَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونُ»<sup>٧</sup> وهذا أيضاً أحدوه على القرآن، حيث السعير رؤوس الشياطين جاء على

١ - البقرة ٢: ٢٧٥

٢ - الأنعام ١: ٧١

٣ - المجادلة ٥٨: ١٩

٤ - الأنبياء ٢٦: ٨٢

٥ - راجع التفسير الكبير، ج ٧، ص ٨٩ والميزان، ج ٢، ص ٤٣٦

٦ - الصافات ٣٧: ٦٢-٦٦

ما توهمته العرب أنَّ للشياطين رؤوساً على غرار ما توهموه في الغول. جاء في شعر امرئ القيس: «ومسنونة زرق كأياب أعوال»

غير أنَّ الشيطان في اللغة من أوصاف المبالغة مأخوذ من شاط يشيط إذا اشتدَّ غيظاً وغضباً يقال تشيَّط إذا احترق عيظاً واشتط اشتطاطاً عليه إذا التهب غضباً وكذا قولهم اشتطاط عليه أي احتدَّ عليه غضباً واشتطاط الحمامُ نشط واشتطاط من الأمر خفَّ له. واشتطاط فلان أي استقتل وعرض نفسه للقتل وأصله من شاط الشيء إذا احترق

قال ابن فارس. الشيط من شاط شيء إذ احرق ومنه اشتطاط الرجل إذا احتدَّ غضباً قال ومن هذا الباب الشيطان<sup>١</sup> وبطلق على كل منمرَّد عاب من الجنِّ والإنس والدوابِّ، فهو فعْلان، لتكون الألف والواو رتدتين، كما هي عطشان وعصيان ورحمان أمَّا القول بأنَّه من شطن ليكون على وزن فيعال فهو غريب، إذ لم يُعهد مثلُ هذا الوزن في صنع المبالغة، وإن قال به الخليل:

وهكذا الرغب رجح كون نون أصميَّة بدليل جمعه على شياطين<sup>٢</sup>

وعلى أي حال فهو وصفٌ يُطلق على كل منمرَّد عاب بالْع في شططه كالعسنشيط غضباً أو الملتهب غيظاً قال جرير:

أيام يدعونني الشيطانَ من عزلي      وهنَّ يهوينني يد كستُ شيطاناً

وقال آخر لو أنَّ شيطان الذناب انْعَسى      قال الراغب جمع العاسل وهو الذي يضطرب في عدوه، واختصَّ به عسْلان مذنب قال. وسَمِّي كل خُلُق ذميم للإنسان شيطاناً فقال عليه السلام «الحَسَدُ شيطانٌ والعَصَبُ شيطانٌ» فليس الشيطان اسماً لايلبس ولا خاصاً بجنوده الأنالسة وإنما أطلق عليه كإطلاقه على سائر ذوي الشرور قال تعالى «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ»<sup>٣</sup>

١ - معجم معانييس اللغة، ج ٣، ص ٢٣٤-٢٣٥ و ١٨٥. ٢ - المعرفات، ص ٣٦١. ولسان العرب، ج ١٣، ص ٢٣٨

٣ - الأنعام ٦: ١١٢

والشيطان - أيضاً - اسم لحيّة بها عُزف، وهي لحيمة مستطيلة فوق رأسها شبه عُزف الديك قال الرّحّاح، تسمّي لعرب بعض لحيات شطناً قبل هو حيّة لها عُزف قسبح المنظر<sup>١</sup> وأنشد الرجل (هو الراحر)<sup>٢</sup> يدمّ، مرأة له كانت سليطة

عَنْجَرْدٌ تَحْدَفُ حِينَ أَحْدَفَ      كمثل شيطانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ<sup>٣</sup>  
وقال آخر بصف باقته في المسير:

تُلاعِبُ مَشَى حَضْرَمِي كَأَنَّهُ      تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بِدِي خِرْوَعٍ عَمْرُ<sup>٤</sup>

والشيطان في هديي السيتين هي احيته المهيبة بَسَفَرٍ منها، لها عُزف كتاج الديك قبيح المنظر فقد شبه الشاعر في البيت الأول امرأته العجور السليطة بشيطان الحماط القبيح المهبب وهي الحيّة ذات عُزف يكثر وجودها تحت شجر الحماط في الصحراء القاحلة

وهي البيت الثاني شبه لشاعر زمام باقته في بدويّه بسبب مشية الماقة بتلوي حيّة قبيحة الهيئة تلتوي في بيداء قفل<sup>٥</sup>.

وعليه، فالشبيه في الآية الكريمة وقع على الوقع المشهود، هي رؤوس الحيات القبيحة المنظر الهائلة على حدّ تعبير الزمخشري في الكشف وواجه اللغة والعرف العامّ حسبما عرفت وليس مجرد تخييل أو تقيد لما توهمته العرب كما رعمه الراعمون! وهكذا، جاء في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة قال والعرب تقول إذا رأت منظرًا قبيحاً كأنه شيطان الحماط، ير دون حيّة بأوي في الحماط، كما تقول أيُّ الضالّ،

١ - قال الزمخشري: قيل للشيطان حيّة عرفت، لها صورة فيحده المنظر هائلة جدّاً الكشف ج ٤، ص ٤٦.

٢ - راجع تفسير أبي الفتح الرازي، ج ٩، ص ٣١٣

٣ - المجرد، المرأة السليطة الطويلة اللسان الصخابة، وجاء البيت في تأويل مشكل القرآن، ص ٣٨٩ «عَنْجَرْدٌ» بدل «عَجَرْد» والحماط - جمع حَمَاطَة - شجر سبت في البررى شبهه السبه، تكثر حولها الحيات والأعرف: ذو العرف،

هي اللحيمة شبه التاج تكون في أعلى رأس بعض الحيات مثل تاج الديك وهي من أشدّ الحيات تنفراً

٤ - المعنى: زمام الناقة والحضرمي مسوب إلى حضرموت والخروغ: شوك لا يُرعى لفظه يبت في الفوات القصر

راجع لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٢٨-٢٣٦؛ وراجع أيضاً معاني القرآن للقرطبي، ج ٢، ص ٣٨٧

٥ - تفسير أبي الفتح الرازي، ج ٩، ص ٣١٣

وذئب لفضى، وأرنب خلة، وتيس حلب، وقنعد برقة

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي وهذا كتشبيه تعالى عصا موسى عليه السلام التي انقلبت حية تسمى بالجان، وهو أيضاً اسم للحية السريعة السلوي في حركتها<sup>١</sup>  
قال ابن منظور والجان، ضرب من الحيات أكحل العيين يضرب إلى الصفرة لا يؤذي وهو كثير في البيوت قال سيويه والجمع جئان، وأنشد بيت الخطمي جد جرير يصف إبلاً

أعناق جئان وهاماً رجماً وعماً بعد الرسيم حبطها

وفي الحديث أنه نهى عن قتل الجئان قال هي الحيات تكون في البيوت، واحدها جان، وهو الدقيق الخفيف

قال الأزهري في التهذيب في قوله تعالى «تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ»<sup>٢</sup> الجان حية بيضاء قال أبو عمرو الجان حية، وجمعه جئون

قال الزجاج المعنى أن العصا صارت تنحرف كما يتحرك الجان حركه جمعة قال وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيات ونحو ذلك قال أبو العباس المبرد قال شبهها في عظمها بالثعبان وفي خفتها (خفة حركتها) بالجان ولذلك قال تعالى مرة «فإذا هي ثعبان»<sup>٣</sup> ومرة «كأنها جان»<sup>٤</sup>

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي - في وجه التشبيه بالجان مرة وبالثعبان أخرى - إن التشبيه الأول وقع في بدء بعثته عليه السلام عند الشجرة قال تعالى في سورة النمل «يا موسى إنني أنا الله العزيز الحكيم وإني عصاك فلما رآه تهتز كأنه جان»<sup>٥</sup> ولما رأى موسى أن العصى لا تنحرف

١ - تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٩. والأيم - يسكو - الباء - وشدها - الحية الأبيض اللطيف والفضال. نوع من الشجر يبيت في السهول والوعور له سوك، ويقال هو السدر من شجر السوك وأفعه منقبه عن الياء والفضى. نوع من الشجر يأوى إليه أخبث الدواب. والخنة. نبات فيه حلاوة والخشب بقية جمعه صراء في حضرة تسيطر على الأرض يسيل منها اللبن إذا قطع منها شيء يقال أسرع الظباء تيس حطب لأنه قد رعى الربيع والبرقة أرض عذبة مختلطة بحجارة ورمل ويقال فمعد برمة كما يقال صب كذبه، وهي الأرض من نصبة الميطة.

٢ - تفسير أبي الفتوح الرازي، ج ٩ ص ٣١٣

٣ - لعل ٢٧ ١

٤ - أجمع. لسان العرب ج ١٣، ص ٩٧

٥ - الأعراف ١٧: ١٠٧

إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ»<sup>١</sup> وفي سورة القصص «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسُودَ بِمُوسَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِيٌّ مُدْبِرٌ وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ مُوسَىٰ أَخِي لَهُ لَا تَخِفُّ عَلَيْكَ مِنَ الْآمِنِينَ»<sup>٢</sup>

أما التشبيه بالثعبان فكان عند لقاء فرعون وملائكته، وقوله لهم: إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ، قالوا فانتِ بها إن كنت من الصادقين «ذَلِكَ عَصَاءُ فِرْعَوْنَ وَقَدْ أَهْلَىٰ مَبِينٌ»<sup>٣</sup>

ولعلَّ عندما ألقى عصاه لأول مرّة عند الشجرة كان لَقَّت نظره وأرهبه أَنَّ العصا -وهي صودة- تتحرك وتهزّ كما تسمى الحية، فولى مدبراً ولم يعقب

أما الذي أتى به معجراً وبَيِّنَةً من ربه فهو قلب العصا ثعباناً وهي حيّة عظيمة هائلة، فاسترهبوه وحاولوا مقابلته بالمثل فجمعوا أسحده وجاؤوا سحراً عظيماً فألقى موسى عصاه «فَبَآذَا هِيَ ثَلَاثَةً مَا يَافِكُونَ، فَوُتِعَ الْحَمْدُ وَقُتِلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»<sup>٤</sup>

والتشبيه بالجاء مرّة وبالثعبان أخرى كان باعتبارين وفي موقفين مختلفين فالشيخ الرازي لا يمتنع أن تنقلب العصا إلى صورتين مختلفتين باختلاف الموردين<sup>٥</sup>



وحتماً، فقد جاء في المعجم الروولوجي الحديث تأليف الأستاذ محمّد كاظم الملكي التجلي أَنَّ الشيطان أيضاً اسمٌ لنوع من أسماك الصخيم يبيع ورنه نحو طنين يوجد في المياه المحيطة في الشمال العربي لاسرنايا، له وحة كره كآته صنم من الأصنام القديمة وعلى رأسه قرمان يريدار في كرهة منظره<sup>٦</sup>

### أوصاف جاءت على مقاييس عامّة

هناك أوصاف عن نعيم لأجرة أو عن حميمها جاءت على مقاييس عامّة، لا على مقاييس العرب خاصّة! وقد وهم من زعمها أَنَّها أوصاف تعرفها العرب لوحدهم أو هي

٢- القصص ٢٨، ٣٠ و ٣١.

٤- الأعراف ١١٢ و ١١٨.

٦- المعجم الروولوجي ج ٤ ص ٧١-٧٢.

١- النمل ٢٧، ٢٩ و ٣٠.

٣- الأعراف ٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١



عند رغباتهم المدحة التي تستدعيها عيشتهم تلك الجافية وفي وسط تلك الصحراء القاحلة، ممّا لا يسئلفت رغبات لعائنين في وسط خصبة فارحين وذلك في مثل وصف الجنان بطل الأشجار ومجاري الأنهار ونحور وانقصور ومثلها نعوت هي أوصاف جمال عند العرب وليس عند غيرهم

لكنّه وهم نشأ من سوء التدبّر وعدم الإحاطة بدقائق اللغة التي خاطب بها القرآن لعرب وسائر العالمين جميعاً  
ولبأت بأمثلة ممّا أوقعهم في هذا الوهم.

### الخُور العين

عين: جمع عياء وهي المرأة ذات الأعين الوسيعة والمتنامية مع تقاسيم وجهها الوسيم كما يقال لسقر الوحش عين، لحسن عونها في سعة متناسية  
حُور: جمع حوراء زعموا أنّ المرأة ذات الأعين السود في حدقتها، وهو وصف جمال عند العرب بالذات ممّا قد يخالف لحمل في بات لروم في عيونهنّ الزُّرّاء وبعد ذلك عيياً عند العرب، ومن ثمّ جاء وصف المحرمين بأنهم يُحشرون يوم القيامة رُرقاً<sup>١</sup>  
فجاء كلا الوصفين -جمالاً و عيياً- على مقاييس العرب محضاً

غير أنّ الخطأ هنا جاء من قبل تفسير الحُور بالسواد، في حين أنّه البياض اللّامع لشدة بيضاؤه فالحُور شدة بياض العين بما يوجب شدة سواد حدقتها والحواريّات النساء البيض قال الأزهري: لا تسمّى المرأة حوراء حتّى تكون مع حُور عينيها بيضاء لون الجسد. قال الكميّ:

ودامت قُدورُك للساعيِّين      من في المَحَلِّ غرغرةً واحوراراً

قال ابن منظور: أراد بالغرغرة صوت الغنّيان، وبالأحورار بياض الإهالة والشحم والأعراب تسمّى نساء الأمصار حوراريّات لبياضهنّ وتباعدهن عن قسوف

١ - وذلك في قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْنُ فَجْرٌ مِّنْ زُرْقَةٍ» طه ١٠٢

الأعراب بنظافتهم، قال شاعرهم:

فقلت إنَّ الحواريات مُعْطِبَةٌ      إذا نَفَّتْكَ من تحت الحلابِيبِ  
وقال أبو جُلْدَة.

فقل للحواريات يهكين غيرَ      ولا سبكنَا إلَّا الكلابُ السَّوابِحَ  
أراد النساء الثِّقَات الألوَان والجلود بيضهنَّ

والحواري الدقيق الأبيض حصَّ أبهى تبيَّض به الحدران كلَّ ما حوَّر به أي  
يُبَيِّض ومن ثمَّ يقال للتَّغْصَار (غَسَّال الثياب) حواري، لتحويله الثياب أي تبييضها وإزالة  
أوساخها يقال حوَّر ثوب غسله وبالع في غسله حتَّى برق ومنه سُمِّي الحواريون أي  
الخلَّص من أصحاب المسيح ﷺ  
والأحوري: الأبيض الناعم

إذن، فالحوراء هي المرأة البيضاء ذات الأعين اللامعة في شدَّة بياضها فإن كانت  
حدقه عينها سوداء فهي أيضاً بلمع لحسن حوَّارها وهكذا إذا كانت ررقاء  
فالحمال في هذا الوصف أيضاً هو في جانب بياض معة العين أي شحمتها اللامعة  
مع بياض لون البدن الأمر الذي يكون وصف جمال عند الجميع، كما في العيباء  
أما زرقعة العين - على ما جاء في الآية وصفاً لحالة المجرمين يوم الحشر -  
فالمراد بها العمى وذهاب نور العين من شدَّة لظماً إذ الظمُّ الشديد يذهب بنور العين  
ويحول العطش بينه وبين السماء كالدهن، فيرى الأشياء ررقاء لأجل الدخان الحائل، لا  
لزرقة في حدقة عينه

وقال الفرَّاء. يقال نحشَّره عطشاً، ويقال نحشَّره عمياً<sup>١</sup> قال الأزهري  
عطاشاً يظهر أثره في أعينهم كالزرقة قال وهو مثل قوله «وَتَسْوَقُ الْفَجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
وِزْدًا»<sup>٢</sup> أي عطاشاً كالإبل ترد الشريعة عطشاً، مشياً على أرجلهم، وعن ابن عباس.

سَمِيَّ الْعَطَاشِ وَرَدًّا لِأَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الشَّرِيعَةَ لَطَلْبِ الْمَاءِ.<sup>١</sup>

### ملحوظة

قد يحسب البعض - باعتبار كون الحور جمعاً للأحور والهوراء معاً، وكذا العين جمعاً للأعين والعياء - أن يكون هناك في الجنة حورٌ عينٌ، ذكورٌ وإناثٌ! غير أن القرآن وصفهن بوصف الإناث محضاً، في مثل قوله تعالى: «وَكَوَاعِبُ أَثْرَاباً»<sup>٢</sup> والكواعب: الناهدات الندي. وقوله: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتٌ الطَّرْفِ لَمْ يَطْبِئَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُنَّ وَلَا جِنٌّ»<sup>٣</sup> والجمع بالأنثى والتاء يخص الإناث دون الذكور. وكذا ضمير الجمع المؤنث والطمث افتضاض بكارة المرأة لأنه يوجب الطمث وهو الدم الخارج من فرجها وقوله: «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَهْكَاراً. عُرْباً أَثْرَاباً»<sup>٤</sup> والمرأة العروبة هي العفيفة تحب زوجها لا تهوى سواه إلى غيرها من آيات جاء فيها وصف الحور بخيار أوصاف النساء المسترقعات دون المبتذلات.

ولعلك تتساءل. فما حظ النساء المؤمنات من هذا النعيم في الآخرة؟ وإجابة على هذا السؤال جاء في أحاديث مأثورة: أن الله تعالى سوف يجعلهن حوريات، ويكنن الله على أزواجهن من حوريات الجنان فمن ابن عباس - في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ أَنْثَانَهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَهْكَاراً»<sup>٥</sup>: «أن الآية بشأن الإنسيات يبدلهن الله حوراً عيناً في الجنان»<sup>٦</sup>

قال تعالى: «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ»<sup>٧</sup> «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ»<sup>٨</sup> وهناك كلام عن نعيم الآخرة (ما سنحها؟) لعننا بفصل القول فيه إن شاء الله.

٢- النبا ٧٨: ٣٣

١- مجمع البيان، ج ٢٧ ص ٢٩ وج ٩، ص ٥٢٦

٤- الواقعة ٥٦: ٣٦ و ٣٧

٣- الرحمن ٥٥: ٥٦

٦- مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٦٩

٥- الواقعة ٥٦: ٣٦ و ٣٥

٨- الزمر ٤٣: ٧٠

٧- الرعد ١٣: ٢٣

## الأشجار والأنهار

ليس وصف النعيم بظلال الأشجار ومحاري الأنهار ممّا استلقت رغبة العاشقين في البوادي الجرداء والصحاري القفار فحسب، وإنما هي رغبات عامّة حتّى للمسلمين بخصوبة البلاد وخضرة الهضبات ولوهده

الناس في كافّة بقاع الأرض يرتادون لستراهاهم أماكن تظلّها أشجار وتسلّها أنهار، على ما جاء في وصف القرآن الكريم

«مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» سُورُ مَزِيَّةٍ فَأَخْرَجَ

«لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» لَا يَحْسُونَ لِدَغِ حَرَارَةٍ لَافِتَةٍ، وَلَا لِدَغِ بَرُودَةٍ قَارِصَةٍ مَرِيحِينَ فِي مَهَبٍ نَسِيمٍ وَلَطْفٍ نَعِيمٍ

«وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» أشجار بسطت أعصاها المتداننه، مستديرة الأطراف شبه مظلات محيطيّة يروّح أطلّتها

«وَدَلَّتْ قُطْرُئُهَا تَدْلِيلًا»<sup>١</sup> ثمار متدنية يسهل قطفها «وَتَعْنِي كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ»<sup>٢</sup> والذّالمتتره وأطيبه ما كان على صفا الأنهر ومتعجّرات العيون، على حدّ تعبير

القرآن

«عَبِيدًا لِلَّهِ يَتَجَرَّوْنَهَا تَجْجِيرًا»<sup>٣</sup> «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ»<sup>٤</sup>

نعم، إنّها رعات عامّة يستعياها كلّ منعم ومعدم وفي كلّ بقاع الأرض، مشارق الأرض ومغاريها، العامرة منها والباطرة وليس ممّا تهفو إليها نفوس مكدودة فحسب. وتلك قصور شامخات ومصايف زهرت تردحم بأصحاب النّعم ومرقّهي الأحوال، انشئت على شواطئ البحار وصفاف الأنهر في كلّ أرجاء المعمورة وحسبك شواهد على أنّها رغبات تهفو إليها نفوس جميع أناء البشر في كلّ البلاد، ولدى جميع الأجيال والأمم، وليس العرب وحدهم

٢- للدخان ٢٤: ٢٧

٤- يونس ١٠

١- الإنسان ٧٦، ٧٣ و ١٤

٣- الإنسان ٧٦، ٧٦

## ابيضاض الوجوه واسودادها

قال تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَيَ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»<sup>١</sup>

قالوا، إن في هكذا تعابير إزاء بشأن ملوحي لبشرة، حيث أصبح ابيضاض الوجه رمزاً للعوز والسعادة، واسوداده رمزاً للحزن ولشقاء! في حين أن اللون مهما كان فهو أمر طبيعي لاغضاضه في لوي دون آخر كما لا ماس له بمألة السعادة والشقاء ولا استتجاب مدح أو فذح الأمر الذي أجد على القرآن، حيث استجوابه لمراعهم كانت عند العرب في أمثال هذه التعابير!

لكن لسواد - في هكذا تعابير قرآنه أو هي غيرها - لا يراد به ذات اللون الخاص، وإنما المراد هو كثرة الظلام المعبر عنه بالسواد في الاستعمال الدارج، في مقابلة لفظة الضياء المعبر عنه بالبياض كما في قوله تعالى «حَتَّى يَبْكُوكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»<sup>٢</sup> أي حتى يبدو ملق الصبح عن ظلمه الليل

وتظيره قول الشاعر - وهو عمرو بن أبي ربيعة المحزومي -

إذا اسودَّ جنح الليل فلتات      ولكن خطاك خفاهاً إن حراساً أسداً

فالاسوداد كناية عن اشتداد ظلام الليل، وليس المراد ذات اللون الخاص

فالتعبير باسوداد الوجه كناية عن كدرته كأنها طلعة تعتره على أثر الانقياص الحاصل فيه والتنطيط، ولناشئ من فرع نفسي وسوء وحشته كما قال تعالى - حكاية عن حالة نفسيّة رديئة كان يبدو أثرها كظلمة تعلو وجه أحدهم إذا بشر بالأنثى - : «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ»<sup>٣</sup> فهو يحاول كظم غيظه ولكن بشرة وجهه المظلمة هي التي تفصح به بما نكته نفسه من ألم وسوء حال

٢ - بقره ٢ ١٨٧

١ - آل عمران ١٠٦، ١٠٧

٣ - النحل ١٦، ١٥٨، الفرق ٤٣ ١٧

وعليه جاء قوله تعالى: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ»<sup>١</sup> أي مغبرة ومنقبضة من هول المطلع في مقابلة وحود لصالحين العسفرة المنبسطة يقول تعالى «وُجُوهُ يُؤْمِنُونَ مُنِيرَةٌ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهُ يُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ»<sup>٢</sup>

فالوجوه المُسْفَرَة هي الوجوه المنفحة لمشرقة المضئنة، لأنها ضاحكة مستبشرة، حيث سرورها وبهجتها بما يعاينها من ثواب ربها ووجوه عليها غبرة (غبرة الطلام) على أركانها الهمة وهول المطنّع ترهقها قشرة (انقباض وتقليب) وهذا تفسير لغبرة الوجه، أي نعلوه كدرة الغم وقطوب الانقباض والقشرة هي بنفسها الغبرة، أي كدورة العبار التي تذهب بصفاء بشرة الوجه وعن زيد بن أسلم الغبرة، العار ينحط من العلو، والقشرة، العبار يرتفع من الأرض<sup>٣</sup>

قال تعالى: «الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْهَىٰ وَزِيَادَةً وَلَا يَزَهُقُ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا دَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَقَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا لِسَبَاتٍ جَرَاءَ سَيِّئَةٍ يَنْتَلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَمْ أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»<sup>٤</sup>

ففي هذه الآية جاء التعبير بغشيان وجوههم قطع من الليل مظلماً بدل التعبير بسواد الوجه

وفي آية أخرى «وُجُوهُ يُؤْمِنُونَ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِقَةٌ وَوُجُوهُ يُؤْمِنُونَ بِأَسَرَةٍ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ»<sup>٥</sup> فالوجوه الناصرة هي المبتهجة المسرورة، تنبسط وتشرق إشراقاً لامعاً حيث لمست لذّة الحضور وأحسّت بسعاده لبقاء، تنتظر ثواب ربها ورحمته «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»<sup>٦</sup> «تَغَرَّبْتُ فِي وَجُوهِهِمْ نَضْرَةً النعيم»<sup>٧</sup>

١- الزمر ٥٦، ٥٧

٢- عيسى ٣٨، ٤٢

٣- يونس ١٠، ٢٦ و ٢٧

٤- الإسراء ٧٦، ٧٧

٥- مجمع البص، ج ١٠ ص ٤٤١

٦- القيامة ٧٥، ٧٦

٧- القيامة ٧٥، ٧٦

أما الوجوه الباسرة فهي الكالحة لعابسة يعلوها ظلام وكدره من سوء الوحشة  
وشدة الفزع، حيث «تظنّ -أي تخشى- أن يفعل بها فاقرة» وهي الداهية، تفقر الظهر أي  
تقصمه

وعليه، فالتعابير الواردة في القرآن بهذا الشأن أربعة  
«تَتَبَيَّنُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»  
«وُجُوهٌ نَاصِرَةٌ وَوُجُوهٌ بَاسِرَةٌ»  
«وُجُوهٌ مُسْتَبْرَئَةٌ وَوُجُوهٌ مُعَذِّبَةٌ»  
«وُجُوهٌ تَعْمَأُهَا قِطْعٌ مِّنَ النَّارِ مُضِيًّا»

فالاسوداد والصور والاعبرار وعشاء ظلام، كلها تعابير تنم عن معنى واحد وهو  
كدره وظلمة تعلو الوجه على أثر لانتقاص والتقطيب. وليس المراد دات اللون كما حسبه  
المعترض!

### كلام عن السحر في القرآن

هل اعرف القرآن بآثار اسحر تأثير ورد محاري الطبيعة، حسما ير عمه أهل  
السحر والتفئات في العقد؟

ليس في القرآن ما يشي بذلك سوى بيان وهن مقدرتهم وقضح أساليبهم بأنها  
شعوذة وتخيلات مجردة لا واقعية لها يقول بشأن سحرة فرعون: «فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ  
يُجَاهِلُ إِلَهُهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ»<sup>١</sup> فكان الرئي يتحيل أن تلك الحبال والعصي تسعي، أي  
تنزو وتقفز وتلتوي على أبحاء الحركات التي كان الناظرون يحسبونها حركات حيائية  
وأنها حيئات تعابين منهيجة قال الطبرسي لأنها لم تكن تسعي حقيقة، وإنما تحركت  
لأنهم جعلوا هي أجوافها الرئيق، فلما حميت اشمس تمددت الزنابي فحصلت على أثره

تلك التحركات، وظن أنها تسمى<sup>١</sup>

وذلك أنهم أخذوا مصارين أو أدم مصنوعة على صور الحيات والأفاعي، وجعلوا في أجوافها زئابق وتركوها بصورة العصي والحبال في ساحة بعيدة عن متناول الناس ومشاهدتهم القربة وكانت الساحة قد حفرت تحتها أسراب وأشعلوا فيها ناراً فأثرت حرارتها من تحت وحرارة الشمس من فوق، فجعلت الزئابق تتمدد وتتقلص، وتراءى للناس أنها تسمى ومن ثم قال تعالى «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ»<sup>٢</sup> وما هي إلا شعوذة لا واقع لها سوى تخيل ظاهري مجرد

قال الطبرسي، احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وأنواع التمويه والنليس، فخيّل إلى الناس أنها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس، لأنهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لعمد منهم، فأتهم لم يدعوا مجالاً للناس كي يدخلوا فيما بينهم [خوف فضح أمرهم].

قال، وفي هذا دلالة على أن السحر لا حقيقة له، لأنها لو صارت حيات حقيقة لم نقل الله سبحانه «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» بل كان يقول فلما ألقوا صارت حيات وقد قال سبحانه أيضاً «يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى»<sup>٣</sup>

وأما وصف سحرهم بالعظمة، فلأجل استعظام الناس ذلك المشهد الرهيب يقول الرازي في ديل هذه الآية وأصح به لقائلون بأن السحر محض التمويه قال القاضي لو كان السحر حقاً لكانوا قد سحرو قلوبهم لا أعينهم، فثبت أن المراد أنهم تحيلوا أحوالاً عجيبة مع أن الأمر في الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوه قال الواحدي، بل المراد، سحروا أعين الناس أي قلبوها عن صحة إدراكها بسبب تلك التمويهات وقيل، إنهم أتوا بالحبال والعصي ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق في دواخل العصي،



فلما أثر تسخين الشمس فيها تحرّكت وانتوى بعضها على بعض وكانت كثيرة جداً،  
فالناس تخيلوا أنها تتحرك باختسارها وقدرتها<sup>١</sup>

قال الإمام الجصاص ومتى طُلِقَ السحر فهو اسم لكل أمر مموء باطل لا حقيقة له ولا ثبات. قال الله تعالى: «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» يعني موهو عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى وقال «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى» فأخبر أن ما ظنوه سعيًا منها لم يكن سعيًا وإنما كان تحيلاً وقد قبل أنها كذب عصيًا مجوفة قد ملئت ريقًا وكذلك الحبال كانت معمولة من آدم<sup>٢</sup> محشوة زئبقًا وقد حفرها قبل ذلك تحت المواضع أسراباً وجعلوا آراجاً<sup>٣</sup> وملئوها ناراً فلما طرحت عليه وحمي الزئبق حرّكها، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته [حرارة] النار أن يطير فحبر الله أن ذلك كان مموهاً على غير حقيقة والعرب تقول لضرب من الحلبي مسحور، أي مموء على من رآه مسحور به عبثه<sup>٤</sup>

وهكذا ذهب الإمام محمد عبده في تفسيره قال - بعد نقل كلام الجصاص - فعلى هذا يكون سحرهم لأعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية، إذا صح الخبر ويحتمل أن يكون بحيلة أخرى كإطلاق أبخرة أثرت في الأعين فجعلتها تبصر ذلك أو تجعل العصي والحبال على صورة الحبال وتحريكها بمحرّكات خفية سريعة لا تدركها أبصار الناظرين وكانت هذه الأعمال من الصناعات وتسمى السيمياء<sup>٥</sup> وهي لغة يونانية تعني الشعوذة والنيرنج<sup>٦</sup> هي عبارة عن مزوطة أعمال خفية سريعة تتراءى للناظرين أشكالا على غير واقعها، وربما باستعمال مواد كيميائية تخفى على الناظرين<sup>٧</sup> وهو مستعارف حتى اليوم لغاية إنهاء الناس في مجالس لهو ولسرور ومناسبات الأعياد والأفراح

١ - التفسير الكبير، ج ١٤، ص ٢٠٣ ٢ - جمع أديم وهي الحليّة المدبوغة

٣ - جمع أزوج وهو البيت يبنى طولاً يشبه الآتية موقد نار الحنّام

٤ - أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٤٢-٤٣ ٥ - تفسير المنار، ج ٩، ص ٦٧

٦ - مغرب نيرونك الشعوذة مغرب شعبة، كلامه بمعنى وهو نوع من الجن الخفية فيها بهارة وسرعة جعل تحطف من أبصار الناظرين وتؤثر في تخيلهم.

٧ - قال العلامة الطباطبائي. وهو (السيمياء) العلم الباحث عن مزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية ومنه التصرف في الحبال المسمى بسحر العيون، وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر. الميراث، ج ١، ص ٢٤٦

قال الرمخشري «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» أروها بالحيل والشعوذة وخیلوا إليها ما الحقيقة بخلافه<sup>١</sup>

إذن، فلم يثبت من هذه الآية اعتراف لسحران بحقيقة السحر سوى الشعوذة والتوسل بالحيل للتمويه على أعْيُنِ النَّاسِ، هذا محسب وهناك آيات أحر استندوا إليها لهذا الاعتراف المزعوم، كالأيات الواردة بشأن سَحَرَةِ بَابِلَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وكذا سُورَةُ الْفُلُقِ «الْفَلَقَاتِ فِي الْعَقْدَةِ» وسنتكلم عن ذلك أيضاً بعد الكلام عن أقسام السحر ورأي علماء المسلمين فيه وسيبدو بعون الله تعالى أن تدكم الآيات أيضاً بمعدة كلَّ الإِهدِ عمّا رامه الزاعمون وأن ليس في القرآن ما يشي بعترافه بحقيقة السحر ثنائياً

### أقسام السحر

السحر بحسب اللغة ما لطف ودقّ مأخذه في التأثير، ومن ثم فإنّ من البیان لسحراً وقسمه الإمام الرازي بحسب المصطلح إلى أنواع ثمانية النوع الأوّل الاسعانة بالكواكب، زعموا أنّها هي المدبّرة لهذا العالم نسب ذلك إلى الكلدانيين كانوا يعبدون الكواكب، فكانوا يستعنون بها على سدّ مأربهم والقضاء على مناويهم

وأهل العدل والتّبريه من متكلّمي المسلمين (الإماميّة والمعتزلة) أنكروا صحّة ذلك، بل جوار الاعتقاد به قد يؤدّي إلى شرك بالله العظيم وقامب الأشاعرة بسوجههم فأجازوه باعتبارها أسباباً وعللاً طبيعيّة كانت تحت إرادته تعالى.

النوع الثاني سحر أصحاب لأوهام والنفوس القويّة، فهناك لأرباب النفوس القويّة تأثير كبير في إلقاءاتهم على ذوي النفوس الضعيفة والنفوس إذا تأثّرت بما ألقى إليها توهمته قطعياً وانفعلت به وانحذبت إليه انحذاباً الأمر الذي قام به أكثر أصحاب المعدادات القويّة فسحّرت زراعات من ذوي الأنفس الضعيفة السريعة الانخداع

النوع الثالث: الاستعانة بالأرواح لأرضية الغيبية، ممّا عبّروا عنها بتسخير شياطين الجنّ الأمر الذي يقوم به أصحاب الرقى والدُّحْن والتعوذ والطلسمات ولعلّ لهذا النوع سوقاً رائجة في أوساط هابطة ولا سيما المعانز من النساء ودوي العقول الساذجة.

النوع الرابع: التخصلات والأخذ بالعيون وهذا النوع مستن على أخطاء البصر والانصرافات الذهنية التي يستخدمها السحرة من هذ النمط ويسمّى بالشعوذة على ما مرّ تفصيله

النوع الخامس: استعمال آلات وأدوات صناعية وتركيبها تراكييب غريبة في أشكال وصوّر هندسيّة تسحلب أنظار المعاصرين ويوجب إعجابهم ولضحك والسرور، وهو لعب على أصول رياضية وهندسية مُنهة، تتداول في مجالس الأفراس

النوع السادس: الاستعانة بعواصّ الأدوية، مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلّدة أو المزيلة للعقل والدُّحْن المسكرة ونحو ذلك

النوع السابع: تعليق القلب، حيث يجد الساحرُ ضعيفَ العقل قليل التمييز، فيلقِي عليه أنّه يعرف الاسم الأعظم أو أنّ الحنّ تطعونه، فيصدّقه الضعيف ويتعلّق قلبه بما قال وربما اسخفّ الساحر من عقله فيتمكّن من سفيذ ما أراد في نفسه ولمثل هذه الانفعالات النفسية مجال متّسع لتجول أهل الشعوذة والتروير والنفود في الشعور

النوع الثامن: السعي بالنميمة والتصريب من وجوه حصفة لطيفة، بما يؤثّر حبّاً أو بغضاً أو تأليماً أو تفريقاً بين الزوجين أو المتحابين وهو شائع كثير<sup>١</sup>

وإذ قد عرفت أنواع السحر المعروفة عند العرب وعند الناس في مختلف الأجيال تجد أن ليس له واقع في جميع أنواعه، بمعنى لتأثير في تعبير اتجاه المسير الذي جرت عليه الطبيعة تأثيراً حارقاً للعادة ومن ثمّ فقد نُكرته أصحاب المذاهب العقلية من علماء الإسلام، ولم يعتبروه شيئاً وراء التمويه ولشعوذة والتخييل، لأجل التلاعب بعقول السذج الضعفاء

قال الرازي، أما المعزلة فقد أنكروا سحر فيما عدى التمويه والشعوذة، ولعلهم كَفَرُوا بمعتقد تأثير الكواكب وسحيرها أو بسحير الجن وما شاكل مما ينافي التوحيد في الربوبية أو يخالف حكمه تعالى في الخلق والندير

قال وأما أهل السنة فقد جَوَّروا ذلك، بأن بطير إنسان في الهواء بلا سبب طبيعي أو يحول إنساناً إلى حمار أو حماراً إلى إنسان، لأمر لذي لا يتنافى وربوبيته تعالى حيث جرت سنته على إقدار الساحر في تأثير سحره عندما يقرأ رقى أو يزمرم ورداً<sup>١</sup> واستندوا في ذلك إلى روايات واهية يزعم أن اليهود سحرت النبي ﷺ فكان يتحيل أنه فعل شيئاً ولم يفعله، وما إلى ذلك من أكاذيب فاضحة، زعموها مُسْتَقاً

وأقطع من لكلّ عالِم ابن المير الإسكندري على الكشف بهذا الشأن، منها قوله - بعد كلام الزمخشري «سحروا أعين الناس» أي أروها بالحيل ولشعوذة وحيثوا إليها ما الحقيقة بخلافه - هذا الإنكار معتد بالمعزلة، ومعتقد أهل السنة الإقرار بوجود السحر، ولا يسمع عند أهل السنة أن يرقى الساحر في يده ويستدق فتولج في الكوة الضيقة ولا يمنع أن يفعل الله عند إرشاد الساحر ما يستأثر الإقدار عليه وذلك واقع بقدرة الله عند إرشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد بصدق قال، وإنما أحرب هذا الفصل لأن كلام الزمخشري لا يحلو من رمي إلى إنكاره، إلا أن هذا لنقص العاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح بالدفاع وكشف القناع، ولا يدعه تصحيم على اعتماد المعزلة من التفتيس عما في نفسه، فيسميه شعوذة وحيلة وبالقطع يعلم أن الشعوذة لا تعمل في يد ابن عمر حتى بكوعها ولا تؤثر في سيد البشر حتى يحيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لا يأتيهن وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضاً وقعاً والعمدة أن كل وقع بقدرة الله تعالى<sup>٢</sup>

وهذا الذي ذكره ابن المنير ونسبه إلى أهل السنة إنما هو مذهب الأشعرى البائد، أما علماء أهل السنة اليوم فقد واكبوا إخوانهم من أهل التحقيق في النظر، ولم يعيروا لها يذكره أهل السفساف اهتماماً ولم يعتبروا من مرعهم في السحر وزناً سوى تمويه مجرد

وتخيل كادب أو مشي في الميمه وبث روح بركة أو لا عيب تقام بها في الأفراح  
قال الشيخ محمد عبده السحر عند العرب كل ما لطف مأخذه ودق وخفي وقد  
وصف الله لسحر في القرآن بأنه تحبيل جدد الأعين غير بها ما لبس كائن كائنات - ثم  
يذكر الآيات ويقول - ومجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إما حيلة وشعوذة،  
وإما صناعة علمية حقة يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون فيستقون العمل بها سحراً  
لخفاء سببه ولطف مأخذه ويمكن أن نعتبه بآثار النفس الإنسانية في نفس أخرى لمثل  
هذه العلّة وقد قال المؤرخون إن سحر فرعون قد استعانوا بالرق على إظهار الحال  
والعصى بصور الحيات والتمارين ونحوها سعى وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات  
النفسية صناعاً ووسيلة للمعاش أن يستعملوا بكلام مبهم وأسماء غريبة أشهر عند الناس  
أنها من أسماء الشياطين وملاك الجن وبهم يحضرون إذا دعوا بها ويكونون مسخرين  
للدعي ولمثل هذا الكلام تأثير في إثارة الوهم، عرف بالشربة وسببه اعتقاد الواهم أن  
الشياطين يستجيبون لقارنه ويطيعون أمره ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية التأثير وليس  
فيه خاصية وإنما تلك العنيدة الفاسدة نفس في النفس الواهمه ما يغني مسجل السحر عن  
توجيه همته وتأثير إرادته، وهذا هو السبب في اعتقاد الداهم أن السحر عمل يساعده  
عليه بالشياطين وأرواح الكواكب<sup>٢</sup>

وقد اقتفى أثره الشيخ المراغي في عبارته اختصرها من كلام أساذه الشيخ محمد  
عبده<sup>٣</sup>

وقال سيد قطب - عند تفسير سورة لعلق - ولسحر لا يغير من طبيعة الأشياء، ولا  
يُنشئ حقيقة جديدة لها، ولكنه يحيل للحواس والمشاعر بما يريد الساحر وهذا هو  
السحر كما صوره القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام من سورة طه «فَإِذَا جِئَاهُمْ وَعَصَيْتَهُمْ  
يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَمْ أَنْتُمْ تُنصِتُونَ» وهكذا لم تقلب حالهم وعصيتهم حيّات فعلاً، ولكن

٢ - تفسير الماز، ج ١، ص ٤٠٠.

١ - جمع الداهم وهو الأحسن السببه

٣ - تفسير المراغي، ج ١، ص ١٨٠-١٨١

خيّل إلى الناس أنها تسعى وهذه هي طبيعة السحر كما ينبغي لنا أن نسلّم بها، وهو يهده الطبيعة يؤثّر في الناس وينشئ لهم مشاعر ومواقف إيجابية، مشاعر تحببهم وتؤذيهم وتوجههم الوجهة التي يريدونها الساحر، وهو شرٌّ يُستعاد منه بالله ويُلجأ منه إلى حماه<sup>١</sup> وقد أعرب شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ع<sup>٢</sup> عن معتقد أهل الحق في السحر وأن لاحقيقة له، قال، ذكروا للسحر معاني أربعة

أحدها أنّه خُدْع ومخاريق وتمويهات لاحقيقة لها، يُخيّل إلى المسحور أنّ لها حقيقة.

الثاني: أنّه أخذ بالعين على وجه الحيلة

الثالث أنّه قلب الحيوان من صورة إلى أخرى، وإشياء الأجسام على وجه الإخضاع فيمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً وينشئ أجساماً الرابع، أنّه ضرب من خدمة الجن.

قال وأغرب الأقوال هو الأوّل، لأنّ كلّ شيء خرج عن محرى العادة فإنّه سحر [في مزعمهم] لايجوز أن يأتى من ساحر، ومن جور شيئاً من هذا فقد كفر لأنّه لا يمكن مع ذلك، العلمُ بصحّة المعجزات الدّالة على السّوآت، لأنّه أحاز مثله على جهة الحيلة والسحر<sup>٢</sup>

وهكذا ذهب إلى إنكاره في كتاب الخلاف<sup>٣</sup>

وقال الطبرسي السحر والكهانة ولحملة نظائر ومن السحر، الأخذة التي تأخذ العين حتّى يظنّ أنّ الأمر كما ترى وليس، الأمر كما ترى والجمع، الأخذ فالسحر عمل خفيّ لخداء سببه، يصوّر الشيء بخلاف صورته ويقبله عن جنسه في الظاهر ولا يقبله عن جنسه في الحقيقة، ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى «يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى»؟<sup>٤</sup>

١- في خلال القرآن، المجلد ٨، ص ٧٠٩، ج ٣٠، ص ٢٩١

٢- تفسير النبیان، ج ١، ص ٣٧٤

٣- نقل عن أبي جعفر الاسمريّ أنّه لاحقيقة له وإنّما هو تخييل وشبهة، وبه قال المغربي من أهل الظاهر ثم قال: وهو الذي يقوى في نفسي، راجع الخلاف ج ٢، ص ٢٢٢، مسألة ١٤، من كتاب كفاية القتل

٤- مجمع البيان، ج ١، ص ١٧٠

وقال المجسسي العظيم - في كلام به عن اسحر ناظر إلى ما نقله عن ابن خلدون -  
وأما ما يذكر من بلاد الترك أنهم يعملون ما يحدث به السحُب والأمطار فتأثير أعمال  
هؤلاء الكفرة في الآثار بعلوه وما به نظم العلماء مع تأني عنه العقول السليمة والأفهام  
القوية ولم يثبت عندنا بحبر من يوثق بقوله<sup>١</sup>

والمعجب من بعض الكتاب العصريين حنح إلى ترجيح الرأي القائل بحقيقة السحر  
وأن له واقعاً يؤثر في قلب الواقعية حصة، واقتضى في ذلك بعض أقوال القدماء فيما بعلوه  
من حكايات هي أشبه بالخرافات منها بالواقعية

هذا الأسناد محمد فريد وحدي نقل أولاً عن مقدمة ابن خلدون اعترافه بحقيقة  
السحر، ثم يعقبه بأسسكار العريبي ويحمل عليهم بأنهم قاصرو النظر في إطار من  
الماديات ويحملون العالم كله في دائرة أصيق من سَم الحياط وأحيراً يرجع أن له حقيقة  
وبذكر له شاهداً في قصة حيايه وإليك بعض كلامه ونُقله عن ابن خلدون وغيره

قال ابن خلدون في مقدمته السحر، عجم بكيفية الاستعدادات تنفذ النفوس  
البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر، يمر معين أو معين من الأمور لسمونه  
والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات من وسدَم هما مقدمة يستل بها حقيقة السحر،  
وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بلوع فهي مخلقة بالخواص نفوس الأنبياء  
لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاصية ملائكة وما تسع في ذلك من تأثير في  
الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب لتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية  
فأما تأثير الأنبياء فعدد إلهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على  
المغيبيات بقوة شيطانية، وهكذا كل صنف محتص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس  
الساحرة على مراتب ثلاث، فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آله ولا معين، وهذا هو  
الذي يُسمونه الفلاسفة السحر، والثاني بمعنى من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص  
الأعداد، ويُسمونه الطلسمات، وهو أصعب رتبة من الأول والثالث تأثير في القوى

المتخيلة، يعتمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها تنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم يسزلها إلى الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر الرايون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكى عن بعضهم أنه يري البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة

قال ثم هذه الحاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بالرياضة، ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكوكب والعوالم العلوية والشياطين، بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود لعير الله، والوجهة إلى غير الله كفر، فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده وأسبابه.

قال: واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه، وقد نطق به القرآن، قال الله تعالى: «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»<sup>١</sup> وسحر رسول الله ﷺ حتى كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجفت طليعة، ودفن في بئر ذروان. فأنزل الله عليه «وَمِنْ شَرِّ السَّعَاتِ فِي الْعُقَدِ»<sup>٢</sup> قالت عائشة كان لا يقرأ على عقدة من تلك العقدة التي سحر فيها إلا انصلت

قال: ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله، موحودة بالمسحور، وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق، ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عبثاً أو معنى، ثم ينث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد ذلك بمعنى في سبب أعدّه لذلك تفاؤلاً بالعقد والزام وأخذ العهد على من أشرك به



من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعاراً للعزيمة بالعزم. وتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تحرج منه مع الفج متعقبة برقه الخارج من فمه بالنفث، فتنزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحرا

قال وشاهدنا أيضاً من المتحلبين بسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره، فإذا هو مقطوع متحرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج (أي شق البطن) فإذا أعاوها ساقطة من بطونها إلى الأرض

وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إسان فيتحتت (أي يتعتت ويتساقط) قلبه ويقع ميتاً، ويتقرب عن قلبه فلا يوجد في حشاء ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء

قال وكذلك سمعنا أن بأرض لودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب من الأعداد المسحاة. ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد ثراً في الألفة بين المتحالبين واجتماعهما إذا وضع لهما مثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في سها وشرفها باظرة إلى القمر نظر مودو وقبول<sup>١</sup>

ثم يذكر الأستاذ وحدي ما شاهدته الغربيون في تحولهم الفارت من غرائب صدرت على أيدي كهنة القبائل، ولكنهم حذبوها بأنفسهم فوجدوها «كشرا بقيقة يخمنه الطمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئاً»<sup>٢</sup> فرأوها لا تؤثر أدنى تأثير، فرألت جميع الأوهام التي كان الأقدمون يحيطون بها من الكيمياء والسحابة، وتولد من الأولى الكيمياء الحقيقية، ومن الثانية عدم الفلك الصحيح

قال الأستاذ وحدي وقد ذكر القرن الكريم السحر في مواضع كثيرة وقد مضى منقذوا الأمة معقدين وجوده وأنه من انعدام السرية التي يتحصل عليها بالرياضة

١- راجع المقدمة لآل خندون، الفصل ٢٢، ص ٤٩٦-٤٩٩

٢- النور ٢٩، ٢٤

وغيرها. ومال بعضهم وكثير من المتأخرين إلى زعم أن السحر سرعة اليد وصناعة في التمويه، وليس له دليل يسنده. قال ولكن دلتنا نص القرآن وما نراه في كتب الحواري التي ظهرت في أوربا منذ تسعين سنة باسم «الأسير ترم» وغيره مما يرينا جلياً أن هنالك عالماً روحانياً وفيه من الكائنات ما لا يتصوره وأما يستطيع أن نتاجي تلك الكائنات وتناجينا ومتى كان هذا ممكناً وتقرر أن لوجود عامر بالآيات المقببة فلا يبعد أن يكون السحر تابعاً لقوى روحانية وأنه ليس بمجرد صاعقة أو سرعة يد الساحر

قال حكى لي والدي عن محمد رحيمي بيك لعمري محافظ دمياط سابقاً، وكان رجلاً صدوقاً تقياً، قال. إنه كان له قرب في بغداد اسمه عزت باشا وكان شجاعاً مقداماً لا يهاب المخاوف، وكان به غرام لرؤية الأسرار والمعانيب، فكان لذلك يتحرى ملاقة الدراويش ويتصيدهم لأن منهم من يتقن أن يكون على شيء مما يتحرى رؤيته، فمر يوماً بدرويشين غريبين كان من شأنهما أن أحدهما يعزم ثم يقول نعمه هُفْ، فتنتفع جميع بواعد البيت على سمته مهما كانت معلومة محكمة الإغلاق، ثم يقول هُفْ، فتتقل جميعها دفعة واحدة وأراه عجائب أخرى فسأله عزت باشا عن السر الذي يحدث به ذلك، فقال إنه مستخدم إبليس نفسه فطلب منه أن يراه، فقال له لا يصح على رؤيته فقال تقويان أنتما على رؤيته وأضعف أن من ذلك؟ مع أي كم جُبت المخاوف وولجت المعاطب؟ فقالا ذلك شيء وهذا شيء آخر فلبع عليهما، فاتفقا له فجلسا في الظلمة وأخذ أحدهما يعزم مدةً، فانشق السقف وظهرت الحوم ثم تدلت منه صورة لا يتصور الوهم أظف منها، فما أن وقع عليها بصره حتى قام مذعوراً وندس الباب حتى وجده وصعد إلى أهله فجمعهم حوله، ومارال مصطرباً من الذعر حتى أصبح وبقي بعدها أربعين يوماً لا يمشي خطوة حتى يستصحب معه بعض أهله من شدة ما لحقه من الخوف<sup>١</sup>

ولعل صاحبنا الأستاذ وجدي فريد وسط زملائه المستوري الفكر في قبوله ما يرفضه العقل الرشيد فضلاً عن تعلم والحكمة لقويمة إتنا لانكر أن هناك نفوساً قوية

من أصحاب التمام والزمازم يؤثرون بقوة بردتهم في وهم ضعف النفوس فيخيّلون إليهم صوراً وأشكالاً حسبما يشاؤون، والعالَمُ أُنْ أُمثال هؤلاء المدّعين للسحر وتقلب الحقائق هم أناس معاليس يستدرون أموال ذوي العقول السدّح لأجل تأمين معيشتهم الحقيرة، وهو أحد طرق الاستجداء، فلو كنوا أصحاب قُدْر حارقة يعالجوا لأنفسهم ما يسدّ حاجتهم عن الاستجداء لا العيش على صلة الآخرين وعلى طريقة التدليس والتروير، الأمر الذي يكون من أردأ أحوال لعيشة في الحياة إنهم لا يملكون سدّ رمقتهم فكيف بالتسخير للأرواح المدبّرات!

يقول ابن خلدون -الذي حصل بهذه المروعة في حفاوة وتفصيل- إن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان انحرّ من لمتاع والحيوان والريق ويعتبرون عن ذلك بقولهم إنما تفعل فيما نمشي فيه الدراهم، أي ما يملك وتُباع ويُشترى قال ومن هؤلاء من سمى بالمعاحين، يشيرون إلى بطن القم فتسبح لأن أكثر ما ينحل من السحر بعج الأنعام يرهبون بذلك أهلها ليعطوهم من فضله وهم مستترون بذلك في العابة خوفاً على أنفسهم من الحكام<sup>١</sup>

مساكين! لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم فكيف القدرة على قهر الطبيعة وقلبيها؟! والعجب من الاستاد وجدي أصاح بكر مسامحه واستسلم لما سطره ابن خلدون من قدرة الساحر على تسخير الكائنات وسنطه على الأفلاك -وحسبها دواب أنفس وأجرام-<sup>٢</sup> والكواكب -حسبها دواب عقول ومدبّرات لما تجرى على الأرض- والجرّ والقوى الروحانية، فسحروها جُمع للتأثير على قلوب عناصر المادة والنصرف في العالم العلوي والعالم السفلي جميعاً ما لها من مخرقة وإن شئت فسمّها مهزلة! وهناك حكايات وروايات أكثرها تتم عن قوّة التحييل أو هي أكديب وأباطيل وإنما أصحاب التمام

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٥٠١-٥٠٦.

٢ - وهي دوائر وهمية يرسمها العين لكل نقطة دائرة ترميها في مرض لا في واقع الأمر نعم ذهب جمع من الأقدمين إلى مرض الأفلاك أجراماً شاعرة دوات عقول ونفوس ولها شأن في تدبير العوالم السفلى تدبيراً عن عدم وإرادة، ومن ثمّ جاز تسخيرها في جهة مقاصد السوء!

والنَّفث في العَقْد فإنما هم أصحاب النَّمائم وإيهام الوسوس للتفرقة بين الزوجين أو المتحائين، ولا تتأتى منه غير الإفساد في الأرض. فيتعلمون ما يضرهم من غير أن نفعهم شيئاً حسبما وصفهم القرآن الكريم

نعم هنا شيء لا تنكره تبها عليه، وهو أن للنفس الشرية قدرة خارقة يمكن تنميتها بالارتياض بما في وجهة رحمانية رقيقة أو في وجهة أرضية هابطة والأولى رياضة النفس يقوم بها الأنبياء والأولياء وصدحاء فيفوزون بمقامات عالية، وربما تتسخر لهم الكائنات وأما الوجه الآخر الهابطة فيقوم بها أصحاب الارتياض بترك المشتبهات ولدائد الحياة في أشق الأحوال وأصعب الأعمال التي لم يأت بها الله من سلطان، ولكنهم قهروا أنفسهم على نذر لشهوات والدائد وانحللوا عن رخارف الحياء وهو عمل له قيمته وورثه في ترك الدنيا الدنية، وحيث لم يكن لهم نصيب في الحياة الأخرى المخالدة فقد يمنحه تعالى مسحة تصيح أنفسهم بها نجاه ما تحمّلوا من مشاق الحياة الأمر الذي قد نشاهده من خوارق علي يد مرتاض الهد وعيرها من بلاد، ولكن في إطار محدود وعلى شرطه أن لا يراووها على جهة الفساد في الأرض، وإلا فيؤخذ منهم فور رادة سوء نظير ما قيل بشأن «بمعام بن يعقوب» قيل كان رجلاً صالحاً من قوم موسى، وقد مسحه الله استجابة دعائه، فحاول تقرباً إلى بعض الأمراء أن يدعو على قوم مؤمنين، فسلبه الله المسحة وطلّ حاسراً دينه وديناه فيل والآية التالية ناظرة إلى هذا الحادث «وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً لَّدِيَّ أَنبَاهُ آيَاتٍ فَتُسَلِّحَ مِنْهَا فَأَتِيَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْمَعَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ»<sup>١</sup>

أما العامل بالشرط ولم يتجاوز حدوده المصروية فستدوم له منحة مادام باقياً على عهده، أو يُسلم فيدخر له متوئته في الدار العقبى متوبة باقية روي أن شيخاً من الأكابر رأى في طريقه لمةً مجتمعة حول رجل فسأل عنه، قيل له: إنه يعلم الغيب فأتاه وسأله عن شيء أخفاه في كفه فأخبره به. فسأله الشيخ عن أي

١ - راجع: جامع البيان، ج ٩، ص ٨٢-٨٤ والآية ١٧٥ و ١٧٦ من سورة الأنعام.

ارتياض بلغت هذا المقام؟ قال بمحاكمة النفس، لقد دأبت أن أحالف كل ما تشتهي نفسي وتهواه. قال له الشيخ هذا عمل حسي، ولكن هل عرست على نفسك الإسلام؟ وكان الرجل من برهمة الهند - قال لا قال له الشيخ أعرضه على نفسك ثم انظر هل توافقك عليه أم تخالفك؟ فعرض الرجل الإسلام على نفسه وأبدى أن نفسه ترفضه! فقال له الشيخ، إذن خالف هوئ نفسك، على دأبك القديم! فقبل الرجل واعتنق الإسلام وعندئذ سأله الشيخ عن شيء أخفاه في كفه، فلم يستطع الرجل أن يحبر عنه وزال عنه علمه بالغيب وتعجب الرجل من ذلك! قال له الشيخ لا تعجب، إنك كنت على أمر عظيم، وحيث لم يكن لك نصيب في العقبى حازك الله بطرف من عنايته عليك في هذه الحياة فلما أسلمت أذكر الله لك ذلك مثوبة عظيمة في الآخرة.

ولبراهمة الهند المرتاضين قصايا عجيبة وتصرفات حارقة تعود إلى مقدرهم النفس الفاتكة، الحاصلة على أثر ترك الملاذ وتحمل لمشاق، فصحوا شيئاً من إمكان التصرفات الخارقة مقتنعين بذلك تمام الاقتناع حيث لاحت لهم في الآخرة

جاء في مذكرات مرافق الملك جورج السادس، عاهل الحكومة البريطانية في سفره إلى الهند أتمام الاحتلال مشاهد عجيبة بهذا الشأن يقول وقف الفطار في إحدى المحطات لخزن الماء، فنزل الملك وجعل يتمشى وإذا مرتاض قابع في ناحية وحده في غاية الوساعة فنصحه أن يهتم بنظافة جسمه وثيابه وحاول مساعدته، وإذا بالمرتاض اغتاظ لذلك ولم بوجهه بشيء. فانصرف الملك وركب القطار، وإذا بالفطار لا يتحرك فقام المهندسون بالفحص من غير أن يجدوا فيه نقصاً وكان مع لملك صبياط هنود ورأوا المرتاض القابع في زاوية، فسألوا الملك هل قال للمرتاض شيئاً يعيظه؟ فأفصح الملك بما دار بينه وبين المرتاض من غير أن سمي، إليه بكلام أو غيره قال الضباط لعلهُ سخط عليك وحسبه تجاسراً عليه وهو الذي أوقف الفطار فجاء الملك واستماع من المرتاض واعتذر منه لو غاظه كلامه ورفع المرتاض رأسه - يبدو في وجهه الرضا - وأشار إلى القطار فتحرك لساعته

وجاء فيها أيضاً أنهم قصدوا زيارة كبير المرتاضين وكان مقرّه في عابة ملؤها حشرات ويعوض ضارية، ولما أن اقتربوا من مقرّ المرتاض بكليومترات وإذا المضاء صحو لا حشرة فيه ولا بعوضة فتعجبوا من ذلك وسألوا المرتاض عن السرّ، قال: إنّنا لا نمنع لها بالاقتراب من حريمنا!

كلّ ذلك إن دلّ فإنما يدلّ على قدره نفسية كبيرة حُطّي بها هؤلاء المرتاضون على ثرياصتهم ونبذ لمشتهيات، وليس من السحر في شيء.

أصف إلى ذلك أنّ النفس بذاتها ذات قدرة جبّارة بها يتمكّن الإنسان من التغلّب على الطبيعة، من غير أن يستعين بقدره خارجة عن إطار نفسه لكن إذا عرف من نفسه هذه القدرة واستعملها بقوة وعزيمة راسخة

قرأت في تاريخ ثورة مرسا الكبرى عن شخصه «ميرابو» الرجل السياسي الكبير من أركان الثورة (١٧٤٩-١٧٩١م) على عهد الملك لويس الخامس عشر كان نائباً في مجلس النيابة وكان ذا منطق قويّ جبّار بحيث كان يرضح له المؤلف والمخالف لقوّة خطاباته يحكي عن مقدرته النفسية العارمة مصايا، منها ما ذكره أحد زملائه وكان يرافقه في قصده لزيارة قبر والدته، وإذا بكلب هارّس هجم عليهما وكان صارباً شديد البأس فأخذ صاحبه يتوحّش ويلتمس الفرار، لكن ميرابو في هدوء وعطمانيّة وأخذ يهدئ من روعة صاحبه قائلاً لا تستوحش أنا أكفيك فحعل يتحدّق النظر في عيني الكلب وإذا به يهدأ حتى افترش بذراعيه على الأرض كأنه شاع أمام ميرابو بنقل بشأنه من أمثال هذه القضايا كثير.

شهدت إحدى الاحتفالات في مرسوم العراء على سيّد الشهداء ليلة الحادي عشر من محرّم الحرام بكرة بلاء المقدّسة عام (١٣٧٠هـ ق) وكان الاحتمال بشأن دخول النار المتوهّجة كما هو مرسوم عند الهنود وقد توقّدت النار في حطب ضخّم حوالي ساعات حتّى صارت جمرات متوهّجة في حفرة مستطيلة الشكل مترين في ثلاث أو أربع مترات في عمق ثلاثين سانتيمتراً ملؤها الجمرات المتوقّدة فجاء هود أربعة مسلمون وجعلوا

يلطمون على صدورهم لطمًا خفيفًا هادئًا ويترنمون بـ «يا حسين يا حسين» وكشفوا عن ساقهم وهم حفاة، ومن ورائهم صبي على هاتهم ربما كان عمره عشر سنوات وبحو ذلك، فدخلوا الحفرة مستقبدين القبلة يهدوء وطمأنينة بلا تهتّع ولا صطراب واجتازوا الحفرة وخرجوا من الجانب الآخر بسلام لم يمتهم أثر من الحريق هذا ما شاهدته بعيني وكثير من وجوه السادة الأجلّاء بكر بلاء حضور يرون المشهد لرهب بكل إعجاب وإكبار

واستمعت إلى لإذاعات هذه الأيام أنّ هذه عادة جارية بين اليهود، من مسلمين وغير مسلمين، وأنها تمسّ عريضة العنق القوية بأنّها قاهرة تعذب على تأثير النار في أحسامهم، الأمر الذي يشكّل ركيزة السرّ في تعصّبهم على توهج النار الملتهبة، ويحصر المراسم كثير من الخلّات المجمعه من حوّل لعالم ليروا المشهد عن كثب بما لا بدع مجالاً للاستنكار

وهناك نفوس قدسية أكبر قدرة على التعلّب على نواويس الطبعة بفضل اعتلاء قدرتهم النفسية الإلهية

ملك السند رجب الكبرى بيت الإمام أمير المؤمنين (عليه وعلى آله أفصل صلوات المصلّين) عندما حاولت أن يحصب خطبها المعروفة في سوق الكوفة وهي رهن إشارتها إلى يريد الطاغية فأشارت إلى الجمع أن سكتوا، قال الراوي: فعند ذلك سكنت الأنفاس وهدأت الأجراس، وجعلت تحطب في جوّ ملوّه الهدوء حتّى مر صمير الأجراس! إنّ هذه قوّتها النفسية الحارقة أثّرت حتى في لحمادات!

وكان لنا صديق يعمل في تجهيز لأدوات الكهربائية، رأيته وهو يحسك على سلك كهربائي مجرّد عن العلاف ويعمل في مراولته لتجهيز حفلة كبيرة بمناسبة ميلاد الإمام المنتظر الحجّة بن الحسن (عجلّ الله تعالى فرجه الشريف) ليلة النصف من شعبان فتعجّبت منه وهو ماسك على السلك المجرّد يعمل به، واقتربت منه، فقال: لا تمسّني وكلّ جسدي ملوّه الكهرباء فقدت له وكيف أنت وقد مسكت السلك؟! قال: أنا أتعلّب على الكهرباء وأضغط عليه بكلّ قوّة فلا يعبسي، وهذا عملي المستمرّ يوميّاً، أعلب على القوّة

الكهربائية ولا تعطيني، بفضل قدرتي على التغلب عليها في صلاة قوية! فتعجبت من صنعه، ولكن لا عجب بعد أن كانت النفس الشريرة ذات قوة قاهرة حارة وعلى أي حال، فهذا من قدرة النفس الجتارة، وأين هذا من السحر، على ما حسبه صاحبنا وجدي ومن قبله ابن خلدون؟!

تلك مشاهد بل حقائق لا يمكن إنكارها، إذا ما لاحظنا قدرة الإنسان النفسية الخارقة، الذي تسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، بفصل منه تعالى «والنفس في وحدتها كل القوى»

أنتزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا نكر أن وراء هذا العالم المحسوس عالم أرقى مليء بالكائنات العاقلة (ذوات شعور، من ملك أو جن أو أرواح طيبة أو خبيثة ولكن أسمى لهؤلاء الصعاليك (سحرة الأرض) الهيمنة على تلك الكائنات المتعالية ذوات القدر الجتارة إنهم أعلى كعباً من أن تنالهم أيدي سلافة قاصرة وقد قامت الشواهد المسبوعة على وجود عالم الغيب وراء عالم الشهود. لكن هل بإمكان العائشين على الأرض التغلب والسيطرة (سحير) تلك الكائنات المبتة وراء ستار الغيب؟ وقد دلت الشواهد على أنهم أعجز من ذلك، اللهم لا بعض الإحياءات الحبيثة تلقى الشياطين على شاكلتهم في الأرض «إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم»<sup>١</sup> فهم الذين وقعوا في فخ الشياطين وحسبوا أنها مسخرة لهم، يالها من مهزلة تسوك عن سعادة في ذوي العقول الضعيفة وقد استوفينا الكلام عن ذلك في رسالة كتبناها عن الأرواح

وبعد، فإذا لم تثبت حقيقة السحر بمعنى التأثير في قلب الطبيعة وتسخير الكائنات، نعم سوى تائم هي تائم ووساوس يفتونها نعتاً لعتد وقضم الروابط والأواصر بين المتحايين، «وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بذن الله»<sup>٢</sup> ومن ثم لا تأثير لدمائهم في



نفوس متكدة على الله قويمه بعدائه تعالى «إن عبادي لنس لك عليهم سلطان»<sup>١</sup> فكان ما تعلموه ضرر عليهم ولا يتفهم شيئاً الأمر لدي جعلهم عجرة ومساكين وعائشين على فضلة الأثرياء أو الصغفاء الأعياء قال تعالى شأنهم: «ولا يفتح الساجر حيث أتى»<sup>٢</sup> وهذا طابع وسعهم به القرآن الكريم حيث يقول: «موجهاً خطابه إلى المشركين في زعمهم أن النبي جاء بسحر - «أتقولون لخلقنا جاءكم أبسحر هذا ولا يفتح الساجرون»<sup>٣</sup> دليلاً على أن الذي جاء به نبي الإسلام لا صلة له بالسحر، حيث قد توفق في تبليغ دعوته والتأثير بشريعته تأثيراً في واقع الحياة الأمر الذي لا يتلاءم وسحر السحرة غير المفلحين ولا موفقين في مسيرتهم المنحرفة بن مكذوبين عاجزين أذلاء ومساكين حقراء

هذا هو منطق القرآن ونظرته القاطعة بشأن السحر والسحرة، لا واقع له ولا تأثير خارج إطار الدسائس الخبيثة وأن لا قدرة لساحر ولا هيمنة على سكان الأرض السفلى فكيف بالسلطة على سكان السموات العلى فلا نجاح لهم في عمل ولا حظ لهم في سعادة الحياة.



ثم فلنفرض أن جاهلية العرب كانت تعتقد بحقيقة السحر عقيدة جاهلية بائدة، لكن هل هناك شاهد على أن القرآن واقفهم أو جاراهم على تلك العقيدة الباطلة؟ ولننظر في الموارد التي أخذوها شواهد على زعم الموقفة أو المجاراة، وهي ثلاثة موارد: سحرة فرعون، سحرة بابل، النفثات في العقد نبحث عنها على الترتيب.

### سحرة فرعون

مما أخذوه شاهداً على ذلك سحرة فرعون، حيث يقول عنهم القرآن: «وجاؤوا

بِسِحْرِ عَظِيمٍ»<sup>٤</sup>

١ - الحجر ١٥: ١٧ والإسراء ٦٥: ٦٥.

٢ - طه ٦٠: ٦٩.

٣ - الأعراف ١١٦: ٨٧.

٤ - يونس ٨٠: ٧٧.

وقد عرفت أن سحرهم كانت شعوذة والأخذة بالعين لاغير، فقد «سَحَرُوا أَصْغَرَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ»<sup>١</sup> وكانت «جِبَاهُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ تَضْمَى»<sup>٢</sup> فقد كان مجرّد تلبيس وتمويه في الأمر وأروهم ما كان لواقع خلافه وإذا كان هذا (مجرّد التحييل والتمويه) سحراً عظيماً - والسحر ما لطف ودقّ مأخذه - فكيف بغير العظيم الذي هو أحفّ وزباً وأردأ شأنًا هذا ما يرسمه لنا القرآن من واقع السحر، والله بخالف تماماً ما كانت العرب تعتقده بشأن السحر وبأنيره في قلب الواقع، فكيف ياترى مزعومة من رعم أن القرآن وافق العرب في عقيدتها أو جماملهم وتماشى معهم في أمر باطل؟

قال سيد قطب: وحسبنا أن يقرّر القرآن أنه سحر عظيم، لنذكر أي سحر كان وحسبنا أن نعلم أنهم سحروا أعين الناس وذاذروا الرهبة في قلوبهم «وَاسْتَرْهَبُوهُمْ» لتصور أي سحر كان ولفظ «استرهب» ذاته يفظ مصوّر، فهم استجاشوا إحساس الرهبة في الناس وقسروهم عليه قسراً ثمّ حسبنا أن نكسب من النصّ القرآني - في سورة طه - أن موسى ظنّ قد أوجس في نفسه خيفةً لتصور حقيقته ما كان ولكن مفاجأة أخرى تطالع فرعون وملاؤه، وتطالع السحرة الكهنة، ويطالع جماهير الناس في الساحة الكبرى التي شهدت ذلك السحر العظيم: «وَأَوْحَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ إِلَىٰ غَصَاكَ قِيَادًا فَيَنْتَقِبْ مَا يَأْتِيكَ مِنْ فَوْقِ الْحَقِّ وَتَبْلُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، فَعَلُّوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَتَقَلَّبُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ صَافِرِينَ»<sup>٣</sup>

إنّ الباطل ينتفش، ويسحر العيون، ويسترهب القلوب، ويحيل إلى الكثير أنه غالب، وأنه جارف، وأنه مُحِيقٌ وما هو إلا أن يواجه الهاديّ الواثق، حتّى يفتن كاللقاعة، وينكمش كالقنفذ، وينطعم كشعلة الهشيم<sup>٤</sup> وإذا الحقّ راحح الوزن، ثابت القواعد، عميق الجذور والتعبير القرآني هنا يُلقي هذه لطلال، وهو يُصوّر الحقّ واقعاً ذا ثقل «فوق الحق»... وثبت، واستقرّ.. وذهب ما عداه فلم يَعد به وجود. «ويطل ما كانوا يعملون».

وعُلب الباطل والمطلون وذلّوا وصغرو، و نكسوا بعد الرهو اندي كان يهر العيون:  
«فَعَبُوا هَالِكًا وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ»<sup>١</sup>

قال فالسحر لا يغيّر من طبيعة الأشياء، ولا يشي حقيقةً جديدةً لها ولكنه يخيّل  
للحواس والمشاعر بما يريد الساهر وهذا هو [واقع] السحر كما صوّره القرآن الكريم  
في قصة موسى عليه السلام فلم تنقلب حبالهم وعصيتهم حيّات فعلاً، ولكن خيّل إلى الناس أنها  
نسعى وهذه هي طبيعة السحر كما ينبغي أن سلّم بها وهو بهذه الطبيعة يؤثر في  
الناس، ويشي لهم مشاعر وفق إيمانه مشاعر تحيهم وتؤديهم وبوجههم الوجهة التي  
يريد الساهر

قال، وعند هذا الحد نقف في فهم طبيعة تسحر والتفت في العقد وهي شر يستعاد  
منه بالله ويُلجأ إلى حماه.<sup>٢</sup>

### سخرّة بابل

كان المجمع البابلي - على عهد نكند نيس - مجتمعا فاسداً شاع فيه الفحشاء  
والمنكرات وراج الفساد والإفساد في الأرض، وكان من أساليب إفسادهم ارتكاب  
الحيل الماكرة والندائس الخادعة لإيحاد انغمص والشحناء بين الناس، وبث روح سوء  
الظن بين المؤمنين: بين المرء وزوجه بين الولد وولده بين الأخوين بين الشريكين في  
صنعة أو تجارة وذلك عن طريق الوسائس والحدّج والسيرعات، وكان  
السبب يعود إلى هيمنة الحسد على الناس حينئذ، بما حقّ لهم يعض بعضهم بعضاً ويعمل  
بعضهم ضدّ البعض في أساليب وحيل خداعة كلّ يوم في شكل من أشكالها، ويستعاون  
بعضهم مع بعض في تحطيط هذه الأساليب وتنويعها «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُخْرَفَ الْقَوْلِ  
غُرُوراً»<sup>٣</sup> وإلى ذلك تشير سورة الناس «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ

١ - في ظلال القرآن، المجلد ٢، ص ٦٠٤ ج ٩، ص ٢٨ - المصدر المجلد ٨، ص ٧٠٩ ج ٣، ص ٢٩١

٢ - الأنعام ٦١٢

الوشواس الخفاس، الذي يؤسوس في صدور الناس، من الجنة والناس، الحسن: العمل في خفاء وعن وحشة لاقتصاص، ومن ثم إذا أحس بالفسح خس أي انقض وتخفى بسرعة فكان لخناس هو الذي يعمل في خبيث ولؤم وعن وحشة خشية الافتضاح فهو يعمل في خبيث معه ضعف وجبن ووهن في قدرته الماكرة

فأنزل الله الملكين هاروت وماروت سائل يستهان الناس على إفشاء تلك الأساليب الماكرة ويعلمانهم طرق لتحصص منها والتمس من أثرها غير أن بعض الخبيثاء كانوا يتعلمون ما يصرهم دون ما يفهمهم ليعرفوا بين المرء وزوجه سوى أن الله غالب على أمره وما تشاؤون إلا أن يشاء الله

يقول الله عن سوء تصرف بني إسرائيل «وَأَشْفُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ. وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ فَلَا تُكْفِرُوا بِنَحْنِمْ إِلَيْهَا مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيُعَلِّمُونَ مَا يَفْهَمُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلِيْلَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»<sup>١</sup>

لقد تركوا ما أنزل الله وسدوه وراء ظهورهم، وراحوا يستمعون ما كان يفضله الشياطين -والشيطان وصف لكل خبيث سيق السريرة- على عهد سليمان وأساليب تضليلهم للناس من دعاوى مكدوبة عن سليمان حيث كانوا يقولون إنه كان ساحراً وأنه سحر ما سحر بسحره والقرآن ينفي عنه ذلك «وما كفر سليمان» باستعمال السحر الذي هو في حد الكفر بالله العظيم «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ (خبيثاء لجن والانس) كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» (طرق الإضلال وأساليب التضليل)

ثم نفى أن السحر منزل من عند الله على الملكين هاروت وماروت، للذين كان مقرهما بابل ويبدو أنه كانت هناك قصة معروفة عنهما وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان لسحر ويعلمانه للناس فسمى القرآن هذه لفرية، وبين الحقيقة، وهي أن

هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء للناس، كانا يقولان لكل من يأتيهما طالباً منهما معرفة طريق التخلص من بوائن الشياطين السحرة: لا تكفر باستخدام تلك الأساليب الماكرة وقد كان بعض الناس يصرّ على تعلّم السحر لغرض خبيث على الرغم من تحذيره وتبصيره، «فيتعلّمون منها ما يفرّقون به بين المرء وزوجه». وهنا يبادر القرآن فيقرّر كلبية التصرّو الإسلامي الأساسية، وهي أنّه لا يقع شيء في هذا الوجود إلّا بإذن الله ورعاية مصلحته وحكمته. فبإذن الله تفعل الأسباب فعلها وتنشأ آثارها وتحقّق نتائجها وإن كانت عاقبة السوء تعود على الزائفين الذين ينحرفون عن الطريق السوي والصراط المستقيم الذي رسمه لهم ربّ العالمين.

ثم يقرّر القرآن حقيقة ما يتعلّمونه بغية إيقاع الشرّ بالآخرين، أنّه شرّ عليهم وليس خيراً لهم «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ. وَبِمَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرُّ هُوَ الْكُفْرُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْآخِرَةِ» «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ». فمن تعلّم شرّاً وحاول الإضرار به يعلم أن لا نصيب له في العاقبة، فهو حين يختاره ويشتريه يفقد كلّ رصيده له في الآخرة سوى العقاب. فما أسوأ ما باعوا به أنفسهم وأضاعوا خيرات كانت لهم في عقبى الدار «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» لو كانوا يفقهون ويعون واقع الأمر.

### النفقات في العقد

النفث، قَذْف القليل من الريق شبيه بالنفخ، وهو أقلّ من التعل ونفث الراقص أو الساحر أن ينفث بريقه في عقْدٍ يعقدها بعد كلّ زمزمة يتزمزم بها ليسحر بها فيما زعموا والمراد به هنا هي النسيمة ينفثها النمامون في العقد أي في الروابط الودّية لبيدّوا شمل الألفة بين المتحابين: المرء وزوجه، الوالد وولده، الأخوين، المتشاركين في صنعة أو تجارة أو رراعة وغير ذلك ممّا يرتبط وأواصر الودّ بين شخصين أو أكثر والعرب تسمّي

الارتباط الوثيق بين شيئين أو شخصين عُقْدَة، كما جاء التعبير عن الارتباط بين الزوجين «عُقْدَةُ النِّكَاحِ» قال تعالى «وَلَا تَغْرُمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ»<sup>١</sup> «إِلَّا أَنْ يَخْفُونَ أَوْ يَخْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةُ النِّكَاحِ»<sup>٢</sup>

ومعنى الآية ومن شرَّ النَّمَامِينِ الذين يحاولون بوساوسهم لخبثته قطع لأواصر بين المتحابين وهذا من التشبيه في الحُمل التركيبية، نظير لتشبيه في سورة المائدة بشأن أم جميل امرأة أبي لهب «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَاطٌ مَخْطُبٌ»<sup>٣</sup> أي لئامة حيث النَّمَامُ يحمل على عاتقه حطب لهيب العاق وانفارقة بين المتحابين وجاء مناسباً مع تَكَبَّى زوجها بأبي لهب. فهي تحمل حطب هذا اللهب فكما أنها لم تكن تحمل حطباً حقيقةً - كما زعمه بعضهم - لأنها بنت حرب أخت أبي سفيان وكذا زوجها أبو لهب، كانا من أشرف مريش الأثرياء، غير أنهما كانا يحملان خبثاً ولوماً باليمن

فالنَّمَمَة تحوّل ما بين الصديقين من محبة إلى بغياء بالدسائس وهي وسائل خفية تشبه السحر الذي هو ما لطف ودقُّ ما حده فالنَّمَامُ يأتي بكلام يشبه الصدق ويؤثر في حلدك كما يفعل الساحر المشمود إذا رَدَّ أن يحلَّ عُقْدَ المحبة والوداد بين كلِّ متحابين إذ سرزم بالباطل ويعدُّ عُقْدَةً وسعت فيها، ثم يحلّها إيهاماً للعامة أن هذا حلٌّ للعقدة بين الزوجين أو غيرهما فهو من تشبيه المحصن وليس المقصود ما تفعله لسحرة بالذات الأمر الذي يتناسب مع سائر آيات سورة الفلق «مِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَّتْ» أي ومن شرِّ الليل إذا دخل وغمر كلَّ شيءٍ بظلامه و ليل إذا كان على تلك الحال كان مسحوراً باعثاً على الرهبة والوحشة، لأنَّه سناج يحتمي في ظلامه دوو الإجرام إذا قصدوك بالأذى، وعونٌ لأعدائك إذا قصدوا بك الفتك وهكذا قوله «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» يعني شرَّ حاسد إذا حاول إنفاد حسده بالسعي وتحدي في إر له نعمة من يحسده فهو يعمل الحيل وينصب شبائكه لإيقاع المحسود في فخٍ لضرر والأذى، يعمل ذلك بأدقِّ الوسائل لتنفيذ مكائده.

فكما أنَّ الآيتين (السابقة واللاحقة) إستعاذه بالله من مكائد أهل الزيف والإفساد، كذلك هذه الآية (النماتات في العقْد) هي مكائد يرتكبها أهل النمائ لإيقاع الأذى شُهِوا بالساحرات ينفثن في العقْد

فالاستعاذة منهم جميعاً إلى الله المسعون لإحياء مساعيهم وردّ مكائدهم في نحورهم، وهو الملحاً والمعين

قال سيّد قطب وأسفّات في العقْد لسواحر لساعات بالأذى عن طريق خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس والتأثير في المشاعر وهنّ يعقّدن العقْد في نحو خيط أو مندبل و ينفثن فيها كتقيد من تقاسد السحر والإيحاء قال والسحر لا يغيّر من طبيعة الأشياء، ولا يُبشي حمّةً جديدةً لها ولكنّه يحيل للحواس والمشاعر بما يريد الساهر<sup>١</sup>

قال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسب الطوسي رحمه الله ولا يمحور أن يكون النبي ﷺ سحر، على ما رواه لقصاص الجهل، لأنّ من يوصف بأنه مسحور فقد حبل عقله، وقد أنكر الله تعالى ذلك في قوله: «وَقُلْ يَظُنُّوْنَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا»<sup>٢</sup>

وهكذا قال لعلامة الطبرسي في تفسيره نسورة عند الكلام عن شأن النزول<sup>٣</sup> وقال لأستاذ محمد عبده قد رويّ هذا أحاديث في أنّ النبي ﷺ سحره كبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه حتّى كان يحيى إليه أنّه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه وأنّ الله أنبأ بذلك، وأخرجت موادّ لسحر من شجر وعوفي ممّا كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة!

ولا يخفى أنّ تأثير السحر في نفسه عبث الصلاة والسلام مماسّ بالعقل أخذ بالروح فهو ممّا يصدّق قول المشركين فيه «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا»

والذي يجب علينا اعتقاده أنّ القرآن المتواتر جاء بنفي السحر عنه عليه الصلاة

١- في ظلال القرآن، المجلد ٦، ص ٧٠٩، ج ٣٠، ص ٢٩١ وقد قلنا تمام كلامه نقلاً

٢- تفسير البيان، ج ١٠، ص ٢٣٤ والآية ٨ من سورة النور وفي سورة الإسراء ١٧، ٤٧ «وَقُلْ هُمْ جَبْرِي إِذْ يَقُولُ

الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا»  
٣- مجمع البيان، ج ١، ص ٥٦٨

والسلام، حيث نسب القول بإثبات حصوله له إلى المشركين ووبّخهم على ذلك.  
والحديث - على فرص صحته - من أحاديث الآحاد التي لا يؤخذ بها في العقائد،  
وعصمة الأنبياء عقيدة لا يؤخذ فيها إلا بالبين

على أن سورة الفلق مكية نزلت بمكة في السنين الأولى، وما يزعمونه من السحر  
إنما وقع في المدينة في السنين الأخيرة حيث اشتدّ العداء بين اليهود والمسلمين فهذا مما  
يُضعف الإحتجاج بالحديث ويُضعف التسليم بصحته<sup>١</sup>

قال سيّد قطب هذه الروايات تحالف أصل لعصمة النبوة في الفعل والتبليغ، ولا  
تستقيم مع الاعتقاد بأن كلّ فعل من أفعاله ﷺ وكلّ قول من أقواله سنة وشريعة كما أنها  
تصطدم بنفي القرآن عن الرسول ﷺ أنه مسحور، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدّعون  
من هذا الإفك ومن ثمّ يستبعد هذه الروايات، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر  
العقيدة، والمرجع هو القرآن والتواتر شرط للأحد بالأحاديث في أصول الاعتقاد، وهذه  
الروايات ليست من المتواتر، فضلاً عن أن نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح، مما  
يؤهن أساس الروايات الأخرى<sup>٢</sup>

وقد اسوقنا الكلام حول مرعومة سحر السيّد ﷺ وتفنيد رواياته بصورة  
مستوعبة، فراجع<sup>٣</sup>

### ظواهر روحية غريبة

إنّه ما يزال مشاهداً في كلّ وقت أن بعض الناس يملكون خصائص لم يكشف  
العلم عن حقيقتها بعد لقد سمّي بعضها بأسماء من غير أن يحدّد كنهها ولا معرفة طرقها  
هذه ظاهرة «التيليپاثي» - التخاطر من بعيد - ما هو؟ وكيف يتم؟ كيف يملك إنسان أن  
يتنفّس فكرة من إنسان آخر على أبعاد وفواصل لا رابط بينهما سوى هذا الاتصال الروحي

١ - ملخص كلامه على ما جاء في تفسير المراعي ج ١ ص ٢٦٨. راجع تفسير جبر. عمّ لمحمد عبيد ص

٢ - هي ظلال القرآن، المجلد ٨ ص ٧١، ج ٣٠ ص ٢٩٢

١٨٣-١٨١

٣ - في الجزء الأول من التمهيد



لغريب؟! وربما تتلقى الفكرة من كائن حي وراء سار العيب، إما فكرة طيبة - وهي نفثة روح القدس - أو فكرة حييئة تنسها شياطين الجن وإلى هذا الأخير جاءت الإشارة في قوله تعالى: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُودُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُعِدِّلُوا كُفْرًا<sup>١</sup>» وهكذا تتبادل الأفكار لذميمة بين شياطين الجن والإنس «وَكَذَبْتَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا<sup>٢</sup>».

وهذه لبسات المغناطيسي «هيوترم» أو تنووم الصناعي يتم بسطرة إرادة إنسان على إرادة آخر كان قد نومه بطريقة غير عادية قالوا إن في الإنسان شيئاً مغناطيسياً لا يعرف كنهه يسعت منه بالإرادة ويؤثر على الأشياء أو لأشخاص تأثيراً خاصاً فقد يلقه بأن يوقع في وهمه فيضغ هذا افتعاعاً تاماً أو اسحراح الروح من الحسد ليأخذ بالبحول والإطلاع على غيوب وربما اسحدم هذا السبال المغناطيسي في الطلوت وهي معالجة قسم من الأمراض المستعصية لكن لم يحدد إلى اليوم ما هو؟ وكيف يتم؟ وكيف يقع أن نسيطر إرادة على إرادة؟ أو نفعل شيء بتأثير قوة الإرادة؟

وهكذا نحصر الأرواح - حسبما يسمونه اليوم - بقوم على أساس اتصالٍ روحيٍّ كائنات حية وراء سار العيب أمّا ما هذه لكنات الحية؟ وكيف تتم هذا الاتصال؟ وهل هو اتصال بأرواح فارقت أحسادها بسموت أم هي غيرها؟ الأمر الذي بقي مجهولاً لم يقطع بشيء منه

حكى لي زميلنا العلامة الشيخ مهدي لآصفي أن جماعة من مزولي هذا الفن طلبوا إليه أن يشهد جلسة يتم فيها هذا العمل، قل وبعد أعمال وأطوار قاموا بها طلبوا لي رغبتي في إحصار روح من الأرواح، فرغبت أن يحضر روح الشيخ الأعظم المحقق الأنصاري رحمته الله فلما حضر - وفق إخبارهم - قالوا ماذا بتعني لسؤال منه؟ فطلت إليهم أن يسألوه عن مسأله أصوليه عريقة كان الشيخ هو مدعها وهي مسأله «الحكومة والورود» في دلائل الأحكام فرغبت أن يشرحها بنفسه حيث الاختلاف كثير في تفسيرها وعند

ذلك قالوا: إنَّ الرُّوح قد سقط من هذا السُّؤل وترك الجلسة وذهب مغضباً  
نعم، لا شك إمكان ذلك إحصائياً، ولكن هل هذا الأمر يتم بهذه التوسعة؟ وهل هذه  
الأرواح هي أرواح الأموات أم غيرها؟ الأمر الذي لا يمكن البت فيه غير أنَّ هذه وأمثالها  
مظاهر روحية عريية، وهي في جميع أبعدها وشكلها لا تمس قضية السحر حسبما كان  
يزعمه الأقدمون - من الاستعانة بأرواح الأفلak والكواكب وتسخيرها - أو حسبما راجع  
عند أوساط السذج الأوهام اليوم ورتما بعد اليوم مادام لم تكمل العقول.<sup>١</sup>

### كلام عن إصابة العين

قالوا ومنا نجد القرآن متأثراً بالبسطة، بعريية الحاحلة اعترافه بإصابة العين في

مواضع

الأول قوله تعالى - حكاية عن يعقوب عليه السلام - «وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد  
وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من شئ إلا أن تحكمم إلا الله عليه توكلت وعليه  
فليتوكل المتوكلون»<sup>٢</sup> قيل خاف عليهم إصابة نعيم لأنهم كانوا ذوي جمال وهيبه وكمال  
وهم إخوة أولاد رجل واحد.<sup>٣</sup>

الثاني قوله تعالى: «وإن يكاد الدين كفروا ليرتقونك بأنصارهم لا يسمعون الذكر ويقولون  
إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين»<sup>٤</sup> قيل يرتقونك بمعنى يصيبونك بأعينهم قال الطبرسي  
والمفسرون كلهم على أنه المراد من الآية<sup>٥</sup>

الثالث قوله تعالى: «ومن شر حاسد إذا حسد»<sup>٦</sup> قيل أي من شر عينه<sup>٧</sup> وعن ابن  
أبي عمير رفعه قال أما رأيت إذا فتح عينيه وهو ينظر إليك هو ذاك<sup>٨</sup>  
والكلام هنا من جهين، الأولى هل القرآن تعرض لتأثير العين، سواء كان حقاً أم

١ - رجع في ذلك كنه الإيمان روح لا جسد، للأسناد روف عبيد، في ثلاث مجلدات صحاح، وغيره من كتبها في هذا

٢ - يوسف ١٢، ٦٧

٣ - انعم ٦٨، ٥١-٥٢

٤ - النمل ١١٣، ٥

٥ - معاني الأخبار للصدوق، ص ٢١٦، طبع النجف

الشأن وهي كثيرة جداً

٢ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٤٩

٥ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤١

٧ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٦٩

باطلاً؟ الثانية هل للعين تأثير سوء ذاتياً مع قطع لطر عمّا جاء في القرآن؟

أما الجهة الأولى فليس في ظاهر نص القرآن ما يدلّ على ذلك

أما قوله يعقوب لبنيه «لا تذخّروا من باب واحد» فإنما كانت في عودتهم إلى مصر بعد سفرتهم الأولى التي رجعوا منها هائبيين فلو كان يحاف عليهم العين لأمرهم بذلك في المرة الأولى بل وفي كلّ سفره وحلّ وارتحال، فيمنعهم أن يترافقوا هي الأسفار على الإطلاق، ولا خصوصية لهذه المرة من اندحول على يوسف

قيل، إنما قال لهم ذلك - في هذه المرة - ليسحبر من حالة العزير حين يدخل عليه كلّ أخ له، فسنعلم من تأثير كلّ واحد عند الدخول عليه حالته الخاصة وما يظهر على أسارير وجهه وحركات عينيه حين رؤيته شقيقه من مته سيامين<sup>١</sup> ولعلّ يعقوب استشعر من ردّ العزير إخوانه ليأتوا بأخ آخر لهم من أبيهم، أنه هو يوسف فحاول بهذه التجربة معرفة شخصية العزير ولعلّه يوسف نفسه، الأمر الذي لا يُعلم إذا دخلوا عليه كلّهم جماعةً واحدةً ومن ثمّ لمّا دخل عليه أخوه يسامين آوّه وأفشى نفسه لديه الأمر الذي يدلّ على دخوله عليه لوحده فقد تحقق كالتدبير يعقوب في تعزيبه

وهذا يدلّ على حرصه يعقوب القوية، حيث يقول عنه تعالى «وإنّه لدوّ علم لما

عُلّما»<sup>٢</sup> أي ذو فراسة قوية

قال إبراهيم النخعي - وهو تابعي كبير - إن يعقوب عليه السلام كان يعلم بفراسته بأنّ العزير هو ابنه يوسف إلا أنّ الله لم يأذن له في التصريح بذلك فمّا بعث أساءه إليه أوصاهم بالترفة عند الدخول وكان غرضه أن يصل بنيامين وحده إلى يوسف في خلوة من سائر إخوته<sup>٣</sup>

وقوله تعالى: «ما كنّ يُفني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب فضاها»<sup>٤</sup>

يعني إنّ هذا التدبير الذي قام به يعقوب لم يكن بغیر من المصلحة التي رعاها الله بشأنه.

١ - راجع تفسير المراغي، ج ١٢، ص ١٦

٢ - يوسف ١٢: ٦٨

٣ - راجع التفسير الكبير، ج ١٨، ص ١٧٤ والدّر المنثور، ج ٤، ص ٥٥٧

٤ - يوسف ١٢: ٦٨

ولكن كانت تلك بغية أمل في نفس يعقوب، قصصها الله رعايةً لجانبه العزيز على الله. ومما يبعّد إرادة إصابة العين -إضافة على ما ذكرنا- أن التحرّز من ذلك لا يتوقّف على الدخول من أبواب متفرّقة بل يكمن الدخول متعاقب وفي فترات ثم إنهم كانوا يدخلون مصر في جمع غفير من رفقة قافلة العاشدة بالأحمال والأثقال، فكيف يعرف الناس أن هؤلاء إحوة من أب واحد؟

وكذا قوله تعالى: «وَبَنِي يَكْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْنَتُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ».

الزلق الزلة وأرلقه أرله وسخاه عن مكانه والمرلق المكار الذي ينزل على ولا يمكن الثبات عليه

والإرلاق بالأبصار، يحديق النظر إليه نظر ساطع شديد السطح بحيث يكون مرعاً يوحب الوحشة والترجع عما هو فيه خوفاً من إيقاع الأذى به  
و«إِنَّ» محققة من المتعلة أي كذا أن يركوك عن موضعك بشدة تسطح والإرعاب والإرهاب، البادي ذلك من تحديق نظرهم المعصب إليك

أي إنهم لشدة عداوتهم وبعضهم ينظرون إليك نظراً شزراً<sup>١</sup> حتى ليكادون يركون قدمك بغضاً فتصدع حين سمعوك تنلو كتاب الله وتنبد أصنامهم<sup>٢</sup>  
وهذا نظير قوله تعالى: «وَأِنْ كَادُوا لَيَسْفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا»<sup>٣</sup>.  
يقال: فرّه واستفرّه أي أزعجه.

فهذه النظرات الشزرة تكاد تؤثر في موقف الرسول الصلب فتجعله يزل ويزلق ويفقد توارنه وثباته على الأمر وهو تعبير فائق عما يحمله هذه نظرات العدائية من غيظ وحنق وشر ونقمة وضغ، وحمى وسم «لَا تَسْمَعُوا الدُّكْرَ» مصحوبة هذه نظرات المسمومة المحمومة بالسب القبيح والشم الدي، ولاسراء الدميم «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَنَجْوُ»<sup>٤</sup>  
ويدلنا على عدم إرادة إصابة العين في هذه الآية الكريمة بالدات أن إصابة العين

١ - يقال: شرر إليه أي نظر إليه بعتاب حبه مع إضرابي أو غضب

٢ - راجع تفسير المراعي، ج ٢٩، ص ٢٧

٣ - الإسراء ١٧، ٧٦

٤ - في ظلال القرآن، المجلد ٨، ص ٢٤٣، ج ٢٩، ص ٢٧

إنما تكون عند الإعجاب بشيء لا عند التنفر والانرجار والآية تصرّح بأنهم كادوا يرقونه لما سمعوا الذكر، ما فتى عليه باهرين منه ففعلوا بسلفونه بالسباب والشتيم ويرمون بالجنون فكيف والحال هذه يحسدونه فيصيبونه بأعيهم؟ الأمر الذي لا يلتئم وسياق الآية الكريمة.

قال الزحّاخ معنى الآية، أنهم ينظرون إليك عند تلاوة القرآن والدعاء إلى التوحيد نظر عداوة وبغض وإكابر لما سمعوه وتعجب منه، فيكادون بصرعونك بعدة نظرهم ويريلونك عن موضعك وهذا مستعمل في الكلام، يقولون: نظر إليّ فلان نظراً يكاد يصرعني ونظراً يكاد يأكلني فيه وتأويله كنه أنه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلني أو يصرعني لمعل<sup>١</sup>

وهكذا قال الجبائي إن القوم ما كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ نظر استحسان وإعجاب بل نظر مقت<sup>٢</sup> ونقص<sup>٣</sup>

وهكذا قوله «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»<sup>٤</sup> في سورة الفلق - أي إذا حاول السعي وراء حسده لعرض إيقاع الأذى والضرر بالمحسود أي استعد بالله من شرّ الحاسد إذا حاول إيقاد حسده، بالسعي والحدّ في إرله بعه من يحسده، فهو يعمل الحيل وينصب شبائكه لإيقاع المحسود في الضرر والحسران، وربما بأدق الوسائل والذرائع، وليس في الاستطاعة الوقوف على ما يدبره من مكائد، لأنّ يستعان عليه برّب القلوب أي مسبب الفرج والخلاص من كيد الكائدين، والإحباط من مساعيهم الحبيثة<sup>٥</sup>

#### نظرة فاحصة عن إصابة العين

أما الجهة الأخرى - وهو البحث عن إصابة العين ومدى تأثيرها السيئ في النفوس والأموال - فقد شاع الإشفاق منها في أوساط بدائية وربما في أوساط متحضرة أيضاً،

٢ - يحار لأتوار ج ٦٠ ص ٢٩

١ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٤١

٣ - الفلق ١١٣. هـ

٤ - راجع تفسير العرّاعي، ج ٣٠، ص ٢٦٨-٢٦٩، وتفسير جزم عمّ للشيخ محمد عبده، جزء عمّ، ص ١٨٣-١٨٤

وفي ذلك نوع من الاعتراف بحقيقته إجماعاً وربما علّوه بتعاليل تندو طبعه ترجع إلى نفس العاين قالوا هي تشعشعات نموّحيه تنبعث من عين الرائي الذي أعجبه شيء على أثر انفعاله النفسي الخاصّ والأكثر إذا كان عن حسدٍ خبيث، وربما من غير شعور بهذا الانفعال، النفسي المفاجئ في غالب لباس وهي حاصية غريبة قد توجد شديدة في البعض وحفيفة في الآخرين.

وهذه التشعشعات السامة تشبه الثّيرت لكهربائيه تؤثر في المسكهرب بها تأثيراً بالفعل، الأمر الذي يكون طبعياً وليس شيئاً حارقاً، وإن كان لم يعلم كنهها ولا عرفت حدودها ومشخصاتها ولا إمكان مقاسها مقبلة علمية فيما سوى الدعاء والصدقة والنوكل على الله تعالى.

قال الشيخ ابن سينا إنّ لبعض النفوس تأثيراً في الخارج من بدنه تتعلق روحاني كتعلقه ببدنه<sup>١</sup>

وقال أبو عثمان الحافظ: لا ينكر أن منفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أحرار لطيفه متصلة به وتؤثر فيه، فكون هذا المعنى حاصبه في بعض الأعين كالحواصّ للأشياء.<sup>٢</sup>

قال - في كتاب الحيوان يصدد التحرّز من أعين ذوي الشره والجرحس ونفوسهم - كان علماء الفرس والهند وأطباء الموبن ودعاة العرب وأهل التحرية من نارلة الأمصار وحذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي سباع، يخافون نفوسها وعيونها، لئلا يفتدي فيها من الشره والجرحس والطلب والكلب، لما يحتمل عند ذلك من أجوافها من البعير الرديء، وينفصل من عيونها من الأمور المفسدة، ما إذا حاطب طبايع الإنسان نقضته ولذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالمدايات (مطرودة أدياب) ولا يشربه على رؤوسهم وهم يأكلون، مخافة النفس والعين وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا، وكانوا يقولون في السّور

١ - في النقط الأخير من كتاب الإشارات (هناش مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٤٩)

٢ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٤٩ تفسير سورة يوسف وبعد أحمد من الشريف الرضي في كتابه المعجزة النبوية، ص

٣٦٩ بصير يسير سوف ننقله

والكلب إما أن تطرده قبل أن تأكل وإما أن تُشعله شيء يأكله ولو بعظم يطرح له  
قال ورأيت بعض الحكماء وقد سقطت من يده لقمة، فرفع رأسه فإذا عين علام  
تحدّق نحو لقمته، وهو يزدرد ريقه لتحلّب فمه من الشهوة، وكان ذلك للحكيم جيّد للقم  
طيب الطعام، ويضيّق على علمانه

وقالت الحكماء إن نفوس الساع وعينها في هذا الباب أردأ وأحدث لفرط شرها  
وشرها قال الجاحظ بين هذا المعنى وبين قولهم في إصابة العين الشيء المعجب  
المستحسن شركة وقرابة ذلك أنهم قالوا قد رأيت أبا ثعلبة فيهم ذلك، ورأيناهم وفيهم  
من إصابة العين مقدار من العدد، لا نستطيع أن نجعل ذلك النسق من باب الاتفاق وليس  
إلى ردّ الخبر «العين حق» سبل، لتوتره وترده ولأنّ القيان قد حقه والحرية قد  
ضُت إليه

قالوا ولولا فاصل انفصل من عين الرائي المُعجب إلى الشيء المعجب به - حتى  
يكون ذلك الداخل عليه هو الناقض لغواء - لم يجاز أب يلقى المصائب بالعين مكروهاً من  
قبل العاين، من غير تماس ولا تصادم ولا ربط يربط أحدهما بالآخر  
قال الأصمعي رُبُّ رجل عيونا (شديد الإصابة بالعين) كان يذكر عن نفسه أنه  
إذا أعجبه الشيء وَخَذَ حرارةً تخرج من عينه<sup>١</sup>

وأضاف الجاحظ - ردّاً على من زعم أن الاعتراف بصحة إصابة العين ينافي  
التوحيد - أن الاعتراف بالطبائع اعتراف بسنة الله الجارية في الخلق والتدبير، وليس أمراً  
خارجاً عن طوع إرادته تعالى قال ومن زعم أن التوحيد لا يصحّ إلا بإبطال حقائق  
الطبائع فقد حملَ عجزه على الكلام في لتوحيد وإما يأس منك الملحد إذا لم يدعك  
التوفّر على التوحيد إلى بحس حقوق الطلوع، لأنّ في رفع أعمالها رفع أعنانها وإدراكات  
الأعيان هي الدالة على الله فرفعت الدليل فقد أضلت المدلول عليه<sup>٢</sup>

١ - الحيوان للجاحظ، ج ٣، ص ٢٦٤ - ٢٦٩ تحقيق يحيى الشامي مع بعض المندرجين حسب نقل ابن أبي العمدة في شرح

النهج، ج ١٩، ص ٢٧٦ - ٢٧٧

٢ - المصدر، ص ٢٦٦

وللسيد الشريف الرضي رحمه الله كلامٌ صيغَ عند شرحه لقول النبي ﷺ: «العين حقٌ تستترل العالق»<sup>١</sup> قال وهذا مجاز، والمراد أن الإصابة بالعين من قوة تأثيرها وتحقق أفاعيلها كأنها تسهيط العالي من ريعه، وتستقلو (أي تُرحزح) الثابت بعد استقراره والعلق، المكان المرتفع من الحبل وغيره فجعل عليه الصلاة والسلام العين كأنها تحيط ذروة الحبل من شدة بطشها وجدة أحدها وقد ساصرت (بضافرت) الأخبار بأن الإصابة بالعين حقٌ<sup>٢</sup> والذي يقوله أصحابنا بأن الله سبحانه يفعل المصالح بعاده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك لأفعال التي يفعلها والأقدار التي بقدرها وإذا تقررت هذه القاعدة، فغير ممنوع أن يكون تغييره تعالى نعمة زيد مصلحة لعمرو، وإذا كان تعالى يعلم من حال عمرو أنه لو لم يسلب ريداً نعمة ويخفف مرئيه أهل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة بعطفه وأقدم على المعاوى ورتكس في المهاوى، وإذا سلب سبحانه نعمة زيد للعلّة التي ذكرناها عوضه عنها وأعطاه بدلاً منها عاجلاً أو آجلاً وهذا كان ذلك كما قلنا - وقد روي عنه عليه السلام ما يدل على أنه شيء إذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر أمره -<sup>٣</sup> لم ينكر تغيير حال بعض الأشياء عند نظر بعض الساطرين إليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامه في عهده كما روي أنه ﷺ قال - لما سُفِّت ناقة العُصْبَاء<sup>٤</sup> وكانت إذا سوبق بها لم تُسْتَق - «ما رفع العباد من شيء، إلا وضع الله منه»<sup>٥</sup>.

١ - حديث موانر، رواه الله يشار بعدة أسانيد وهي مختلف الألفاظ والمعارف. راجع مسند أحمد، ج ١ ص ٢٧٤ وسائر المسانيد السابقة وبحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٥ - ٢٦، وسائر الكتب الحديثية المعتبرة.

٢ - وقد عقد العلامة العجلي في بحار، باباً في ذلك. راجع، ج ٦٠ كتاب السماء والعالم.

٣ - إشارة إلى ما رواه أحمد في مسند الآتي وفي النهج «ما قال الناس شيء طوبى له إلا وضع الله له يوماً سوء». قصاص الحكم، رقم ٢٨٦، ص ٥٢٦. وفي بواب الراوندى، ص ١٢٨ «ما رفع الناس أبصارهم إلى شيء إلا وضع الله».

وراجع بحار الأنوار، ج ٦ ص ٢٧.

٤ - العُصْبَاء: الناقة المشفوقة الأوس. وكان هذا الاسم لها من رسول الله ﷺ ولم تكن مشفوقة الأوس. قال الزمخشري: ناقة هضباء، قصيرة اليد.

٥ - روى أحمد في مسنده، ج ٣، ص ١٣ و ٢٥٢ وغيره أن رسول الله ﷺ كانت له ناقة تسمى العُصْبَاء، وكانت لا تُسْتَق في مساهمة، حتى جاء أعرابي على فرس ما أعد للحمل والركوب من الدواب ومن الإبل ما تحاور الستين ولم يبع السبع مبيعها، فسق ذلك على المسلمين، فلما أتى ما هو وجوههم قال إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً في الدنيا إلا وضعه والعديد منقول في الكتب بألفاظ مختلفة.



فيمكن أن يتأول قوله عليه الصلاة والسلام «لعين حق» على هذا الوجه ويسجوز أن يكون ما أمر به المُستَحْسِنُ للشيء عند رؤيته أنه من إعادته بالله والصلاة على رسول الله قائماً في المصلحة مقام تغيير حاة الشيء المُستَحْسِن، فلا تُغَيَّر عند ذلك، لأن الرائي قد أظهر الرجوع إلى الله سبحانه والإحبات له، وأعاد ذلك المرئي به، فكأنه غير راكن إلى الدنيا ولا معتز بها ولا واثق بما يرى عليه حول أهلها

قال ولعمرو بن بحر الجاحظ في الإصانة بالعين مذهب اهرد به، وذلك أنه يقول إنه لا يُنكر أن يفصل من العين الصائبة إلى الشيء لمسُحَسِّسٍ أحرأ لطيفه فتؤثر فيه وتجنني عليه ويكون هذا المعنى خاصاً ببعض الأعين كالعواص في الأشياء قال وعلى هذا القول اعتراضات طويلة وفيه مطاعن كثيرة<sup>١</sup>.

وهذا الكلام بفساده بطوله لما فيه من فوئد حقه وتسيئة على أن من حكيمته تعالى القيام بمصالح العباد، فربما يحط من هيمنة المعيون كي لا يظفوا العاين صرح عن حده، ثم إنه تعالى يعوّض المعيون بما يسدّ خلّة الضرر الوارد به وقد يكون ذلك في مصلحة المعيون لتكون كفارة لما فرط منه من القلوع أو تنعيط بشأن العاين لكن هذا لا ينافي ما عكّل به ابن سينا أو الجاحظ في سائر السبب الطبيعي الواقع تحت إرادة الله الحكيمه وهكذا ذهب المتأخرون في بيان سبب السبب الطبيعي لإصانة العين وفق ما أودع الله من خصائص في طبيعة الأشياء

قال سيّد قطب والحسد انفعال نفسي براء نعمة الله على بعض عباده مع تسمّي زوالها وسواء أُنْبِغ الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والعبط، أو وقف عند حدّ الانفعال النفسي، فإن شراً يمكن أن يعقّب هذا الانفعال

قال: ونحن مضطرون أن نظام من حدة الهي لما لا نعرف من أسرار هذا الوجود وأسرار النفس البشرية وأسرار هذا الجهار الإنساني فهناك وقائع كثيرة تصدر عن هذه الأسرار، ولا نملك لها حتى اليوم تعيلاً هالك مثلاً التحاظر على البعد، وكذلك التنويم

١- قال رسول الله ﷺ «من أحبب من أحببته في ذلك، فإنه قد ذكر الله لم يضره». وفيه حديث بهذا المعنى

كثيره، راجع بغير الآثار، ج ٦٠، ص ٢٥

٢- المجازات النبويه للسيد الشريف الرضي، ص ٣٦٧-٣٦٩، رقم ٢٨٥

المغناطيسي وقد أصبح الآن موضعاً للتجربة المستكررة المثبتة، وهو مجهول لسرّ والكميّة وغير التخاطر والتويم كثير من أسرار الوجود وأسرار النفس وأسرار هذا الجهار الإنساني

فإذا حسد العاسد ووجه أنفعلاً نفسياً معيماً إلى المحسود فلا سبيل لنفي أثر هذا التوحيه لمجرد أن ما لدينا من العلم وأدوات الاختبار لاتصل إلى سرّ هذا الأثر وكيفيته، فمن لا ندري إلا القليل في هذا الميدان، وهذا القليل يُكشّف لنا عنه مصادفةً في الغالب، ثم يستقر واقعةً بعد ذلك. فهنا سرٌّ يستعاذ منه بالله<sup>١</sup>

### هل تأثر القرآن بالشعر الجاهلي؟

من طريف ما يُذكر بهذا الشأن ما زعمه بعض المستشرقين الأجانب أن القرآن ضمن بعض آياته تعابير اقتبسها من أبياتٍ شعرية جاهلية! فالدكتور «سنكلر تسديل Thusdale» صاحب كتاب «مصادر الإسلام» يروي شبهات الناقدين للقرآن الكريم. ومنها هذه الأبيات:

دنت الساعة وانشق القمر <sup>٢</sup>	عن غزالٍ صاد قلبي ونفر
أحور قد حُرّت في أوصافه	ناعس الطرف بعينه حور
مرّ يوم العيد في زينته	فرماني فتعاطى فمقر <sup>٣</sup>
بسهام من لحاظٍ فاتك <sup>٤</sup>	تركتني كهشيم المحتظر <sup>٥</sup>

ويتخذ منها قرينة على اقتباس القرآن بعض الآيات من أشعار الجاهليين! ويضيف إلى هذه الآيات أبياتاً أخرى كقول القائل:

أقبل والعشاق من خلفه	كأنهم من حذب يسلون <sup>٥</sup>
وجاء يوم العيد في زينته	لمثل ذا فليعمل العاملون <sup>٦</sup>

١ - في ظلال القرآن، المجلد ٨، ص ٧١٠-٧١١، ج ٣٠، ص ٢٩٢-٢٩٣

٢ - مقتبس من سورة القمر ٥٤: ١

٣ - مقتبس من سورة القمر ٥٤: ٣١

٤ - مقتبس من سورة الأنبياء ٢١: ٩٦

٥ - مقتبس من سورة الصافات ٣٧: ٦١

قال: ومن الحكايات المتداولة في عصره الحاصر أنه لما كانت فاطمة بنت محمد ﷺ تتلو هذه الآية وهي «اَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» سمعتها بنت امرئ القيس وقالت لها إن هذه القطعة من قصائد أبي أحمد أبوك وادّعى أن الله أمر لها عليه<sup>١</sup> لكن الذي يكذب هذه الأسطورة أن امرء القيس مات سنة ٥٤٠م أي قبل مولد النبي (٥٧٠م) ثلاثين سنة فهو كذا يعلم أن فاطمة ﷺ ولدت بعد البعثة (٦٠٩م) بخمسين سنين (٦١٤م) يعرف مدى خرافة هذه الأكذوبة إذ لا بد لفاطمة لو حرص أنها أرادت قراءة القرآن في محفل عام أن تبلغ عشر سنين مثلاً ولو فرضاً أن بنت امرئ القيس عند وفاة أبيها كانت بعث عشر سنين أيضاً فيكون عمرها عند سماع قراءة بنت النبي ﷺ قد بلغ أربع وتسعين سنة!! إذ ولادتها حينئذ تكون سنة ٥٣٠م وعام سماعها ٦٢٤م. وقل من يعيش في هذه السن من ساء الجاهلية؟!

والمرجح أن هذا التصميم الشعري مقتبس من القرآن على يد بعض أهل المجور، وكم له من ظفر وشهد لذلك ذكر العيد في هذه لأبيات الحصاص بالمعهد الإسلامي المتأخر، ولا سابق له قبل الإسلام!

والاقتباس عرص عريض سواء في الشعر أم لشر، وهو إما مقبول أو مردود على

الشرح التالي

### الاقتباس

الاقتباس تصميم الشعر أو الشعر بعض لقرآن، لا على أنه منه، بأن لا يقال فيه. قال الله تعالى ونحوه. وقد شاع الاقتباس منذ الصدر الأول وراح بين من تأخر عنهم وعد من المحسنات البدعة وفي كثير من الخطب والأدعية فضلاً عن الشعر تضمينات مقتبسة من القرآن الكريم، لها روء وبهاء وارتفاع شأن الكلام

١- كتاب «مصادر الإسلام» لسدي، ص ٢٥-٢٩، من ترجمته العربية

٢- كما ولم يذكره صاحب ديوان امرئ القيس.

وفي شرح بدعيية ابن حجة لاقتباس ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالأول ما كان في الحُطْب والموعظ ولعهود وثنائي ما كان في القول والرسائل والتقصص والثالث على ضربين.

أحدهما: ما نسبته الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكايه عمّله «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتُهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ»<sup>١</sup> والآخر نصمين اية في معنى هرل ونعوذ بالله من ذلك، كقوله.

أوحى إلى عَشَّاه طَرْفُهُ «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا تُوعَدُونَ»<sup>٢</sup>  
وردفهُ ينطق من خضمه «لَمَثَلُ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»<sup>٣</sup>

قلت والأبيات التي ذكرها «تسديد» من هذا لقييل أي القسم المسموع من الاقتباس

ومن القسم العائز ما رواه البيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَان» عن شيخه أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال أشد ما أحمد بن محمد ابن يزيد لنفسه

سَلَّ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَائْتِيَهُ «مَنْ التَفَى خَيْرَ مَا تَكْتَسِبُ»  
وَمَنْ سَتَّقَ اللَّهَ يَصْصِعْ لَهُ «وَيَرْزُقُهُ مِنْ خَيْرٍ لَا يَحْتَسِبُ»<sup>٤</sup>  
وذكر الرركشي للطرطوشي:

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وَأَبْقَوْا فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ وَجَدًا مُقِيمًا  
قَدْ وَحَدْنَا السَّلَامَ بَرْدًا سَلَامًا إِذْ وَجَدْنَا النَّوَى عَذَابًا أَلِيمًا  
قال: وثبت للشافعي.

أَنْلَنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتُ خَطًّا وَأَشْهَدُ مَسْعُورًا قَدْ عَايَنُوهُ  
فَإِنَّ اللَّهَ خَلَّاقُ الرَّايَا عَمَتْ لَجَلَالُ هَيْبَتِهِ الْوَجْوهُ

١ - العاشية ٨٨: ٢٥ و ٢٦

٢ - مقتبس من سورة الصافات ٥٧: ٦١ راجع الإقناع للسيوطي، ج ٢، ص ٣١٤-٣١٥

٣ - الطلاق ٦٥: ٣، راجع الإقناع، ج ٢، ص ٣١٦

٤ - المومنون ٢٣: ٣٦

يقول «إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِمَدِينٍ إِلَى أَهْلِ مَسْتَى قَاتِلُوهَا»<sup>١</sup>  
 وذكر السكي في طبقاته في ترجمة أبي منصور البغدادي من كبار الشافعية قوله  
 يا من غدي ثم اعمدي ثم اقترف ثم سبي ثم ارعوى ثم اعترف  
 أبشر بقول الله في آياته «إِنْ يَسْتَهْوُوا يُضَيِّقْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»<sup>٢</sup>  
 قال جلال الدين السيوطي. هذا وما فيه يس من لاقتباس، للتصريح بأنه قول  
 الله<sup>٣</sup>

### هل في القرآن تعابير جافية؟

رغم أن في القرآن تعابير جافية لا تناسب وأدب لوحي الرمع وذلك في مثل  
 التعبير بالفرج وهو اسم لسوء المرأة وتعبير بالحيانة شأن أرواح أنبياء الله، وهو فضع  
 امرأة تكون في حصانة روح كريم والتعبير بحسبوا والتشبيه بالحصار والكلب، وكذا  
 سائر التعابير القديسة العاقبة في مثل «تَبَّتْ»<sup>٤</sup> و «فَرَأَتْهُ تَحَالَهُ الْخَطْبَ»<sup>٥</sup> والدعاء بالشر  
 «قَاتِلْهُمْ اللَّهُ»<sup>٦</sup> ومن أمثال هذا القليل قد توضح في القرن مما لا يوجد نظيره في غيره من  
 الكتب ذات الأدب الرمع

لكنه رغم فاسد ناش عن الجهل بمصطلح أئمة ذلك العهد وحلط القديم بالجديد  
 من الأعراف، وإليك تفصيل الكلام عن ذلك

### «التي أحصنت فرجها»

جاء هذا التعبير في القرآن في موضعين<sup>٧</sup> معاىوا التصريح بسوء المرأة!  
 لكنه تعبير كنائي وليس بصريح، حيث المراد من الفرج هنا هو خصوص جيب

١- البقرة ٢٨٢ راجع البرهان للركشي ج ١ ص ٤٨٢ ٤٨٣

٢- الأنعام ٨ ٣٨ ٣- لا تعرج ج ١ ص ٣١٥-٣١٦

٤- التوبة ١١١ ٥- التوبة ١١١ ٦

٧- التوبة ٩: ٣٠، المائدة ٦٣ ٤

٧- هي سورة الأنبياء ٩١ «وَالَّتِي أَحْصَتْ مَرْجَهَا فَفَعَلْنَا مِنْ رُوحِهَا وَالتَّحْرِيمِ ١٢ «وَمَرْجُ ابْنَةِ عِمْرَانَ الَّتِي  
 أَحْصَتْ مَرْجَهَا فَفَعَلْنَا مِنْ رُوحِهَا»

القميص وهو خرق مطوّق في أسفله

قال ابن فارس الفاء والراء والجيم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تفتّح في الشيء من ذلك، الفُرجة في الحائط وغيره والشقُّ ولعروح لشعور التي بين مواضع المخافة<sup>١</sup> قال. ولجيب، جيب القميص<sup>٢</sup> وهو خرق مستطيل في قدّامه يقال: جِبتُ القميص، قوّرت حبه وهو خرقه من وسطه خرقاً مستديراً وفي القرآن «وليطربن بِحُثُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ»<sup>٣</sup> وهو خرق في صدر قميص ويقال: فلانٌ ناصح الجيب أي أميه<sup>٤</sup> ويقال: طاهر الجيب أي نزيه

فالمرج في هكذا تعابير هي فرجة قميص أي جيبه، وهو عبارة عن خرق مطوّق في أسفله، حسب العادة في قمصان العرب فأحصان لمرج عبارة عن طهارة الذيل أي نزاهته عن دنس الفحشاء.<sup>٥</sup>

وهو استعمال على لأصل العرب القديم والذي جرى عليه القرآن الكريم على المصطلح الأول، أمّا أخيراً فقلبي استعماله في سؤء المرأة وهو استعمال مستحدث، لا يحمل القرآن عليه قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنَاتُ مَرُوءَاتٌ غُلُوبَاتٌ لَا يُفْخَرْنَ بِزِينَتِهِنَّ وَلَا يَتَّبِعُهُنَّ الْوَلَدُ وَلَا يُضْرَبْنَ وَلَا يُنْقَبْنَ لَهُنَّ حُجُرٌ وَلَا يَمَسُّهُنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا يَسْلَمُ عَلَيْهِنَّ وَلَا يَتَكَلَّمُ لَهُنَّ فَوْقَ حُجُرِهِنَّ»<sup>٦</sup> «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ»<sup>٧</sup> ذلك كناية عن التحفظ على راحة الذيل عن دنس الفحشاء، وليس اسماً خاصاً للسؤء ولا سيما سؤء المرأة

### «فَخَانَتْهُمَا»

قال تعالى «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ بُوْحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَتَا تَحْتِ عَثَدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا»<sup>٨</sup>

١- المصدر ج ١، ص ٤٩٦ و ٤٩٧.

١- معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٩٨.

٢- لسان العرب، ج ١، ص ٢٨٨.

٣- النور ٢٤، ٣٦.

٤- الأعراب ٣٣، ٣٥.

٥- ونظيره جاء التعبير في الفارسية بـ «ياكى داس».

٨- التحريم ٦٦، ١٠.

٧- النور ٢٤، ٣٠، ٣٦.

عابوا فصيح امرأة هي زوجة عبد صالح!

لكن التعبير بالخيانة هنا لا يراد بها ارتكاب الفحشاء، كلاً! وإنما هو مجرد مخالفة الزوج وإنكار رسالته قال الفيض الكاشاني محبتاهما بالمعاق والتظاهر على الرسولين<sup>١</sup> وهو تعريض ببعض أرواح النبي ﷺ بفتنة سره والتظاهر عليه كما جاء في صدر السورة ومن ثم فهو خطاب وعتاب مع تلك الأرواح «إِنْ تَتُوبْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَنَّتَيْهِ وَصَلِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»<sup>٢</sup>

قال ابن عباس: لم أرَ حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي اللتين قال الله بشأنهما «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...» حتى حجَّ عمر وحديث معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وحدثت معه بالإداوة فتبرَّر ثم أتت فصيت على يده فتوضَّأ فقالت يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي اللتان قال الله بشأنهما ذلك؟ فقال: وأعجباً لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة، ثم شأ يحدثني بهديثهما في ذلك<sup>٣</sup>

٢- التحريم ٦٦ ع.

١- تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٢٠

٣- راجع. الدر المنثور، ج ٨، ص ٢٢٠

## مَوْهَمُ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ

«وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»

(النساء: ٨٢)



## كلام عن موهم الاختلاف في القرآن

قال تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»<sup>١</sup>  
تلك ميزة قرآنية، لا يوجد فيه اختلاف، حيث صصعه تعالى القويم يفتري عتاً يصعه البشر  
دا نقص وعيب، إذ كل يعمل على شاكلته وقد أخذ الله تعالى دليلاً على الإعجاز  
الخارق!

وهناك من قدم من كان يرعم أن في القرآن اختلافاً ويرجع عهده إلى الصدر  
الأول حيث روي أن سائلاً سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، فأجابه الإمام في  
رحابة صدر وحل إشكاله، واستبصر على يديه

روي أبو جعفر الصدوق بإسناده المتصل إلى أبي معمر السعدي قال: إن رجلاً أتى  
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إني شككت في كتاب الله  
المنزل قال عليه السلام: وكيف شككت في كتاب الله؟! قال لا إني وجدت الكتاب يكذب بعضه  
بعضاً فكيف لا أشك فيه؟!

فقال الإمام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم  
توزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه فجعل الرجل يسرد آيات زعمهم متهافتات

ويجيب عليهن الإمام علي ما سنذكر.<sup>١</sup>

وهكذا روى صاحب كتاب الاحتجاج أن بعض الرنادقة جاء إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: لو لا ما في القرآن من اختلاف والتناقض لدخلت في دينكم فقال له: وما هو؟ فجعل يسرد آيات بهذا الشأن ليأخذ جوابه الوافي، وشكره أخيراً ودخل في حظيرة الإسلام.<sup>٢</sup>

وروى عبدالرزاق في تفسيره بإساده إلى سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف علي من القرآن فقال ابن عباس: ما هو؟ أشك؟ قال: ليس بشك، ولكنه اختلاف. قال: هات ما حتمت عليك من ذلك. فجعل الرجل يذكر موارد الاختلاف حسب رعمه ويحييه ابن عباس تبعاً، علي ما ستورده.<sup>٣</sup>

وحتى أنهم رعموا أن ابن عباس توقف عن الإجابة في بعض هذه الموارد. روى أبو عبيدة بإساده عن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِثْقَالُهُ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>٤</sup> وقوله: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِثْقَالُهُ ثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>٥</sup> فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه؛ أفقه أعلم بهما!<sup>٦</sup>

لكن ابن عباس قد أجاب عن ذلك بجواب إجماليه وأنهما يومان لا يوم واحد ليكون قد عبر عنهما باختلاف المقدار ولعله لم يهتد إلى تعيين أحدهما عن الآخر وسندكر تفصيل البيان فيه.

ويظهر من أحاديث صدرت عن أئمة السلف أن حديث التناقض في أي القرآن كان متعشياً ذلك العهد، ومن ثم ورد ذمّه والدب عن سلامة القرآن على لسان الأئمة عليهم السلام قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا.

١ - راجع: كتاب التوحيد للصدوق، ص ٢٥٥ رقم ٥ باب الرد على الشيعة والزندقة وأورد المجلسي في كتاب القرآن من البحار، ج ٩٠، ص ١٢٧-١٤٢.

٢ - راجع الاحتجاج للطبرسي ج ١، ص ٣٥٨-٣٥٩ وأورد المجلسي في البحار، ج ٩٠، ص ٩٨-١٢٧.

٣ - راجع: الإنقاذ، ج ٤، ص ٧٩، النوع ٤٨. ٤ - السجدة ٣٢، ٥.

٥ - المآثر، ج ٧٠، ٤. ٦ - الإنقاذ، ج ٣، ص ٨٣.

«والله سبحانه يقول «ما فرطاً في الكتاب من شيء»<sup>١</sup> وفيه تبيان لكل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه»<sup>٢</sup>

وروى الصدوق بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر»<sup>٣</sup>

ولأبي علي محمد بن المستنير البصري المشتهر بقطرب (ت ٢٠٦) - النحوي اللغوي الأديب البارع تلميذ سيويه ومن أصحاب الإمام الصادق والرواة عنه - كتاب أفرد به بالتصنيف في موهب الاختلاف والتفصيص في آيات الذكر الحكيم قال الزركشي: وقد رأيت لقطرب في ذلك تصنيفاً حسناً جمعه على السور<sup>٤</sup> وكتابه هو المسمى بالرد على الملحدين في تشابه القرآن، ذكره القفطي<sup>٥</sup>

وهكذا في منتصف القرن الثالث أيام الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام (٢٦٠) نجد فيلسوف العراق ابن إسحاق الكندي<sup>٦</sup> قام بتأليف رسالة يجمع فيها تناقض القرآن، لولا أن الإمام العسكري قدّم في وجهه وأفحم حجته فتركها

روى أبو القاسم الكوفي<sup>٧</sup> في كتابه «التبديل» أن ابن إسحاق الكندي أحد في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري، فقال له أبو محمد أما لكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي

١ - الأتنام ٦ ٢٨.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١٨، ص ٦١

٣ - معاني الأخبار، ص ١٨٣، طبعه المحقق الأنصاري ٤ - راجع البرهان، ج ٢ ص ٤٥ والإيمان، ج ٣، ص ٧٩

٥ - انظر، إنباء الرواة، ج ٣، ص ٢١٩

٦ - هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن ولد محمد بن الأستبث بن عيسى الكندي فيلسوف العرب في وقته (١٨٣-٢٦٠) كان رأساً في حكمة الأوائل ومطويع اليونان والهيئة والنجوم ونظمت وغير ذلك، وكان له باع طوي في الهندسة والموسيقى وكان متعمقاً في دينه، قال له أصحابه: تو عمت لك مثل القرآن فأجابهم على ذلك، فعاب عليهم أياً ما ثم خرج إليهم وأدمن بالمجر، قال: والله لا يقدر على ذلك أحد قال تلميذه وكان متعمقاً في دينه، بهيلاً، ساقط المروءة وله نظم جيد وبلاغة وتلامذة هم بأن يعمل شيئاً مثل القرآن، فهذا أيام أدمع بالمجر

راجع سير أعلام النبلاء للدعبي، ج ١٢، ص ٣٢٧ ولسان الميراث لابن حجر، ج ٦ ص ٣٠٥ ودائرة المعارف للقرن العشرين لمحمد فريد وجدي، ج ١٠، ص ٩٤٤ ٩٥٣ والمجد في الأعلام، ص ٥٩٥

٧ - هو أبو القاسم مروت بن إبراهيم بن مروت الكوفي صاحب كتاب تفسير مروت، كان من أعلام الفقيه البصري (٢٦٠-٣٢٩). وفي النسخة إسقاط طبع «مصححاً هذا لئلا يقرأ»

عَمَّا أَخَذَ فِيهِ مِنْ تَشَاعُدِهِ بِالْقُرْآنِ؟ فَقَالَ لِتَمَيِّزِ نَحْنُ مِنْ تِلَامِذَتِهِ، كَيْفَ يَجُوزُ مِنَّا  
الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال له أبو محمد: أتؤذي إليه ما ألقى عليه عليك؟ قال  
نعم، قال: فصر إليه وتلطّف في مؤانسته ومعوته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الالسة في  
ذلك فقل له: قد حَضَرَتَنِي مَسْأَلَةٌ تُسْأَلُ عَنْهَا؟ فَإِنَّهُ يَسْتَدْعِي ذَلِكَ مِنْكَ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَتَاكَ  
هَذَا الْمَتَكَلِّمُ بِهَذَا الْقُرْآنِ، هَلْ يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِمَا تَكَلِّمُ مِنْهُ عِيرَ الْمَعَانِي الَّتِي قَدْ  
ظَنَنْتَ أَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّهُ سَبَقُولَ لَكَ إِنَّهُ مِنَ الْحَاطِرِ، لِأَنَّهُ رَجُلٌ بِهِمْ إِذَا سَمِعَ فَإِذَا  
أَوْجَبَ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: فَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ قَدْ أَرَادَ عِيرَ الَّذِي ذَهَبَ أَسْتَإْذِنُ إِلَيْهِ فَتَكُونُ وَاحِصًا لغير  
معانيه فصار الرجل إلى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له الكندي:  
أعد عليّ، فأعاد عليه فنفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر فقال  
أفسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال إِنَّهُ شَيْءٌ عَرَضَ بَعَلِي فَأُورِدَتْهُ عَلَيْكَ. فقال  
كَلَّا، مَا مِثْلُكَ مِنْ اهْتَدَى إِلَى مِثْلِ هَذَا، وَلَا مِمَّنْ بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَعَرَّفَنِي مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟  
فقال أمرني به أبو محمد، فقال الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت  
ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بِالنَّارِ وَأَحْرَقَ جَمِيعَ مَا كَانَ أَلْفَهُ فِي ذَلِكَ<sup>١</sup>

ولابن هتبية (٢١٣-٢٧٦) كلامٌ مَسْهُبٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الطَّاعِنِينَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى  
جِهَةِ رَعْمِ الْاِخْتِلَافِ تَمَرُّصٌ لَهُ فِي كِتَابِهِ اَشْهَبِيرُ «تَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ» فِي شَرْحِ  
وَتَفْصِيلِ

وللشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦) بَحْثٌ لَطِيفٌ فِي ذَلِكَ عَمِيهِ بِاسْمِ «حَقَائِقِ التَّأْوِيلِ  
فِي مِثْلَابِهِ التَّنْزِيلِ»  
وهكذا القاضي عبدالحبار المعترسي (ت ٤١٥) فَصَّلَ الْكَلَامَ فِي «تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنْ  
الْمُطَاعِنِ»

ولقُطِبُ الدِّينِ الرَّائِدِيُّ (ت ٥٧٣) فِي كِتَابِهِ «لِحَرَائِجِ وَالْجَرَائِجِ» بَابَ عَقْدِهِ لِلرَّدِّ  
عَلَى مُطَاعِنِ الْمُخَالَفِينَ فِي الْقُرْآنِ.<sup>٢</sup>

١ - المآقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٢٤ وأوردته مجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣١١ في تاريخ حياة الإمام  
المسكوي عليه السلام  
٢ - الحرائج والجرائع لقطب الدين الراودي، ج ٢، ص ١١

ولابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨) كتاب قيّم في «متشابهات القرآن ومختلفه»

ولمحمّد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦) رسالة شرعه أجاب عن ألف ومائتي مسألة حول شبهات القرآن

ولجلال الدين السيوطي (ت ٩١١) في كتابه «الإبتقان» - ج ٤٨ - بحث مستوفٍ عن مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض فيه

وللمولوي محمّد باقر المجلسي (١٠٢٧-١١١١) في موسوعته القبّة (بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٤١، وح ٩٠، ص ٩٨-١٤٢، ستبعاث شامل لسعاسف أهل الزبج والباطل حول القرآن الكريم، والردّ عليها فيما ورد في كلام المعصومين والعلماء الأعلام جراه الله عن الإسلام والقرآن خيراً

وأخيراً، قام الأستاذ الشيخ خليل ياسين بتأليف كتاب يحتوى على ١٦٠٠ سؤال وجواب حول مشكل القرآن، أسماء «أصواء على متشابهات القرآن»

وللعلامة الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني تأليف لطيف في التفسير الصحيح لمشكل آيات القرآن الحكيم

تلك مواقف مشهودة في الدفاع عن قدسية القرآن الكريم قام بها جهابذة الفن والعمدة من العلماء الأعلام، شكر الله مساعيهم وأجرل لهم المثوبة وحسن مآب

### السلامة من الاختلاف إعجاز!

وقد أخذته تعالى دليلاً على كون القرآن وحياً من السماء وليس من صنع البشر، وإلا لوجدوا فيه اخلافاً كثيراً

ذلك أنّ طبيعة مثل القرآن - وقد نزل تدريجاً طوال عشرين عاماً في مناسبات مختلفة وفترات متفاوتة ثمّ جُمع في مكان - أن يقع فيه بعض الاختلاف، لو كان من عند غير الله حيث يعسر الضغط على البشر في مثل تلك المدة الطويلة في مثل القرآن

لمتأثر آية طول سنين وربما يختلف النظر لو كان صادراً من إنسان، وهو آخذ في التكامل طول هذه المدة، فطبيعي أن يقع فيه اختلاف، لكن عدم الاختلاف دليل قاطع على أنه من عليم خبير، هو محيط بعلمه ولا يعرب عن علمه شيء، كما لا ينجذد له رأي أو يبدوله نظر غير رأيه لقديم

وللعامة السيد هبة الدين الشهرستاني هنا كلام غريب، قال إن جماعة من المفسرين قد التبس عليهم أمر المانع بالسبب، فعذوا سلامه القرآن من التناهي والتأخر، من وجوه إعجازه، هي حين أن وجود التناهي والتأخر من موانع الإعجاز، وليس انعدامهما والسلامة منهما من أسباب الإعجاز<sup>١</sup>

ولعله رحمه الله عذ السلامة من الاختلاف مراعاة، فجعل لتناهي والتأخر، وهما أمران وجوديان، من المانع في حين أن السلامة هنا بمعنى الائتلاف وحس الوفاق والمؤكد للاتسجام بين آياته وتعايره في كافة لسور مكيتها ومدنيها بونام واسجاء

### الأسباب الموهمة للاختلاف

ذكر الإمام بدر الدين الرركشي للاختلاف أسباباً

الأول وقوع المعبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى، كقوله تعالى في خلق آدم مرة: «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ»<sup>٢</sup> وأخرى «مِنْ حَبِّ مَسْنُونٍ»<sup>٣</sup> وثالثة «مِنْ طِينٍ لَرِيبٍ»<sup>٤</sup> ورابعة: «مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»<sup>٥</sup>

وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة، لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال

٢ - آل عمران ٥٩: ٣

٤ - الصفات ١١: ٣٧

١ - المعجزة الخالدة لشهرستاني ص ٤٢

٣ - المعبر ٢٦: ١٥

٥ - الرحمن ١٤: ٥٥

ومنه قوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ تُعْهَنُ مُبِينٌ»<sup>١</sup> وفي موضع: «تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ»<sup>٢</sup> والجاء الصغير من الحيّات، كان ذلك في ابتداء بعثته ﷺ والتعبان الكبير منها، وكان ذلك لما ألقى عصاه تجاه فرعون وقومه، فاختلف الأحوال.

السبب الثاني: لاختلاف الموضوع، كقوله تعالى: «وَقَالُوا هُمْ أَهْمُ مُشْتُرُونَ»<sup>٣</sup> وقوله: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»<sup>٤</sup> مع قوله: «فَيُزَيِّدُ لَا يُشَالُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ»<sup>٥</sup>.

قال العلّيمي: فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والآية الأخيرة على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرايع الدين وفروعه، وحمله غيره على اختلاف الأماكن (أي المواقف على ما أوضحناه) فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف وموضع يعنف ويوبخ، وموضع لا يعنف..

الثالث: لاختلافهما في جهتي الفعل، كقوله تعالى: «قَلِمٌ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ»<sup>٦</sup> أضيف القتل إليهم على جهة المباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قالوا إِنَّ الْأَفْعَالِ مخلوقة لله تعالى وإن كانت منتسبة إلى آدميين على جهة الإرادة والاختيار، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى. وكذا قوله: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»<sup>٧</sup> أي ما رميت تأثيراً إذ رميت مباشرة.

الرابع: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز، كقوله: «وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى»<sup>٨</sup> أي سكارى من الأهوال مجازاً، لا من الشراب حقيقة وقوله: «وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ»<sup>٩</sup> فقد وافته المنية فكان كالأموات وإن لم يميت حقيقة.

٢ - القصص ٨٨، ٢١

٤ - الأعراف ٦٥

٦ - الأنفال ١٧

٨ - الحج ٢٢، ٢٠

١ - الشعراء ٢٦، ٢٧

٣ - الصافات ٣٧، ٢٤

٥ - الرحمن ٥٥، ٣٩

٧ - الأنفال ١٧، ١٨

٩ - إبراهيم ١٤، ١٧

ومثله في الاعتبارين قوله: «وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ»<sup>١</sup> وقوله: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ»<sup>٢</sup> وقوله: «وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ»<sup>٣</sup>

الحامس بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للحفترقات، كقوله: «فَنَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»<sup>٤</sup> وقال: «حَاشِيَعَيْنَ مِنَ النَّاسِ يُنْظَرُونَ مِنْ طَرَفِ حَيٍّ»<sup>٥</sup>  
قال قطرب: «فَنَصْرُكَ» أي علمك ومعرفتك بها قوية، من قولهم «بَصُرَ بكذا وكذا» أي علم وليس المراد رؤية العين

قال الفارسي ويدل على ذلك قوله: «فَكَشَفَ عَنْكَ عِطَاءَكَ»<sup>٦</sup>  
وكقوله تعالى «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْتَرُونَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُتْسَدِّدُوا فِي الْأَرْضِ وَنَذَرْنَا لَهُهُمُ الْخِتْلَافَ»<sup>٧</sup> مع قوله «أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى»<sup>٨</sup> فيجوز أن يكون قد اعتقد من نفسه أنه الربُّ الأعلى وسائر الآلهة تحته وهكذا له

وقوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ»<sup>٩</sup> مع قوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ»<sup>١٠</sup> فقد يظن أن الوجَل خلاف لطمأنينة وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجَل يكون عند خوف الريغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك وقد جمع بينهما في قوله «تَقْشَرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»<sup>١١</sup> فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم ووثقوا به، فانتفى عنهم الشك<sup>١٢</sup>

وبعد فإليك مواضع من القرآن زعموا فيها اختلافاً

١ - البقرة ٨٠	٢ - الأنعام ٢١
٣ - الأعراف ١٩٨	٤ - ق ٢٢
٥ - الشورى ٤٢: ٤٥	٦ - الأعراف ١٧٧
٧ - البازعات ٢٩: ٢٤	٨ - الرعد ١٢: ٢٨
٩ - الأنعام ٨	١٠ - الزمر ٣٩: ٢٣



## هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

سؤال:

قال تعالى: «فَهَرَّ رَمْصَانُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ»<sup>١</sup>.

وهذا عامٌّ لكس ورد في كثير من الآيات ما يبدو منه التخصيص، كقوله تعالى «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»<sup>٢</sup> وقوله «وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»<sup>٣</sup> وقوله «هَذَا بَصَائِرُ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»<sup>٤</sup> وقوله «وَلَكِن تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَتَّخِذُ كُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»<sup>٥</sup> وقوله «هَذَا بَصَائِرُ لِّنَّاسٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ»<sup>٦</sup> وقوله «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ»<sup>٧</sup> وقوله «لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُحْسِنِينَ»<sup>٨</sup> إلى غيرها من آيات تنم عن اختصاص هدى القرآن بفئات من الناس دون الجميع فما وجه التوفيق؟

جواب:

هناك فروق بين اللام للغاية كما هي الآية الأولى، ولام العاقبة وهي التي جاءت في سائر الآيات هنا.

لا شك أنَّ القرآن نزل لغاية هي هداية الناس أجمع غير أنَّ الذين ينفعهم ويستمتعون به في عاقبة الأمر هم المتقون المنتهدون في ذات أنفسهم، فكأنهم هم الغاية دون أولئك الغوغاء من الناس الهمح غير المبالين ممَّن يقضون حياتهم في غفلة وعمه وعماء

قال تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»<sup>٩</sup> «لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِأَنزِلِ إِلَيْكَ»<sup>١٠</sup>.

٢- البقرة ٢: ٢

٤- الأعراف ١٧: ٢٠٣

٦- النجاة ٤٥: ٢٠

٨- لقمان ٣١: ٣ و٢

١٠- النساء ٤: ١٦٦

١- البقرة ٢: ١٨٥

٣- المائدة ٥: ٤٦

٥- يوسف ١٢: ١١١

٧- النحل ١٦: ٨٩

٩- البقرة ٢: ١٢١

وقال: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»<sup>١</sup> «كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»<sup>٢</sup> «فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُسْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»<sup>٣</sup> «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»<sup>٤</sup>  
ومن ثم فإن القرآن جاء بياناً للناسُ جمع، غير أن الذين تقع بهم المصيبة هم المتقون، كما قال تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»<sup>٥</sup>

## ولا تزد وازرة وذر أخرى

سؤال:

قال تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»<sup>٦</sup>  
وقال: «وَمَنْ صَلَّ فَإِنَّمَا يَصِلُ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»<sup>٧</sup>  
وقال: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِهَيْهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى»<sup>٨</sup>

وقال «وإبراهيم الذي وفى أنه لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»<sup>٩</sup>

الأمر الذي يرتضيه العدل الرشيد وتقتضيه الحكمة البالغة: «لا يؤخذ الجار بدنب الجار»<sup>١٠</sup> «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»<sup>١١</sup> «هِيَ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»<sup>١٢</sup> «لِكُلِّ أَفْرَیٍّ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ»<sup>١٣</sup>

لكن مع ذلك ورد ما يناقضه ظاهراً في قوله تعالى: «لِيُخْلِلُوا أَوْلَادَهُمْ كَابِلَةً يَوْمَ

١ - الأنفال ٨: ٥٥	٢ - يونس ١٠: ٢٣
٣ - النحل ١٦: ٢٢	٤ - الأنعام ٦: ١٢ و ٢٠
٥ - آل عمران ٣: ١٣٨	٦ - الأنعام ٦: ١٦٤
٧ - الإسراء ١٧: ١٥	٨ - طه ٣٥: ١٨
٩ - النجم ٥٣: ٣٧-٣٩	١٠ - العنكبوت ٢٨: ٧٤
١١ - البقرة ٢: ٢٨٦	١٢ - التور ٤٤: ١١

القيامة ومن أوزار الذين يُصلونهم بِغير علمٍ ألا ساء ما يزرون»<sup>١</sup>

كما أنَّ التناقض باٍ على ظاهر قوله تعالى «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولتحميل خطاياكم وما هم بمحامدين من خطيئهم من شيء إنهم لكاذبون، ولتحميل أفعالهم وأفعالاً مع أفعالهم ولئسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون»<sup>٢</sup>

فكيف التوفيق؟

جواب:

حمل الوزر إنما هو بتخفيف كاهل صاحبه، فمَن يحمل من أوزار أحد إنما يخفف من ثقل كاهله هذا هو معنى حمل الوزر، أما إذا لم يخفف فلا تحمّل من الوزر شيئاً وصریح القرآن أن كل إنسان إنما يتحمل مسؤوليته نفسه ولا يتحمل مسؤولية غيره فيما عمل «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من صلّ إذا اتخدتهم إلى الله فزحمتكم جميعاً فيهلككم بما كنتم تعملون»<sup>٣</sup>

لكن هناك في الدعاء إلى حق أو باطل شأن آخر، فهم شركاء فيما عمل المتأثرون بالدعوة، إن خيراً أو شراً، مثوبة أو عقوبة

روى الصدوق بإسناده إلى الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال «أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سَنَةً هَدَىٰ كَانَ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِدُنْكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سَنَةً ضَلَّالَ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَرَرٍ مِنْ فَعَلِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>٤</sup>

قال رسول الله ﷺ «إذا مات المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>٥</sup>

فلا يحمل أحد ذنب غيره ولا يحق عليه من وطنته وإن كان يشركه فيما عمل وفيما يترتب عليه من المثوبة أو الإثم من غير أن ينقصه شيئاً

١- النحل ١٦، ٢٥

٢- المائدة ١٠٥

٣- عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الإصبهاني، ج ٢، ص ٥٣، رقم ١٣٩

٤- المكيوت ١٢، ١٣

٥- ثواب الأعمال للصدوق، ص ١٣٢

فمعنى «يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم» أنهم يحملون أثقال أنفسهم مع أثقال آخر، وهي مثل أوزار ما عمل التابعون وليست نفس أوزارهم، إذ لا ينقص من وزر الآثم شيء، وكل إنسان رهين بما اكتسب وكذا قوله: «ومن أوزار الذين يملكونهم» أي من مثل أوزارهم وليست نفس أوزارهم، إذ لكل امرئ ما اكتسب من الآثم، ولا موجب للتخفيف عنه مادام أنما مبعوضاً عليه

### وصاحبهما في الدنيا معروفاً

سؤال:

قال تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»<sup>١</sup>  
فقد جاء النهي صريحاً عن موادة من حادَّ الله ورسوله ولو كان أحد الوالدين أو الأقربين، الأمر الذي يتنافى وترخيص مصاحبة الوالدين المشركين مصاحبة بالمعروف في قوله تعالى: «وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا تَسَّ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا»<sup>٢</sup>.

جواب:

هناك فرق بائن بين الموادة التي هي عقد القلب على المحبة والوداد الذاتي وبين المصاحبة بالمعروف التي هي المدارة والمعاملة الظاهرية في حُسن المعاشرة مع الوالدين، وربما كانت عن كراهة في القلب فمن أدب الإسلام أن يأخذ الإنسان بعزيمة والديه وكذا سائر الأقربين وإن كان يخالفهم في العقيدة، فحُسن السلوك شيء والرباط النفسي شيء آخر فربما لارباط بين الإنسان وغيره نفسياً وإن كان يداريه في حُسن المعاشرة أدباً إسلامياً، إنسانياً شريفاً وليس مع الأقرباء فحسب بل مع الناس أجمع، الأمر الذي يؤكد عليه جانب تأليف لقوب، مشروعاً عاماً

إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

سؤال:

قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»<sup>١</sup> كيف يلزم مع قوله «أَمَرْنَا مُتَرْفِعِيهَا فَفَسَقُوا

فيها»<sup>٢</sup>؟

جواب:

في الآية الثانية تعدير، أي أمرناهم بالصالح والرشاد فعصوا وفسقوا عن أمر ربهم وهذا كما يقال، أمرته فعصى، أي أمرته بما يوجب الطاعة لكنه لم يطع وتمرد عن امتثال الأمر وعن الطاعة

وإليك الآية بكاملتها:

قال تعالى -بشأن الأمم الذين عوقبوا بسوء أعمالهم-: «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَذْمِيرًا»<sup>٣</sup>

تلك سنة الله جرت في الخلق أن لا عقوبة إلا بعد البيان، ولا مؤاخذه إلا بعد إتمام الحجة «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْلُغَ رِسَالًا»<sup>٤</sup> ثم جاءت تلك الآية «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ»<sup>٥</sup> تفريعاً على هذه الآية، لتكون دليلاً على أن العقوبة إنما تقع بعد البيان

فمعنى الآية -على ذلك-، أن كل قرية يده حق عليها العذاب فإنما هو بسبب طغيانهم وعصيانهم بعد البيان وبعد أمرهم بما يسعدهم لكنهم بسوء اختيارهم شقوا وعصوا، فجاءهم العذاب على أثر الطغيان والفسوق والعصيان وإنا ذكر المترفون بالخصوص لأنهم رأس الفساد والأسوة التي تقتدي بها العامة في سوء تصرفاتهم في الحياة.

قال الطبرسي -في أحد وجوه تفسير الآية-: إن معناه: وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية -بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم- أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها

١- الإسراء ١٧، ١٦

١- الأعراف ٧، ٢٨

٢- الإسراء ١٧، ١٥

٣- الإسراء ١٧، ١٦

بالطاعة واتباع الرسل، أمراً بعد أمر، نكّرته عليهم، وبيّنة بعد بيّنة، تأتيهم بها إغذاراً للعصاة وإنذاراً لهم وتوكيداً للحجة، ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تمادياً في العصيان والكفران قال: وإنما خصّ المرفقون وهم المنعمون والرؤساء بالذكر لأنّ غيرهم تبع لهم، فيكون الأمر لهم أمراً لأتباعهم

قال: وعلى هذا، فيكون قوله: «أَتَرَبَّا مُتَرَفِّعِيهَا» جواباً لـ «إِذَا»، وإليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبیر. أنّ معناه: أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله: أمرتك فعصيتني ويشهد بصحّة هذا البأول الآية لتقدمتها عليها، وهي قوله «مَنْ اهْتَدَى فَبِأَنفِهِ يُهْتَدِ لِغَيْبِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَبِأَنفِهِ يَهْتَدِ» ولا يورّد ورّد أخرى وما كنّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً<sup>١</sup>

## الف سنة أو خمسون ألف سنة

سؤال:

قال تعالى: «يُذِخِّرُ الْآمَرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ بِمَا تُعْذَرُونَ»<sup>٢</sup> وقال: «تَخْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»<sup>٣</sup> ما هذا اليوم؟ وما مقداره، ألف سنة أو خمسون ألف سنة؟

جواب:

قال القمي في تفسير الآية الأولى يعي الأمور التي يدبرها والأمر والهي الذي أمر به وأعمال العباد، كلّ ذلك يظهر يوم القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سنّ الدنيا<sup>٤</sup>

وروي الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا، كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامٌ أَلْفَ سَنَةٍ» ثم تلا الآية الثانية<sup>٥</sup>

١- المجدة ٣٢: ٥

١- مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٠٦.

٢- تفسير القمي، ج ٢، ص ١٦٨.

٣- المعارف، ٢٠: ٤.

٤- تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٤٣.

إذن، فلا منافاة بين الآيتين، فإنَّ أعمدَّ لعباد وكلِّ شؤون الحياة الدنيا بما فيها من تدابير إلهية وأمر ونهي وتشريع وما عمل العباد من خيرٍ وشرٍّ فإنَّها تظهر يوم القيامة في أوَّل موقف من مواقفها، ومقداره ألف سنة بعدون أُمَّا كلِّ شؤون الحياة في عالم الوجود فإنَّها تظهر في طول أمد القيامة ومقداره خمسون ألف سنة حسب مواقعها الخمسين.

وبذلك صحَّ المأثور عن ابن عباس عليهما يومان من أيام الله أي برهنان من الرمان برهة أولى في ألف سنة، وبرهة أخرى شامنة في خمسين ألف سنة<sup>١</sup>

### خلق السماوات والأرض في ستة أيام

سؤال:

قال تعالى: «قُلْ أَنتُمْ لَكُمْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاقٍ مِنْ فُؤَيْهِمْ وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ أَفْوَاقَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ انْقَضَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ... فَقَصَّاهُنَّ سِتْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ.»<sup>٢</sup>

وقال: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بِهَا وَلِلْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»<sup>٣</sup>

وقال: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»<sup>٤</sup> وقد تكرر ذلك في

سبع مواضع من القرآن

والسؤال هنا من وجهين

الأوَّل: دلَّت الآية الأولى على أنَّ الأرض خلقت قبل السماء، في حين أنَّ الآية

الثانية نصَّت على أنَّ الأرض بعد ذلك دحاها

الثاني: ظاهر دلالة الآية الأولى هو أنَّ حقيقة السماوات والأرض وما فيها وقعت

في ثمانية أيام، في حين أنَّ الآية الأخيرة ونظيراتها دلَّت على وقوع ذلك في ستة أيام،

فكيف التوافق؟

٢ - عَصَلَتْ ٤٩، ٩-١٢

١ - المسجد ٣٧، ٥

١ - الإنشاق، ج ٤، ص ٨٣

٢ - النورعاب ٧٩، ٢٧-٣٠

جواب:

دلت الآية على أَنَّ الأرض ذاتها حدثت من السماء وإن كان دحوها أي بسطها وتسطيح قشرتها قد تأخر بعد ذلك بأيام.

وهذه الأيام هي من أيام الله التي يعلم هو مداها. وليست من أيام الناس وقد خلقت الأرض في يومين، وجعل فيها الرواسي وقدر فيها الأقوات أيضاً في يومين، فهذه أربعة أيام، تمت بها خلقة الأرض وما فيه من جبالٍ وأراري وبركات ثم استوى إلى السماء فخلقهن في يومين فتلك ستة أيام على ما جاء في آيات أخرى.

وهذا كما يقال سرت من البصرة إلى الكوفة في يومين، وإلى بغداد في أربعة أيام، أي من البصرة إلى بغداد، باندراج اليومين الذين سار فيهما إلى الكوفة.

وهناك تفسير آخر للآية لعنه أدق، يجعل الأربعة الأيام ظاهراً لتقدير الأقوات إشارة إلى فصول السنة الأربعة، حيث فيها نتقَدَّرُ أرزاق الخلائق والأنعام والبهائم والدواب ذكره علي بن إبراهيم النعمي في تفسيره للآية قال يعني في أربعة أوقات، وهي التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البر والبحر من الحلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كله، وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء ثم جعل يذكر كيفية تقدير هذه الأقوات في كل من هذه الفصول<sup>١</sup>

وقد ارضاء العلامة الطباطبائي واعتمده في تفسيره<sup>٢</sup>

فمعنى الآية - على ذلك - أَنَّ الله خلق الأرض في دورتين، وجعل فيها رواسي وبارك فيها، وقدر أقواتها حسب فصول السنة وهكذا قصى السماوات سبعاً في دورتين، فهذه أربعة أدوار ذكرتهن الآية دورتان لخلق الأرض، ودورتان لجعل السماوات سبعاً وبقيت دورتان لخلق أصل السماء وما بين الأرض من أجرام كانت الآية ساكنة عنهما ومن ثم فهي لا تتنافى وآيات أخرى ذكرن ستة أدوار لخلق الأرض والسماء وما بينهما.



## تساؤل بعضهم بعضاً

سؤال:

قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ»<sup>١</sup>وقال: «لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ»<sup>٢</sup>وقال «فَبَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا تُسَابَ سَبْعُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يُسَاءَلُونَ»<sup>٣</sup>

وقال: «وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ. فَعَيَّبْتَ عَلَيْهِمُ الْآتِيَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا

يُسَاءَلُونَ»<sup>٤</sup>.وقال «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْدِلَى وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. وَلَا يُسْأَلُ عَمِيمٌ عَمِيماً»<sup>٥</sup>.هذا مع قوله: «وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»<sup>٦</sup>.وقوله: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»<sup>٧</sup>وقوله: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»<sup>٨</sup>

وقوله: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قَالُوا إِنَّا كُنْهَمْ تَائِبُونَ عَنِ الْيَمِينِ. قَالُوا بَلْ لَمْ

تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»<sup>٩</sup>.

وقوله: «وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْقُوا. لَا سَاعَةَ مِنَ الْيَوْمِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ»<sup>١٠</sup>.

فهل يُسألون عن ذنبٍ أو لا يُسألون؟ وهل يتساءلون فيما بينهم ويسعارفون أم لا

يتساءلون؟ فكيف التوفيق؟

جواب:

هناك في الوقفة الأولى يوم الحشر تكون الوقفة شديدة «يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَبُ كُلُّ

٢ - القصص ٢٨، ٢٨

٤ - القصص ٢٨، ٦٥ و ٦٦

٦ - الصافات ٣٧، ٢٤

٨ - العنكبوت ٦٥ و ٩٢ و ٩٣

١ - يونس ١٠، ٤٥

١ - الرحمن ٥٥، ٣٩

٣ - المؤمنون ٢٣، ١٠١

٥ - المعارج ٢٠، ٨-١٠

٧ - الأعراف ٦، ٧

٩ - الصافات ٣٧، ٢٧-٢٩

مُرْجِيَةً عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ<sup>١</sup>

فهناك الناس ذهول، وصميت عليهم الأنباء ولا يسأل حميمٌ حميماً، ولا يتساءلون فيما بينهم، وهكذا لا يسأل أحدٌ أحداً عن ذنبه وعن شأنه الذي هو فيه

أما وبعد أن أخرجت الأرض أنفثها ووضعت الزلزلة أورراها وعاد الناس على حالتهم العادية وتفرغوا للحساب هناك السؤال والمواخدة، والتساؤل والتعارف، فاختلف الموقفان.

وهناك بعد انقضاء الحساب ودخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار، يقع التساؤل والتعارف بينهم.

يقول تعالى عن المجرمين: ﴿اخْشَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَنْسِلُونَ وَأَثْبَلْ تَخَضُّعُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا نَتَّبِعُ آلَ إِبْرَاهِيمَ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كُنْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاعِينَ فَعَقَىٰ غُلَيْثًا قَوْلَ رَبِّا إِنَّا لَدَائِقُونَ قَالُوا نَتَّبِعُكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ قَالَهُمْ تَزْمِنُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَاهِلِينَ<sup>٢</sup>

ويقول عن الصالحين: «... إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَٰئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ قَوَائِمٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ... فَأَثْبَلْ تَخَضُّعُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ...»<sup>٣</sup>  
«إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْجَاهِلِينَ مَا سَدَّكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْضُرُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيْنَ يَدَيْهِ الدِّينَ حَقِّ أَتَانَا الْيَتِيمَ لَمَّا تَتَقَعُّهُمْ شُعَاعَةُ الشَّامِعِينَ<sup>٤</sup>

## لا أقسم بهذا البلد

سؤال:

قال تعالى: «لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» وَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ<sup>١</sup> وَالْبَلَدَ هُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ وَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ فِي سُورَةِ التَّيْنِ: «وَالَّتَيْنِ وَالرَّيْثُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ»<sup>٢</sup> فكيف التوفيق؟

جواب:

قالوا بزيادة «لا» هنا ليكون معنى الكلام إثباتاً لا نفياً، وأن العرب قد تدخل «لا» في أثناء كلامها وتُلغِي معناها، وأشدوا في ذلك آياتاً، ونحن قد فُتدنا ذلك وذكرنا أن لا شاهد عليه في كلام العرب، فراجع.<sup>٣</sup>

والصحيح أن يقال إنَّ مورد الأيْنِس مختلف، فمرة لا يقسم ومرة يقسم باحتلاف الموارد إذ ليس المعنى في سورة البلد أَنَّهُ تعالى لا يقسم أبداً بهذا البلد، بل لا يقسم في موردٍ خاصٍّ - لوصوحه - وهو أَنَّ الإنسان خلق في كيدٍ أمَّا المعنى في سورة البلد فهو على القسم حيث أهْمِيَةُ المورد (المقسم عليه) وهو أَنَّ الإنسان خلق ليكون رعيماً لكَنَّهُ يديه حطٌّ من شأن نفسه فارمداً أسفل سافلين سوء بديره وسوء عمله

وهنا جواب آخر لعلَّه أدقُّ وهو أن ليس المراد (في آية البلد) نفي الإقسام على الإطلاق، ليكون متناقضاً مع الآية الأخرى (في سورة التين) بل هو نوع من القسم على الشكل السلبي، حيث عدم الحاجة إليه بعد وضوح الأمر وظهوره، وهو أكد في إثبات المطلوب بشكلٍ أدبيٍّ رائع

والمعنى: إني لا أحلف، إذ لا حاجة إليه بعد وضوح الأمر، وهذا يعني أَنَّ الأمر متأكد الثبوت بذاته واضحاً جلياً من غير حاجة إلى إقامة حجة ودليل فهو في حقيقته قسم، لكن بصورة سلبية هي أكد من صورة الإيجاب.

١- البلد ١: ١٩٠ و ٢

٢- التين ١: ٢٥-٣

٣- وللعلامة البلاغي تحقيق مشرف في ذلك، انظر الأمان محمد، ج ١ ص ١١-٣٨

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

سؤال:

قال تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»<sup>١</sup>  
ضمن تعالى أن لا يعذب العرب على قيد أحد شرطين: حضور النبي بين أظهرهم،  
أو استغفارهم هم. ومن ثم قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «كان في الأرض أمانان من عذاب  
الله، وقد رُفِعَ أحدهما، فدوّنكم الآخر فتمسكوا به. أمّا الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ  
وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار». ثم تلا الآية<sup>٢</sup>

لكن يتعقّب الآية ما ينافي ذلك ظاهراً، وهو قوله: «وَمَا هُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ  
يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْفَاسِقُونَ»<sup>٣</sup>.  
فكيف التوفيق؟

جواب:

إنّ سياق الآيتين يدلّنا على اتصالهما ونزولهما معاً إحداهما تلو الأخرى مباشرة،  
الأمر الذي يستدعي وثاقهما طبعاً وعدم تنافيهما، حيث المتكلّم النابه - فضلاً عن  
الحكيم - لا يتناقض في كلامه قيد نكلمه. فزاعم التناقض واهمّ في حدسه ألبتة.  
على أنّه لا تنافت بين الآيتين حتّى بحسب الظاهر أيضاً، حيث الآية الأولى إنّما  
تنفي فعلية العذاب وأنّه لا يقع لوجود المانع. أمّا الآية الثانية فناظرة إلى جهة الاقتضاء  
وأصل الاستحقاق، فهم مستحقّون للعذاب لتوقّر مقتضي فيهم. بصدّهم عن المسجد  
الحرام وليسوا بأوليائه، وإن كانوا لا يعذبون فعلاً مادام وجود المانع وهما الشرطان أو  
أحدهما فلا منافاة بين وجود المقتضي ونفي الفعلية لمكان المانع، كما لا يخفى.

وقد ذكر الطبرسي في جواب المسألة وجوهاً ثلاثة

أحدها، أنّ المراد بالأوّل (نفي التعذيب) عذاب الاستئصال والاصطلام، كما وقع

بشأن الأمم الماضية وبالثاني (وقوع التعذيب) عذاب القتل بالسيف والأسر بأيدي المؤمنين - كما في يوم بدر وغيره وأخيراً يوم الفتح - ولكن بعد خروج المؤمنين من بين أظهرهم.

ثانيها، أنه أراد: وما لهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا. قاله الجبائي

ثالثها، أن الأول استدعاء للاستغفار يريد الله لا يعذبهم بعداب ديناً ولا آخرة إذا استغفروا وتابوا، فإذا لم يفعلوا عذبوا - وفي ذلك ترغيب لهم في التوبة والإجابة - ثم إنه بين وجه استحقاقهم للعذاب بصدد الناس عن لمسجد الحرام<sup>١</sup>

### والوزن يومئذ الحق

سؤال:

قال تعالى: «وَنَصَحَ الْمَوَارِيثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَلُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَانَ بِنَا حَاسِبِينَ»<sup>٢</sup>

وقال: «وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِمَنْ تَقَنَّتْ مَوْرِثَةً فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلَحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوْرِثُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ»<sup>٣</sup>

وقال: «قَامًا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَتَمِيمُهُ فَصَوَّفَ مُحَاسِبٌ حِسَاباً يَسِيراً»<sup>٤</sup>

وقال: «وَأَنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحْسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْلَمُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ»<sup>٥</sup>

هذا مع قوله تعالى بشأن المؤمنين: «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

حِسَابٍ»<sup>٦</sup>

١ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٤٠

٢ - الأنبياء ٢١، ٢٢

٣ - الإسحق ٨٤، ٨٥ و ٨

٤ - غافر ٤٠، ٤١

٥ - الأنعام ٧: ٨ و ٩

٥ - البقرة ٢: ٢٨٤

وقوله: «إِنَّمَا يُزَنُّ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>١</sup>

وقوله بشأن الكافرين: «الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا»<sup>٢</sup>

فكيف التوفيق؟

جواب:

ليس في القرآن ما ينعي المحاسبة وموازاة الأعمال، والآيات المستند إليها إنما تعني شيئاً آخر وهو لزق ولأجر بما يفوق لحساب وكذا الذي حبطت أعماله، لا وزن له عند الله ولا مقدار

قال الطبرسي - عند قوله تعالى «الَّذِينَ اتَّعَوْا فَوَقَّعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَزَنُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>٣</sup>: فيه أقوال

أحدها أن معناه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرتهم  
ثانيها: أنه تعالى لا يوزن الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم، وكذا في الآخرة لا ينسبهم على قدر أعمالهم بل يوزنهم فضلاً منه وإيعاماً  
ثالثها: أنه تعالى يعطي العطاء لا يؤخذ عليه أحد ولا يسأله عنه سائل، ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافأة

رابعها: أنه يعطي بعدد من الشيء الذي لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد، لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور، فهو يعطي لشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه، كمن يعطي الألف من الألفين، والعشرة من المائة، قاله قطرب.

خامسها: أن معناه يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب

ثم قال رحمه الله وكلّ هذه الوجوه جاذبة حسن<sup>٤</sup>

وقال الزمخشري - في تفسير قوله تعالى «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ

٢ - الكهف ١٨ ٥ ١

٤ - مجمع البيان ج ٢ ص ٥ ٣ ٦ ٢٠

١ - الزمر ٢٩ ١٠

٣ - البقرة ٢ ٢١٢

صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا»<sup>١</sup> «صلَّ سعيهم» ضاع ويطرأ وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة، هي عندهم في العظم كجبال تهامة، وإذا وزوها لم تزن شيئاً. «فلا تُقيم لهم يوم القيامة وزناً» فتردري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ولا مقدار<sup>٢</sup>

وقال الطبرسي أي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة، ولا يعتد بهم، بل نسنحف بهم ونعاقبهم تقول العرب. ما لفلان عندنا وزن أي قدر ومزلة ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعة بطشه وقلة ثبته وروى عبيد الله بن الحر عن أبي بصير أن النبي ﷺ قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة<sup>٣</sup>

قال العلامة الطباطبائي والوزن هنا هو اشتغال في العمل في معاملة الحق في العمل، وربما تبلغ إلى مرتبة فقد الوزن رأساً

وقال - في قوله تعالى «وَالْوِزْنَ يُوزِنُهُ الْحَقُّ»<sup>٤</sup> - المراد أن الوزن الذي توزن به الأعمال يومئذ إنما هو الحق مصدر اشتغال العمل على الحق بكون اعتباره وقيمه، والحسابات مشتملة على الحق، فلها ثقل، كما أن السيئات ليست إلا باطلة فلا ثقل لها والله سبحانه يزن الأعمال يومئذ بالحق، فما اشتمل عليه العمل من الحق فهو وزنه وثقله<sup>٥</sup>

## مواطن القيامة متفاوتة

### سؤال:

هناك آيات تنص على أنهم لا يتكلمون إلا صواباً<sup>٦</sup> وبها أن يتخاصموا<sup>٧</sup> بل وختم

٢ - الكشاف، ج ٢، ص ٧٤٩

٤ - الأعراف ٨٧

١ - الكهف ١٨-١٠٢، ١٠٦.

٣ - مجمع البيان ج ٦، ص ٤٩٧

٥ - الميزان للطباطبائي، ج ٨، ص ٩-٨

٦ - وهو قوله تعالى «يَوْمَ يَدْعُ الزُّوْجَ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُمِرَ لَهُ الزُّوْجَانُ وَقَالَ صَوَابًا» النبا ٧٨، ٧٨

٧ - وهو قوله تعالى «لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي وَقَدْ قُلْتُ إِلَيْكُمْ بِالْعِيدِ» ق ٥٠، ٢٨

على أفواههم لتتكلم أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون<sup>١</sup>  
 الأمر الذي يتنافى وقوله تعالى فيهم بأنهم قالوا والله ما كنا مشركين<sup>٢</sup> فإنه قول  
 كذب بل ويمين كاذبة وقد أدنوا بالتكلم به!  
 وكذا مع قوله «إِنَّ دَلِيلَ الْحَقِّ تَخَضُّعُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>٣</sup> وقوله «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بِنَفْسِكُمْ  
 بِنَفْسٍ وَيَلْقَى بِنَفْسِكُمْ بِنَفْسٍ»<sup>٤</sup> فقد تحصصوا لديه تعالى رعم منه سبحانه من ذلك ثم  
 كيف يلتزم ذلك مع الختم على الأفواه<sup>٥</sup>  
 جواب:

أولاً إن من متكلم بالصواب هي آية الأولى هم الملائكة أو المؤمنون، والكلام  
 الصواب هنا هي الشعاذة بالحق على ما ذكره لمصرون وفي الحديث عن الإمام  
 الصادق عليه السلام وقد سئل عن هذه الآية قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة، والقائلون  
 صواباً: نُعَبِّدُ رَبَّنَا وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّنَا وَنُشْفِعُ لَشِيعَتِنَا<sup>٥</sup>  
 وثانياً مواطن القيامة متعاقبة ومواقفها متسوعة فقول «لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ»<sup>٦</sup>  
 خطاب إلى الكفار العبد وهرينه الشيطان الذي أعواه حيث يقول الشيطان «رَبَّنَا م  
 أَطْعِمْنَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي صِلَالٍ نَعِيدٍ»<sup>٧</sup> ويحاول الكافر أن يجعل اللوم على الذي أعواه، فكان  
 النهي موجهاً إليهم لا تختصموا لدي بل جعلوا بأسكم بينكم وليس منعاً عن التخاصم  
 على الإطلاق

غير أن هذا التخاصم والتشاجر ولمع منه لديه سبحانه إنما هو بعد الفراغ من  
 الحساب وفي مقام الاعتذار بعد الاعتراف بالافتراء. أما الختم على الأفواه فهو عند  
 الحساب وفي أثنائه حيث يحاولون الإبرار رأساً، فتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم بما

١ - وهو قوله تعالى الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَّ أَيْدِيهِمْ وَنُحْشِدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يس ٣٦-٣٥

٢ - وهو قوله تعالى «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ هُمْ كَاذِبُونَ أَتَمُرْكُوا الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَّا  
 أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»، الأنعام ٦-٢٢-٢٣

٣ - ص ٢٨ ٦٤ ٤ - السكوت ٢٩ ٢٥

٥ - رواه العياشي حسبه ذكره الطبرسي في مجمع البيان ج ١٠، ص ٤٢٧.

٦ - ق ٥٠: ٢٨ ٧ - ص ٢٧ ٥



اقتربوه فالمواطن مختلفة والمواقف متعددة.

فالموطن الأول موطن المدافعة في الحساب (يختم على أفواه أهل الإلحاد والإنكار).

والموطن الثاني موطن الفراغ من الحساب (يتخاصم فيه أهل النار)

والموطن الثالث موطن الشفاعة لأهل الإيمان (موطن النطق بالصواب)

ولكل موطن مناسبتة وشأنه

هكذا يحمل على اختلاف المواطن ما ورد من قوله «لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيُفْتَنُونَ»<sup>١</sup> مع

قوله «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِفَتُهُمْ»<sup>٢</sup> وقوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْرِفَتُهُمْ»<sup>٣</sup>

الله يتوفى الأنفس حين موتها

سؤال:

قال تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَاسِكِهَا»<sup>٤</sup>

وقال «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ»<sup>٥</sup>

وقال «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ»<sup>٦</sup>

وقال «تَوَفَّتْهُ رُسُدُنَا»<sup>٧</sup>

وقال «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>٨</sup>

جواب:

الله خالق الموت والحياة وملك لموت هو الأمر الأول، والملائكة أعوانه

المباشر<sup>٩</sup>

١ - خالط ٤٠ : ٤٢ .

٢ - الزمر ٣٩ : ٤٢ .

٣ - السجدة ٣٢ : ١١ .

٤ - النحل ١٦ : ٢٨ .

١ - المرسلات ٣٧ : ٣٦ .

٢ - الروم ٣٠ : ٥٧ .

٣ - الأنعام ٦١ : ٦٠ .

٤ - الأنعام ٦١ : ٦١ .

٥ - راجع البرهان ج ٢ ص ٦٤

ولا يكتُمون الله حديثاً

سؤال:

قال تعالى «يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً»<sup>١</sup>.

فقد أخبر تعالى عنهم بأنهم لا يكتُمون لديه حديثاً وهذا يتنافى ظاهراً وقوله في موضع آخر: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»<sup>٢</sup> فقد كتموا إشراكهم!

الجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أن قوله «لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» دخل في التمني، أي يودّون لو كانوا لم يكتُموا حديثاً في الدنيا بشأن الرسالة والإسلام أو لم يكتُموا في الآخرة كفرهم في الدنيا حيث قولهم «وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» وذلك باختلاف الموقف، ففي الوهلة الأولى كتموا، وفي الثانية تمنّوا لو لم يكتُموا...

الثاني: أنهم لا يستطيعون الكتمان، حيث تشهد عليهم أرجلهم وأيديهم بما كانوا يكسبون.

مضاعفة العذاب

سؤال:

قال تعالى «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»<sup>٣</sup>  
لكنه في موضع آخر قال: «يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ»<sup>٤</sup> ١٢

جواب:

المجازاة بالمثل خاصةً بالدنيا في مثل نقصان العقوبات الجزائية والآية الأولى واردة بهذا الشأن

١ - النساء ٤: ٤٢

٢ - هود ١٦: ٢٠

٣ - النساء ٤: ٤٢

٤ - الشورى ٤٢: ٤٠

أما مضاعفة العذاب فهي لآخرة على حسب مراتب الكبيرة التي ارتكبتها أهل الكبائر والآثار التي خلقتها تلك الكبيرة لموبة في الأوساط الاجتماعية حين الارتكاب وبعدها ومورد الآية هم الذين يصدّون عن سبل الله ويبيعونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ومن ثمّ يصاعف لهم العذاب.

### التكليم من وراء حجاب

سؤال:

قال تعالى «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَوْحاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ»<sup>١</sup>

كيف يلتئم وقوله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً»<sup>٢</sup> وقوله «وَبَادَاَهَا رَبُّهَا»<sup>٣</sup> حيث وقع التكليم مباشرة؟

جواب:

لم نفد الآية الأولى التكليم رأساً، وإنما نفد على الطريقة المعهودة بين الناس حيث يقع مشافهةً نعم تكليمه تعالى يقع على طرائق ثلاث

١- إتماً وحيّاً وهو النفث في الرّوع، فيتنقّى النبي بشخصيته الباطنة ما يلقيه إليه وحي السماء، وهو نوع من الإلهام خاصّ بالأنبياء والرسل

٢- أو بإسماع الصوت من غير أن يرى شخص المتكلّم، كأنه يتكلّم من وراء حجاب وهذا بخلق التموج الصوتي في الهواء ليقرع مسامع النبي فيستمع إليه، ولكنّه لا يرى المتكلّم وإن كان يسمع صوته، ومن ثمّ وقع التشبيه بمن يتكلّم من وراء حجاب وهذا هو الذي وقع مع موسى النبي ﷺ

٣- أو بإرسال رسول - ملك الوحي - وهو جبرائيل عليه السلام، فيلقى ما تلقاه وحيّاً على

النَّبِيِّ ﷺ. والأكثر ولعله الشامل من الوحي القرآني هذا النوع الأخير والتكليم والنداء في الآيتين هما من النوع الثاني أي التكليم من وراء حجاب، إذن فلا منافاة

### نظرة أو انتظار؟

سؤال:

قال تعالى: «وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِصِرْطِ رَبِّهَا نَظْرَةً»<sup>١</sup> وقال: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ»<sup>٢</sup>

قالوا: كيف يلشم ذلك مع قوله «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»<sup>٣</sup> وقوله «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»<sup>٤</sup> في حين أن مَنْ رَأَى الشَّيْءَ وَحَدَّثَ النَّظَرَ إِلَيْهِ فَعَدَّ أَدْرَكَهُ بِبَصَرِهِ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ؟

جواب:

هناك فرق بين نظر رؤية و نظر انتظار وتوقع فيؤمنون نكون الأنظار إليه سبحانه لكنها نظرة توقع وانتظار عميق رحيم، ولا ننظر إلا إليه «عظمت آلاؤه» فالنظر إنما هو إلى ربهم كيف يشيهم وإلى ما وعدهم من المثوبة في جنة عدن

قال الرمضشري و«الناظرة» من نصرة النعيم «إلى ربها ناظرة» تنظر إلى ربها خاصة ولا تنظر إلى غيره، والمراد: نظر توقع ورجاء، كقولك أبا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، ومنه قول القائل

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْحَرُّ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا

قال: وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهيرة حين يغلق الناس أبوابهم و يأوون إلى مقائلهم تقول عُبَيْتِي نَوَظْرَةً بِنِي قُلَّةٍ وَإِلَيْكُمْ، أَي رَجَائِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ فمعنى الآلة أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه.<sup>٥</sup>

١- النجم ٥٣: ١٣ و ١٤

٢- طه ٢٠: ١١٠

٣- القيامة ١٢: ٢٣

٤- الأنعام ١٣: ٦

٥- الكشف، ج ٤، ص ٦٦٢ بتصرف.

وأما الآية من سورة النجم فالمراد رؤية جبرئيل على صورته لأصلية، حيث وقعت لمحمد ﷺ مرتين، مرة عند التبشير بنبوته، ومرة أخرى في المعراج عند سورة المنتهى.

### التناسي أو النسيان

#### سؤال:

قال تعالى «قَالِيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا»<sup>١</sup> وقال «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ»<sup>٢</sup> كيف يلتئم ذلك مع قوله، «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا»<sup>٣</sup> وقوله: «لَا يَغْفِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسُو»<sup>٤</sup>؟

#### جواب:

النسيان في الآيتين الأوليتين هو التناسي والتغافل أما المضي في الآيتين الأخيرتين فهي الغفلة والنسيان حقيقة

والنسيان - بمعنى التناسي - في القرآن كثير، كما في قوله تعالى «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»<sup>٥</sup> أي تناسى العهد ولم يأخذ بعهد إذ لو كان نسي حقيقة لكان معدوراً، إذ لا مواحدة على الساسي عقلاً ولا لوم عليه

وقوله «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ»<sup>٦</sup> أي تغافلوا بحضوره تعالى في الحياة ومن ثم تغافلوا أنفسهم ولم يأخذوا كرامة الإنسان بعهد

فقوله تعالى «قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُ فَسَّبَحْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى»<sup>٧</sup> يعني نبذت آياتنا وراء ظهرك ولم تأخذها بعهد، وكذلك اليوم تُنسى ولا تشملك العناية الإلهية

كما في قوله تعالى: «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَروا بِهِ ثَمناً قليلاً»<sup>٨</sup> أي استهانوا بشأن الكتاب واستعاصوا به متاع الحياة الدنيى لقليل وهو من التغافل في الأمر والتساهل فيه وليست حقيقة الغفلة

٢ - التوبة: ١٧

٤ - طه: ٢٠، ٥٢

٦ - العنكبوت: ١٩، ٥٩

٨ - ب. عمران: ٢، ١٨٧

١ - الأعراف: ١٧، ٥١

٣ - مريم: ٦٤، ٦٩

٥ - طه: ١١٥، ١٢٠

٧ - طه: ٢٠، ١٢٦

وهكذا جاء في الجواب فيما نسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أَمَّا قَوْلُهُ: «تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» فَإِنَّمَا يَعْنِي نَسُوا اللَّهَ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَمْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، فَنَسِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَيْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ فِي نَوَابِهِ شَيْئاً، فَصَارُوا مَنْسِيَيْنَ مِنَ الْخَيْرِ وَقَدْ يَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ نَسَيْتَا فُلَاناً فَلَا يُذَكِّرُنَا، أَيْ إِنَّهُ لَا يَأْمُرُنَا بِخَيْرٍ وَلَا يَذْكُرُنَا بِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَعِيّاً» فَإِنَّ رَبَّنَا تَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِالَّذِي يَنْسَى وَلَا يَغْفُلُ بَلْ هُوَ الْحَفِيفُ الْعَلِيمُ»<sup>١</sup>

### كسب التأنيث والتذكير

سؤال:

قال تعالى «وَقِيلَ لِمَنْ ذُو قُرْآنٍ عَدَاتِ النَّارِ أَلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ»<sup>٢</sup>  
وقال «وَتَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا ذُو قُرْآنٍ عَذَابِ النَّارِ أَلَّذِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ»<sup>٣</sup>  
كيف جاء الوصف وكذا الضمير في الآية الأولى مذكراً، وفي الآية الثانية مؤنثاً في حين وحدة السياق؟

جواب:

المصاف إلى مؤنث إن كان يجوز حذفه ولا يخل حذفه بمعاد الكلام يحوز في وصفه التذكير والتأنيث قال ابن مالك:

وَرَبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوَّلًا تَأْنِيثًا إِنْ كَانَ لِحذفٍ مُوَهَّلًا

فإن المضاف المذكر قد يكتسب التأنيث من المضاف إليه المؤنث بشرط جواز حذفه من غير إخلال بمفاد الكلام، كما قال الأعشى:

وتشرق بالقول الذي قد دعت كما شرقت صدرُ القناة من الدم

فتأنيث الفعل (شرقت) المسند إلى «صدر» إنما هو باعتبار كسبه التأنيث من

المضاف إليه فلو قُدِّر حذفه لم يختل مفاد الكلام

وجاء عكسه في قول الآخر

رؤية الفكر ما يؤول له لأمرٌ مُعينٌ على اجتباب التوحي

وقال غيره:

إساره العقل مكشوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزده تمويراً

فالضمائر الراجعة إلى المضاف - وهو مؤنث - في البيتين، إنما روعي فيها حاسب

المضاف إليه لمذكر، باعتبار أن حذف المضاف في مثل هذا الكلام غير مغل بمفاده

وهكذا في الآية الكرمة محور في وصف نعذب المضاف إلى النار مراعاة التذكير

على الأصل، كما في الآية من سورة السجدة وكذا مراعاة التأنيث باعتبار إصافته إلى

النار، كما في الآية من سورة سبأ

وكلا الأمرين جائز، كما قال ابن مالك «وربما أكسب نان أولاً تأنيثاً»، وليس

دائماً ولا ضرورة

#### ✽ ✽ ✽

هذا بناء على كون الوصف نعتاً للمضاف في كلتا الآيتين، نظراً لوحدة السياق

فيهما

وربما قرّروا بين الآيتين فجعلوا الوصف نعتاً للمضاف في الآية الأولى، ولمضاف

إليه في الآية الثانية وعلّلوا ذلك باختلاف الموجب

قال الزركشي جاء في سورة لسجدة بلفظ «الذي» على وصف العذاب، وفي

سورة سبأ بلفظ «التي» على وصف النار وذلك لوقوع «النار» في سورة لسجدة موقع

الضمير الذي لا يوصف، وإنما وصفت موقع لصغير لتقدم إصمارها في قوله «وَأَمَّا الَّذِينَ

قَسَتْوا أَفْئادَهُمُ النَّارَ كُلَّهَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا أَعْبِدُوا فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»<sup>١</sup>





..ولاسيما بعد أن آمن السحرة..خاف ازدياد قوة موسى وقومه والنجدة بالأبناء، فحاول كسر شوكتهم بالقتل في الأبناء واستعباد النساء، لكنه لم يساعده الحظ، حيث أهلكهم الله قال لطبرسي عند تفسير الآيات من سورة غافر: أمروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم للخدمة. وهذا غير القتل الأول، لأنه أمر بالقتل أولاً لئلا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده، ثم ترك ذلك لئلا أن تيقن ولادة موسى، ولا فائدة في ذبح الأبناء لكنه بعد أن ظهرت نبوة موسى وقام في وجهه مهدداً له حاول العود إلى القتل ثانياً حتى لا تكون فيهم نجدة وقوة لكنه تعالى حال دون سلوغ أمنيته وأخذهم بالبلاء والعذاب.<sup>١</sup>

#### التقدير أولاً أم في ليلة القدر؟

قد يزعم البعض أن في ذلك تناقضاً في القرآن، فتارة يرى من تقدير الأمور مثبتاً في اللوح المحفوظ «فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»<sup>٢</sup> وأخرى تقديرها في ليلة القدر لكل عام «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»<sup>٣</sup>.

قلت: ليس التقدير متاً يختلف وإنما يختلف العلم به. فالذي يعلم تقدير الأمور ومجاريها أولاً ولي اللوح المحفوظ هو الله وحده لا شريك له. وأما الذي يستزل به ويطلع أولياءه عليه فهو في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان من كل عام يستزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. يتنزلون بتقدير الأمور على الحجة القائمة من أوليائه ليطلعهم على مجاري الأمور عامه ذلك. وبذلك تواترت روايات أئمة أهل البيت الصادقين (عليهم السلام) ومن ثم فإن علمهم الحتم بمجاري الأمور محدود بعلمهم، دون علم الله المعصط الشامل.<sup>٤</sup>

١ - راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٦٥ و ج ٨، ص ٥٢٠.

٢ - الحديد ٥٧: ٢٢

٣ - الاحقاف ٤٤: ٤. راجع هاشم المير في ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٢٨٤-٢٨٥.

٤ - راجع الكافي، ج ١، ص ٢٤٢-٢٤٣.

والدليل على ذلك أن الوارد في سورتي الدخان والقدر هو النزول والتفريق، وليس أصل التقدير، فتدبر جيداً

فإنه تبارك وتعالى يعلم تقدير الأمور حسب مجاريها علماً في الأزل، لكنه تعالى ينزل بهذا التقدير في كل ليلة قدر بشأن تفريقه طول ذلك العام، الأمر الذي لا يبدو عليه أي شبهة تناقض

**متى وقع التقدير؟ وهل لا يتنافى التقدير مع الاختيار؟**

جاء في سورة الدخان أن التقدير إنما يقع في كل ليلة قدر من شهر رمضان في كل سنة «فَبِئْزَاقٍ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ»<sup>١</sup> وقد وردت روايات أيضاً بأن ما يقع في تلك السنة إنما يُقدَّر في ليلة القدر.

هذا، في حين كثرة الآيات والروايات بأن التقدير إنما وقع في الأزل، وتجري الأمور حسبها قُدرت في النوح المحفوظ من غير تحلف ولا تبديل «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»<sup>٢</sup> «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ»<sup>٣</sup>

على أن هذه الآيات ترمي إلى منسب مسؤولية الإسمان عما يفعله، حيث إنه كان مقدراً له من قبل وهذا يتنافى وقوله تعالى: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابَهُ يَلْقَاهُ مَشْهُوراً»<sup>٤</sup>

أما المسألة الأولى فقد سبق البحث عنها في مسألة البدء وأن هناك تقديرين، تقدير ظاهري حسب مجاري الأمور لاصبعية من علل وأسباب تتفاعل حسب طبيعتها الأولى، وهي السنن الساطية على الكون «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقاً يُقَدَّرُ»<sup>٥</sup>

وهذه السنن ليست حتمية، في حين كونها هي الغالبة، حيث احتمال مفاجئة أمور

١- الدخان ٤٤، ٤٥

٢- الإسراء ١٧، ١٨

٣- القصص ٥٤، ٥٥

٤- القصص ٥٤، ٥٥

٥- القصص ٥٤، ٥٥

طارئة من خارج مدارات السنن فُعيّر من اتجاهاتها أحياناً الأمر الذي لا يعلمه إلا الله وكان مقدراً أي معلوماً لديه تعالى في الأزل، خافئاً عن أعين الحلائق إلا من علمه الله وهذا هو التقدير المكون في اللوح المحفوظ «هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مُستقْبَعٌ عنده»<sup>١</sup>

علاجل الأول هو الذي تقتضيه مجاري لأمر الطبيعة حسب السنن لحارية في لخلق، وهذا ليس بحتم أمّا الأجل الآخر لحتمي فهو الذي علمه الله في الأزل حسب الأسباب الطارئة الخافية عن غيره تعالى «يُكَلِّمُ أَجَلَ كِتَابٍ يَمُوحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>٢</sup>

روى الصدوق بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال وهل يمحو الله إلا ما كان؟ وهل يُثَبِّتُ إلا ما لم يكن؟<sup>٣</sup>

فهناك تغيير وتديل على خلاف مجاري الأمور، لا يعلمه إلا الله علماً كانتاً في الأزل

قال الإمام الباقر عليه السلام من الأمور أمور موقوفة بعبد الله، فقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء أي من الأمور ما هي موقوفة - في حرياتها حسب العادة الطبيعية - على شرائط، إن وُجدت جرت، وإلا تحلّفت فحصول هذه الشرائط في وقتها أو عدم حصولها شيء لا يعلمه إلا الله

فالعلم بالنفادير لحكمة الألفية خاص بالله تعالى أمّا غيره تعالى من الصلائكة المقربين والمدبرات أمراً وكذا المصطفون من عباد الله المكرمين فلا علم لهم بسوى مقتضيات السنن الطبيعية في مجاري الأمور، والتي هي بمرص البداء والتبديل، أمّا حتميتها فهذا شيء إنما يعرفوه في كلّ لبنة قدر من كلّ سنة وفي محدودة عامها فحسب قال الإمام الصادق عليه السلام «إني لله عيسى، علم مكتون محزون لا يعلمه إلا هو، من

١- الأنعام ٦ ٢- طه ١٣ و٣٨ و٣٩

٣- كتاب التوحيد للصدوق، ص ٢٢٣، رقم ٤

٤- بحار الأنوار ج ٤، ص ١١٦-١١٧، رقم ٤٤

ذلك يكون البدء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فممن نعلمه<sup>١</sup> وقد عني بهذا العلم الذي تعلمه الملائكة والأنبياء، لأنهم هو العلم وفق مجاري الأمور الطبيعية، والتي يمكن التحلف فيها ومن ثم قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يَعْلَمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَغَيْدُهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>٢</sup>



وأما المسألة الثانية هل لا يتنمى التقدير مع الاختيار؟ فقد استوفينا الكلام عنها عند البحث عن مسألة الاستطاعة والاختيار، وتبين أن التقدير السابق لا يعدو سوى العلم بما سيفعل وتقديره حسبما يقع، من غير أن يكون العلم السابق ذا أثر في تحقق المعلوم فإن للظواهر الكونية عللاً وأسباباً تكوينية هي التي تؤثر في الفعل والانفعال الكونيين. كما أن للأفعال الاختيارية الصادرة من الفاعل المختار (الحيوان والإنسان) سبباً مباشراً هي إرادته بالذات وليس متهوراً فيها

فإذا كان الله يعلم - أولاً - ماذا سيعمل وستحقق عبر الأبد ثم قدر مجاريها ودير من شؤونها بما يتواءم ونظام الكون فهذا لا يعنى لإجبار، ولا سبباً فيما يعود إلى أعمال يقوم بها الإنسان حسب إرادته واختياره وليس من المنطق أن يفرض العلم بأمر علّة لوجوده. والتقدير السابق، إنما هو العلم بالأسباب والمسببات - كما هي - ثم تقدير مجاريها حسب نظام الكون فلا هناك حبر ولا سلب للمسؤولية فيما يمس أفعال العباد الاختيارية.

إن منكم إلا وادها

قال تعالى «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَادٍ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْصِيًّا»<sup>٣</sup> والخطاب عام يشمل

١. الكافي للكليني، ج ١، ص ١٤٧، رقم ٨

٢. بحار الأنوار، ج ٤، ص ٩٧، رقم ٤ و ٥، والآية ٢٨ من سورة الرعد.

٣. مريم ١٩، ٧١

المؤمن والكافر وبدليل ما بعد الآية. «ثُمَّ نَجِي الدِّينَ اتَّقُوا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاءً»<sup>١</sup> حيث قوله «وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا» أي الجميع يردونها فيخرج المؤمن وتترك الظالم بحاله الأمر الذي يتفق وقوله تعالى «يَا لَيْسَ لَدِينِ سَبَقَتْ لَهُمْ يَتَ الْحَسَنُ أُولَئِكَ عَنْهُمْ مُنْعَدُونَ. لَا يَسْتَمِعُونَ حَسْبَهَا»<sup>٢</sup> فكيف الونام؟!

وقد ذكر المفسرون هنا وجوهاً، أوجهها - ما عن ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره أبو مسلم - أنه بمعنى لإشراف عليها ليشهدوا ذلك لعرض الرهيب فالمؤمنون يجوزونها وبدنونها ويمرّون بها وهي تتأجج وتتميز وتتلطف، ويرون العناية يُترعون فيقتفون فيها

قال تعالى «فَإِنَّكَ لَتَخْشَرُهُمْ» لـ يكونوا لوحدهم بل «والشياطين» الذين هم قادتهم، وببهما صده التابع والمتويع ولدند ولعقود «ثُمَّ لَتَخْشَرُهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَاءً» جاثين على ركبهم في ذل وفزع «ثُمَّ لَتَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِئَةٍ أَسْجُودًا عَلَى الرَّءْسِ وَهُمْ لَا يُحِيزُونَ» فلا يؤخذ أحد جرافاً من تلك الجموع المتكاثرة «ثُمَّ لَنَسْخُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَى بِهَا صِلًا» ليكونوا طلعة المعدوقين فيها

وبعد، فبأنى دور المؤمنين الذين سبق لهم من الله الحسن، فبأنى زرافات منهم، يمرّون بهذا المشهد الرهيب، فيرحزون عنها وفي منجاةٍ منها يجوزونها «ثُمَّ نَجِي الدِّينَ اتَّقُوا» أي نجعلهم في منجاةٍ منها «وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاءً»<sup>٣</sup> أي ندعهم حائمين على ركبهم على شفا جرفٍ هارٍ ليسهار بهم في نار جهنم

فقد كان المراد بالورود هنا هو الإشراف عليها، كما في قوله تعالى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ»<sup>٤</sup> وقوله «فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ»<sup>٥</sup> إذ ليس المراد من الورد هنا الدخول، بل الدنو والاقتراب قال الراغب الورد، أصله قصد لماء، ثُمَّ يستعمل في غيره<sup>٦</sup> قوله: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» أي قصده واقتراب منه والوارد: الذي

٢- الأنبياء ٢٦-٢٧ و ١٠٢

٤- القصص ٢٨، ٢٣

٦- المعجمات، ص ٥٦٩

١- مريم ١٩، ٧٢

٣- مريم ١٩، ٦٨-٧٢

٥- يوسف ١٢، ١٩

يتقدم القوم ليرد الماء ويسقي لهم، قوله: «فَارْسَدُوا وَاِرِدْهُمْ» أي ساقبهم من الماء المورد. قال ويعال لكل من يرد الماء وارد، وقوله تعالى «وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا»<sup>١</sup> ومنه ورد ماء كذا أي حصره.<sup>٢</sup>

وفي أمثال العرب «أر ترد الماء بماء كيس»<sup>٣</sup> أي من الكياسة والاحتياط أن يكون وارد الماء مستصباً معه شيئاً من الماء، ولعله يرد الماء فلا يحدده. قال زهير - شاعر الجاهلية -

فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ رُقْأً جَمَامَةً وَضَعَنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَحَيِّمِ<sup>٤</sup>  
أَرَادَ: فَلَمَّا بَلَغَنَ الْمَاءَ أَقَمَنَ عَلَيْهِ.

قال الزجاج والحجّة الماطعة على أنهم لا يدخلونها هي قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُنْعَدُونَ لَا يَخْضَعُونَ خِصْبَهَا»<sup>٥</sup>

وللطبرسي هنا كلام مدلل وتقل آراء، اقتصرنا على الأرجح منها، فليراجع<sup>٦</sup>  
ولاين شهراًشوب توجيه لطيف بإرجاع ضمير الخطاب إلى منكري الحشر على طريقة الالتفات<sup>٧</sup>

### فبارك الله أحسن الخالقين

جاء التعبير بأنه تعالى أحسن الخالقين في موضعين من القرآن<sup>٨</sup> مستأيشي بأن هناك خالقين سوى الله ليكون هو أحسنهم، في حين أنه تعالى نهى بكل شدة أن يكون خالق غيرّه إطلاقاً وأنه خالق كل شيء ولا خائق سواء، فما وجه التوفيق؟

١ - مريم ١٩، ٧١ - المصدر

٢ - مجمع الأمثال للميداني، ج ١ ص ٣٢، رقم ١٢٩

٣ - هذا اليب من معلقته المشهوره يقول: حيث نضب الضحى الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الأبار والعيان عرم على الإقامة فوضع العصي وعمد إلى نصب الخيام كما في المحطّر والزرقة. شدة الصفاء والجوام، جمع جم الماء وجنته، ووضع العصي كناية عن الإقامة، لأن المسافر يد عرم على الإقامة يسكن ويضع عصاه، والتخيّم نصب الخيام. (شرح المملعات السبع للروزي، ص ٧٧)

٤ - الأنبياء ١٠١، ١٠٢

٥ - مشاهد القرآن لابن شهراًشوب، ج ٢، ص ١٠٧

٦ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٥٢٥ - ٥٢٦

٨ - المؤمنون ٢٣، ١٤؛ والصافات ٢٧، ١٢٥

غير أن الخلق بمعنى الإبداع وإيجاد الصورة بالتركيب الصناعي أمر يعم، فقد حكى الله تعالى عن المسيح «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِأَمْرِ اللَّهِ»<sup>١</sup> وقوله «وَأَدَّ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَمْرِي»<sup>٢</sup> والخلق - في كلام العرب - ابتداء الشيء، وإنما يخصه تعالى إذا كان إنشاءً لا على مثال سبقه وكل شيء خلقه الله فهو مبتدعه على غير مثال سبق إليه «لَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ»<sup>٣</sup>

قال ابن الأثيري الحلبي في كلام العرب على وجهين أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير وقوله تعالى «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»<sup>٤</sup> معناه أحسن المقدرين وكذلك قوله تعالى: «وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ»<sup>٥</sup> أي تقدرون كذباً

قال ابن سيده خلق الله الشيء بخلقفه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن قال ابن منظور والخلق التقدير وحق الأدم يخلقه خلقاً قدّره لما يريد قل القطع، وقاسه ليقطع منه مرادة أو قرية أو خفاً قال زهير بن أبي أسلمي مدح رجلاً ولأنت تفري ما خلعت وبعض من القوم بخلق ثم لا يعرف يعني أنت إذا قدّرت أمراً قطعته وأمصيته، وعيرك يقدّر وليس بماضي المرم<sup>٦</sup>

### عبس وتولى

ومما جعله أهل التبشير المسيحي ذريعةً للحط من كرامة القرآن - بزعم وجود التنافض فيه - ما عاتب الله به نبيه ﷺ بشأن عموسه في وجه ابن أم مكتوم المكفوف، جاء ليبعلم منه ملحقاً على مسأله، وهو لا يعلم أنه مشغل بالكلام مع شرفاء قريش فساء النبي إلحاحه ذلك فأعرض بوجهه عنه كبحاً منكشراً الأمر الذي يتنافى وخلقفه العظيم الذي وصفه الله به في وقت مبكر!

جاء قوله تعالى: «وَأَنَّكَ لَفِي حُبِّي عَظِيمٌ» في سورة العلم، ثابته لسور البازلة بمكة

١ - آل عمران ٥٩

٢ - الأعراف ٧٥

٣ - العنكبوت ٢٩

٤ - المائدة ٥

٥ - المؤمنون ٢٣

٦ - من العرب مادة خلق

### أما سورة عبس فهي الرابعة والعشرون

جاء في أسباب النزول أن رسول الله ﷺ كان يباغي عسبة بن ربيعة وأباجهـل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأبياً وأميّة بنى حتف بدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم وفي هذه الحال جاءه عبداً الله ابن أم مكتوم<sup>١</sup> وبأدى يا رسول الله، أقرئني وعلمني ممّا علمك الله، فجعل يناديه ويكرّر النداء، ولا يهـم أنه مشعل ومقبل على غيره، حتّى ظهرت آثار الكراهة على وجه رسول الله، فقطعه كلامه!

قالوا وقال في نفسه يقول هؤلاء صديد إنما أتباعه العميان والعميد، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، فبرئت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عانني فيه ربّي وستحلفه على المدينة مرتين<sup>٢</sup>

قال الشريف المرتضى ليس في ظاهر الآية دلالة على توجيهها إلى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرّح بالمعبر عنه، وفيها ما يدل على أن المعنى بها غيره، لأنّ العبوس ليس من صفات النبي مع الأعداء لمنابذين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثمّ الوصف بأنّه تصدّى للأغنياء وبملهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة وقد قال تعالى في وصفه «وإنك لعلّ خلقٍ عظيم»<sup>٣</sup> وقال «ولو كُنْتَ ناطقاً لعلّ قلب لا تقصوا من حَوْلِكَ»<sup>٤</sup> فالظاهر أن قوله «عَنْسَ وتولّى»<sup>٥</sup> المراد به غيره<sup>٦</sup>

وهكذا ورد قوله تعالى «وَاحْصِمْ جَفْ حَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ»<sup>٧</sup> وقوله، «وَاحْصِمْ جَنَاحَكَ لِبن

١ - هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرسي قيل بـ اسمه النخعي، سمّاه النبي عبداً الله قال ابن حبان: كان أهل المدينة يقولون اسمه عبداً الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو قال ابن خالويه: كان أبوه يكنى أبا السرح (على ما ذكره الشيخ في تفسيره البيهقي، ج ١، ص ٢٦٨) وكان مؤدباً للنبي ﷺ بعد هجرته من مكّة. واسم أمّه عاتكة بنت عبداً الله بن عسكته. وهو (ابن أم مكتوم، ابن خال حديقه كـ المؤمن بن عليّ) فإن أمّ حديقه أخت قيس بن زائدة واسمها فاطمة أسلم في السابقين إلى الإسلام بمكّة وكان من مهاجرين الأتليّين قيل قدم المدينة قبل النبي، وقيل بعده بقدين، ومات في أيام عمر، وقيل: استشهد بالقادسية رجع الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٢٢.

٢ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٧.

٣ - آمل عمران ٢: ١٥٩.

٤ - عبس ١٨.

٥ - تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، ص ١١٨-١١٩ بتلخيص يسير.

٦ - المعجم ١٥: ٨٨ مكّة رعم برولها: ٥٤.



اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>١</sup> وغيرهما من آيات مكيّة جاء الدستور فيها بالخفض واللين والرفقة مع المؤمنين، فكيف ياترى يتغافل لبيّ عن حُتَّى كَرِيمِ هِي وظيفته بالذات، ولا سِمْعاً مع السابقين الأولين من المؤمنين، وبالأخصّ مع من يستمي إلى روحه الوفيّة خديجة الكبرى أم المؤمنين<sup>٢</sup>.

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي م ذكره سبباً لنزول الآيات إنما هو قول لثيف من المفسرين وأهل الحشو في الحديث، وهو فسد، لأن النبي ﷺ قد أجلّ الله قدره عن هذه الصعات، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب وقد وصفه بالخلق العظيم والدين وثّه ليس بفظّ عليّز القلب؟! وكفّ يُعرض النبي عن مسلم ثابت على إيمانه جاء لبتعلم منه، وقد قال تعالى: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»<sup>٣</sup> ومن عرف النبي وحسن أخلاقه وما حصّه الله تعالى به من مكارم الأخلاق وحسن الصحبة، حتّى قيل إنّه لم يكن يضافح أحداً قطّ فينزع يده من يده حتّى يكون ذلك هو الذي ينزع يده، فمن هذه صفته كيف يقطب وجهه في وجه أعمى جاء يطلب زيادة الإيمان على أن الأنبياء ﷺ منزّهون عن مثل هذه الأخلاق وعمّا ذوّبها، لما في ذلك من السبّ عن قبول دعوتهم والإصغاء إلى كلامهم ولا يجوز مثل هذا على لأسياء من عرف مقدارهم وتيسر عنهم نعم، قال قوم، إن هذه الآيات نزلت في رجل من بني أميّة كان واقفاً إلى جنب النبي، فلما أقبل ابن أم مكتوم تقدّر وجمع نفسه وعبس وتولّى فعكّى الله ذلك وأنكره معاتباً له<sup>٤</sup>.

قال الطبرسي وقد روى عن الصادق عليه السلام أنّها نزلت في رجل من بني أميّة كان عند النبي، فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فعكّى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه.

قال: ولو صبح الخبر الأوّل لم يكن لعبوس ذنباً، إذ العبوس والانسباط مع الأعمى

١ - تعدّد قريباً أنّه كان ابن حال خديجة وضوان الله عليها.

٢ - تفسير التبيان، ج ١٠، ص ٢٦٨-٢٦٩ بتصرّفه يسير.

٣ - الشعراء ٣٦: ٢٦٥، مكيّة، وهم نزولها ٤٧.

٤ - الأنعام ٦: ٥٢.

سواء، إذ لا يرى ذلك فلا يشقّ عليه فيكون قد عاتب الله سبحانه نبيه بذلك، ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق، وشتبهه على عظم حال المؤمن المسرشد، ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إيمانه

قال وقال الجبائي في هذا دلالة على أن الفعل إنما يكون معصية فيما بعد لا في الماضي، فلا يدلّ على أنه كان معصية قبل النهي عنه ولم ينهه عليه السلام إلا في هذا الوقت وقيل إن ما فعله الأعمى كان نوعاً من سوء الأدب، فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم، فعاتبه الله على ذلك.

قال: وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال قال كن رسول عليه السلام إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحباً مرحباً، لا والله لا يعاتبني الله حيث أبدأ، وكان يصنع به من اللطف حتى كان (ابن أم مكتوم) يكفّ عن النبيّ ممّا يفعل به، أي كان يمسك عن الحضور لديه استحياءً منه قلت، الأمر كما ذكره هؤلاء الأعلام، من أنها فعلة لا تتناسب ومقام الأنبياء، فكيف نبيّ الإسلام المنعوت بالخلق العظيم؟! فضلاً عن أن سياق السورة يأبى إرادة النبيّ في توجيه الملامة إليه ذلك أن التعابير الواردة في سورة ثلاثة «عَنَسَ»، «تَوَلَّى»، «تَلَهَّى» الأولان بصيغة الغياب والأخيرة خطاب على الأولين (عَنَسَ وَتَوَلَّى) فعلان قصديّان (يصدران عن قصد وإرادة وعن توجه من النفس) والأخير (تَلَهَّى) فعل غير قصديّ (صادر لا عن إرادة ولا عن توجه من نفس) فإنّ الإنسان إذا توجه بكلّيته إلى جانب فإنّه ملتصق به الجانب الآخر، على ما تقتضيه طبيعة النفس الإنسانية المحدودة، لا يمكنه التوجه إلى جوانب عديدة في لحظة واحدة! إنما هو الله، لا يشعه شأن عن شأن!

وهذا الفعل الأخير كان قد توجه الحطاب - عبداً - إلى النبيّ، لانشغاله بالنجوى مع القوم وقد ألهاه ذلك عن الإصغاء لمسألة هذا توارده، من غير أن يشعر به.

فهذا ممّا يُجوز توجيه الملامة إليه عليه السلام كيف يصرف بكلّ همّه نحو قوم هم الداء،

بعيث يصرفه عن يأتية بين حين وآخر، وهو نبي يُعث إلى كافة الناس.

وهو عتابٌ رفيقٌ لطيفٌ يناسب شأن نبي هو «بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم»<sup>١</sup>

أما الإعلان الأولان فقد صدر عن قصد وإرادة، كما قبيح إلى حدّ بعد الأمر الذي يتناسب مع ذلك الأموي المترفع بأفعه لمعتز بثروته وترفه في الحياة وكان معروفاً بذلك

وعليه فلا يمكن أن يكون المعني بالفعل الثالث (غير العمدي) هو المعني بالمعلمين الأولين (العمديين)

### أسئلة مع أجوبتها لابن قتيبة

لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣-٢٧٦) في كتابه «نأول مشكل القرآن» عرض عريض لأسئلة طرحها من أهل الشبه وأحاد في أكثر أجوبته عليها بصورة فنيّة دقيقة، رأينا إيرادها مع شيء من التوضيح وربما أضفنا من كلمات الآخرين لمزيد الفائدة

عقد في كتابه باباً عنوانه «الحكمة عن الطاعين» وجعله على ثلاثة فصول على حسب تنوع الشبه، وهي:

١- شبهة وجوه القراءات هل توجب اختلافاً في القرآن؟

٢- دعوى وجود اللحن في القرآن

٣- موهم التناقض والاختلاف في القرآن

وجعل الشبه كلها في مقدّمه انساب، ثم عقّبها بالأحوية والحلول على الترتيب. وقد رجّحنا تعقيب كل نوع شبهة بحلّها الوافي ببشارة، لنلّا يطول على القارئ تلقّي الجواب عن شبهة عرضت عليه

## اختلاف القراءة هل يوجب اختلافاً في القرآن؟

قالوا وجدنا الصحابة ومن بعدهم يحتفون في الحرف (أي القراءة).

فابن عباس يقرأ «واذكر بعد أمه»، وغيره يقرأ «بعد أمه»<sup>١</sup>

وعائشة تقرأ «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ»، وغيرها يقرأ: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ»<sup>٢</sup>.

وأبو بكر يقرأ «وحاءت سكرة لحق بالموت»، والناس يقرأون: «وحاءت سكرة

الموت بالحق»<sup>٣</sup>.

وقرأ بعض القراء (هو الأعرج) «وَأَعْنَدْتَ لَهُنَّ مَنَكًا»، وقرأ الناس «وَأَعْنَدْتَ لَهُنَّ

مُنَكَّا»<sup>٤</sup>.

وكان ابن مسعود يقرأ «إِنْ كَانَتْ إِلَّا رَقِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» ويقرأ «كالصوف المنفوش»

والناس يقرأون: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَنِيعَةٌ وَاحِدَةٌ»<sup>٥</sup> و«كَلِمَةٍ مِّنْهُنَّ الْمَنُوشِ»<sup>٦</sup> مع أشباه لهذا كثيرة

يخالف فيها مصحفه المصاحف القديمة والحديثة وكان يحذف من مصحفه «أُمُّ الْكِتَابِ»

وسمى «المعوذتين» ويقول لِمَ تردون لي كتاب الله ما ليس فيه؟!<sup>٧</sup>

وأبي يقرأ «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا» (من نفسي فكيف أظهركم عليها)<sup>٨</sup> ويريد

في مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» بـ قول الله عي «إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ» ويعده

سورتين من القرآن!

و القراء يحتلفون، فهذا يرفع ما ينصه ذلك، وذلك يحفظ ما يرفعه هذا.

وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأبي شئ بعد هذا الاختلاف

تريدون؟!<sup>٩</sup>

وهذا الإشكال بعينه أورده المستشرق الألماني «إيجنتس جولد تسيهر» قال: «فلا

١ - يوسف ١٢: ٤٥. انظر: شواذ القراءات لابن خالويه، ص ٦٤.

٢ - النور ٢٤: ١٥. انظر: الشواذ، ص ١٠٠. ٣ - ق. ٥٠: ١٩. انظر: الشواذ، ص ١٤٤.

٤ - يوسف ١٢: ٣١. انظر: الشواذ، ص ٦٣. ٥ - يس ٣٦: ٢٩. انظر: الشواذ، ص ١٢٥.

٦ - القارعة ١٠: ٥. انظر: الشواذ، ص ١٧٨. ٧ - طه ٢٠: ١٥. انظر: الشواذ، ص ٨٧.

٨ - راجع. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ٢٤-٢٥.

يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دبية «عترافاً عقدياً على أنه نصٌ منزلٌ أو موحى به يقدم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن»<sup>١</sup>.

### القرآن شيءٌ والقراءات شيءٌ آخر

هناك فرقٌ فارق بين القرآن والقراءات، حيث القرآن هو النص الموحى به من عند رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، وهو الذي تعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل، تلقّوه من الرسول تلقياً مباشراً، وتداولوه بدءاً بسيد حسنى هذا السواتر المستفيض لا اختلاف فيه ولا اضطراب مدّ يومه الأول فإلى مدى العصور وتعاقب الدهور وهم على قراءة واحدة كان يقرأها النبي الكريم ﷺ وتداوله الأصحاب والتابعون لهم بإحسان وعلى أثرهم سائر الناس أجمعون

أما القراءات فهي اجتهادات من القراء تلوصول إلى ذلك النص الموحّد، ولكس طرائقهم هديهم إلى مختلف السبل فضلاً على تنوّع سلاتقهم في سلوك المهج القويم فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال، كلّ يضرب على نره<sup>٢</sup>.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام «نقرآن واحد، برل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»<sup>٣</sup> بمعنى أن لاختلاف حادث على أثر اختلاف نقلة النص وهم القراء

ومن ثم قال الإمام بدر الدين الزركشي القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ، والقراءات هي اختلاف أعاظ الوحي المذكور،

١ - راجع، مذهب التصير الإسلامي لعولّد تسهر ترجم عبدالحليم النخار، ص ٤.

٢ - عندك عمّا ذكره ابن فنية بهذا الشأن لذهابه إلى حوار قرة يكس هذه الوجوه، اسناداً إلى حديث الأحرف السبعة.

٣ - وقد ثبتنا على أن الحديث إنما يعنى النهجات دون فقرات السبع التي هي اجتهادات من القراء والتي توسمت برسميتها بعد ثلاثة قرون. راجع التمهيد ج ٢ - الكافي، ج ٤، ص ٦٣٠، رقم ١٢.

في كتابة الحروف أو كيفيتها<sup>١</sup> أي الاختلاف الحاصل فيما بعد، في كيفية كتابته أو كيفية قراءته.



على أن هذه الآثار إنما نقلت نقلاً بالإرسال، وعلى فرض الإسناد وصحة السند فهي أخبار آحاد لا يثبت به القرآن، المعتبر فيه النقل المتواتر القطعي نقلاً على سعة الآفاق وليس في سوى قراءة حفص ذات الإسناد الذهبي إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ملأت الخافقين.

أما المنقول عن ابن عباس فلم يثبت وحاشاء أن يتعدى قراءة شيخه ومولاه إمام المثقنين.

والمنقول عن عائشة لا اعتبار به. وهكذا جاءت قراءة أبي بكر قبيل وفاته في سكرة الموت. روى القرطبي بإسناده إلى مسروق، قال: لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عائشة، فلما دخلت عليه قالت: هذا كما قال الشاعر:

لممرك ما يغني الثراء، ولا العنى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
فقال أبو بكر: هلا قلبي كما قال الله. «وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه

تحيده»

قال القرطبي: هذه الرواية مرفوضة تجري مجرى السييان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث.<sup>٢</sup>

وقراءة الأعرج شاذة لا اعتداد بها.

وكان ابن مسعود يرى جواز تبديل النص بالأجلي من غير أن يجعله قرآناً أو يعتقه نصاً موحى به وكان عمله هذا مرفوضاً لدى المحققين.

والمنقول عن أبي ومثله عن ابن مسعود أيضاً هي زيادات تفسيرية لغرض الإيضاح من غير أن يكون زيادة في النص أو تغيير لمي لفظ القرآن.

على أنه لاحقية في مزعم أناس - مهما كانوا - ما لم تقع موضع قبول عامة  
لمسلمين فضلاً عن رفضهم إياها، كما وقع بالفعل

قال ابن قتيبة وأما بقصار مصحف عبد الله بحذفه «م الكتاب» و«المعوذتين»،  
وزيادة «أبي» بسورتي القوت، فإن لا قول بـ عبد الله وأبياً أصاباً، وأخطأ المهاجرون  
والأنصار ولكن عبد الله ذهب فيما يرى أهل بطر إلى أن لمعوذتين كانتا كالعود والرقية  
وغيرهما، وكان رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، كما كان يعوذ به «أعوذ  
بكلمات الله التامة»<sup>١</sup> فظن أنهما ليستا من القرآن وأقام على ظنه وعلى مخالفة الصحابة  
جميعاً، كما في مواضع أخر خالف فيها جميع الأصحاب

وإلى نحو هذا ذهب أني في دعاء القوت، لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في  
لصلاة دعاء دائماً، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه وعلى مخالفة الصحابة

قال. وأما «قائحة الكتاب» فلم يأت أشك فيما روى عن عبد الله من تركه إثباتها في  
مصحفه، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن  
وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة حباية بالقرآن؟!

ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر، إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين  
مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ورأى ذلك لا يحور على سورة الحمد لفصلها  
ولأنها تُثنى في كل صلاة ولا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها<sup>٢</sup>

قال سيدنا الأساد طاب ثراه إن تو تر لقرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لأن  
الاختلاف في خصوصيات حادثة تاريخية - كالهجرة مثلاً - لا ينافي تواتر نفس الحادثة  
على أن الواصل إلينا بتوسط القراء إنما هو خصوصيات قراءاتهم، وأما أصل القرآن فهو  
واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين وينقل الحذف عن السلف وتحفظهم عليه في الصدور

١ - أخرجه أحمد في مسنده ج ٥، ص ١٢٠، من حديث زريق حيش

٢ - أخرجه البخاري، ج ٤، ص ١٧٩ في كتاب لأبياء من حديث أبي عيسى، ورجع صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٨٠-٢٠٨١ في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب المعوذ من سوء القضاء وبرك الشفاء، وسن الدارمي، ج ٢، ص ٢٨٩ في الاستدبار، وسن الترمذي، ج ٤، ص ٢٩٦ في الطهارة ومس ابن ماجه، ج ٢، ص ٣٥٩، باب ١٢٨٩، رقم ٣٥٨٦، ومسند أحمد، ج ١، ص ٢٣٦

٣ - أبريل مشكل القرآن، ص ٤٢-٤٩.

وفي الكتابات، ولادخل للقراء بخصوصهم في ذلك أصلاً ولذلك فإن القرآن ثابت بالتواتر، حتى لو فرضنا أن هؤلاء القراء هم نكروا هي عالم الوجود إن عظمة القرآن ورفعة مقامه أعلى من أن تتوقف على نقل أولئك المر لمحصولين<sup>١</sup>

### موهم الاختلاف والتناقض زيادة على ما سبق

أورد ابن فتيبة قسماً من آيات نَحْوُ فيها التناقض والاختلاف، ممّا قدمنا الكلام فيها والإجابة عليها، وأصاف

قوله تعالى: «لَنْ يَكُنَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَدِيرٍ»<sup>٢</sup> وهو يقول في موضع آخر «فَلَنْ يَكُنَ لَكُمْ الْيَوْمَ هَاطُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَدِيرٍ»<sup>٣</sup>

وأحاب. إن في النار دركات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات. فمن أهل النار من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه غسيل، ومنهم من شربه الحميم، ومنهم من شربه المصدد

والضريع نيب يكون بالعجار، يدل لُرطبه الشيرق، لايسمن ولايشع قال امرؤ القيس:

فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم عورث رمل دي ألا وشيرق<sup>٤</sup>  
والعرب تصفه بذلك

وعسليين فعليين من عسليين، كأنه لُعسالة قال بعض المفسرين، هو ما يسيل من أجساد المعديين (كالتقيح)

وهذا نحو قوله «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ»<sup>٥</sup> وقرأ عيسى «سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ أَنْ»<sup>٦</sup> والقطر: النحاس. والآن: الذي بلغ منتهى حرّه (وعبل العذاب) كأنّ قوماً يسربلون هذا،

١- البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي، ص ١٧٤. ٢- الفاشية ٨٨ ٦

٣- الحاقة ٦٩ و٣٥ و٣٦

٤- ألاء ديورن علاء - شجر حسن المنظر مرّ الطعم دونه الإحضرر سبب في الرمل والأودية ورقه وحمله دباغ

٥- إبراهيم ١٤ - ٥٠، والقطر: سبيل دهي يتخاطر من بعض الأشجار كالصوبر

٦- شواد ابن خالويه، ص ٧٠



وقوماً يسربلون هذا، ويلبسون هذا تارة، وهذا تارة<sup>١</sup>

وأما قولهم «كف يكون في النار نبت وشجر والنار تأكلهما؟» فإنه لم يُرد فيما يرى أهل النظر - والله أعلم - أن الصريع يعيه سب في النار، ولا أنهم يأكلونه والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس وقد وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلك هزلاً قال الهذلي - يذكر ليلاً لم تشبع وهلك هزلاً -

وحسن في هزم الصريع فكلاً حديء دامية اليدين حروء<sup>٢</sup>  
فأراد تعالى أن هؤلاء قوم بقاتون مالا يشبعهم وضرب الضريع مثلاً أو يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع

وقد يكون الضريع وشجره الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار. وكذلك سلاسل النار وأعالها وأنكالها وعقاربها وحياتها، لو كانت كما علم لم تبق على النار وإنما دللنا الله سبحانه على انقائهم عنده بالحدس عندنا فالأسماء متفقة للدلالة، والمعاني مختلفة

وماعي الجنة من شجرها وثمرها ومُرُشها، وجميع آلائها على مثل ذلك

\*\*\*

وقولهم. وأين قوله «ألم تر أن للعنك نخري في النحر ينغمه الله ليريك من آياته» من قوله «إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور»؟<sup>٣</sup> أي ربطة بين الصور الشكور وحريان للعنك في البحور؟

لكن لم يُرد الله في هذا لموضع معنى الصبر واشكر خاصة، وإنما أراد أن في ذلك لآيات لكل مؤمن، والصبر والشكر أفضل ما في المؤمن من خلال الخير، فذكره الله عز وجل في هذا الموضع بأفضل صفاته وقال في موضع آخر «إن في ذلك لآية

١ - هذا بناء على مذهبه في حجية مختلف القراءات استناداً إلى حديث الأعراف السبع.

٢ - وهي اللسان «حديء» باده الضلوع حروء. هزم الضريع ما تكسره. والعروء التي لا تكاد ندر لياً وهي مقاديس

اللعن مادة «ضرع» «ووركن في هزم الضريع» - ٢ - فصل ٢١: ٢٦.

لِلْمُؤْمِنِينَ»<sup>١</sup> وفي موضع آخر «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>٢</sup> و«لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»<sup>٣</sup> و«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ»<sup>٤</sup> يعنى المؤمنين

(فالمعنى بهذه الآيات ويهده التعابير هم المؤمنون محصاً، وإنما جاءت الأوصاف الخاصة بهم عناوين مشيرة إلى ذلك المعنوي بدلت، من غير خصوصية لدات الأوصاف) ومثله قوله تعالى في قصة ساء: «وَمَرْفَأَهُمْ كُلٌّ نُمْنُزِيْكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ»<sup>٥</sup> وهذا كما تقول: إن في ذلك لآية لكل موحّد مصل، ولكل فاضل تقي، وإنما تريد المسلمين حقاً<sup>٦</sup>

والخلاصة أن هناك فرقاً بين أحد الأوصاف عناوين مشيرة إلى الموضوع الأصل فلا رابط بينها وبين الحكم المرتب عنها في القصيدة، وبين أحدها مواضع هي علل وأسباب لثبوت تلك الأحكام المترتبة والآيات المود عنها هي من قبيل النوع الأول، لتكون الأوصاف خواص لازمة للموضوع من غير أن يكون لها دخل في موضوعية الموضوع، لأمر الذي حققه علماء الأصول.



وقوله «كشَلٍ عَنْهُ أَغْصَبَ الْكَفَرُ بِهَائِهِ»<sup>٧</sup> وإنما يريد بالكفار هاهنا الرّاع، واحدهم كافر، وإنما سمّي كافراً لأنه إذا انقى البدر في الأرض كره، أي غطاءً وستره، وكل شيء غطيته فقد كهرته<sup>٨</sup> ومنه قيل تكفر فلان في السلاح إذا تعطى ومنه قيل لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء ومنه قول لشاعر (هو لبيد بن ربيعة)

يعلو طريقة متنها متواتر<sup>٩</sup> في ليلة كفر النجوم ضامها<sup>١٠</sup>

١- الحجر ١٥ ٧٧

٢- النحل ١٦ ٦٩

٣- النحل ١٦ ٦٧

٤- الرعد ١٣ ١٩

٥- سبأ ٣٤: ١٩، وانظر إبراهيم ١٤ ٥ والشورى ٤٢: ٣٣

٦- راجع تأويل مشكل القرآن، ص ٧٥ ٧- العديد ٥٧ ٢

٨- وإنما يقال للملحد «كافر» لأنه عطى طهرته وستره فاته بالوحدانية.

٩- أي يعلو طريقته متى هذه البقرة مطر مسبح في ليله ظممه على أثر تراكم السحب التي غطت وجه النجوم والطريقة.

خطّة مخالفة للون البقرة. والمتان مكسفا الظاهر وقد استشهد بهذا البيت الطبري في التفسير، ج ١ ص ٨٦ وبين قسبة

في تأويل مشكل القرآن ص ٧٦

وقالوا في قوله تعالى «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ»<sup>١</sup> استثناء المشيئة من الحلود يدل على الروال، ولا فلا معنى للاستثناء ثم قال «عطاءً غير مجدود» أي غير مقطوع! وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»<sup>٢</sup> أي غير مقطوع ومن غير أذى، فكيف التوفيق؟

قال ابن قتيبة في الإجابة على ذلك إن العرب في معنى «الأبد» ألفاظاً يستعملونها في كلامهم، يقولون: لأفعل ذلك ما حثف ليل ونهار، وما طمى البحر أي ارتفع ماؤه وامتلاً، وما أقام الحبل، وما دامت السماوات والأرض، في أشياء لهذا كثيرة، سر بدون لأفعله، أبدأ لأن هذه المعاني عندهم لا تتغير عن أحوالها أبداً، فحاطبهم الله بما يستعملونه، فقال «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» أي مقدار دوامهما، وذلك مدة العالم

وللسماء والأرض وقت يتغيران فيه عن هيئتهما، يقول الله تعالى «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ»<sup>٣</sup> ويقول «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ»<sup>٤</sup> أراد أنهم خالدون فيها مدة لعالم، سوى ما شاء الله أن يريد لهم من الحلود على مدة العالم و«إلا» في هذا الموضع بمعنى «سوى» ومثله في الكلام لأسكنن في هذه الدار حولاً إلا ما شئت، تريد سوى ما شئت أن أزيد على الحول

قال هذا وجه ووجه آخر، وهو أن يحمل دوم السماء والأرض بمعنى الأبد، على ما تعرف العرب وتستعمل، وإن كانتا قد تتغيران وتنتهي المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوم السماء والأرض في الدنيا، لافي الجنة فكأنه قال: خالدون في الجنة وخالدون في النار دوام لسماء والأرض، إلا ما شاء ربك من تعميمهم في الدنيا قبل ذلك

وفيه وجه ثالث، وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مُكْتَفًى أهل الذنوب من المسلمين في النار، حتى تدققهم رحمة الله وشفاعة رسوله، فيخرجوا منها إلى الجنة فكأنه قال سبحانه: حالدين في النار مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة وحالدين في الجنة مادامت السماوات والأرض، إلا ما شاء ربك من إدخال المدينين النار مدة من المدد ثم يصرون إلى الجنة<sup>١</sup>

هذا ما ذكره ابن قتيبة بهذا الشأن، ولآيات من مشكل القرآن، على حدّ تعبير المفسّر الكبير أبي علي الطبرسي وأما هو هنا وحوهاً لحل الإشكال نذكرها بالتالي، ولتبدأ بالآيتين بكاملتهما.



قال تعالى: «يَوْمَ يَأْتِ لَاتِكُمْ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنبِهِمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا مِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. حَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ حَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ»<sup>٢</sup>

فقد وقع الاستثناء بشأن كل من الأشقياء والسعداء، أما الاستثناء بشأن الأشقياء فلاموضع للكلام فيه، نظراً لأمرين:

أحدهما أن هذا الاستثناء لم ينع بشأن المجموع من حيث المجموع، بل بشأن الجميع حسب الأفراد، فالجميع محكومون بالخلود في جهنم إلا ما شاء ربك بشأن بعضهم، ولعلهم الأكثر حسب مقتضى الذنوب التي ارتكبوها ولعلها تقع موضع عفو ربهم الكريم

ثانيهما أن الشقاء إنما هو في مرتبة الاقتضاء للخلود، وليس علةً تامّةً ومن ثم صَحَّ الاستثناء حسب مشيئة الرب إذا تحققت أسبابه في حين هذا فضلاً عن أن مخالفة الوعيد لا يصير فيه ولا حزمة فيه على الكريم

ثمّ الكلام والإشكال وفروع الاستشهاد بشأن السعداء حيث وعدهم بالخلود،  
والكريم لا يخلف الميعاد

قال الطبرسي اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين، وهما من المواضع  
المشككة في القرآن والإشكال فيه من وجهين أحدهما تحديد الخلود بمدة دوام  
السموات والأرض والآخر معنى لاستثناء بقوله «لَا مَاشَاءَ لَكُمْ»  
فالأوّل فيه أقوال.

أحدها: أنّ المراد مادامت السماوات والأرض مبدلتين أي مادامت سماء الآخرة  
وأرضها، وهما لا يفتنان إذا أعيدتا بعد الإفناء عن الصعق والكجباتي  
وثانيها أنّ المراد مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما وكلّ ما علاك سماء وكلّ  
ما استقرّ عليه قدمك أرض وهو قريب من الأوّل

وثالثها أنّ المراد مادامت الآخرة، وهي دنة أبدًا كما أنّ دوام السماء والأرض  
في الدنيا قدر مدّة بقائها عن الحاصل

ورابعها أنّه لا يراد به السماء والأرض بعيتهما، بل المراد التسعيد فإنّ للعرب ألفاظاً  
للتسعيد في معنى التأييد يقولون لأفعل ذلك ما احتلف الليل والنهار، ومادامت السماء  
والأرض، وما نبت التبت، وما أطّت الإبل، وما اختلف الجرة والدرة، وما درّ شارق، وفي  
أشياء ذلك كثرة، ظناً منهم أنّ هذه الأشياء لا تتغير، وسرون بذلك التأييد لا التوقيت  
فخطابهم الله سبحانه بالمتعارف من كلامهم عن قدر عقولهم وما يعرفون

قال عمرو بن معديكرب:

وكلّ أخ مفارقه أحوه      لعمر أبيك إلّا الفرقدان

وقال رهير،

ألا لا أرى علّ الحوادث بافياً      ولا حالداً إلّا الجبال الرواسيا  
وإلّا السماء والنجوم وربنا      ويأمننا معدودةً والليالي

لأنّه توهم أنّ هذه الأشياء لا تفتنى، وتخلد

قلت: وهذا الوجه الرابع هو الرأى السديد حسب الظاهر.

وأما الكلام في الاستثناء فقد احتج فيه أقوال العلماء على وجوه  
أحدها، أنه استثناء في الزيادة من لعذاب لأهل النار، والزيادة من النعيم لأهل  
الجنة والتقدير إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار (أي المضاعفة في العقوبة  
والمثوبة، إضافة إلى جانب العلود، من أنواع العقوبة والنعيم)  
وهذا كما يقول الرجل لصاحبه لي عيبك ألف دينار إلا الألفين اللذين أقرضتكهما  
وقت كذا فالألفان زيادة على الألف بعير شت، لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن  
الزجاج والفرّاء وعليّ بن عيسى وجماعة  
وعلى هذا فيكون «إلا» بمعنى «سوى» أي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان  
معاً رجل إلا زيد، أي سوى زيد  
وثانيها أن الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب، لأنهم حينئذ ليسوا  
في جنة ولا نار، ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة، لأنه تعالى لو قال  
«خالدين فيها أبداً» ولم يستثن لظن الظانّ بهم في أسار والجنة من لدن نزول الآية أو من  
امقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن تعارفي وغيره وإحصاءه للشيء  
فإن قيل كيف يستثنى من العلود في النار ما قبل الدخول فيها؟ فالجواب أن ذلك  
جائز إذا كان الإخبار به قبل دخولهم فيها  
وثالثها أن الاستثناء الأول يتصل بقوله «لهم فيها زفير وشهيق» وتقديره، إلا  
ما شاء ربك من [سائر] أجناس العذاب المخرجة عن هذين الصريين، ولا يتعلق الاستثناء  
بالخلود وفي أهل الجنة يتصل بما دلّ عليه الكلام، فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء  
ربك من أنواع النعيم، وإنما دلّ عليه قوله «عطاء غير محدود» عن الزجاج  
ورابعها أن يكون «إلا» بمعنى الواو، أي وما شاء ربك من الزيادة عن الفرّاء  
واستشهد على ذلك بقول الشاعر.

وأرى لها داراً بأغدير السب      مدان لم يدرُش لها رسم  
إلا رماداً هامداً رفعت      عنه الرّيح خوالدٌ سحم<sup>١</sup>

١ - أعددة السجدان، موضع والموالد: الأنثى. وهي الأعما. الثلاثة التي يوضع عليها القدر والسحم، الشود.

قال: والمراد بـ«إلا» هاهنا «الواو»، وإلا كان الكلام متناقضاً وهذا الوجه قد ضعفه المحققون من النجاة

وخامسها أن المراد بـ«الذين شقوا» من دخل في النار من أهل التوحيد، الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعاتهم رتكاب المعاصي فقال سبحانه إنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة وإنبتهم على الطاعات ويجوز أن يريد بـ«الذين شقوا» جميع الداخلين إلى جهنم، ثم استثنى قوله «إلا ما شاء ربك» أهل الطاعات وقد يكون «ما» بمعنى «مَنْ» أي: إلا من شاء ربك

وأما في أهل الجنة فهو استثناء بحسب ما تقدموه في النار ونكون «ما» معها ويكون الاستثناء من الزمان، بخلاف الأول الذي كان استثناء من الأعيان ويكون «الذين شقوا» بناءً على هذا القول - هم الذين سعدوا بأعيانهم، وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق به فإذا أدخلوا في النار وعوقبوا فيها فهم أهل الشقاء، وإذا نقلوا منها إلى الجنة فهم أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وحابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وقتادة والسدي والصحاك وجماعة من المفسرين

وروى أبو روف عن الصحاك عن ابن عباس قال «الذين شقوا» ليس فيهم كافر، وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون نار بذنوبهم ثم يتعصل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة، فيكونون أشقاء في حال، سعداء في حال أخرى.

قال الطبرسي وهذا القول هو المختار لمعول عليه

وسادسها: أن تعليق ذلك بالمشيئة، على سبيل التأكيد للدخول والتبديد للحرج، لأن الله تعالى لا يشاء إلا تحليلهم على ما حكم به، فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون، لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها

وسابعها، أن الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله، «إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ» أنه أراد أن يخلد هم. قاله الحسن

وقريب منه ما قاله الزجّاج وغيره: «بِه استثناء تستثنيه العرب وتفعله، كما تقول. والله لأضربن زيداً إلا أن أرى غير ذلك، وأنت عارمٌ على صربه والمعنى في الاستثناء على هذا: أنني لو شئت أن لا أضربه لفعلت

وثامنها أنه يعني بقوله «إلا ما شاء ربك» ما سبقهم به الدين دخلوا قبلهم من الفريقين قاله يحيى بن سلام البصري، واحتج بقوله تعالى «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُجراً»<sup>١</sup> «وسيق الذين كفروا رُثمهم إلى الجنة زُجراً»<sup>٢</sup> قال ابن جرير: تدخل بعد الزمرة، فلا بد أن يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء على هذا من الزمان

وتاسعها أن المعنى حال دون في النار، دائمون فيها مدة كونهم في القبور، مادامت السماوات والأرض في الدنيا، وإذا قسا وعدمنا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب، وقوله: «إلا ما شاء ربك» استثناء وقع على ما يكون في الآخرة أوردته الشيخ أبو جعفر فدرس الله روحه وقال: ذكره قوم من أصحابنا في التفسير

وعاشرها أن المراد إلا ما شاء ربك أن يحاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان

وقال في الذين سعدوا يتأتى فيهم جميع الوعود التي ذكرت في أهل الشقاء إلا ما ذكره من جواز إخراج بعض الأشقياء من تناول الوعد لهم وإخراجهم من النار فإن ذلك لا يتأتى هنا، لإجماع الأمة على أن من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة ولا يخرج منها بعد الدخول، لقوله تعالى «عطاء غير مجدود» أي غير مقطوع<sup>٣</sup>



قلت، والذي يترجح في النظر أن مثل هذا التعليق على المشيئة في كلامه تعالى أمر عادي إذا ما لاحظنا شبة الأكابر حيث لا يحتمون على أنفسهم أمراً ليكون لازماً عليهم فيطالبوا بإنجازه وإن كانوا يوفون بما وعدوا كرمة وفضلاً لا تكديفاً وإلزاماً ومن ثم ترى



أن أكثر وعوده تعالى التي جاءت في القرآن كانت بصورة خلق الرجاء في نفوس الموعود لهم، مبدوءة بلفظة «لعل» و«عسى» وبحوهما، مما يجعل لإنجاز معلوقاً على مشيئته واقتضاء حكمته وليس حتماً عليه في ظاهر الوعد وإن كان الله يفي بما وعد فضلاً ومئة ولا يخلف الميعاد

يقول تعالى مخاطباً لنبيه: «سَتَقَرُّوْكَ فَلَا تَكُنْ إِلَّا مَنَاسَةً»<sup>١</sup> فقد تلقاه النبي وعداً حتماً وإن كان بصورة التعليق على المشيئة

وقال: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً»<sup>٢</sup> فهو وعد بمقام الشفاعة، وسوف يعطيه ربه فيرضى<sup>٣</sup> وإن كان الوعد وقع ظاهراً بصورة خلق الرجاء

وقال بشأن المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً»<sup>٤</sup> فأولئك معفو عنهم لامحالة، ومن ثم جاء التعقيب بأنه تعالى عفو غفور غير أن الوعد وقع ظاهراً بصورة خلق الرجاء دون الحتم الإلزامي

وقال: «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّزَكَّى فَأْتِيعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»<sup>٥</sup> لاشك أنه تعالى سيرحم أولئك الذين اتبعوا الكتاب واتقوا، لكن الوعد وقع بغير صورة الحتم عليه تعالى والآيات من هذا القبيل كثيرة



والتعليق على المشيئة بشأن خلود الأشقياء في النار والسعداء في نعيم الجنان من هذا القبيل، حتى لا يكون لازماً عليه تعاني فيما أوعده أو وعد، ومن ثم عقب المشيئة بشأن الأشقياء بقوله: «إِنَّ رَبَّكَ فَكَالُ مَا يُرِيدُ» يعني: وإن كان الإيعاد بالخلود وقع بشأنهم حسب

٢- الإسراء: ٦٧، ٦٨

١- الأعلى: ٨٧، ٦ و ٧

٣- «وَلَسَوْفَ يَعْطُونَكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» الضحى: ٩٣، ٩٤

٤- النساء: ٦٩

٥- الأنعام: ١٦، ١٥٥

اقتضاء حالتهم هم ولكن الله يفعل ما يشاء حسب حكمته وإرادته وليس شيء حتماً عليه مادامت الحكمة هي الحاكمة على فعاله تعالى وتقدس، وإرادته تعالى هي الساطية على تدبير عالم الوجود دينياً وآخرته، لا راداً لفضائه

وبذلك أشار في قوله تعالى «قَالَ لَنْ مَفْرَأَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»<sup>١</sup> فأوعدهم بالخلود لكن الوعيد ليس لراماً عليه مادام الله يفعل ما يشاء وفق حكمته وعلمه القديم

لكنه تعالى أكد وعده بشأن السعداء أن سيدوم لهم النعيم ولو تغيرت المشيئة بالبقاء في الجنة فرضاً لطمئنوا على ثقة من دوام عنايته تعالى بهم أبداً

فهؤلاء وأولئك خالدون حيث هم، مادامت السماوات والأرض - وهو تعبير يُلقى في الدهن صفة الدوام والاستمرار حسب الاستعمال الدارج -<sup>٢</sup> وقد علق السياق هذا الاستمرار بمشيئة الله في كلتا الحالتين، وكل فرط وكل سنة معلقة بمشيئة الله في الهابة فمشيئة الله هي التي اقنصت السنة وليست مقيدة بها ولا محصورة فيها إنما هي طليقة تبدل هذه السنة حين يشاء الله، «إِنَّ رَبُّكَ فَاعِلٌ لِمَا يُرِيدُ»

وراد السباق في حالة الذين سعدوا ما يطمئنهم إلى أن مشيئة الله اقتضت أن يكون عطاؤه لهم غير مقطوع، حتى على فرض تبدل قاستهم في الجنة وهو مطلق فرضي يذكر لتقرير حرية المشيئة بعد ما يوهم التقيد.<sup>٣</sup>



وقوله تعالى: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى»<sup>٤</sup> «إِلَّا» هو بمعنى «سوى» مثلها في قوله «وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ»<sup>٥</sup> يريد سوى ما سلف في الجاهلية قبل الهى فالمعنى في الآية الأولى أنهم لا يذوقون الموت بعد موتهم

١- الأنعام ٦، ١٢٨ - ٢- والنبيات ظلال، وظل هذا الصبر ها هو المقصود

٣- راجع في ظلال القرآن، المجلد ٤، ص ٦٢٧، ج ١٢، ص ١٤٦

٤- النساء ٤، ٢٢

٥- الدخان ٤٤، ٥٦

## الأول.

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا»<sup>٢</sup> قالوا ليس الرزق مما يجعل، وإنما هو شيء يحصل في القلب فلا يقال: يَجْعَلُ لك حنَّ، بل يقال يَحِبُّكَ

والجواب: أن المراد جعل الرزق أي خلقه في قلوب المؤمنين قال ابن قتيبة فإنه ليس على تأويلهم، وإنما أراد أنه يجعل لهم في قلوب العباد محبة فأنت ترى المخلص المجتهد محبباً إلى البر والفاجر، مهيباً مذكوراً بالجميل ونحوه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي»<sup>٣</sup> لم يرد في هذا الموضع أنني أحببتك وإن كان يحبه. وإنما أراد أنه حبه إلى القلوب وقربه من النفوس فكان ذلك سبباً لنجاته من فرعون، حتى استحياء في الوقت الذي كان يقتل فيه ولدان بني إسرائيل.<sup>٤</sup>



وقالوا في قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا»<sup>٥</sup> السبات هو النوم، فكيف يجعل نومنا نوماً؟

لكن السبات هاهنا ليس بمعنى النوم، بل هو بمعنى الراحة، أي جعلنا النوم راحةً لأبدانكم ومنه قيل: يوم السبت، لأنَّ الحلق اجتمع في يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت، فقيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا شيئاً، فسمي يوم السبت أي يوم الراحة

وأصل السبت التمدد، ومن تمدد فقد استراح ومنه قيل: رجل مسبوت ويقال: سبَّبت المرأة شعرها، إذا تقضته من العقص وأرسلته. قال أبو وجزة السعدي.

وإن سبَّبتَه مالَ جَنَلًا كَأَنَّهُ سَدَى وَأَثَلَاتٍ مِنْ نَوَاسِجٍ خُثَمًا<sup>٦</sup>

٢- مريم ١٩، ٢٦

١- تأويل مشكل القرآن، ص ٧٨

٤- تأويل مشكل القرآن، ص ٧٩

٣- طه ٢٠، ٣٩

٥- النبا ٧٨، ٩

٦- الجمل هنا بمعنى: المنثور المفتت، من جثته الريح إذا استغفته فترعه والسدى: حيوط يسبحها النساء، بالمرسل والاثلاث: الناصبات. تأويل مشكل القرآن، ص ٨٠

## مطاعن ردّ عليها قطب الدين الراوندي<sup>١</sup>

عقد في كتابه القيم «الحرائج والجرائح» باباً ردّ فيه على مطاعن المخالفين في القرآن،<sup>٢</sup> وهو بحثٌ موحّدٌ لطيفٌ وتحقيقٌ وف دقيقٌ ذو فوائد جمةٌ توردّه هنا بالمناسبة: قالوا: إنّ في القرآن تفاوتاً، كقوله: «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ»<sup>٣</sup> ففي هذا تكريرٌ بغير فائدة فيه، لأنّ قوله «قومٌ من قوم» يغني عن قوله «نساءٌ من نساء» فانساء يدخلن في قوم يقال: هؤلاء قوم فلان، للرجال والنساء من عشيرته!

الجواب: إنّ «قوم» لا يقع في حقيقة اللغة إلّا على الرجال ولا يقال للنساء الشيء ليس فيهنّ رجلٌ، هؤلاء قوم فلان وبما سمّي لرجال هوماً، لأنهم القائمون بالأمر عند الشدائد، ويدلّ عليه قول زهير

وما أدري وسوف إحال أدري  
قُوم آل حصن أم نساء

وفالوا في قوله تعالى: «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي»<sup>٤</sup> تفاوت (أي تهافت) كيف تكون العيون في غطاءٍ عن الذكر؟ وربما، لماسب أن تكون الأسماع في غطاءٍ عن الذكر!

الجواب: إنّ الله أراد بذلك عَمَمان القُوم، وعمى القلب كناية عن عدم وعي الذكر، يقال: عمى قلب فلان، وفلان أعمى القلب، إذا لم يفهم ولم يح ما يُلقى إليه من الذكر الحكيم ومن ثمّ جاء تعقيب الآية بقوله: «وَكَانُوا لَا يَسْطِيعُونَ سَمْعاً»

قال تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا

١- هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله المشتهر بالقطب الراوندي، نسباً إلى راوند من قرى كاشان مائنة إلى اليوم، عالمٌ مبرّزٌ ومحدثٌ فقيهٌ من أعظم علماء الإمامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٧٣) هو من مشايخ أهل شهر آشوب وغيره من أكابر أعيان العلماء في وقته. له مصنفات عديدة، منها: الحرائج والجرائح، وقصص الأنبياء، وليّ اللبّاب، وشرح نهج البلاغة، وبحثٌ أسماه «منهاج البراعة»

٢- أوردته بكامله المجلسي في البحار، ج ٨٩، ص ١٤١-١٤٦

٣- التكملة ١: ١٨، ١٠١

٤- المعجرات ٤: ١١

قَالَهَا لَا تَغْمِي الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَغْمِي الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ<sup>١</sup>

فأعين القلب إذا كانت في غطاء فإنَّ لأذان حينذاك لا تسمع والأنصار لا تبصر،

لأنَّ القلب لا يعي

وبصر القلوب وعماها هو المؤثر في باب لدين، إمّا وعياً أو غلقاً فقال تعالى:

«وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَغَرًّا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوهَا»<sup>٢</sup> والأكنة

الأغطية

فكان غطاء التعامي في القلوب هو عامل المؤثر في عدم سماع الأذان وعدم

إبصار العيون

وقالوا في قوله تعالى: «أَمْ عِنْدَهُمْ لَعِبٌ لَهُمْ يَكْبُورُونَ»<sup>٣</sup> ما نسبة الكتاب من علم

العيب؟ ثم إنَّ قريش كانوا أُمّيين فكيف مرضهم يكبّون؟

الحواب إنَّ معنى الكتاب هنا الحكم يريد أنَّ عندهم علم العيب فهم يحكمون.

ومثله قول لجعدي:

وَمَسَّالٌ لَوْلَا: فَسَجَلْتُمْ وَمَا ذَاكَ حَكْمُ اللَّهِ إِذْ هُوَ يَكْتُبُ

(أي يحكم) ومثله قوله الآخر - على ما استشهد به الجوهري في الصحاح

يَا ابْنَةَ عَمِّي كُنْتُ كِتَابُ اللَّهِ خَرَجْتَنِي عَنْكُمْ وَهَلْ أَمِنْتُ اللَّهَ مَا أَفْعَلَا

وقال ابن الأعرابي الكاتب عندهم، لعالم قال تعالى «أَمْ عِنْدَهُمْ لَعِبٌ لَهُمْ

يَكْبُورُونَ» أي يعلمون.<sup>٤</sup>

وقالوا في قوله تعالى «وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا نَزَّلْنَا عَلَى الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا

الْقُرْآنَ عَصِينَ»<sup>٥</sup> كيف هذا السطير ولا سبب بين الكلامين، ولا وجه شبه لهذا التشبيه؟

وهكذا في قوله تعالى «لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَغُفْرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ

مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ»<sup>٦</sup> ما وجه هذا التشبيه؟

٢ - الأشعار ٦: ٢٥

١ - الحج ٢٢: ٤٦

٤ - رجع الصحاح للجوهري، مادة «كتب»، ج ١، ص ٨-٢

٣ - الطور ٥٢: ٤٦، القلم ٦٨: ٤٧

٦ - الأنفال ٨: ٤ و ٥

٥ - الحجر ١٥: ٨٩-٩١

وكذا قالوا هي قوله تعالى «وَلَا يَمِغْنَ عَلَيْكُمْ وَيَحْتَضِرْنَ فَيَهُتْنَ» كَمَا أُرْسِلَ فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ»<sup>١</sup>

الجواب إن القرآن يرسل على لسان نوح، وفيه حذف وإيماء، ووحى وإشارة فقوله: «أَنْ التَّيْبِ الْمُبِينِ» فيه حذف، كأنه قال: «المدبر المبين عذاباً، مثل ما أُرْسِلَ على المفتسمين عذاب العذاب، إذ كان الإبريدل عليه كقوله في موضع «أُنْذِرُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ»<sup>٢</sup>

وأما قوله: «كَمَا أُخْرِجَتْ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» فإن المسلمين يوم بدر اختلفوا في الأنفال، وحادل كثير منهم رسول الله ﷺ فما فعله في الأنفال فأمر الله سبحانه: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآنِفَالِ قُلِ الْآنِفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ (يَحْمِلُهَا لِمَنْ يَشَاءُ) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (أَيَ مَرْقُوهَا بَيْنَكُمْ عَلَى السَّوَاءِ) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (فِيمَا بَعْدُ) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»<sup>٣</sup> ثم يصف المؤمنين، وبعده يقول «كَمَا أُخْرِجَتْ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» يعني إن كراهمهم الآن في القتال ككرهمهم يوم داح في الخروج معك وأما قوله «وَلَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ كَمَا أُرْسِلَ»، فإنه أراد: «وَلَا تَمَّ بَعْمِي عَلَيْكُمْ كِبَارِ سَالِي فِيكُمْ رَسُولًا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ»<sup>٤</sup>



سألوا عن قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»<sup>٥</sup> وهم لم يقولوا بذلك؟!

الجواب إنها نسبة تشريفية تفحيماً لمقامهما وعظيماً لشأنهما لديه تعالى فإذا كان العبد منعماً بتربية صالحة ومورد عناية بغية منه تعالى شاع في الأوائل نسبة بتوته له سبحانه، كما هي العادة عند العرب في المترابي ربيّة صالحة بسبه إلى المترابي نسبة الولد إلى والده الكريم

٢- فصلت ٤١: ١٣

١- البقرة ٢، ١٥٠ و ١٥١

٣- الأنفال ١، ٨

٤- المرائج والمرائج، ج ٢، ص ١٠ - ١٢ - ١٠ بتصرف وتوضيح

٥- التوبة ٩، ٣٠

قالوا: الآباء ثلاثة أبٌ ولَدك<sup>١</sup>، وأبٌ رَوَّجك، وأبٌ عَلَّمك

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بشأن محمد بن أبي بكر محمد بن عيسى من صلب أبي بكر، أي تربيتي وخاصتي

ويقال: لكل متسبب إلى شيء ابنه كما هي أبناء الدنيا، وأبناء بلد كذا، وهكذا أبناء الإسلام وأبناء الحمية وبحو ذلك مما هو متعارف

وقال سُخَيْم بن وثيل الرياحي

أنا ابن جلا وطلاع النمايا متى أضع العمامة تعرفوني  
ينتسب إلى جلاء الأمور والكشف عن حباياها، والتطلع على الجبال والتلال  
وفي خطبة الإمام السجاد عليه السلام بجامع دمشق «أيها الناس، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء»<sup>٢</sup>.

وكذا فيما حكاه الله تعالى عن اليهود، ولنصارى في قولهم «نَحْنُ أبناءُ الله وأحبَّاءُه»<sup>٣</sup> أي أحفاده والمتعربون بدينه

قال الراوندي وإنما حصوا عُرْباً يكونه بن الله لأنه هو الذي أعاد عليهم الحياة الدينية بعد خلاصهم من أسر بابل، وكتب لهم التوراة بعد ضياعها في كارثة بخت نصر، فكان موضعه لدى اليهود موضع نبي الله موسى عليه السلام، ولولاه لضاعت شريعة اليهود وذهبت معالم إسرائيل أدراج الرياح.

وعُرْبَر هذا هو عَزْرَا بن سريّا بن عَزْرِيّا بن جَلْمِيّا<sup>٤</sup> وقد صغرته العرب وعربته على عادتهم في تعريب الأسماء وتعييرها، كما غيروا «يسوع» بعيسى

كان «عَزْرَا» معاصراً للملك الهخامنشي «أَرْتَحْشَتَر» = اردشير أول المديّ بـ «دراز دست» والذي تزعم الحُدُك بعد أبيه «خشيارشا» سنة ٤٦٥ ق م<sup>٥</sup> وفي السنة السابعة لملكه (٤٥٨ ق م) بعث لكتاب المصضع «عَزْرَا» مع جماعة من اليهود، الذي أطلقوا من ذي قبل من أسر بابل، إلى «أورشليم» وجهّروهم بالمال والعتاد، وأمره أن يعمر

١ - ولده - يشديد اللام - رثاء، وبالضميف: كان سبب ولادته.

٢ - قلما تده ١٨ هـ.

٣ - بعد الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٨.

٤ - تاريخ إيران لحسن پيرنيا، ص ١٩.

٥ - راجع سفر عزرا، إصحاح ٧.

البيت ويحيى شريعة الله من جديد وأرسل معه كتاباً فيه لدستور الكامل لإعادة شريعة بني إسرائيل وإحياء مراسيم شعائهم، وأن يعين حُكَّاماً وقضاةً، ويعمر البلاد حسب شريعة السماء.<sup>١</sup>

جاء في دائرة المعارف اليهودية الإنكليزية (طبعة ١٩٠٣ م) أن عصر عزرا هو ربيع التاريخ للأمة اليهودية الذي تفتحت فيه أزهاره وعق شدا أوراده، وأنه حديث بأن يكون هو ناشر الشريعة لو لم يكن جاء بها موسى فقد كانت نسييت ولكن عررا أعادها وأحيها.<sup>٢</sup>

ولذلك يقول «عزرا» شاكرًا لله تعالى «مارك الرب إله آبائنا الذي جعل مثل هذا في قلب الملك لأجل تبيين سب الرب الذي في أورشليم، وقد سطر عليّ رحمة أمام الملك ومشيريه وأمام جميع رؤساء الملك لمقتدرين»<sup>٣</sup> الأمر الذي جعل من «عزرا» مكانه الشامخة في سي إسرائيل، ولقبوه «ابن الله»، تكريماً لمقامه الرفيع

وحملة القول أن اليهود ومداروا يقدسون «عزيراً» هذا، وأدى هذا التقديس إلى أن يطلخوا عليه لقب «ابن الله» تكريماً ونعنه وهي الأدوار اللاحقة زعم بعضهم أنه لقب حقيقي، كما نقل عن فيلسوفهم «فيلو» - وهو قريب من فلسفه وتبني الهدى التي هي أصل عقيدة النصارى - كان يهودياً من الإسكندرية ومهاصراً للمسيح ﷺ، كان يقول إن الله أباً هو كلمته التي خلق منها الأشياء ومنه اتخذ نصارى هذا اللقب للمسيح ﷺ

قال الشيخ محمد عبده فعلى هذا لا يبعد أن يكون بعض المتقدمين على عصر البعثة المحمدية قد قالوا إن عزيراً ابن الله يهد المعنى.<sup>٤</sup>

قال الطبرسي قيل، وإنما قال ذلك جماعة من قبل وقد انقرضوا<sup>٥</sup> وهكذا قال الراوندي؛ قالت طائفة من اليهود، عزير ابن الله ولم يفل ذلك كل اليهود وهذا خصوص خرج مخرج العموم<sup>٦</sup>

٢ - تفسير المنار، ج ١٠، ص ٢٢٢.  
٤ - تفسير المنار، ج ١٠، ص ٣٢٦ و ٣٢٨.  
٦ - المعراج والجرائح، ج ٣، ص ١٠١٤.

١ - راجع سفر عزرا، إصحاح ٨/٧-٢٦.  
٣ - سفر عزرا، إصحاح ٧/٧-٨.  
٥ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٣.



وقد روي عن ابن عباس قال أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبواس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف من وجه يهود المدينة فقالوا كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا ولا ترى غريباً أمّا الله وقد أعاد علينا التوراة بعد الاندراوس وأحيا شريعتنا بعد الانطماس<sup>١</sup>؟

ومع ذلك فإن القرآن ينسب إليهم هذا القول تعسفاً وحيداً منهم، وليس على حقيقته. «ذلك قولهم بأفواههم يُصبحون قول كذابين كفروا من قبل»<sup>٢</sup> حيث سوا إلى الله لبنات وزعموا أن الملائكة إناثاً، قولاً بلا هوادة، وعقيدة من غير مستند

قال محقق هذه وقد جرى أسلوب لقرآن على أن ينسب إلى أمة أو جماعة أقوالاً وأفعالاً مسندة إليهم في حملهم، وهي متناصرة عن بعضهم وللمراد من هذا الأسلوب تقرير أن الأمة تعدّ مكافئة في شؤونها العامة، وأن ما يفعله بعض الفرق أو الجماعات أو الرعماء يكون له تأثير في جعلتها، وأن المنكر لدى يفعله بعضهم إذا لم ينكر عليه جمهورهم ويريلوه يؤخذون به كلهم فإن تعالى: «وأتقوا بقية لأتصين الذين ظلموا منكم خاصة»<sup>٣</sup> وهذا من سنن الاحتماع لبشري أن المصائب والرزايا التي نحلّ بالأمم بفشو لمفاسد والردائل فيها لا يحتصّ الدين تنبؤوا بسك المفاسد وحدهم، كما وأن الأوبئة التي تحدث بكثرة الأقدار في الشعب وغير ذلك من الإسراف في الشهوات تكون عامة أيضاً.<sup>٤</sup>



قال الراويدي وسألوا عن قوله تعالى «فَبَدَّاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ»<sup>٥</sup> قالوا كيف جمع الله بينه وبين قوله «أَلَا أُنْذِرُكُمْ بِفِتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ لِيُبْذَلَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ»<sup>٦</sup> وهذا خلاف الأول، لأنه قال أولاً: «بَدَّاهُ» مطلقاً، ثم قال «لَوْ لَا أَنْ تَدَارِكُهُ لُتُذَّ بِالْعَرَاءِ» ففعله شرطاً

١ - جاء ذلك في حديثين عن ابن عباس تفهيم الطبري في التفسير، ج ٦ ص ٧٨

٢ - الأنفال ٨: ٢٥

٣ - التوبة ٩: ٣٠

٤ - الثعالب ٣٧: ١٤٥

٥ - تفسير المصباح ج ١٠، ص ٣٢٦، ٣٢٧

٦ - القصص ٦٨: ٤٩

الجواب: معنى ذلك: لولا أن رحمته بإجابة دعائه لسجدناه حين نبدناه بالعراء مذموماً<sup>١</sup>. فالآية الثانية لا تنفي التبدل بل تنفي التبدل في حالة كونه مذموماً فلا تنافي بين الآيتين

قال: وسألوا عن قوله تعالى: «وَأُذِ قَالِ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ»<sup>٢</sup> في حين أن اسم أبيه في التوراة تارح والصحيح أن آزر ما كان أباً لإبراهيم وقد ذكرنا في موضعه أن آزر كان عمّه، ويقال إنه تروح بأمر إبراهيم بعد موت أبيه تارح، فكان إبراهيم ربيبه وابن أخيه، واستعمال الأب في مثل هذا متعارف قال وسألوا عن قوله: «وَكُتِبُوا فِي كُتُبِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنٍ وَأَزْدَادُوا نَسْأً»<sup>٣</sup> ثم قال «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا»<sup>٤</sup> وهذا يدل على أن غيره لا يعلم مدته لشهم، في حين أنه أعلمنا بذلك في الآية الأولى

الجواب أن هذه ردة على اختلافهم في مدة اللبث حيث لا علم لهم بذلك. ولذلك بينها وأعلمهم بها وهذا يدل على حصر العلم بذلك على الله لا غيره (وسوف نذكر أن الآية نقل لقولهم، فهو مقول لهم وليس منه تعالى)

قال وسألوا عن قوله تعالى «أُخْتُ هَارُونَ»<sup>٥</sup> ولم يكن لها أخ بهذا الاسم! وقد استوفينا الكلام في ذلك، وأنه لم يرد الأحوّة في النسب، بل الانتساب إلى قبيل هارون، حيث كانت من أحفاده، كما يدل يا أخاكذيب وهو متعارف

قال وسألوا عن التكرار في سورتي برحمان ولهمسلات، وكذا التكرار في بعض القصص التي جاءت في القرآن قالوا: ليس التكرار يخلّ بفصاحه الكلام؟

لكن التكرير، سواء أكان في المعنى، نحو أظعني ولا تعصني أم في اللفظ والمعنى معاً نحو: عجل عجل، فإنما هو لتأكيد والمعنى وقد يزيد تزييماً في الكلام وروعة بالغة وإنما ذم أهل البلاغة التكرار الوقع فصلاً في الكلام ممّا لا فائدة فيه، فهو من اللغو الذي يتعاشاه الكلام البليغ

انتهى ما أردنا نقله من كتاب «الهرنج والهرنج للراوندي، وربما عمدنا إلى لنقل  
 بالمعنى أو مع يسير من إضافات أو تغييرات للاستزادة من الإيضاح<sup>١</sup>  
 أمّا التكرار في القصص فقد ذكرنا<sup>٢</sup> أنها في كل مرة تهدف نكتة غير لني جاءت  
 في غيرها ومن ثم فإنها ليست بتكرار في حقيقتها

١ - الهرايج والهرنج، ج ٢، ص ١٤-١٥-١٦ وراجع البحار، ج ٨٩، ص ١٤١-١٤٦

٢ - راجع، التمهيد، ج ٥.

## هل هناك في القرآن مخالفات

مع العلم أو التاريخ أو الأدب؟

حاشاء:

«قُرْآنًا غَرْبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَاجٍ» الزمر: ٢٨

«كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» الكهف: ٥

«ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي

شِقَاقٍ بَعِيدٍ» البقرة: ١٧٦

## مخالفات علمية؟!

هل هناك في القرآن ما يخالف العلم؟  
كَلَّا «مَا تَكُنَّ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ»<sup>١</sup>

زعموا أن في القرآن ما يخالف العلم ويحدوه شاهداً على أنه ليس من كلام الله  
العالم بحقائق الأمور «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ»<sup>٢</sup>  
ولنضع البد على موارد زعموا فيها المخلاف

ومن كل شيء خلقنا زوجين

قالوا: ومن الأحياء ما ليس له زوج كالحايا و لحيوانات الابتدائية والديدان  
تتكاثر من غير ما حصول لقاح جسي، وهكذا بعض لثمار تنعقد من غير لقاح ومن غير  
أن يكون فيها ذكر وأنثى!  
لكنها شبيهة فارغة وحسبان عقيم،

أولاً: ليست في الآية صراحة بمسألة الزوجية من ذكر وأنثى (اللقاح الحنسي) حسب المعتاد إلى الأذهان فلعَلَّ المراد بتراوح الصنفي أي المتعدد من كل صنف، كما في قوله تعالى «فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَائِهَةٍ رَوْحَانٌ» أي صنفان كناية عن التعدد من أصناف متماثلة، ذلك لأنَّ الثائِهَة ليس فيها ذكر وأنثى وليس فيها لقاح إنما اللقاح في البذرة لا الثمرة

ومثله قوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ»<sup>٢</sup> أي صنفين متماثلين والثمرَة نفسها ليس فيها تراوح جنسي

وكذلك الآية «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَ رَوْحَيْنِ»<sup>٣</sup> لعلَّها كأحتياها أريد بها الصنفان من كل نوع، كناية عن التماثل في تعدد الأشكال والألوان كما في قوله سبحانه «وَالزُّيُّتُونَ وَالرُّثْمُ مُتَشَابِهٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ»<sup>٤</sup> أي معثلاً وغير متماثل

وإطلاق لفظ التزاوج وِراده التماثل والمساكن في الصنف أو النوع غير عزيز قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْهَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»<sup>٥</sup> أي من كل نوع متساكن وقوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى»<sup>٦</sup> قال الراغب أي أنواعاً متشابهة وقوله: «فَمِنْهُنَّ أَزْوَاجٌ»<sup>٧</sup> أي أصناف

وقد يراد بالزوج القرين أي المصاحب، المرافق في أمر له شأن قال الراغب، يقال لكل قرينين في الحيوانات المتزاوجة وغيرها: زوج ولكل ما يقترب بآخر مماثلاً له أو مضاداً روح قال تعالى «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ»<sup>٨</sup> أي قُرَبَاءَهُمْ مِمَّنْ تَبْغُوهُمْ. «إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ»<sup>٩</sup> أي أشباهها وقُرَبَاءَ «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً»<sup>١٠</sup> أي قُرَنَاءَ ثلاثة وقوله تعالى: «وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ»<sup>١١</sup> فقد قبل في معناه قُرر كل شيعَة بمن شايعهم<sup>١٢</sup>

- |                    |                       |
|--------------------|-----------------------|
| ١- الرحمن ٥٥- ٥٢   | ٢- الرعد ١٣- ٣        |
| ٣- الداريات ٥٦- ٤٩ | ٤- الأنعام ٦- ١٤١     |
| ٥- الشعراء ٢٦- ٧   | ٦- طه ٢- ٥٣           |
| ٧- الزمر ٢٩- ٦     | ٨- الصافات ٣٧- ٢٢     |
| ٩- الحجر ١٥- ٨٨    | ١٠- الواقعة ٥٦- ٧     |
| ١١- التكاوير ٨١- ٧ | ١٢- المعارج ٢١٥ و ٢١٦ |

وهكذا ذكر المفسرون القدامى وهم 'عرف وأقرب عهداً بنزول القرآن وبمواقع الكلام الذي خاطب به العرب آنذاك

قال الحسن - في قوله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» -: السماء زوج والأرض زوج، والشتاء زوج والصيف زوج، وليل زوج والنهار زوج، حتى يصير إلى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء.<sup>١</sup>

وعن قتادة - في قوله تعالى: «قُلْنَا اخْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» -: قال، من كل صنف اثنين.

قال الطبري: وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين الزوجان - في كلام العرب - الاثنان قال ويقال، عليه زوجا بعد إذا كانت عليه نعلان ولا يقال عليه زوج نعال وكذلك، عنده زوجا حمام، وعليه روحا فيود قال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»<sup>٢</sup> فإنما هما اثنان

قال، وقال بعض البصريين من أهل العربية - في قوله «قُلْنَا اخْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» -: جعل الزوجين الضربين الذكور والإناث قال وزعم يونس أن قول الشاعر وأنت امرؤ تعدو على كل غريم فنحطي فيها مرةً ونصيب<sup>٣</sup> يعني به (بالمرء) الذئب وهذا أشد من ذلك (أي إطلاق المرء على الذئب أشد من إطلاق الزوج على كل ذي صنف)

وقال آخر الزوج اللون، وكل صرب يدعى لوناً، واستشهد بيت الأعشى وكل زوج مسن الديباج يلبسه أبوقدامة محبوبٌ بذلك معاً<sup>٤</sup> وقال ليبد.

وذي بهجة كن المقارب صوته وزينه أزواج نور مشرب<sup>٥</sup>

١ - جامع البيان، ج ١٢، ص ٢٦ ذيل الآية «فَلَا اخْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» هود ١١ - ٤٠.

٢ - هود ١١، ٤٠. ٣ - النجم ٥٣: ٤٥.

٤ - خطاب إلى الذئب - هي استمارة تعجيبة - بأنه يحسن على ما تعامل من صيد فقد يصيبه وعد لا يصيبه.

٥ - أي وكل صنف من الديباج - الخشب المسجج من الحرير - يلبسه ويحتجى به.

٦ - جامع البيان، ج ١٢، ص ٢٥-٢٦ ومضى البيت أن صوت المقارب وهي جماعة الخيل تجتمع للعارف. كن المقارب.

قال ابن منظور: والزوج، الصنف من كل شيء. وفي التنزيل «وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ»<sup>١</sup> قيل: من كل لون أو ضربٍ حَسَنٍ من النبات. وفي التهذيب والزوج اللون وقوله تعالى: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا»<sup>٢</sup> معناه ألوان وأنواع من العذاب، ووصفه بالأزواج لأنه عني به الأنواع من العذاب والأصناف منه.<sup>٣</sup>

وأما لفظة «اثنين» فلا يُراد بها العدد وإنما هو التكثر محصاً، كما في قوله تعالى: «ثُمَّ أَزْجِجِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ»<sup>٤</sup> أي كَرَّةً بعد أخرى، وهكذا. وجاءت لفظة «اثنين» تأكيداً على هذا المعنى كما في قوله تعالى: «لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ»<sup>٥</sup> - خطاباً مع المشركين - أي لا تتخذوا مع الله آلهةً أخرى، ومن ثم عقبه بقوله: «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِذَا تَوَلَّى فَرَغَ مِنْهُ» فهو كقوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ»<sup>٦</sup> أي آلهةً أخرى كما في قوله: «وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً»<sup>٧</sup> فهو نهي عن التعدد في الآلهة، صيغت في قالب التثنية.

قال أبو علي: الزوجان - في قوله تعالى: «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ...» - يُراد به الشيعاء من جنسه ولا يراد عدد الاثنين. كما قال الشاعر:

فاعمد لما يعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

يريد: الأيدي والقوى الكثيرة كي يستطيع التغلب على الأمور.

قال: ويبيّن هذا المعنى أيضاً قول الفرزدق:

وكل رفيقي كلّ رجلٍ وإن هما تعطى القنا قوماً هما أخوان<sup>٨</sup>

إذ رفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كلّ رجلٍ، وإنما يريد الرفقاء كلّ واحد مع صاحبه

يكونان رفيقين.<sup>٩</sup>

١ - سترت أي حافت صوتهم وكان مما يزيّن الأزواج من الثود جمع ثوار وهي البقرة تهر من الضلع. والمشرّب: ما ارتوى

من الحيوان.

٢ - ص ٥٨، ٥٨.

٣ - ص ٢٨، ٢٨.

٤ - ص ١٦، ١٦.

٥ - ص ١٦، ١٦.

٦ - ص ١٦، ١٦.

٧ - ص ١٦، ١٦.

٨ - ص ١٦، ١٦.

٩ - ص ١٦، ١٦.

٨ - تعطى، مخفف تعطى، حذف اللام للضرورة. جامع التوامد، ص ٣٢٤.

٩ - راجع مجمع البيان، ج ٥، ص ١٦١.



وعليه، فالزوحان في الآية لعلّه أريد بهما الصنفان المتماثلان أو المتقابلان - كما فهمه المفسرون القدماء - فلا موضع فيها بلاعراض كما زعمه الراعي وهكذا على التفسير الآخر، قال به بعض القدماء، قالوا بالتركيب المزدوج في ذوات الأشياء حسبما قرّرتة الفلسفة إنّ كلّ شيء متركّب في ماهيته من جوهر وعرض وفي وجوده من مادة وصورة، وهكذا

قال الراغب - في قوله تعالى «شيعن أدي خلق الأرواح كلّها بما تتيث الأرض ومن أنفسهم وما لا تغلّون»<sup>١</sup> وقوله «ومن كلّ شيء خلقنا زوجين»<sup>٢</sup> - تسبب أن الأشياء كلّها مركّبة من جوهر وعرض ومادة وصورة، وأن لا شيء يتعرّى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً وأنه لا بدّ له من صانع، سبباً أنّه تعالى هو الفرد

وقوله «خلقنا زوجين»، يبيّن أن كلّ ما في العالم روح من حيث أن له صدأ أو مثلاً أو تركيباً ما، بل لا ينفك بوجه من تركيب قائم، وإيها ذكرها هنا زوجين تشبيهاً أن الشيء وإن لم يكن له ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض، وذلك زوحان<sup>٣</sup> ثانياً، فليعرض إرادة الفتحاح الجسمي بين ذكر وأنثى في عامّة الأشياء، كما فهمه المتأخرون، وليكون ذلك دليلاً على الإيعاز لعلمي في القرآن، فلا دليل على عدم الاطراد حسبما زعمه لمعارض فإنّ المنقح متناسلي ظاهرة طبيعة مطردة في عامّة الأحياء نباتها وحيوانها وحتى لديدن وانبجوات لأولية بصوره عامّة على ما أثبتته علم الأحياء

قال المراغي - في قوله تعالى «ومن كلّ الثمرات جعلنا زوجين اثنين»<sup>٤</sup> - أي وجعل فيها من كلّ أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكر وأنثى حين تكوّنهما فقد أثبت العلم حديثاً أن الشجر والزرع لا يولدن لثمر واحد إلا من اثنين ذكر وأنثى وعضو الذكر قد يكون في شجرة وعضو الأنثى في شجرة أخرى كالنخل، وما كان العصوان فيه في شجرة واحدة، إمّا أن يكونا معاً في زهر واحد كالتفاح، وإمّا أن يكون كلّ منهما في زهرة

وحدّها كالقرع مثلاً<sup>١</sup> وهكذا ذكر الطنطاوي في تفسيره<sup>٢</sup> وغيره

قال العلامة الطباطبائي: ما ذكره وإن كان من الحقائق العلمية التي لا عار عليها إلا أنه لا يساعد عليه ظاهر الآية من سورة الرعد نعم يتناسب مع ما في سورة يس من قوله تعالى «سبحان الذي خلق الأزواج كلها» والآية ١٠ من سورة لقمان والآية ٤٩ من سورة الذاريات<sup>٣</sup>

قال سيّد قطب: وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض - وربما في هذا الكون إذ أن التعبير لا يختص لأرض - قاعدة الزوجية في الخلق وهي ظاهرة في الأحياء ولكن كلمة «شيء» تشمل غير الأحياء أيضاً والتعبير يقرّر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية

وحين نتذكّر أن هذا النصّ عرفه البشر منذ أربعة عشر قرناً وأن فكرة عموم الزوجية - حتّى في الأحياء - لم تكن معروفة حينذاك فصلاً على عموم الزوجية في كلّ شيء، حين نتذكّر هذا بعددنا أمام أمر عجيب عظيم، وهو يطلّعنا على الحقائق الكونية في هذه الصورة العجيبة المكمّلة كلّ السكراً

كما أن هذا النصّ يجعلنا نرجّح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة في طريق الوصول إلى الحقيقة، وهي تكاد تقرّر أن بناء الكون كلّ يرجع إلى الذرّة، وأن الذرّة مؤلّمة من زوج من الكهرباء موجب وسالب ففد تكون تلك البحوث إذن على طريق الحقيقة في ضوء هذا النصّ العجيب<sup>٤</sup>.

وجاء في مجلّة عالم الفكر الكويتية العدد الثالث (ج ١، ص ١١٤). ممّا يستوقف الذهن إشارة القرآن أن أصل الكائنات جميعاً تتكوّن من زوجين اثنين وقد اكتشف العلم الحديث وحدة التركيب الذري للكائنات على اختلافها وأن الذرّة الواحدة تتكوّن من إلكترون وبروتون، أي من زوجين<sup>٥</sup>.

٢ - تفسير الجواهر للطنطاوي، ج ٧، ص ٨٠.

١ - تفسير المراغي، ج ١٣، ص ٦٦.

٣ - تفسير الميراث، ج ١١، ص ٣٢١.

٤ - في ظلال القرآن، ج ٢٧، ص ٢٤ مجلّد ٧، ص ٥٨٧-٥٨٨.

٥ - بنقل مفيد في تفسيره المبين ص ٦٩٥ ذيل الآية ٤٩ من سورة الذاريات.

وقد أثبت علم الأحياء الحديث أن الأحياء برمتها إنما تتوالد وتتكاثر بالازدواج التناسلي، وحتى في الحيوانات الابتدائية ذوات الحلية الواحدة (أميبا) والديدان أيضاً ففي مستعمرة الفلنكس (مجموعة خلايا كثيرة تتألف من نحو ١٢٠٠٠ حلية مرتبطة ببعضها بواسطة خيوط بروتوبلازمية فتم بذلك لاتصال التسلسلي بين الوحدات) تظهر خلايا التناسل الذكرية والأنثوية بشكل مختصرتين إحداهما حُجيرة تناسل ذكرية، والأخرى حُجيرة تناسل أنثوية<sup>١</sup> وهكذا تحتوي كل دودة على أعضاء تناسل ذكرية وأنثوية نامية ويتم الإخصاب داخل جسم الدودة فتخرج البيوض مخصصة لتحييد دورة حياة جديدة<sup>٢</sup> وفي مثل الديدان التي تتكاثر بالانقسام فإن جهاز التناسل توحد في نفس الحيوان بشكل أعضاء تناسليه ذكرية وأنثوية على ما شرحه علم الأحياء<sup>٣</sup>

#### ولكن تغنى القلوب التي في الصدور<sup>٤</sup>

كانت العرب ولعل الشريعة جمعاء ترى من القلب - ومحل الصدر - مركزاً للتعقل والإدراك وكذا سائر الصفات النفسية، وذلك باعتبار كونه منشأ الحيوية في الإنسان فمن القلب تنبت الحياة وتزدهر الحيوية في الإنسان، ومنها النشاط الفكري وتجوال الحواس وسائر أحوال النفس من حب وبغص وإبتهاج وامتناع!

هذا مع العلم بأن البشرية عرفت - منذ أئوف السنين - أن مركز الإدراك هو المخ ومحل الدماغ من الرأس، ومنه اشتقاق الرئاسة لمركزية التدبير إذن لم تكن مركزية الدماغ للإدراك مما تجهله العرب وسائر الناس، فما وجه التوفيق؟

وقد رجح ابن سينا أن يكون المدرك هو القلب وأن الدماغ وسيلة للإدراك فكما أن البصر والسمع يحصلان في مراكزهما من المخ وتكون العين والأذن وسطاً لهذا الحصول

١ - راجع كتاب الحيوان للدراسات العليا في جامعته بغداد ص ٣٩ الشكل ١٤

٢ - المصدر ص ١٠٥

٣ - المصدر ص ٨٦

٤ - الحج ٢٢: ٤٦

كذلك الدماغ وسط للإدراك والتفكير <sup>١</sup> «إن في ذلك لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» <sup>٢</sup>

وبذلك يتلخص الإنسان - في نشاطه الفكري والعلمي - في قلبه، ويتحد القلب مع النفس والروح في التعبير عن حقيقة الإنسان ذاته «قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ نُظُنُّنْ قُلُوبَنَا» <sup>٣</sup> أي نفسي

قال العلامة الطباطبائي لما شاهد الإنسان أن الشعور والحس قد يبطل في الحيوان أو يعيب عنه بإغماء أو صرع ونحوهما ولا تبطل حياة مادام القلب نابضاً، قطع بأن منشأ الحياة هو القلب وسرت منه إلى سائر الأعضاء وأن الآثار الروحية وكذا الأحاسيس المتواحدة في الإنسان - من مثل الشعور والإرادة والحب والبغض والرجاء والخوف - كلها للقلب، بعناية أنه أول متعلق للروح وهذا لا يماهي كون كل عضو من الأعضاء مدماً لعمل يخصه، كالدماغ للفكر والعين للإبصار والأذن للسمع والرتين للشم ونحو ذلك، فإنها جميعاً بمنزلة الآلات والوسط إلى ذلك

قال، ويؤكد ذلك بما وجدته التجارب العلمية في الطيور، لاتموت بفقد الدماغ، سوى أنها تفقد الشعور والإحساس، وتبقى على هذه الحال حتى تموت بفقد المواد العذائية وإيقاف نبضات القلب

والبحوث العلمية لم توفق لحد الآن لعثور على مصدر الأحكام الجسدية أعني عرش المدير في البدن، إذ أنها في عین النشئ وانفرد في نيتها ونوعيه عملها، هي مجتمعة تحت لواء واحد ومؤتمرة بأوامر أمير واحد، وحدة حقيقية من غير انقسام. وليس ينبغي زعم التعافل عن شأن الدماغ وما يخصه من أمر الإدراك. وقد تنبه الإنسان لما عليه الرأس من الأهمية في استواء انجسد منذ آدم الرمان، وقد جرى على ألسنتهم التشبيه بالرأس والاشتقاق منه حيثما يريدون التعبير بالمبدئية في أي شيء.

ولكن مع ذلك نراهم ينسبون الإدراك والنعور وكذا صفات النفس - ممّا للشعور فيه حظ - إلى القلب المراد به الروح لساوية على البدن والمديرة له، كما ينسبونها إلى النفس بمعنى الذات فلا فروق بين أن يقال هو لك قلبي وهو لك نفسي فأطلق القلب وأريد به النفس، باعتبار كونه مبدأ جميع الإدراكات (العقيدة) والصفات (النفسية) وفي القرآن الشيء الكثير من ذلك. قال تعالى «يُفْرَخُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ»<sup>١</sup> «يَضِيقُ صَدْرُكَ»<sup>٢</sup> «بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ»<sup>٣</sup> «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»<sup>٤</sup> إلى غيرها من آيات<sup>٥</sup>

#### فتنبس ضاحكاً من قولها

قال تعالى «حَتَّى إِذَا أَثَا عَلَى وَادٍ ثَمَلٍ قَالَتْ نَمَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَاحُنُ وَجُودِهِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا»<sup>٦</sup>

أفهل تتكلم النمل؟ وكيف يستمع سليمان إلى كلامها؟

والنملة وكذا سائر الحشرات ليس لها صوت وإنما تتبادل أخبارها وتتفاهم بعضها مع بعض عن طريقه إشعاع أمواج لاسلكية، وهكذا يسمى الأخبار وكذا عن طريقة الشم، ممّا لأصلة له بالكلام الصوتي

لكن العدة أن للحيوانات برمتها منطقاً في طريقه خاصه للتفاهم مع بعضها، سواء أكان ذلك عن طريقة إيجاد أصوات خاصة كما في الدواب والطيور أم بطريقة أخرى (إشعاع أمواج لاسلكية) كما في الحشرات، الأمر الذي يمكن الوقوف عليه بطريقة ماء، وبالفعل قد عرف شيء من منطق البهائم وحتى بعض الحيتان في البحار ولا يستحيل في قدرة الله تعالى أن يعلم نبيه منطق الطير وسائر حيوان يقول تعالى - حكاية عن سليمان -: «عَلَّمَ مَثْنَى الطَّيْرِ وَالْوَيْسَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>٧</sup>

٢ - الحجر ١٥ و ١٧

٤ - المائدة ٥: ٧

٦ - النمل ٢٧ و ٢٨ و ٢٩

١ - الأنعام ٦: ١٢٥

٣ - الأعراب ١٠: ٣٣

٥ - تفسير الميراث، ج ٢، ص ٢٢٤-٢٢٥

٧ - النمل ٢٧: ١٦

يقول الأستاذ الطنطاوي: ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوة التي تمكن الشخص من نقل آرائه إلى شخص آخر بدون أية واسطة مادية أو ظاهرية، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل لوقوع؟ وجابةً على ذلك يقول العالم الإنجليزي «برسي»: إن نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شادة وحالات خاصة، وذلك ما لا يعارض فيه أحد من الباحثين، ولكنه لا ينطبق على الحالات العامة، وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات قد اقتربت حشرة من أخرى، قال: وبذلك نعرف أن الحيوانات تكلم بعضها بنقل الخواطر، ولعل من هذا القبيل، وأن الإنسان مستعد لذلك لأنه من جملة مواهبه، ولكن هذه الموهبة تجيء تارةً بطريق الوحي الغارق للمعادة ونارةً بالتمرين<sup>١</sup>

#### فخلقنا المصنعة هظاماً؟

رغموا أن القرآن ذكر مراحل تكوين أنجنتين فيما يخالف العلم الثابت اليوم! ففي قوله تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَحَنَظًا عَلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعِظَامَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»<sup>٢</sup>

جاء في تفسير الجلالين «عَلَقَةً» دماً جامداً «مُضْغَةً» لحمه قدر ما يمتدغ<sup>٣</sup> وهكذا جاء في تفسير المراغي<sup>٤</sup> وغيره من المتأخرين ومعنى ذلك: أن النطفة تحولت دماً متخثراً، وتحول الدم إلى مضغة أي لحمه شبه ممضوغة أو بقدرها، ثم تحولت اللحم إلى لعظام الأمر الذي يتنافى مع العلم القائل بأن اللحم يبيت على العظام بعد خلقها، كما هو صريح القرآن أيضاً «فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» وهذا يبدو متناقضاً!

٢ - المؤمنون ١٢، ١٤-١٤

١ - تفسير الجواهر، ج ١٢، ص ١٥٨-١٥٩

٤ - تفسير المراغي، ج ١٨، ص ٨٠

٣ - تفسير الجلالين، ج ٢، ص ٤٤

غير أن هذه الشبهة نشأت من خطأ هؤلاء لمفسرين ولبست وارادة على القرآن فقد كان تعبير القرآن أن النطفة - وهي حبيّة لذكر تعتزج ببويضة المرأة - تتحوّل إلى علقه، كرة جرتوميه لها خلايا آكنة ودصمة تعلّق بوسطها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم، تتغذى بدم المرأة وهذه النطفة لصغيرة العائقة تشبه دودة العلقه التي تمتصّ الدم

ثم إن هذه العلقه تتحوّل إلى كُده عضرويه تشبه مصوغة العلك في الفم، وتكون منشأً لتكوين العظام ثم تكوين العَصَلات بعد بضعة أيّام، لتكسو العظام أي تغطّيها وتلتحم معها

ومعنى ذلك، أن العظام سبق العَصَلاب، ثم تكسو العَصَلات العظام، وصدق الله العظيم حيث يقول: «فَخَلَقْنَا الْمَصْفَةَ عِظَامًا فَكُسُوهُمَا الْعِظَامُ هَمًّا».

قال سيّد قطب وهنا يقف الإنسان مذهولاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقّة إلاّ أخيراً بعد تقدّم علم الأجنّة التشريحي ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم (العَصَلاب) وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكوّن أولاً في الجنين، ولانشاهد خديّة واحدة من خلايا اللحم إلاّ بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النصّ القرآني<sup>١</sup>

وقد أشعنا الكلام في ذلك عند الكلام عن بحار لقرآن العلمي في الجزء السادس من التمهيد

### وجعلناها رجوماً للشياطين

يبدو من ظاهر تعبير آيات قرآنية أن الجحوم جعلت شُهراً يرمى بها الشياطين. قال تعالى: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ»<sup>٢</sup>

وقال: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى

الْمَلَأَ الْأَعْلَى وَيُقَدِّقُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُوراً وَهُمْ عَدَاثٌ وَاحِشٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ<sup>١</sup>

وقال سبحانه «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُنْتَثِرَةً حَرّاً شديداً وَشُهَباً وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّعِيرِ كُنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً»<sup>٢</sup>

وقال عزّ من قائل «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَرَاقِعَاتٍ لِلنَّظِيرِينَ وَخَفِضْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مِمَّنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ»<sup>٣</sup>

غير خفي أن الشُّهُبَ والنيَّارَ إنما تحدث في الغلاف العاري (الهواء) المحيط بالأرض وقايةً لها، وقدّر سمكه بأكثر من ثلاثمائة كيلومتر وذلك على أثر سقوط أحجار هي أشلاء مسائرة في الفضاء المنيف من كوكب اندثرت بعموم عبر الفضاء، فإد ما اقتربت من الأرض انحدبت إليها بسرعة هائلة ما بين ٥٠ و ٦٠ كيلومتراً في الثانية، تحترق الهواء المحيط بالأرض، ولاحتكاكها الشديد بالهواء من جهة ولتأثير الغارات الهوائية من جهة أخرى تحترق وتذهب شعلة نار لتتحول إلى ذرّات عالقة في الهواء مكوناً منها العبار الكوي وهي في حال انفصاضها - وهي شعل ناراً - تُرى بصورة نجمة وهاجه ذات ذنب مستطيل تُدعى الشُّهُبَ والنيَّارَ

فلبست الشُّهُبَ سوى أحجار ملتزمة في الهواء المحيط بالأرض، قريبة منها فما وجه فرضها نجوماً في السماء يُرجم بها الشياطين الصاعدة إلى الملأ الأعلى؟

لكن يجب أن نعلم قبل كلّ شيء أن التعابير التراسمة - وهي آخذة في الحدث عن كائنات ما وراء المادّة - ليس ينبغي الأخذ بظاهرها اللفظي، حيث لأفهام تقصر عن إدراك ما يفوق مستواها المادّي المحدود، والأنفاز أيضاً تضيق عن الإدلاء بملك المساهيم الرقيقة البعيدة عن متناول الحسّ

ويتعبير اصطلاحياً إن الأفهام وكذا لألفاظ محدودة في إطار المادّة لكثيفة، فلا

تنال المجرّدات الرقيقة



وعليه، فكلّ تعبير جاء بهد الشار بما هو مجاز واسعارة وتمثيل بلا ريب  
فلا تحسب من تملأ لأعلى عالماً يشه عالماً الأسفل، سوى أنه واقع في مكان  
فوق أجواء الفضاء، لأنه تصوّر مادي عن أمر هو يهوق لمادة ومنحرد عنها وعليه، فقس  
كلّ ما جاء في أمثال هذه التعابير

فلا تصوّر من لشياطين أجساماً على مثال الأناسي والطيور، ولا رجمها بمثل  
رمي الشّاب إليها، ولا مرودها بمثل نور الوحش، ولا شماعها في محاولة الصعود إلى  
الملا الأعلى بالسارق المتعلّق على لحيطان، ولا قذفها بمثل قذف الفنايل والبندقيات،  
ولا الحرس الذين ملأوا السماء بالحدود المنتصّة في القلاع ولا رصدها بالكمين لها على  
عرار ميادين القتال إذ كلّ ذلك تشبه وتمثيل وتغريب في التعبير لأمر غير محسوس  
إلى الحسّ لعرض التفهيم، فهو تغريب ذهني، ثمّ الحقيقة فالبون شامع والشقة وسعه  
والمسافة بينهما بعيدة غاية التعد

قال العلامة الطباطبائي إنّ هذه التعابير في كلامه تعالى من قبيل الأمثال  
المصروية، ليتصوّر بها الأمور الخارجة عن محدوده الحسّ في صور المحسوسات  
للتقريب إلى الأذهان وهو العائل عروحن «ربّلك الأمثال بضرّها بلّس وم يتعلّها إلا  
العالمون» أي لا يتعلّقها ولا يعرف مفراها، لا من عرف أنها أمثال ظاهرية ضريت للتقريب  
محضاً.

قال وأمثال هذه التعابير كثر في نقر كالحدث عن العرش والكرسي واللوح  
والكتاب وغيرها

قال. وعلى هذا، فيكون المراد من لسماء التي ملأها الملائكة عالماً ملكوتياً هو  
أعلا مرتبة من العالم المشهود، على مثل عتلاء السماء الدنيا من الأرض والمراد من  
اقتراب الشياطين إليها واستراق السمع وتقذف بالشهب اقترابهم من عالم الملائكة  
لفرض الاطلاع على أسرار الملكوت، وثمّ طردهم بما لا يطيقون تحمله من قذائف لنور.

أو محاولتهم لتلبيس الحق الظاهر، وتَمَّ دحرهم ليعودوا خائبين<sup>١</sup> «هَلْ تَقْنِئُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْمِقُهُ فَإِذَا هُوَ رَاقٍ»<sup>٢</sup>

والآيات من سورة الجنُّ لعنْها إشارة إلى هذا المعنى، حيث هي ناظرة إلى بعثة نبي الإسلام، وقد آيس الشيطان من أن يُعبه وعلا نفيره

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وقد سمعت رُئي الشيطان حين نزل الوحي عليه عليه السلام فقلت يا رسول الله، ما هذه الرُئي؟ فقال هذا لشيطان قد آيس من عبادته»<sup>٣</sup>

يقول تعالى في سورة الجنِّ «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا ثُرَانًا عَجَبًا - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَنَّا كُنَّا الشَّيْءَ فَرَجَدْنَاهُ فُبِتْ خَرَسًا شَدِيدًا وَثُبْهَا وَأَنَّا كُنَّا نَسْفَعُهُ مِنْهَا مَعَايِدَ لِلشَّمْعِ قَدْ يَشْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَيْبًا رَصْدًا»<sup>٤</sup> فهي حكاية عن حال حاضرة وجد بها الجنُّ حينما بُعث نبي الإسلام

وبهذا يشير قوله تعالى «إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا وَذُكِّرُوا وَإِنَّا لَهُ لَحَاطِطُونَ»<sup>٥</sup> وقوله «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا»<sup>٦</sup>

نعم، كانت تلك بقية إبليس أن يلاعب بوحى السماء ولكن في خيبة آيسة «وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَقَّقَ (ظهور شريعته) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»<sup>٧</sup> أي حاول إبليس الحؤول دون بلوغ أمنيّة الأنبياء، فكان يندحر ويغلب الحقُّ الباطل وتفشل دسائسه في نهاية المطاف

أما عند ظهور الإسلام فقد حاب هو وحتوده منذ بدء الأمر وخسر هنالك المبطلون

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قَدَّمَ وَنَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجَّابَ (إِبْلِيسَ) عَنِ السَّمْعِ السَّمَاوَاتِ وَرَمَيْتِ الشَّيَاطِينَ بِالتَّجْوِمِ...»<sup>٨</sup>

١ - تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٠، قلاً مع تصرف يسير

٢ - الأنبياء ١٨، ١٩

٣ - نهج البلاغة، الخطبة القاصعة، ص ٢٠١

٤ - البعثر ١٥، ١٦

٥ - الجن ١، ٢

٦ - الحج ٢٢، ٢٣

٧ - الفتح ٤٨، ٤٩

٨ - الأمالي للصدوق، ص ٢٥٣، المجلس ٤٨ وبهذه الأثران، ج ١٥، ص ٢٥٧

وفي حديث الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه الصادق عليه السلام في جواب مسألة اليهود: «أرّ الجنّ كانوا يسرقون السمع قبل مبعث نبيّ عليه السلام فمُنعت من أوان رسالته بالرحوم وانقراض النجوم وبطلان [عمل] لكهنة ولسحره»<sup>١</sup>

وهكذا حاول الشيخ الطباطبائي تأويل ظواهر التعابير الواردة في هذه الآيات إلى إرادة التمثيل، قال - ما ملخصه - إنّ العموم لبي عرفها الناس تُردّ لأمرين إمّا لمعرفة الحقائق لإكمال العقول، أو لنظم معاش و تصدّعات تربية الجسم وإلى الأول أشار بقوله تعالى «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا»<sup>٢</sup> وإلى الثاني قوله «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ»<sup>٣</sup> وكلّ من خالف هاتين الطريقتين فهو عسى أحد حالين إمّا أن يريد استمرار أموال الناس بالاستعلاء بلا فائدة، وإمّا أن يريد الصيت والشهرة وكسب الحياء وكلاهما لا تنفع في علمه ولا فصل له فمن طلب العلم أو أكثر في تذكر ليكون عالماً على الأمتة فهو دخل في نوع الشيطان الرحيم، مرحوم مُبْعَدٌ عن إدراك الحقائق ومعذّب بالذل والهوان، وهذا مثال قوله تعالى: «إِنَّا رِئًّا السَّمَاءِ بِرِيَّةٍ الْكَوَكِبِ، وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْتَعِينُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى (فلا يعرفون حقائق الأشياء)، وَيَقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَبِيذٍ دُحُورًا»<sup>٤</sup> بما ركّب فيهم من الشهوات وما ابتلوا من العاهات «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَصَبٌّ»<sup>٥</sup> أي في مل مواصل ملارم لهم مدى الحياء فلو حاول أن يخطف خطفة من الحقائق حانت دون بلوغه لها الأعيال الباطلة «فَأَنْشَبَهُ شِهَابٌ ذَقَبٌ»<sup>٦</sup>

نعم «إِنَّ الدِّينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَّبِعْ لَهُمْ آيَاتِ السَّمَاءِ»<sup>٧</sup> ولا شك أنّها كناية عن حرمانهم العناية الربّانية المعاصرة من مذكوت أعلى الأمر الذي أُعِيِمَ به الرّبانيون في هذه الحياة «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا تَتَرَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>٨</sup> فعلائكة الرحمة تهبط إليهم وهم في مواضعهم آمنون مسقرون سائرون في طريقهم صُعْدًا إلى قمة الكمال.

١ - بعد الأتوار ج ١٧، ص ٢٢٦ عن قرب الإسناد للحميري، ص ١٣٣

٢ - الحجر ١٥، ١٦ - الأعراف ١٠، ١١ - الحجر ١٥، ٢٠

٣ - الصافات ٢٧، ٢٨ - راجع تفسير الجواهر، ج ٨، ص ٣ - ج ١٨، ص ١٠

٤ - الأعراف ٥، ٦ - فصل ٤٦، ٣٠

وكذلك قوله تعالى «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَبِشَّةً طَلِيَّةً كَشَجَرَةٍ طَلِيَّةٍ أُصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ»<sup>١</sup> أي أحد في الصعود إلى سماء العزِّ واشرف والسعادة «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»<sup>٢</sup> فما هذا الصعود وهذا لرفع إلا ترفيعاً في مدارج الكمال وهكذا جاء التعبير بفتح أبواب السماء كناية عن هطول المطر «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ»<sup>٣</sup> وأمثال هذا المعير في القرآن كثير<sup>٤</sup> والجميع معاز وليس على الحقيقة سوء في المعنويات أم الماديّات فهو كان عبداً لعاده العرب أصحاب اللغة العرباء في الجزيرة، لأرباب اللغة المعجماء من وراء الحجاز وأما النجوم التي يُرجم بها الشياطين (أباله الجنّ والإنس) مهم العلماء الرّثانيّون المتلاشون في أفق السماء، يقومون في وجه أهل الربع والباطل فيرحمهم بفدائف الحجاج المدّعة ودلائل اليّسات الباهرة، ويرمونه من كلّ جانب دهوراً

فسماء المعرفة ملئت حرساً شديداً وشهباً قال رسول الله ﷺ «يعمل هذا الدين في كلّ قرْنٍ عدول يبعون عنه تأويل الصّطيين وتحريف العالين وانحلال الجاهليين»<sup>٥</sup> وقد أطلق النجوم على أنمه الهدى ومصباح الدحي من آل بيت الرسول ﷺ فقد روى عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»<sup>٦</sup> قال النجوم آل محمد ﷺ<sup>٧</sup>

وفي حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال معاشر الناس، أبّي راحل عنكم عن قريب ومطلق إلى المعصب أوصيكم في عتري حيراً وإيتاكم والبدع، فإنّ كلّ بدعة صلالة وكلّ صلالة وأهلها في النار معاشر الناس، من اعتقد الشمس فليتمسك بالقمرة، ومن اعتقد القمر فليتمسك بالمرقدين، ومن اعتقد الفرقدين فليتمسك بالراهرة بعدى قول قولي واستغفر الله لي ولكم

١- طاهر ٣٥: ١٠

١- إبراهيم ١٤: ٢٤

٣- القمر ٥٤: ١١

٤- الأنعام ٦: ٤٤، الأعراف ٧: ٩٦، الجبر ١٥: ١٤، النبا ٧٨: ١٩

٥- معارج الأنوار ج ٢، ص ٩٣، رقم ٤٢ من كتاب العلم ٦- الأنعام ٦: ٩٧

٧- تفسير القمي، ج ١، ص ٢١١

قال سلمان: فتبعته وقد دخل بيت عائشة وسألته عن تفسير كلامه فقال: ما ملخصه: أنا الشمس وعلي القمر والفرقدان الحسن والحسين. وأما النجوم الزاهرة فالأئمة من ولد الحسين واحداً بعد واحد<sup>١</sup> كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة كما في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رحمة الله عليهما قاله في شأن أهل البيت (عليهم السلام)<sup>٢</sup>. وفي حديث أبي ذر رضوان الله عليه التعبير عنهم بالنجوم الهادية<sup>٣</sup> وأمثال ذلك كثير.

### سبع سموات هلا

قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ»<sup>٤</sup>. ظاهر التعبير أن السماوات السبع هي أجواء وأفضية متراكبة بعضها فوق بعض، لتكون الجميع محيطة بالأرض من كل الجوانب «وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا سِدَادًا»<sup>٥</sup> حيث الفوقية بالنسبة إلى جسم كروي - هي الأرض - إنما تعني الإحاطة بها من كل جانب وأيضاً فإنّ لسماء الدنيا - وهو الفضاء الفسيح المحيط بالأرض - هي التي تزيّنت بزينة الكواكب «أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فُوقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّاها وَزَيَّنَّاها»<sup>٦</sup> والظاهر يقتضي التركيز فيها، وإن كان من المحتمل تحملها بما تُشعّ عليها الكواكب من أنوارا ويبدو أن هذا الفضاء الواسع الأرجاء - بما فيه من أنجم زاهرة وكواكب مضيئة لامعة - هي السماء لأولى الدنيا، ومن ورائها أفضية ست هي أبعاد مترامية، هي مسليقة بالحياة لا يعلم بها سوى صانعها الحكيم «وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»<sup>٧</sup>. والعقل لا يفسح المجال لإنكار ما لم يبلغه العلم، وهو في بدء مراحل الأخذ إلى الكمال.

١ - بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٨٩ عن كتاب كفاية الأثر للشيخ الرافعي، باب ما جاء عن سلمان في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ٢٩٣.

٢ - بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٠٣ عن جامع الأخبار للصدوق، ص ١٥.

٣ - راجع بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٢٧٥ ٤ - للملك ١٧ ٣-٥.

٥ - النبأ ٧٨ ١٢ ٦ - ق ١: ٥٠.

٧ - الإسراء ١٧ ٨٥.

نعم، يزداد العلم يقيناً - كلما رصد ظهرة كونية - ن ما بلغه ضئيل جداً بالنسبة إلى ما لم يبلغه، وترداد ضالة كلما تقدّم إلى الأمام حيث عظمة فسحة الكون تزداد أبهة وكبرياء كلما كشف عن سرٍّ من أسرار الوجود وربما إلى غير نهاية، لاسيّما والكون هي اتساع مطرد، «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوبِعُونَ»<sup>١</sup>

هذا وقد حاول بعضهم - في تكلف طاهر - التطبيق مع ما بلغه العلم قديماً ولفي الجديد من غير ضرورة تدعو إلى ذلك ولعل الأداة، حتى يأتي يوم يساعد التوفيق على حلّ هذا المجهول من غير تكلف، كانت أفضل

يقول سيد قطب، لا ضرورة لمحاولة تطبيق هذه النصوص على ما نصل إليه علمنا، لأنّ علمنا لا يحيط بالكون حتى نقول على وجه التحقيق هذا ما يريد القرآن ولن يصحّ أن نقول هكذا إلّا يوم نعلم الإنسان تركيب لكون كلّ علماً يقينياً، وهيئات<sup>٢</sup>

وإليك بعض محاولات القوم حاول بعض القدماء تطبيق التعبير الوارد في القرآن على فرضية بطليموس لهيئة الأفلاك التي هي مدارات الكواكب فيما حسبته حول الأرض<sup>٣</sup> ولكن من غير جدوى. لأنّ الأفلاك في مرعومته تسعة، ومن ثمّ أضافوا على

١- الذاريات ٥٦: ٤٧

٢- في ظلال القرآن، ج ٢٨، ص ١٥٢

٣- زعموا أنّ الأرض في مركز العالم، وأنّ القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل سيارتات حولها، في مدارات هي أفلاك متراكبة بعضها فوق بعض بعضاً ترتيبه وكل واحد منها في صلي دائرة حول الأرض من الغرب إلى الشرق في حركة معاكسة لحركتها اليومية من الشرق إلى الغرب حتى أثر بحريك الفلك التاسع المستوي عندهم بعدك الأفلاك أو بالفلك الأطلسي، لعدم وجود جسم به وثق السجوم الثوابت فهي مركورة هي الفلك الثامن. فهذا تسعة أفلاك سبعة بالأرض بعضها فوق بعض.

وهكذا جاء في إنجيل برنابا من كلام المسيح عليه السلام أنّ السماوات تسع، فيها السيارات، وتبعد إحداها عن الأخرى مسيرة خمسمائة عام.

ولمّا رجعت فلسفة اليونان إلى العربية، ودرسها علماء الإسلام ونحو بأنّ الأفلاك تسعة، وقال بعضهم، هي سبع سماويات، وألكروسي فلك الثوابت، والعرش هو الفلك المحيط

والترتيب أنّ مثل محيي الدين ابن عربي اعترّف بهذه العربية وحسبها حقيقة وبنى عليها معارفه الإشرافية فيما رسم. (راجع الفتوحات المكية الباب ٣٧٦ والفصل الثالث منه ج ٣، ص ٤١٦ و ٤٣٣، وكلّ الفصّل الإدرسي من لخصوص

الحكم، ج ١ ص ٧٥). وهكذا شجها العلماء بها ما لدينا من كتابه تشرّيع الأفلاك وهو عجيب! ولقد أعجبتني كلام أبي الحسن علي بن عيسى الرّماني المصري في تفسير الآية حيث أنكر إرادة الأفلاك البطلموسية من السماوات السبع في القرآن، محبّجاً بأنّه تفسير يحالف ظهراً النصّ. رجع تفسير النبيان للشيخ الطوسي، ج ١، ص

السموات السبع - الواردة في القرآن - عرش والكرسي ليكتمل التسع ويحصل التطابق بين القرآن وفرصية أساسها الحدس والتحسين المحرّد

وأما المحدثون فحاولوا انطيق على المطرة الكورنيكة الحديثة، حيث الشمس هي نواة منظومتها والكرات دائرة حولها ومنه الأرض مع قمرها<sup>١</sup>

زعموا أنّ المراد بالسموات السبع، هي الأجرام السماوية، الكرات الدائرة حول الشمس، تُرى فوق الأرض في فضاء دسموات - هي تعبير القرآن على هذا الفرض - هي الأحرام العالقة في جو السماء (وكان جدير أن يقال - بدل السموات - السماويات)

يقول الشيخ الطبطبائي هذا هو الذي عرفه الإنسان اليوم من السموات فقائس بين ما ذكره علماء الإسكندرية بالأمس، وس ما عرفه الإنسان الآن إنّ عظمه الله بجلب في هذا الزمان إذن فما جاء في إجيل برناه مستأ على علم الإسكندرون أصبح لاقيمة له بالنسبة للكشف الحديث الذي يوفق القرآن<sup>٢</sup>

ويزداد تبجحاً قائلاً إذن دين الإسلام صدر الكشف الحديث موافقاً له وهذه معجزة جديدة جاءت في زماننا

ثمّ بورد أسنده وُحّيت إليه، منها التعبير بالسبع فيحسب أنّ العدد غير حاصر، فسواء قلب سبعا أو ألفاً فذلك كله صحيح بكلّ ذلك من فعل الله دالّ على جماله وكماله

١ - جاءت النظرية على الأساس التالي

١ - الشمس نواة المنظومة

٢ - بجمعه فلكان. بعدها عن الشمس ١٣ مليون ميلاً ودورها المحوري ١٨ ساعة، ودورها حول الشمس ٢٠ يوماً

٣ - كوكب عطارد، بعدها ٣٥ مليون ميلاً، دورها المحوري ٢٤ ساعة و ٥ دقائق، حول الشمس ٨٨ يوماً

٤ - الزهرة، بعدها ٦٦ مليون ميلاً، دورها المحوري ٢٢ ساعة و ٢٢ دقيقة، حول الشمس ٢٢٥ يوماً.

٥ - الأرض، بعدها ٩٣ مليون ميلاً، دورها المحوري ٢٤ ساعة، حول الشمس ٣٦٥ يوماً

٦ - المريخ، بعدها ١٤٠ مليون ميلاً، دورها المحوري ٢٤ ساعة و ٣٨ دقيقة، حول الشمس ٦٨٧ يوماً

٧ - المشتري، بعدها ٤٧٦ مليون ميلاً، دورها المحوري ١٠ ساعات، حول الشمس ١٢ سنة

٨ - زحل، بعدها ٨٧٦ مليون ميلاً، دورها المحوري ١٠ ساعات و ١٥ دقيقة، حول الشمس ٢٩ سنة ونصفاً

٩ - أورانوس، بعدها ١٧٥٢ مليون ميلاً، دورها المحوري ١٠ ساعات، حول الشمس ٨٤ سنة وأسيوماً

١٠ - نبتون، بعدها ٢٧٤٦ مليون ميلاً، دورها المحوري مجهول، حول الشمس ١٦٤ سنة و ٢٨٥ يوماً

راجع: الهيئة والإسلام للسيد هبة الدين الشهرستاني، ص ٦١-٦٢

٢ - تفسير العواهر ج ١، ص ٤٩ الطبعة الثانية

وأخيراً يقول إن ما قلناه ليس المقصد منه أن يخضع القرآن للمباحث [العلمية] فإنه ربما يبطل المذهب الحديث كما يبطل المذهب القديم، فالقرآن فوق الجميع وإنما التطبيق كان ليأنس المؤمنون بالعلم ولا يعرفوا منه لظاهر مخالفته لألفاظ القرآن في نظرهم<sup>١</sup> وللسيد هبة الدين الشهرستاني - علامة بغداد في عصره - محاولة أخرى للتطبيق، ففرض من كل كرة دائرة حول الشمس ومنها لأرض أرضاً والحوّ المحيط بها سماءً فهناك أرضون سبع وسماوات سبع الأولى هي أرضنا وسماؤها الغلاف الهوائي المحيط بها والأرض الثانية هي الزهرة وسماؤها الغلاف البحاري المحيط بها والثالثة عطارد وسماؤها المحيط بها الرابعة المريخ وسماؤها المحيط بها الخامسة المشتري وسماؤها المحيط بها السادسة رجل وسماؤها المحيط بها السابعة أورانوس وسماؤها المحيط بها قال ترتيبنا المختار تنطبق عليه مقالات الشريعة الإسلامية ويوافق الهيئة الكوبرنيكية

وأُسند ذلك إلى حديث عن الإمام الرضا عليه السلام سوا فيك به عند الكلام عن الأرضين السبع<sup>٢</sup>

وذكر الحقّ البلاغي أن السماوات السبع لا يمتنع انطباعها على كل واحدة من الهيئتين القديمة والحديثة، فيمكن أن يقل على الهيئة القديمة إن السماوات السبع هي أفلاك السّيارات السبع، وإن فلك الثوابت هو نكرسي في قوله تعالى «وسبع كُرْسِيُّهُ السّماوات والأرض»<sup>٣</sup> وإن الفلك الأطلس المدير - على ما رعموا - هو العرش في قوله تعالى «رَبِّ السّماوات السّبع وربُّ العرش العظيم»<sup>٤</sup>

ويمكن أن يقال على الهيئة الجديدة إن السماوات السبع هي أفلاك خمس من السّيارات مع فلكي «الأرض» و«فلكن» وعرش والكُرسي هما فلكا «نبتون» و«أورانوس» وأمّا الشمس فهي مركز الأفلاك والقمر تابع للأرض وفلكه جزء من فلكها<sup>٥</sup>

١ - المصدر: ص ٥٠-٥٦ بتصرف وتلخيص.

٢ - الهيئة والإسلام، ص ١٧٢-١٧٩

٣ - البقرة ٢: ٢٥٥

٤ - المؤمنون ٣٣: ٨٦

٥ - الهدى إلى دين المصطفى للبلاغي، ج ٢، ص ٧



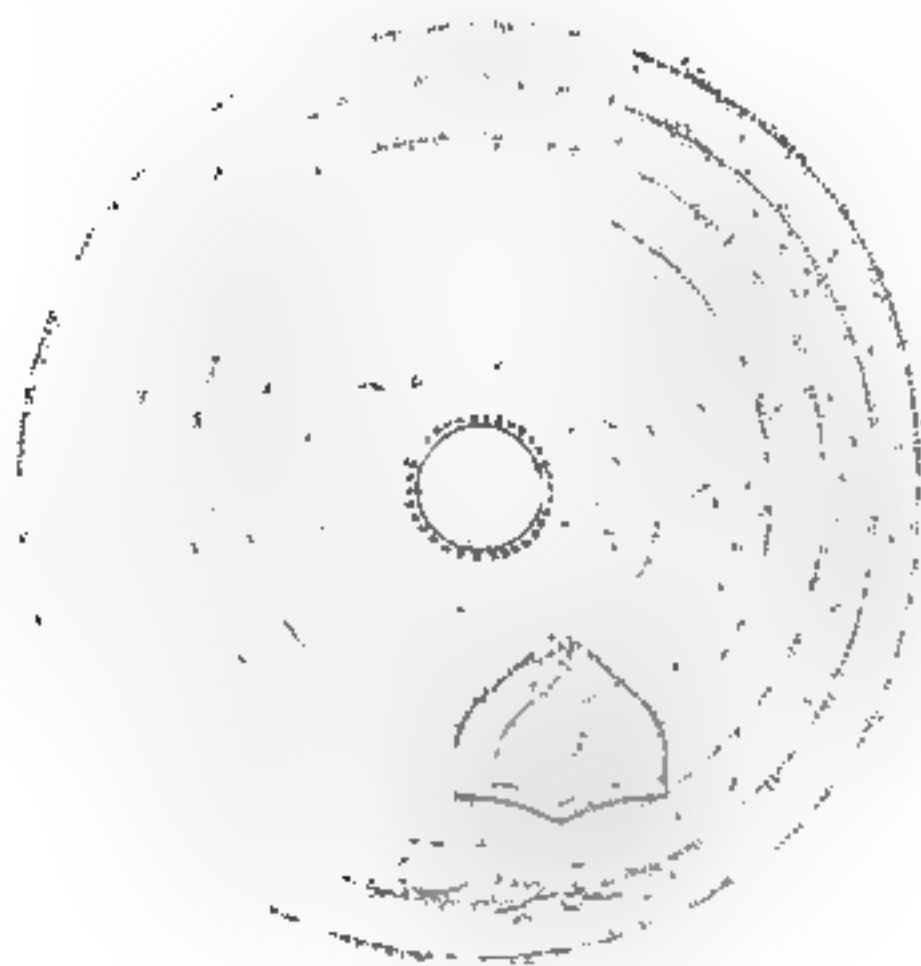
قال. والحاصل أن كلاً من وضعي الهيئة لقد بمة والجديدة يمكن من حيث انطباق الحركات المحسوسة عليه ولكنه يمكن أن يتعداه التحقيق إلى وضع ثالث ورابع، فلا يحسن الجزم بشيء ما لم شاهد بأسفصيل أو بصرحة الوحي لكن الحكمة تقتضي أن لا يتولى الوحي بصراحته بالتفصيل<sup>١</sup>

وبعد، فالطريقة السليمة هي التي سلكها سيدنا العلامة الطباطبائي، يقول  
إنَّ لمستفاد من ظاهر الآيات الكريمه - وليست نصاً - أنَّ السماء الدنيا هي عالم النجوم والكواكب فوقنا وأنَّ السماوات سبع هي أجواء متطابقة أقر بها منا عالم النجوم ولم يصف لنا القرآن شيئاً من الست البقية سوى أنها طباق وليس المراد بها الأجرام العلوية سواء من منظومتنا الشمسية أو غيرها

وما ورد من كون السماوات ماوى للملائكة يهبطون منها ويعرجون إليها ولها أبواب تفتح لنزول البركات كل ذلك يكشف عن أنَّ لهذه الأمور نوع تعلق بها لا كمنعقلها بالجسمانيات فإنَّ للملائكة عوالم مذكوتية مترتبة سميت سماوات سباعاً ونسب ما لها من الآثار إلى ظاهر هذه السماوات بلحاظ ما لها من العلو والإحاطة والشمول، وهو تسامح في التعبير تقريباً إلى الأذهان السادحة<sup>٢</sup>

ولبعض العلماء الباحثين في المسائل الروحية في إنجلترا - (هو جيمس آرثر فندلاي من مواليد ١٨٨٣م) - تصوير عن لسماوات السبع يشبه تصويرنا بعض الشيء يرى من كرة الأرض واقعة في وسط أبهاء وأفضية تحيط بها من كل الجوانب، في شكل كرات متخللة بعضها بعضاً ومتراكبة إلى سعة أطباق، كل طبقة ذات سطحين أعلى وأسفل ملوَّما بينهما الحياة الناضجة يسمَّى المجموع بعالم الأكبر الذي نعيش فيه، نحن في الوسط على وجه الأرض وهذه الأحواء المتراكبة نحيط بها طفاف بعضها فوق بعض إلى سبع طبقات، وإن شئت فعبّر بسبع سماوات، لأنها مبيتة في جهة أعلى فوق رؤوسنا، وإليك الصورة حسبما رسمها في كتابه «الكون المشهور»

شكل الأرض في الوسط تحيط به سبع أطباق هي سماءات عُلَى:



في هذا الشكل - كما رسمه «جيمس رنر مدلاي» - نجد العالم الأكبر في صورة أبهاء متراكبة بعضها فوق بعض مملوءة بالحياة، وتُرى الحياة في حركتها إلى عُلَى وأسفل في شكل خطوطٍ منحنية على السطوح وتعيش لصدان الصغيرة الحياة على الأرض أما البقعة فتُمثل الحياة الأثيرية ولاحظ أنّها ليست مقصورة على السطوح وحدها، لأنّ الأفضية بين السطوح ملؤها الحياة سابعه فيها!

## مسائل ودلائل

هنا عدة أسئلة تستدعي الوقوف لديها

١- «كُلُّ فِي قَلْبِكَ يَسْتَبْحُونُ»

قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي قَلْبِكَ يَسْتَبْحُونُ»<sup>١</sup>  
وقال: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي قَلْبِكَ يَسْتَبْحُونُ»<sup>٢</sup>

هَلَا كَانَ التعبير بالفلك متاعاً لما حسب به بطليموس؟

قلت: لا، لأنَّ الفلك لفظه عربية قديمة يُراد بها الشيء المستدير، ومن الشيء مستداره قال ابن فارس الفاء واللام والكاف أصل صحيح<sup>٣</sup> يدلُّ على استدارة في شيء من ذلك «فَلَكَةُ الْعِمْرُلُ» لاستدارتها ولذلك قيل قَلْبُ نَدْيِ الْمَرْأَةِ إِذَا اسْتَدَارَ وَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ قَلْبُ السَّمَاءِ<sup>٤</sup>

إذن، فكما أنَّ السماء مستديرة حتَّى في شكلها الظاهري، فكلُّ ما يسبح في فصاتها يسير في مسلك مستدير وبذلك صحَّت استعارة هذا اللفظ والدليل على أنها استعارة هو استعمال المعطَّاة بشأن الليل والنهار أيضاً، أي أنَّ لكلِّ ظاهرة من الظواهر الكونية مجراها الخاصَّ وفي نظام رتيب لا تجور ولا تحور

٢- «فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ»

قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»<sup>٥</sup>

أو هل كانت الطرائق هنا هي مدارات الأفلاك الطلسموسية؟

قلت: كلا، إنَّها الطرائق بمعنى مجارى الأمور في المديير والتقدير والتي هي محلُّها

السموات العلوى

١- الأنبياء ٢١، ٢٢- يس ٣٦، ٤٠.

٢- مقصوده من الأصل كونها ذات أصله هرية وليس مستعارة من لغة أجنبية.

٣- معجم معاني اللغات ج ٤، ص ٤٥٢-٤٥٣ ٤- العزيمون ١٧، ٢٣.

الطرائق: جمع الطريقة بمعنى المذهب والمسلك الفكري والعقائدي وليس بمعنى سبيل الاستطراد على الأقدام. ولم تستعمل في لقرآن إلا بهذا المعنى.

يقول تعالى: «حكاية عن لسان نوح» - «وَنُوحًا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا»<sup>١</sup> أي مذاهب شتى

«وَيَذَّهَبُ بِطَرِيقَتِكُمْ لِقُلٍّ»<sup>٢</sup> أي بذهابكم لقويم الأفضل

«إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ طَرِيقَةٌ إِنْ لَّبِثْتُ إِلَّا يَوْمًا»<sup>٣</sup> وذلك يوم الحشر يتخافت المحرمون كم

لبوا؟ فيقول بعضهم: عسراً ويقول عقلمهم وأفضلهم بصيرة «إِنْ لَّبِثْتُ إِلَّا يَوْمًا»

«وَأَنْ لَّوِ اسْتَعْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا»<sup>٤</sup> أي الطريقة المثلى والمذهب

الحق

فالمقصود بالطرائق - في الآية الكريمة - هي طرائق التدبير والتقدير، المتخذة في

السموات حيث مستقر الملائكة المدبرين أمراً والمقسمات<sup>٥</sup> «يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى

الْأَرْضِ»<sup>٦</sup> «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوقَدُونَ»<sup>٧</sup> أي تقدير أرزاقكم وكلما قدر لكم من

مجاوري الأمور «فَمُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ»<sup>٨</sup> «وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ هَآئِهِ وَمَا

نُورُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَنَظُومٍ»<sup>٩</sup>

فالتدبير في السماء ثم التنزيل إلى الأرض «وَمَا تَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ»<sup>١٠</sup> «تَنَزَّلُ

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهِ يَأْذِبُ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»<sup>١١</sup> ومن ثم تعقب الآية بقوله تعالى «وَمَا كُنَّا غِنِ

الْمُخْلِقي غافلين» قال العلامة الطباطبائي أي لستم بمنقطعين عاً ولا معزّل عن مراقبتنا

وتدبيرنا لشؤونكم، فهذه الطرائق السبع إنما جعلت ليستطرقها رسل ربكم في التقدير

والتدبير والتنزيل<sup>١٢</sup>

١ - الجي ٧٢: ١١

٢ - طه ٢: ١٣

٣ - طه ٢: ١٤

٤ - النحل ٧٢: ١٦

٥ - النازعات ٧٩: ٥، والذاريات ٥١: ٤

٦ - الجدة ٣٢: ٥

٧ - الفاريات ٥١: ٢٢

٨ - يوس ١٠: ٣

٩ - الحجر ١٥: ٢١

١٠ - مريم ١٩: ٦٤

١١ - القمر ٩٧: ٤

١٢ - راجع الميراث، ج ١٥، ص ٣١

٣- «وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُوكِ»<sup>١</sup>

ماذا يعني بذات الحُبُوك؟

الحُبُوك، جمع الحبيكة بمعنى الطريقة المتَّحدة. قال الراغب فمنهم من تصوّر منها الطرائق المحسوسة بالمحوم والمحزّات، ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة

والحُبُوك المسطّفات على وجه الماء نصامي تحصل على أثر هبوب الرياح الخفيفة وهي تكسّرات على وجه الماء كتجعّدت لشعر ويقال للشعر المجعّد: حُبُوك والواحد حباك وحبيكة قاله الشيخ أبو جعفر الطوسي في التبيان

من ذلك قول زهير يصف روضة

مكَلَّلٌ بِأَصُولِ النِّجْمِ نَسِيجُهُ      رِيحٌ حَرِيقٌ لَصَاحِي مَائِهِ حُبُوكٌ

مراده بالنجم النباب الناعم، وشبهه تربية لرياح له بالنسج، كأنه إكليل (تاج مرين بالحواهر) نسجه الرياح ووصف الريح بالحريق، وهو العاصف.

ثم وصف صاحبي مائه - وهو الصافي الزلال - بأنّ على وجهه قسّعات وتعاريج على أثر مهبّ الرياح عليه، وهو مظهر بهيج

فعلى احتمال إرادة التمرّجات المتأرجحة من الآية، فهي إشارة إلى تلكم التمرّجات المورية التي تجلّل كبد السعادة ربة لها وبهجة للناظرين، فسبحان لصانع العظيم!

٤- «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا»<sup>٢</sup>

في هذه الآية توجه الخطاب إلى عامّة لناس ولاسيّما الأمم السالفة الجاهلة حيث لا يعرفون من أطباق السماء شيئاً، فكيف يُعرض عليهم دليلاً على إتقان صنعه تعالى؟ (الآية في سورة نوح والخطاب عن لسانه موجه إلى قومه)

وهكذا قوله تعالى «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ»<sup>١</sup>

وقوله. «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحَابِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ»<sup>٢</sup>

قلت. هذا بناء على تفسير الطباق بـ «طبقات»  
هكذا فسره المشهور طباقاً، واحد فوق أخرى كالقباب بعضها فوق بعض<sup>٣</sup>  
لكن الطباق هو بمعنى لواق والتماثل في الصنع والإتقان، بدليل تفسيره بقوله تعالى «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحَابِ مِنْ تَفَافُوتٍ» أي كنهها في الصنع والاستحكام متشاكل وقد أشرب هنا معنى الالتحام والتلاصق السام بين أجزائها مراداً به الانسجام في الخلق بدليل قوله تعالى: «هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ» أي اشقاق وحلل وعدم اسجام وكذا قوله. «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» أي مفرجات وخللات توجب فصل بعضها عن بعض بحيث تصاد العظم القائم الأمر الذي يستطيع كل إنسان - مهما كان مبلغه من العلم - من الوقوف عليه إذا تأمل في العظم الساطي على السماوات والأرض

##### ٥- «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ»<sup>٤</sup>

«وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاهِظِينَ»<sup>٥</sup> «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا»<sup>٦</sup> أو هل تعني لبروح هذه ما تصوّره الفلكيون بشأن البروج الاتني عشر في أشكالٍ رسموها لرصد النجوم؟

قلت. المعني بالبروج هذه هي نفس النجوم، تشبيهاً لها بالقصور الراهية والحصون المنيفة الرفيعة، بدليل عطف السراج - وهي الشمس الواجبة - والقمر المنير عليها

١- الملك ٦٧-٣

٢- ق ٥٠، ٦

٣- راجع مجمع البيان، ذيل الآية من سورة الملك والآية من سورة بروج ج ١ ص ٣٢٢ و ٣٦٣ وروح المعاني للأفندي، ج ٢٩، ص ٦ و ٧٥ وتفسير المراعي، ج ٢٩، ص ٦ و ٨٥ وغيره

٤- الحجر ١٥-١٦

٥- البروج ٨٥، ١

٦- الفرقان ٢٥، ١١

ولا صلة لها بالأشكال الفلكية الاثني عشر

البرج - في اللغة - بمعنى الحصن والبقصر وكل بناء رفيع على شكل مسندير  
فالنجوم باعتبار إبارتها تبدو مستديرة، وباعتبار نالؤها تبدو كعبات نعوم على وجه  
السماء زينة لها، وباعتبارها مراصد لحراسة سماء «وَحَيْطُهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ»<sup>١</sup> هي  
حصون منيعة فصيح إطلاق الروح عليها من هذه الوجوه لا غيرها  
هذا، وقد حلط على لبيب من المفسرين محسوها مارل الشمس والقمر حسب  
ترسيم الفلكيين<sup>٢</sup>

وسيدنا العلامة الطباطبائي وإن كان في تفسيره لسورتى الحجر والفرقان قد ذهب  
مذهب المشهور، لكنه رحمه الله عدل عنه عند تفسيره لسورة البروج قال البروج، جمع برج  
وهو الأمر الظاهر ويعلب استعماله في القصر العالي والبناء المرتفع على سور البلد، وهو  
المراد في الآية فالمراد بالبروج مواضع الكواكب من السماء قال وبذلك يظهر أن تفسير  
البروج [في الآيات الثلاث] بالبروج الاثني عشر المصطلح عليها في علم النجوم غير  
سديد<sup>٣</sup>

وقال الشيخ محمد عبده، وفُسرَت بُروج النجوم وبِالبروج الفلكية وبالقصور  
على التشبيه، ولا ريب في أن النجوم أسية ضخمة عظيمة، فيصح إطلاق البروج عليها  
تشبيهاً لها بما يبنى من الحصون والقصور في الأرض<sup>٤</sup>

٦- «وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»

قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ مِنْهُ طَائِفَةً مِمَّا تَخْتَلُفُ رُكُومًا، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ  
مِنْ جِبَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُخْسِئُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَيْنًا يَشَاءُ

١ - الحجر ١٥، ١٧

٢ - تفسير الفي، ج ١، ص ١٧٣ والميراب، ج ١٢، ص ١٤٣ و ١٥٤، وتفسير ابن كثير ج ٢، ص ٥٤٨؛ وروح المعاني، ج

٢ - تفسير الفي، ج ٢، ص ٢٦٨

١٤، ص ٢٠

٤ - تفسير جزء عم لمحمد عبده، ص ٥٧





والجَمْع، فقد صارت اسماً لدي هيئة مخصوصة ولهذا لا يُسمَّى أحدٌ من أهل اللغة كلَّ جسم ضَمَّ بعضُه إلى بعض - مع اسحجار أو غير استحجار - بأنه جبل، ولا يَخْصُون بهذا للفظ إلا أجساماً مخصوصة - كما أن اسم لدابةٍ وإن كان مشقاً في الأصل من الديب - فقد صار اسماً لبعض مَادَبٍ، ولا يعمُّ كلُّ ما وقع منه الديب

قال والأولى أن يريد بلفظة سماء - هنا - ما علا من العيم وارتفع فصار سماءً لنا، لأنَّ سماءً لبیت وسمواته ما ارتفع منه وراد بالجبال تشبیهه، لأنَّ السحاب المرءكب المتراكم تشبیهه العرب بالجبال والجبال، وهذا شائع في كلامها، كأنه تعالى قال، ويُنزَل من السحاب الذي يُشبه الجبال في تراكمه نَزْدٌ

قال وعلى هذا تفسر تكون «من» لأولى والثانية لابتداء العانة، والثالثة رتبة لا حكم لها، ويكون تقدير الكلام: ويرسل من جبال هي السماء برذاً مرادف «من» كما تراد في قولهم: ما في الدار من أحد وكم أعطيته من درهم، ومالك عندي من حق، وما أشبه ذلك.

وأصاف إنه قد ظهر مفعولٌ صحيحٌ لـ «يرسل»، ولا مفعول لهذا الفعل على سائر التأويلات.<sup>١</sup>

قلت وهو تأويل وحيه لولا جانب زيادة «من» في الإيجاب  
قال ابن هشام شرط زيادتها تقدم مي ونهي أو استفهام ولم يشترطه الكوفيون  
واستدلوا بقول العرب قد كان من مطر ويقول عمر بن أبي ربيعة

ويَنمي لها حبَّها عندما      فما قال من كاشح لم يَصِرْ

أي فما قاله كاشح - وهو الذي يُضمَرُ العداوة - لم يَصِرْ

قال، وقال لفارسي في قوله تعالى: «وَنُفِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» يجوز

كون «من» الثانية والثالثة رائدتين فجوز الزيادة في الإيجاب<sup>٢</sup>

١ - الأملاني للسيد المرتضى ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ج ٢ ص ٤٠٦

٢ - مفتي الديوبند لابن هشام، حرف الميم، ج ١، ص ٢٢٥

وقال الزمخشري: «من» الأولى لا ابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض.<sup>١</sup> فالمعنى على الأول: وتنزل من السماء شيئاً من الجبال الكائنة من البرد وعلى الثاني: وتنزل من السماء من جبالٍ فيها شيئاً من البرد فقدّر المفعول به ولم يجعل «من» زائدة.

والذي ذكره الزمخشري أصح، لأنّ التقدير شائع في كلام العرب ولا سيما مع معلوميته كما هنا. قال ابن مالك: وحذف ما يُعلم جائز أما زيادة «من» في الإيجاب، فملى فرض ثبوته فهو أمرٌ شاذّ، ولا يجوز حمل القرآن عليه.

ومعنى الآية على ذلك: أنّه تعالى يُنزل من السماء ماءً من جبالٍ فيها - هي السُحب الركامية، وهي النوع الأهم من السُحب، لأنّها قد تمتد عمودياً عبر ١٥ أو ٢٠ كيلومتراً، فتصل إلى طبقات من الجو باردة جداً تنخفض فيها درجة الحرارة إلى ٦٠ أو ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر وبذلك يتكوّن البرد (خيوط ثلجية) في أعالي تلك السُحب -.

وقوله: «من برد» بيان لتكوّن تلك السُحب الجبالية (الركامية) ولو باعتبار قممها المتكوّن فيها الخيوط الثلجية (البرد).

والمعروف علمياً أنّ نمو البرد في أعالي السُحب الركامية يعطي انفصال شحنات أو طاقات كهربائية سالبة، وأنّه عند ما يتماثل داخل السحابة ويصل في قاعدتها إلى طبقات مرتفعة لحرارة فوق الصفر يذوب ذلك البرد أو يتميّع ويعطي انفصال شحنات كهربائية موجبة. وعندما لا يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة في أسفل يحدث التفريغ الكهربائي على هيئة برق، وينجم عن التسخين الشديد المفاجئ الذي يحدثه البرق أن يتمدّد الهواء فجأةً ويتمزّق مُحدثاً الرعد. وما جملجلة الرعد إلّا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات التي تحدث من قواعد السُحب لصوت الرعد الأصلي.<sup>٢</sup>

١ - الكشاف، ج ٢، ص ٢٤٦.

٢ - راجع ما سَجَّناهُ بهذا الصدد في حفل الإعجاز العلمي للقرآن في التمهيد ج ١.

وبذلك يبدو وجه مناسبة التعقيب بقوله تعالى «يَكْدُ مِنْ بَرْقِهِ يَذْقِبُ بِالْأَبْصَارِ» وكذا عند الحديث عن السحاب الثقال<sup>١</sup> فَإِنَّ الْبَرَقَ وليد هكذا سحب ركامية ثقيلة (حبية)

قال سيّد قطب إِنَّ يَدَ اللَّهِ تَرْجِي سَحَابَ وَتَدْفَعُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ثُمَّ تُوَلِّفُ بَيْنَهُ وَتَجْمَعُهُ، فَإِذَا هُوَ رَكَامٌ بِعَصَهِ فَوْقَ بَعْضٍ فَيَدَا ثِقَلٌ خَرَجَ مِنْهُ الْمَاءُ وَالْوَبْلُ الْهَاطِلُ، وَهُوَ فِي هَيْئَةِ الْجِبَالِ الضَّخْمَةِ الْكَثِيفَةِ، فِيهَا يُقَطَّعُ لِبَرْدِ السَّلْحَةِ الصَّغِيرَةِ وَمَشْهَدُ السُّحُبِ كَالْجِبَالِ لَا يَبْدُو كَمَا يَبْدُو لِرَاكِبِ الطَّائِرَةِ وَهِيَ تَعْلُو فَوْقَ السُّحُبِ أَوْ نَسِيرَ بَيْنَهَا، فَإِذَا الْمَشْهَدُ مَشْهَدُ الْجِبَالِ حَقًّا بَصْغَامَتِهَا وَمَطْطَا وَارْتِفَاعَاتِهَا وَاحْفَاطَاتِهَا وَإِنَّهُ لَتَعْبِيرٌ مَصَوِّرٌ لِلْحَقِيقَةِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا النَّاسُ إِلَّا بَعْدَ رُكُوبِ الطَّائِرَاتِ<sup>٢</sup> بَلْ وَبِمَكْنٍ مَشَاهِدَتِهَا فِي الصَّحَارِيِّ الْوَاسِعَةِ عَنِ بُعْدٍ

## ٧- «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»

قال تعالى «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَفِي الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»<sup>٣</sup>

ما تعني المثلثة؟ هل هي في الصنع والإتقان؟ أم في العدد؟ وما هنَّ على هذا الفرض؟

ولم تذكر الأرض في القرآن إلا مرة، سوى في هذا الموضع، حيث شبهه إرادة التعدّد إلى سبع أراضين، كما جاء في الحديث ودار على الألسن<sup>٤</sup> وفسّر التعدّد من وجوه.

١- سبع قطاع من الأرض على وجهها من أقاليم أو قارّات.

٢- سبع طباق من الأرض في قشرتها المبركبة من طبقات<sup>٥</sup>

١- المرعد ١٣ ١٢ والجمع في «ثقال» باعتبار كون «السحاب» اسم جنس يجمع، واحداً منها سبحانه.

٢- في خلال القرن، ج ١٨ ص ١٠٩-١١٠، المجلد ٦ ٣-الطلاق ٦٥ ١٢

٣- راجع المعراج، ج ١٩، ص ٣٧٨، وتفسير معجمه، ج ٢٤، ص ٢٦١

٣- الكواكب لسبع السيارة، كل كوكبة - ومنها أرضا - أرض، والغلاف الهوائي المحيط بها سماء.<sup>١</sup>

٤- فوق كل سماء بعد أرضا أرض وفوقها سماء فهناك سبع أرضين بعضها فوق بعض لسبع سماوات.<sup>٢</sup>

### تقاسيم الأرض

قسم الأقدمون البلاد الآهلة من الربع المعمور في القطاع الشمالي إلى سبع مناطق جغرافية طولا وجاء لتأخرون ليقسموها دائرة على حسب لمناخ لطبيعي إلى سبعة إقاليم، واحدة استوائية، واثنان حارّتان حتى درجة ٢٣/٥ عرضاً في جانبي خط الاستواء شمالاً وجنوباً، واثنان معتدليتان ما بعد خط لميل الأعظم إلى مداري الخط القطبي، والأخيرتان منطقتا القطبين، شمالي وجنوبي وأخرى إلى قارات مألوفة، خمسة منها طهرة: آسيا، أوروبا، أفريقيا، أستراليا، أمريكا واثنان هما قطبا الشمال والجنوب في عطاء من الثلوج

### محتلمات ثلاثة

قال الحجة البلاغي يُحتمل في قوله تعالى «ومن الأرض مثلهن» وجوه ثلاثة: الأول أن يُراد مثلهن في الطبقات، باعتبار اختلاف طبقات الأرض في البدع والآثار.

الثاني: أن يُراد مثلهن في عدد القطع ومواضع المعتد بها كآسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية واسراليا، وأرض لم تكشف بعد أو لاشتتها الحوادث البحرية وفتنتها بالكلية أو بقي منها بصورة جُرر متفرقة صغيرة أو هي تحت لقطب الجنوبي على ما يظن البعض

١- راجع، تفسير الجواهر، ج ١، ص ٤٩.

٢- راجع، للهيئة والإسلام، ص ١٧٩، وتفسير الميزان، ج ١٩، ص ٣٧٩-٣٨٠.

الثالث: أن يُراد بالمماثل للسموات هو غير أرضنا بل ما هو من نوعها، فيُراد منه ذات السيّارات على الهيئة الجديدة، أو ما هو مسكون من الكواكب ولم يظهر للاكتشاف<sup>١</sup>

### أرضون لا تُحصى

قال الشيخ الططاوي في تفسير الآيه أى وحلق مثلهنّ في العدد من الأرض وهذا العدد ليس يقتضي الحصر، فإذا قس عددي جودان تركب عليهما أنت وأخوك، فليس يمنع أن يكون عندك ألف جواد وجواد هكذا، فقد قال علماء الملوك: إن أقلّ عدد ممكن من الأرضين الدائرة حول الشمس العظيمة التي نسميها بحوماً لا يقلّ عن ثلاثمائة مليون أرض. هذا فيما يعرفه الناس وهذا القول من هؤلاء ظني، فدم بدع أحدّه أنه رأى وقطع بشيء من ذلك، اللهم إلا علماء الأرواح، فإنهم لما سألوها قالت عسدتا كواكب أهله بالسكّان لا تُحصى عددها، وفيها سكّان أنتم بالنسبة إليهم كالتمل بالنسبة للإنسان وأيّ ذلك بما نقل عن «غزاليو» عند ما أحضرت روحه بعد الصمات<sup>٢</sup>

وهكذا ذكر الشيخ المراغي وعقّبه بما روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال ما السماوات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة<sup>٣</sup>

وروي ابن كثير أحاديث تنمّ عن أرضين سبع أهلة بالسكّان، وقد بعث إليهم أنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ زعموا صحّة أسانيدها<sup>٤</sup>

وهكذا روي روايات هي أشبه بروايات إسرائيلية، وفيها الفث والسمين<sup>٥</sup>

وفي حديث زينب العطار عن رسول ﷺ إن هذه الأرضين واقعة تحت الأرض التي نعيش عليها واحدة تحب أخرى كلّ واحدة بالنسبة إلى الأخرى التي تحبها كحلقة ملقاة في فلاة قفر، حتّى تنتهي إلى السابعة، ولجميع على ظهر ديك، له جناحان إلى

١- الهدى إلى دين المصطفى، ج ٢، ص ٧-٨

٢- تفسير السواهر، ج ٢٤، ص ١٩٥

٣- تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٢٨٥

٤- تفسير المراغي، ج ٢٨، ص ١٥١

٥- راجع الدر المنثور ج ٨، ص ٢١٠-٢١٢؛ وجامع البيان ج ٢٨، ص ٩٩

المشرق والمغرب ورجلاء في التغوم<sup>١</sup> والديك على صخرة، والصخرة على ظهر حوت، والحوت على بحرٍ مظلم، والبحر على الهواء، والهواء على الثرى<sup>٢</sup>

وفي حديث الحسين بن خالد عن لرسائل<sup>٣</sup> هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا فوقها قبة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبة، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية، والسماء الثالثة فوقها قبة حتى الأرض السابعة فوق السماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قبة، وعرش الرحمن فوق السماء السابعة، والتي تحتها هي أرض واحدة هي الدنيا، وأن الست<sup>٤</sup> لهن فوقنا<sup>٥</sup>

وروا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن هذه النجوم التي في السماء مدناً مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كل واحدة بالأخرى بعمود من نور طوله مسيرة مائتين وخمسين سنة، كما أن ما بين سماء وأخرى مسيرة خمسمائة عام. وأن هناك بين النجوم وبين السماء الدنيا بحاراً تصرب الريح أمواجه، ولذلك نستبين النجوم صفاراً وكباراً، في حين أن جميعها في حجم واحد<sup>٦</sup>

وغالب الظن أنها - أوجلتها - أساطير يراثيلية تسربت إلى التفسير والحديث مضافاً إليها وضع الأسادا

### المختار في تفسير «مثلهن»

ليس في القرآن تصريح بالأرضين السبع، ولا إشارة سوى ما هنا من احتمال إرادة العدد في المثلية لكن تكرر ذكر الأرض في قرآن مفردة إلى جنب السماوات جمعاً ممّا يوهم جانب هذا الاحتمال

«الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»<sup>١</sup>

«إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا...»<sup>٢</sup>

١ - تفسير نور الثقلين للحويري، ج ٥، ص ٣٦٤-٣٦٥ - تفسير البرهان ج ٨، ص ٤٦.

٢ - بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٩٠-٩١.

٣ - فاطر ١: ٥

٤ - فاطر ٣٥: ٤١

«اللَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>١</sup>  
 «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...»<sup>٢</sup>  
 «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُحْيَةٍ قَبِيضَةٌ»<sup>٣</sup>  
 «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...»<sup>٤</sup>  
 «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>٥</sup>  
 «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ فِيهَا مِنْ دَأْبٍ»<sup>٦</sup>  
 «سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ...»<sup>٧</sup>  
 «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْمُنْبِغُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ»<sup>٨</sup>  
 «قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ  
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَصَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى  
 فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا...»<sup>٩</sup>

إلى ما يقرب من مائتي موضع في القرآن، جاء اقتران الأرض واحدة بالسماوات  
 سبعة ١

فيأثرى كيف يصح اقتران الورد «جمع» في هذا الحجم من التكرار - لو كانت  
 الأرض مثل السماء في العدد السبع ١! ولا سيما في آيات التكوين، ما المبرر لذكر الأرض  
 واحدة لو كانت سبعة ١!

على أن اللام في «وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْنَتَانِ» للعهد، أي الأرض المعهودة لدى المخاطبين  
 وهم العرب يومذاك، ولا يعرفون سوى هذه الأرض التي تعيش عليها<sup>١٠</sup>

١ - النمل ٢٧، ٢٥  
 ٢ - لقمان ٣٦، ٢  
 ٣ - الروم ٣٠، ٢٦  
 ٤ - النمل ٢٧، ٨٧  
 ٥ - الزمر ٣٩، ١٣  
 ٦ - التورى ٤٢، ٢٩  
 ٧ - الزخرف ٤٣، ٨٢  
 ٨ - الإسراء ١٧، ٤٤  
 ٩ - فصلت ٤١، ٩-١٢

١٠ - وحتى البشرية اليوم لا تعرف أرضاً بهذا الاسم سوى التي تعيش عليها على أن الأرض اسم علم شخصي لهذه الكوكبة  
 نظير أسامي سائر الكواكب، وليس كالأسماء اسم جنس عامة ومن ثم قالوا: كل ما علاه سماء وما تطؤه قدمك أرض  
 قال تعالى: «وَالْأَرْضُ وَصَفْهَا لِلْأَمَمِ»، الزحمان ٥٥: ١٠

فلا بد أن هذه الأرض خلقت مثل السموات السبع، مثلاً في الإبداع والتكوين.  
هذا بالإضافة إلى أن التعبير «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهَا» - لو أريد العدد - ليستدعي أن  
يكون من هذه الأرض (بمعنى كره الأرض التي نعش عليها) جعلت سبعاً، الأمر الذي  
يعني سبع قطاع منها وهي المناطق الكبرى المعمورة منها وهذا هو المراد بالأرضين  
السبع الواردة في الأدعية الماثورة وفي الأحاديث، ودارت على ألسن العارفين  
وإطلاق الأرض على المعمورة منها شائع في اللغة، وجاء في القرآن أيضاً حيث  
قوله تعالى - بشأن المفسدين - «أَوْ يُنْفَرُوا مِنْ الْأَرْضِ» أي من البلاد العامرة حسماً لفسره  
الفقهاء

وكذا إطلاقها على مطلق المقام، كقوله تعالى «وَأَبَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ أَخْبِثَهَا»<sup>٢</sup>  
والمراد البقعة الميتة منها

وبعد، فإن قوله تعالى «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» ظاهر كل  
الظهور في إرادته سماوات سبع، وجاءت بلفظ تنكير وأرض واحدة جاءت بلفظ تعريف  
وأن لمثلها تعني جانب الإبداع والتكوين، وعلى فرض إرادة العدد فهي النطاق والمناطق  
المعمورة منها ومن ثم جاء بلفظ «وَمِنَ الْأَرْضِ» أي وحمل من هذه الأرض أيضاً سبعاً  
حسب المناطق وإلا فلو كان أراد سبع كرات من مثل كرة الأرض، لكان الأولى أن يعبر  
بسبع سماوات وسبع أرضين، وكان أحصر وأوفى بالمعنى

٨ - «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ»

يقول تعالى عن ذي القرنين: «حَقَّ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ  
حَمِئَةٍ»<sup>٣</sup>

الحمأة الطين النتن الذي تغير لونه إلى الأسود، يرسب تحت المياه الراكدة وعلى



ضفافها وحملاً مسوناً<sup>١</sup> متن وقرئ: «عين حامية» أي دافية (حارّة)  
قال المفسرون أراد ذو القرنين أن يبيع بلاد المغرب فاتبع طريقاً توصله إليها،  
حتى إذا انتهى من جهة المغرب بحيث لم يستطع تجاوزه ووقف على حافة البحر  
الأطلانطي (المحيط الأطلسي) وجد الشمس تغرب في بحر خضم يضرب ماؤه إلى سواد  
الخضرة، وكان معروفاً عند العرب سحر لطيمات، فقد سار إلى بلاد تونس ثم مراكش  
ووصل إلى البحر المحيط، فوجد الشمس كنه تعيب فيه وهو زرق اللون يضرب إلى  
السواد، كأنه حمئة.<sup>٢</sup>

والمراد بالعين لغة لواء، حيث البحر الواسع الأرحاء لا ترى له نهاية  
قال سيّد قطب والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار،<sup>٣</sup> حيث تكثر الأعشاب  
ويتجمع حولها طين لرج هو الحمأ ويوجد ليرك وكأنها عمون الماء فمرأى الشمس  
تقرب هناك «وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ»<sup>٤</sup>

قلت وسوف يأتي عند الكلام عن ذي القرنين - وأنه كوروش الهخامنشي على  
الأرجح - أنه في فوحاه غرباً في آسيا انصغرى توقف على المطقة التي تسمى باسم  
إقليم أيوتية، وهو الإقليم العربي من قاره آسيا بصغرى المطل على مضيق الدردنيل و بحر  
إيجة وما يلاصق الساحل من جزر وأشباه جزر حين توقف كوروش عند شواطئ بحر  
إيجة - وهي جزء من سواحل تركيا على البحر المتوسط - وجد الشاطئ كثير النعاريج  
حيث تتداخل ألسنة البحر داخل اليابس، ومن أمثلة هذه الألسنة البحرية خليج هرمس و  
مندريس الأكبر و مندريس الأصغر ويستمتع خليج «أزمير» إلى الداخل بمقدار  
١٢٠ كم، تحيط به الجبال البلورية من الغرب إلى الشرق على حافته، بحيث يتخذ شكل  
العين، ويصب فيه نهر «غديس» المياه المعكرة المحتملة بالطين البركاني والتراب الأحمر  
من فوق هضبة الأناضول وحين توقف كوروش عند «سارد» قرب أزمير تأمل قرص

١ - هي قوله تعالى «بَنِي هَالِكٍ يَقْرَأُ مِنْ صُحُفٍ مِنْ حَيْثُ مَشَرُّهُ» الحجر ١٥ ٢٨ وراجع الآية ٢٦ و ٢٣ من نفس

السورة

٢ - راجع: تفسير المراعي، ج ١٦، ص ١٦

٣ - في خلال القرآن، ج ١٦ ص ٦ المجلد ٥، ص ٤٠٩

٤ - واحد معاني العين، مصب ماء القناء.

الشمس و هو يسقط عند الغروب في هذا الخليج الذي يُشبه العين تماماً واختلطت حمرة الغسق بالطين الأحمر والأسود الذي ينظفه نهر غديس في خليج أزمير.. ولعلها هي العين الحمئة (الصاربة بالسواد) التي ذكرها القرآن<sup>١</sup>

### أخطاء تاريخية!

زعموا أن في القرآن أخطاءً تاريخية بجمعه بمعزل عن الوحي الذي لا يحتمل الخطأ فحاولوا جهدهم أن يعثروا على بيّنة من ذلك، ولكنهم تعثروا وفشلوا وخاب ظنهم. إذ ما حسبوه شهاداً لا يعدوا أوهاماً تنبؤك عن مبلغ جهلهم بمفاهيم القرآن ومصطلحاته الخاصة!

### مشكلة هامان

فمن ذلك ما زعموه بشأن «هامان» الذي جاء رداً لاسم فرعون في مواضع من القرآن باعتبار أنه وزيراً له أو من كبار المسؤولين في بلاطه، وقد أمره فرعون ببناء صرح - حسبوه - برج بابل - لتطلع إلى إله موسى!

وقد أثارت مسألة «هامان» جدلاً كبيراً منذ قرون على يد أبناء إسرائيل، وأخيراً على يد كبار المستشرقين أمثال «نولدكه» اردراء بشأن القرآن العظيم

جاء اسم «هامان» في القرآن في ست مواضع:

«وَمَكَنَّ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ»<sup>٢</sup>

«فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا

حاطين»<sup>٣</sup>

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ: فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَجَعَلْ لِي مَرْحَاً لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِبْنِ

موسى»<sup>٤</sup>

٢- القصص ٢٨-٦

٤- القصص ٢٨-٣٨

١- مفاهيم جغرافية، ص ٢٤٣-٢٤٤

٣- القصص ٢٨: ٨

«وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ»<sup>١</sup>  
 «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ  
 كَذَّابٌ»<sup>٢</sup>  
 «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابِ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَيَّ  
 إِلَهَ مُوسَى»<sup>٣</sup>

يبدو من هذه الآيات أن «هامان» هو على الغالب وزير فرعون، ولهذا تُكثّر  
 المفسرون أن هامان هذا كان وزير فرعون مصر ندي حكم في عهد موسى عليه السلام والمشكلة  
 التي انصبت حوله ما إذا كان هامان قد سى فعلاً برج بابل عبر مسافات شاسعة في أرض  
 العراق ممّا يلي الحجاب الشرقي للفرات، وقد بقيت آثاره لحدّ الآن على بُعد أميال من  
 مدينة الحلة الفحاه

والعض يقول إنه ساء فعلاً وسخر لذلك حمير ألف عامل عكفوا على بنائه وعند  
 ما شتده صعد فرعون إلى أعلاه ورمى مشقة ناحية السماء، فأراد الله أن يعذبهم فردّه إليهم  
 ملطّحاً بالدم، وعندها قال فرعون: لقد قتلت إله موسى! والفصّة طويلة سطرها أصحاب  
 الأساطير فيما لقوه عن قصص الأنبياء

غير أن المؤكّد أن بُرجاً لا يرتفع من لأرض سوى عدة عشرات الأمتار، لا يمكن  
 أن يبلغ به فرعون أسباب السماوات حتّى ولو صعد على أعالي الجبال الشامخات التي  
 يعدّ برج بابل تجاهها تلاً صغيراً ولهذا قال للمحرّري لعلّ فرعون قد أوهم ببناء البرج  
 لكنّه لم يفعل، أو أنّه قال ذلك ساحراً وليسين أنّه لا يمكن إثبات إله في السماء إلّا بالصعود  
 إليه<sup>٤</sup>

وهكذا قال المراعي وقال فرعون يا هامان ابن لي قصراً منيفاً عالي الذرا، علّي

٢- غافر ٥٠، ٢٣ و ٢٤

٤- التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢٥٣

١- المكيوت ٢٩ و ٢٦

٢- غافر ٤٠، ٣٦ و ٣٧

أبلغ أبواب السماء وطرقها، حتى إذا وصلت إليها ريت إله موسى، لا يريد بذلك سوى الاستهزاء والتهكم وتكذيب دعوى الرسالة<sup>١</sup>

قال سيّد قطب هكذا يمّوه فرعون بطاغية وبعاور وبدآور، كي لا يواجه الحقّ جبهة ولا يعترف بدعوة لوحدة التي نهرّ عرشه وتهدّد لأساطير التي قام عليها ملكه وبعيد عن الاحتمال أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه، وبعيد أن يكون جاداً في البحث عن إله موسى على هذا النحو المادّي الساذج، بما هو الاستهزاء والسخرية وكلّ ذلك يدلّ على إصراره على صلاله وسجّته في جهوده «وكذلك رُئيَ فرعونُ شَوْءَ غَمْدٍ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ (ولكن) وَمَا كُنْهُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ»<sup>٢</sup> صائر إلى الخيبة والدمار<sup>٣</sup>

وعلى أتمّ حال، فلس في القرآن ما يشي بأنّه نبي لصرح وصعده ورمى بسهمه حسبما سطره أصحاب الأساطير كلّ ذلك لم يذكره القرآن ولا جاء في السورة،<sup>٤</sup> ولم يعرف المصدر الذي اعتمده هؤلاء القصد صونهم من مهنتهم الاختلاق.



وأما مسألة هامان فهل كان لفرعون وزير بهذا الاسم؟

قال الإمام الرازي. قال اليهود أطبق ساحتون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون أنّ هامان لم يكن على عهد فرعون وموسى وإنما جاء بعدهما بزمانٍ مديدٍ ودهرٍ داهر، فالقول بأنّ هامان كان وزيراً لفرعون، خطأ في التاريخ على أنّه لو كان لم يكن رجلاً خامل الذكر لم يسجله التاريخ ولا جاء ذكره في تاريخ حياة بني إسرائيل<sup>٥</sup>

نعم، جاء في العهد القديم سفر «أسير» لإصحاح الثالث. أنّ هامان بن همدانا كان وزيراً للملك الفارسي «حشيارشا» لدي نصصيّ الملّك بعد أبيه «داریوش الكبير» سنة (٤٨٦ ق م)<sup>٦</sup> أي بعد فرعون موسى بعدة قرون وكان مقرّباً لديه، ثمّ غضب عليه وصلبه

١ - تفسير المراغي ج ٢٤، ص ٧١. ٢ - طبرستان، ج ٢، ص ٣٧.

٣ - في ظلال القرآن، المجلد ٧، ص ١٨٣-١٨٤، ج ٢٤، ص ٧٦-٧٧.

٤ - قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، ص ١٨٦. ٥ - تفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٦٦.

٦ - راجع تاريخ إيران ص ٩٢.

وجعل مكانه رجلاً من اليهود اسمه «مردحاي» وكان عمّ الملكة أستير زوجة الملك.<sup>١</sup>  
وهكذا زعم المستشرق الألماني «تيودور نولدكه» (Theodore Nöldeke) في  
مقال نشره أولاً حوالي عام ١٨٨٧م في دائرة المعارف البريطانية (لطبعة ٩)<sup>٢</sup> وأعاد نشره  
في كتابه تاريخ القرآن عام ١٨٩٢م.<sup>٣</sup>

غير أن المصادر التاريخية - لا يرييه وغيرها - خلّو عن ذكر رجل بهذا الاسم  
استوزره الملك «حشيارشا» ثم عرله وصلبه وأقام مكانه رجلاً باسم «مزدخاي» - كما  
تقوله التوراة الإسرائيلية -! وغالب الظن أنه من أساطيرهم البائدة ولا واقع لها أساساً.  
على أن «هامان» الذي جاء ذكره في تفرّاق - مُزدَقاً باسم فرعون وقارون - اسم  
معرب قطعاً، كما هي العادة عند العرب عند تسهيل بالفاظ أجنبية حتى العبريات حسب  
المعهود فإبراهيم، معرب أبراهام، أصله أب ر م أي الجد الأعلى وموسى، معرب موسى  
أي الشمال من الماء وسامري، معرب شمروني حسماً بذكر وغير ذلك وقد قبل إد  
«هامان» معرب «آمون» أو «مانا» كن بلفظ به رؤساء كهنة معبد آمون كبير آلهة  
المصريين في مدينة طيبة في أعالي النيل ولا عرو فإن المسسوب إلى مكان مقدس يحمل  
اسمه بالطبع، كما أن فرعون هو لقب سلاطين مصر كان بمعنى البيت الأعظم، نظير ما لُقّب  
الخلفاء العثمانيون بالباب العالي.<sup>٤</sup>

وتمثّل بعض النقوش القديمة «البيت الأعظم» الذي يحلّس فيه الملك للحكم  
والذي تتجمّع فيه دواوين الحكومة وقد اشتقت من اسم هذا البيت الأعظم الذي كان  
المصريون يطلقون عليه لفظ «بيرو» والذي ترجمه اليهود إلى «فرعوه» أو «فرعون».

١ - العهد القديم، ص ٧٨٢، وراجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٩١٨.

٢ - راجع: Encyclopaedia Britannica, 9eme ed tome XVI, p 597 (دائرة المعارف البريطانية، ص ٥٩٧، الطبعة التاسعة).

٣ - راجع: المقال في كتابه The Sketches from Eastern History, 1892, pp. 21-58 (الدفاع عن القرآن ضدّ مستقديه، ص ١٨٤).

٤ - راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٤٩، والموسوعة المصرية، ص ١٢٤ ومرهيك معين، قسم الأعلام، ج ٥، ص ٦١.

اشتق من اسمه لقب الطلح نفسه.<sup>١</sup>

وهكذا عاد اسم «هامان» معرب «أمون» طلق على كبير كهنة معبد «آمون» الذي حاز منذ الأسرة التاسعة عشر مكانة كبيرة لدى فرعون، لدرجه أنه استولى على إقليم أعالي النيل وأصبح قائد كل الجيوش وكبير خزانة الإمبراطورية والمشرف الأعلى على معابد الآلهة.<sup>٢</sup>

ولقد كان وزير فرعون يراقب فعلاً كل أعمال الباء العمومية والمالية<sup>٣</sup> وكان المشرف الأعلى على كل أعمال الملك<sup>٤</sup> وبالتالي كان كبير كهنة «أمون» يشغل منصب وزير فرعون.

فاسم «هامان» في القرآن يمثل اسم «أمون» ويسهل التقريب بين الاسمين عند ما نعرف أن «أمون» ينطق كذلك «أمانا» ويفصد منه بالاختصار «كبير كهنة» مثلما كان اسم فرعون - وهو اسم البيت الأعظم للحكومة - أصبح لقباً يلقب به ملوك مصر الذين يحكمون البلاد فهامان لقب كبير كهنة «أمون» الذي كان يشغل منصب وزارة فرعون في الشؤون المالية والعمرانية.<sup>٥</sup>

١ - راجع، قصة الحضارة لول ديورانت، ج ٢ ص ٩٢، وترجمته العربية «ماربج تمت»، ج ١ ص ١١٥.

٢ - راجع تاريخ مصر لبرستيد ص ٥٢٠.

٣ - راجع، ثقافة فرعون مصر لدوماس، ١٩٦٥ م، ص ١٥٨ (پاريس).

٤ - المصدر وراجع الدفاع عن القرآن ضد متغديه سحر رحمان بدوي ص ١٨٦.

٥ - انظر Encyclopaedia Britannica 1, p 321, col. 1, col. 1, ed 1982 (ناشر المعارف البريطانية، ج ١ ص ٣٢١، المجلد الأول، طبع ١٩٨٢).

جاء فيه: «مملكة مصر كانت في ذلك العهد (عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين) تدار أموراً على كاهل الديانة. وكانت تحكم البلاد آلهة عني وفي العقائد الرسمية السائدة وهؤلاء الآلهة مثل أمان تهي برهاى مهيوبولس. كانوا يحكمون البلاد، ويرسمون خطط الحكم بملوك مصر وكانت السياسة الحاكمة هي التي تملها معقلو كهنة معبد آمون - أى كبير الكهنة - الذي كان بدوره يحمل هذا اللقب. ونفس السبب كانت فرعون مصر قد أوكلت أمور السياسة وإدارة البلاد إلى هؤلاء الكهنة، ومن ثم حصل هؤلاء - إلى حب الفناء - على ثروات طائلة « واليك نص العبارة بالإنجليزية:

The religion of ancient Egypt was static and traditional, urging that the gods had given a good order and that it was necessary for man to hold firmly to the order. When changes did occur, religion tried to incorporate them into the system as though they came from the

فأوقد لي يا هامان على الطين!

«وَقَالَ بَرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطعم إلى إله موسى...»<sup>١</sup>  
أي فاصنع لي آجرًا، واجعل لي منه قصرًا شامخًا وبناءً عاليًا، كي أصعد وأرتقي إلى السماء فأطلع إلى إله موسى؟

هذا. وقد لهج بعض من لا خبرة له: أن البناء بالآجر والجص لم يعهد ذلك الحين، وإنما كانت البناءات بالأحجار والصخور كالأهرام والهيكل الكبير ببعلبك والمسرح الروماني ببصرى وغيرها

لكن ذهب عنه: أن صناعة الآجر واستخدامه في البناءات - وحتى الرقيقة - قد تقادم عهدها منذ بداية حياة الإنسان الحضارية، بما يقرب من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وحتى في مصر القديمة عثروا على طوابيق (جمع طابوق معرّب تاوه: الآجر الكبير) في حفريات في قاع النيل يعود تاريخها إلى (٥٠٠٠ ق م) وهكذا وجدوا مقابر على ساحل النيل مبنية بالآجر ومغلّفة بالأخشاب مما يعود تاريخها إلى (٣٠٠٠ ق م). هذا فضلاً عن بنايات آجرية في بلاد مجاورة كبرج بابل وكذا معابد آشور والسومريين (٢٥٠٠ ق م). وأخيراً فطاق كسرى من بنايات شاهپور الأول (٢٤١ م)

⇒

creation. By the time Akheaston took the throne as the fourth pharaoh named Amenhotep, the 18th dynasty (1539-1292 BC) had run for nearly 200 years, and there had been a century of imperial conquest and control of foreign lands. Egypt dominated Palestine, Phoenicia, and Nubia. The nation was powerful, rich, and courted by lesser princes. To maintain these gains, a military and political group controlled the culture. Since the Egyptian state had always been theocratic, ruled by a god or gods, according to traditional beliefs, this group interlocked with the priesthood. The richest and most powerful of the gods, such as Amon of Thebes or Re of Heliopolis, it was held, dictated the purpose of the state. The king had to apply to the gods for oracles directing his major activities. In return for wealth, elegance, and the role of the leading actor in a drama of imperial success, the pharaoh had relinquished his religious (and military) authority to others. (see also Index New Kingdom).

وغير ذلك كثير وكان معروفاً ذلك عهد، بل وقبله بكثير وإليك بعض الحديث عن ذلك.

### صناعة الآجر واستخدامه منذ عهد قديم!

لعل من أقدم صنائع الإنسان هي صناعة الآجر من الطين المشوي بالنار. ابتدعها الإنسان منذ أن اكتشف النار وعرف مفعولها في التأثير على الطين اللزج في صناعة الخزف والآجر والعتار واستخدم الآجر في بدايات ضخمة منذ عهد قديم، قد يرجع إلى عهد الحجر منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

فقد عثروا في حفريات من فاع النيل بمصر على قطعات من الآجر المصنوع من وحل النيل معروهاً مع بعراب الابل، يعود تاريخها إلى أبعد من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وهكذا وجدت على ساحل النيل آثار مقابر ستوفها مبيطة بالآجر ومعلّمة بالأخشاب ويعود عهدها إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

وقد استعمل الآشوريون الآجر والحصى في بناياتهم التقليدية ولأقواس الهلالية على الدروب والمحارب في شمالي العراق، ويعود تاريخها إلى حدود ألفي عام قبل الميلاد.

يقول «ديورانت»: هناك حوالي مدينة «أور» عاصمة ملك السومريين، في سهول بين النهرين وعلى ضفاف مصب دجلة و فرات وشواطئ خليج فارس، وجدت الكثير من آثار بنايات ضخمة مبيطة بالآجر والحصى، وفي حجم وعلى أشكال مربعة مسطحة نظير ما يستعمل اليوم لكنه أقدم وأمتن ويعود تاريخها إلى أكثر من ألفين وخمسمائة عام قبل الميلاد.

ومدينة «بابل» وهي أقدم وأشهر وكبر مدن الشرق القديم قرب الحلة وعلى مسافة ٨٠ كم من بغداد - العراق اليوم، كانت بناياتها الفخمة والقصور وبيوت الأشراف مبنية بالآجر، وكذا المعابد والأبراج العالية، وصها برج بابل المعروف مبنية بالآجر، وقد استوعبت بناية البرج أكثر من خمسة وثمانين مليون آجر، منها البقايا المبعثرة هناك،



وهي على شكل مربع مسطح متين جداً، كإنه مصنوع اليوم. ويقال لها الطابوق - والمعروف بالعرف: الطابوق - وبمعنى الآخر الكبير، معرب «تاوه» العارسة.

وهذه المدينة عربية في القدم، على ما جاء في وصف التوراة، باعتبارها كتاب تاريخ، ومن آثارها المتبقية باب عشتار وبلاط بيوحد نصر والطريق الملوكي، المفروش بالآجر الضخمة وملاطها القار، حسب وصف التوراة، وقد شاهدته بعين الوصف حينما زرت البرج بالعراق.

جاء في سفر التكوين أن الدرية من ولد نوح ارتعدوا شرقي الأرض حتى أتوا أرض شنعار (سهول بين النهرين - لعراق، وسكنوا هناك ونوا مدينة فحمة بلبنان مشوئة على نار شتاء، قالوا هدم بين أنفسا مدينة وبرحاً رأسه بالسما، فجعلوا مكان اللين الآخر وبذل الحصن القار<sup>١</sup> وهكذا نوا القصور والأبرج العالية يومذاك، وعود تاريخ أكثر النباتات المتبقية حتى اليوم إلى أكثر من ألفين وخمسمائة عام قبل الميلاد<sup>٢</sup>.

### قولة اليهود: يد الله مغلولة<sup>١</sup>

قال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُثْقِلُ كَيْفَ يَشَاءُ»<sup>٢</sup>.

قال الشيخ محمد عبده وقد جعل بعض أهل الحدال الآية من المشكلات، لأن يهود عصره ينكرون صدور هذا لقول عنهم، ولأنه يخالف عقائدهم ومقتضى دينهم ومما قالوه في حل الإشكال إنهم قالوا ذلك على سبيل الإلزام، فإنهم لما سمعوا قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُمْرُضُ اللَّهَ قَرْضاً خَساً فَيُصَاعِفُهُ لَهُ»<sup>٣</sup> قنوا من حجاج إلى القرص كان فقيراً عاجزاً مغلول الدين بل قالوا ما هو أعمد من هذا في تعميل قولهم والحرص في بيان مرادهم منه،

١ - سفر التكوين، إصحاح ١١/٢-٤.

٢ - راجع، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ١، ص ٣٧-٣٨ وقصه الحضرة الجزء الأول من المجلد الأول، ص ٢٦ ولقب نامه دهخدا وم هك معين وتاريخ مصر العديده الموسوعة المصرية، الجزء الأول، المجلد الأول، وتاريخ

٣ - المائدة ٥: ٦٤

إيران، ص ١٨٢-١٨٤

٤ - البقرة ٢٤٥ الجديد ٥٧: ١١

وما هو إلا غفلة عن جرأة أمثالهم في كبر عصرٍ على مثل هذا القول البعيد عن الأدب بُعد صاحبه عن حقيقته الإيمان، ممّر ليس لهم من الدرس إلا العصبية لجنسية والتقاليد القشرية، فلا إشكال في صدوره عن بعض المحاربين من اليهود في عصر النبي ﷺ وقد كان أكثرهم فاسقين فاسدين

وطالما سمعنا ممّن يُعدّون من المسلمين في عصرنا مثله في الشكوى من الله عزّ وجلّ والاعتراض عليه عند الصيق وفي إبان المصائب

وعبارة الآية لا تدلّ على أنّ هذا القول يقوله جميع اليهود في كلّ عصر حتّى يجعل إنكار بعضهم له في بعض العصور وجهاً للإشكال في الآية، وإلّا عزاء إلى جنسهم - في حين أنّه قول بعضهم وهو «فنحاص» رأس يهود بني قيساع وهي رواية البياض بن قيس أحد رجالهم وفي أخرى أنّه حنّ بن أحطاب - لأنّه أثر مذهب فيهم من الجرأة على الله وترك إنكار المنكر، والمقرّ للمنكر شريك الفاعل له على أنّ الناس في كلّ زمان يعرفون إلى أئمة ما يسمعون من بعض أفرادها - ولا سيّما إذا كان من أكابر القوم - إذا كان مثله لا ينكر فيهم والقرآن يُسند إلى المتأخّرين ما قاله ومعله سلفهم منذ هرون، بناءً على قاعدة تكامل الأئمة وكونها كالشخص الواحد ومثل هذا الأسلوب مأثور في كلام الناس أيضاً<sup>١</sup>

مقصوده من بعض أهل الجدل هو الإمام الرزى في تفسيره الكبير<sup>٢</sup> لكس ليس يهود عصره هم الذّبن أنكروا صدور مثل هذا القول عن سلفهم، بل حتّى في زماننا هذا اعترضت الجالية اليهودية لقاطنة في إيران وقدّمت اعتراضها إلى المجمع الإسلامي مستعلمة منشأ انتساب هذا القول إليهم

كما أنّ ظاهر القرآن أنّ هذا هو عمدة أسلافهم باعتبارهم أئمة، لا بالنظر إلى آحادٍ عاصروا عهد الرسالة قالوها عن جهالة أو مجارفة عابرة، الأمر الذي لا يستدعي نزول قرآن بشأنه!

فلا بدّ هناك من منشأ يمسّ عقيدتهم بالذات عقيدةً سرائيرية عتيقة استدعت هذا

الذمّ الشامل

وأكثر المعسّرين على رّ هذا قول صدر عنهم على سبيل الإلزام (أي على طريقة الاستلزام) وهي طريقة جدلية تُحاولُ فيها تهكيّتُ الخصم بالأخذ عليه بما يستلزمه مذهبه، أي لازم رأيه بالذات وإن لم يكن من عقيدة صاحب الحقّة قالوا لما كثرت الحثّ والرعيب على إقراض الله بالإنفاق في سيّله وبدل الصدقات - وجاء ذلك في كثير من الآيات - فعند ذلك جعلت اليهود تستهري بعقيدة المسلمين في ربّهم حيث فرضوه فقيراً محتاجاً إلى الاستقراض، وقالوا تهكماً وسُخراً «بِإِذْنِ اللَّهِ قَدِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ»<sup>١</sup> فمن كان فقيراً كان عاجزاً مكتوب البدين<sup>٢</sup>

ويرى العلامة الطباطبائي أنّ هذا الوجه يُقرب إلى الطر<sup>٣</sup>

لكن في التفسير الوارد عن أنّه أهل البيت عليهم السلام أنّ قولتهم هذه تعني عقيدتهم بأنّ الله قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئاً بعد الذي قدره الله في الأزل «حَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>٤</sup> فلا تفسير بعد ذلك التقدير متى كانت عقيدة اليهود السائدة، وتسرّبت ضمن الإسرائيليات إلى أحاديث العامة فردّ الله عليهم بأنّ يديه مبسوطتان يستصرف حيث يريد «يَقْعُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْفِثُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِذْبِ»<sup>٥</sup> «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»<sup>٦</sup> «فَعَالٌ لَدِ يُّرِيدُ»<sup>٧</sup> «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>٨</sup>

روى الشيخ بإسناده إلى هشام بن سالم عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى «وَقَالِبِ الْيَهُودَ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ»<sup>٩</sup> قال: كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر<sup>١٠</sup>  
وقال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام لسليمان بن حفص المروزي: متكلّم خراسان - وقد استعظم مسألة البدء في التكوين - أحسك صاهيت اليهود في هذا

٢ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٧.

٤ - راجع صحيح البحري، باب القدر، ج ٨، ص ١٥٢

٦ - ترجمان، ٥٥: ٢٩

٨ - طر ١: ٣٥

١٠ - بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١٣، رقم ٢٥

١ - آل عمران ٣: ١٨١

٣ - تفسير الميزان، ج ٦، ص ٣٢

٥ - الرعد ١٣: ٣٩

٧ - هود ١١: ١٠٧، البروج ٨٥: ١٦

٩ - المائدة ٥: ٦٤

البابا قال، أعود بالله من ذلك، وما قلت اليهود؟ قال قالت اليهود: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» يعنون أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً

وروى، لصديق بإسناده إلى إسحاق بن عمار عمن سمعه عن الصادق عليه السلام أنه قال في الآية الشريفة لم يعنوا أنه هكذا (أي مكتوب اليد) ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص. فقال الله جلّ جلاله تكدياً لقولهم «غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُ اللَّهِ مَتَّسُوطَةٌ يُثَبِّتُ كَيْفَ يَشَاءُ»<sup>١</sup> ألم تسمع الله عز وجل يقول «يَخُودُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُبْثِلُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>٢</sup>

قال علي بن إبراهيم - في تفسير الآية - قالوا قد فرغ من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول، بل يدها مبسوطةتان يعنى كيف يشاء أي يعدم ويؤخر ويزيد وينقص وله البداء والمشئة<sup>٣</sup>

وهكذا روى العتاشي في تفسيره عن حماد عن الصادق عليه السلام<sup>٤</sup>

ورواياتنا بهذا المعنى متضافرة

وقد تعرض الراغب الإصفهاني لذلك أيضاً قال قيل إنهم لما سمعوا أن الله قد قصى كل شيء قالوا، إذر يد الله معلونة أي في حكم العقيد لكونها فارغة<sup>٥</sup>  
ويبدو من كثير من الآيات القرآنية التي واجهت اليهود بالذات دفْعاً لمزعماتهم أن لا تبديل بعد تقدير، أن هناك عقيدة كانت تسود اليهود في عدم إمكان التغيير عما كان عليه الأزل الأمر الذي بشي بجانب من فضة الحر في الحلق والتدبير مما كانت عليه الأمم الجاهلة، ومنهم بنو إسرائيل فهذه في حادثة تحويل القبلة اعترضت اليهود على هذا التحويل، فنزلت الآية «وَلَهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُوَ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»<sup>٦</sup>  
قال ابن عباس إن اليهود استنكروا تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

١ - المصدر ص ٩٦، رقم ٢ وراجع عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٤٥، باب ١٣ رقم ١

٢ - المائدة ٦٥، ٦٤

٣ - الرعد ١٣، ٣٩ رجع كتاب التوحيد للصدوق ص ٩٦٧، باب ٢٥، رقم ١

٤ - تفسير العتاشي، ج ١، ص ١٧١ ٥ - تفسير العتاشي، ج ١، ص ٣٣، رقم ١٤٧

٦ - المبررات، ص ٢٦٣ ٧ - البقرة ٢، ١١٥

واختاره الجبائي أيضاً<sup>١</sup>

وبهذا الشأن أيضاً برئت الآلة «ما نسخ من آية أو نسخها نأت عجز منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير لم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دواب الله من ولي ولا نصير»<sup>٢</sup>

قال العلامة الطباطبائي السخ في الآلة بعم السديل في التشريع وفي التكوين معاً وذلك نظراً لعموم التعليل في ذل الآلة، حيث علل إمكان السخ - وهو مطلق إزالة الشيء عما كان عليه وتبديله إلى غيره - بعموم القدرة أولاً، ويشمول ملكه للكائنات السماوية والأرضية جميعاً

قال وذلك أن الإنكار المتوهم في لمقدم أو الإنكار الواقع من اليهود - على ما نقل في شأن نزول الآلة بالسبب إلى معنى السخ - يتعمق من وجهين الأول أن الكائن - سواء في التشريع أم في التكوين - إذا كان ذا مصدحة، فهو له واجب فوات المصدحة التي كان يختويها

الثاني أن الإيجاد إذا تحقق أصبح لوجود ضرورة لا يتغير عما وقع عليه، فهو هل الوجود كان أمراً اختيارياً ولكنه بعد بوحود حرج عن الاحتيار وأصبح ضرورة غير اختيارية

قال ومرجع ذلك إلى نفي إطلاق قدرته تعالى، فلا تعدم الكائن انحداث بعد حدوثه وإنما لقدرة خاصة بحال الحدوث ولا تشمل حالة النماء وهو كما قالت اليهود «يد الله معلولة».

قال وقد ألمح سبحانه وتعالى إلى الرد على الوجه الأول بقوله «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» فلا موضع لنوهم فوات لمصدحة القدمية بعد إمكان لتعويض عنها بمصلحة مثلها أو خير منها وعن لوجه الثاني بقوله «لم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض...» أي له التصرف في ملكه حيثما يشاء، وهو دال على عموم القدرة، في بدء

الحدوث وعبر البقاء جميعاً<sup>١</sup>

وعليه أيضاً نزلت الآية: «يَتَحَوَّلُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>٢</sup> أي يمكنه تعالى أن يزيل شيئاً عما قدر فيه ويبدله بشيء غيره، حسب علمه تعالى في الأزل بالمصالح والمفاسد المفتضية في أوقاتها وظروفها الخاصة فهو تعالى كل يوم في شأن<sup>٣</sup> ومثلها قوله تعالى «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُعْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>٤</sup> وذلك أنهم لم يربط جهلهم أنكر وإمكان التبديل في الحلق والسدير - سواء في التشريع والتكوين - حسبوا من لتغييرات لحاصلة في طول التشريع أنها افتراء على الله الأمر الذي يدل على غشائهم وجهلهم بمعام حكمته تعالى الماضية في الحلق والتدبير على طول خط لوجود

وهذا المعنى هو المستفاد من عقدهم بأنه تعالى بعد ما فرغ من خلق السماوات والأرض خلال السنة الأيام استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت جاء في سفر التكوين «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل»<sup>٥</sup>

\*\*\*

وقد يقال إن هذا المعنى لا ينسجم مع دليل الآية «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ»، حيث يستدعي هذا التعبير أن يكون النظر في صدر الآية إلى أمر البخل والتقتير في الرزق<sup>٦</sup> غير أن ذكر الإنفاق كيف يشاء - في ذيل الآية - جاء بيانياً لأحد مصاديق بسط يده تعالى وشمول قدرته، وليس ناظراً إلى الاتحصار فيه ولعل ذلك كان بسبب ما واجه المسلمين في إيمان أمرهم من نصيب وعدم التوفر في تهئة التجهيز الكافي والحصول على الإمكانيات اللازمة فأحدثت جهود في الطعن عليهم بأن ذلك هو المقدّر لهم، وليس بوسعهم تعالى أن يفسح لهم المجال أو يوسع عليهم في المعاش

٢ - الرعد ١٣، ٢٩

٤ - النحل ١٦، ١٠١

٦ - وارجع تفسير المير، ج ١، ص ٢١

١ - تفسير المير، ج ١، ص ٢٥٣-٢٥٤

٣ - الرحمن ٥٥، ٢٩

٥ - سفر التكوين، الإصحاح ١/٢

والألوهية الآبة عامة كنظيراتها، والمعبرة بعموم اللفظ دون خصوص المورد

### قوله اليهود: عَزَّيرُ ابْنُ اللَّهِ<sup>١</sup>

قال تعالى «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَّيرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ نُنْهَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُوا»<sup>٢</sup>

عَزَّير - مصفراً - هو الذي يسمته أهل الكتاب «عزرا» قال الشيخ محمد عبده، والظاهر أن يهود العرب هم الذين صفروا بالنصيفة العربية للتحبيب وصرقوه. وعندهم أخذ المسلمون والتصرف في أسماء الأعلام لمقولة إلى لغة أخرى معروف عند جميع الأمم حتى أن اسم «يسوع» فليته العرب فعالت «عيسى»

وعزرا هذا هو الذي أحيا شريعة اليهود بعد اندراسها وكتب أسفارهم من جديد بعد ضياعها لمدة تقرب من قرنين، بعد كارثة بغتة نصّر الذي شئت شملهم وأحرق كتبهم وأخرب معابدهم، ووضع السيف في رقابهم وأسر الناقين إلى أرض بابل حتى فرّج عنهم الملك داريوش عند ما فتح بابل، وساعدهم على المراجعة إلى أرض فلسطين فيمن عزم على الرجوع إليها من اليهود وعلى رأسهم عزرا - وهو عموز قد طعن في السن - فأعاد بناء الهيكل على حساب ملك فارس وهم بإحياء الشريعة وكتابة الأسفار نحو سنة ٤٥٧ ق م.<sup>٣</sup> جمعها من صدور الرجال والمعلوظ لديهم من بقايا آثار التوراة فكانت له منزلة رفيعة عند اليهود ممّا يقرب مرتبه نبيّ الله موسى ﷺ لأنه أحيا الشريعة الموسوية من جديد وأعاد حياتها بعد الصياع والاندراس

وهذا هو السرّ في تلقيبه بابن الله تشريفاً بمقامه الرفيع عندهم. كما قالوا «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ»<sup>٤</sup> أي مقربون لديه تعالى مقربة الولد من والده

ولعلّ بلقب المسيح بابن الله أيضاً من هذا الباب تشريفاً بموضعه عند الله العزيز وجملة القول، إن اليهود كانوا وعارلوا يقدسون عَزَّيراً هذا حتى أن بعضهم أو

٢ - راجع سفر عزرا، الإصحاح السابع.

١ - التوبة ٩، ٣٠

٣ - المائدة ١٨، ١٨

جلّهم أطلق عليه لقب ابن الله فهو تلقب تكريم كما في تلقب يعقوب بإسرائيل أي القدرة الغالبة الإلهية وداود بمعنى المحبوب لدى الله وجبرائيل أي الرجل الإلهي وعزرائيل أي عزّته تعالى كلّ هذه الألقاب تشريفة تكرم بمقام المتلقّين بها لكن الفيلسوف اليهودي «هينو» الاسكندري المعاصر للمسيح يقول: إنّ الله ابناً هو كلمته التي خلق بها الأشياء فعلى هذا لا يبعد أن يكون بعض اليهود المتقدمين على البعثة المحمّدية - على المبعوث وآله صلوات ربّ العالمين - قد قالوا إنّ عُريراً ابن الله بهذا المعنى، كما شاع عند النصارى أن تلقب المسيح بابن الله هو من هذا الباب<sup>١</sup>

### قال اجعلني على خزائن الأرض

قالوا لم عهد من تاريخ مصر القديمة أنّ ملوكها استوزروا أحاسب في سلطانهم، فمن هذا الملك الذي استوزر يوسف العبراني لإدارة شؤون الاقتصاد في البلاد؟ «وقال الملك اتولي به استخلصه بنفسه (أي جعله من خاصّتي) فلما كلمته قال إنك اليوم لدينا مكين أمين» قال اجعلني على خزائني<sup>٢</sup> لأزمن في حبسك عليهم<sup>٣</sup> فأصبح يوسف عرير مصر

وتزحلق بعضهم القول بعدم معهودية التوزير من أبناء اليهود<sup>٤</sup> ولم يدر المسكين أنّ يوسف سبق اليهودية بقرون وكان الذي حوّلته إرادة شؤون الاقتصاد من الملوك الرعاة (الهكسوس) وهم أجانب ومن جالية الشعوب الهندية الأوروبية سعلّوا على الشعب المصري وحكموا البلاد قسراً والذي بدأ حوالي سنة ١٨٠٠ ق م. وهو العهد الذي يمثل الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ثم السابعة عشرة في الشمال حتّى عام ١٥٧٠ ق م ليقوم «أحمس الأوّل» في وجههم ويسطردهم ويؤسّس الدولة الحديثة الأسرات من الثامنة عشرة إلى آخر العشريين وكان إذ ذاك أوّل خروج العبرانيين من مصر

١ - راجع تفسير المنار ج ٨٠ ص ٢٢٢-٢٢٨. ٢ - يوسف ١٢ و ٥٤ و ٥٥.

٣ - شعاع الدين شفا في كتابه «تولّد ديكر» ص ٢٨٦



على عهد موسى وفرعون<sup>١</sup>

### عام فيه يُغاثُّ الناس وفيه يُعَصِّرون

ويسترسل «نولدكه» في توفعاته عن لقرآن، ليزعم أنَّ هذا التعبير بشأن صعيد مصر الذي تشح فيه الأمطار يتم عن جهل بموضع هذا البلد الذي تعود حصوبته إلى فيضان النيل لا الأمطار جاء في فقرة من كتابه (Sketches ص ٣٠-٣١) حول هامان ومريم «بالإضافة إلى هذا التصوّر غير المعقول، يوحد تحويرات مزاجية شتى، بعضها يدعو للسخرية ويسبب إلى محقّق نفسه واستدل على جهله لكلّ الأمور خارج الجزيرة هو جعل الخصوبة في مصر - التي تشح فيها الأمطار - مرهونة بالأمطار وليس بميسان النيل»<sup>٢</sup>

هذا الانتقاد في غاية العباء ويتم عن جهل «نولدكه» - المستشرق المشهور - للغة العربية وللشؤون المصرية بالذات.

لقد جاء في الآية التي يستشهد بها مايلي «ثم يأتي من بعد ذلك عدم فيه يُغاثُّ الناس وفيه يُعَصِّرون»<sup>٣</sup>

وكلمة «يُغاثُّ» تحتل أن تكون من «نُفِثَ» - وهو النصرة - أو من «العيث» أي المطر «فاستغاثوا الذي من شيعته عوف الذي من عدوّه»<sup>٤</sup> أي ستصربه ومن ثم جاء في تفسير الآية «عام فيه يُغاثُّ الناس» أي يُنجى الناس من الجذب ومحنة القحط فالوا ويكون من قولهم أغاثه الله، إذا أمّده من كرب أو غمّ. ومعناه، يُنقذ الناس فيه من كرب الجذب وقوله «وفيه يُعَصِّرون» أي يعصرون لسمسم دهباً والعب حمرأ والزيتون زيتاً وهذا يدل على ذهاب الجذب وحصول الخصب ووفور الخير<sup>٥</sup>

١ - راجع: الموسوعة المصرية (تاريخ مصر القديمة)، مجلد ١، الجزء الأول، ص ٣٨-٤٢، وقاموس الكتاب المقدس، ص ٩٦٨ و ٩٦٩ وقصص الأنبياء للمجنّد، ص ١٤٩

٢ - يوسف ١٢، ٤٩

٣ - راجع: الدفاع عن القرآن، ص ١٨٦

٤ - راجع: التفسير الكبير، ج ١٨، ص ١٥١

٥ - انصص ٢٨، ١٥

أما لو أخذت من «الغيث» أي لمطر فيكون المعنى فيه يُمَطَّرُونَ غير أن بلاد مصر العليا تنعم بغزارة الأمطار في أربعة أشهر متتالية في فصل الشتاء فالمصريون الذين يعيشون في الصعيد في ذلك يعلمون حتماً أن الأمطار تتساقط بغزارة خلال فصل الشتاء أي خلال أربعة أشهر (من ديسمبر إلى مارس) وأن زراعة القمح والبرس والشعير والفول وأمثالها تعتمد أساساً على الأمطار التي تساقط هذه الفترة الأمر الذي يجعله أمثال «نولدكه» من المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية، وهو لم تطأ قدمه بعد البلدان الإسلامية ولم يغادر أوروبا طوال عمره (١٨٣٦-١٩٣١م)، فلا غرو أن يخطأ «نولدكه» خطأ مزدوجاً، فهو لم يفهم النص العربي للآية ثم إنه يؤكد أن المطر يكاد ينعدم في مصر، وأهلها لم يشعرو أبداً باحتياحهم له! وهو الخطأ الذي لا يقع فيه أحد من صبيه مصر! على حدّ تعبير الأستاذ البدوي.<sup>١</sup>

والمعجب أنه لم يطلع على ما كتبه «سال» Sale في ترجمة القرآن التي أنجزها وانتشرت خلال القرن الثامن عشر إنه يترجم الآية هكذا:

"Then shall there come, after this a year wherein men shall have plenty of rain, and wherein they shall press wine and oil".

ونجده في ملاحظة سجلها في أسف لصفحة يقول: علينا أن نفد ما كتبه بعض المؤلفين القدامى فلقد كانت تمطر عادة في الشتاء خاصة في الوجه البحري، وقد لوحظ الثلج في الإسكندرية على نقيض ما يرمعه «Seneca» صراحةً فعلاً تصح للأمطار أكثر ندرة في الوجه القبلي في اتجاه شلالات لنيل وعلى أية حال فإننا مترص أن الأمطار التي ذكرت هنا - في الآية - قصد بها تدك لني تسقط في «إثيوبيا» وتسيب ارتفاع منسوب النيل<sup>٢</sup>

١ - معذل الأمطار التي تسقط في الإسكندرية وشمال الدلتا يقدر به ٢٠٦ ملم، وفي القاهرة ٢٣ ملم، انظر: L.S. Suggate Africa, London, Harap, 1974 (الدفاع عن القرآن ص ١٨٧-١٨٨).

٢ - The Koran, translated into English from the original Arabic by George Sale. ٧ صدرت عام ١٧٣٤. (الدفاع عن القرآن ص ١٨٧).

فيا ترى كيف لم يطلع «بولدكه» على هذه الترجمة وهذه الملاحظة التي سجلها «سال» وكانت في متناوله؟!<sup>١</sup>

### هاليوم ننجيك ببدنك

قال تعالى - فيما حكاه خطباً لفرعون حينما أدركه الفرق - «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً»<sup>٢</sup> وذلك عندما أيقن بالغرق وقال «أَمْسَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ يَهُوَ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>٣</sup> قال تعالى «لَئِنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»<sup>٤</sup> قال هاشم العربي وهذا يدل على أنه تعالى سقى فرعون من العرق، ومن ثم يناقض ماورد في سائر الآيات من أنه تعالى أغرقه ومن معه جميعاً<sup>٥</sup>

وسحب تأويل المفسرين ذلك بإقحام جسده من فم البحر وجعله طافياً على وجه الماء، أو نبذ الأمواج له إلى نجوة (مكان مرتفع) من ساحل البحر، ليكون عبرة للآتين، حيث يجدوه مطروحاً بلاروح على الأرض فال: هذا تأويل يخالف ظاهر التعبير، حيث لمبادر من النجاة هو الخلاص من العرق قال تعالى أنه ليس في ذلك (طقو لجسد على وجه الماء أو طرحه على الساحل) آية، لأن هذه حال أكثر الغرقى نطقو حتتهم على الماء أو يلقوها البحر بالساحل<sup>٥</sup>

لكنه لم يعن النظر في التعبير بالبدن، وهي الجثة بلاروح فلو كان أراد تنجيته لجاء التعبير «تنجيك» بلازيادة قوله «ببدنك» فهذه الزيادة دللتنا على اختصاص البدن (الجسد بلاروح) بالنجاة

والمراد بالنجاة هو الخلاص سدنه سليماً من معصمة الحيوانات البحرية ومن غير أن يتفتت أشلاء أو يتفسخ

١ - يونس ٦٠ ٦٢

٢ - يونس ١٠ ٩٠

٣ - يونس ١٠ ٩١ وراجع الإسراء ١٧ ١٠٣، والفرغ ٤٢ ٥٥، والقصص ٢٨ ٤٠

٤ - مدقق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٣٧٦-٣٨٠

٥ - راجع ما كتبه الشيخ الططاوى بهذا الشأن في تفسير الجواهر، ج ٦، ص ٨٦ و ١٠٥

الأمر الذي بقي معجزة خالدة، فهي هو جسد فرعون المحنط. معروض للعامة، وقد شاهده في متحف بريطانيا الأثري، وجنت أخرى معروضة هناك وفي متاحف مصر أيضاً

### من هو فرعون موسى؟

وفرعون هذا يقال: إنه «توت عنخ آمون» من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وكانت مدة ملكه ما بين (١٣٤٨-١٣٣٧ ق.م) أي قبل ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة تقريباً<sup>١</sup> وقيل: هو منقطاً (منفتح) الأول من الأسرة التاسعة عشرة (١٢٢٣-١٢١١ ق.م) وقيل: ابنه «سيتي» الثاني (١٢٠٧-١٢٠٢ ق.م).<sup>٢</sup>

وفي أيامه اختل الأمن وسادت الفوضى وهلك سيتي بعد أن ملك مدة قصيرة، وقد عُثر على جثته في قبر «أمنهوتب» الثاني بطيبة فانفرد الولاة كل بولايته، ومن ثم كثر وفود الأجانب على مصر.<sup>٣</sup>

ولقد صدق الله سبحانه حيث يقول: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُدُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْتَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ».<sup>٤</sup>

### «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»<sup>٥</sup>

هل ورثت بنو إسرائيل ديار مصر بعد خرق فرعون وجنوده؟

ليس في الآية تصريح بذلك، وإنما هو الاستيلاء على ديار كان ملوك مصر مسيطرين عليها، وليس على نحو الشمول. ففي سورة الأعراف - بعد أن ذكر قصة الغرق - قال: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا

١ - تفسير الجواهر، ج ٦، ص ٨٦-٨٢.

٢ - دائرة معارف القرن العشرين، ج ٩، ص ٣٠ وراجع: الموسوعة المصرية (تاريخ مصر القديمة وأثارها): المجلد الأول.

٣ - المصدر.

الجزء الأول، ص ٥٩.

٤ - الشعراء ٢٦: ٥٩.

٥ - الدخان ٢٤: ٢٨-٢٥.

فيها»<sup>١</sup> والأرض المباركة هي أرض فلسطين والشامات<sup>٢</sup> وهي عامرة بوفرة الغصب وكثرة الأوراق. ومشارك الأرض ومقاربه إشاره إلى سلطان داود وسليمان علي بنى إسرائيل وأتبعهما أقاما دولة وسعة الأرجاء في فلسطين امتدت إلى شرق البلاد وعربها في عرضي عرض.

وأما قوله تعالى «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ»<sup>٣</sup> فلعلمه أراد القوضى التي حصلت بعد هلاك «سيتي» الثاني وتواترت وفود الأجانب على البلاد كما قدمنا<sup>٤</sup> وإن كان أريد بهم قوم إسرائيل فيحصل على إرادة أرض فلسطين كآية السابقة

### شبهة وجود اللحن في القرآن

قالوا وأي باطل بعد الخطأ واللعن تبسعون؟ وقد رويت عن عائشة أنها قالت، ثلاثة أحرف في كتاب الله هن خطأ من الكاتب  
١ - قوله: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ»<sup>٥</sup>

٢ - قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَافُوا وَالصَّالِحِينَ»<sup>٦</sup>

٣ - قوله «وَالْمُفْسِدِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»<sup>٧</sup>

ورويتم عن عثمان أنه نظر في المصحف بعد ما رفع إليه فقال، أرى فيه لحنًا وستقيمه العرب بألستها.<sup>٨</sup>

ونسبوا إلى التابعي الكبير سعيد بن جبير أنه رعم أن في القرآن لحنًا في أربعة مواضع، وذكر الموارد الثلاثة، وزاد الرابعة قوله تعالى «فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ»<sup>٩</sup>

١ - الأعراف ٧: ١٣٧.

٢ - جاء هذا التعبير بشأن أرض فلسطين وما والاها في موضع من القرآن الإسراء ١٧: ١، الأنبياء ٢٦: ٧٦، الأعراف ٧:

١٣٧ ٢ - الدخان ٤٤: ٢٨

٤ - راجع: دائرة معارف القرن العشرين، ج ٩، ص ٢٠ ٥ - طه ٢٠: ٦٣

٦ - المائدة ٥: ٦٩ ٧ - النساء ٤: ١٦٣

٨ - راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٥-٢٦

٩ - المصاحف للمجسني، ص ٣٣-٣٤، والآية ١٠ من سورة الماعن

وقالوا في قوله تعالى «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»<sup>١</sup> كان ينبغي التأنيث في العدد، لأن التثنية عشر أيام.

وهكذا زعم من لادرية له من المستشرقين وأذئابهم أن في القرآن لحماً، وتعاقبوا عن أن لو كان الأمر على ذلك لاتخذوه مساوئ للإسلام من أول يومه ذريعة للغمز فيه وهم عرب أقحاح، ولم يكن يصل الدور إلى هؤلاء، الأحاسب الأسفاط<sup>٢</sup>

### ليس في القرآن لحم

لاشك أن القرآن من أقدم أسناد اللغة دوت الاعتناء ولا مجال للترديد في حقيقته واعتباره بعد حضوره في عصر كان العرب في أوج حضارتها الأدبية الراقية، وكانوا أعداء الداء له يتحيتون القرص ليعمز فيه من أي جهة كانت، لولا اعترافاتهم الصريحة باعتلائه الشامخ في الأدب الرفيع، فهل يعقل أن يكون في القرآن مسارب للغمز فيه تغافلها أولئك الأقحاح ليتعرف إليها هؤلاء، الأدباب؟

على أن الصحيح من كل لغة هو ما حفظته أسنادهم لعتيده، ولنكون هي المعيار في تمييز السليم عن السقيم هذا ابن مالك - إمام في النحو والأدب ولغة العرب - يجعل القرآن قدوة في تنظيم قواعد اللغة ونصيف أدبها، يقول

وَسَتَّقُ حَالِ مَا بَعْرِفِي حَرْقًا      أَبَسُوا وَلَا أَسْعُهُ فَقَدْ وَرَدَ

يعنى أن بعض النحاة ذهبوا إلى عدم جواز تقديم الحال على دي حال مجرور بعرف، ولكنني أجزى ذلك، استناداً إلى وروده في سند قوي وهو القرآن الكريم، في قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ»<sup>٣</sup> لتكون «كافة» حالاً من «لناس»

فقد جعل القرآن سداً قطعياً لقاعدة لغوية، دون العكس على ما رعمه الزاعمون. فكل ما جاء في القرآن هو الحجة والسد لقطع لفهم مجاري الأدب الرفيع

١ - البقرة ٢: ٢٢٤

٢ - انظر تاريخ القرآن لولدريك، ج ٣، ص ٢، ٤، آراء المستشرقين حول القرآن، ج ٢ ص ٥٥٥-٥٧٤.

٣ - سبأ ٣٤: ٢٨



فما زعمه الراعمون من وجود لحى فى كتاب الله فإتعا هو لفصوى عنهم وعدم اضطلاع بمبائى اللغة الأصيلة وإيىك توصيحاً بهذا الجانب

أما قوله تعالى «بْنُ هَدَانٍ لَسَجَرٍ»<sup>١</sup> وقراءة الصحبحة المتبعة وهى قراءة حفص وجمهور المسلمين هى لقراءه بالتحفيف، محققاً عن المثقلة، بدليل وجود اللام فى الخبر وكان أبو عمرو بن العلاء - وهو أعلم أهل زمانه بالقرآن والعربية وآدابها - يقول إني لأستحيي أن أقرأ بالتشديد ورفع الاسم ولحظاً موجه إلى تلك القراءة المرفوضة وليس فى القرآن الذى يلهج به عامة المسلمين وعلى رأسهم قراءة حفص ذات الإسناد الذهبى إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أما النصل على لغة تَنَحَّرَتْ بن كعب، حيث كانوا يلهجون فى المثنى بالألف مطلقاً - كما فعله ابن قتيبة -<sup>٢</sup> فعير شديد لأن القرآن نزل وفق اللغة الفصحى ولا يحمل على الشواذ المنبوذ<sup>٣</sup>



وأما الرفع فى المعطوف عن منصوب «إِن» فى قوله تعالى: «إِنِّ الدِّينَ آمَنُوا وَالدِّينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ»<sup>٤</sup> قبل استكمال الخبر، فلكونه عطفاً على محل الاسم وهو رفع بالابتدائية ورجح ذلك لوجهين

أحدهما مناسبة الواو فى «هادو»، فى حين عدم ظهور إعراب الاسم بسبب الساء قال الفراء: ويجوز ذلك إذا كان الاسم معاً له يتبين فيه الإعراب، كالمضمر والموصول<sup>٥</sup> كقول الضائى بن الحارث البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحمة      مسأى وقتار بها لغريب

١ - طه ٢٠، ٦٣ - ٢ - وابع. تأويل مشكل القرآن، ص ٥٠.

٣ - وقد أسهب ابن قتيبة فى هذا المجال، وذكر أشياء منها نريد كثيرة، فراجع. وقد فصلنا الكلام حول الآية فى كتابنا «صيانة القرآن من التحريف»، ص ١٨٢-١٨٣، طبع ١٤١٨

٤ - المائدة ٥: ٦٩      ٥ - مجمع البيان ج ٣، ص ٢٢٤

وقال بشر بن حازم

وإلا فاعلموا أننا وأنتم بغاة ما بنتا في شقاق

ورجح ذلك في الآية رعاية لمناصبه لو أو في «هادوا» نظير العطف على الجوار

قال الكسائي: هو نسق على ما في «هادوا»<sup>١</sup>

كما رشح لنصب على الأصل في آية أخرى نظيرتها أيضاً لمناسبة الحوار، وذلك

في قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ»<sup>٢</sup> لمناسبة الياء في «النصارى»<sup>٣</sup>.

ثانيهما ما ذكره ابن قتيبة، قال، جواز لرفع في مثل ذلك إنما كان لأجل عدم تعبير

في مفهوم الابتدائية سواء قبل دخول «ي» أو بعده، حيث إنها تريد معنى التحقيق ولا تزيد

معنى آخر سوى ما كانت المحملة تفيدها ذاتاً ومن ثم لا يجوز ذلك في المعطوف على اسم

«لعل» أو «ليت» لزيادة معنى الترحي أو التمني في مفهوم الكلام

وقال رفيع «الصابئون» لأنه رد (أي عطف) على موضع الاسم وموصعه رفع، لأن

«إن» مسددة ولم تحدث في مفهوم الكلام معنى كما تحدث أخواتها ألا إنك تقول «ريد

قائم» ثم تقول «إن زيدا قائم»، ولا يكون بين لكلامين فرق في المعنى، سوى زيادة

التأكيد، لكنك إذا قلت «ريداً قائم» ثم «لعل ريذاً قائم» أو «ليت زيدا قائم» فقد أحدثت

معنى الشك (الترجي) أو التمني في مفهوم الكلام ومن ثم لا يجوز الرفع في المعطوف على

الاسم في غير «إن» من سائر أخواتها<sup>٤</sup>

وأما النصب في «المقيمين» من قوله تعالى «لِكِ الَّذِينَ يَزِينُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَتَقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»<sup>٥</sup> - وطفاه على

الرفع - فلأنه على القطع لأجل المدح والاحتصاص، وهو شائع في اللغة

١ - المصدر.

٢ - البقرة ٦٢.

٣ - مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٢٥.

٤ - ومن مشكل القرآن، ص ٥٢.

٥ - النساء ٤: ١٦٢.



ونظيره قوله تعالى في موضع آخر «وَأُولَئِكَ يَفْقَهُهُمْ إِذَا عَاقَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ»<sup>١</sup> قال سيبويه - في باب ما ينصب في التعظيم والمدح - وسمعت بعض العرب يقول الحمد لله رب العالمين - نصب الرب - فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية.<sup>٢</sup> قال ومنها «والمقيمين» و«الصابرين» فقطع إلى النصب مدحاً وهذا باب شائع في العربية، وتكلم فيه سيبويه بتفصيل<sup>٣</sup>

وهكذا قال أبو عبيد قال، هو نصب على تطاول الكلام بالسق، أي للإبعاد بالكلام نظريةً تخرجه على تطاول نسق فيجوز الفصع إلى النصب وإلى الرفع نظريةً للكلام وإحراجه عن نسق واحد وأشد للجرح بنت هذان

لا يبعدن قومي الذين هم      سُمُّ العُدَّةِ وآفة الجُرُورِ  
النارئين بكلِّ معترِفٍ      والطيِّونِ معاقدة الأزرِ<sup>٤</sup>



وأما الحرم في «وَأَكُنْ» معطوفاً على «فَصَدَّقْ» محمول على موضع «فَأَصْدَقْ» لولم يكن فيه الفاء، وموضعه حرم، نحو بَأْسٍ «لَوْلَا» في قوله تعالى «فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّادِقِينَ»<sup>٥</sup> وهو من المعطف على التوهم، وهو شائع في اللغة كما في قول الشاعر:

فأبْلُونِي بِلَيْتِكُمْ لَعَلِّي      أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرَجُ نَوْتاً

فجزم «أستدرج» معطوفاً على موضع «أصالحكم» بتوهم أنه لولم يكن قبلها «لعلِّي» لأنه قال فأبْلُونِي بِلَيْتِكُمْ أَصَالِحُكُمْ وَاسْتَدْرَجُ<sup>٦</sup>

وللمراء هنا كلامٌ مسهبٌ أنى فيه فوائد جمة، نذكره على طوله

١ - البقرة ٢: ١٧٧

٢ - كان سيبويه يحترم رأي يونس، ويأخذها حجة، والزمع هنا بمعنى الرأي والنظر

٣ - راجع كتاب سيبويه، ج ١ ص ٢٨٨-٢٩١      ٤ - تأويل مشكل القرآن، ص ٥٣

٥ - المنافقون ٦٣: ١      ٦ - راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٥٦

قال. فإذا أدخلت في جواب الاستفهام فاءً أنصبت، كما قال الله تبارك وتعالى «لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ»<sup>١</sup>

فإذا جئت بالمعطوف الي تكون في لجرء وقد أحسنه بالفاء كان لك في العطف ثلاثة أوجه:

١ - إن شئت رفعت العطف، مثل قولك: إن تأتني فإني أهل ذلك، وتؤجر وتحمد وهو وجه الكلام

٢ - وإن شئت جزم، وتجمله كالمردود على موضع الفاء والرفع على ما بعد الفاء وقد قرأت لجرء «مَنْ يُصَلِّ اللَّهَ فَلَا هَدْيَ لَهُ وَبِئْسَ رُحْمًا»<sup>٢</sup> رفع وحرم

وكذلك «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُ الْفُقَرَاءَ فَسَئِرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ»<sup>٣</sup> جزم ورفع

ولو نصبت على ما نصبت عليه عطوف لجرء إذا استغنى لأصيب، كما قال الشاعر وهو النابغة الذبياني،

مِنْ يَهْلِكِ النِّعْمَانُ تُغَرِّمُطِيَّةٌ وَتُخْبِأُ فِي جُوفِ الْعِيَابِ قَطُوعُهَا  
وإن جزمت عطفاً على ما نصبت ردةً على الأول كان صواباً، كما قال الشاعر بعد هذا البيت

وَتَنْحِطُ حِصَانٌ آخِرَ اللَّيْلِ نَحْطُهُ تَعْصُمُ مِنْهَا - أَوْ نَكَادُ - ضُلُوعُهَا  
وهو كثير في الشعر والكلام وأكثر ما يكون النص في المعطوف إذا لم تكن في جواب لجرء الفاء، فإذا كانت الفاء فهو الرفع ولحرم

١ - وقد عدّ اللولاء هنا في أدوات الاستفهام. وهذا المعنى ذكره الهروي - كما في المعنى لابن هشام - حرف اللام، ج ١  
٢٧٥ والطبعة الحجرية، ص ١٤٤ ومثل له بالآلة وقد لا يمر في التعليق على المعنى. الاستفهام هنا بعيد جداً ورجح  
أن يكون معنى العرض أو التحضيض - ٢ - الأعراف ١٨٦: ٧  
٣ - البقرة ٢٧١

٣- وإذا أجهت الاستفهام بالفاء فصت فانصب العطف. وإن حزمها فصواب. من ذلك قوله تعالى «لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَخِي قَرِيبٍ فَأَصُدِّقُوا كُنْ». <sup>١</sup> رددت «وأكن» على موضع الفاء. لأنها في محلّ حرم، إذ كان العمل إذا وقع موقعها بغير الفاء جُزِم والنصب على أن تُردّه على ما بعدها، فتقول «وأكون» وهي قراءة عبدالله بن مسعود «وأكون» بالو و وقد قرأ بها بعض القراء (هو أبو عمرو بن العلاء، قل. وأرى ذلك صوتاً (أي القراءة بالواو مع عدم كتبها في المصحف) لأن الواو ربما حذفت من الكتاب وهي تُردّه لكثرة ما تُنقص وتُزاد في الكلام...

وقال بعض الشعراء (هو أبو داود الأيادي):

فأبْلُوسِي بِلِسْكُم لَمْنِي      أَصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ سَوِيًّا

فجزم «أستدريج» فإن شئت رددته إلى موضع الفاء المضمر في «لعلّي»، وإن شئت جعلته في موضع رفع فسكنت لجهنم لكثرة ثوبى الحركات وقد قرأ بعض القراء «لايُخْرُجُهُمُ الْعَرْقُ الْاَكْبَرُ» <sup>٢</sup> بالمعجم وهم يورون الرفع وقرأوا «أَنْتُمْ مَكْنُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» <sup>٣</sup> والرفع أحب إليّ من المعجم. <sup>٤</sup>



وأما قوله تعالى: «أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» <sup>٥</sup> فميس التقدير «عشرة أيام» إنما التقدير في مثل ذلك عند العرب «عشر ليال» كما في قلوبهم لخمس بيقين أو حلون من رجب والتقدير في حساب الأيام عند العرب بديني دون وصح النهار ومن ثمّ تحسب الليلة من أول الشهر من الشهر، ويبدأ كل شهر بنبيّة أوّنه، فالنهار تابع لليل كما في آخر الشهر

١- الأنياء ٢١، ٢٣

٢- وجميع معاني القرآن ج ١، ص ٨٦-٨٨

١- المأفقون ٦٣: ١٠

٣- هود ١١: ٢٨

٥- البقرة ٢: ٢٣٤

«وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا»<sup>١</sup>

فالوا فيه لح، أولاً نأثيث العدد مع أن التمييز مدكر وثانياً جمع التمييز، والصحيح إفراده هنا<sup>٢</sup>

لكن الكلام يتم بالعدد من غير حاجة إلى ذكر التمييز، كما في نظائره من قولك: قطعت اللحم أربعاً، أي أربع قطع وحنثك خمسة، أي خمسة أشخاص «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ»<sup>٣</sup> أي عشر ليالٍ «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»<sup>٤</sup> أي عشر ليالٍ، وذلك لأن الاعتبار بحساب الليالي - كما قدما - «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا»<sup>٥</sup> «فَمِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا مِنْ عِنْدِكَ»<sup>٦</sup> «عَلَيْهَا بِسَعَةِ عَشْرٍ»<sup>٧</sup> أي خارباً

كل ذلك لمعلومية المعدود من غير حاجة إلى ذكره وكذا هنا، إذ قولك فرقتهم اثنتي عشرة، تعني اثنتي عشرة فرقة، «ووحذف ما يُعلم جاز»، بل ذكره إنما تأكيد أو حشو زائد

قال المفسرون «أسباطاً» بدل من «اثنتي عشرة» تعديده وفرقناهم فرقا أسباطاً وجعلناهم أمماً متفرقة لا مجمعة، وهذا كمال بهم من أول يومهم، حيث نفرقتهم في الرأي وعن اتباع الرسول منذ البدء على خلاف ما حظيت به هذه الأمة من الاجتماع ووحدة الكلمة والتفافهم حول الرسول. «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون»<sup>٨</sup> الأمر الذي أراده بشأن كل أمة من الأمم رغم تفردهم وشعبهم فرقا «وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا» فتقسطوا أمرهم بينهم زوراً (أي قطعاً كزير الحديد أي صفحاه) كل حزب بما لديهم فرحون»<sup>٩</sup> الأمر الذي مني به بنو إسرائيل حيث تشتتهم وتطاحنهم في الحياة

٢ - هاشم العربي في ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤١٧

٤ - البقرة ٢: ٢٣٤

٦ - القصص ٢٨: ٢٧

٨ - الأنبياء ٣١: ٩٢

١ - الأعراف ٧: ١٦٠

٣ - الأعراف ٧: ١٤٢

٥ - طه ٨٠: ١٠٣

٧ - المذثر ٧٤: ٣

٩ - المؤمنون ٢٣: ٥٢ و ٥٣

«وَنُقَدِّسُ لَكَ»<sup>١</sup>

زعم المتعرب (هاشم العربي) أن في ذلك لحناً، حيث زيادة اللام من غير حاجة إليها وكان الصواب «تقدّسك» لأنّ الفعل متعدّ بنفسه اللهمّ إلا أن يفدّر المفعول به شيئاً من الأشياء، الأمر الذي يزيد في إيهام الكلام<sup>٢</sup>

لكنّه لم يدر الفرق بين «قدّسه» و«قدّس له»!

يقال قدّسه أي نزّهه ومجّده أما إذا قبل قدّس له، فيعني تطهير النفس تمهيداً لإمكان الحضور لدى ساحة قدسه تعالى

قال أرياب اللغة يقال قدّس الرّجل لله، أي سرّه ووصفه بكونه قدّوساً والقدّوس المنزّه عن العيوب والقائص وقدّس لله، أي طهر نفسه له وذلك بأن مهّدها لإمكان الاستفاضة من أنوار الملكوت

كانت الملائكة ترى من بني آدم ذواتاً مكدرة لا تصلح للاستجلاء بجلال يليق بمقام القدس الأعلى فعرضت نفسها وهي صالحة للاقتراب من مقام القرب الأدنى لكنّه تعالى أعلم بالمصالح فيما يقدّر ويدبّر «قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَفْهَمُونَ»<sup>٣</sup>

ثمّ على فرض التقدير في الكلام فإنّه ليس على ما فرضه المتعرب من الإيهام. قال الراغب «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» أي يظهر الأشياء ارتساماً لك<sup>٤</sup> أي بدلاً من بني آدم - حيث يفسدون في الأرض أي يعبثون بوجوه الأشياء ليغيّروها إلى جهة الفساد - نقوم نحن بتطهير الأشياء وتصقيها إلى حيث نصحاء والجلال التام الأمر الذي يتحقّق منه الامتثال التام لما أراه تعالى من الطهارة والراحة في خليقته جمعاء

ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

قال تعالى «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>٥</sup>

١ - البقرة ٢: ٣٠

٢ - المعربات، ص ٣٩٦

٣ - البقرة ٢: ٣٠

٤ - آل عمران ٣: ٥٩

٥ - ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤٣٤

قالوا وكان ينبغي أن يقول ثم قال به كس فكان

قال بعضهم - تجاسراً على كتاب الله - أثر لروى على المعنى، فأثر الإخلال بالمعنى ليستقيم له الروي. وراد بشاعة في انقول. قد ساقه إليه ما ألفه لسأله - يعني محمداً ﷺ - حيث كرره في ستة مواضع من كتابه بصيغة المضارع، مما كان متناسباً فيها غير ما هنا<sup>١</sup>

لكن المسكين ذهب عنه أن هذه الجملة تمثل كلمة الكوين وليست تكليفاً بالقول، ومن ثم كان المسيح عليه السلام كلمة الله نقداً إلى مريم<sup>٢</sup>

قال الشيخ محمد عبده: يجوز أن تكون كلمة الكوين مجموع «كن فيكون» والمعنى ثم قال له كلمة الكوين التي هي عبارة عن توجه الإرادة إلى الشيء ووجوده بها حالاً قال: ويظهر هذا في مثل قوله تعالى «وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق»<sup>٣</sup> ولو كان القول للتكليف لم يظهر هذا، لأن قول التكليف من صفة الكلام، وقول التكوين من صفة المشنة<sup>٤</sup>

فلفظة «كن» تمثل إرادة تعالى المتعينة بتكوين شيء «و«فيكون» تمثل تكوين الشيء حالاً فور إرادته تعالى الأمر الذي يمثل في لفظه المضارع الدالة على التحقق في الحال، ولا يصلح لذلك صيغة الماضي إلا بتأويله إلى إرادة الحال أي «فكان في الحال» وهذا مما يكمله صيغة المضارع من غير تأويل وهذا هو معنى قولهم «فيكون» حكاية حال ماضية<sup>٥</sup> أي وإن كان الأمر قد مضى، لكنها حكاية عن أمر كان حالاً في ظرفه، فقد تَكُون الشيء حالاً فور الإرادة وهذا من تصوير الحال الماضية كما يقول أهل المعاني

فمعنى قوله «كن فيكون» أن لا فاصل زمناً بين إرادته تعالى وتكوين الشيء «وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر»<sup>٦</sup> «أي أمره إذ أرد شيئاً أن يقول له كن فيكون»<sup>٧</sup> أي لا فاصل

١ - هاشم المرمي في مدقق ترجمة كتاب الإسلام، ص ١١٧-٨.

٢ - الأنعام ٦، ٧٣.

٣ - إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة النبأ.

٤ - التكتفاء، ج ١، ص ٣٦٨.

٥ - تفسير المصباح، ج ٣، ص ٣٦٩.

٦ - بي، ٣٦، ٨٢.

٧ - القمر ٥٤، ٥٥.

عند إرادته تعالى لتكوين شيء - بين هذه لإرادة وتكوين ذلك الشيء - حالاً  
قال الحجّة البلاغي: «فيكون» فعل مضارع دالّ على الثبوت، لبيان الملازمة  
الدائمة بين قوله «كن» وبين تكوّن شيء بهذا الأمر لا محالة وبهذه القدرة التامة  
والملازمة الدائمة خلق عيسى من غير فعل، إذ قال له «كن»  
وهو كلام صادر في مقام الاحتجاج بالتمثيل، ولا تقوم الحجّة بهذا التمثيل  
ولا يحصل المراد منه في الاحتجاج إلا ببيان الملازمة  
وهذا بخلاف ما لو قال كن فكان لأن هذا الأسلوب (الثاني) لا يعيد إلا أن آدم كان  
سواء أكان ذلك باتفاق أم بملازمة خاصة بذلك أن يكون أو عاقبة وهو أمر معلوم لا فائدة في  
بيانه ولا حجة فيه على خلق عيسى من غير فعل فلا يكون التفريع لو قيل كن فكان، إلا  
لغوا في كلام متهافت<sup>١</sup>

والخلاصة: أن فعل المضارعة هنا يدلّ على الملازمة الدائمة بس قولته «كن»  
والتكوين مصحّح جريانه بشأن آدم والخصيص على سواء وهذا على خلاف ما لو قيل  
«فكان»، لاحتمال مجرد الاتفاق وليس من ملازمة دائمة وهو تنه لطيف أفادته قريحة  
شيخنا العلامة البلاغي المهدّي بهداية الله تعالى لرحمة الله عليه من مجاهد في سبيل الله  
بالعلم والعمل الدائب، أفاض الله عليه شأيب رضوانه آمين

﴿وَكَانَ وَرَائَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيهَةٍ غَضِبًا﴾<sup>٢</sup>

قال هاشم العربي كان الصواب أن يقول وكان قدّامهم<sup>٣</sup>  
قلت: ما أقبح بالرجل لا علم له بالعربية وهو يتجرّأ في تخطئة أقدم وأقوم كلام  
عربي رصين القرآن أصحّ سند عتيد حفظ على العرب لغتهم الأصيلة، ولا تزال العرب  
تعرف أصلتها من القرآن وتسلمهم أساليب كلامها من تعابير القرآن، هذا ما يبدو من  
العرب خضوعهم تجاه عظمة القرآن، سواء أكانوا متّين آمنوا به وصدّقوه وحيّاً - وهم

٢- الكهف ١٨ ٢٩

١- الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٢٨٠

٢- ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٢٦٦

الأكثرية الساحقة - أم الذين بقوا على جاهليتهم الأولى وهم النزر اليسير. لكنهم جميعاً  
بغضوا أمام كبرياء هذا الكتاب وجبروت هذا الكلام

فيالصاحنا المسكين بحطئ وبصوب فما لاشأ له؟!

إن كلمة «وراء» في هكذا موارد من استعمالها يراد بها الكارثة العظيمة التي  
تتبعهم في مسيرة الحياة، والمعنى أنهم سائرون لاهين، وتلاحقهم داهية دهماء تسمن  
وراءهم للنيل منهم وهم عاقلون عنها غير مباليين بها وهو من أطف الكنايات.

وهذا كما في قوله تعالى «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْحٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»<sup>١</sup> «مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ  
وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً»<sup>٢</sup> «مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ يُنْفَخُ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ»<sup>٣</sup> «وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ  
غَلِيظٌ»<sup>٤</sup>

وهكذا جاء استعماله في الشعر الجاهلي، قال لبيد

أليس ورائي إن تراخت مني  
لروم العصا تحي عليها الأصابع  
وقال عبيد:

أليس ورائي إن تسراحت مني  
أدب مع ولدان أرحف كالنسر  
وقال العرقش:

ليس على طول الحياة ندم  
ومن وراء العسر ما لا يعلم  
قوله: أليس ورائي، أي أليس يتعقبني لزوم العصا وهو تعير كثنائي عن الانتظار  
لهم في منتهى حط المسير فكان قول المفسرين أمامهم، هو لازم المعنى ولم يريدوا  
ترجمة اللفظة

«وطور سينين»<sup>٥</sup>

قال المتكلف: هذا مما أخطأ القرآن فيه مراعاة للروية والوجه سيناء كما جاء في

٢ - الجاثية ٤٥: ١٠.

٤ - إبراهيم ١٤: ١٧.

٦ - التين ٩٥: ٢.

١ - المؤمنون ٢٣: ١٠٠.

٣ - إبراهيم ١٤: ١٦.

٥ - راجع الهدى إلى دين المصطفى ج ١، ص ٣٥٢.



سورة المؤمنون «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ»<sup>١</sup>

لكنه تجاهل استعمال اللفظة بكلا الوجهين في العهد القديم:

كانت البرية التي خرج إليها بنو إسرائيل - بعد اجتيازهم بحر سوف (البحر الأحمر)

ومنطقتي شور وإيليم - تسمى بـ «سين» والتي تنتهي إلى جبل سيناء.

جاء في سفر الخروج: «ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيم وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةٍ نَشِ إِسْرَائِيلَ إِلَى

بَرِّيَّةِ سَيْنَ الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسَيْنَاءَ»<sup>٢</sup>.

وسيناء - بكسر السين - اسم جبل «حوريب»<sup>٣</sup> وعبر عنه بسييم أيضاً كما أن

الوادي كله سمي سيناء<sup>٤</sup> وسينيم باعتبار فخامة هذا الجبل الواقع فيه. جاء في سفر

إشعياء: «هَؤُلَاءِ مِنْ بَعِيدٍ يَأْتُونَ وَهَؤُلَاءِ مِنَ الشَّامَلِ وَمَنْ الْمَغْرِبِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَرْضِ

سِينِيم»<sup>٥</sup>.

قال جيمس هاكس. فسره جماعة بوادي «سين» و«سيناء» نظراً للعناسة القريبة

الملحوظة في عبارة الكتاب.<sup>٦</sup>

وهكذا جاءت اللفظة في القرآن معربة «سَيْنَاءَ» بفتح السين، و«سِينِينَ» بقلب

الميم نوناً كما هي العادة الجارية في لغة العرب. فلم يكن هناك تضايق من جهة الروي كما

زعم.

ومن المحتمل القريب أن «سِينِيم» جمع «سين» باعتبار أن الجمع في العبرية يأتي

بالياء والميم. كما في «جَسَلِيم» و«حَمُورِيم» و«زَكَبِيم» جمع «جَسَل» و«حَمُور»

و«زَكَب»<sup>٧</sup>. وعليه فقد أتى القرآن بسنين جمعاً بالياء والنون على النهج العربي وبذلك قد

التزم الروي من غير تكلف الأمر الذي اشتبه على المعرب المتكلف، وكم له من نظيراً

١ - راجع: ملحق ترجمه كتاب الإسلام، ص ١٨٤ والاية ٢٠ من سورة المؤمنون.

٢ - سفر الخروج، الإصحاح ١٦/١٦ - راجع: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٩٨ مادة «سيناء».

٣ - راجع: سفر الخروج، الإصحاح ١٦/١٦ «جاءوا إلى بركة سيناء فترلوا في البرية هناك نزل بنو إسرائيل مقابيل الجبل»

وفي الإصحاح ١٨/١٩ «فوقروا في أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يمدخن من أجل أن الرب رمل عليه بالنار».

٤ - سفر إشعياء، الإصحاح، ١٢/٤٩

٥ - قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٤

٦ - راجع: الرحمة المقدسة، ج ١، ص ٧٤-٧٥

«سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ»<sup>١</sup>

اعترض المتكلف بأنه جمع في موضع الإفراد، والوجه أن يقال سلامٌ على إلياس كما أفرد في قوله: «سَلَامٌ عَلَى نوحٍ في العالمين»<sup>٢</sup> وقوله: «سَلَامٌ عَلَى إبراهيم»<sup>٣</sup> و«سَلَامٌ عَلَى موسى وهارون»<sup>٤</sup> قال وإنما ساقه إلى ذلك مراعاة الروي.<sup>٥</sup>

وقد غاته أن الكلمة أعممية يجوز التصرف فيها حيث ساق الكلام وناسب المقام، عادة جارية عند العرب يتلاعبون بالنداب لأحسية من غير ضابطة تحددها، وقد جرى القرآن على منهجهم في الاستعمال ولا عصاة ولا سيما بعد مناسبة رعاية الروي.

قال المراءغي، إلياسين لغة في إلياس وكثيراً ما يتصرفون في الأسماء غير العربية<sup>٦</sup> وقال الحجة البلاغي وقوله تعالى «سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ» بعد قوله «وإنَّ إلياسَ لمن المرسلين»<sup>٧</sup> ذلك لأن لاسم هذا الرسول في اللغة العربية تعريبان، كما كان لاسمه في العبرية تعبيران إيلاء وإيلاهو<sup>٨</sup> وهو المعروف بإيليا النبي في العهد القديم<sup>٩</sup>

هذا، وقد جرت عادة العرب على استعمال اللغات الأجنبية على غير مقياس واحد - ونعته أمهان بها - ودرجوا على التصرف فيها حشماً شأواً وحيثما ساقهم مدارج الكلام.

فقد عربوا «دِرْخَم» الفهلوية إلى «دِرْهَم» وجاء في الشعر «دِرْهَام»، قال الشاعر:  
لو أنَّ عندي مائتي درهمٍ لجار في آفاقها حاتمي  
وعربوا «مِتْكُسا» اليونانية ومعناه القر، إلى «مِدْقُس» و«دِمْقُس» و«دِقْمُس» و«دِمْقُص» و«دِمْقَاس» وهكذا

والدُرُنُوك والدِرْنِيك والدِرْنِك والدُرْمُوك معرب من أصل حبشي بمعنى الطنفسة والزحбил مأخوذ من الفارسية (شكيبيل، شنگوير، شنگبير وشكويل) من أصل

٢ - الصفات ٣٧ و ٧٩

١ - الصفات ٣٧ و ١٣٠

٤ - الصفات ٣٧ و ١٢٠

٣ - الصفات ٣٧ و ١٠٩

٦ - تفسير المراءغي، ج ٢٢، ص ٨١

٥ - ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤١٨.

٨ - الهدى إلى دين المصطفى ج ١، ص ٣٨٢

٧ - الصفات ٣٧ و ١٢٣

٩ - راجع سفر الملوك الثاني، ١، ٢، ٤ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٧

منكريتية (شرنگوير) فالكلمة في فارسيها متنوعة لأنها متغيرة من أصل هندي. لكنها في العربية لم تتغير

والسودانيق معرب «سه دايگ» (بصف درهم) كثرت لغاته وتجاوزت العشرين.  
سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سَيْدَنُوَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق  
سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق  
سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق سُوذَنِيَق

وسليمان معرب «سلومون» بالعبرية و«شليمون» بالسريانية، وغيرته  
العرب الجاهلي، فجعله النابغة «سُلَيْمًا» ضروره «وَسَجَّ سُلَيْمٌ كُلُّ قَضَاءٍ ذَاتِلٍ» واضطر  
الخطئه أيضاً فجعله سَلَامًا فقال

فيه الرِّمَاحُ وفيه كُلُّ سَابِقَةٍ جَدَلَاءُ مُحْكَمَةٍ مِنْ نَشَجٍ سَلَامٍ  
وأرادا جميعاً نسج داود والد سليمان، فلم يستقم لهما الشعر فجعله سليمان  
وغيراه أيضاً<sup>١</sup>

وأشكال ذلك كثير مما ينبؤك عن إمكان التصرف في اللغات الأجنبية حيث ساهها  
القدر، ولا محدودية إطلاقاً الأمر الذي ذهب عن المعترض المتكلفاً  
هذا، والقرآن لم يتجاوز حدود أساليب العرب في استعمال اللغات، فلما وضع  
لأخذ عليه بسبب الأخذ برخص اللغة الأصيلة والجرى على مذهبها القوية  
ولعله من التعسف ما زعمه البعض من كونه جمعاً لإلياسي - بياء النسبة المشددة -  
ثم حُفِّفَ بحذف ياء النسبة وجمع بالياء ونون، كما قالوا: الأشعرون، يراد: الأشعريون.<sup>٢</sup>

«وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا»<sup>٣</sup>

تبتدى سورة الأنبياء المكية بمقطع قوي الضربات، يهزُّ القلوب هزّاً وهو يُلَفْتها إلى

١ - المعرب لأبي منصور الجواليقي (م ٥٤٠) ص ٧ و ٣١١ و ٣١٤ و ٣٥٥ و ٣٧٥ و ٣٨١

٢ - إملاء مامون بن الرحمان، ج ٢ ص ٧ ٢. الأنبياء ٣: ٢١

الخطر القريب المُحْدَق وهي عنه عافلة لاهية: «إِثْرَبْ لِنَاسٍ جِثَاءُ» وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُغْرِضُونَ. لَاهِيَةٌ قُلُوبُهُمْ<sup>١</sup>

ويزيدهم غفلةً، أَنَّهُمْ أُسْرُوا السَّجَى - أي توطأوا، فيما بينهم تجاه مقابلة الحق الذي أتاهاهم ليصدّوا عنه وكانت النحوى لتشكيك في رسالة الله على يد بشرٍ مثلهم: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...»<sup>٢</sup>

وهل كانت النوطنة الغيثة إلا من قبل ثَمَلًا لدين سطوا في البلاد وأظهروا الفساد بين العباد ومن ثَمَّ جاءت كلمة «الَّذِينَ ظَلَمُوا» اختصاصية، فاصلة بين الفاعل - لغرض تبيينه - والمفعول به وهو أبلغ تفضيلاً بشأنهم ممّا لو أسند الفعل إليهم رأساً والمعنى: وأسروا الغافلون النحوى - وأخصّ منهم الذين ظلموا... هؤلاء، أشدّ وطناً من سائر العقلة الذين يشكلون عامة المشركين آنذاك

وقد ذكر النحاة أن محلّ «الذين ظلموا» ما نصب على إرادة الاختصاص، أو رفع على الإبدال من ضمير الجمع قال الزمخشري: «بمعنا بأنهم المومنون بالظلم الفاحش فيما أسروا به»<sup>٣</sup> وهكذا ذكر العلامة البلاغي بشأن الآية<sup>٤</sup>

### ثلاثة قروء

قال تعالى: «وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»<sup>٥</sup>

قال الزمخشري فإن قلت لم جاء تَمَيُّزٌ على جمع الكثرة دور القلة التي هي الأقراء؟ قلت، يتسعون في ذلك فيستعملون كلّ واحد من الجمعين مكان الآخر، لا اشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله «بأنفسهن» وما هي إلا نفوس كثيرة. ولعلّ القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء، فأوثر عليه، تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل، فيكون مثل قولهم: ثلاثة شعور<sup>٦</sup>.

٢ - لآئيب، ٢٦، ٣

١ - لآئيب، ٢٦، ٢

٤ - الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٨٤

٣ - للكشاف، ج ٣، ص ١٠٢

٦ - الكشاف، ج ١، ص ٢٧٢

٥ - البقرة ٢٢٨

## الالتفات وتنوع الكلام

مما أخذ على القرآن، عدم نسجه على منوال واحد، فهناك ظاهرة الالتفات وتنوع الخطاب والانتقال والرحوع والقطع والوصل وإلى أمثال ذلك من التنقل الكلامي زعموا أنه قد يشوش على القارئ فهم المعاني<sup>١</sup>

لكنه جهل بأساليب البديع من كلام العرب، وماذا لك الالتفات وهذا التنقل في الخطاب إلا نظرية في الكلام تزيد في نشاط السامعين وتسرع في انتباههم لفهم ما حيي الكلام أكثر وأنشط

والشيء الذي أغفلوه أنهم حسبوا من صياغة القرآن أنها صياغة كتاب، في حين أنها صياغة خطاب

إن لصياغة الكتاب مميزات تختلف عن مميزات صياغة الخطاب. فقصيدة الجري على منوال واحد هي خاصة بصياغة الكتاب أما لتنوع والتنقل والالتفات فهي من خاصة صياغة الخطاب، سواء أكان نظاماً أم نثراً، فلا يتقيد الناطق بالاطراد في سياق واحد، بل له الانتقال والتحول أثناء الكلام حسبما ساقته دلائل المقام

فهذا عزيز مصر - ينقل كلامه القرآن حينما واحه مرأته ويوسف على حالة استنكرها - يقول: «يُوسُفُ أَغْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ»<sup>٢</sup> فيخاطب يوسف أولاً، ثم يلتفت إلى امرأته يورثها

وكلا الخطابين مساق في نسق واحد ولكن في واجهتين، وقد نقله القرآن على شاكلته الأولى، والقرآن كله من هذا القبيل، لأنه كلام الله واجه به عباده في صياغة خطاب ولم ينزل في صياغة كتاب ومن ثم كانت فيه هذه لكثرة من الالتفات والتنقل في الكلام الأمر الذي زاد في طراوته وراى في طلاوته

يقول تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِّتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ

وَتَوَقَّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»<sup>١</sup>

يبتدئ الكلام بالحطاب مع الرسول ويتحول من فوره إلى مواجهة المؤمنين ثم الضماير المتتابة الثلاثة «وَتَعْرَرُوهُ وَتُوقَرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ» يعود الأولان منها إلى النبي والثالث إلى الله وهذا من مدورة الكلام من وجهه إلى وجهه، ويُعدُّ من أطف صنع البديع

ولا يحى أن مثل هذا لا يدخل في تشابه الكلام بعد معروفة مراجع الضمائر لدى المحاطين الساهين وهو من حُس الوجاءه وظريف البيان (في ظاهر إيهام وواقع إحكام) سهلاً ممتعاً يكسو الكلام حلاوة ممتعة

فدلاً من أن يكون الكلام منوهاً مضطرب المهاد - حسبما راقية المتعرب المتكلف - أصبح حلواً سائفاً سئلده المسمع لسيه

ومثله في القرآن كثير ويكون من لطيف صنع البديع

وبديعة الالفاظ كانت غرة البدائع التي زدان بها كلام رب العالمين وقد بحثنا عنها وعن أنواع طرائفها عند البحث عن روائع فنون بدائع كلامه تعالى (في المجلد الخامس من التمهيد) وبهما هناك على أنه لا بد في كل النعاه من فائده رائعه وراء نظريه الكلام والتفنى فيه لتزيده رونقاً فوق روعته، وأيضاً بأمثلة لذلك

وهنا - في الآية التي تمثل بها المكلف من سورة يونس - نقول إنه يريد مبالغة في

الاستنكار

قال تعالى: «وَإِذَا أَدْقَمْنَا النَّاسَ رُخَّةً مِنْ بَغْدِ ضَرْءٍ مَسْتَنَّمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا...»<sup>٢</sup>

يعني: أن أولئك الكفرة الجحود إذا كشف الله عنهم ضرهم، فدللاً من أن يشكروا

تراهم يكفرون نعمة الله ويحاولون تعطيبتها بأبوع لعلتيسات

فيمثل لذلك ركوبهم البحر ومواجهة لظوفان «هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى

إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ جِهْمٍ يَرْجِيْ طَيْبَةً وَقَرِحُوا بِهِ جَاءَتْهُمْ رِيْحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ دِينَهُمْ لَقَدْ لَبِثْنَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَشْجَارًا ۝  
الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا أَتَجَّافْتُمْ إِذَا هُمْ يَنْتَعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ۝

فبدأ يواجههم في الخطاب، لكنّه في الأثناء يغيّر وجهة الكلام إلى التكلّم عن غائبين، ليحوّل وجهة السامعين من كونهم محاضرين إلى كونهم ناظرين مستمعين وذلك للتمكن في نفوسهم من استقباح ما يشهدونه من فصيح الحال وشيع المال، فيلمسوا قباحة العمل وهم يرونه من كتب، فيكونوا هم المحاكمين على معالهم بالتقبيح

قال الزمخشري ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟

قال المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حاجهم فيعجبهم بها ويستدعي منهم الإنكار

والتقبيح<sup>٢</sup>

وذلك لأنّ النسخ من الغير يبدو أقبح ممّا لو ذكر عن النفس

وهكذا التنقل من شأن إلى شأن كان من خاصيّة الكلام إذا كان خطأ لا كتاباً  
ينتقل فيه المسكّن من حال إلى حال، وربما من موضوع إلى موضوع آخر، ثم يعود إلى  
موضوعه الأوّل حسبما يمتصيه الحال والمقام وانتقل ظاهراً قرآنية شاملة ولا سيما في  
السور الطوال

مثلاً نراه يتعرّص لمسألة الطلاق والعدد في آيات (البقرة ٢٢٨ - ٢٣٧) ويستقل إلى  
الترغيب في المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى (الآية ٢٣٨) وصلاة الخوف  
(الآية ٢٣٩) ويذكر المثوّقي عنها زوجها (آية ٢٤٠) ثم يعود إلى ذكر المطلّعات (الآية  
٢٤١) الأمر الذي لم يكن مناسباً لو كان الكلام كتباً، ويجوز في الخطاب وهذا أيضاً في  
القرآن كثير

إذن، فلا موضع لسفاسف الأبعاد من عدم الالتئام في نظم القرآن.

قال هاشم العربي - بشأن آية انكسري بعد ما وصفها بغفامة اللفظ والمحتوى

بحيث لا يوجد لها نظير في جميع القرآن -. يَبين جارتها (الآية السابقة عليها واللاحقة لها) كقطعة ديباح رَقع بها ثوب كرناس دل وأكثر القرآن على هذه الصفة من عدم القرآن بين آياته، والانتقال نوأ من الأوح إلى المحصص ومن ذكر الحنة والمغفرة إلى ذكر المحيض.<sup>١</sup>

### «جاءتها ريح عاصف»

الريح مؤنثة وتوصف بعاصف وعاصفة على سواء لأن العاصف صفة الريح لا غيرها كالحائض للمرأة، فلا تشبه غيرها من غير حاجة إلى التاء الفارقة  
قال ابن منظور: وهي ريح عاصف وعاصفة  
واستعملها القرآن على الوجهين  
«جاءتها ريح عاصف»<sup>٢</sup>  
«ولسليمان الريح عاصفة»<sup>٣</sup>

### دقل بل ملة ابراهيم حنيفاً<sup>٤</sup>

زعم المتعرب المتكلف - الأجنبي عن لغة العرب - أن الحنيفية هي الميل عن الصراط السوي وقد استعملها القرآن في غير معناها الأصيل  
قال: وكثيراً ما يستعمل القرآن الألفاظ العربية في غير ما وضعت له من ذلك تعسره  
عن دين إبراهيم بالحيف يعني به القويم لكن العرب تعني بالحنف الاعوجاج، ولذلك  
تسمي عابد الوثن حنيفاً لميله عن الدين القويم  
وزعم أن ذلك ممّا مؤهته اليهود على صاحب القرآن فلقته ليدعو دين إبراهيم  
حنيفاً، تعبيراً عليه ليفصح أمره عند العرب، فاحدع بذلك من غير دراية بمعناه العربي

١ - ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤٣٩ وهو آخر رسالته

٢ - الأنبياء ٢٦: ٨١

٣ - يونس ١٠: ٢٢

٤ - البقرة ٢: ١٣٥



الأصيل<sup>١</sup>

يا لها من جهالة عارمة تبؤك عن غداوة فاضحة!

كيف يتخدع نبي الإسلام بمعاييرهم لعل كن فذتها ولسان أمة كان من صميمها،  
أفهل يُعقل أن يتلاعب أناس أباعد - هم جالية لمطعمه - بذهبة فحل فحم كان نابذة الربوة  
الملبة، أين العجم من أبناء إسرائيل من العرب من أبناء قريش؟! وأين الهجين من العنق  
الأصيل؟!<sup>٢</sup>

ولعل المتعرب، المسكين هو الذي يمدح بتك التهجمات المضطوحة فحسبها  
لحّة، وما هي إلا سراب فارغ!

كان منذ الجاهلية أناس يُدعون - الخُفَاء، حيث تنزّهوا لأداس ورعوا في  
لحنيّة البيضاء، دين إبراهيم الحنيف

اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صمم كانوا يعطّمونه وسحرون له ويعكفون  
عنده ويدورون به، وكان ذلك عند أ لهم في كلّ سنة يوماً، فحلّص منهم أربعة نفر نجياً<sup>٣</sup> ثمّ  
قال بعضهم لبعض نصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض، قالوا أجل - وهم ورقة بن نوفل،  
وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن حويرة، ورید بن عمرو، من أفاذ قريش - فقال  
بعضهم لبعض، تعلمون والله ما قومكم على شيء! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ما حجروا  
طيف به، لا يسمع ولا يبصر ولا يصرّ ولا يسمع يا قوم، التمسوا لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما  
أنتم على شيء، فتفرّقوا يلتمسوا الحنيفية دين إبراهيم<sup>٤</sup>

وهؤلاء - وأمثالهم من غيرهم يومئذ - فارقوا دين قومهم واعتزلوا الوثنية وعبادة  
الأصنام وأكل الميتة والدم والذوائج على الصب وتقدّروا الفحشاء والمنكرات وواد  
البنات وما إليها من عادات جاهلية ستمّة - وسَمُوا بالحفَاء، حيث اتّباعهم الحنيفية دين

١ - ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤٢٤-٤٢٥

٢ - ينفرد منهم هؤلاء الأربعة وجعلوا يتناجون فيما بينهم أي يحدثون سرّاً عن غيرهم.

٣ - راجع، تفصيل القصة في سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٣٧-٢٤٨

إبراهيم عليه السلام

والحنيفية، من الحَنَف هي الزاهة و لقداسة بن فكرياً أو عملياً، وفي الفطرة الأولى  
الضاحية

قال تعالى «فَأَيُّكُمْ وَجَّهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً بَعُثْتُ لَكَ النَّبِيَّ فَطَرْنَا النَّاسَ عَلَى لَهْجَتِهِ لِيُخْبِرَ اللَّهُ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»<sup>١</sup> وفي الحديث سئل عن الحنيفة؟ قال هي  
المطرة<sup>٢</sup>

قال الراغب الحَنَف، هو ميل عن لصلال إلى الاستقامة والجَنَف، ميل عن  
الاستقامة إلى الضلال<sup>٣</sup> والحنيف، لما نال إلى الاستقامة قال تعالى «فَبِأَتْتَاهُ اللَّهُ حَنِيفاً»<sup>٤</sup>  
وقال «حَنِيفاً مُسْلِماً»<sup>٥</sup> وجمعه حُنَافٍ وُلَّيَّيَّةٌ «وَاجْتَنَبُوا قَوْلَ الرُّورِ حُنَافٍ»<sup>٦</sup>

قال وتحف فلان أي تحرفى طريق الاستقامة وَسَمَّيَ الْعَرَبُ كُلُّ مَنْ حَجَّ أَوْ  
اخْتَنَنَ حَنِيفاً، تنبيهاً أنه على دين إبراهيم عليه السلام  
قال أبو زيد الحنف، المستقيم، وأنشد

تَسْعَلُمُ أَنْ سَيَّهْدُكُمْ إِلَهُنَا طَرِيقُ لَا يَجُورُكُمْ حَنِيفُ

قال أبو عبيدة - اللعوي العلامة - في قوله عز وجل «فُلْ يَنْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً» مَنْ  
كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، فَهُوَ حَنِيفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ

قال الأحفش كان في الجاهلية يقول من اختن وحج البيت، حنيف لأن العرب  
لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الحنان وحج البيت

قال ابن عرفة الحَنَف، الاستقامة وإسما قيل للمائل الرجل أحنف تفاؤلاً  
بالاستقامة، كما يقال للغراب أعور وللصحراء نقاحلة مفار

١ - الروم ٣٠، ٣١ - بعد الأتور ج ٣ ص ٢٧٦

٢ - كما في قوله تعالى «فُلْ يَنْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً» أي ميلاً عن الحق في الوصية.

٣ - آل عمران ٦٧

٤ - النحل ١٦، ١٧

٥ - الحج ٢٢، ٢٣

قال الزجاجي، الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويفتسل من الجنابة ويختن<sup>١</sup>

وهكذا ذكر الفيروز آبادي في القاموس، ول: الحنف - محرّكة - الاستقامة وقد عرفت أنّ إطلاقه على «عوجاج لرجل، كان بالعناية والمجاز تفاؤلاً، لاحققة

قال الجارود بن بشر من عبد قيس، وكان بصرياً فأسلم طوعاً. فأبلغ رسول الله منّي رسالةً بأنّي حنيف حيث كنت من الأرض وقال حسان بن ثابت يخاطب أباسفان: هجوت محمداً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء<sup>٢</sup> ومما يتأيد إرادة التطهر من الأقدار في مفهوم «الحنف»، أنّ العرب اليوم يستعملون لفظة «الحنفية» يريدون بها فتحة أنابيب المياه للغسل والشرب، حيث كانت وسيلة التطهير من الأوساخ وهو امتداد للمفهوم القديم المعروف عندهم<sup>٣</sup> فيأثرى هل كان هؤلاء العرب الأقحاح بعد عوا جمعاً منذ أول يومهم حتى الآن بدسائس يهودية هريئة لا وزن لها ولا اعتبار، بلهم إلا في ذهنية متعرباً المسكين<sup>٤</sup>

«بَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا»<sup>٥</sup>

زعم المتعرب أنّ «أعتدى» لا يعتدى نفسه، وكان الصحيح أن يبذل بقوله «فلا تعتدوها»<sup>٥</sup> وباليته لم يفضح نفسه بالتدخل في شؤون لغة هو أجنبي عنها، قال صاحب المنجد - وهو مسيحي مثله لكنه عارف باللغة - اعتدى الحق وعن الحق وفوق الحق، جاوزه وكذا تعدّى الشيء جاوره، فهما بمعنى

١ - لسان العرب، ج ٩، ص ٥٦-٥٨ ٢ - راجع الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٨٦

٣ - راجع المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٠٢، مادة «حنف» وص ٥٢٤ «الصبور»

٤ - البقرة ٢: ٢٢٩ ٥ - ملحق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤٢٥

## أتيا أهل قرية استطعما أهلها

قال تعالى: «حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لأخذت عني أجراً»<sup>١</sup>

قال المتعرب: والوجه استطعماهم

قال العلامة البلاغي، ولعله توهم أن الجملة (استطعما أهلها) جواب «إذا»، ولم يدر أنها وصف للقرية (أي القرية التي استطعما أهلها) وجواب «إذا» إنما هو قوله تعالى في آخر الآية: «قال لو شئت...»<sup>٢</sup>

قال الإمام الرازي، التكرير قد يكون لتأكيد وهو معروف واقع في اللغة كقول الشاعر:

ليت الغراب عداه ينعم دائماً      كن الغراب مقطّع الأوداج<sup>٣</sup>

وقال أبو حيان الفرناطي وتكرر لفظ «هل» على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة من التوكيد، وهو أنهما حين أتيا أهل القرية سمّأتا جميع أهل القرية، إنما أتيا بعضهم، فلما قال «استطعما» احتمل أنهم لم يستطعما إلا أولئك البعض الذين أتياهم، فجاء بلفظ «أهلها» ليعمّ جميعهم وأنهم تتعوههم وحداً واحداً بالاستطعام منهم فأبوا جميعاً أن يضيّفوهما. ولو كان التركيب «استطعماهم» لكان عائداً على أولئك البعض المأتين أولاً فحسب، وهو خلاف المقصود<sup>٤</sup>

## إنما البيع مثل الربا

قالوا: وكان الوجه أن يقول إنما الربا مثل البيع؛

لكنهم غفلوا وجه هذا التشبيه، وذلك أن المرايين رعموا سائل البيع والربا، فكل ما في الربا من آثار وتبعات فإنها بعينها موجودة في البيع بلا فرق، ومن ثم استغربوا أن يحلّل

١ - الكهف ١٨ ٧٧ - ٢ - الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٨٩

٣ - التفسير الكبير، ج ٢١، ص ١٥٦

٤ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الفرناطي، ج ٦، ص ١٥١

البيع ويحرّم الربا، وقالوا: إنما البيع مثل الربا في التراجيح وجلب المنافع، فما شأن البيع يُحلّل والربا يُحرّم؟<sup>١</sup>

وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك تفصيلاً لئلا يشبههم  
 «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
 قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا»<sup>٢</sup>  
 فشجّ عليهم قولهم هذه، حيث المداسد والآثار السيئة التي يعصفها الربا لا يوجد  
 شيء منها في البيع، ومن ثمّ فإنّ هذا لتشبيه إنما هو من مضاعفات تسويل الشيطان على  
 عقولهم الغائرة<sup>٣</sup>

«وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَفْعَقُ»<sup>٤</sup>  
 قالوا وكان الحدير أن يعول ومثل الذي يعط الكفار كمثّل الذي يسوق بما لا يسمع  
 إلا دعاءاً ونداءاً أصمّ نكم عمي فهم لا يعقلون .  
 قال المعسّرون: هي الكلام تقدير، ومعنى ومثل الذين كفروا في دعائك إيتاهم  
 كمثّل الذي ينطق البهائم كما في قوله «أَوَلَيْكَ كَالِإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاوِلُونَ»<sup>٥</sup>  
 «فَبِأَنِّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَقْءَ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ لِدُعَاءِ إِذَا وَلُوا مٌذْبَرِينَ . إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مِنْ يَوْمِينَ  
 بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ»<sup>٦</sup>

«أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»<sup>٧</sup>  
 «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ»<sup>٨</sup>  
 إلى غيرهنّ من آيات تعرب عن فشل محاولة إرشاد من لا قلب له ولا وعي  
 ولا حضور، وهو تائه في غياهب الضلال «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

٢- راجع الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٩٧-٣٩٨

٤- الأعراف ١٧١-٧

٦- الزحرف ٤٢: ٤٠

١- البقرة ٢: ٢٧٥

٣- البقرة ٢: ١٧١

٥- النمل ٢٧: ٨٠ و ٨١ الروم ٥٠: ٥٢ و ٥٣

٧- قاطر ٣٥: ٢٢

وَهُوَ شَهِيدٌ<sup>١</sup>

وإنما لم يصرح بهذا التقدير، تحاشياً من تشبيه الواعظ الناصح والمرشد الكامل في وعظه الشافي وإرشاده الحكيم بمن ينطق بمهمات لا معنى لها سوى التصويت والنعيق كهياح الغراب.<sup>٢</sup>

«وهذا لسان عربي مبين»<sup>٣</sup>

قد تكرر في القرآن أنه نزل بلسان عربي مبين<sup>٤</sup> وهو الظاهر البين مُيسَّر لا تعقيد فيه ولا إيهام «فَلَمَّا بَيَّنَّنَا لِبَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»<sup>٥</sup>.

هذا مع العلم بأن في القرآن آيات متشابهة (مغلقة الفهم مبهمة المعنى) بشهادة القرآن ذاته، حيث قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ». وأخيراً «وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»<sup>٦</sup> أما عامة الناس فإنهم محرومون عن فهم هذا اللغيف من الآيات، وأصبحت لافائدة فيها عندهم سوى تلاوتها جرياً على الألسن لا وعياً في القلوب!<sup>٧</sup>

لكن تعرّضنا - عند الكلام عن متشابهات القرآن - للإجابة على هذا السؤال وقلنا: متشابه القرآن على نوعين: أصلي وطارئ. والطارئ - وهو الأكثرية الساحقة من متشابهات القرآن - ما عرض له التشابه فيما بعد ولم يكن متشابهاً في أصله وعند نزوله، وذلك من جرّاء تضارب الآراء وتخاصم أرباب الجدل والذي ثار أواره في مؤخرة لقرن الأول ودام حتى القرنين الثاني والثالث، وظهرت مذاهب ومشارب متنوعة ومتزاحمة بعضها مع بعض في تلك الفترة غير القصيرة. كان صاحب كل مذهب فكري يعتمد إلى لغيف من آيات وروايات ليؤولها إلى حيث مرّاه الخاص ويفسرها حسب رأيه، دعماً

١ - ج ٥٠: ٢٧ - راجع الهدى إلى دين المصطفى ج ١، ص ٣٩٧

٢ - الشرح ٢٦: ١٩٥

٣ - آل عمران ٣: ٧

٤ - هذه شبهة أوردها هاشم الصبلي في ملحق ترجمة كتاب الإسلام ص ٣٧٦

٥ - في المجلد الثالث من التمهيد

٦ - البص ١٦: ١٠٣

٧ - البص ٤٤: ٥٨

لعقيدة ارتآها أو دفعاً لما سلكه خصمؤه وفي غضون هذا التدافع والتخاصم كانت معالم الشريعة هي التي وقعت عرصه الأهواء ومتضارب الآراء، وأصبح قسمٌ كبيرٌ من سيئات الآيات والسنن متشابهات، وقد أحاطت بها حالات من الإيهام والإجمال، فصار ما كان محكماً بالأمس متشابهاً وما كان يتيماً، مستطرقاً طرق لظلام هذ هو الحدث الجليل الذي عاد بسيئاته إلى حوزة الشريعة العزء.

وهذا في أكثرية النصوص التي تعرّضت لصعابه تعالى الجلال والجمال وشؤون الخليقة والتدبير وماشاه

أما المتشابه الأصل فهو أقلّ الغليل من آيات تعرّضت لمعانٍ مستجدة على العرب هي دواب معاهيم رفيعة ومنوشعة سعة الآفاق، كاسب القوالب اللفظية - الموضوعه عند العرب - تضيق عن حملها والإبعاد بها ومن ثمّ جاءت في قوالب الاستعارة والتشبيهه القاصرة - بطبيعة الحال - عن إعادة كمال المرد وهذا من قصور يعود إلى الغالب ولا يصحّ شأن الفاعل، كما لا يخفى. وقد قدّمنا الكلام <sup>١</sup> من تفصيله

أما ولم أودعت هذه اللمة من عدد آيات ربعة المال ضمن نصوص القرآن الكريم وهي معروضة على العامة لتكون بياناً للناس كافة؟ «هذا بهنّ للناس وهديّ ومزعطة للمؤمنين»<sup>١</sup>.

فيعود السبب إلى كونها ودائع أودعت لدى هذه الأمة لتكون رصيذاً لها وذخراً وفيراً في مسيرة الشريعة الأبدية، كلما تقدّم الرمان ظهرت منه آيات يبتات لتتير الدرب على مدى الأيّام.

إنّ لهذه الآيات إشعاعات تُشعّ بأطياها متناسبة مع الظروف والشرائط المؤاتية في كلّ زمان، فيوماً حسب ظاهرها البدني على حدّ ترجمة الألفاظ، ويوماً معاني أعسق فأعسق حسبما تتعمّق العقول وتنصح الأفكار وهذا من حكمته تعالى حيث جعل من هذه الشريعة شريعة الخلود الأمر الذي لم يجعل القرآن - حتّى في مثل هذا المتشابه من الآيات - يوماً في موضع حيرة للأمة لا يعقون منه شيئاً، نعم، سوى ما كان منه يحتاج

إلى تدبر وتعمق نظر ومراجعة لآيات المحكمات وهن أم الكتاب (أي المرجع النهائي لحل المعصلات)

### موارد زعموا فيها مخالفات في عود الضمير

• قال تعالى «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَائِاتٍ.»<sup>١</sup>

أتى أولاً بضمير التثنية «اتتيا»، «قالت» بصورة التأنيث ثم بضمير الجمع المذكر السالم «طائعين» وأخيراً بضمير الجمع المؤنث السالم «فقضاهن»<sup>٢</sup>

• وهكذا قوله تعالى: «وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ... ذَوَاتَا أَمْنَةٍ... فِيهَا عِشَابٌ مُخْتَارٌ... فِيهَا مِنْ كُلِّ ذِكَاةٍ رَوْحَانٌ... مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَاهِجَةٍ مِنْ بُرُجٍ مُنْتَهَى... فِيهَا نَضْرَجُ الْجَبْنَينَ دَابَّ... فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ...»

ثم قال: «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانٍ... فِيهِمَا عِشَابٌ مُتَخَلِّلَاتٍ... فِيهِمَا مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ... وَفِي الْجَنَّتَيْنِ تِلْكَ شَجَرَتَا النَّارِ... فِيهِمَا عِشَابٌ مُتَخَلِّلَاتٍ... فِيهِمَا مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ... وَفِي الْجَنَّتَيْنِ تِلْكَ شَجَرَتَا النَّارِ...»<sup>٣</sup>

في كلا الموصفين جاء بضمير الجمع المؤنث السالم بعد تشبيه الضمير مكرراً!

• وقوله تعالى: «هَذَانِ خَطَابٌ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»<sup>٤</sup>

• وقال: «خَطَاباً لَأَدَمَ وَحَوَّاءَ...»<sup>٥</sup> «أَفِطُّ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

مِنْهُ هُدًى مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ إِلَى السَّقَمِ»<sup>٦</sup>

وقال في موضع آخر «فَأَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»<sup>٧</sup>

وتعقبها بقوله «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا تَخَوْفَ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَوْنَ»<sup>٨</sup>

٢- الرحمن ٥٥-٤٦-٧٠

٤- ص ٢٠: ١٢٣

٦- لقمة ٢: ٣٨

١- فصلت ٤١: ١١ و ١٢

٣- الحج ٢٢: ١٩

٥- البقرة ٢: ٣٦



وقال: «قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْتَ أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْمُرْكَ وَتَرْحَمْنَا لَكُونَتْ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْبُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ»<sup>١</sup>.

في كل هذه المواضع جاء الخطاب فيها أولاً بصورة مثني، ثم بصورة الجمع! • وهكذا في قوله تعالى: «وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْخُرُوبِ إِذْ نَفَخَتْ فِيهِمْ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ»<sup>٢</sup>.

وقوله تعالى «كَلَّا قَاذِبُهَا بِآيَاتِنَا إِنَّ عَصَاكَ مُثْبِتَةٌ»<sup>٣</sup> وقوله «إِذْ تَسُوْرُوا الْمَجْرَابَ إِذْ دَخَلْتُمْ عُقْدَةً فَلَمَّاحٌ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ»<sup>٤</sup> • وجاء في وصف الجمع المكسر بجمع، لمؤنث السالم «يَا أَيُّهَا نَجِيبٌ»<sup>٥</sup> مع العلم بأن مفردة «يوم» وهو مذكر!

• وقال تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ»<sup>٦</sup>.

• وقال «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ...»<sup>٧</sup> عاد صمير التانيث على الأسماء باعتبار جمع مكسر ثم عاد عليها صمير الجمع المذكور ثم اسم الإشارة أيضاً بصورة الجمع المذكور!

• يعبر تعالى عن الملائكة بجماعة لذكور في عالية تعابيره «لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِمْزَلَةً»<sup>٨</sup> • يعبر تعالى عن الملائكة بجماعة لذكور في عالية تعابيره «لَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِمْزَلَةً»<sup>٨</sup>.

«الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»<sup>٩</sup>.

«وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً»<sup>١٠</sup>.

١- الأنبياء: ٢١، ٧٨

٢- ص: ٢١، ٢٢ و ٢٣

٣- النور: ٢٤، ٤٥

٤- النجم: ٦١، ٦٢

٥- الفرقان: ٤٣، ٤٤

١- الأعراف: ٢٣، ٢٤ و ٢٥

٢- الشعراء: ٢٦، ٢٧

٣- قصص: ٤١، ٤٢

٤- البقرة: ٣١، ٣٢

٥- غافر: ٤٠، ٤١

«وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن يَلْتَمِسُ فِي الْأَرْضِ»<sup>١</sup>  
 لكن يرى أنه تعالى قد عبّر عنهم «بجميع المؤمنين السالم في مواضع  
 جاء في سورة المرسلات «فَالْمَقَابِلَ ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نُذْرًا»<sup>٢</sup>  
 وفي سورة النازعات: «فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا»<sup>٣</sup>  
 ولهي سورة الصافات: «وَالصَّافَاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ رَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا»<sup>٤</sup>  
 \* قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ النَّبْتَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»<sup>٥</sup>  
 وقال: «وَإِنْ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»<sup>٦</sup>  
 فقد جاء بجمع التذكير لكنه تعالى في موضع آخر قال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَكَ مَاءَ  
 السَّهَابِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ»<sup>٧</sup>  
 «وَيَسْخَرُونَ مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَلَطِيفٌ»<sup>٨</sup>  
 وإليك بعض الكلام في ذلك

### تغليب جانب ذوي العقول

جرت العادة عند العرب وجري عيها لقرآن على تغليب جانب الذكور وكذا  
 جانب ذوي العقول إذا كانوا في الجمع  
 وعليه، فعود الصمير إلى الأسماء في الآية (٣٦ و ٣٣ - البقرة) إنما هو باعتبار  
 المسميات دون نفس الأسماء وبما فيها من ذوي العقول، عكس جانبهم، فقال «أَتُحْتَوَى  
 بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ» وقال: «فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ»<sup>١</sup>

\*\*\*

وهكذا في قوله تعالى في الآية (٤٥ - النور): «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ

١ - شوري ٤٢: ٥.  
 ٢ - المرسلات ٧٧: ٥ و ٦.  
 ٣ - النازعات ٧٩: ٥.  
 ٤ - الصافات ٣٧: ١-٣.  
 ٥ - الأنبياء ٢١: ٢٣.  
 ٦ - الإسراء ١٧: ٤٤.  
 ٧ - النور ٢٤: ٤١.  
 ٨ - الأنبياء ٢١: ٧٩.  
 ٩ - راجع مجمع البيان، ج ١، ص ٧٧، ومعاني القرآن، ج ١، ص ٢٦، والكشاف ج ١، ص ١٢٦.

يُثْبِتِي عَلَى بَطْنِي...» لَأَنَّ «كُلَّ دَابَّةٍ» يشمل الادميين، فعَلَبَ جانيهم<sup>١</sup>

كما تقول القوم مع دوابهم مقلون، قسمهم من يسرع ومهم من يبطئ<sup>٢</sup>  
قال الزمخشري ولما كان اسم الدابة موقفاً على المميز وغير المميز عُلِبَ المميز  
فأعطى ما وراءه حكمه، كَأَنَّ الدَوَابَّ كُلَّهُمْ مُمِيزُونَ<sup>٣</sup>

\*\*\*

وعلى هذا العرار جرى قوله تعالى في الآية (١١ - فصل) «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»  
باعتبار ما فيها من دوي العقول، ولعلهم لملائكة المقربون المدبرون لنظام التكوين عال  
قطرب، فَعَلَبَ حكم العقلاء.<sup>٤</sup>

وجعله الرمخشري من الاستعارة بالكناية وكان الجمع باعتبار المعنى حيث المراد  
من السماء هي السماوات، وكذا الأرض فيما حسب<sup>٥</sup> وسيأتي كلامه

#### استعارة تخيلية

وهي من أجود أنواع الاستعارات، يُصَوِّرُ في النفس شبه شيء بشيء، ثم يُذَكِّرُ  
أحد طرفي التشبيه ويُذَكِّرُ له صفة من خواص الطرف الآخر، لتكون دليلاً على ذلك  
التشبيه المضمر في النفس مثلاً، يُشَبِّهُ المنيّة سبع صائر مفترس، ولا يُصْرِّحُ بهذا التشبيه،  
بل يذَكِّرُ للمنيّة التي هي المشبه أظفار لسبع الضاري

وإذا المنيّة أنشئت أظفارها أنفيت كلّ تسمية لاتنفع

وهذا يسمى استعارة تخيلية وبالكناية أيضاً

وهي القرآن من هذا النوع من الاستعارة كثير

من ذلك قوله تعالى: «وَرَبُّكَ مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا يَخْلُقُ بِحُدُودِهِ وَلَكِنْ لَا تَعْقِلُونَ تَشْبِيهِهُمْ»<sup>٦</sup>

١ - معاني القرآن ج ٤، ص ٢٥٧

٢ - مجمع البيان، ج ١، ص ٧٧

٣ - الكشف، ج ٣، ص ٢٤٦

٤ - راجع مجمع البيان، ج ٩، ص ٦؛ ومعاني القرآن، ج ٤، ص ١٣

٥ - الإسراء ١٧: ٤٤

٦ - الكشف، ج ٤، ص ١٩٠

فحيث شُبِّهَت الأشياء بمن يلهج بالتسبيح من إنسٍ وحنٍّ وَمَلَكٍ استعير لفظ التسبيح الذي هو فعل ذووي العقول ثم جرى الكلام على هذا النمط وقال «لَا تَعْقِبُونَ تَسْبِيحَهُمْ»، أتى بضمير الجمع المذكور حسب سياق الكلام.

وهكذا جعل الرمخشري قوله تعالى «قَدْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ»<sup>١</sup> من نوع الاستعارة بالكناية قال: لما جعلن مخاطبات ومجيبات، ووصفن بالطوع والكراهة، قيل طائعين، في موضع طائعات<sup>٢</sup> فقد شُبِّهَت السماوات والأرض بالكائنات الحية العاقلة الناطقة، فوصفها بالقول والإطاعة

قال: وهذا نظير قوله تعالى: «إِنِّي زَاهِتٌ أَخَذَ عَشْرَ كَوْنَهَا وَالشُّنْسُ وَالْقَمَرُ زَاهِتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»<sup>٣</sup> لآلته لما وصفها بما هو خاص بالعلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلام العرب أن يلبس الشيء بشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه، إظهاراً لأثر الملازمة والمقاربة<sup>٤</sup>

وكذا قوله «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَاقَاتٍ»<sup>٥</sup> عَيرَ بـ «مَنْ» - وهو لذوي العقول - بنفس الاعتبار ولذلك جاء الجمع، جمع المؤنث السالم

وعلى نفس الغرار جاء قوله تعالى «وَسَخَّرْنَا مِنْ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ»<sup>٦</sup> ضمير جمع المؤنث حيث تشبيه الجبال بالمسبحات

قال الزمخشري في قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»<sup>٧</sup> الضمير للشمس والقمر، والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والأقمار. قال: وإنما جعل الضمير «واو» العقلاء لوصف بعلمهم وهو السباحة<sup>٨</sup>

٢ - كشف ج ٤، ص ١٩٠

٤ - كشف ج ٢، ص ٤٤٤

٦ - الأنبياء ٢١، ٢٩

٨ - كشف ج ٣، ص ١١٥

١ - صفات ٤١، ١١

٢ - يوسف ١٢، ٤

٥ - النور ٢٤، ٤١

٧ - الأنبياء ٢١، ٢٣

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ»<sup>١</sup>

قال الزمخشري فإن قلت كيف صَحَّ مجيء خاضعين خراً عن الأعناق؟ قلت أصل الكلام فطَّلُوا لها خاضعين، فأقحمت لأعناق لبيان موضع الخضوع أولئنا وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قبل خاضعين، كما تقدَّم في قوله «إي ساجدين» من سورة يوسف. وقيل أعناق الناس رؤسائهم ومقدموهم، شتهوا بالأعناق كما قيل لهم هم الرؤوس والنواصي والصدور قال شاعرهم

ومشهد قد كفيت الغائبين به      هي محفل من نواصي القوم مشهود

والمراد من نواصي القوم أشرافهم<sup>٢</sup>

ومثله قوله تعالى «أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّخِذُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَزْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا»<sup>٣</sup>

أي الآلهة التي يعبدونها المشركون هم يبتغون إلى ربهم أنوسيلة ويستأبقون كي يتقربوا إلى الله، فكيف يعبدونها من دون الله؟

فقد عبَّر عنهم بلعظ جماعة العقلاء، وذلك لما عدَّوهم معبودين جرى عليهم ما جرى على العقلاء<sup>٤</sup> وله نظائر كثيرة في نعران

«إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمِّكُم مَّا فَدَعَوْهُمُ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أَهَلُم أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُم أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَغْصَنُ يُصَيِّرُونَ بِهَا أَمْ هُمْ آدَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا»<sup>٥</sup>

«وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ»<sup>٦</sup> أي لا تسبوا ما يعبدونه المشركون

«وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءًا»<sup>٧</sup>

١- الكتاب، ج ٣، ص ٢٩٩

١- الشعراء ٢٦ ٤

٢- إعراب القرآن المصوب إلى الزجاج، ص ٩٠٣-٩٠٤

٣- الإسراء ١٧ ٥٧

٤- الأنعام ٦ ١٠٨

٥- الأعراف ٧ ١٩٤ و ١٩٥

٦- الرعد ١٣ ١٤

«وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَتَقْتُهُمْ يَنْصُرُونَ»<sup>١</sup>  
 «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا  
 مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ»<sup>٢</sup>  
 «قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّهَا عَافِيِينَ قُلْ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ  
 يَنْصُرُونَ»<sup>٣</sup>

إلى غيرها من آيات جرى فيها الوصف مجرى العقلاء، لما أضمر التشبيه بهم في  
 النفس، من باب الاستعارة التخيلية أو الاستعارة بالكناية، على حد تعبيرهم

#### مُنَى يراد به الجماعات

كثيراً ما تُنَى ألفاظ يراد بالواحد منها تجمع دون الفرد الحقيقي، ولذلك قد يعود  
 عليه ضمير الجمع نظراً إلى المعنى، فانسبط وإذا كان منى لكن يراد به الجمعان، وهما معاً  
 جمع لا محالة

من ذلك قوله تعالى: «هَٰذَا خُطَابُ الْمُحْصَمِينَ فِي رُبِّهِمْ» حيث المراد بالمحصمين  
 جماعه الكفار وجماعه المؤمنين حيث محصم بين العريفين قائم على ساق. ولذلك  
 تعقبت الآية بقوله: «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نَبْ مِنْ بَابِ إِنْ إِنْ اللَّهَ يُذِلُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»<sup>٤</sup>

قال الطبرسي فالفرق الكافر محصم، والمؤمنون محصم، وقد ذكروا فيما قبل<sup>٥</sup>



وهكذا خطابات الجمع الموحدة إلى آدم وحواء يراد بها آدم وحواء وذريتهما  
 حيث هبوطهما من الجنة إلى الأرض هبوط ذريتهما الذين سيولدون منهما أيضاً  
 فالخطاب مع الجمع - جماعه بني الإنسان - وليس آدم وحواء وحدهما

١ - الأعراف ٧، ١٩٧

٢ - طاهر ٣٥، ١٣ و ١٤

٣ - الحج ٢٢، ١٩ و ٢٤

٤ - الشعراء ٢٦، ٧١ و ٧٣

٥ - مجمع البيان ج ٧، ص ٧٧

بدليل ذيل الآيات «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى لَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>١</sup> «قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ»<sup>٢</sup>  
وقد وهم من زعم أن الخطاب يشترك فيه إبليس أو الحية أو غيرهما، حيث لا تناسب له مع سياق الآيات<sup>٣</sup>

\*\*\*

قوله تعالى «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا»<sup>٤</sup> رعموا فيه تهافتاً، وكان الوجه أن يقال اقتتلا، أو بينهم فجمع لصمير ثم تشبته تهافت.<sup>٥</sup>  
لكن لجمع إنما هو باعتبار أن الاقتال يقع بين آحاد المؤمنين من كل طائفة أما التصالح فإنما هو بين الفريقين لا الآحاد.<sup>٦</sup>

### جمع يراد به الاثنان فما فوق

قد يعثر بلفظ الجمع ويراد به مطلق لجمع، أي الجمع العرفي الصادق من اجتماع اثنين فما فوق، نظير صمير العسكر مع العير، يرد به الاثنان فما فوق وهذا شائع في سائر اللغات التي لا توجد فيها صيغة للتثنية والعرب قد تستعمل ذلك حسب العرف العام ونظراً للمعنى اللغوي للجمع الصادق مع الاثنين

قال الطبرسي والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم حكى سيبويه أنهم يقولون وضعا رحالهما، يريدون رحلتي رحالتيهما وقال تعالى «وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُذُكَانِ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمٌّ تُقَامُ وَكَانَ لَحْظُهُمَا شَاهِدِينَ»<sup>٧</sup> يعني حكم داود وسليمان<sup>٨</sup>

١- البقرة ٢٠٨

٢- الأعراف ١٧، ٢٤ و ٢٥

٣- المعجمات ١٥٩

٤- راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ٨٧

٥- هاشم العربي في مدقق ترجمة كتاب الإسلام، ص ٤١٩

٦- الأنبياء ٢١، ٢٨

٧- الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ٢٨٤

٨- مجمع البيان، ج ٢، ص ١٥

قال سيبويه - في باب ما لفظ به مثنى كما لفظ بالجمع -: وهو أن يكون الشيطان كل واحد منهما بعض شيء مفرد من صاحبه، وذلك قولك ما أحسن رؤوسهما، وما أحسن عواليهما وقال عز وجل «إِن تَوَلَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»<sup>١</sup> «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»<sup>٢</sup> فَرَّقُوا بين المثنى الذي هو شيء على حدة وبين ذا وقال الخليل: نظيره قولك فعلنا، وأنتم اثنان فتكنم به كما تكلّم به وأنتم ثلاثة

وقد قالت العرب في الشينين اللذين كل واحد منهما اسم على حدة وليس واحد منهما بعض شيء، كما قالوا في ذا (أي فيما كان كل واحد منهما بعض شيء) لأن التثنية جمع، فقالوا كما قالوا فعلنا (زعم يونس أنهم يقولون صنع رجالهما وغلمانهما، وإنما هما اثنان قال الله عز وجل «وَهَلْ أَتَاكَ بِمَا أَنْخَصَمَ إِذْ تُسَوِّرُوهَ الْغُرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَمَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَاتَخِفْ حُضَيْنَ هُنَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ دَخَلْتُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ»<sup>٣</sup> وقال «كَلَّا فَذُوقْهَا بِأَيْدِيكِ إِنَّ فَعَلَكُمْ مُسْتَعْبِرُونَ»<sup>٤</sup>



وفي كتاب «إعراب القرآن» لمسحوب من الزمخجاري<sup>٥</sup> جاء الباب الثامن والأربعون لبيان ما جاء في القرآن من الجمع يُراد به التثنية  
 فمن ذلك قوله تعالى «إِن كَانَ لَهُ خَوْفٌ مِّنَ السُّدُسِ»<sup>٦</sup> وأجمعت الأمة على أن الأخوين يحجبان الأم من التثنية إلى السدس بدلالة الآية .  
 وقوله تعالى «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»<sup>٧</sup> أي يديهما  
 وقوله تعالى «إِن تَوَلَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»<sup>٨</sup> أي قلوبكما  
 وقيل في قوله تعالى «يَرْبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»<sup>٩</sup> إنه من هذا الباب، لقوله تعالى.

١ - التحريم ٦٦ ج ٢ - المائدة ٥: ٣٨

٢ - التحريم ٦٦ ج ٢

٣ - من ٣٨ و ٢١ و ٢٢، في حين أنهما كانا اثنين (آخرين).

٤ - الشعراء ٢٦: ١٥، راجع: كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٢٢٧

٥ - ومن المحسن القريب أنه لم يكن من أبي طالب رجع معنى الكتاب من ٩٦-١-٩٩

٦ - المائدة ٥: ٣٨

٧ - النساء ٤: ١١

٨ - المعارج ٧٠: ٤٠

٩ - التحريم ٦٦ ج ٢



«رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»<sup>١</sup>

وقوله تعالى «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ»<sup>٢</sup> والمتقدم داود وسليمان<sup>٣</sup>

وهكذا قال أبو البقاء العكبري قيل بما جمع لأن الاثنين جمع<sup>٤</sup>

قال أبو جعفر الطبري: قال جماعة أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام في كل زمن: عسى الله جل ثناؤه بقوله «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِإِمَّةٍ السُّدُسُ» اثنين كان الإخوة أو أكثر منهما، اثنين كانتا أو كن إباناً، أو ذكرين كما أو كانوا ذكوراً، أو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قاله الأئمة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله ﷺ، ففعله أئمة نبيه نقلاً مستفيهاً قطع العذر مجيئه ودفع الشك عنه عن قلوب الحلق وردده<sup>٥</sup>



وقال أبو بكر الجصاص إن اسم الإخوة قد يقع على الاثنين، كما قال تعالى «إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»<sup>٦</sup> وهما قلوبان. وقال تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأٌ لَمْ تَحْضُمْ إِذْ تَسْوَرُونَ الْبُحْرَابَ»<sup>٧</sup> ثم قال تعالى «حَضْرَانِ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ»<sup>٨</sup> فأطبق لفظ الجمع على اثنين وقال تعالى «وَإِنْ كُنَا إِخْوَةٌ رِجَالًا وَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بَيْنَنَا يَوْمَئِذٍ الْآخِثِينَ»<sup>٩</sup> فلو كان أحداً واحداً كان حكم الآية جارياً فيهما.

وقد روي عن السيوطي أنه قال «نار فمافوقهما جماعة»<sup>١٠</sup>

ولأن اثنين إلى الثلاثة في حكم الجمع أقرب منهما إلى الواحد، لأن لفظ الجمع موجود فيهما.

٢ - الأنبياء ٢١: ٧٨

١ - الرحمن ٥٥: ١٧

٣ - إعراب القرآن، القسم الثالث، ص ٧٨٧

٤ - في كتابه: إملأ ما من به الرحمن في إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٣٥

٦ - التحريم ٦٦: ٤

٥ - جامع البيان، ج ٤، ص ١٨٧-١٨٨

٨ - ص ٣٨: ٢٢

٧ - ص ٣٨: ٢١

٩ - النساء ٤: ١٧٦

١٠ - سبب أبي ماجة، باب ٢٤٦ ج ١، ص ٣٠٨، رقم ٩٨١ وقد عده البحاري نادياً جعل ذلك عنوانه، باب ١٣٥ الأذان، ج ١، ص

١٦٧ وراجع فتح الباري، ج ٢، ص ١١٨

وقد روي [وإسناد صحيح] عن زيد بن ثابت أنه كان يحجب الأم بالأخوين، فقالوا له: يا أبا سعيد، إن الله تعالى يقول «فإن كان ثمة إخوة»<sup>١</sup> وأنت تحجبها بالأخوين؟ فقال: إن العرب تسمي الأخوين إخوة<sup>٢</sup>

فإذا كان زيد بن ثابت [وهو عربي صميم] قد حكى عن العرب أنها تسمي الأخوين إخوة فقد ثبت أن ذلك سم لهما يتناولهما<sup>٣</sup>

قال تعالى - بشأن الأولاد - «فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف»<sup>٤</sup> فقد شملت لساء - وهي صيغة الجمع - للثنتين فما فوق. ومن ثم كان معنى قوله «فوق اثنتين» اثنتين فما فوق وذلك بدليل تقابله مع قوله «وإن كانت واحدة فلها النصف» وإلا كاس الاثنان معولاً عنهما، الأمر الذي لا يتفق مع كون سياق الكلام لبيان الاستيعاب

ويشهد لذلك قوله تعالى بشأن الكلالعة «إني امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك. وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانت اثنتين فلها الثلثان بما ترك»<sup>٥</sup> والمراد الاثنان فما فوق، بدليل الإجماع في كلا لموضعين.

ذكر الطبرسي في الآية الأولى وجوهاً، أحدها - وهو أوجهها - أن في الآية بيان حكم البنتين فما فوق، لأن معناه فإن كن اثنتين فما فوق فلهن ثلثا ما ترك، إلا أنه قدّم ذكر الفوق على الاثنتين، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لا تسافر المرأة سافراً فوق ثلاثة أيام إلا ومعها زوجها أو ذو محرم لها<sup>٦</sup> ومعناه لا تسافر سافراً ثلاثة أيام فما فوقها<sup>٧</sup>

١ - النساء ٤: ١١ - ٢ - أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٨١-٨٢

٣ - السنن الكبرى للبيهقي ج ٦، ص ٢٢٧ باب مرض الأم. وقد عقد البيهقي باباً لترحيج قول زيد على قول غيره من الصحابة وأنه أعدم الصحابة بعلم المرافض. راجع ج ٦، ص ٢١٠ وهكذا روى الحاكم في المستدرک ج ٤، ص ٣٣٥ كان زيد يقول الإخوة في كلام العرب يحويون فصاعداً قال، هذا حديث صحيح لم يخرجه الشرح.

وروي بإسناد صحيحه أيضاً أن زيدا أمر من الأم ويرجع. الدر المنثور ج ٢، ص ٤٤٧

٤ - النساء ٤: ١١ - ٥ - النساء ٤: ١٧٦

٦ - راجع السنن الكبرى ج ١٠، ص ٨٢ وستن أبي داود ج ٢، ص ١٤٠، رقم ١٧٢٦؛ وسنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٢١٦، رقم ٢٩٤٧ وصحيح البخاري ج ٢، ص ٥٤ باب القصص في السفر رقم ٤

هذا الحديث ورد بألفاظٍ يختلف بعضها عن بعض، فكان مقتضى الجمع بينها هو الحكم بأن الزائد على اليومين حرامٌ عليها إلا مع ذي رحم.

وهي سنن البيهقي: «لاتسافر المرأة فوق ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم»<sup>١</sup>

وفي لفظ أبي داود: «لا يحل لامرأة... أن تسافر سفراً فوق ثلاثة أيام فصاعداً إلاّ ومعها أبوها، أو أخوها، أو زوجها، أو ابنها، أو ذو محرم منها»<sup>٢</sup>.

وأيضاً روي: «لاتسافر المرأة ثلاثاً إلاّ ومعها ذو محرم»<sup>٣</sup>

وفي لفظ ابن ماجه: «لاتسافر المرأة سفر ثلاثة أيام فصاعداً إلاّ مع...»<sup>٤</sup>.

وفي البخاري: «لاتسافر المرأة ثلاثة أيام إلاّ مع ذي محرم» وجاء في الهامش: وفي نسخة «فوق ثلاثة أيام»<sup>٥</sup>.

وأيضاً روي: «لاتسافر المرأة يومين إلاّ ومعها زوجها أو ذو محرم»<sup>٦</sup> «لاتسافر المرأة مسيرة يومين إلاّ ومعها زوجها أو ذو محرم»<sup>٧</sup>.

ومقتضى الجمع بين مختلف التعابير أن النهي إنما يتوجّه إليها فيما بعد اليومين. ومن ثمّ فهم الفقهاء من قوله ﷺ: «فوق ثلاثة أيام» الثلاثة فما فوق.

### يحوز في جماعة غير ذوي العقول اعتبار جمع التانيث

قال تعالى: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ»<sup>٨</sup> جاء وصف الأيام... وهو جمع مكسّر لـ «يوم» الذي هو مذكّر حيث قوله تعالى: «فِي يَوْمٍ نُخَسِّمُ سُحُوتِهِ»<sup>٩</sup> بجمع المؤنث السالم (بالألف والتاء).

٧ - مجمع البيان، ج ٣، ص ١٤

١ - السنن الكبرى، ج ١٠، ص ٨٢ باب من نذر العشي إلى مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس، رقم ٢

٢ - سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٤، رقم ١٧٢٦، باب المرأة تخرج بغير محرم، رقم ٤

٣ - المصدر، ص ١٤١، رقم ١٧٢٧/٥

٤ - سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٢١١، باب ١٠١٤ المرأة تخرج بغير ولي، رقم ٢٩٤٧

٥ - صحيح البخاري، ج ٤، ص ٥٤، باب العصور في السفر، رقم ٤

٦ - المصدر، ص ٢٧، باب مسجد بيت المقدس.

٧ - المصدر، ج ٢، ص ٥٦، باب الصوم يوم النحر

٨ - فصلت، ٤١: ١٦.

٩ - القمر، ٥٤: ١٩.

قال أبو حيان الأندلسي و«نحسات» صفة لأيتام، جمع بالثاء، لأنه جمع صفة لما يعقل<sup>١</sup>

قال الزمخشري - في قوله تعالى «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الذي خلقهن»<sup>٢</sup> الصمير في «خلقهن» لليل ولهار ولشمس والقمر، لأن حكم جماعة ما لا يعقل الأنثى أو الإناث يقال الأقلام برئتها وبرئتهن<sup>٣</sup>

قال المحقق رضي الدين الأسرأبادي - بشأن الجمع غير العاقلين - هو ثلاثة أقسام، مدكر لا يعقل كالأيتام والحيلات ومؤنث يعقل كالسوة والريينات، ومؤنث لا يعقل كالنور والطلحات فيحوز أن يكون ضمير جميعها الواحد المؤنث الغائب، تأويل الجماعة وأن يكون النون (نون جمع المؤنث، لكونها جمع غير العاقلين، وقد تقدم) عند الكلام عن الصائرات أن النون موصوع له فقول الأيتام والحيلات، والنساء والريينات، والدور والغرفات، فعلت وفعلن



وأما وصف الملائكة بصيغة الجمع المؤنث السالم (بالألف والتاء) - في المرسلات والنازعات، والصفقات، والدرجات - فاعسار كون الموصوف هم جماعات الملائكة فقوله «فالمقليات ذكراً»<sup>٤</sup> أي الجماعات الملقيات، جمع جماعة الملائكة، وكذا قوله «فالمذبرات أمراً»<sup>٥</sup> والصفقات صفاً ملزجاً زجراً فالكليات ذكراً<sup>٦</sup> وهكذا قوله «فالمقبات أمراً»<sup>٧</sup>

وقوله تعالى «والطير صدق كن قد غيم صلاته وتغيبه»<sup>٨</sup> صفقات. حال من الطير، باعتباره اسم جنس جمع، فهو كالجمع المكسر لغير ذوي العقول

١ - البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٩١.

٢ - الكتاب، ج ٤، ص ٢٠٠.

٣ - المرسلات ٧٧: ٥.

٤ - الصفقات ٣٧: ١-٣.

٥ - النور ٢٤: ٤١.

٦ - صفات ٤١: ٢٧.

٧ - شرح الكافية للاسترأبادي، ج ٢، ص ١٧١.

٨ - النازعات ٧٩: ٥.

٩ - الدريات ٥٦: ٤.

ومثله قوله «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصُّفُوفَاتُ الْجَبَابِلُ»<sup>١</sup> أي الخيل الصافنات، وهي الخيل الواقعة على ثلاث قوائم، الواضعة طرف السبك الرابع على الأرض.

### التعبير عن العقلاء بـ«ما» الموصولة

فقد جاء في القرآن الكريم مواضع استعمل فيها «ما» الموصولة فيمن يعقل.

منها قوله تعالى «فَاتَّخِذُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>٢</sup>

وقوله: «لَمَّا اسْتَفْتَحْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ»<sup>٣</sup>

وقوله: «وَالنِّسَاءُ وَمَا بَيْنَهُمَا»<sup>٤</sup>

وقوله «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ»<sup>٥</sup>

وقوله «فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبْلِ بَيْتِكُمْ مُؤْمِنَاتٌ»<sup>٦</sup>

وقوله «وَلَا تَتَّخِذُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>٧</sup>

وقوله: «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»<sup>٨</sup>

وقد تحلص أهل الأدب من ذلك من وجوه

الأول جواز استعمال «ما» الموصولة فيمن يفعل جوازاً مطرداً وإن كان غير

عالم

قال أبو البقاء العكبري «ما» هنا بمعنى مَنْ ولها نظائر في القرآن<sup>٩</sup>

وجاء في الكافية لابن حاسب و«ما» في العالم لما لا يعلم، وقد جاء في العالم

قليلاً حكى أبو زيد: سبحان من سخر كنّ لنا وسبحان ما سبّح الرعد بحمده. وقال تعالى

«وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>١٠</sup>

٢ - النساء ٤: ٣

٤ - النسر ٩١: ٥

٦ - النساء ٤: ٢٥

٨ - البيل ٩٢: ٣

٩ - راجع: إملاء مامن به الرحمن، ج ١، ص ١٦٦ وشرح الكافية، ج ٢، ص ٥٥

١٠ - النساء ٤: ٣٦ جاء في نفس الصفحة من شرح الكافية «سبحان ما سخر كنّ لنا وما سبّح الرعد بحمده»

١ - ص ٣٨، ٣٩

٢ - النساء ٤: ٢٤

٥ - الكافرون ١٠٩، ٢ و ٣

٧ - النساء ٤: ٢٢

الثاني أن الإينات من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء<sup>١</sup> وهذا أبعد الوجوه.

الثالث - وهو الأوجه - أنه إجرء على نصفه لا على الذات.

قالوا: و«ما» تحتصر أو تعلب في غير لعلاء فيما إذا أريد الذات، وأما إذا أريد

الوصف فلا. كما تقول مازيد - في لاستهام - أي فاضل أم كريم وأكرم ماشئت من الرجال، تعني الكريم أو اللثيم<sup>٢</sup>

قال الفراء: قال تعالى «ما طاب لكم»<sup>٣</sup> ولم يقل «من طاب» وذلك أنه ذهب إلى

الفعل (أي الوصف) (أي فانكحوا الطيبات من النساء) كما قال «أو ما ملكت أيمانكم»<sup>٤</sup> يريد أو ملكت أيمانكم

ولو قيل في هذين «من» كان صواباً، ولكن الوجه ما جاء به الكتاب وأنت تقول

في الكلام. حذ من عسدي ماشئت، إذا أراد مشئتك، فإن قلت «من شئت» فمعناه حذ الذي نشاء<sup>٥</sup>

وهكذا قال أبو البقاء، وقبل «ما» تكرير لصداق من يعقل، وهي ها كذلك، لأن

«ما طاب» يدل على الطيب منهون.

وقال الرمخشري وفيل «ما» ذهب إلى الصفة

قل رضي الدين الاسترآبادي. وتستعمل أيضاً في الغالب في صفات العالم نحو.

زيد ماهو وما هذا الرجل، فهو سؤال عن صفته والحواف عالم أو غير ذلك. قال وقول

فرعون «وم رب العالمين»<sup>٦</sup> يحور أن يكون سؤالاً عن الوصف، ولهذا قال موسى ﷺ «رب السماوات والأرض»<sup>٧</sup>

قال الزمخشري - ردّاً على من زعم أن «ما» هي قوله تعالى «والسماوات وما بينهما»

والأرض وما ذواتها. ونفس وما سواها»<sup>٨</sup> مصدرية - وليس بالوجد، لقوله «فأنهها»، وما

١ - الكشف، ج ١، ص ٤٦٧

٢ - روح المعاني ج ٤، ص ١٦٩

٣ - النساء ٤، ٣

٤ - النساء ٤، ٣

٥ - معاني القرآن، ج ١، ص ٢٥٣-٢٥٤

٦ - الشعراء ٢٦، ٢٣

٧ - الشعراء ٢٦، ٢٤ رجع شرح الكافية، ج ٢، ص ٥٥. ٨ - الشمس ١١، ٧-٥

يؤدّي إليه من فساد النظم. قال و لوجه أن تكون «ما» موصولة، وإثنا أو ثرت على «مَنْ» لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل وانسما، وتقدير لعظم الذي بناها ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سوّاها وفي كلامهم سبحان ما سحر كنّا<sup>١</sup>

وقال - في تفسير سورة الكافرون - فإن قنت قدم جاء على «ما» دون «مَنْ»؟ قلت، لأن المراد الصفة، كأنه قال لأعد ساطن، ولا تعدون الحق<sup>٢</sup>

وقال الطبرسي - في قوله تعالى «وَلَا تَتَكَبَّرُوا مَنَ كَجِ آهَؤُكُمْ»<sup>٣</sup> - إنه يحور أن يكون ذهب به مذهب الجنس، كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء فيذهب مذهب الجنس ثم يفسره بـ «مِنْ»<sup>٤</sup>

وأقول - توضيحاً لذلك - إن «ما» قد يراد به الدات، فذلك العالب أن يقع على غير ذوي العقول ولكن قد يقع على ذوي العقول مراداً به الوصف لا الدات، فذلك هو الشائع واستعمله القرآن ومنه السؤال عن الماهية أيضاً، يؤسّ بما دون «مَنْ» وإن كان سؤالاً عن ماهية عاقل فيقال زيدٌ ماهو، وما هذا الرجل، فإن السؤال عن شخصيته وعن تكوينه الذاتي في أو صافه الخاصه، وليس المراد السؤال عن معرفة شخصه، فلا يصح أن يقال في الجواب إنه ابن فلان أو من آل فلان بل ينبغي أن يجاب بما يعرف شخصيته الذاتية وأن يؤتى بأوصاف تخصّه

نعم، لو أريد السؤال عن شخصه كان يجب أن يقال مَنْ هو، فيجاب بأنه ابن فلان أو من آل فلان

وفي الحديث عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال ما هذا؟ فقيل: علامة قال وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأسباب العرب ووفائهم وقيام الجاهلية وبالأشعار والعربية فقال النبي ﷺ ذاك علم لا يصبر من جهله، ولا يسمع من علمه<sup>٥</sup>

١ - الكشاف، ج ٤، ص ٧٥٩

٢ - المصدر: ص ٨٠٩

٣ - النساء: ٢٢

٤ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٧

٥ - بحار الأنوار، ج ١، ص ٢١١ من أمالي الصدوق.

ومنه قوله تعالى - حكاية عن فرعون - «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ»<sup>١</sup> وذلك لقادعاء موسى ﷺ إلى شريعته وقال: «إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>٢</sup> أعاد عليه فرعون وسأله عن سمات هذا الرب والتي جعلته رباً للعالمين، ولم يسأله عن داته المقدسة وعن اسمه الخاص وبلا لكان حقّ الجواب أن يقول موسى ﷺ لله: بل أجابه بقوله: «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا... رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ... رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا»<sup>٣</sup> وفيه تعريض لفرعون، حيث ادّعى الربوبية، لأنّه ملك مصر، وأنّ أهارها تجري من تحته<sup>٤</sup> فهو يملك - فيما زعم - رقعة من الأرض وليست كلها وفي مقطع من الرمان لافي كل الأزمان، ولأناس معدودين وليس كل الخلائق من لأولين وآخرين

والخلاصة إنّ التعبير بـ «ما» عن شيء قد يكون تعريفاً بعين داته، فهذا ما يعلب استعماله في غير ذوي العقول وقد يكون تعريفاً بصفاته وعناوينه التي كوّنت شخصيته الخاصة، فهذا يعمّ ويطلب استعماله في العقلاء أيضاً وقد جاءت تعابير القرآن على هذا النمط، وجارياً على أساليب كلام عرب لمصيح

وعليه، فكان قوله تعالى: «فَانكحُوا الطَّيِّبَاتِ»<sup>٥</sup> تعبيراً عن الطيبات من النساء، أي فأنكحوا الطيب من النساء. هل مكّي بن أبي طالب أي فأنكحوا الطيب أي الحلال. و«ما» تقع لما لا يعقل، ولنعت ما يعقل، ولذلك وقعت هنا لنعت ما يعقل<sup>٦</sup>

وكذا قال - في قوله تعالى «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>٧</sup> - وقعت «ما» لمن يعقل، لأنّ المراد بها صفة من يعقل قال و«ما» بسأل بها عما لا يعقل وعن صفات من يعقل<sup>٨</sup>  
قال الفراء «ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يريد أومئ أيمانكم<sup>٩</sup>

٢ - الشعراء ٢٦، ١٦

١ - الشعراء ٢٦، ٢٣

٣ - الشعراء ٢٦، ٢٤-٢٨

٤ - إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَا دَىٰ فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ لَمَّا قَالَ لِيَ كَلْبُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ فَخْرِي مِنْ عَمَلِي لَأَنلَا تُبْعَثُونَ». الزخرف ٤٣، ٥١.

٥ - النساء ٤، ٣

٦ - مشكك إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، ج ١، ص ١٨٩

٨ - المصدر ص ١٩٥

٧ - النساء ٤، ٣٦

٩ - معاني القرآن، ج ١، ص ٢٥٤



فإنه عنى الطيبات، ثم بيّنه بقوله «من النساء» كما أنه عنى المملوك ثم بيّنه بالفتيات وكذلك قوله «فما استمتعتم بهن»<sup>١</sup> فإنه عنى جانب الاستمتاع، ثم جاء البيان بالنساء ومثله قوله «مكح أبائكم»<sup>٢</sup> أي ما وقع في مكاحهم، ثم بيّنه بقوله «من النساء». وقال الزمخشري - في قوله تعالى: «وَلِلنِّسَاءِ وَمِثْنَاهُنَّ»<sup>٣</sup> - جعلت «ما» مصدرية، وليس بالوجه، لقوله «فألهنَّها»، وما يؤدى به من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على «من» لإرادة معنى الوصفية، كنه قال: والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفسى والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم «سبحان ما سخر كن لنا»<sup>٤</sup> وقال - في قوله «لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبِدُ»<sup>٥</sup> - فإن قلت، لم جاء على «ما» دون «من»؟ قلت لأن لمرد الصفة، كأنه قال لأعبد الساطل، ولا أعبدون الحق.<sup>٦</sup>

وقال - في قوله «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»<sup>٧</sup> - والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والأنثى<sup>٨</sup> تبييناً لموضع «ما» وأنها موصولة قال القراء كل هذا - أي التعبير بـ «ما» عن العلاء فيما ذكر من الآيات - جائر في العربية.<sup>٩</sup>

#### ضمائر تحالف مراجعها

قال تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتُركَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»<sup>١٠</sup>

١ - النساء ٤: ٢٢

١ - النساء ٤: ٢٤

٤ - الكشاف، ج ٤، ص ٧٥٩

٣ - الشمس ٨١: ٥

٦ - الكشاف، ج ٤، ص ٨٠٩

٥ - الكافرون ١٠٩: ٢ و ٣

٨ - الكشاف، ج ٤، ص ٧٦١

٧ - الليل ٩٢: ٣

١ - البقرة ١٧: ٢

٩ - معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٦٣

فقد شبه المافقون - في حالتهم المريرة - بالذي استوقد ناراً لإتارة لطريق، لكنه  
افتقدها فور الوقود ومن ثم كان يحب - حسب الطاهر - أفراد الضمائر كلها، حيث عودها  
على المشبه وهو مفرداً

لكن هذا من باب تناسي التشبيه - كما في لاستعارة المرشحة -<sup>١</sup> كما في قول أبي  
تمام من قصيدة يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه وهذا البيت في مدح أبيه  
وذكر علو قدره ورتبته:

ويصعد حتى يظنّ الجهول بأن له حاجة في السماء

استعار الصعود لعلو لقدر و لارتقاء في مدارج الكمال، ثم بنى عليه ما يبني علو  
المكان والارتفاع في السماء فقلوا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصرّ على إنكاره  
ليجعل صاعداً في السماء من حيث المسافة المعكسة، لما كان لهذا الكلام وجه

وبحسب قول أبي الفضل ابن العميد في غلام جعل قام على رأسه ليستره عن الشمس

قامت تظللني من الشمس نسي أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن محب شمس تظللني من الشمس

قلوا أنه تناسى التشبيه لم يكن وجه لهذا التعجب

وكذا قول أبي الطيب الطائي، العلوي في وصف علام صبيح

لا تعجبوا من بلى غلالته قد رر أراره على القمر

قلوا أنه تناسى التشبيه لم يكن وجه لهذا النهي عن التعجب

ونظيره ما جاء في نفس التشبيه - من غير استعارة - كما في قول عباس بن الأحنف

في قصيدة يصف فيها محبوبته، يحاطب نفسه

١ - وهي ما قرن المستعار بهما يلائم المستعار منه. كما في قوله تعالى: وَأُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا بُعْثَةً بِالْهَدَىٰ قِيٍّ وَبِغَيْرِهَا  
يُجَادِلُهُمْ الْبُغْيَةُ ١٦: ٢ فإنه استعار البغية للاستعداد والاحياد ثم فرغ عليها ما يلائم الاشتراء من الريح والتجارة.  
قالوا: والترشيح أدنى، لاشتغالها على تحقيق المبالغة في التشبيه وبناء على تناسي التشبيه وأدعاء أن المستعار له عين  
المستعار منه (راجع المطاوعة، قسم البيان، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ طبع مصر، منشورات مكتبة الدائري - قم).

هي الشمس مسكنها في السماء      عزّ الواد عزاءً جميلاً  
 علن تستطيع إليها الصعودا      ولن تستطيع إليك الزولا  
 فقد شبهها بالشمس تشبيها صريحاً من غير أن بطوي ذكر لمشبهه به، ومع ذلك فقد  
 تناسى التشبيه، وبنى على المشبه ما هو من شأن المشبه به<sup>١</sup>  
 وقوله تعالى «وَحُضُّمٌ كَأَلَدَى حَاضِرٍ»<sup>٢</sup> أي خضتم في الكمر والساد كالذي خاضوه  
 فالعائد محذوف وهذا من تشبيه الحوص بالحوض، لا الحائضين بالخائضين وهو من  
 حسن التشبيه حيث وقع بين الفعلين لا انفعايش  
 وقوله تعالى «وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُوقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»<sup>٣</sup> المراد به الحسن  
 وهو عام في مفهومه يشمل الواحد والكثير، وبما أن الآية ذات مصاديق كثيرة لوحظ  
 المعنى ليعم الحكم من غير ومن حضر ومن يأتي من بعد  
 وقوله تعالى، «وَالَّذِي قَالَ لِرَبِّهِ أَفْهَ لَكَ...»<sup>٤</sup> المراد  
 به الجنس أيضاً وهو نوع من الإيقتات اللطيف، حيث بدأ الكلام بغيره، لكن المتكلم  
 - حيث أراد الجنس لا الفرد الخاص - سحر بكلامه إلى جانب العموم وإرادته الشمول  
 وهنا بشأن هذه الآية حكاية ظريفة رعمت بنو أمية وبنو مروان أنها نزلت بشأن  
 عبدالرحمان بن أبي بكر وحينما كتب معاوية إلى عامله بالمدينة مروان بن الحكم بأن  
 يبائع الناس ليريد قال عبدالرحمان: لقد جئتم بها هرقيّة، تبايعون لأسائكم! فقال مروان:  
 أيها الناس، إن هذا هو الذي قال الله فيه «وَالَّذِي قَالَ لِرَبِّهِ أَفْهَ لَكَ...» فسمعت عائشة،  
 ففضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في  
 صلبه، فأنت فضض من لعنه الله<sup>٥</sup>

١ - المطول، ص ٣٧٩

٢ - سورة ٩، ١١

٣ - الزمر ٣٣، ٣٩

٤ - لأحزاب ٤٦، ١٧ و ١٨

٥ - فضض، ما انقص من الشيء، قال الجوهري. وفي الحديث: أتب فضض من لعنه الله، يعني ما انقص من نطفه الرجل

## ما يستوي فيه المفرد والجمع

من ذلك لفظ «الطاغوت» يقع على الواحد والجمع

• قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»<sup>١</sup>  
وقال: «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»<sup>٢</sup> جاء في التفسير أنه أراد: كعب بن الأشرف وأسس اليهود

وقال: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا»<sup>٣</sup> أراد به الأصنام  
قالوا هو في الأصل مصدر «طغى»، وأصله: طغيت، على وزن: فَعَلْتُ، مثل: الرهبوت، والرحموت. فقدم الياء وأبدل منها ألفاً فصار طاغوت<sup>٤</sup>

• ومن ذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»<sup>٥</sup>

ومثله قوله: «وَالنَّضِرُ: إِنْ الْإِنْسَانَ لِفِي حُكْرٍ»<sup>٦</sup> «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا»<sup>٧</sup>  
والمراد بالإنسان هنا الجنس الذي يطبق على الواحد والجمع سواء، بدليل الإشتاء هنا

• قال تعالى: «مُتَكَبِّرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ»<sup>٨</sup> قال الرمخشري والسامر، نسحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وكانوا يجمعون حول البيت بالليل يسرون وكانت عامة سترهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً، وسب النبي ﷺ و«تهجرون» من أهجر في منطقه إذا أفحش. والهجر - بالضم - انفحش وبالفتح: الهذيان<sup>٩</sup>

• ومنه «الْقُلُوكُ» يطلق على المفرد والجمع، قال تعالى في المفرد: «وَمَنْ مَعَهُ فِي

١ - وترد في صبه. والحديث أخرجه النسائي وابن أبي حنيمه وانحاكم وصححه ابن مردويه. وأخرج أصله البخاري في صحيحه. راجع: الكشاف، ج ٤، ص ٣٠٤ وهامش، ص ٣٣٠ وراجع أيضاً الدر المنثور، ج ٧، ص ٤٤٤

٢ - البقرة ٢٥٧، ٢٥٨

٣ - الزمر ٢٧، ٢٨

٤ - التين ٩٥، ٩٦

٥ - المؤمنون ٢٣، ٢٤

٦ - مراد القرآن المنسوب إلى الزجاج ص ٧٦٣، بابه ٤٢

٧ - العصر ١٠٣، ١٠٤

٨ - الكشافة ج ٤، ص ١٩٤

الْفُلُوكِ الشُّعْرُونَ»<sup>١</sup> وقال في الجمع: «حَقَّ إِذْ كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ<sup>٢</sup> فِي الْمَقَرِّدِ كَقِفْلٍ،  
وفي الجمع كأسد

وقوله «وَالْفُلُوكِ الْفُلُوكِ الْفُلُوكِ»<sup>٣</sup>، يحصل المفرد والجمع، وذلك لأن «الْفُلُوكِ»  
يذكر ويؤنث في ضمير التأنيث أن يكون لذلك، أو لإرادة الجمع

\* ومنه ما جاء مفرداً بلفظة المير أو نحال أو المفعول به، ويُراد به الجمع،  
لأباعتبار المجموع، بل باعتبار كل واحدٍ منهم قال تعالى «إِنْ طِبَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ<sup>٤</sup>  
نَفْسًا»<sup>٥</sup> أي أنفساً، والمراد كل واحدةٍ نفساً وقال «وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا»<sup>٦</sup> أي رفقاء،  
والمراد: كل واحدٍ رفيقاً

قال الرمخشري والرفيق كالصديق وتلحظ في سواء الواحد والجمع فيه  
ويجوز أن يكون مفرداً بين به الجنس في هـب التمييز<sup>٧</sup>

وقال «فَمِنْ يَخْرُجُكُمْ طِفْلاً»<sup>٨</sup> أي أصغلاً، والمراد كل واحدٍ طفلاً

وقال «أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دِيُونِي وَكَأَلَاءِ<sup>٩</sup> أَي وكلاء

وقال «حَلِّصُوا نَجِيًّا»<sup>١٠</sup> أي أنصاء أو أتعبة

قال الرمخشري، ويجوز أن يقال هم نجي كما قيل هم صديق، لأنه برنه

المصادر<sup>١١</sup>

\* ومنه لفظ «العدو» فإنه يُطلق على واحد والجمع على سواء قال تعالى: «فَاتَّخِذْهُمْ<sup>١٢</sup>

عَدُوًّا لِي»<sup>١٣</sup>

قال الراغب: يقال رجل عدو، وقوم عدو<sup>١٤</sup> قال تعالى: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاخْذْهُمْ قَاتِلَهُمْ

٢- يونس ١٠، ٢٢

٤- النساء ٤، ٤

٦- الكشاف ج ١، ص ٥٣٦

٨- الإسراء ١٧، ٢

١٠- الكشاف، ج ٢، ص ٤٩٤

١٢- المعجمات، ص ٣٢٦

١- الشعراء ٢٦، ١١٩

٣- البقرة ٢، ١٦٤

٥- النساء ٤، ٦٩

٧- طاهر ٤٠، ٦٧

٩- يوسف ١٢، ٨٠

١١- الشعراء ٢٦، ٧٧

الله أني يوفكون»<sup>١</sup> «وهم لكم عدو»<sup>٢</sup>.

\* وقال تعالى «فأول من شيعي. ولا صديق حميم»<sup>٣</sup> أي أصدقاء أحماء



٢ - الكهف ١٨ - ٥٠.

١ - الماعون ٦٢ ع.

٣ - الشعراء ٢٦، ١٠٠ و ١٠١.

## القصص القرآني على منصة التحقيق

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾<sup>١</sup>

القصة، الحديث، الخبر الأمر الحادث لأحد أو أكثر اشأن الحال جمعها قصص،

والصدر قصص

يقال قص عليه الخبر قصصاً، إذا حدثه به والفص والفصص تتبع الأثر يقال قصصت أثره أي تتبعته قال تعالى «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً»<sup>٢</sup> أي رجعا إلى الوراء ليستعلما الحال، وقال - علي لسان م موسى - «وَقَدْ كُنَّا لِلْأُخْتِ قَصِيه»<sup>٣</sup> أمرتها بالفحص وتتبع أثره، ولتطر من يأخذ من الماء

وقصص القرآن، أخباره عن أحوال الماضين، من أمم وأنبياء سالفين وعن

حوادث واقعة في سوانف الأيتام، مما فيه العبر والاعتبار للباقيين.

وللنقطة أثرها المباشر في النفوس وأكد في التربية والتعليم مما لو كان الكلام عارياً عن شواهد وأمثال ذلك أن النفوس تهفو إلى معرفة ما بين الأحداث وعللها وأسبابها من ربط وكذا بينها وبين النتائج المترتبة عليها من علاقة وثيقة فلو أن المتكلم أنان وجه العلل والأسباب، وكشف عن النتائج العاصلة بشكل مستدل متين، ووضع يده على مواضع العبر منها وذوات الاعتبار، لكان قد اقترب من غايته في تأثير النصيح والإرشاد، في أقرب طريق وأفضل أسلوب مؤثر.

قال نظام لدين النيشابوري القمي، صاحب التفسير: الإنسان قد يذكر معنى فلا يلوح له مبلغ تأثيره ولا مدى تفهيمه كما ينبغي، حتى إذا شفعه بشاهد مثال ولا سيما قصص الماضين - فيما إذا كان بصدد الوعظ والإرشاد - فتراه كلاماً ذا وقع وتأثير حسبما يراه. ذلك أن في الطباع محاولة المعاينة مع المشهود من جمال أو كمال. فإذا ذكر المعنى وحده كان قد أدركه العقل، ولكن مع منارعة الخيال ومحاولة رفضه في بادئ الأمر، أما إذا شفع بذكر شاهد من أحوال الماضين وذكرت الأسباب المؤاتية والنتائج العاصلة منها، رغبت النفس في لمسها في ذات ضميره، فيكون أوقع في النفس وأقرب إلى القبول وإمكان التأثير ومن ثم كان من الضروري الإكثار في القرآن من ذكر القصص والأمثال، فإنه الكتاب الذي أنزل تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين<sup>١</sup>

وقال الإمام الرازي - بصدد بيان فائدة ذكر قصص الأنبياء في القرآن -

إنه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والبيّنات وفي الرد على شبهات المعاندين، شفعها بذكر أحوال الأمم السالفة ومواقعهم من الأنبياء، لغرض أن الكلام إذا طال في تقرير نوع من أنواع المعارف، فربما حصل نوع من الملل، وليس إذا حصل انتقال من نوع إلى نوع، ليزيد طراوة وينشط من رغبة السامعين.

وأيضاً ليكون الرسول ﷺ والمؤمنون في تسليّة عمّا يواجهوه من أذى الأعداء،



وليتأسوا بمن سلف من الأنبياء والصالحين

وكذلك ليكون تنهاً للجهال المعادين، فليضطروا في أحوال الماضين من آبائهم وليعتبروا بما أصيبوا من الفشل والخسار، والله تعالى لينصر أوليائه ويكون حنده هم الغالبين.

وأخيراً فإنها معجزة قرآنية يذكر قصص الماضين تقيّة وسليمة من أكدار التحريف والتشويه، على يد نبيّ أمي لم يكتب ولم يعرف نكسب<sup>١</sup>

### أسلوب القصة في القرآن

إن أسلوب القصة في القرآن جاء متميزاً عن الأسلوب المعروف للقصة في التراث الأدبي والإسائي، حيث يكتفي القرآن الكريم بذكر الأحداث بشكل مقتضب وبصورة إحصائية أحياناً تاركاً التفاصيل، وأحياناً بشكل متقطع عبر موصول، وادّعاء يده على نقاط هي بيت العصيد من القصة، وفي الأغلب بشكل الاستطراد في التمرّض لمعاهيم وحقائق وموضوعات عقائدية أو أخلاقية أو كويّة (هسن الطبيعة) أو شرعية، وغير ذلك من الخصوصيات التي قد تشير ملاحظته كبرة حول أسلوب القصة في القرآن الكريم وبذلك تخرج عن كونها عملاً فنياً مستقلاً له مميزات الخاصة

وهذا يعود إلى أن القرآن كتاب هداية، وإنما استخدم الفن لغايته في أمر الهداية، ومن ثمّ فإنه يقتصر على موصع لحاجة منه في سبيل تحقيق هدفه الخاص، ولا يعير اهتماماً فيما لا يعود إلى هذا الجانب بالذات

وشيء آخر، كان أسلوب القرآن أسلوب خطاب لا أسلوب كتاب - كما نبيها<sup>٢</sup> - فلا ملزم له بسرد القصايا بانتظام وانسجام ولا تبيين بالتفاصيل والحزائيات، كما هو شأن الكتاب، فلا يراعي فيما يقص من قصص ترتيبها الرمي ولا التواصل في ذكر حادثة، بل

١ - عن التفسير الكبير ج ١٧ ص ١٣٥، عند تفسير الآية ٧١ من سورة يوسف، فيما قصّ الله من حديث لوح شهابي نقله يتصرف.  
٢ - في الجزء الأول من التمهيد.

ينتقل من حدث إلى آخر، ثم يأخذ بالتجول حسب اقتضاء الكلام ومن ثم فالقرآن بحري في ذكر بحادثة على أسلوبه الخاص في ذكر سائر الموضوعات من المزج والالتقاط وصم بعض الموضوعات والمفاهيم إلى بعض، لمناسبة يراها مقتضية، وبذلك يخرج عن أساليب نكتب المدونة، لا شيء إلا لأنه كلام صيغ على أسلوب الخطاب، وفي مسحة عما يتفد به أسلوب الكتاب فهو مزج الحقائق الكونية بالمعارف العقائدية، وبالأحكام الشرعية، وبالموعظة والإرشاد والتبشير والتحذير، والعواطف والمشاعر والأحاسيس بالعقل والإدراك

كما أنه قد يكرر الموضوعات والمفاهيم بصيغ متنوعة وفي سياقات مختلفة، كلاً حسبما يقتضيه المقام وناسب اتجاه الهدف من ذكر القصة وفي كل مرة قد يزيد أو ينقص، وقد يوجز أو يطول حسب لمناسبة، ومن ثم فله أسلوبه الخاص خارجاً عن أساليب القصة في الأدب الرائج

### مميزات القصة في القرآن

تعد القصة في القرآن في مظهرين أساسيين الأولي تحرري جانب الصدق والواقعية، وليس مجرد تخيل الثابت جانب لهدف والغرض الذي جاء من أجله القصص في القرآن فالقرآن لم يتناول القصة باعتبار أنها عمل فني، ولم يأت بها من أجل الحديث عن الماضين، أو للسلية أو المعة كما يفعل المؤرخون والقصصون وإنما كان الغرض من القصة في القرآن هو المساهمة مع جملة الأساليب العديدة الأخرى التي استخدمها القرآن، لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينية والتربوية، وكانت القصة القرآنية من أهم هذه الأساليب!

وانطلاقاً مع هذه الفكرة وعلى هذا الأساس، يمكن أن نحدد الفرق بين القصص القرآني وغيره من القصص ببعض النقاط التي تشكل المميزات والخصائص والصفات الرئيسية للقصص القرآني، ويمكن أن نجد هذه الخصائص قد أشر إليها في القرآن الكريم

في قوله تعالى: «لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عَذْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ. مَا كَانَ خَدِيشًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»<sup>١</sup>

حيث يمكن أن يفهم من هذه الآية تصف الفصص القرآني بالواقعية والصدق والحكمة والتربية الناجحة

أولاً - الواقعية، بمعنى ذكر الأحداث وتفاصيلها والصور التي لها علاقة بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها المعاشة في مسيرة تدريج لإسائي، مقابل أن تكون القصة في القرآن إثارة وتعبيراً عن الصور، أو الحياتيات، أو الأماني، أو الرغبات التي يطمح إليها الإنسان، أو يمتدحها في حياته

ذلك لأن القرآن الكريم يريد من ذكر لقصة وأحداثها، إعادة النظر في التاريخ الإنساني ولتضام الواقعية التي حاربها بشريته في حياتها، والتي عاشتها الأمم والرسالات الإلهية السالفة، والتي تبينت محاسنها عن مساوئها، ولتؤخذ منها الاعتبار في لحاصر المعاش، فلا يحارب ما جرّبه الآباء وحنّت بهم لدمامة من قبل

أما إذا انفصلت القصة عن هذا الواقع، وكانت مجرد تسليه وسرد أحداث التاريخ لمعاصي ومن غير نظر لاعبار بها، فهذا أشبه بكتب الأساطير منها بكتب التربية والأخلاق

والإنسان في مسيرته التكاملية، بحاجة إلى أن يطلق مع الواقع نحو الطموحات والكمالات، وبدون ذلك (بلا درس واقعه في معاصي والحال) سوف يفصل هذا الإنسان عن واقعه لراهن، فيصيح في متاهات الأمل ولتمنيات، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحالة في الإنسان عندما تحدث عن اليهود «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمِّيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ»<sup>٢</sup>

وعندئذ (عندما حاص الإنسان في أمييه من غير ملاحظه واقعه) لا يصل الإنسان إلى أهدافه وآماله العليا لأن من لا يطلق في اتجاه المسير من البداية فلا يبلغ النهاية

ومن هنا نجد القرآن الكريم يحاول أن يعالج من خلال القصة، الواقع الذي كان يعيشه المسلمون في زمن النبي ﷺ فيذكر ما يتطابق من الأحداث مع هذا الواقع من ناحية، كما يعالج الواقع الذي سوف يعيشه الأجيال والعصور الإنسانية المستقبلية من ناحية أخرى

وهذا هو الذي يفسر لنا ما ورد عن نعمة أهل البيت عليهم السلام من قولهم «إن القرآن يحري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع»<sup>١</sup> وأن القرآن حي مع الأبد، لا يموت مع من رل في شأنهم بالذات<sup>٢</sup> فإن نطاق هذا الكلام على القصص والأحداث ذات العلاقة بالأنبياء وأقوالهم أو بالتاريخ الماضي، إنما هو بلحاظ هذا البعد والصفة في القصة القرآنية

ولعل في الآية السالفة «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»<sup>٣</sup> إشارة إلى هذه الصفة في القصص القرآني بوجه عام

ثانياً - تحرّي الصدق في ذكر الأحداث والوقائع التاريخية التي تعرض لها الأنبياء وأقوامهم في حياتهم وذلك في مقابل الأكاذيب والانحرافات من لفهم والسلوك أو الخرافات التي افرنت بقصص الأنبياء ولأمم السالفة حسيما سجلت «مشوهة ومحرّفة» في كتب المهدين بالدات، على أثر ضباع وتحرير للحقائق عن قصد أو بدون قصد أو اشتباه أو جهل

فما ورد في القرآن من أخبار وحوادث هي أمور وحقائق ثابتة ليس فيها كذب أو خطأ أو اشتباه، كما حصل في الكتب السالفة ذلك لأن القرآن وحي إلهي، والله لا يعزب عن علمه ذرة في السماء والأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والحاضر والماضي والمستقبل لديه سواء ويؤكد على هذه لحقيقته قوله تعالى «ما كان حديثاً

يفتري»<sup>٤</sup>

٢- المصدر، ص ١٠، رقم ٧.

١- تفسير الميثاق، ج ١، ص ١١، رقم ٥.

٣- يوسف ١٢، ١١١.

وشيء آخر لعلّه أهم، وهو أنّ لأخذ بعبر التاريخ إنّما يصحّ إذا كان إخباراً عن صدق، ذلك لأنّه أخذ بتحارب مرّت على حياة الإنسان، إن حسنة أو سيئة، ولا تجربة إلا إذا كانت واقعة، لا مجرد فرض وتعميل!

والقرآن، حتّى في صرب الأمثال، إنّما يضع يده على حقائق مرّت على حياة الإنسان، لغرض العبرة بها (كي لا تتكرّر إذ كانت مريرة، ولتتداوم إذا كانت حميلة) ولا عبرة بمجرد خيال لا واقع له

ثالثاً - التربية على الأخلاق الإنسانية العادلة، في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصيّة الإنسان، وسريه على الاهتمام بالفرائر وإنما اتّصفت في القرآن بالأخلاقية، لأنّ لمسره والحركة التكامليّة للإنسان - سواء على مستوى الفرد أو لجماعة - إنّما تقوم على أساس الأخلاق، بعد المعبّدة بالله تعالى والرسالات واليوم الآخر بل إنّ الاتّصاف بالأخلاق لعالية هو الذي يمثل عنصر النكامل الحقيقي في حركة الإنسان الفردية والجماعية ولذا كانت قاعده المجتمع الإنساني في نظر الإسلام قاعدة أخلاقية، والسلوك الزايف للإنسان هو السلوك الأخلاقي وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «بُعِثْتُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا»<sup>١</sup>

لذا جاءت النِصّة في القرآن الكريم ذات طابع أخلاقي والتربية على الإيمان بالله والعمل الصالح، والسلوك الأفضل في الحياة فردية واجتماعية ولعلّ هذا هو معنى الهدى والرحمة في الآية السالفة ولذلك ورد قوله ﷺ أيضاً: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»<sup>٢</sup>.

رابعاً - الحكمة وكشف الحقائق الكونية وسن التاريخ والقوانين والأسباب التي تتحكّم أو تؤثر في مسيرة الإنسان، وعلاقتها بالاجتماعية، والحياة الكونية المحيطة به لأنّ هذه الحقائق لكونية لها علاقة بمسيرة الإنسان التكامليّة، مادام أراد الله تعالى لهذا

١ - بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٨٧ عن أمالي الشيخ ص ٢٧ رواه بإسناد، إلى عبيد الله عنه ﷺ قال سمعته يقول: «وكم المال للمعطي الهدى، ج ٣ ص ١٦ رقم ٥٢١٧ وانظر فيه «إنما بعث لأشتم مكارم الأخلاق». ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٢٧٣  
٢ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٤٣

الإنسان أن يكون مختاراً في حياته ومستعبداً للعلم والحكمة في تنظيم مسيرته. ولذا كان من أهداف الرسالة تعليم الكتاب والحكمة، حتى ينتفع بها الإنسان في تقييم حياته وتنظيم مسيرته. ولعلّه لهذه الصفة يقتصر القرآن الكريم في ذكر القصص والأحداث التاريخية على ما يكون له علاقة بهذه الجهة وفي اتجاه هذا الهدف بالذات وإلى ذلك أشارت الآية: «وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ»، حيث يفتح من كل باب منه ألف باب وعلى وزن قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»<sup>١</sup> وهذا بخلاف ما لو كانت القصة مجردة للتسلية أو لتدوين الحوادث والوقائع التاريخية، كما هو شأن كتب التواريخ

ذلك ميزة القصة القرآنية، تعبيراً عن وضع الحياء، لغرض التربية والعبرة تتحارب التاريخ، ولتكشف الحقائق الراهنة المؤثرة في مسيرة الإنسان نحو الكمال وليس عبثاً ولا مجرد تسلية أو تخييل وهكذا افترفت القصة قرآنية عن غيرها بأنها قصة الأحياء، قياساً للباقيين على المعاصرين وليس سره حكمة الأموات أو نقل آثارهم فيما سمعوا بالحياة، وأكثره عبث لا حير فيه<sup>٢</sup> ولذلك كان القرآن المبرّل أحسن الحديث<sup>٣</sup>

## أغراض القصة في القرآن

نجد القصة القرآنية تستوعب في مضمونها وهدفها كلّ الأغراض الرئيسية التي جاء من أجلها القرآن الكريم، بعد أن كانت القصة هي الأداء المفضلة التي استخدمها القرآن في سبيل تحقيق أهدافه وأغراضه جمع ومن ثمّ نرى القرآن قد استخدم القصة لإثبات الوحي والرسالة وإثبات وحدانية الله، وتوحيد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الحير والضّرّ والصبر والجزع والشكر والبطر وما إلى ذلك من أهداف رسالية وعقائدية، تربوية واجتماعية وستن التاريخ وما شابه وإليك

١- النحل ١٦، ٨٩

٢- راجع الميراث في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٧٢ والقصص القرآني للسيد الحكيم، ص ٢٦، ٣٠

٣- الزمر ٢٣، ٨٩

الأهم من هذه الأغراض<sup>١</sup>

١- كان من أغراض القصة إثبات الوحي والرسالة، وأن ما ينزل على محمد ﷺ هو وحي من عند الله، لا شيء سواه فمحمد ﷺ لم يكن يكتب ولا يقرأ الكتب ولا عرف عنه أنه جالس أخبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن على أدق وصف وأحسن بيان، لا تحريف فيها ولا تشويه، فكان أدل دليل على أنه وحي يوحى وليس نقلاً عن كتب محرّفة أو أقاصيص مشوّهة والقرآن يصرّ على هذا الغرض نصّاً في مقدمة بعض القصص أو في أعقابها

حاء في أول سورة يوسف: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. ثُمَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَبِذَلِكَ نَمُكِّنُ مِنَ الْمُعَافَيْنِ»<sup>٢</sup>  
وفي نهاية السورة: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ خَدِيدًا يُفْتَرَى وَلَكِنَّ تَضَدِيقَ الْيَدَيْنِ يَدِينَهُ وَتَفْصِيلُ كُلِّ قَوْمٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»<sup>٣</sup>

وجاء في سورة لقصص قبل عرض قصة موسى «تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»<sup>٤</sup> وبعد انتهائها: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرْشِ إِذْ قُصِّيتُ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّ أَشْيَاءًا قُرُوءًا فَتُطَوَّلُ عَنْهُمْ يُعْزَمُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا. وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُورِ إِذْ بَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا آتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»<sup>٥</sup>

وجاء في سورة آل عمران في مدأ عرصه لقصة مريم «ذلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَتَيْنَهُمْ بِنُحُوتٍ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»<sup>٦</sup>  
وفي سورة «ص» قبل عرض قصة آدم «قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ. مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنَّا بَوَحًى إِلَيْنَا أَعْبَادَ نَذِيرٌ مَبِينٌ. إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ»<sup>٧</sup>

١- راجع ما كتبه سيد قطب بعد الصدق في كتابه الصور التي في القرآن ص ١٢ وما بعد.

٢- القصص ٢٨-٤٤

٣- ص ٦٧-٧١

٤- القصص ٢٨-٣٠

٥- آل عمران ٣-٤٤

وفي سورة هود بعد قصة نوح «يَسْأَلُ مِنْ آثَامِ الْغَيْبِ نوحها إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَغْلُظُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»<sup>١</sup>

فكل هذه الآيات وأمثالها إنما جاءت لتؤكد فكرة الوحي التي هي الفكرة الأساسية في الشريعة الإسلامية

٢- وكان من أعراس القصة بيان وحدة الدين والعقيدة لجميع الأنبياء، وأن الدين كله من الله سبحانه، وأن الأساس في الجميع واحد، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ولما كان هذا غرضاً أساسياً في الدعوة وفي بناء التصور الإسلامي فقد تكرر مجيء هذه القصص على هذا النمط، مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوحيدها في النفوس وربما وردت قصص عدة من الأنبياء مجمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة بدیعة لتؤكد هذه الحقيقة.

خذ مثلاً سورة الأنبياء، يتابع قصص موسى وهارون وإبراهيم ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذي الكفل ودي النون ومريم ويعقوب كلاً بذكر جميل، وفي النهاية يقول «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَذَعِّبُوا»<sup>٢</sup> وهذه هي الغرض الأصل من هذا الاستعراض الطويل، وغيره من الأعراس الأخرى يأتي عرضاً وفي ثاياءه

وجاء في سورة البحل «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِبِينَ»<sup>٣</sup>

وفي سورة المائدة: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْيَارُ»<sup>٤</sup>

وفي سورة البقرة «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَتَّى تَقُومَ الصَّلَاةُ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ»<sup>٥</sup>

٢- الأنبياء ٢١-٤٨-٩٢

٤- المائدة ٥-٤٤

١- هود ١١-٤٩

٣- النحل ١٦-٣٦

٥- البقرة ١٧٨-٥



وهذا الغرض يهدف في حقيقته إلى بيان إبراز لصلة الوثيقة بين الشريعة الإسلامية وسائر الشرائع الإلهية التي دعا إليها نرسن والأنبياء جميعاً، وإن الإسلام يمثل امتداداً لها، ولكنها يحتلّ منها مركز العاتمة التي تحب على البشرية جمعاء الرضوخ إليها. «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئاً عَلَيْهِ»<sup>١</sup> وبذلك يسدّ الطريق على أهل الزيع الذين يلتهمون مساقاة الأديان الغابرة والحاضرة وأن اتّباع أحدها يكفى للرشد واحتضان معالم الهدى والسجاة في الآخرة، على أساس أنها حقيقة واحدة موحدة من قبل الله تعالى وأن الإسلام بصدقها كذلك!

والقرآن يرفض هذه العكرة المفارقة رفضاً ويؤكد على أن الحقيقة تركّزت في طريق تكاملها في شريعة الإسلام، وقد صرح لمرن بذلك في قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي»<sup>٢</sup> أي لا محيد - في بلوع سعادة الحياء - عن مائة شريعة الإسلام بالذات!

٣- وأيضاً من تمام هذا العرض بيان الدعوة الرسالية في الإسلام ليست بدعاً في تاريخ الرسالات، وإنما هي وتليدة الصمدية في الأهداف والتصورات والمفاهيم «قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَا مِنَ الرُّسُلِ»<sup>٣</sup> بل إنها تمثل امتداداً لهذه الرسالات، وتلك الرسالات تمثل الجذر التاريخي للرسالة الإسلامية، فهي رسالة إلهية لها هذا الامتداد في التاريخ الإنساني، ولها هذا المدر من الأنصار والمضحين والمؤمنين

٤- وهكذا يؤكد على أن وسائل الأنبياء وأساليبهم في الدعوة واحدة، وطريقه مجابهة قومهم لهم واستقبالهم متشابهة، وأن العوامل والأسباب والظواهر التي تواجهها الدعوة واحدة وقد أكد القرآن في عدة مواضع على هذه الحقيقة، وأشار إلى اشتراك الأنبياء في قضايا كثيرة من ذلك قوله تعالى: «وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَرُوا بِلَا أَسَابِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>٤</sup>

٢- آل عمران ٣: ٣٦

١- المائدة ١٠: ٤٨

٤- آل عمران ٣: ١٤٦

٣- الأحقاف ٤٦: ٩

وقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»<sup>١</sup>  
وكذلك قوله: «وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»<sup>٢</sup>

ويتحدث القرآن أحياناً عن الرسل حديثاً عاماً، ليؤكد هذه الوحدة بينهم في الوسائل والأساليب، كما جاء في سورة إبراهيم: «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ»<sup>٣</sup>

والسبب وراء تأكيد لقرآن لهذه الحقيقة هو بيان صلابة تلك المواقف وأنها جميعاً حقّ غالب في نهاية المطاف «كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ رَدُّوا رُسُلَهُمْ»<sup>٤</sup> «وَأِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ»<sup>٥</sup>  
٥ - ومن ثمّ كان من أغراض القصة في القرآن الرئيسية هو بيان أنّ الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذّبين، وذلك تنبيهاً لموقف محمّد ﷺ وتأثيراً في نفوس المؤمنين. «وَكَلَّا نَقُصِّرْ عَنْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَهَيْتُ بِهِ فُؤَادَكَ. وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ»<sup>٦</sup>

وتبعاً لهذا الغرض كانت ترد قصص لأشباه مجتمعة، مخبوءة بمصارع من كذبوهم. ويتكرّر بهذا عرض القصص كما جاء في سورة «المعكوت»  
«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السُّعْيَةِ وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ»

«وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه دينكم خير لكم إن كنتم تعلمون» إلى أن يقول  
«فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

«ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون لعنشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين...» إلى أن

١ - الزخرف ٤٣، ٦، ٧

٢ - المائدة ٥٨، ٢١

٣ - هود ١١، ١٢

١ - الأنعام ٦، ١١٢

٢ - إبراهيم ١٤، ٩

٣ - الصافات ٣٧، ١٧٣

يقول: «إِنَّ مُزِلُّونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْراً مِنْ نَشَاءِ يَدِ كَبِيرٍ يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»

«وَأَمَّا مَدْيَنُ فَجَاءَهُمْ شُعَيْنٌ فَأَعَدَّتْهُمْ الرِّحْقَةُ وَاصْبَحُوا فِي دَرَجِهِمْ جَائِعِينَ»

«وَعَادَا وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِينِهِمْ وَرَأَى هُمُ الشَّيْطَانُ أَغْوَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُشْتَبِهِينَ»

«وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ»

«وَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفَ بِهِ الْأَرْضُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»<sup>١</sup>

وتلك هي النهاية الواحدة للمكذَّبين!

٦- وكان من أعراس انقصة بيان نعم الله على أصفيائه وحالسي عباده، كمقصص سليمان ودود وأتوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى، وكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء يبرر فيها المعصية في مواقف شتى، ويكون إبرارها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي عرضاً

«أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ نَحْلٍ مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَمْدِنَا وَاجْتَنِينَا إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا»<sup>٢</sup>

٧- وأيضاً بيان عواية الشيطان لهذا الإنسان ومبغ عدائه له، وترهبه به الدوائر والفرص، فليحذر بنو آدم من هذا العدو الذي أعوى بأهله من قبل ولا شك إن إبراز هذه المعاني والعلاقات بواسطة القصة يكون أوضح وأدعى لتحذر والالتفات لذا نجد قصة آدم تتكرر بأساليب مختلفة بكيداً لهذا الغرض بل يكاد يكون هذا العرض هو الهدف الرئيسي لقصة آدم كلها

وأغراض أخرى كثيرة تلتقي مع أغراض لرسالة في عدد وفير ومستوى رفيع<sup>١</sup>

### أسرار التكرار في القصص القرآني

وهذا يعود إلى تعدد الأغراض التي تهدفها القصة في مجال التربية. وليست القصة إذا ذكرت مرة استنفدت أغراضها الدسيسة والتربوية، ليكون التحدث عنها مرة أخرى عبثاً وتكراراً للمكثراً

القصة إذا كانت ذات جوانب عديدة وبئها إنما تذكر كل مرة بلحاظ جانب منها مناسب للحال والمقام، وقد يعنى هذا الجانب ويحفظ جانب آخر في مناسبة أخرى وهكذا لعدة مرات.

وأكثر القصص تكراراً في القرآن حديث موسى وصرعون وتاريخ حياة بني إسرائيل ذلك أن لليهود كانت حاورت العرب منذ حين، وكانت العرب تعرف من شأنهم ونعظّم من قدرهم ما لا تكاد تعرفه أو تقدّره من سائر الأمم وكانت الأدوار التي مرّت على حياة بني إسرائيل ومواقفهم مع الأنبياء أشبه بحالات كانت تعتور العرب حين ظهر الإسلام. فكانت العلاقة وثيقة بين الحياتين، نكح في عابرها الماضي وهذه في حاضرها الراهن.

والملاحظ في تكرار قصة بني الله موسى عليه السلام الفرق بين روحها العامة عندما تذكر في السور المكيّة، وروحها في السور المدنيّة. وبما يؤكد في القصص المكيّة منها على العلاقة العامة بين موسى من جانب وفرعون وملأه من جانب آخر، دون أن تذكر أوضاع بني إسرائيل تجاه موسى نفسه، إلّا في موردٍ يذكر فيهما انحراف بني إسرائيل عن العقيدة الإلهيّة بشكل عام وهذا بخلاف الروح العامّة لقصة موسى في السور المدنيّة، فإنّها تتحدّث عن علاقة موسى مع بني إسرائيل وتتحدّث عن هذه العلاقة وأرباطها بالمشاكل الاجتماعيّة والسياسيّة

١ - راجع ما كتبه الأستاذ سيد قطب في كتابه التفسير الفهمي هو القرآن ص ١١٢-١٢٠ وعلى أثره الملامه السيد محمد باقر الحكيم في كتابه: القصص القرآني ص ٢٣-٥٦.

وهذا قد يدلنا على أن هذا التكرار للقصة في السور المكيّة إنما كان لمعالجة روحية تتعلق بحوادث مختلفة واجهت النبي والمسلمين ومشاكلهم مع المشركين، ومن أهداف هذه المعالجة توسعة نطاق المفهوم العام الذي تعطيه القصة في العلاقة بين النبي والجهّارين من قومه، وأنّ هذه العلاقة لا تختلف فيها حادثة عن حادثة أو موقف عن موقف، والتاريخ يكرّر نفسه

وهكذا يختلف سرد قصص نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء، باختلاف الأحوال التي كان يعالجها المسلمون في طول الدعوة، فأطواراً بمكة وأطواراً بالمدينة حسب تغيّر الأوضاع

ومن الناحية الأدبية أيضاً نرى القرآن عند ما يكرّر الحديث عن حادث أو عن ظاهرة طبيعيّة، فإنّه لا يكرّرها إلّا وفي هذا التكرار نكتة وظرافة لاحظها حسب المناسبة الأمر الذي يزيد في بلاغة البيان القرآني وربّما إلى حدّ الإعجاز. إذ يعني ذلك: أن بإمكانه سرد قصة واحدة بأنحاء وأشكال، كلّ مرّة يأتي بالعجيب من الكلام، بحيث لا يملّ السامع من الإصغاء، حتّى ولو سمعها في عدّة مواطن، فإنّه لا يسجّها لمرّة أخرى وأخرى، لما في كلّ مرّة من طراوة وإبداع شيء جديد، وفي كلّ جديد لذة! وقد عدّ ذلك وجهاً من وجوه إعجاز القرآن في بديع بيانه.

ولتأج القراء أبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني تصنيف لطيف بهذا الشأن، ذكر فيه الفوارق البديعية في مكررات الآيات، وأبدع في ذلك. اقتطفنا منه قبسات عند الكلام عن الإعجاز البياني للقرآن.<sup>١</sup>

### الحرية الفنيّة في قصص القرآن

هناك ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرّية الفنيّة (الأدبيّة) توحّد في القرآن عند سرد أحداث التاريخ ممّا جعلته ممتازاً عن مثل التوراة التي هي أشبه بكتاب تاريخ منه بكتاب

١ - نكت وظرف، فيما مكرّر من الآيات، التوحيد ج ٥.

هداية. ونستطيع أن نعرض عليك منها القصور التالية<sup>١</sup>

١ - إهمال القرآن - حينما يفتقر - كثيرًا من مقومات التاريخ من زمان ومكان، وأحيانًا أبطال المعركة فليس في القرآن الكريم قصة واحدة عني فيها الزمان. أمّا المكان إهمالًا يكاد يكون تامًا لولا تلك الأمكنة لقيمة المبعثرة هنا وهناك والتي لم يلفت القرآن الذهن إليها كما عمد إلى إهمال الأشخاص في بعض أفاصيصة إهمالًا تامًا اللهم إلا إذا كان لمعرفة الأشخاص دخلًا في العبرة بها

وهذا من أصول البلاغة في الكلام، أن لا تذكر من الحادث إلا ما كانت له صلة بفرض الكلام.

٢ - اختباره لبعض الأحداث دور بعض فلم يُعن القرآن بتصوير الأحداث الدائرة حول شخص أو الحادثة في أمة تصويرًا تامًا كاملاً، وإنما يكتفي باختيار ما يساعده على الوصول إلى أغراضه، أي ما يلفت الأنهن إلى مكان العظة وموطن الهداية، ولعلّه من أجل ذلك كان القرآن، يجمع في الموطى الواحد كثيرًا من الأفاصيصة التي تنهي بالقارئ إلى غاية واحدة

٣ - كان لا يهتم بالترتيب الرمي أو الطبيعي في إيراد الأحداث وتصويرها، وإنما يخالف في هذا الترتيب ويتجاوزها، الأمر يدي أكثر من الإشارة إليه الأستاذ الشيخ محمد عبده. قال - بعد سرد قصص بني إسرائيل ذوات عبر من سورة البقرة - جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع، حتى في القصة الواحدة وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب، ويحرك الفكر إلى النظر تحريكًا، ويهز النفس للاعتبار هزًا وقد راعى في قصص بني إسرائيل أنواع المس التي منحهم الله تعالى يدها، وصروب الكفران والفسوق التي قابلوها بها، وما كان في أثر كل ذلك من تأديبهم بالعقوبات، وإبتلائهم بالحسنات

والسيئات، وكيف كانوا يحدثون في أثر كل عقوبة توبة، ويحدث لهم في أثر كل نوبة نعمة، ثم يعودون إلى بطرهم، وينقلبون إلى كفرهم<sup>١</sup>

وهكذا قصة لوط جاءت في سورة الحجر «فلما جاء آل لوط المؤمنون قال إنكم قومٌ مُشْكِرُونَ. قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْبِثْ مَعَكُمْ أَحَدٌ وَاصْصُورْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَخَصِمْتَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحَبِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ هَؤُلَاءِ صَبِيُّ فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ. قَالُوا أَوَلَمْ يَكُنْ عَنِ الْعَالَمِينَ. قُلْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ. لَقَمَرُكَ إِنَّهُمْ لَبِئَ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّخْرَةَ مُشْرَقِينَ»<sup>٢</sup>

لكنها لو لوحظت مع إحدى قصص لوط في القرآن كقصته في سورة هود (الآيات ٧٨-٨٣) تختلف عنها في ترتيب سرد أحداثها، فببدئ بمجيء الملائكة، ثم حاله واضطراره النفسي، ثم مجيء القوم، ثم موقعه وعرص بناته حتى لا يحزى، ثم ردهم عليه وعزمهم على إسام عزمهم، ثم موقف الملائكة وإخبارهم بإناه بأنهم رسل ربّه، وإخبارهم بمجيء العذاب وموعده، ثم خروجهم للعداء<sup>٣</sup>.

فهنا نلاحظ أن المحاوره يسه ويس قومه تتم قبل أن تحبسه الملائكة بأنهم رسل ربّه والقصة تجري بعد ذلك وقد رُتبت وقائعها بالترتيب الذي يشعر بأن الرمن هو المحاور الذي يربط هذه الوقائع المختارة أو هذه الأحداث المصوّرة

أما في سورة الحجر فالملائكة تعلمه كل شيء قبل مجيء قومه، ومع ذلك بمضي المحاوره مع قومه وكأنه لم يعلم بأن أحبيده من الملائكة

وليس يحق أن هذا بعيد عن الوقائع، ومشكله قريب من القصص وما فيه من حريّة تؤذن للقاص بأن يرتب أحداثه بالترتيب الذي يصل إلى الغرض ويؤدي إلى الأهداف.

ولعلّ السبب في هذا الاختلاف القصد من قصة لوط في سورة هود هو تثبيت قلب

النبي ﷺ ومن أجل ذلك عني القرآن أولاً بما ينال لوطاً من أدى وقلق نفسي، كما نال محمد ﷺ وهو باخع نفسه على أن لا يكونوا مؤسسين وصائق به صدره الكريم أمّا القصد من القصة في سورة الحجر فقد كان بيان ما برز بالمكذّس من عذاب ومن ثمّ بدأ به قبل كل شيء.

٤- إسناد بعض الأحداث لأناس بأعيانهم في موطن، ثمّ إسناد الأحداث نفسها لغير الأشخاص في موطن آخر ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف «قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم»<sup>١</sup> يدّونه في سورة الشعراء مقولاً على لسان فرعون نفسه «قل للملأ حوله إنّ هذا لساحر عليم»<sup>٢</sup>.

ويبدو أنّ هذا كلام يذكّره فرعون مع بطانته من رجال الدولة، فصحّ إسناده إليه تارة وإلى الملأ من قومه تارة أخرى ولذا نعت تعقيب الآية الأولى بقوله «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَحَاةً وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ». نفس التعقيب الذي جاء للآية الثانية سوى تبدل «رسل» بقوله «وبعث» وتبدل «ساحر» بقوله «سحّار» وللسحّار (من أئمة الجحيم) هو صاحب السحر ويتحد مع الساحر في المجهوم.

وهكذا تجد في قصة إبراهيم من سورة هود<sup>٣</sup> أنّ الشرى بالعلام كانت لامرأته، بينما نجد البشري لإبراهيم نفسه في سورة الحجر<sup>٤</sup> وفي سورة الذاريات<sup>٥</sup> ذلك لأنّ البشري بالدرية لإبراهيم بشري لامرأته العجور، كما يبدو ذلك من سرد القصة في سورة الذاريات.

٥- إبطاء الشخص الواحد في لموقف الواحد بعبارة مختلفة حين يكرّر القصة. ومن ذلك تصويره لموقف الإله من موسى حين رؤيه النار، فقد نوّدي في سورة النمل بقوله «فلما جاءها نوّدي أنّ بُورِكَ مَنْ فِي الدَّرِّ وَمَنْ حَوْلَهُ»<sup>٦</sup> وفي سورة القصص: «فلما أتاهَا

١- الشعراء ٢٦-٢٤

٢- الحجر ٦٥-٥٣

٣- النمل ٢٧-٨

٤- الأعراف ١٠٩-٧

٥- هود ٦٦-٦١

٦- الذاريات ٢٨-٥٦



نودى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين<sup>١</sup>. وفي سورة طه: «فلما أتاهم نودى يا موسى إني أنا ربك فاخلع ثعلبك إنك بالواد المقدس طوى»<sup>٢</sup>.

وذلك يشبه تصويره للموقف الواحد بعبارات مختلفة حين صور خوف موسى، فمرة اكتفى بقوله «خذها ولا تخف»<sup>٣</sup> ومرة أخرى قال «فلما رآها تهتز كأنها جن ولى مدهراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لأبغض لذى العرش»<sup>٤</sup> وهكذا هي غيرهما من المواقف، كتعبيره بالرجعة مرة وبالصيعة أخرى ولطاعية في غيرهما وكتعبيره في انشقاق الحجر عن الماء في قصة موسى، فاستجرت مرة وسجست أخرى.

وهكذا من المسائل التي جعلهم يعدون لقصص لقراي من المنشأه ولكن ليس من شك في أن الاختلاف كان سيحده بغير في القصد أو الموقف، وأن هذا التغير جعل هذه قصة وتلك قصة، وما لا نرى من اختلاف ليس إلا الصور الأدبية التي تلائم المقاصد والأغراض

خذ لذلك مثلاً قصة موسى وصاحبه وقوله العجائب فتارة يقول له موسى: «لقد جئت شيئاً فزعاً»<sup>٥</sup> وأخرى: «لقد جئت شيئاً فزعاً»<sup>٦</sup> لأن الأمر - بكره الهزم - هو الأمر العجيب وكل أمر خالف المألوف فهو يثير العجب، سواء أكان خيراً أم شراً

وهذه العبارة جاءت بشأن خرق السفينة بما لا يستلزم غرق أهلها، فقد أثار عجب موسى، حيث لم تعد فيه عائدة ولا حكمة ظاهرة، ولعل فيه حكمة حفيظة أما النكر فهو الأمر المنكر البادي قبضه بوضوح، وهو يعود إلى قتل الغلام وهو طعل لم يعقل شيئاً ولم يرتكب ذنباً

ومن ذلك أيضاً لتعبير عن الأرض الباسية، بالهامدة<sup>٧</sup> مرة وبالخاشعة<sup>٨</sup> مرة أخرى،

٢- طه ٢٠: ١١-١٢

٤- النمل ٢٧: ١٠

٦- الكهف ١٨: ٧٤

٨- صافات ٤١: ٢٩

١- القصص ٢٨: ٣٠

٢- طه ٢٠: ٢٩

٥- الكهف ١٨: ٧١

٧- الحج ٢٢: ٥

وذلك لاختلاف الموقف والغرض

فالأولى في سورة الحج «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لَّيْسَ لَكُم وَبِقُرَى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتُبَشِّرُوا أَشَدُّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُتْرِ لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ مِنَ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً. وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ»<sup>١</sup>

والثانية في سورة فصلت «وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِلَيْهِ تُعْبُدُونَ. قُلْ اسْتَغْفِرُوا قَالَتَيْنِ عِنْدَ رَبِّكَ يُسْتَبَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ. وَمِن آيَاتِهِ أَنَّا نُرِي الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فُجْئًا فَتُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>٢</sup>

والفارق بين الآيتين هو السياق، حيث مساق الكلام في الآية الأولى مساق الحديث عن البعث والنشور، فناسب التعبير بالهمود بعده بشور والهمود هو العمود والهدوء يشبه همود الموت

أما الآية الأخرى فسياق عبده وضراعة فناسب التعبير بالحشوع، حشوع الدُّل والاستكان، يقال خشعت الأرض إذ ييست ولم تُطَرَّ والشواهد على ذلك كثيرة وفيرة في القرآن

### حالات كائنة أبرزها الترسيم

هناك الكثير من قصص قرآنية هي ترسيمات بحالات واقعية كائنة، حكاية عن أمرواقع، وليست مجرد فرض أو تحييل وهذا كحديث الأمانة وعرضها على السماوات والأرض والجهال فأبى أن يعملها وشفقن منها وحمدها الإنسان، إنه كان ظلوماً

جهولاً<sup>١</sup>

وهذا تمثيل لمرض الاستعدادات كإنسان أكثر استعداداً وأقوى قابلية لحمل الأمانة، وهي ودائع الله أودعها الإنسان لقبيلته الدائنة والتي هي عبارة عن العقل وقدرة الهيمنة والإبداع، وحتى تكون حليفة لله في الأرض استحق الشموخ إلى هذا المقام الرفيع، بفضل قابليته الفائقة، غير أنه جهول بشأن نفسه ظلوم لا يعرف قدر نفسه.<sup>٢</sup>

فهذا ترسيم رائع للقابليات وسحلاء رقاها وأقومها، وهو أمر واقع وليس محض خيال

وحدث «أخذ الميثاق» «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»<sup>٣</sup>

حكاية حال واقعة بيننا لفطرة الإنسان على التوحيد

الإنسان، في جبلته معطور على الإقرار بالتوحيد كما في الحديث المستفيض عن النبي ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»<sup>٤</sup> وهو المعنى أيضاً بقوله تعالى «وَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»<sup>٥</sup> وهكذا يوبه تعالى «أَلَمْ أَعْهِذْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»<sup>٦</sup> إشارة إلى العهد المودع في فطرة الإنسان وكل إنسان إذ راعى صغيره وجد هذا العهد حلياً بأسطره الواضحة ومن ثم صرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن الأنبياء إنما بُعثوا لشيروا دعائى العقول،<sup>٧</sup> فدلّ على التوحيد لانه في عقول بني الإنسان لو لا تراكم العار عليه وهكذا كانت العقول حجاج الله الباطنة، وكان الأنبياء الحجاج اظاهرة جاؤوا لدعم العقول<sup>٨</sup> قال

١- من الآية ٧٢ من سورة الأعراف ٢٢

٢- راجع تفسير الصافي للمحقق الفيض الكاشاني ج ٢ ص ٣٦٩ ٣٧٦ والميرزا في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣٧١ ٣٧٢ وللعلامة جواره الرمضاني محقق ابن أبي عمير في هذا المعال راجع الكشاف ج ٣ ص ٥٦٥

٣- الأعراف ١٧ ١٧٢

٤- بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٨١، رقم ٢٢، عن عوالي اللئالي، ج ١، ص ٢٥، رقم ١٨

٥- الروم ٣٠ ٣١-٦٠

٦- راجع الكافي ج ١ ص ١٦ حديث هشام

٧- في أولى خطبه من نهج البلاغة

الإمام الكاظم عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ بَدَرَكَ وَتَعَالَى كَمَلُ النَّاسِ الْحَبِجُ بِالْعُقُولِ»<sup>١</sup>.  
وهذا هو العهد الذي عاهد الله الإنسان عليه، معنيًا به العطرة التي فطر الناس عليها  
كناية عن العقول التي رُكبت في ذوات الأنفس  
أما ما حسبه البعض من إرادة «عدم تدبر» - حسبها جاء في بعض التفاسير - وأن  
الله أخرج دَرَجَةَ آدم من صلته وأشهدهم على ربوبيته فهذا شيء لا أساس له بالآية  
الكريمة ولا كتاب الآية منيره إليه، بل ومما به مع ظاهر التعبير، حيث قوله تعالى: «من  
بني آدم من ظهورهم»، وليس من ظهره فحسب

### القصة في القرآن حقيقة واقعة

سبق أن تنهانا أن القصة في القرآن هي حكاية عن أمر واقع، كانت تجربة مرّت على  
حياة الإنسان، إن رهيبة أو مريّة، لعرض الاعتبار بها، ولا اعتبار بما فرضه الوهم أو  
تصوّره الخيال!

نعم قصص القرآن حوامِشٌ يامع (بارحيّة) رسمتها ريشة الفنّ الأدبي في أندع  
صورها وأروع أشكالها، لعرض التأثير على نفوس والأعداء بمجامع القلوب فهناك مزج  
بين التاريخ والأدب وليس مجرد فنّ التمثيل

ذلك أن القرآن استخدم الفنّ في ترويح دعوته، مع لحفاظ على الواقع المتمثّل به،  
لفرض المأكيد على التأثير، ومسحاً محلات لوهم ومحض الخيال، إذ لا تأثير لمجرّد  
الفرض وقد أكّد علماء التربية على محاسبة الابتداء على أساس مهارة، إذ لا قوام لبناء كان  
أساسه على شرف هار التربية لها مجال حقيقي في حياة الإنسان، فلا ينبغي بناؤها على  
أساس الفرض ممّا لا واقع له سوى لوهم والخيال وسرعان ما ينهار البناء إذ لم يكن له  
أساس مكين

على أن القرآن - وهو كتاب هداية له دعوة الحق - في غنى عن التمثيل بمفروضات

الخيال، بعد وفور الأحداث والتجارب شي مرت على حياة الإنسان، وقد كلّفته أثماناً باهظة إن رابحة أو حاسرة، هي يصلح لأمر تقع موضع عثرته في مستقبل الزمان، نظراً لوحدة متطلبات الحياة في غابر الأزمان وحاضرها والآتي والحلاصة أن القصة هي القرآن هي تجريه واقعية قاسها الإنسان في حياته العابرة، ولنكون عبرة في مستمر حياته، وليست مجرد فرض خيال.

أولاً - لأنه في غنى عن اللجوء إلى مفروضات خيالية أو مشهورات هي مقبولات عامة، بعد وفرة التجارب دوات العبر في سالف حياة الإنسان

ثانياً - لأن البناء على أساس فرض والخيال سرعان ما ينهار إذا ما كسحته واقعيات الحياة ولا سيما بعد فصيح الحال

\*\*\*

هذا ولكن هناك من يرى من بعض القرآن - كلها أو جلّها - هي مشهورات عامة استندها القرآن، لا اعترافاً بها، بل متبرراً للوصول إلى عاينته في الهداية والإرشاد، على طريقه الخطاب في البيان وبعضهم أجاز كونها تمثيلات مجردة تقريباً للمطالب إلى الأذهان.. ولعل هذا إفراط بشأن القرآن!

يقول محمد أحمد خلف الله القرآن يجري في فقه البياني على أساس ما كانت تعتقد العرب وتتحيل، لا على ما هو الحقيقة لعقبة، ولا على ما هو الواقع العملي فهو حينما يتحدث عن الجن وعن عقيدة المشركين فيهم وأنهم يستمعون إلى السماء ليعرفوا أخبارها ثم يقومون بعد ذلك بإلقاء هذه الأحبار على الكهنة، وكان الكهنة يدعون الإطلاع على الغيب ومعرفة الأسرار في كل ذلك يجري على هذا لمذهب

جاء في الرازي عند تفسيره لقوله تعالى «إِنَّ شَجَرَةَ تَحْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» ما يلي «وأما تشبيهه لطلع برؤوس الشياطين ففيه سؤال، لأنه قيل إننا ما رأينا رؤوس الشياطين، فكيف يمكن تشبيه شيء بها؟ وأجابوا عنه بوجوه،

الأول - وهو الصحيح - أَنَّ النَّاسَ لما اعتقدوا في لملائكة كمال الفضل في الصورة والسيره، واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والنشوبه في الصورة والسيره، فكما حسن التشبيه بالملك عند تقرير الكمال والمصنعة في قوله «إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ»<sup>١</sup> فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح وتشويه الخلقة»<sup>٢</sup>.

وجاء في الكشف عند تفسيره لقوله تعالى «لَا يَتُوبُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»<sup>٣</sup> ما يأتي «لَا يَتُوبُونَ إِذْ بُعِثُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَسْحَبُهُ الشَّيْطَانُ أَيِ الْمَصْرُوعِ وَتَخَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنْ زَعَمَاتٍ لِعَرَبٍ، يَرَعَمُونَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخَبُطُ الْإِنْسَانَ فَيَصْرَعُ وَالْخَبُطُ الصَّرْبُ عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءٍ، كَخَطِّ الْعَشَوَاءِ فَوَرَدَ مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ

وَالْمَسُّ الْجَمُودُ، وَرَجُلٌ مَمْسُوسٌ، وَهَذَا أَيْضاً مِنْ زَعَمَاتِهِمْ وَأَنَّ الْعَنَتِي بِعَنَتِهِ فَيَخْتَلِطُ عَمَلُهُ، وَكَذَلِكَ جُنُّ الرَّجُلِ، صَرِيحَتُهُ الْجَنُّ وَرَأَيْتُهُمْ لَهُمْ فِي الْجَنِّ قِصَصٌ وَأَخْبَارٌ وَعَجَائِبٌ وَنِكَارٌ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ كِبَارُ الْمَثْهِدَاتِ»<sup>٤</sup>.

يقول الأساذ خلف الله يجري القرآن على هذا المذهب الأدبي في محاولته هدم عبدة المشركين السابقة، وقد كانت تعتبر لعقبة الأولى في سبيل الدعوة الإسلامية لما فيه من إتاحة الفرصة للمشركين بأن يدَّعوا أنَّ محمداً من الكهَّان وأنَّ الذي يُطلعه على الغيب هم الشياطين وليس وحي السماء

حارب القرآن هذه الفكرة وحاربها بدريحيّاً وبأساليب مختلفة فالجنُّ كانت تقعد مقاعد للسمع ولكن الكواكب أصبحت رجوماً واشتهب أصبحت رواصد «وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْباً رَصَدًا»<sup>٥</sup> والجنُّ تحطف الخطفة حتَّى بعد رسالة محمد ﷺ وحتَّى بعد أن حدثت المعجزة وسمعت الجنُّ من الاستراق «إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِفُونَ

١ - الضمير الكبير، ج ٢٦، ص ١٤٢

٢ - الكشف، ج ١، ص ٣٢٠

١ - يوسف ١٢، ٢١

٢ - البقرة ٢، ٢٧٥

٣ - الجن ١٧٢، ٩

مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُوراً وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»<sup>١</sup>  
 ذلك أسلوب محاربة الفكره يوم أن كان سلطانها قوياً وإيمانهم بها عيباً، ويوم أن  
 كان القرآن في أول عهده بهم

ولكن حينما تقدم الزمن وحينما استمر الأمر في البيئه واشتهر أمر المعجزة وأخذ  
 القوم يصدقون بالرجم انتقل القرآن إلى أسلوب آخر في محاربة الفكره فادّعى أن الجن ما  
 كانت نعلم الغيب وأنها لو كانت تعلمه ما ثبت في العذاب بعد أن فارق سليمان عليه السلام الحياة  
 «فَلَمَّا حَزَّ ثَابِتُ الْجِنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ»<sup>٢</sup>

وأسلوب المحاوره قد يوقع بعض المفسرين في إشكالات خاصه، حينما يأخذون  
 المسائل مأخذ الحدّ ويحاولون لبحث عن الأحكام السماويه وهل كانت موجوده قبل  
 محمّد أو لم تكن؟ وإذا كانت فكيف جعلت رجوماً؟ وهكذا إلى أن يصيقلوا هم أنفسهم  
 بأمثال هذه المسائل جاء في لراي ما يلي:

يُروى أن السبب في ذلك أن الجنّ كانت تسمع لحيث السماء، فلما بعث محمّد ﷺ  
 حرست السماء ورصدت الشياطين، فمن جاء منهم مستترفاً السمع رُمي بشهاب فأحرقه  
 ثلثاً ينزل به إلى لأرض فيدفيه إلى الناس فيحبط على النمل أمره ويربّات الناس بحبره  
 فهذا هو السبب في انقضاء الشهب وهو المراد من قوله «وَجَعَلْنَاهُ رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ»<sup>٣</sup>  
 ومن الناس من طعن في هذا من وجوه

أحدها أن انقضاء الكواكب مذكور في كتب القدماء، قالوا إن الأرض إذا سحبت  
 بالشمس ارتفع منها بخار يابس وإذا بلغ أسارتي دور لفلك احترق بها، فتلك الشعلة هي  
 الشهاب

وثانيها أن هؤلاء الجنّ كيف يحور أن يشاهدوا الألف منهم يحترقون، ومع ذلك  
 يعودون لمثل صنيعهم!

وثالثها كيف يجهز خرق ثياب السماء إذا نفذوا وإذا لم ينفذون فكيف يستمعون إلى أسرار السماء من ذلك البعد البعيد؟ وكيف لا يسمعون إلى كلام الملائكة وهم على الأرض؟

ورابعها، لِمَ لَمْ يسكت الملائكة عن ذكر الأحوال المستقبلية كي تتمكن الجن من استماعها؟

وحامسها، لِمَ الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار؟  
وسادسها: كيف جاز تدوام القذف بعد النبوة وحتى بعد وفاة النبي ﷺ في حين أن الاستراق كان لأجل خلط أمر الوحي؟

وسابعها: أَلَمْ هذه الرجوم تحدث بتقرب من الأرض ولو كانت هاربة من فلك السماء لما شاهدنا حركتها!

وثامسها لِمَ لَمْ ينقل الشياطين أسرار المؤمنين إلى الكفار، إذا كان بإمكانهم نقل أخبار الملائكة إلى الكهنة؟

وتاسعها لِمَ لَمْ يمنعوا ابتداءً من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم إلى قذف الشهب؟<sup>١</sup>

لكن لو فطن الراي من أول الأمر إلى أن القرآن إنما يحارب هذه العقيدة ويحاول هدمها بأسلوبه الخاص، القائم على فكرة التدرج، وأن هذا التدرج يشبه تماماً التدرج في التشريع في مسألة محاربة الخمر وعبرها وأن انسح في التشريع إنما يعلن بهذه الفكرة لو فطن الرازي إلى كل هذا لما أتعب نفسه وأتعب غيره في هذه الوقعات الطويلة، ولقال بأن القرآن إنما يأخذ الناس بتصوّرهم، وأنه في هذا الموقف قد سلّم بهذه العقيدة، لا لأنها حقّ وصدق، وإنما لأنه يريد أن يهدمها تدريجياً، فيسلّم بها أولاً ثم يأخذ في هدمها مستعيناً بالزمن.

١ - نقلها بتلخيص وبحترال، رجع: التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٦١ وقد أجاب الراي عنها بإجابات ضعيفة ممّا يقوى الإشكال.



فقد انضح أن القرآن كان يأخذ الدس بتصوراتهم ويأخذهم بالعرف والعادة وأنه كان يفعل هنا ما كان يفعله في أمور التشريع من أخذ الناس بعاداتهم ومن سعيير هذه العادات تدريجياً، الأمر الذي من أجله كان النسخ في التشريع

فقد وضح أن القرآن قد قصّ في قصص النبي كانت موطن الاختبار لمعرفة نبوة النبي ﷺ وصدق رسالته ما يعرفه أهل الكذب عن التاريخ، لا ما هو الحق والواقع من التاريخ، وأنه من هنا لا يجوز الاعتراض على النبي ﷺ وعلى القرآن الكريم بأن هذه الأقاصيص أخطاء من أخطاء التاريخ!

وبعد فنلت دهن القارئ إلى أنه قد وضع دسه الواضح الكافي أن القصة القرآنية قد قصد منها إلى التاريخ، فإنه يتعين عليه أن يؤمن بما جاء فيها على أنه التاريخ، وذلك كتقرير القرآن لمآلة مولد عيسى ﷺ وتقريره لمآله إبراهيم ﷺ وأنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً

أما تلك التي يقصد منها إلى العظة والعبرة وإلى الهداية والإرشاد فإنه لا يزم أن يكون ما فيها هو التاريخ، فقد تكون المعارف التاريخية عند العرب أو عند اليهود، وهذه المعارف لا تكون دائماً مطابقة للحق والواقع، واكتفاء القرآن بما هو المشهور المتداول، أمر أجازته النقد الأدبي وأجازته البلاغة العربية وجرى عليه كبار الكتاب ومن هنا لا يصح أن يتوجه اعتراض على النبي ﷺ أو على القرآن الكريم!



وبعد فهذا الذي ارتآه الأستاذ خنف الله، كان قد سبقه إلى ذلك الكاتب الشهير طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» ولأستاذ علي عبدالرزاق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» وغيرهما حتى أصبح ذلك من ميزات الفكر الإسلامي الحديث، وربما أثار ضجة في الأوساط الدينية ولا يزال. وأخيراً قام الأستاذ خليل عبدالكريم بعرض وتحليل القصص القرآني بصورة نقد وتعليق على كتاب الفن القصصي في القرآن للأستاذ

خلف الله، وزاد عليه الكثير مما حسب أن خلف الله أغفله! غير أنه زاد في الطين بلة، يقول - معترضاً على كلامه الأخير بشأن ما قصد من القصة القرآنية إلى التاريخ - إننا نقف مع خلف الله متبياً عند القصص التاريخي، إذ لم يحدد لنا المعيار الذي انطلق منه لتحديد تاريخية القصة:

هل هو ثبوتها في مدونات التاريخ المعتمدة؟

أم هل هو احتفاظ الشعوب في ذاكرتها لوقائعها؟

وهل مجرد ورورها في التوراة يُضفي عليها صفة التاريخية؟

لقد كان حريّاً به وهو بصدد كتابة بحث أكاديمي أن يفعل ذلك، ولعلّ إغفاله ذكر هذا المعيار هو الذي دفع به إلى إضفاء الصفة التاريخية على قصص ووقائع وأحداث في حين أنها ليست كذلك. فتزاع إني آدم وقتل أحدهما الآخر وجهل القاتل بكيفية دفن جثة أخيه المقتول، هذا ليس تاريخاً، وإنما هو أدخل في باب الميثولوجيا (علم الأساطير). ولهذه الأحداث مثيلات في عقائد العديد من الشعوب القديمة والبدائية الحالية، مثل أحداث الطوفان والسفينة المعجبة التي أنقذت البشرية من الانقراض!

وكذلك حكاية عاد وهود وهلاك القوم بالريح التي تحمل العذاب الأليم، فهي من الفولكلور<sup>١</sup> (قصص شعبية) العربي القديم، وحتى الآن يضرب مثل للرسول (الوافد أو المندوب) المشؤوم بـ«وافد عادة»!

وتلحق بها قصة صالح وثمود، والناقة المدهشة التي تشرب يوماً وكلّ سكران القرية يوماً، وسدوم (مدائن لوط) التي ضربها أحد الزلازل، فتُسبب إلى لعنة حاقت بهم من جرّاء شذوذهم الجنسي، تنفيراً من دعاة الإصلاح لهذا العمل الخبيث. وكذلك قصة أصحاب الكهف الذين لبثوا فيه أكثر من ثلاثة قرون وهم يغطّون في نوم عميق وينعمون بأحلام وردية دون أن يصابوا بجوع أو ظمأ ولا تتغيّر أجسامهم بمضي القرون، فلمّا استيقظوا ظلّوا أنعم ناموا بضع ساعات.

وكذا قصة ذي القرنين الذي عز نبلاد ودوخ السلاطين والملوك والأقيال، وسار إلى الشرق حتى وصل إلى حدود بلاد مأجوح ومأجوح، فبى سداً منيعاً بينهم وبينهم، ومن ضمن ما رآه في رحلاته تلك السمس وهي عرب في عين حمئة

ومع ذلك يذهب حلف الله إلى أن هذين الحكايتين من صلب التاريخ فكلّ هذا من قصص لفولكلور الشعبي الذي كان يسامه عرب الجزيرة أو اليهود وكان معروفاً ومحفوظاً في عهد محمد ﷺ ويردده جميع، فكيف يعبره حلف الله باريحاً وكيف يعدّ حكاياه اللطيفة حيناً والمرعبة حيناً آخر تاريخاً؟

أما الأوعر من ذلك فإنه يعتبر حكاية موسى وفرعون وحروج بني إسرائيل من مصر، وصرب ملا فرعون بالحراة والصفادع و تقمل والدم، وتحدي موسى للسحرة، وانقلاب العصي إلى حية ونعسان أو حان الخ نقول إنه يعبر كل هذه الحكايا تاريخاً، مع أنه لا يوجد في العالم بلد أحرص على تدوين تاريخه كتابة كمصر، وليس في التاريخ المصري شيء منها، ومع ذلك عدها المؤلف قصصاً تاريخياً!

والأشدّ إثارة للدهش أن يُسمى صفة تاريخية على المحاورة التي دارت بين المستضعفين والمسيكرين، ثم بين هؤلاء الآخرين وبين الشيطان، أو على سؤال الله عيسى عما إذا كان قد طلب من تبعه أن يعدوه هو وأمه؟

ويلحق به ما جاء على لسان اليهود أنهم فتوا المسيح رسول الله، فبأيّ مقياس يعدّ هذا تاريخاً؟

وهل يمكن للقصص التي أوردنا أمثلة منها أن تصوي تحت صفة التاريخية؟ وبقدر ما أخلق المؤلف في إضفاء صفة التاريخية على هذه القصص، بقدر ما حاله التوفيق في القول بأنها حقيقية بحسب اعتماد المحاطين بالقرآن المعاصرين لمحمداً

فعراب الجزيرة آنذاك كانوا يؤمنون بصحة وقائع قصص عاد وهود وثمود وصالح والناقة وآيات العذاب الأليم .. الخ

واليهود يؤمنون بصدق قصّة موسى وفرعون وملائته والصفادع والتقمل والدم

والآيات المفصلات وموسى وشعيب وتقلب العصي إلى حيّات وثعابين إلخ وخروج  
بي إسرائيل واشتقاق البحر إلخ وقتلها بقصه يسي آدم وبالطوفان وبالسفينة لرائعة التي  
حفظت ذرية آدم من الغرق إلخ

إذن كان الأولى أن يصف هذه القصص بأنها لقصص الشعبية والقصص الدينية، ولا  
يفضّ هذا من قيمتها أو يقلل من قدرها أو يهون من مصداقتها أو ينال من حقيقتها!  
خلاصة القول إن الكسوة التاريخية التي حاول المؤلف (حلف الله) أن يدثر بها تلك  
القصص ليست ملائمة لها!



ويستخلص هذا المذهب (الذي وسعوه باسم الفكر الإسلامي الحديث) في أن  
القرآن قد استخدم القصص الشعبية وكذا قصص الدنية الشائعة معترفاً للبلوغ إلى أهدافه  
في تبليغ رسالة الله، ومن غير أن يكون ذلك اعترافاً بصحتها أو إدعائاً بصحتها، على  
طريقة فن الخطابة وعلى أساس الأخذ بلمشهورات أو المقبولات (لدى العامة) ولو  
تمثيلاً وليكون ذريعة لتحقيق الغرض في إلهاد به والإرشاد وكان ذلك يكفي تبريراً  
للاستناد إلى قصايا يعترف بها المعاصرون و يحاطبون اسناداً تمثيلياً، وبذلك يمكن  
التأثير عليهم في التبشير والإنذار!

إذن فالقرآن لا يحتمل عبأ مسؤولية انصاف المستند إليها، بعد أن كانت وسائله  
لإنجاز الهدف من دون أن تكون هي مقصودة بالإنصاف، والعامة ببرر الواسطة  
وبهذا التعليل حاولوا التخلص من تعدد القول بأريحية تلك الأحداث  
وحجّتهم في ذلك، والتي دعّتهم إلى سلوك هذا المسلك الوعر (حيث ارتكساب  
خلاف ظاهر النصير) أنهم وجدوا أنفسهم في مأزق عن الإجابة الواقة لو تسالموا على  
واقعية تلك القصص والتي عليها صبعة المئين في حسابهم!

## ملحوظة

هنا ملاحظة خطيرة يحذر النبه لها، هي أن أصحاب هذا الفكر الحديث - حسب مصطلحهم - إنما حسبوا حسابهم حفظاً على كرامة القرن وأنه في افاق عالية من السموّ والرفعة، ومن غير أن يتنازل مع رغبة الطامعين أو يتسافل حيث المذاهب العامّة الساقطة فإن كان القرآن يتمثل بقصص شعبية درحة، فإنّ معناه محرّد التمثيل وإن كانت عناصره على أساس التحيّّل والتصوير، فإنّ هذا ليس بعيب، إنّما العيب فيما إذا رضح لأوهام ساطية على الحقائق، لمجرّد أن نعامّة تقبله ونرصاه، الأمر الذي هو استرضاء متسافل مقيت ويتعاشاه القرآن الكريم

يقول الأستاذ خليل عبدالكريم - ردّاً على من زعم أن القرآن إنّما صور قصّة أصحاب الكهف طبعاً لأراء أهل الكتاب، لعرض نبأ نبوة محمّد ﷺ، حيث كانت آراء اليهود هي المقياس الذي به يقبسون صدق النبي ﷺ فلو نزل القرآن بغيرها أي بما يحالف المقياس المذكور لكذبوا النبي ولما آمنوا به أو بالقرآن الذي جاء به - يقول ردّاً على ذلك وهل آمن اليهود برسوليّة محمّد وصدّقه وتبعوه، بعد أن جاءهم بصورة لما يعرفه أهل الكتاب؟!

قال، أليس القول بأنّ مجيء القرآن مطبوعاً بصورة لنبي يعلمها أهل الكتاب في خصوصيّة عدّة أصحاب الكهف ومدة مكثهم، وذلك للتدليل على صدق نبوة محمّد، أليس لهذا القول دلالة الصريحة أنّ معلومات أو معارف أهل الكتاب وحصرها وتحديد أاليهود، حاكم على القرآن، وبعبارة أوضح "ن" لقرآن رضح لمقياس اليهود حتّى تثبت نبوة محمّد ورسوليّته؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

هل ما قاله البعض من القدامى ووافق بعض المعاصرين، يتفق مع رأي القرآن في اليهود؟ وكيف يلائم ما جاء في القرآن، إنّ بشأن عدّة لفتية أو مدة مكثهم بالكهف، تصوير معارف اليهود، وقد رماهم القرآن بكلّ حسيسة ودفعهم بكلّ نقيصة، وأوعر من هذا جميعه أن تكون المطابقة لهذه لمعارف هي مقياس صدق محمّد وأنه رسول يوحى إليه

من السماء؟

إنَّ الصُّلُوحَ والعقل لا يقبلان ذلك ويرفضانه، فالشخص العاديّ يشمئزّ من اتخاذ  
قالة الكذوب ميزاناً لصحة كلامه، فما بالك يا الله تعالى جلّ جلاله!

### وقفه فاحصة

غير أنّا لو اعتبرنا تلك القضايا بعين التحقيق وتعمّقا النظر الدقيق، لرأيّاها صورة  
طبق الواقع، لا وهم ولا مجرد تمثيل!

إنّ أكثر القضايا التي قصّها القرآن قد كشفت آثارها وتبيّنت دلائل صدقها بعد

حين

ولندأ بما ذكره الأستاذ خليل أحيرأ بشأن قصايا إسرائيلية - مصرية وأنها  
لوصفت لما أهمل ذكرها لتاريخ المصري القديم.<sup>١</sup>

قلت كثير من أحداث مصر القديم لم يسجلها التاريخ، بعد أن كان مهمته لتاريخ  
الأثري هو مجرد وصف البلاط الملكي ورهو رجالات، لحكم ومجونهم في البذخ والترف  
والأفراح، ليس غير، أمّا الأوضاع الاجتماعية وما عله سائر الناس من الأحوال  
والأوضاع، فهذا ممّا لا يهتم به التاريخ القديم سوى ما كانت له صلة بأحوال الملك  
وحواشييه، فالتاريخ القديم إمّا هو تاريخ الملوك، وليس تاريخ الأمم، على خلاف ما  
وسم الطبري تاريخه.<sup>٢</sup>

ومثلاً لذلك نقول كانت رحلة العبرانيين (بنو إسرائيل) إلى مصر أمراً لا ينكر، في  
حين أنّه لم يأت ذكر منها في تاريخ مصر القديم وكذا موسى وهارون، فضلاً عن يوسف  
وإخوته ويعقوب، شيء لا يمكن العطف عنه في تاريخ مصر، ومع ذلك لم يأت في كتابات

١ - المصدر، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

٢ - يقول «لا يوجد في العالم بلد أحرص على تدوين تاريخه كتابةً كمصر وليس في التاريخ المصري شيء منها»  
المصدر، ص ٤١٦.

٣ - وسم تاريخه باسم تاريخ الأمم والملوك، في حين أنّه ليس في تاريخه ذكر عن أحوال الأمم وأوضاعها، سوى ما  
يخصّ شأن القادة الملوك وتصرفاتهم التمهيد.

مصر القديمة ولا إشارة إليه

وهل نستطيع أن نشطب على كثير من هذه القضايا - المقطوع بصحتها - بحجة أنها لم تذكر في كتابات الأهرام؟ وهل يمكن نفض عن حادث خروج موسى بني إسرائيل قاصداً أرض فلسطين، وقد عبر البحر إلى وادي سيناء ماراً بمضيي من ليهر الأحمر في منطقة قريبة من خليج السويس ولعله كان متصلاً بالبحيرة المرة وأصبحت أرضاً باسطة وقد اتخذها موسى معراً لقومه والمحل مشهور باسمه إلى الآن<sup>١</sup>

على أن إبراهيم وابنه إسحاق وإسماعيل وكذا موسى وهارون ومن بعدهما من أنبياء، ملأ تذكرهم الآفاق، لم تذكرهم التاريخ المسجل، فهل يصلح ذلك حجة للقول بكونهم رجال أساطير؟

هذا دو القرين عرف أخيراً أنه «كورش» الملك الفارسي العظيم وجاء ذكره في كتب العهد القديم وهو الذي فتح بابل عام (٥٣٨ ق م) وأطلق سراح بني إسرائيل من الأسر وحماهم وأسكن قسماً منهم في مدينة «شوش» تحت رعاية «د نبال النبي» وسرح الباقي إلى أرض فلسطين برعاية «عزرا» بيشيد بناء الهيكل وإحياء آثار بني إسرائيل وتحديد بناء الهيكل المقدس وبعهد مكلف عمران ملك لبلاد وعبر ذلك من أعمال خير قام بها على أساس بسط العدل في الأرض. وساء السد لحماية أقوام مستضعفين عن هجمات قبائل وحشية، كان أحد آثاره هذا العمل البحري وهذا شيء عرفه الأوائل وعثر عليه أهل التحقيق من المأخريين<sup>٢</sup> ولا تزال اكتشاف الأثرية تطعمنا على غيوب من أسرار هذا القصص الفرآني والذي لم يسجنه لتاريخ

و موضع الغرابة في كلام هذا الكتب المسترمل (خليل عبد الكريم) كثير سوف نبؤك عليها، و الآن و قبل كل شيء لابد من النظر في أهم نقاط ركز عليها بحثه الحاضر:

١ - انظر قصص الأنبياء للأستاذ عبدالوهاب النجار، ص ٢٠٤

٢ - راجع قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٤٣ وقد قد بهذا التحقيق المولى أبو الكلام آزاد، العالم الهندي الكبير راجع: نعت الله علي أكبر دهخدا، ص ١١٥٦٣، دو القرين الثاني، فضلاً عن مجلته «تفاهة الهند».

أولاً - كيف يصف هذه القصص بأنها من التراث الشعبي والتي كان يعرفها العرب المعاصر لمحمد، وبالأحرى أن يكون محمد ﷺ أعرف بها من غيره - هذا في حين أن القرآن يباريهم بأنها من الآثار التي كان يحفظها محمد وقومه من قبل؟

هو عندما يذكر قصة نوح والطوفان والسفينة بعفيل وبيان، يعود فيقول: «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ يُوحِيهِ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَفْعُهُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا.»<sup>١</sup> فلو كانت العرب تعرفها وتعدّها من تراثها الشعبي الدارج، لكانت أولى بالردّ على هذا التحدي الصارخ! وكذا عندما ينتهي من قصّة يوسف ورحلته يقول «دَلِيلُكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ اجْتَمَعُوا أَمْرُهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ»<sup>٢</sup>

وهكذا بشأن الصديقه مريم وبشرى الملائكة بها يقول «ذلك من أنباء الغيب يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»<sup>٣</sup> فلو كان أهل الكتاب يعرفون التفاصيل المروعة والتي جاءت في القرآن بغير زائفة، لكانوا أولى بمجابهته وهم أشدّ المناوئين للإسلام ولرسالة محمد ﷺ!

لكنهم (العرب واليهود والنصارى) عربوا الصدق والأمانة في القرآن، فلم يلهجو شيء سوى مساوئهم عن طريق النواطن على العداة المعاصرة

أفهل من المعقول أن يكون محمد قد أخذ تلك الأقسام من أفواه العرب وأهل الكتاب وقصّها عليهم، ثم تحدّاهم بها، وهؤلاء جميعاً سكتوا عليها من غير إجابة صارمة؟!

فما لكم - يا أهل الفكرة الإسلامية الحديثة! - كيف تحكمون؟!  
ثانياً - ما وجه الاستغراب أو الإنكار لصحة تلك الأحداث التي قصّها القرآن، والتي دعت البعض (وهم أصحاب الإلحاد) إلى عرضها مسرحيات تمثيلية، والبعض الآخر (وهم أهل الفكرة الإسلامية الحديثة - أو العقل الإسلامي الحديث) إلى عرضها



التراث الشعبي الرائع، أهل لا يمكن صدق مصدر قصتها وأنها أحداث تاريخية كانت قد قُبعت في زوايا الجهل التاريخي، وقد كشف لقرآن عن وجهها، حتى ولو كانت عربية - نسيباً - في شكلها وهدامها؟! ولنذكرها بتباع

### حديث ابني آدم<sup>١</sup>

أما حديث ابني آدم إذ قريا قريبا فتقبر من أحدهما ولم يتقبر من الآخر فكان ذلك سبب قتل قابيل لهابيل واحصار قيم يعمل بجثة أخيه، حتى هدام الغراب ليواريه في التراب...<sup>٢</sup>

فهذا حديث وصفه الله بأنه با حق «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ» «فمن الحرة على الله وعلى كتابه المجيد أن يوصف بأنه من الأساطير لشائعة في عقائد العديد من الشعوب القديمة والبدائية»<sup>٣</sup>

نعم هذا الحادث في شكله هذا الترهيب، من عمل الفن التصويري في القرآن فهناك في بدء الخليقة وقع تشاحن بين بني آدم وهم في بداية مرحلة الحياة الاجتماعية، واسبأ أساسها التعاون والمكافل في الحياة، دور الباعض والباعد، لولا أن تداركهم الهداية الربانية الأمر الذي نبه الله آدم وزوجه عليه حينما أخرجهما من الجنة ليعيشا وذريتهما على وجه الأرض «قُلْ اغْبِطُوا مِنْ بَيْنِ جَمِيعاً فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ هَدًى لَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>٤</sup>

قال سيد قطب هذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان، ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، وتقعها وجهاً بوجه، كل منهما يتصرف وفق طبيعته

واتل عليهم نبأ هذين المودحين من عَادَ، لشرية، اتله عليهم بالحق، فهو حق وصدق في روايته، وهو ينبئ عن حق في الفطرة البشرية، وهو يحمل الحق في ضرورة

٢ - الفن القصصي في القرآن، ص ٤٦٤

١ - المائدة ٥: ٢٧ ٣١

٣ - بقره ٢: ٣٨

## الشرية العادلة لراعاة

إني آدم هذين - قبل كل شيء - هما في موقف لا يثور فيه خاطر الاعتداء هي نفس طيبة فهما في موقف طاعة بين يدي الله موقف تقديم قربان، يتقربان به إلى الله - «إذ قَرَّبَا قُرْبَانًا» «فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَّخَذْ مِنَ الْآخَرِ» والفعل مبني للمجهول، يشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول أو عدمه، موكول إلى قوة غيبية، وإلى كيفية غيبية - يسحاء بأن الذي قبل قربانه لا حرية له بوجوب المحيطه عليه وبييت قتله، فالأمر لم يكن له يد فيه، وإنما تولته قوة غيبية بكيفية غيبية، تصو على إدراك كليهما وعلى مشيئته . فما هناك مبرر لبحق الأخ على أخيه، وليعيش حاطر القتل في نفسه

«قَالَ لَا تَقْتُلْكَ» وهكذا مدو هذا القول - بهذا التأكيد المنبئ عن لإصرار - نائياً منيراً للاستنكار، لأنه يشعث من عبر موحب، أنهم إلا ذلك الشعور الحبيث المسكر، شعور الحسد الأعمى، الذي لا يعمر نفساً طيبة

والساق بمضي ليزيد هذا الاعتداء بكرة وبشاعة بتصوير استجابة المودج الآخر، ووداعته وطيبة قلبه «عَالِ يَمْ يَتَّقُ شَيْءٌ مِنَ الْمُنْعَمِ» هكذا في براءة نرد الأمر إلى وصمه وأصله، وفي إيمان يدرك أسباب القبول، وفي توحبه رقيق للمعتدي أن تنقي الله، وهداية له إلى الطريق الذي يؤدي إلى العفول، وتعرين لطيف به لا يصرح بما يحدثه أو يستثيره

ثم يمضي الأخ المؤمن التقي الوديع مسالماً لكسر من شره الشر الهانج في نفس أخيه لشرير «لَئِنْ سَطَطْتُ إِلَيْكَ يَدِي لِتَقْتُلَنِي أَوْ بَاسِطُ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»

وهكذا يرتسم نموذج من الوداعة والسلام وانتقوى، في أشد المواقف استجابة للضمير الإنساني وحماسة للمعتدي عليه صدقاً لمعتدي، وإعجاباً بهدونه واطمئنائه أمام نذر الاعتداء، وتقوى قلبه وخوفه من رب العالمين<sup>١</sup>

إلى آخر القصة وهي حكاية عن تقابل نمودجين من لطباع لبشري مند لبدء ولا يزال، هما في تناحر وتنازع، غير أن طبع الشر يؤول لا محالة إلى الدم والخسار في نهاية المطاف

ولا عجب إذ كان الطابعان قد مثلا في انبي آدم يومذاك، كما هو جار في ذاربيهما عبر العصور، والمآلة للمتقين

### حديث الطوفان والسفينة

أما حديث الطوفان والسفينة - الذي رعمه الأستاذ خليل أنه حديث أساطير - فلعله نظر إلى ما أورده المفسرون من حداث إسرائيل، شوها بها وجه القرآن الوضئ، وقد تكلمنا عن انطوفان وأنه حداث معني عمّ لسهل الذي كان بعشه قوم نوح، وليس كما فرضه التوراة من شمول وجه الأرض كلها - وعلى ما قررنا وشهدت له دلائل من لقرآن ودعمه التاريخ، لم يكن أمثال هذا الحداث عربياً عن طبيعة المناخ، ولا سيما في السهل المحاطة بمرتفعات تهطل منها السيول الهائلة بين حين وآخر، ومنها حداث طوفان نوح وقد تكلمنا عن ذلك تفصيل فراجع

### حديث عاد وثمود وقوم هود

وأما حكاية عاد وثمود وقوم هود، والتي عدّها الأستاذ من الفولكلور العربي القديم، فالذي يجعلها من الفولكلور، هي لأساطير التي حيكت حولها في طول المدة، وحسب العادة عند القصاصين، حيث لا يقنعهم نقل لحداث بحاليتها ما لم يصورها في أشكال غريبة هائلة، لتقع موضع إعجاب السامعين كلما بالعوا في تهويل الأحداث وزادوا في غرائتها

الأمر الذي نجده في قصة إرم عاد، والتي قصّها أعرابي مجهول هو عبدالله بن غلابة على عهد معاوية، كان قد ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتبه في ابتعائها إذ

أطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجدها مبيّة بلبن من ذهب ولبن من فضة قصورها ودورها وساتيتها وأن حصانها لألئى وجواهر وترابها سنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة إلح قال ابن كثير: هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجبهة من الناس قال: وهذه الحكاية لم تصح ولو صحّ إسنادها إلى ذلك الأعرابي فقد يكون ختلق ذلك أو أصابه نوع من الهوس والخيال وعلى أية حال فهذا ممّا يقطع بعدم صحته<sup>١</sup>

أما الآيات من سورة الفجر: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِذْ مَدَّ إِلَيْهِمُ الْيَدَ الْيَمِينُ فَنُفِثَ فِي السَّيْلِ وَنَمُوذُ الْدِينِ جَاءُوا الشُّجْرَ بِالْأَوْدِ وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَفَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْعِصَادَ صَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبُّكَ لِبِأْمُرٍ صَادٍ»<sup>٢</sup>

فقد جمع الله في هذه الآيات العصار مصارع أقوى الجتارين الذين عرفهم التاريخ العربي القديم، مصرع «عاد إرم» وهي عاد الأولى وهم من العرب العاربة أو السائدة<sup>٣</sup> والتي أبعدت قبل بروع الإسلام، فكانوا ذلك العهد حديث أمس الدابر وقد عفى عليهم الرمان ومحي آثارهم

وعاد حيل من العرب كان مسكنهم بالأحفاف وهي كتاب الرمل، في جوبى الجزيرة بين حصر موت واليمن، وكانوا بدواً دوى حيام تقوم على عماد، وكانوا ذوى قوة وبطش وأقوى قبيلة هي وقتها وأميرها «لُي لَمْ يُخْتَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ» في ذلك الأوان قال أبو جعفر الطبري وأشه الأقول ودى دلّ عليه ظاهر النزول أنهم كانوا أهل عمُد سيّارة لأنّ المعروف من كلام العرب من أعماد، ما عمد به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجه أهل التأويل إلى أنّه عنى به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنّه عنى به عماد خيامهم، فأما عماد البنين فلا يعلم من أحد من أهل التأويل وجهه إليه وتأويل القرآن إنّما يوجه إلى

١. راجع تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥٠٨. ٢. الفجر ٦: ١٤.

٣. العرب البائدة أو العاربة ممّن عقيت آدهم بين الإسلام وهم قبائل عاد، ثمود والعماقة وطسم وجديس وأميم وجهم وحضرموت ومن يتصل بهم. دائرة القرن العشرين لفريد وجدي، ج ٦، ص ٢٣٢.

لأعلب الأشهر من معانيه ما وجد إلى ذلك سبيل، دون الأنكر<sup>١</sup>

وأما إرم فقد قيل إنها قبيلة تفرّعت من قوم عاد، كما يقال تميم نهشل قال  
بوحضر الطبري، وأشه الأفران بالصواب عدي أنها اسم قبيلة من عاد ولذلك جاءت  
لقراءة بترك الإضافة وهو رأي قتادة<sup>٢</sup>.

ويرى المتأخرون أن عاداً من القبائل الآرامية، ولذلك سمّوا عاد إرم، والعرب  
يصرّبون المثل بها في القِدَم<sup>٣</sup>

غير أن اللعويين فسّروا الإرم بالعمى من الحجارة وجمعه آرام، قال ابن الأثير  
الآرام، الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في العقارة يهتدى بها، واحدها إرم كعنب  
وكان من عادة الحاهلية أنهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا  
عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أحدهم وفي الحديث «ما يوجد في آرام  
الحاهلية وخربها فيه الحمى»<sup>٤</sup>

والعماد البناء الرميح، جمعه عمَد وعمُد، واحده عمادة  
وعليه فيكون معنى الآية أنهم كانوا ينون أعلاماً رفعة ضخمة لغاية الصبوت  
والفحار بحيث لم يكدر يوحدها منبل ذلك لأول

وقد جاء التصريح بذلك في سورة شعراء «أَتَتُون بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَفْتُونِ  
وَتَتَّحِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَلَدِي  
أَمْدُكُمْ بِ تَغْلَمُونَ أَمْدُكُمْ بِأَنفُسِهِمْ وَسِيقَ وَجَّاتٍ وَغُيُونَ»<sup>٥</sup>

والزَّيْع المرتفع من الأرض والظاهر أنهم كانوا ينون فوق القلال والمرتفعات  
بنايات ضخمة رفعة بحيث تبدو للناظر من بُعد كأنه علامة وكان القصد هو التفاخر  
والتطاول بالمقدرة والمهارة، ومن ثمّ سمّاه عبثاً ولو كان لهداية لما رة ومعرفة الاتجاه ما

١ - جامع البيان، ج ٣٠، ص ١١٢-١١٣ المصدر

٢ - دائرة معارف القرن العشرين، ج ٦، ص ٢٣٢-٢٣٣

٣ - النهاية لابن الأثير، ج ١، ص ٤ - جاء في حديث عبيدة بن عمرو بن العاص، أنّه سأل رسول الله ﷺ عن الكبر يوجد

في الجرب وفي الإرم؟ فقال ﷺ فيه وفي الزكرك الحمى، رجع مسند أحمد، ج ٢، ص ١٨٦

٤ - الشعراء ٢٦ ١٢٨-١٣٤

قال لهم: «تعثون»

ويبدو من قوله «وَتَسْخَدُونَ مَصَانِعَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ» أنَّ عاداً كانت قد بلغت من الحضارة الصناعية مبلغاً يذكر، حتَّى لَتَتَّخِذَ المصانع لِنَحْبِ الجبال وبياء القصور وتشبيد العلامات على المرتفعات، وحتَّى لِيَجُولَ في خاطر القوم أنَّ هذه المصانع وما ينشؤونه بوساطتها من البساتين والقلاع سوف يكفي لحمايتهم في سبيل الخلود، ووقايتهم من مؤثرات الجوّ ومن غارات الأعداء

كما يبدو من ظاهر التعابير الواردة في الآيات أنَّ قوم عاد كانوا حُضَرًا لا قِبائل رُحَّل، فما حسبه الطري وغيره من المفسرين فقد كانت لهم مباني ومصانع وعمون وجنّاب وأعلام، وتلك مساكنهم كانت طاهرة حتَّى أوّل ظهور الإسلام: «وَعَادًا ثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَآكِبِهِمْ»<sup>١</sup>

أمّا مساكن عاد فالأحفاف بين اليمن وحصر موت كانت تسمى من العرب في رحلاتهم الشتوية إلى جنوبيّ الحريرة، وكذا ثمود كان معامها في الحاجر المعروفة بمدائن صالح بين المدبنة وتبوك، وقد قطعت الصحرا وشدته قصوراً، كما تحتب الجبال ملاحق ومعارات وتعيب مشهده لدى العرب في رحلاتهم الصيفيّة إلى شماليّ الجزيرة

واقتران ذكر ثمود مع عاد فلكونهما معاً من أجيال العرب البائدة والباقية آثارها حتّى حين وفي منتهى رحلتي الشتاء ونصف على أنَّ المؤرّخين ذكروا أنَّ ثمود كانت تسكن جنوبيّ الحريرة بحدود قوم عاد، فلما ملكت حمير أخرجوهم إلى بياء الحجاز وذكر صاحب كتاب فتوح الشام أنَّ ثموداً ملأوا الأرض بين بصرى وعدن فأفعلها كانت في طريق هجرتها نحو الشمال، كما ذكر جرجي زيدان<sup>٢</sup>

وفي دائرة المعارف المترجمة «ثمود قوم من العرب الأقدمين بادوا قبل ظهور النبي ﷺ مثلهم في ذلك مثل عاد...»<sup>٣</sup>

٢- العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان، ص ٧٧-٧٨

١- المعكيوت ٢٩ ٢٨

٣- دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، ج ٦، ص ٢١٠

قلت: يبدو من ظاهر تعبير القرآن أن نمرود كانوا قريبي عهد بعاد ومسكنهم - قبل مغادرة البلاد - بقرب مساكنهم وعلى معرفة من أحوالهم وما حل بهم من سوء العقبى قال تعالى «وإلى نمرود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة قد جاءكم بينة من ربكم هذِهِ ناقةُ الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوه يسوء فيناخذكم عذابُ أليمٍ»

واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ ونوّأكم في الأرض فتخذون من شهرها قسوراً وتتجهتون الجبال بمرماً. فاذكروا آلاء الله ولا تغفوا في الأرض مُفْسِدِينَ...»<sup>١</sup>

وقد عثر المنقبون على كثير من آثار قوم نمرود بديار حجر وبقايا وكتابات غنية بإثبات حضارة تلك الأقوام البائدة<sup>٢</sup> والتي ذكرها القرآن بإتقان، وليس أخذاً من أفواه العرب من غير أساس، كما حبه الأستاذ خليل عبدالكريم وزملاؤه من أصحاب الفكر الإسلامي الحديث؟!

### ناقة صالح!

أمّا ناقة صالح فقد جاء وصفها في القرآن بأنها معجزة صاحبت دعوة صالح حين طلبها قومه للتصديق: «قد جئناكم بينة من ربكم هذِهِ ناقةُ الله لكم آية»<sup>٣</sup> وهكذا طلبت نمرود تلك الخارقة فاستجاب الله لعبد صالح وأعطاه هذه الخارقة في صورة ناقة. ولا يذكر تفصيلاً عنها سوى كونها بينة من ربهم وأنها ناقة الله وفيها آية منه قال سيد قطب. ومن هذا الإسناد نستلهم أنها كانت ناقة غير عادية، أو أنها أخرجت لهم إخراجاً غير عاديٍّ ممّا يجعلها بينة من ربهم وممّا يجعل نسبتها إلى الله ذات معنى، ويجعلها آية على صدق نبوته. ولا نريد على هذا شيئاً ممّا لم يرد ذكره من أمرها في هذا المصدر المستيقن قال: ولا

١ - الأعراف ٧٢-٧٤.

٢ - دائرة المعارف الإسلامية المراجعة، ج ٤ ص ٢٦٩، والعرب قبل الإسلام، ص ٧٨.

٣ - الأعراف ٧٢-٧٣ وصيغة الطلب جاءت في سورة الشعراء ٢٦: ١٥٢-١٥٤ «قالوا إنما أنت من السّافرين. ما أنت إلا بشرٌ مثّلنا فانّ بآيةٍ إن كنتم من الصادقين».

نغوض في وصفها كما خاض الممترون قدس، لأنه ليس لدينا سند صحيح نعتمد عليه في هذا الوصف فنكتفي بأنها كانت خارقة كما طلست نمود<sup>١</sup>

نعم جاءت الإشارة إلى جانب حارقيتها بشأن قسمة الماء بينهم وبينها: «إِنَّا مُزِيلُو النَّاقَةِ فَتَنَّا لَهُمْ فَأَرْيَيْنَهُمْ وَاضْطَرُّوا وَبَشَّيْنَاهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ»<sup>٢</sup> «قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمٍ مَعْنُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ»<sup>٣</sup> قال الحسن كانت ناقة من البوق، وكان وجه الإعجاز فيها أنها كانت شرب ماء الوادي كله في يوم<sup>٤</sup> وهو ماء معين كان مخصصاً للشرب كما سنذكر

هذا حلّ وصف تلك الناقة الخارقة حسماً جاء إجمالياً في هذا المصدر الوثيق أما كيف أخرجت الناقة، وكيف كان إرسالها بأكل في أرض الله فلا أن تستعرض لسوء، وكيف كانت قسمة الماء بينها وبين القوم، والماء لديهم كثير «أَتُتْرَكُونَ فِي هَذِهِ أَسِينٍ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ»<sup>٥</sup>

قال الشيخ محمد عبده - ما ملخصه - در مجموع الآيات على أن آية الله في الناقة أن لا يعرض لها أحد من القوم بسوء في نفسها، ولا في أكلها ولا في شربها وأن ماء نمود قسمة بينهم وبين الناقة إذ كان الماء قليلاً، فكأنوا يشربونه يوماً وتشربه هي يوماً وروي أنهم كانوا يستعيضون عنه في يومها بدرابها لومير وهي آية لهم!

ولعل الماء كان معيناً خاصاً لشربهم دون سقي الأرض والمواشي إذ ذكر في سورة القمر معرفاً بلام العهد «وَبَشَّيْنَاهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ» وهي الحادثة أن النبي ﷺ دلّ المسلمين على البئر التي كانت تشرب منها ناقة حين مروا بديار قوم صالح في غزوة تبوك وأمرهم أن يستقوا منها ويهريقوا ما استقوا من غيرها من تلك الآبار قال العلماء، وقد علمها بالوحي<sup>٦</sup>

١- راجع في ظلال القرآن ج ٨ ص ٢١٢ وج ١٩ ص ٩٢

٢- السورة ٢٦: ١٥٦-١٥٧

٣- القمر ٢٧: ٢٨-٢٩

٤- السورة ٢٦: ١٤٦-١٤٨

٥- مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٤٠

٦- راجع تفسير المعارف ج ٨ ص ٥٠٢-٥٠٣ وشطب على ما ورد في الروايات من أوصاف في خلق الناقة ومصلها



## حديث سدوم!

كان أهل سدوم وهم قوم لوط ذوي أخلاق رديئة لا يتعقّفون من منكر يأتونه على رؤوس الأشهاد، كما قال تعالى على لسان لوط وهو يعظّمهم ويؤثّبهم: «وَتَأْتُونَ فِي بَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ»<sup>١</sup> وقد شاعت عنهم المسكرات وارتكاب الفواحش والمظالم بحيث سارت بها الركبان وضرب بهم العثل في كل عمل قبيح

حاء في بعض كتب الأدب العربي أن سارة زوج إبراهيم أرسلت إلى لعازر كبير عبید إبراهيم ليأتيها سلامة لوط فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد إلى لعازر بحجر صر به في رأسه فأسال منه دم، ثم يعلق به الرجل قائلاً: إِنَّ هَذَا الدَّمُ لَوْ بَقِيَ فِي بَدَنِكَ لَأَصْرَكَ، فقد معتك باخراجه، فأعطي أحري اقترافاً إلى القاضي فحكم على لعازر بإدانته الأجر فلما رأى لعازر ذلك من القاضي، عمد إلى حجر فضرب به رأسه وأسال دمه وقال له: الأجر الذي وجب لي عليك بإسالة دمك، يدفعه إلى صاربي حراء لضربه إتياني وإلى ذلك يشير المعرّبي:

وَأَيُّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ أَفْضَلُ قَاضِيًا وَلَمْ يَمُصْ أَحْكَامًا لِحُكْمِ سَدُومٍ<sup>٢</sup>

فلما أن طغى عصيانهم وجاوزوا الحد أخذهم لعذاب وذمّروا تدميراً، سنة الله جرت في الخلق، وقد أكّد عليه القرآن، وليس عن صدفة كما زعمه أصحاب الفكر الإسلامي الحديث! قال تعالى: «فَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَبَقِيَ غَارِبَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَأَنْزِلُ مُعَذِّبَةً وَقَضِرَ مَسِيرُهَا»<sup>٣</sup> ذكر ذلك تعالى بعد أن قصّ حديث قوم نوح وعاد وشمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين وعرعون وموسى «قَامَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ»<sup>٤</sup>

وتلك خرائب قرى لوط (بأرض فلسطين - على صفاق البحر الميت) لم تزل

١- وتفصيل لم يصح شيء منها بل وآثار الوضع والمبالغة فيها لا تمتد إلى الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء من

جامعه، ج ٤، ص ١٨١، باب ما ورد في شمود

١- المكيوت ٢٩، ٢٩

٢- الحج ٢٢، ٤٥

٣- راجع: قصص الأنبياء للبخاري، ص ١١٢

٤- الحج ٢٢، ٤٤

مشهودة للعرب المعاصر لتزول القرآن في رحلاتهم إلى الشام صباحاً ومساءً «وَأَنْتُمْ لَقَرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْنِعِينَ وَبِاللَّيْلِ»<sup>١</sup> يرون ديارهم الذي عفت وأصحت خراباً يباباً ألا فليعتبروا ويحذروا أن يصيبهم مثل ما أصابهم، إن تمادوا في الغي والصلال البعيدا

## أصحاب الكهف والرقيم

فَصَّة أصحاب الكهف، تُعرض نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وسجناً به إلى الكهف حين يمرّ عليها أن تعيش به مع الناس وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، وشحنها بالرحمة وفي القصة روايات شتى وأقاويل كثيرة فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير صور شتى ولكن بحسب الوقوف فيها عند ما جاء في القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن ولنطرح سائر الروايات والأساطير التي اندشت في التفاسير بلا سند وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء أحد فيهم، وعن لمراء والجدل رجماً بالعب «فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنُتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا»<sup>٢</sup>

والكهف المعاره الواسعه والرقيم، قيل إنه معرب «أركه = Arke» ليوانية أحد أسماء مدينة «بطرا»<sup>٣</sup> هي قصبة الأنباط كانت مدينة صخرية قائمة في مستو من الأرض، تحيط بها لصحور كالسور المتنيح، وهي واحة في «وادي موسى» عند ملتقى طرق القوافل بين «تدمر» و«غزة» وقد عمرت في إبان دولة الأنباط وكثرت فيها الأبنية، فلما دهمت الدولة تخرب معظمها، وبقي منها إلى الآن أطلال لا تفسحها الأثام ولا يؤثر فيها الإقليم منها «خزنة فرعون» وهي ساء شامخ منقور في صخر وردي اللون، على وجهته نقوش وكتابات بالقلم النبطي، وبجانبها مسرح منقور في الصخر أيضاً، ويستطرق من هناك إلى

٢ - الكهف ١٨ - ٢٢

١ - الصفات ٣٧: ١٣٧-١٣٨

٣ - معون عنها العرب البترا، مدينة أثرية في الأردن. هي سلع القديمة أو الصخرة. هم آثارها قصر فرعون والبوابة الأثرية والمسرح الكبير وعبور بيترا وهيجر

سهل واسع فيه عشرات من الكهوف الطسعية أو المقفورة، وليعضها وحشاه منقوشة  
وجدران أكثرها ظهوراً مكاناً يقال له «الدير» وكانت هذه الكهوف مساكن الحورين  
القدماء، ويلجأ إليها اليوم بعض المارة، مرر من اسطر أو البرد

ومدينة بطر، أو الرقيم أنشأها الأنباط في الجنوب الشرقي من فلسطين - مدينة  
عربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد، وطنت هامة إلى أوئل القرن الثاني بعده، إذ دخلت  
في حوزة الرومان سنة ١٠٦ م.

وبطرا لفظ يوناني معناه الصخر وقد سمي البلد بذلك لأن مبانيه منحوتة في  
الصخر، واسمها القديم سلع وسالع ويعني بصاً الصخر ولا زالت أطلاله إلى اليوم في  
وادي موسى في الأردن وسمي أيضاً وادي لسق

والعرب شاهدوا آثار هذه المدينة بعد لإسلام وسموها «الرقيم» وهو تعريب أحد  
أسمائها اليونانية، لأن اليونانيين كانوا يسمونها أركه - كما يقدّم - فحرّته العرب وقالوا  
الرقيم<sup>١</sup>

وقال المقريري في عرص كلامه عن اثنيه: «إن بعض المماليك البحرية هربو من  
القاهرة سنة ٦٥٢ هـ فمّرت طائفة منهم بانيه فهاوا خمسة أيام، ثم تراءى لهم في ليوم  
السادس سواد على بعد فقصدوه، فإذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلّها من رخام  
أحصر قدخلوا بها وطافوا، فإذا هي قد عنب عليها لرمل حتى طم أسواقها ودورها،  
ووجدوا بها أواني وملايس. وكانوا إذا تناولوا منها شيئاً تناثر من طول البلى، ووجدوا في  
صينية بعض البزارين تسعة دنانير ذهباً عليها صورة عزل وكتابة عبرانية وحفروا موضعاً  
فإذا حجر على صهريج ماء، فشربوا ماء أبرد من الثلج ثم خرجو ومشوا ليلة فإذا بطائفة  
من العربان، فحملوهم إلى مدنة الكرك، فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة ودفع لهم في  
كل دينار مائة درهم وقيل لهم. إن هذه المدينة لها طوفان رمل يزيد تارة وينقص أخرى

لا يراها إلا تائه<sup>١</sup>.

ولعل في هذا الوصف احتلاطاً للحقيقة بالخيال، وأن الممالك شاهدوا أطلال بطرا - كما احتمله زيدان - ووجدوا الدنانير، إما من صرب اليهود أو النسطيين، وقد زار المدينة غير واحد من المستشرقين في القرن الماضي (١٩) وقرأوا ما عليها من نقوش نبطية<sup>٢</sup>.

من هم أصحاب الكهف؟

قد ذكر المؤرخون والمفسرون عن أهل لكهف شيئاً كثيراً، أورده الطبري في التاريخ وفي تفسيره، وتتفق أكثر الروايات على القول بأن عدداً من الفتية بهدوا عبادة الأوثان واعتنقوا لتوحيد في مدينة «أنسس»<sup>٣</sup> ثم فرّوا من ملك المدسه وأووا إلى كهف وكان معهم كلب عجروا عن إبعاده، وباموا في هذا الكهف ثم جاء الملك الوثني داقينوس (ويسمى أبصاً داقينوس ودافيانوس) ومعه أتباعه للنقض عليهم، ولكن لم يستطع أي واحد منهم دخول الكهف، فبنوا عليهم باب الكهف ليموت الفتية جوعاً وعطشاً، ونسي الناس أمرهم بعد ذلك.

وفي يوم من الأيام بعث أحد الرعاة برجاله وأمرهم بصح هم العار لتتحذه حظيرة لغنمه، ولما دخلوا لم يروا أول الأمر الفتية الذين بعثهم الله في الأجل الذي ضربه ليعظتهم وعندما استيقظوا كانوا لا يزالون يملؤهم الفرع ولرعب من الخطر الذي نحوا منه، فعمدوا إلى الحيلة وبعثوا بأحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً ولم يعرف نافع الطعام النعود التي دفعها إليه الفتى، فساقه إلى الملك وهناك تبين كل شيء، فقد نام الفتية ثلاثمائة سنة وتسعاً، وكانت الوثنية قد انقرضت خلال هذه المدة وحل محلها التوحيد، وفرح الملك بأصحاب الكهف فرحاً عظيماً، لأن بعثهم أيد عقيدة دينية كان البعض يشك في صحتها، وهي أن الناس يبعثون كما هم بالحسد والروح معاً.

<sup>٢</sup> - العرب قبل الإسلام، ص ٨٥.

<sup>١</sup> - المخطوط المقرئ، ج ١، ص ٣٧٦.

<sup>٣</sup> - بلدة رومانية من غور طرسوس بين حلب وأطاكية.

ولم يكدهم العتي يعود إلى الكهف ثانية حتى ضَرَبَ الله على آذانهم مرةً أخرى فجاء الناس وشيّدوا هناك - على المغارة - محجداً، تتركهم

\*\*\*

وهنا عدة أسئلة أخرى.

ما هي تلك المدينة التي هرب منها لعتية ولحقوا إلى الكهف؟ يقول ابن عاشور والذي ذكره الأكثران في بلدٍ يقال له «أَبْسُس» - بفنح الهمزة وسكون الباء وضم السين، بعدها سين أخرى - وكان بلداً من شعور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية

قال وليست هي «أفسس» بالفاء، المعروفة في بلاد اليونان بشهرة هيكل المشتري فيها، فإنها من بلاد اليونان. وقد شته ذلك على بعض المؤرخين والمفسرين، وهي قريبة من «مَرَعَش»<sup>١</sup> من بلاد أرمينية.

وأَبْسُس هذه هي مدينة «عَرَسُوس»<sup>٢</sup> القديمة في «كبادوشيا»، وكانت تسمى أيضاً «أَبْسُس» وتسمى اليوم كاتوجورك<sup>٣</sup>

فهل كانت مدينة «أَسُس» هذه هي المسرح الذي وقعت فيه تلك الحوادث بما فيها من غرائب؟

أمّا «ده غوي» فيؤيد هذا الرأي معتمداً على براهين استندتها من النصوص. وفي الحق إن بعض الرجال قالوا إنهم رأوا في مدينة «أَبْسُس» هذه كهفاً كان به جثث ثلاثه عشر رجلاً قد يبست<sup>٤</sup>

قال ياقوت أبْسُس، اسم لمدينة حراب قرب «أُلُسْتَيْس» من نواحي الروم. يقال

١ - مدينة في جنوب تركيا الآسيوية (أفليجا) وفيها ربد بولس ونحبا المسمون سنة ٧٨٨م وفيها دس.

٢ - مدينة في جنوب تركيا على حدود سورية. ٣ - تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٥، ص ٢١

٤ - عَرَسُوس بلد من نواحي شعور قرب المضيق (مدينة على شاطئ نهر جيحان قرب طرسوس - تركيا).

٥ - دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، ج ٢، ص ٢٤٢

٦ - ليس في ذلك دليل، لأن العثور على جثث مبيسة في كهف، كان أمراً شائعاً ذلك العهد ووجد من ذلك الكثير وليس هذا وحده.

منها أصحاب الكهف والرقيم وقيل هي مدينة دقيانوس، وفيها آثار عجيبة مع خرابها<sup>١</sup> وفوق هذا فقد تصفّت مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة ما ينصّ على أنّ «عزّئسوس» هي مدينة أصحاب الكهف والرقيم وربما كان اكتشاف هذه الجثث الثلاث عشرة هو الأصل لهذا لقول، ثمّ حرّف لناس «أبسس» فيما بعد إلى «أفسس»؟<sup>٢</sup> وقيل: هي البتراء (بطرا) مدينة أثرية في الأردن وفيها المسرح الكبير، حسماً تقدّم ولعلّه المراد فيما أثر عن ابن عباس، قل لرقيم، وإيدون فلسطين قريب من أيلة<sup>٣</sup>



متى كان هذا الهروب واللجوء؟

والأكثر على أنّه كان بعد ظهور نصرانية ولعلّه في بدايتها كانت الديانة النصرانية دخلت في تلك الجهات، وكان العالِب عليها دين عبادة الأوثان على الطريقة الرومية الشرقية قبل تنصّر قسطنطين فكان من أهل «أيسس» نفر من صالحى النصارى يقاومون عبادة الأصنام، وكانوا في زمن الأباطور «دقيانوس» الذي ملك في حدود سنة ٢٣٧م وكان متعصباً للديانة الرومانية وشديد لبعض لنصرانية، ولذلك توعدّهم بالعذاب، فاتفقوا على أن يخرجوا من المدينة إلى جبل بينه وبين المدينة فرسخان يقال له: «بنجلوس» أو «أنخيلوس»

وتقول الروايات إنّ الملك الوثني بدي اضطهد النصارى كان يسمّى «داقيوس» الذي ملك ما بين (٢٤٩-٢٥١م) أمّا الملك لنصراني الذي بعث الفتية في عهده فهو الملك «تيودوس» الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) فتكون مدّة مكوثهم في الكهف ما يقرب من (٢٠٠) سنة، وهذا لا يتفق مع ما ورد في القرآن من أنّ أصحاب الكهف «لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً»؟<sup>٤</sup>

١ - معجم البلدان، ج ١ ص ٧٣ ٢ - دائرة المعارف الإسلامية المراجعة، ج ٢، ص ٢٤٣

٣ - الدرر العشرون، ج ٥، ص ٣٦٢ وأيلة - سهل أردنى في شمال الفلب على البحر الأحمر يقوم على أنقاض أبله الرومانية

٤ - الكهف ١٨، ٢٥ راجع دائرة المعارف الإسلامية المراجعة، ج ٢، ص ٢٤٢

يقول الدكتور عبدالوهاب الحار - معقاً على ذلك في الهامش -، الذي ألاحظه، أن عبارة دائرة المعارف الإسلامية كعبارة «كثير المستترين، تعتبر أن قوله تعالى «وَلْيُثْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَازْدَادُوا شَعَاباً» حبر عن مدة مكث أهل الكهف في كهفهم منذ دخولهم إلى أن استيقظوا

ولكنني أفهم غير ذلك وأقول إن قومه «وَلْيُثْوَا» معمول لقوله «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً» فهو من مقول السائلين وليس حبراً من الله تعالى، ولذا أسع ذلك القول بقوله «قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَحْكُمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» وكذا هو أسع قومه «وَلْيُثْوَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ» بقوله «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»

فالفرار ساكن عن عددهم وكذا عن مقدار بنهم، إذ لا غرض يترتب على الهدف الذي ساقه القرآن،

وقد ورد هذا القول عن ابن عباس وتلميذه قتادة

قال ابن عباس: إن الرجل ليعسر الآية يرى أنها كذلك، فيهوي بعد ما بين السماء والأرض!

ثم نلا «وَلْيُثْوَا فِي كَهْفِهِمْ» قال لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله «قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا»، لكنه حكى مقالة القوم في العدد وهي المدة، ورد عليهم بأنه تعالى أعلم وقال قتادة في حرف (أي قرء) ابن مسعود «وَقَالُوا لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ» يعني إنما قاله الناس، ألا ترى أنه قال «قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» وفي رواية أخرى عنه أيضاً هذا قول أهل الكتاب، فردّ الله عليهم «قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا»<sup>١</sup>



قلت. قصّة أصحاب الكهف، حسبما جاءت في القرآن، قصّة قديمة موعلة على القدم، يرجع عهدها إلى ما قبل الميلاد، ولعنه بقرون. ولأنها بقصّة يهوديّة أشبه بها أن تكون قصّة مسيحيّة

روى محمد بن إسحاق بإسناده إلى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، قال إن النصر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط، أنذهما قريش إلى أخبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهما، سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وحبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا فحرحا حتى قدما المدينة فسألا أخبار اليهود عن النبي ﷺ وقالوا لهم ما قالت قريش

فقال لهما أخبار اليهود أسألوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متفول، فأرأوا فيه رأيكم سلوه عن فتنة ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟

وفي رواية أخرى فإن أخبركم عن لتسن ولم يخبركم بالروح فهو نبي فأنصرفا إلى مكة، فقالا يا معاشر قريش، قد حنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، وقصنا عليهم القصّة فجاؤوا إلى النبي ﷺ فسألوه، فاستمهم النبي ﷺ حتى يأتيه الوحي، فعكث أسبوعين حتى نزلت الآيات بشأن أصحاب الكهف وذي القرنين وشأن الروح، إنه من أمر ربي ولم يبين<sup>١</sup>

وفي هذا الوصف الذي جاء في رواية بن إسحاق، دلالة واضحة على أن حديث الفتنية حديث قديم يرجع عهده إلى الدهر الأول وربما يعني ذلك العهد القديم السابق على عهد موسى وبنى إسرائيل فقد كان حديثاً شائعاً بتداوله أبناء الأديان القديمة وتوارثها المتأخرون ومهم اليهود ولعنه كان من شارات أصحاب الأديان، هي معرفة هكذا قصص دينية فيها اصطهاد وفيها الصبر والأناة وللمقاومة تجاه الإلحاد، وفي النهاية: النصر والظفر فهو حديث غلبة الحق على اساطير، وظهور السلام على العنف والطغيان هي أي زمان «إِن تَقْدِمِ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ يَهْذَمُهُ فَاذَا هُوَ زَاهِقٌ»<sup>٢</sup> جاءت الآية حديثاً عن مواضع الأنبياء الظاهرة

إذن فقد كان حديث الفتنة رمزاً قديماً لانتصار التوحيد على الشرك كله، وشعاراً



لائحاً بمحبّة الدين الظاهرة والدائمة على مدى الدهر

وجاءت القصة في الأوساط المسيحية بعنوان «نوام أقسس»<sup>١</sup> «السبعة» نشرت لأول مرة في الشرق في كتاب سرياني يرجع تاريخه إلى القرن الخامس بعد الميلاد<sup>٢</sup> ووردت عند الغربيين في كتاب «ثيودوسيوس»<sup>٣</sup> عن الأرض المقدسة وقصة أصحاب الكهف مشهورة ذائعة في الآداب الشرقية والعربية على حد سواء<sup>٤</sup>

غير أنّ فكرة تقادم القصة في أوساط سابقه على المسيحية، قد شغلت أذهان المحققين، حتّى عثر بعضهم على آثار مثبته في مصادر يهودية ويونانية وغيرهما، منها قصة «أناس» - حوى - التي جاءت في كتاب «نعاييت» في فصول من كتاب «اللمود» وكان قد استغرق نومه ٧٠ سنة

وهكذا قصة «هلني» والنوام السبعة بساردينيا، التي أشار إليه «أرسطو»، وغير ذلك ممّا ذكره بهذا الصدد.<sup>٥</sup>

### حديث ذي القرنين؟

وهكذا حديث ذي القرنين، لرجل الذي جاب البلاد وطاف المعمورة غاتى مطلع الشمس (شرقي الأرض) ومغربها (غربي الأرض) حديث قديم قد يرجع تاريخه إلى عهد بعيد غير أنّ الذي حققه بعض أعلام العصر، لأستاذ أبو الكلام آزاد الهندي، مستمداً من نصوص التوراة (العهد القديم) هو احتمال أن يكون هو الملك الفارسي «كورش» الكبير (٥٥٧-٥٢٨ ق م) الذي دانت له البلاد شرقاً وغرباً استولى على بلاد ماداي وآسيا

١ - مدينه قديمه في آسيا الصغرى على بحر ايجه، تقع أنقاضها بالقرب من «سلجوق» المعالنه (تركيا). كانت مركزاً تجارياً هاماً منذ القرن الثامن قبل الميلاد

٢ - نشرت على يد الأسقف السرياني يعقوب السروجي (٤٥١-٥٢٦ م) شاعر سرياني كبير ولد في «كرتم» (ما بين النهرين، ودرس في مدرسة «الرها» الشهيرة أسقف بطريرك المويسري ٥١٩

٣ - بطريرك الاسكندرية (٥٣٥-٥٦٦ م) كان مويسرياً نقى إلى القسطنطينية ٥٣٧. له مؤلفات دينية

٤ - راجع: دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، ج ٢، ص ٢٤٣

٥ - راجع دائرة المعارف الإسلامية الكبرى للوجوردي، ج ٩، ص ١٤١

الصغرى وبابل وأطلق سراح اليهود من أسر البابليين وأدى لهم بالعودة إلى فلسطين وأعانهم على إحياء القدس من جديد ومن ثم جاء ذكره في أسفار التوراة بإعظام وتحيل

وكانت تسميته بذي القرنين تعبيراً عن رؤياً رآها دانيال النبي عندما كانوا في الأسر<sup>١</sup> وكانت الرؤيا نبشراً بحلّاصهم على يد ملكٍ ذي سلطان قاهر يسطو على بلاد ميديا وفارس

جاء في الرؤيا «في السنة الثالثة من مُلك «بيلشاصر» البابلي، ظهرت لي أنا «دانيال» رؤياً وكان في رؤياي، وأنا في شوشان قصر الذي في ولاية عيلام ورأيت في الرؤيا وأنا عند نهر أولاي، مرصع غشّي ورأيت وإد ككش واقف عند النهر وله قرنان، والقرنان عاليان رأيت الككش يسطح عرباً وشمالاً وجنوباً، فلم يعف حيوان قدامه ولا مُقَدِّم من يده، وقُتل كمرضاته وعظم<sup>٢</sup>.

ثم إنّه طلب من الله أن يبعث له من يعزّز له الرؤيا، وإد بشبح إسمان واقف قُبائله، وسمع صوتاً يقول يا جبرائيل، ههنا هذا الرجل الرؤيا. فجعل جبرائيل يفسّر الرؤيا في تفصيل حتّى أتى على ذكر الككش ولعريس، فقل أما الككش الذي رَأَيْتَهُ ذا القرنين، فهو ملك مادي وفارس<sup>٣</sup>.

وبالفعل فإنّ «كورش» وحّد مملكتي مادي وفارس غرباً وشمالاً واستولى على بابل في الجنوب ووسط سلطانه على أرجاء البلاد وهكذا جاء في كتاب «إشعيا»<sup>٤</sup> وأقول بشأن كورش، إنّه خير راجع اصطفيته، وإنّه يحقق إرادتي، ويجدّد بناء أورشليم ويعمر بيني من أساس<sup>٥</sup>

١ - ولعلّ دانيال هو قصص على كورش رؤياً، فتشرّ كورش به وأحدها شعاراً في ملكه تبرّكاً بملكه وتقوية لسلطانه. ومن ثمّ كان عدّ أخصيه أن يبعث صورته على الحجر ويحفق على رأسه تاجاً ذا القرنين يسطو بهما على الشمال والجنوب جميعاً وهكذا نجد مثال كورش الذي عثر عليه في مشهد مرصع وعلى رأسه التاج الشهير بالقرنين.

٢ - سفر إشعيا، أصحاح ٤٤: ٢٥-٢٨

٣ - سفر دانيال، أصحاح ١٨: ١-٤ و ١٥: ٢١

وفي الأصحاح ٤٥ هكذا يقول الرب لمسيحه<sup>١</sup> يعني كورش: إني منحت لك القدرة والسطوة والملك وسوف يحصع أمامك كل الملوك، ويصح لك الأبواب كلها وسوف تصفى لك الأرض ويذاب لك الحاس ولحدبد، وتستولي على طرائس الأرض وذخائرها، إلى قوله: أنا أنهضنه بالنصر وكل طرقه أسهل وهو يسي مدينتي ويطلق سبي<sup>٢</sup>

وفي الأصحاح ٤٦ جاء بنسبه كورش بالعقاب الكاسر،<sup>٣</sup> بقول أبعث من المشرق عقاباً كاسراً ينقض على الأكاسرة ليحطهم ويفعل في الأرض ما أريد، وسوف يتحقق على يديه ما قضت<sup>٤</sup>

وكتاب إشعياء: ولعلّه عاش قبل ظهور كورش بأكثر من قرن ونصف (١٦٠ سنة) - لم يؤلف في زمن واحد وقد أكمله بعدة نبياء متأخرون وبعضهم عاصر ظهور كورش وسقوط بابل غير أن الجمع وصفوا كورش بالقدرة والسطوة الربانية والذي جاء ليخلص العباد من الظلم والخور عليهم. وهكذا فعل في خلاص بني اسرائيل وإعادة بناء الهيكل وقد ملك الأرض شرقاً وغرباً وبسط العدل فيها

الأمر الذي بهما ويرتبط بصلب لبحث عن شخصية ذي القرنين في كتب

السالمين

وفي كتاب إرميا، أصحاح ٥٠: أخبروا في الشعوب وارفعوا راية الفجار، وقولوا أخذت بابل، وحزري بيل ومزودح وأوثنها وسحقت الأصنام. لأنه قد طلعت عليها من الشمال أمة تهدم كل هذه البنايات وتكسر سموتها<sup>٥</sup>

وفي هذا التعبير جاء تشبيه الأمة ندرسية ذلك اليوم بالشمس الطالعة والتي تبعث على العالم أشعتها للدفع والحيوية والنشاط

١ - أي عبده الذي اصطفاه وهكذا يقال ليسى بن مريم المسيح لأنه النبي المختار لإسمه أنته، والمسيح: العيارك. حيث باركه الله وجعل في وجوده البركة واللفظ بعبء المؤمنين، ويهد المعنى أطن «المسيح» على كورش.

٢ - سفر إشعياء، أصحاح ٤٥: ١-١٤ نقلاً بتلخيص وتوضيح

٣ - يقال للعقاب: كاسر، لأنه ينقض على ما يصيده فيكسر كسراً

٤ - سفر إشعياء، أصحاح ٤٦: ١-١١ ٥ - كتاب إرميا، أصحاح ٥٠: ٥ نقلاً بتلخيص وتوضيح

وهكذا جاء التعبير في القرآن عن ذي القرنين بالعبد الصالح، والذي منحه الله القدرة والسطوة، لا ليستعملها في الشر، بل في الخير والصلاح ونشر العدل في البلاد وحماية العباد عن مظالم الطغاة

فكانت سيرته حسنة وكانت سياسته على أساس الحكمة وقد ارتضاه الله، فألهمه الحير ووفقه في إسعاد العباد وإصلاح البلاد.

وَمِنَ الْعِبَادِ مَلْهُمُونَ وَرَبِّمَا مُحَدِّثُونَ، وإن لم يكونوا أنبياء الأمر الذي ينطبق على ذي القرنين بكل وضوح ولعله هو كورش على ما جاء في العهد العتيق، نظراً لهذا الانطباق أيضاً حسب الظاهر.

وإليك وصفه على ما جاء في القرآن:

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِثْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا.

إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتِّبَاءً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَأًا.

فَأَتْبَعَ سَبَأًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا.

قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُغْدِبَ وَإِنَّمَا أَنْ تُخْذَ فِيهِمْ حُسْبًا.

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا.

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَوَاءٌ الْمُحْسِنِ وَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَأًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَّهُمْ مِنْ دُونِهَا بُسْرًا. كَذَلِكَ وَتَوَدَّ أَحْطَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَأًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا.

قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ

تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا.

آتَوْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَدًا قَالَ آتُونِي

أُفْرُغَ عَلَيْهِ قَطْرًا.

لَمْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا

قال هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَبَدَأَ جَاءَ وَعَدُّ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا<sup>١</sup>

والذي يبدو من هذه الآيات أن لدي لقربين شأنًا عند الله، وأنه كان ملهمًا من

عنده، بعثه الله<sup>٢</sup> سطورة على الطاعة ونجده لعباده في أرجاء البلاد

وهكذا جاء في مشور كورش دعيماً لإحياء القدس من جديد وإطلاق سراح

إسرائيل من الأسر منوهاً أن ذلك من أمر الآله رب العالمين

جاء في كتاب عزرا، أصحاح ١-١١، «وهي السورة الأولى لكورش ملك فارس،

عند تمام كلام الرب بقم إرميا، ته الرب رُوح كورش ملك فارس، فأطلق بداءً في كل

مملكته، وبالكتابه أيضاً، قائلاً «هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض

دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أسي له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا»

وجمع الإعانة من كل أساء منكه الوسيم، قائلاً «وكل من بقى في أحد الأماكن،

حيث هو متفرّب، فلينجده أهل مكانه بقصة / بذهب وبأمتعة وبيهاثم، مع التسرع لبست

الرب في أورشليم.

وحسب أنه أرحم التراث الإسراني الذي كان قد نهبه بحت نصر، وردّه إلى البست،

وكانت أواصي من ذهب وفضة ما يُعدّ بالأنوف»<sup>٢</sup>

والتعبير في هذا البان أن الرب به روح كورش وهو الوحي بمعنى الإلهام

وهذا يتحد مع قوله هو وهو أوصاني أن أسي له بيتاً. أي وقع في خلدي فعل هذا

الخير وكل فكرة خير إنما هو من عند الله. كما أن فكرة الشر من الشيطان «وإن الشياطين

ليوحون إلى أوليائهم ليُجادلوكم»<sup>٤</sup> «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى

بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»<sup>٥</sup>

١ - الكهف ١٨ ٨٣-٩٨

٢ - كما بحث بحت نصر تمة على المائة، في قوله تعالى «بِعَفِّ عَنكُمْ عِبَاداً سَاءَ أُولَئِكَ شِدِيدٌ». الإسراء ١٧ ٥.

٣ - الأنعام ٦ ١٢١

٤ - الأنعام ٦ ١١-١٢

٥ - الأنعام ٦ ١١٢

وهذا هو إلهام الشرّ الشيطاني أمّا إلهام الخير الرحماني، فهو كما بشأن أمّ موسى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...»<sup>١</sup> وأوحينا بمعنى ألهمنا، في القرآن كثير. وهكذا «قلنا» حديثاً مع دوات الأئمنس ونس مشافهة بالكلام. وليس بشأن الإنسان محاسب، بل بشأن الحيوان والجماد، أيضاً كثير فجاء حديثاً مع أصحاب البقرة «فَقُلْ أَصْرِبُوهُ يَنْصِبُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَكِّيهِمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»<sup>٢</sup> إذ لم يكن خطاب مشافهة، ولا دليل على أنّه بواسطة الرسول والمحتمل قوياً هو إيهاء هذا المعنى كما في أمّ موسى وهكذا قوله بشأن بني إسرائيل - بعد هلاك فرعون - «وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُتُوا الْأَرْضِ...»<sup>٣</sup> إلهاء في النفوس بطمعه الحال وكان الخطاب مع النار في قوله تعالى «فَقُلْ يَا بَنِي كُورَيْبٍ تَزِدُوا وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»<sup>٤</sup> أيضاً من قبيل إيهاء إرادته تعالى، لكن تكويماً نظير لإيهاء إلى النمل والنمل وسائر الحيوان ليسلكوا سبل ربهم دلاً ومن هذا القبيل قوله تعالى بشأن مُرَدِّهِ بني إسرائيل «فَقُلْ لَهُمْ كُورُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ»<sup>٥</sup> لم يكن خطاب تكليف بل خطاب تكوّن. وهكذا الحديث مع الأرض واسماء في قوله تعالى «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي»<sup>٦</sup> «فَقَالَ لَهُ وَ لِلْأَرْضِ اشْتِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً فَذَكَ أَتَيْتَا طَائِعِينَ»<sup>٧</sup> فلا غرابة بعدئذ أن يأتي بشأن الإيهاء - نفسياً - إلى عدد من عباد الله الصالحين «قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَتَأْتَانِي أَنْ يَبْدَأَ فَتَنفُثُ نَفْثَتَهُ وَأَنْتَ آمِنٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ قُرْآنٍ بَشَرًا»<sup>٨</sup> وهذا عندما سار كورش متوجّهاً في فتوحاته نحو الغرب لتسحير بلاد ليديا.<sup>٩</sup>

١ - القصص ٢٨: ٢

٢ - البقرة ٢: ٧٣

٣ - الإسراء ١٧: ١٠٤

٤ - الأنبياء ٨١: ٦٩

٥ - البقرة ٢: ٦٥

٦ - هود ١١: ٤٤

٧ - فصلت ٤١: ١١

٨ - الكهف ٦٨: ٨٨-٨٦

٩ - مملكة قديمة عربيّة اسمها الصغرى ممّا يلي بحر إيجة كانت قاعدة ملكها مدينة «سارد» الزاهية بجماعتها يومئذ.

فوقع ملكها «كرزوس» أسيراً في يد كورش، وكان قد تأمر ضده مع سائر الدول للقضاء على امبراطورية فارس، ولكنه فشل ووقع بلاده طعمة رخيصة للملك الفارسي، ومن ثم حاول إحراقه بالنار، لكنه سامحه وعفى عنه، حسب دأبه مع سائر أمراء البلاد الذين بغوا عليه وأصبح عنهم

وبذلك يرى الآيات لعلها تتصادق مع ما سجله التاريخ بشأن كورش فقد قويت شوكته بعد أن وحد فارس ماداً بعد الاستلاء على «إكباتان» (همدان - اليوم) فذهب متوجّهاً نحو العرب لإحصاء مساوئيه هناك (اليدى) الأمر الذي يتصادق مع قوله تعالى «إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَتَوَحِّدًا مَّا لَدُنَّا فَارِسَ وَمَدْيَنَ»<sup>١</sup> فأتبع سباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس (هي الصفة المرببة بطرق الفصح والظفر على الحُصوم) فأتبع سباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس (هي الصفة المرببة من آسيا الصغرى، حيث بلاد ليدنا، تركيا الحديثة) وجدها (أي الشمس) تغرب في غير حبيّة، حيث بحر إيجة ويستى بحر المروبي، وبحر مرمره وعلى امتدادهما البحر الأسود، وكلها تصرف بالسواد، كأنه الوحل والحماة الطين الأسود وكانت الشمس تغرب على آفاق تداخمت تلك البحار الصاربه لوبها إلى الأسود

وهكذا سار كورش (دو القرنين) بحوشه نحو مغرب شمس (غربي بلاد فارس - آسيا الصغرى) حتى أوقفه البحر، ولم يكن من شبر أمامه من يابس - في مسيرته تلك - فماذا بعد قرص الشمس المحتضن وقد تحضت بحمرة كأنه ينرف ما فيه من طاقة ماذا بعد قرص الشمس وقد اصفر واحتضر وتضاءل عند الأفق، ثم هوى وسقط غارقاً في العين الحمئة<sup>٢</sup> في خليج «إرمير»،<sup>٣</sup> بين الماء وطين الأسود العكر اللذين يسكبهما نهر «جيديس»؟

لقد رأى كورش (ذو القرنين) في هذا المشهد ما بشده إلى الخالق الأعظم، مالك

١ - من فتادة والضحاك. علماً يشبّه به إلى تحقيق إرادته وبنوع مآربه ومن الجباني كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد والظفر على الأعداء. مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٩٠

٢ - والعين. هنا - لجة الماء وعبابه المتموج فيرثى بسخر على ساحل البحر كأن الشمس تغرب في عبابه، كما أن الناظر إليها وهي تغرب في البر، كأنها تغرب في أرض ملء

٣ - هي «سميرنا» (Smyrne) القديمة، مرفأً عظيم في تركيا على بحر إيجة

السموات والأرض ومسير الأفلاك لتدبض الباسط العظيم المتعال.

لقد قضاءل - رغم ملكه العرص - أمام سقوط الشمس في عين حمئة، حيث أظلمت الدنيا بعدها، وعرف أن لكل شيء بهاءه، وكل شيء هالك إلا وجه الله الكريم لقد توصل كورش - بما لديه من خلفيّة روحية، ستمدّها من زرادشت - إلى حقيقة البعث والممات، وعظمة الله في الآفاق

هذا هو شعب ليديا قد صار في قبضته، فماذا يفعل بهم؟

لقد منح الله ذا القرنين حريّة اختيار العفو عنهم أو تأديبهم والتنكيل بهم . واختار ذو القرنين العفو عنهم تاب وآمن وقال: من كان هذا شأنه فسمح وعطف ويسر وتكريم وأمان ورحمة ومن كفر وطغى وتجرّص صرّب بالأعتاق وعنف وتأديب

قال تعالى «فَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ بِدَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تُجَدِّدَ بِهِمْ حُثًّا... قَالَ أَتَى مَنْ ظَلَمَ فَسَوَّفَ نَبُذَهُمْ ثُمَّ يَرْدُّهُ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا»<sup>١</sup>

### نحو مغرب الشمس!

نعم قام كورش بحملة نحو المغرب (غرب بلاد فارس) حيث مغرب الشمس بالنسبة إليهم.

والشمس لا تغرب في مكان محدد تهوي إليه حتى لصباح الثاني وإنما أي مكان في الكرة الأرضيّة تغرب فيه الشمس عند الأفق يسقى مغرب الشمس، وبالتالي فمغرب الشمس شيء نسبي قد يراه ابن الصحراء وراء النلال، وهو بالنسبة له مغرب الشمس، وقد يراه ابن السهل الساحلي شاطئ البحر، وقد يكون سطح البحر المعحني مغرباً للشمس في نظر الرائي، وما هي - آنذاك - إلا مشرقة عند قوم آخرين



وتؤخذ لحظة الغروب عندما يقح الأفق على منتصف قرص الشمس تماماً، ونقول  
ساعتها هذا مغرب الشمس!

فإذا قلنا إن كورش نوحه نحو مغرب الشمس، فمعنى ذلك أننا نقول: إن مسار  
الحملة كان صوب الغرب.

فإذا كان كورش -ملك فارس الكبير- يسم في «أشانا -خوزستان الحالية» على  
خط طول (٥٠°ش) فإن اتجاهه صوب المغرب يعني حملته على «ليديا -تركيا حالياً»  
بعد أن انتصر كورش على الميديين ودخل عاصمتهم «همدان»، ساد الوحوم  
والانزعاج ربوع أعظم الممالك قاطنة ذلك لحين مملكة مصر الفرعونية، مملكة الليديين  
(ليديا) ومملكة البابليين وجرب بينهم مفاوضات لتحقيق الاتحاد بينهم لمواحهمة  
كورش، وكانت مملكة ليديا (تركيا الآن) أخوف الثلاثة وأحرصهم على تحقيق هذا  
الاتحاد العسكري، رغم أن ملكها «كروزوس» كان قد بدل أقصى جهوده لازدهار ليديا  
حتى صارت عاصمتها «سارد» يقال عنها سارد لذهبية

وقد بلغ الاضطراب بملك ليديا درجة أنه كان يتوقع هجوم كورش على بلاده بين  
لحظة وأخرى، ومن ثم جهّز الملك الليدي نفسه، قدحله في مفاوضات مع اسيراطة  
(إحدى الدول اليونانية) وضمتها إلى حلفه وتعدت بابل ومصر كذلك معه وسارت  
الجيوش نحو كورش في إيران<sup>١</sup>

يقول الأستاذ خضر لم يكن كورش -إدس- معتدياً ولا سفاحاً ولا ظامعاً في ملك  
أحد<sup>٢</sup>

أما الجيوش التي سارت نحو كورش فلم تكن جيوش الحلفاء جميعاً، فالملك  
«نبونيد» ملك بابل لم يكن ليحصر على التقيم بأي حركة، لخوفه من انتقام الفرس  
والأسارطيون وعدوا بالمساعدة ولكنهم تعامسوا عن العمل، متمسكين بسياسة عزلة  
التي ظلوا دوماً يتبعونها أما ملك مصر (أماسيس) الذي أدرك خطر الفرس على بلاده فقد

رضي بإرسال جيش صغير بطريق البحر ولكن منك ليديا «كرزوس» لم ينتظر وصول النجذات من حلفائه، بل أسرع بالهجوم وعبر نهر «هاليس» (قزل أرماق) وضرب البلاد التي في طريقه

وفجأة اصطدم بجيش كورش عند مدينة «بترية» أو «بتريوم» - العاصمة القديمة للحيثيين -<sup>١</sup> ودارت رحى حرب ضروس بين الجيشين واضطر الملك الليدي إلى الانسحاب غرباً حتى حدود مملكته

واندفع كورش نحو «مغرب الشمس» متقدماً بسرعة وباعت جيش ليديا عند أسوار العاصمة (سارد) أو (ساردس) لسهق لجيش الليدي منذ الحملة الأولى ووقع الملك الليدي أسيراً وجميع عاده حبه وجنوده سنة ٥٤٦ ق م<sup>٢</sup> وهنا يأتي دور الآية الكريمة: «قُلْ يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَجِدَ فِيهِمْ حُنّاً»<sup>٣</sup>

قال الدكتور خضر، كان العالم القديم آنذاك قد تعود من الملوك الفاتحين المنتصرين تدمير البلاد المقهورة التي تخرج معلوبة مهرومة من المعارك الحربية . ولكن كورش عاقل كرزوس بالحسنى - وقد لآية تكرمة - كما كانت شيمته الكريمة مع سائر الملوك المعلوبين، كان يعاملهم الحسنى، كما فعل بملك ماد وملك أرمسان وغيرهما<sup>٤</sup> ويذكر هيرودوت أن كورش كن يود في بداية الأمر - أن يختبر صلابة الملك الأسير وإيمانه فأمر بإضرام النار ليلقى فيها، ثم عدل عن ذلك - رأفةً ورحمةً به - وزاد من إكرامه وتعريه، وبلغ من إكرامه أن اتعده مستشاراً كان يستشير في مهام أموره.<sup>٥</sup>

وأما بقية رواية هيرودوت من إنقاذ الملك الأسير - فعلاً - في النار، ثم عن له - لبادرة بدرت من كرزوس - فأمر بإجائه وذويه من النار فإن المحققين من أرباب

١ - الحيثيون (هيسي ها = Chiti-ha) من الأقوام القديمة منذ ١٨٠٠ ق.م) كانوا يسكنون شرقي آسيا الصغرى مقابل البحر الأسود شمالاً، وجبال «توروس» - كيكية - وبحر العرب شرقاً ونهر «هاليس» - قزل أرماق، الحالية - غرباً واسم بلادهم «كبادوكية» مغرب «قبادوقيا» وأسس حضارة راقية، وكانت عاصمة بلادهم «بتريوم» المعروفة اليوم بهوغاز كوبي.

٢ - تاريخ إيرل، ص ٦٤-٦٥

٣ - معاهم جغرافية، ص ٢٤٢

٤ - الكهف ١٨: ٨٦

٥ - تاريخ هيرودوت، ترجمة الوحيد المازسوناني، الكتاب الأول، ص ٥٣-٥٥.

التاريخ المعاصرين، لا يتوافقون على صحته، إذ كان متافياً مع معتقدات الفرس آنذاك، حيث تقدسهم لحانب البار وأن لا تنبؤت بالأقدار، فضلاً عن مخالفته لشيمة ملوك الفرس عامة من اتخاذ طريقة الرأفة بالأسراء المملوك، ولأخذ بحانب حرمتهم بالذات ولعل هيرودوت أخذ هذه القصة من قصاصين قبله وسجله في كتابه من غير تحقيق<sup>١</sup>

بعد ذلك واصل كورش زحفه غرباً في آسيا لصغرى لإحصاع المستعمرات اليونانية - وكانت قد رفضت التحالف مع كورش في حربه مع ملك ليديا - كما كان من الطبيعي بعد انتصاره على الليديين أن يعكز كورش في الوصول إلى بحر إيجه (غرب ليديا) الذي يحتاج إليه الإمبراطور كالدورته لسهولة مصلحتها التجارية العالمية، وكانت المدن الأيونية (المستعمرات اليونانية) على شواطئ هذا البحر مشهورة بمهاها، ولكنها منقسمة على بعضها وبالتالي كانت ضعيفة، فكانت تؤلف عنائم سهلة السلول تقري لعاتحين

وكانت ماضيه فجميعه لليونانيين على شواطئ آسيا الصغرى عندما رآوا الجيوش الفارسية الجزاره يطبق عليهم جميعاً وتستولي بحمله واحده على مديهم كلها على سواحل بحر إيجه.

هذا هو ذا قد بلغ كورش مغرب الشمس بالنسبة لبلادها، لقد صار على حافة البحر الأبيض المتوسط، فأين العين الحمئة إذن؟<sup>٢</sup>

### وجدها تغرب في عين حمئة

حين توقف كورش عند شواطئ بحر إيجه - وهي جزء من سواحل تركيا على البحر المتوسط - وجد الشاطئ - كما هو معروف في الخريطة - كثير التعاريج، حيث تتداخل السنة البحر داخل اليايس، ومن أمثلة هذه السنة البحرية خليج هرمس

١ - راجع تاريخ إيران، ص ٦٦، ومهايم جغرافيه بعد التميم حضر، ص ٢٤٢

ومندريس الأكبر ومندريس الأصغر، ويتعمق خليج «إزمير» إلى الداخل بمقدار (١٢٠ كم) تحيط به الجبال اللدورية التي سمّاها «فيليبسون = Philippson». «العين الليدية الكارية»<sup>١</sup> حيث تحيط هذه الجبال من الغرب إلى الشرق حافتي هذا اللسان البحري الذي يتخذ شكل العين، ونصب فيه نهر «عديس» المباءة العكرة المحتملة بالطين البركاني ولتراب الأحمر، من فوق هضبه لأصول التي تنحدر سطء نحو الغرب قبل أن تصل إلى لحافة العربّة، ولذلك تريد سرعة جريان نهر «عديس» في اتجاه السهل الساحلي المتقطع في شكل خدجان وأحورر<sup>٢</sup> وجوان لا حصر لها، حتى يصل مستوى قاعدة بحر إيجه، حيث نصب في خليج «إزمير» العارق بين قمم الجبال المحيطة به بارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ متر

وحين وقف كورش ذوالفرين عند «سارد» قرب إزمير تأمل قرص الشمس وهو يسقط عند لغروب في هذا الخليج الذي يشبه العين [الكبيرة] تماماً واختلطت حمرة الفسق بالطين الأحمر والأسود الذي يلفظه نهر «عديس» في عين خليج إزمير ورجّح أن يكون ذلك هي العين الحثة التي ذكرها القرآن وهكذا ورد في التفسير العين الحثة، هي عباب الماء ولجّه المطبئة بالوجل، أي الطين الأسود الفاحم.

روى عبدالرزاق بإساده إلى الخليل بن أحمد لفرهبدى عن عثمان بن حاضر الحميري الأردّي (أبو حاصر لقاصّ، شيخ من أهل اليمن مقبول صدوق وذكره ابن حبان في الثقات)<sup>٣</sup> قال قال لي ابن عباس، لو رُبّت لي وإلي معاوية، وقرأتُ «في هَيْئِ حِمَّةٍ» (أي وحلة) وقرأ «حامية» (أي دفته) فدخل كعب مسأله معاوية، فقال، أستم أعرف بالعربية، ولكنّها نعرّب في عين سوداء.

١ - يقال كرى البحر أي طواها بالشجر وكرى لأرض حمراء.

٢ - جمع حور المعص من الأرض بين النشرين، تجمع فيها المياه بصورة أحواض طبيعية في السهول.

٣ - تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٩٩ رقم ٢٣٥ ٥٩ عن ابن عباس وابن الزبير وجابر وأنس، وعنه الخليل وعلى كثير.

وفي رواية قال ابن عباس لمعاوية في بيتي نزل القرآن لكّه أرسل إلى كعب وسأله، فقال، كعب سل أهل العريّة فإنهم أعلم بها ثم فسرها ماء وطين قال أبو حنيفة لو أني عبدكما أتدرك كلام وترداد به بصيرة في «حمئة»! قال ابن عباس: وما هو؟ قال فيما نأثر قول لشاعر - وهو تبع اليماني - فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم واتباعه رثاء.

قد كان ذا القرنين عمرو مسلماً	ملكاً يدين له لملوك وتحشد
هأنى المشارق والمغارب يسبغي	أسباب ملك من حكمهم مرشد
مرأى مغيب الشمس عند معابها	في عين ذي حُلْبٍ ونأطٍ جرّيد

فقال له ابن عباس ما الحُلْب؟ قال الطين، بدسائهم (أي الحمير) قال فما النأط؟ قال الحمأة (الوحل وهو الطين الرقيق الأسود) قال فما لجرّيد؟ قال الأسود<sup>١</sup> قد دعا ابن عباس علماً أن يأتي بالدواة، فقل له، اكتب ما يقوله الرجل<sup>٢</sup>

قال المذكور حصر والبعث العلمي الجغرافي تشع شأه المدن القديمة على خليج إزمير، مثل «أفسوس» و«ملطية» فوجد أن هذه الحمأة السوداء التي كانت تعكر خليج إزمير حين نظر كورش إلى الشمس وهي تغرب في هذا الخليج، هي الرواسب التي سدت جانباً كبيراً من هذا الخليج، وبعد أن كانت «أفسوس» و«ملطية» - وكانا مينائين في الزمن القديم - صارتا تقعان اليوم على بعد بضعة كيلومترات من البحر

كما أن ميناء «إزمير» نفسه لم ينج من لاملأه ورواسب الطين التي كان يجلبها نهر «غديس» إلى الشمال منه بقليل وأحسراً صطرت الحكومة لتركية إلى تحويل مياه

١ - الجرّيد أو الجرّند. المتغير اللون والرائحة يضرب إلى السوداء الفاحم

٢ - راجع تفسير عبدالرزاق، ج ٢، ص ٣٤٤-٣٤٥، رقم ١٧١٢ و ١٧١٣ وتفسير ابن أبي حاتم، ج ٧، ص ٢٣٨٣، رقم

١٢٩٤٧-١٢٩٤٨ والمدّ المنتور، ج ٥، ص ٤٥١؛ وتفسير القرطبي، ج ١١، ص ٤٩

النهر بعيداً عن هذا الخليج.<sup>١</sup>

\*\*\*

ثم وبعد أن فرغ من أمر آسيا لصعري - الواقعة في عربيّ لبلاد - توجه شمالاً وفي شرقيّ البلاد لإحضاع أقوام هناك كانوا قد تعثروا وأفسدوا في الأرض، فحاربهم محاربة عنيفة طالت ثماني سنوات، حتى ساد الأمن على تلك البلاد

«ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيحاً حَقّاً إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ (شرقيّ لبلاد) وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ (وحش) لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا بَيْتاً» عن الباقر عليه السلام لم يعلموا صفة البيوت <sup>٢</sup> فلم يعرفوا بناية السقوف والبيان، سوى اللجوء إلى الأسرب وغدران المياه من حرارة الشمس.<sup>٣</sup> والمنطقة كانت صحراوية فاحده ممتدة من شماليّ بحر قزوين حتى شواطئ المحيط الهندي وتشمل بلاد «مكران - سيستان وبلوخستان» وظلّ كوروش يعالج إحضاع تلك الأقوام خلال ثمانية أعوام<sup>٤</sup>

وقد دلت الدراسات التي أجريت على هيلاس الجنس الإنساني سنة ١٩٠٦م بالهند قبل التقسيم وحين كانت صحراء عيروسيا (مكران، بلوخستان، سيستان) تابعة لها على حدود إيران وأفغانستان، على أن السكّان ينتمون إلى الجنس التركي الإيراني الذي يتسم بقصر القامة على العموم ومعظمهم من ذوي الرؤوس العريضة، وبلغ قياس مَنَحَم (٨٠-٨١) وأَنُوفهم طويلة وشعر رأسهم ولحيّتهم غزير ولون العيون والشعر أسود غالباً ويشترتهم بيّنة فاتحة وهي تميل إلى الدكة كلما اقترنا من الشاطئ

وهذه سمات بقايا قبائل بدائية شرسة كانت تعيش بالإقليم منذ (٤٠٠٠) سنة ويمكن تقسيم سلالاتهم إلى البلوش - البراهوني - الهندو والبربر

وقسم من البلوش يعيش الآن في سهل كججهر حتى خطّ عرض (٣١) شمالاً ويقطن عدد كبير منهم السهول الجنوبية وشماليّ سدة وناحية يعقوب آباد أمّا البراهوني

١ - معاهيم جغرافية، ص ٢٣٩ - ٢٤٥

٢ - مجمع البيان ج ٦، ص ٤٩١

٣ - من الحسن وقنادة وابن جرير، والشَّرب: الحمر تحت الأرض النفق

٤ - راجع تاريخ إيران، ص ٦٨

فيجتمعون حول «كالات» و«كوطة» وتتسع رقعة تواجدهم لتشمل منطقة «ليس بيده». والراجح أن البلوش - كما يقول علماء الأحاس الشرية - دخلوا صحراء مكران عن طريق كرمان وسجستان وانتشروا سريعاً حتى حدود الهند وإن كان ذلك لا يزيد على درجة التكهن كما قيل، وقد يكون لأقرب إلى الصواب أن معظمهم كانوا من الجنس الهندي

وأقدم سمية لدينا لهذه المنطقة ما عثر عليه المؤرخون في نقوش بهستون (بيستون) وهي لفظة ميكا «Mekia» كما ذكر لنا هيرودوت أو لفظة «Mykians» أي بلد الميكيان التي كانت ضمن ولايات الإمبراطورية الفارسية الرابعة عشرة ويجمع هيرودوت في كلامه - في مواضع أخرى - بين ميكيان واليوتيان «Utians» والباركانيان «Parikanians» الذين كانوا مقاتلين كالكس «Paktans» وعثر بطليموس الحدود بين الهند وفارس بحيث ترك الجزء الشرقي من «سستان» في الهند ويقول أريان «Arrian» إن العيدروسيين أو الكيدروسيين (سكان غيدروسيا) كانوا يقيمون في الوديان الداخلية إلى الغرب من سيستان، وقد سمي الإقليم كله باسمهم كدروسيا «كدروسيا» (عدروسيا) «Cadrossia» كما ذكر مولانا أبو الكلام آزاد نفس التسمية للإقليم ..

وتفرّع من قبائل غيدروسيا جماعات بدائية تسمى «الأشيوفاكوي» كانت تقطن المناطق الصحراوية المطلة على المحيط الهندي وهم من الصّاديين القدماء ويمثلهم الآن قبائل «الميدية» وبعض القبائل الأخرى.

وظلّ غيدروسيا (مكران، سيستان، بلوخيستان) الاسم المعترف به - لتلك الصحاري غرب الهند - في الزمن القديم ومن البادر أن عثر على تسمية هيرودوت «ميكا» في الكتابات التاريخية منسوبة للإقليم

غير أننا لا ننكر بقاء استعمال هذه التسمية طوال القرون السبع الميلادية الأوائل حتى جاء الفتح الإسلامي للإقليم في العام السابع عشر للهجرة الموافق سنة ٦٣٩م فقد

ذكروا لنا أنهم وجدوا الاسم «مكيان» (مكرن) وهو النطق الحالي عند البلوش وتقترب الصورة من الوضوح حين نشر «مولسويرث سيكس» Moulesworth sykes المقطع الأخير من الاسم مطوقاً بالسكربتية، على أنه «عرانيا» ومعناها، الأرض القاحلة

ويؤكد «هولديغ» أن اسم «عيدروسوي» هو مكرن، وهو اسم عشيرة من «لس بيلا» وعشيرة كيدور أو «غيدور» الآن اسم عشيرة صنيلا الشان من أصل هندي لا يزيد عدد من بقي منها حتى الآن على (٢٠٠٠) نسمة

وكثيراً ما بحث العلماء في أصل اسم «بلوش» وأسماء القبائل والعشائر الرئيسية القديمة الجذور ويرون - على الأرجح - أن جميع أسماء القبائل والعشائر الحديثة (الموحدة الآن) ليست إلا منسوبة إلى السبع ولس الحال كذلك بالنسبة للأسماء الأقدم عهداً مثل الغيدروسيس، كما أن بعض الأسماء الرئيسية الموجودة الآن إما أن تكون ألقاباً أو ألقاباً تدلّ على المدح أو لذلّ

ومن الواضح أن الأرض القاحلة (غيدروسيا) كانت مأوى لقبائل متأخرة، لا تعرف الزراعة ولا الاستقرار ولا ساء البيوت الثابتة حتى ولا الخيام وأنهم كانوا يعيشون على الجمع والالتقاط حتى تحين فرصة بين وقت وآخر فيغيرون على حدود الصحراء المتاخمة للإمارات الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد

والإقليم من الناحية الطبيعية جزء من صحاري الحارة المناخية للمدارين والتي يقلّ المعدّل السنوي للأمطار فيها عن (١٠٠ م.م) وهذا لا يسمح بمو غطاء نباتي واضح. والإقليم مصاب بالجفاف منذ ما لا يقلّ عن خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وهو نوع الجفاف المطلق، وربما لم يجد السكّان العدامي من قبائل عيدروسيا البدائيين (زمن كورش في القرن السادس قبل الميلاد) إلا جدور البساتين لالتهامها فالبينة فعلاً بحلول تماماً إلا من نباتات تلاءمت للحياة في لأقلّ البيئات المناخية أو البيئات التي يسودها الجفاف أو تلك التي لا تتمتع إلا بفضة ضئيل من الرطوبة مثل صحراء سيستان ومكران فهذه



النباتات - بما لها من تركيب خاص - تتحايَل على الحصول على أكبر كمية ممكنة من الماء والاحتفاظ به ومن ثم كانت الجذور أطول وأكثر تشعباً من الساقان ولذا فقد كانت هذه القبائل تحفر في الأرض بحثاً عن هذه الجذور لتقنات بها.

وعندما كان العطش يهدد حياة هذه القبائل كانوا يفتحون جذوع بعض النباتات الصعراوية التي تنصف بالانتفاخ ويمتصون ما فيها من ماء مخزون.

والبيئة - والحال هذه - تشبه تماماً ما توحى به الآية الكريمة التي عبّرت عن نمط حياة هؤلاء الأقوام المعيشية حيث قال تعالى: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعُ الشَّمْسِ وَجْدَهُ تَطَلَّعَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا». فبحان الله أصدق القائلين!

وما أروع دقة القرآن وشموليته ومعالجته لهذه القضايا، في شكل إشارات عابرة تترك للعقل البشري على تنابع العصور مهمة الكشف والتنقيب عن تفصيلاتها والتخاذه العبرة والموعظة الحسنة منها!

«ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا»

وهي رحلة ثالثة، كانت أولاها إلى العرب لإخضاع بلاد ليديا، والثانية نحو الشرق شمالي بحر قزوين لإخضاع قبائل عُرُل وحش لم يعرفوا حتى الوقاء من الشمس، وهذه هي الثالثة نحو الشرق أيضاً، ولكن حيث متجه بلاد قوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود. «حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ» بين الجبلين من سلسلة جبال قوقاز والسدّ الجبل الشامخ يصعب عبوره كأنه سدّ حاجز.

«وَجَدَ مِنْ دُونِهَا (وراءهما) قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» لصعوبة لغتهم ووعورة لهجتهم بحيث لم يكدر يمكن التفاهم معهم بسهولة.

ينتهي هذا الطريق الذي سلكه كورش، إلى منطقة جبلية وعرة متضرة تمثل حائطاً جبلياً طبيعياً عرضياً شامخاً يحول دون هجرات الشعوب المتوحشة وإغارتها على من وراء الحائط الجبلي من شعوب بدائية مستضعفة.

ولكن العائط الجبلي كان مثلاً من وسطه بثغرة (مصيق جبلي) <sup>١</sup>، أخففة، اتخذها الغزاة المتوحشون معبراً نحو الشعوب المسالمة في ظهر تيم، حيث كانت تتعرض باستمرار لهجمات أولئك البرابرة المتوحشين.

كان قد قضى الملك الهخامنشي العظيم «كورش» ثمانين سنوات <sup>٢</sup> في تأديب وإحضار قبائل غيدر وسيا الهمحية في صحاري سبستان ومكران وبلوچستان، وزحزح حدود الإمبراطورية حتى حدود نهر «سيحون» حيث بنى مدينة باسمه على شاطئ هذا النهر، فكانت هذه المدينة تسمى إبان عصر الإسكندر «المدينة الأقصى الكورشي» ويعتقد أنها مكان مدينة «أوراتيه» الحالية.

ووجد كورش أنه لا وزن لتأديب الشعوب الموحشة التي كانت تُعير عبر مصيق داريال في جبال قوقاز، على شعوب إماراته العظيمة في أذربيجان وجورجيا وأرمينيا جنوب العائط الجبلي الرهيب الذي يستقي جبال القوقاز التي تمتد من بحر قزوين في الشرق عند مدينة «دريند» حتى «سيرجوم» على لبحر الأسود فتوجه إليها سنة ٥٣٧ ق م وقضى بالإقليم حوالي تسع سنوات متوالية، <sup>٣</sup> ما بين بناء السد عبر المصيق وتأديب قبائل الأسكوذيين أو «الساساحيت» أو «يأجوج ومأجوج» على حدّ تعبير القرآن <sup>٤</sup>.

وحيث إن كورش قد وصل إلى العائط الجبلي العظيم (جبال قوقاز) فهذا معناه أنه عبر كردستان وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا، ووصل إلى أجراء من داغستان، حتى مدينة «دريند» وما حولها، وكذلك إقليم «وسيب الجنوبية»، ويكون شمال هذا الحدّ عائط القوقاز الجبلي، ذو فتحة في منتصفه تسمى مصيق «داريال» حيث تقيم جماعات يأجوج ومأجوج، وإلى الجنوب من هذا الحدّ الجبلي كانت تقيم جماعات مجردة من الحضارة، وصفهم القرآن بقوله: «لا يكادون يفقهون قولاً» أي يعسر التفاهم معهم. هذا إن

١ - سذكر أنه مصيق «اريال».

٢ - حسب ذكره حسن يربيا، أنه قضى تجوانه العسكري في شرق وشمال إيران لمدة ٨ سنوات. تاريخ إيران، ص ٦٨.

٣ - حسبما ذكره الدكتور عبدالمعطي، أنه قضى بالإقليم حوالي سبع سنوات. مفاهيم جغرافية، ص ٢٧٣. هذا إن قلنا بأنها

كانت بعد فتح باب كمال. تاريخ إيران، ص ٦٨. ٤ - مفاهيم جغرافية ص ٢٧٣.

فُسِّرنا «من دونهما» بما قبل السَّدين لا لوراء كما سبق

وقد اتخذ كورش طريقه إليهم موحَّهً شمالاً عبر إقليم كردستان الجبلي لوعر الذي يعتلي ظهر المرتفعات الآسوية وسلاسل الجبال على محاورها المنتشرة في موقع يضمُّ بعضاً من شمال العراق وشرق أو جنوب شرق تركيا وبعضاً من غرب إيران ويسكنه الأكراد مدسَّة (٢٤٠٠ ق م) ولا ينفصم به معابر مشهورة لمرور التجارة بقوافلها وفبالق الحروب بحافلها، وهي معابر تتَّجه على محور عام يخدم الصلات والعلاقات فيما بين قلب آسيا وشرقها الأقصى وآسيا الصغرى وشام وقد احترف الأكراد - علاوة على تمرير التجارة - حرفه لرعي وفتوا قطعاً من الأغنام والماعز، وعاشوا عشية البداوة والحركة في حركات فصلية شبه منظمه سعيّاً وراء المرعى وأمين العشب لقطعان أغانهم

وعلى ذلك فقد عبر كورش إقليماً متحصّساً وعرّاً، غنيّاً بالموارد الاقتصادية المتاحة تكمل تأمين إطعام الجيوش الفارسية وانحرف شمالاً بشرق حتى بلغ بُحيرة أرومية التي نصبَّ فيها نهر طلخه وهي أكبر بحيرات فارس، وتقع في الشمال الغربي من فارس في إقليم آدربيجان ويبلغ طولها ١٣٠ كم ونقصى عرضها بلغ ٥٠ كم وهي بحيرة ضحلة قليلة العمور لا يزيد عمقها على ٢١ متراً وعلى صخرة «كورجين» تقع قلعة قديمة تشرف على البحيرة قبالة شاطئ «سلماس» ووجد فيها نقش يشير إلى عراقها في القدم ويبدو أن كورش أثر محادة شو طي بحر قزوين (حزر) بحيث يكون البحر عن يمينه وهو متَّجه نحو الشمال إلى جبال قوقاز ومعنى ذلك أنه سلك ضفاف نهر طلخه نحو الإقليم الساحلي لبحر قزوين والإقليم عباره عن سهول صلبة تتَّسم بالدفع، لأن ارتفاعها قليل وقد ينخفض دون سطح البحر، ويندر أن يحدث الصقيع (الجليد) هناك في الشتاء، كما يندر أن ترتفع درجة الحرارة في نصيف عن ٣٢ ولكن الرطوبة شديدة، وتكثر الأمطار وتوزَّع على مدار السنة، وبسبب هذه الأمطار الغزيرة تنمو الغابات النفضية مثل البلوط والدردار، وهي التي تمص أي تسقط أوراقها في فصل الشتاء

وظل كورش محادياً شاطئاً بحر قزوين حتى وصل إلى نهر أطلق عليه اسمه «كورش» أي سائرس (سيروس) <sup>١</sup> ولاقليم جزء من أذربيجان الشرقية التي تقع في الجنوب الشرقي من قفقاسيا وشمل سهول نهر «كورا» المنخفضة والتي تحيط بها الجبال من كل الجهات فلا تنفتح إلا من جهة الشرق حيث بحر قزوين

وهذه الجبال هي القفقاز من الشمال، وأرمينيا من الغرب، وجبال آذربيجان الشرقية من الجنوب وتجري المياه نحو هذه السهول من جميع الأطراف من الجبال المحيطة بها، وتكون شديدة الانحدار، لقصر المسافة التي تقطعها، فتعبر ودياً واسعة سحيقة، تعتبر من مراكز الزراعة في الإقليم وأمطار هذه السهول نادرة لانحصارها بين المرتفعات التي تحجب الأمطار عنها، ممّا يجعلها حاقّة، ولكن هذا الجفاف يُعوّض بالمياه المتدفقة التي تجري من المرتفعات وأشهر هذه المجاري وأطولها نهر «كورا» الذي يجري من جورجيا (گرجستان) ويمر من عاصمتها تفليس، ثم يدخل أراضي آذربيجان حيث يرقده نهر «أبورا» المنساب أيضاً من جورجيا، ويتجه النهر نحو الجنوب الشرقي حتى يصب في البحر

وعليه فكان العائشون في المنطقة في رفاهية من العيش، حيث حصونة الأرض ووفرة المياه، آمنين مطمئنين سوى ما كان يهددهم أقوام وحشية كانوا يسكنون وراء الجبال فربما أغاروا عليهم بن حين وأخر ولم يكن التهديد لسكان تلك المناطق الشاطئية وحدها من القبائل الوحشية، بل كان يشمل سكان أرمينيا وجورجيا أيضاً

### من هم ياجوج وماجوج؟

عنوان أطلقة القرآن الكريم على لسلالات البشرية المستوحشة في عصر ذي

القرنين

«قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مُفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن

تَجْمَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا. ١

والجغرافية البشرية تحاول وضع تصور محدد لأنماط الاستيطان الشرقي لتلك الجماعات وتدرس تسلسلهم في فائمه لأحاسيس البشرية، وتحدد الحقيقة الحضارية - من عمر البشرية - التي كانوا يعيشون أثناءها.

تذكر بعض الدراسات أن أصل يأحوج ومأحوج من أولاد يافث بن نوح، وأن التسمية مأخوذة من أحيج النار وهو صوؤها وشررها، عنوان مستعار يشير إلى كثرتهم وشدتهم

وذكر بعض المدققين في البحث عن بأصيلهم أن أصل الثُغُول وانتثر من رحل واحد يقال له «ترك» وهو نفس الذي سماه أبو لعداء باسم «مأحوج» فيظهر من هذا القول أن الثُغُول والترك هم المقصودون بيأحوج ومأحوج، وهم كانوا يُشعلون البهراء الشمالي من آسيا، تمتد بلادهم من «التبت ونصين» إلى المحيط المسعود الشمالي، وننتهي غرباً بما يلي بلاد «التركمان» ٢

وكلمة «ترك» يكتب تاتار وتكتب تتر، وهي اسم لشعب مختلف مدلوله باختلاف العصور وقد ورد في الكتابات الأورخوية لترككة التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن، ذكر طائفتين من القبائل التترية، وهما «تتر لثلاثون» و«التتر التسعة» ولكن «طومسون» (Thomson) يرى أن التتر اسم يطلق حتى في ذلك العصر على الممول أو فريق منهم، وليس الشعب التركي، ويقول إن هؤلاء التتر كانوا يعيشون على وجه التقريب في الجنوب الغربي من بحيرة بيكل حتى كرولين ٣ ويقول إن التتر أخرجوا من منغوليا ليحل محلهم الممول، حينما قامت إمبراطورية قره خطائي ٤ وقد صحبت بعض العشائر التترية قبائل ترك حين خرجت من منغوليا وسارت معها متجهة من أواسط آسيا

١ - الكهف ١٨، ٩٤

٢ - أنظر: الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره ج ٩، ص ٢٠٣-٢٠٤.

٣ - كورا (Koura) هي فقاسيا بصب في غرب بحر قزوين.

٤ - اسم أطلقته المصادر الإسلامية منذ القرن ١١م على بعض شعوب الصين الممول. أسس رعيهم «آبالوكي» سلالة «ليده الصينية» أجبروا على مغادرة الصين ١١٢٥م فاصطفو بالدور الإسلامية المجاورة صدهم الإبلخانيون.

صوب الغرب.

وجاء في أخبار الغزوات المعولية التي تمت في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أن العُراة كانوا معروفون (في الصين - والعالم الإسلامي - والروسيا - وعرب أوروبا) باسم الترو وهي بالصينية تاتا

وقد أطلق ابن لاثير (ت ٦٣٠ هـ - لاسم (التتر) على أسلاف «جنكيزخان» وأنهم نوع كثير من التتر، وكانت مساكنهم جبال طمعاج من نحو الصين<sup>١</sup>

وقد قسّمت عدّة شعوب باسم التتر في خطاي والهندوستان وجين ماجين، وبين القرغيز وفي كلارا (بولندا) وماشقر (المجر) وفي سهوب (دشت) قفجاق وفي البلاد الشمالية بين البدو ولا يزال يطلق على جميع اشعوب اسركيه حتى اليوم اسم التتار وبظهر أن الشعوب التي انحدرت من أصل مغولي وتحدثت بالمعولية كانت تسمى نفسها باسم التتر، ولكن حلّ محلّ هذا الاسم بعد عهد جنكيزخان في منغوليا وآسيا الوسطى اسم «مغول» وهو الاسم نذي استعمله رسمياً جنكيزخان

وقد ورد هذا الاسم في المصادر الإسلامية «مُغُل» و«مُغُول» وكذلك يطلق سلالة المغول في أفغانستان الذين احتفظوا بلغتهم حتى اليوم بهذا الاسم (مُغُل) وكان هؤلاء التتر أثناء عزو تيمور يعيشون عيشة البدو الرُحّل فيما بين أماسية وقيسارية، ويرأوح عددهم بين ثلاثين ألفاً وأربعين ألف أسرة<sup>٢</sup>

وقد اتسع مدلول كلمة «تتر» باعتبارها اسم شعب بنكلم التركية في حوض نهر «تولغا» من قاران<sup>٣</sup> حتى أستراخان<sup>٤</sup> وشبه حريرة لقرم وجزء من سيبيريا، أي في المكان الذي حدّده القرآن حلف السدين أي وراء حاجز جبال القوقاز وبحر قزوين والبحر الأسود

١ - راجع الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣٦٦ (أحداث سنة ٦١٧).

٢ - أنظر ظفر الله - الطبعة الهندية - كنكتا، سنة ١٨٨٨ ج ٢ ص ٢٥ وما بعدها. وكذلك ابن عريشاه - طبعة مانجر، ج ٢، ص ٣٢٨ وما بعدها (مفاهيم جغرافية، ص ٢٨٥ - ٢٨٦).

٣ - هي عاصمة جمهورية التتر المستقلة شرقي مكو

٤ - مدينه ومرقأ على مصبة نهر تولغا في بحر قزوين. أنشأ المغول

وهم الذين سكنوا هذه المناطق قبل الميلاد وعُرفوا بالوحشية والإغارة على المسالمين وكلّ الأبحاث العلمية الحديثة تؤكد على أنّ الشعب الذي تحدّث بالتركية في آستراخان على بحر قزوين شمال حبال القوقاز، من سلالات التتر القدامى الذين كانوا يغيرون عبر مضيق داريال الجبلي في جبال القوقاز، على شعوب جورجيا وأرمينية وآذربيجان وهم يقيمون الآن في السفوح الشماليّة لحبال القوقاز، ويطلق عليهم «شش أنفوشيا» وبتمي سكّان كبرداي أو قبرطي أيضاً إلى الجنس التتري وهم مبالعون في عصبيّتهم ويتفاخرون بها أشدّ المفارقة وينظرون إلى جميع العناصر المجاورة لهم من شركسيّة وغيرها نظرة فيها شيء من الاحتقار وجميع هذه القبائل تسمّى تتر هي آسيا ويرى أبو الكلام أراد أنّ كلمتي ياجوج وماجوج ندوان كأنهما عبريتان، ولكنهما في الأصل والواقع أجنبيّتان اتحدتا الصورة، عبريّة، فهما تنطقان باليونانية گوگ «Gog» وماگوگ «Magog»<sup>١</sup> ويبدو أنّ فرعاً منهم سكن ماوراء القوقاز في القرن السابع قبل الميلاد وعاصر كورش غارة من غارتهم<sup>٢</sup> وسذكروا

وقد حدّد مولانا أبو الكلام، الأدوار السبعة لعروج ياجوج وماجوج كالتالي  
الدور الأوّل منها كان قبل ٥٠٠٠ سنة وقد اندمجت هذه القبائل نحو الجنوب العربي من سبيريا إلى هضاب وسط آسيا (منغوليا)

الدور الثاني ويبدأ ما بين ١٥٠٠-١٠٠٠ ق م وفيه كانت تتابع موجات المغوليّة من أقصى الشمال الشرقي نحو سهول الصين وهضاب وسط آسيا ومنغوليا والتركستان الغربيّة وزونغاريا

الدور الثالث وصلت حوافل المعول حوالي ١٠٠٠ ق م إلى منطقة بحر قزوين والبحر الأسود وشمال القوقاز وحوض نهر الدنوب والفلجا وظهرت قبائل «سي تھين» على مسرح التاريخ سنة ٧٠٠ ق م وهاجمت مناطق آسيا العربيّة

١ - ورد كان حرف «g» يُنطق بـ«جي»، فنفظ القرآن، أقرب تعبيراً بالكلمة، جاج وماجاج.

٢ - كورش الكبير لأبي الكلام، زاد، ترجمة ياستاني پازيري، ص ٢٧٦

الدور الرابع - جعله أبو الكلام سنة ٥٠٠ ق م حيث برز كورش كأعظم ملوك العالم قاطبةً، فقد أحصع ميديا وليديا وبابل وشم وجميع الممالك الشرقية حتى نهر السند وسيحون

وبذلك توقف سيل قبائل «سي تهي» وخصوصاً بعد أن أقام كورش سدّ داريال في حبال القوقاز

الدور الخامس ترعرع أمن الصبي بجحافل جديدة من قبائل الممولى الهمجية ويطلق الصينيون على هؤلاء المتوحشين اسم «هيوغ نو» وقد تحوّر فيما بعد وصار «هون» ولم يجد إمبرطور لصين بدأ من تشيد سور الصين الحبري العظيم، لصدّ هجمات هذه القبائل

وبذلك توقف غزو قبائل «هون» لسهول نصين بعد بناء السور، ولكن ذلك جعلهم يتوجّهون نحو أواسط آسيا من جديد.

وفي الدور السادس تحمّع شمل هذه القبائل في أوروبا تحت قيادة «آتيلا» وقضوا على الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع لميلادي

وكان الدور الأخير هو هجوم جنكيز خان على الحصار الإسلامي من مغوليا في القرن الثاني عشر للميلاد وخرّبت بغداد<sup>١</sup>.

ويذكر المؤرّحون أنّ هذه القبائل كثيراً ما أفسدت في الأرض وبطشت بالأمميين وهدّمت حضارات وأراقب دماء وحرق رروعا ومدناً، وكم أهلكوا الحرث والنسل؟ أفهم إذن مفسدون في الأرض بنصّ القرآن - أصدق الحديث - وشهادة التاريخ

\*\*\*

إنّ منطقة بحر عروين والبحر الأسود وحبال القوقاز كانت مستقرّاً لجماعات من المغول والترك من فجر التاريخ، وتناثر شه جزيرة القرم حول البحر الأسود، والآتراك والمجريون والفنلنديون، هم المتخلّفون من ذريّتهم في السطقة، ولم يكن هؤلاء يقنعون



بالموارد الطبيعية المتاحة لهم في الأرض التي احتلّوها، وإنما كان مضيق داربال معبراً لهم إلى حضارات العالم القديم في غرب آسيا، وما زالت سلاسلهم حتى اليوم تقيم في المنطقة، وإن اتّخذوا أسماء جديدة، فالجركس مثلاً اسم عام يطلق على هؤلاء الأقوام. وكانت هذه القبائل المتوحّشة زمن كورش تسكن المنحدرات الشماليّة والجنوبيّة لسلاسل جبال قوقاز ولكن في أقصى الغرب، أي لصفة النهر لنيهر فويان وروافده وشاطئ البحر الأسود حتى نهر شخة، وما ترل النية منهم في القوقاز وما والاها



وهناك للشيخ ططاري حديث مع عيّم من أمّة ياجوج ومأجوج نقول كان أوّل ما ألّمت كتاباً من كتبي، كان انتشاره وترجمته في بلاد «روسيا» بناحية «قازان» وما والاها حيث ترجمت تلك الكتب بالغة لغرائية وكانت مقالة «ياجوج ومأجوج» شرتها في أواخر القرن التاسع عشر بمجلة «النهال»، ثمّ عند نشرها بزيادة تحقيق في جريدة «المؤيد» المنشرة إذك في أقطار العالم الإسلامي في نحو العشر سنين الأولى من القرن العشرين

يقول: بينما أنا بالمدرسة الحديويّة أدّرس اللغة العربيّة، إذ قابلي تلميذ فقال قد قابلي الأستاذ عبداً لله بوي من مدينة «ألفا» ببلاد روسيا ويريد موعداً للمقابلة بالمنزل، فعبّنت له موعداً ليلاً، فلما حضر خاطبني باللغة العربيّة الفصحى، وأوّل ما يادرني به أن قال عرفتكم من مؤلّاتكم وقرأت في «المؤيد» نك تقول إنّنا من «ياجوج ومأجوج» وهذه المقالة ترجمتها بلغتنا ولم أطلع عليه شيوخ لكبار، لظنهم أنّ هذا كفر وقد جهلوا أصلنا، وإنّا نحن المغول «ياجوج ومأجوج» ولتر فريق من تلك الأمم. فأنا والشبان جميعاً فهمنا مقالكم<sup>١</sup>.



ومن الغريب وليس بعجيب تصريح «حكيزخان» بأنّ قومه المُغلّ والترك (التتار)

هم قوم «يأجوج ومأجوج» الذين حدث عنهم القرآن وحذر بطشهم

حاء في كتاب بعثه إلى محمد حواريه شاه يؤنثه على تعسفه في سياسته الفاشية وقتله الودعاء من أصحابه (التجار المغل) وهدب أموالهم روراً<sup>١</sup> متوعداً له شر الانتقام إن هو لم يتلاف الخرق قبل توسعها

حاء في الكتاب « كيف تحرأتم على أصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي، وهل ورد في دينكم أو جاز في اعتقادكم ويسمىكم أن تريقو دم الأبرياء أو تستحلوا أموال الأتقياء أو تعادوا من لا عدد كم وتكذبوا صفو عيش من صادقكم وصافاكم أن تحركون الفتنة الحامدة وتنبهون الشرور الكامنة؟! أو ما جاءكم عن نبيكم أن تمنعوا عن لسفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قوتيكم؟! أو ما أحبركم مرشدوكم ومحدثوكم عنه قوله أتركوا الترك ما تركوكم؟! وكيف تؤدون الحار وتسيئون الجوار وسبكم قد أوصى بهم. فتلافوا هذا التلافى قبل أن يهض داعي الانتقام وتقوم سوق الفتنة ويظهر من الشر ما بطن ويروح بحر البلاء ويموح، وينفع عليكم سدّ «يأجوج ومأجوج» وسيبصر الله المظلوم، والانتقام من الظلم أمر معلوم، ولا بد أن الحالق القديم والحاكم الحكيم تظهر سرّ ربوبته وأثار عدله في بريته، فإن به الحول والقوة ومنه المصرة مرجؤه، فلترون من حزاء أفعالكم العجب، ولنسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حذب<sup>٢</sup>

١. ذكر ابن الأثير أن جكيرخان المعروف بتموچين كان قد هارق بلاده ومار إلى نوحى تركستان، وسير جماعة من النجّاد والأتراك معهم شيء كثير من الثمرة والقدر حيوان بحري يصنع من جلده الفروا وغيرهم إلى بلاد ماوراء النهر (سمرقند وبخارا) ليسروا به ثياباً للكسوة فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى «أوبور» وهي إحدى ولايات حواريه شاه. وكان له نائب هناك، فمما ورد عليه هذه الخدعة من الشر أوس إلى حواريه شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه حواريه شاه يأمرهم بقتلهم وخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئاً كثيراً، فلما وصل إلى حواريه شاه فرقه على تحار بحاري وسمرقند وأخذ نفسه بهم.

وسرعان ما ندّم حواريه شاه على حسنة هذا وشفن فكره فهم يهاجمه جنك حار قبل أن يهاجمه في جموعه وعساكره التي أحبر جواسيسه عنها بأنها لا يحصى فاستأمره في ذلك، ويسأهم كذلك يرد رسول جكيرخان ومعه جماعة يهدد حواريه شاه ويقول تقتلون أصحابي وتجاري وبأحدون مالي منهم استعدوا للحرب فأبى وأصل إليكم بجمع لا قبل بكم به. لكن حواريه شاه بدى أن يستعين جكيرخان من ضيعه هذا القبيح أمر بقتل الرسول وحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم إلى صاحبه جكيرخان بحروبه بما فعل ويقبضون له. إن حواريه شاه يقول لك: أنا سائر إليك ونو أنك في آخر الدب حتى أفض بك كما صنعت بأصحابك. الكاس في التاريخ، ج ١٢،

٢. تفسير الشيخ ططاوي، ج ٩، ص ٢٠٤

وأيضاً كان بين ممالك مُغل وممالك خوارزم منطقة وسيعة يحكمها أمراء «قراختان» وكانت ما وراء النهر (سمرقند وبخارا) تحت سلطتهم وكانت الفاصل الحاجز بين المُغل والحوارزمية فعند الملك محمد خوارزم شاه إلى فستحها وإلحاقها بممالكه الوسيعة الأمر الذي تحقّق سنة ٦٠٧ هـ وفي سنة ٦١٢ هـ زحف خوارزم شاه من مدينة «جند» نحو مساكن قبائل «قپچاق» فوجه أفواج «جوجي» ابن حنكيرخان، وهذا وإن سامحه وأخبره أنّه لم يأت للحرب سوى إخماد باثرة بعض البعثة لكن الملك محمد خوارزم شاه لغروره عزم على مقاتلتهم، سوى أنّ «جوجي» غادر المحلّ ليلاً وأخبر أماء بمعاجزة الملك الخوارزمي وأنّه عازم على معاتلتهم بالدات، فكان أوّل بادرة حدثت بين الدولتين<sup>١</sup>

ويصيف الشيخ طبطاوي هذا أنّ الملك نحوارزمي لقا غرايلاد ما وراء النهر، سرّ السرائر وأبتهمت القلوب بهذا نصيح وكان إذ ذاك ثم في «بسابور» عالمان فاضلان فأقاما العراء على الإسلام وبكيا قسناً عن ذلك فقالا وأنتم تعدّون هذا التلم فتحاً وتتصوّرون هذا الفساد صلحاً، وبما هو مبدّ الحروح وتسليط العلوج وفتح سدّ ياجوج وماجوج، ونحن نقيم العزاء على الإسلام والمسلمين وما سيحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين «وَلْتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»<sup>٢</sup>

قال الطبطاوي: فهذا تصريح من هدين العالمين بما أوردناه بشأن ياجوج وماجوج وأنهم من أقوام التتر، وانظر كيف ظهر صدق كلامهما في حينه وظهر التتر وأقنوا المسلمين وماج الناس بعضهم في بعض<sup>٣</sup> «حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»<sup>٤</sup>

٢- ص ٥٨ ٥٨

٤- الأنبياء ٩٦ ٢١

١- راجع تاريخ إيران، ص ٤ ٥ ٤

٢- تفسير الشيخ طبطاوي، ج ٩ ص ٥ ٢

## ياجوج وماجوج في التاريخ

وهكذا جاء لفظ ياجوج وماجوج في الأسفار القديمة وفي التاريخ، تعبيراً عن أمة متوحشة يعوج بعضهم في بعض، ويكونون خطراً بين حين وآخر يهدد الأمم المتحضرة المجاورة لها وحتى غير المجاورة إلى حد بعيد.

جاء في سفر التكوين عند ذكر ولد نوح وأحفاده «بنو بافت جومر وماجوج وماداي»<sup>١</sup>

وفي سفر حزقيال، يتحدث عن جوج، رص ماجوج، وأنهم يفسدون في الأرض وأن سوف يذل بهم جبابرة الأرض.<sup>٢</sup>

وذكر جيمس هاكس أن السوريس - في القرون الوسطى - سموا قبائل التتر بماجوج. وكانت العرب تعبر السهول الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين ببلاد ياجوج وماجوج. وفي أيام حزقيال كانت الأقوم السكيتية في الشمال الغربي من آسيا وراء جبال قوقاز معروفين بأقوام ماجوج، وفي عام (٦٢٩ ق.م) إسلوا مجموعهم نحو مدينة «ساردس» عاصمة ليديا، وتغلبوا عليها، واسلوا عام (٦٢٤ ق.م) على ملك ماديا «سياكرس»، وأخذوا بالهجوم نحو مصر، لولا أن واحهم الملك «پساميتخس» بالهدايا الكثيرة ليقنعهم بالرجوع إلى أوطانهم.

وحزقيال يصفهم بالفروسيّة والقدرة على ضرب الكتائب بما يفوقون سائر الأمم وهكذا وصفهم مؤرخو يونان القدامى.<sup>٣</sup>

ولهيرودوت حديث عن هذه الأقوام يتوافق مع حديث حزقيال.<sup>٤</sup>

وله أيضاً حديث عن أقوام وحش كان مسكنهم وراء جبال قوقاز، سماهم «ماساگت» (ماساجيت = Massagetes) = «ماجوج» وقال عنهم أنهم أصحاب فروسيّة وشجاعة فائقة، ويعبرهم البعض أنهم من أفحد الأقوام السكائية (السكيتية)<sup>٥</sup> حسبما

١ - سفر التكوين ١٠، ٣. أخبار الأنبياء الأول ١: ٥.

٢ - قاموس الكتاب المقدس، حرف م، ص ٧٧٥.

٣ - تاريخ هيرودوت، ص ٦٢.

٤ - تاريخ هيرودوت، ص ٦٢.

٥ - المصدر ص ٩٨.

جاء في كلام حزقيال،

ومن ثم جاء قول المؤرخين بأن هذه القبائل التي سُميت «ميكاك» عند اليونان و«منكوغ» عند الصينيين هي «ياحوج ومأجوج» التي ذكرت في القرآن<sup>١</sup> ذكر الأستاذ أبو الكلام آزاد أن لفظي ياحوج ومأجوج، يبدو في صيغتهما أنهما عبريتان، في حين أنهما أعرق وذوانا أصل غير عربي وقد عبّر اليونان عنهما «كوغ» (Gog) و«ماكوغ» (Magog) وهكذا جاءت في الترجمة السبعينية للتوراة، ومنها تسرّب إلى اللغات الأوروبية

وقد أُطلق على أقوام وحش كانوا يسكنون مد (٦٠٠ ق م) ماوراء حبال قوقاز، عرفوا باسم «التتر» وبلادهم حسب تصوير الصينيين معروف باسم «منفوليا»، وهذه القبائل قد أُطلق عليهم «المنعول» (المعول) والمصادر الصينية تعطينا أن أصل هذه الكلمة هي «منكوغ» أو «منجوغ» وهذا قريب من الكلمة في صفتها العبرية «مأجوج» وعند اليونان «ميكاك»

وفي تاريخ الصين نجد الحديث عن قبيلة أخرى باسم «يوشي» (Yuechi)، والظاهر أن الكلمة حرّفت فيما بعد في صورة «ياحوج» العبرية وجاءت في تعبير الإفرنج «يوئه چي»<sup>٢</sup>

إذن فالتعابير الواردة في التاريخ بقديم (تاريخ هيرودوت) «ماساگيت» (ماساچيت) وعند اليونان «كوغ» و«ماكوغ»، وطبعاً للتوراة «جوج» و«مأجوج»، وعند الصينيين «منكوغ» أو «منجوغ»، و«يوشي» (ياحوج) وعند الإفرنج «يوئه چي». كلّها تنم عن أصل هذه الكلمة تعبيراً عن أقوام وحش همج كانوا خطراً على البلاد، وجاء التعبير عنهم في القرآن بـ«ياحوج ومأجوج» وأنهم مفسدون في الأرض وقد التمس أهل البلاد الخاصة من كورش (دي القرنين) أن يجعل لهم سداً يمنعهم عن هجمات تلك الأقوام

## أين السدّ وأين موضعه الآن؟

سبق أن دلّت الشواهد على أنّ موضعه هي الثغرة في ثنايا جبال قوقاز، كانت تعبرها أقوام وحش للإغارة على المسالمين في الأرض. وعُرفت الثغرة باسم مضيق «داريال» حسبما مرّ، وهي بالقرب من مدينة «تفليس» عاصمة «گرجستان»

لمسنا من المفاهيم القرآنيّة المفسّرة أن لم يكن من سبيل - في القرن السادس قبل الميلاد - إلى الأمان للشعوب المسالمة البدائيّة الضعيفة جنوب جبال القوقاز (في آذربيجان وجورجيا وأرمينية وسواحل جنوب بحر قزوين) إلّا بتشديد سدّ منيع يحكم إغلاق الثغرة بين شطري جبال قوقاز ويحول دون عبور القبائل المغوليّة (القديمة المتوحّشة) للمسلك الجغرافي الوحيد نحو تلكم الشعوب المستضعفة. ويبدو أنّ الحائط الجبلي المذكور في القرآن كان ممتدّاً امتداداً عرضياً كبيراً يفضي من جانبيه إلى بحرين لا يمكن عبورهما (بحر قزوين في الشرق والبحر الأسود في الغرب) لذلك عرض القوم البدائيّون الضعفاء في جنوب جبال قوقاز على ذي القرنين (كورش) بناء سدّ يوقف زحف المتوحّشين تماماً.

وقبل أن نتحدّث عن سدّ ذي القرنين وأنّه هل هو سدّ كورش الذي بناء على أقوم استحكام ممّا يتطلّب تقدّماً حضاريّاً من حيث الإمكانيّات التي قدّمها كورش لانتجاز هذا المشروع الجلل والذي يعدّ آية في تاريخ البشريّة الصناعيّة والهندسيّة والعلميّة .. لا بدّ أن نلقي ضوءاً على المقدرات الفئّية يومذاك ولا سيّما في بلاد فارس على عهد كورش أي قبل الميلاد بضع قرون.

## التحضّر البشري في عهد ذي القرنين

يقول الدكتور عبدالعليم - أستاذ الجغرافيا المساعد في جامعة ابن سعود ويحمل شهادة زمالة الجغرافيين الملكيّة - لندن -: دراسة جغرافيّة منطقة السدّ، دراسة حيولوجيّة واقتصاديّة، لمعرفة إمكانيّاتها الطبيعيّة والإمكانيّات البشريّة التي كان من المفروض

توفرها للوفاء باحتياجات السدّ لتي طلبها دول قرين. ودراسة مدى التحضر البشري حينذاك

بالنظر إلى الآية الكريمة «فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَلْجُلْ بِشِكْمٍ وَيَبِيهْمُ رَدْمًا أَتُونِي زُيْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جُفِيَ بَارَأَ قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا» نرى أنّ الإمكانات التي قدمها كورش لإتمام السدّ هي الحبرة والمهندسين والإشراف وأما الإمكانات التي طلبها من سكان المنطقة فكانت تنحصر في

١ - القوة البشرية (العمالة)

٢ - خامات الحديد

٣ - القمح والخشب لصهر الحديد

٤ - خامات النحاس

٥ - عددٍ ما من حيوانات الجمل والحمل.

٦ - استهلاك العمال والمهندسين من طعام وشراب وماوى

ولنا أن نتساءل هل كانت «فارس» على درجة من النحضر والسعدم بما يوفر

الحبرة الهندسية لتشييد السدود ولأعمال لعمارة الصلحمة؟

لفارس، حضارها الخاصة بها بلا شك ولكن مصر الفرعونية - بشهادة التاريخ -

قدّمت لها أعظم مدرسة في التشييد والبناء والصناعة لقد قدّمت مصر - وكانت على

اتصال وثيق ببلاد الشرق الأدنى منذ ٤٠٠٠ سنة - للحضارة الفارسية العلوم الرياضية

والهندسية والطب والملك وتعيد الطرق والكتابة والتقويم والساعات والورق وفن

المكتبات وحفظ الوثائق، والأثاث الدقيق ولعصفول، ومن التلوين

ولم تقتبس فارس من حضارة مصر فقط، وإنما نقلت أيضاً - زمن الهخامنشيين -

من بابل كثيراً من العلوم والفنون والصناعات وهكذا من اليونان استخدموا مهندسين

كباراً لفنّ النحت وبناء القصور الشامخات ولأعمدة الرميعة والأقواس من الرخام

والأحجار الثمينة<sup>١</sup> ولا تنكر لهم - أي نرس - أضافوا إلى ما أخذوه وحلفوا لها حضارة راقية، هي مزيج من حضارات العالم القديم مصر - بابل - يونان وإحابة على السؤال، يمكن القول إن نرس - في عصر الهخامشيين - امتازوا بمهارتهم في فن العمارة والبناء يشهد بذلك كل ما اكتشفه علماء الآثار هناك من أبنية تدل على عظمة التصميم الهندسي، ودقة اختيار المواد الخام، وتطويرها للعرض الإنشائي المنشود بعد أخذ النماذج النرس بتعليمات من المعمار من الشعوب التي خضعت لهم (سومر - آشور - كلدان - يونان) وسرعان ما استوعبوا أسرارهم ومن ينظر إلى مقبرة وقصور كورش، ودارا الأول، وخشيارشا الأول، يدرك عمق تأثير المعمار الفارسي بما يحيط به من أماط في مصر ويونان وبابل وميديا وليديا ويدرك نحن ذلك إذا فحصنا حبداً ما شيده كورش هي «پاسارگاد»<sup>٢</sup> رغم بدهتها فالواقع أنها صور من الروعة والجمال ترسم ملامح الفن الفارسي الهخامشي منذ أربعة وعشرين قرناً وتزداد صور الروعة إشراقاً إذا فحصنا «نفس رستم» بالقرب من «برسوليس»<sup>٣</sup> والآثار الموحودة في هذه المدينة

بالإضافة إلى ذلك توحد أسمة درسته قدر لها أن تغلب من محالب الحروب والدمار والعارات والسرقات وتقلبات الأحوال، وهي تتمثل في مجموعة من عظام لقصور وبقاياها موجودة حتى الآن في العواصم الفارسية القديمة مثل «پاسارگاد» و «پرس پوليس» و «اكتاتانا - همدان»

وهي جميعها بقيد في دراسة مراحل تطوّر فن التشييد والبناء في تلك المرحلة من حكم الهخامشيين لفارس، وتؤكد أن الهخامشيين تتلمذوا على حضارات أمم مجاورة وأحسنوا التلمذة وأجادوها في كل الحفول، سواء أكانت الصناعات المختلفة أو التكنيك

١ - تاريخ إيران، ص ١٢٥

٢ - جاء ترميزه «پازارگاد» هي مدينة ضخمة ببيت ندره ضخيمه في مشهد مرغاب، عاصمة الهخامشيين القديمة واقعة على بعد ١٨ كم شمال الشرقي من شيراز، وهي مقبرة كورش الكبير قائمة إلى اليوم وفيها عر على تمثال كورش الحجري الشهير

٣ - قصب جمشيد وتسميه اليونان «پرش پوليس»



أو تعيد الطرق أو الإنشاءات المعمارية ونقبة والجسور والسدود وكلها اتسمت بطابع الأصالة في تحفظ وحسن التنفيذ بما يمكن أن يجعلنا نقول، إنَّ الفرس صنعوا ممَّا نقلوه رمأث هذا على اتحاههم الخاص وأسلوبهم المتطور ويبدو ممَّا بقي من آثار حجرية وذرج وأعمدة وأقواس، وتماثيل لصيوانات المجسمة، وبقايا البناء الذي خُدد فيه كورش ذكرى انتصاره على الميديين، درجة كفاءة لتحضر الفارسيّ آنذاك ويبدو أبصاً ممَّا عي من آثار صوراً قد نحتت من الحجر في هذا المكان من «مشهد مرعاب» ولكنها حرت، وأنَّ نقشاً يظنُّ أنه لكورش قد درس، وعلى معرفة من هذا البناء بناء عظيم من الحجر يقع في ست مدرجات وقد عرف هذا البناء اليوم باسم قبر أمِّ سليمان ويعتقد المحققون أنه قبر كورش كما عثر على مقبره منه نقش ترجمته «أنا كورش الملك لهخامشي» وفي باسارگاد نثال بارز منحوت من الحجر يصوّر شخصاً واقفاً ماداً يده إلى الأمام وله جناحان وأجنحة شبيهة بتمائيل الأشوريين، إلا أنَّ لهيته فارسيّة وتاجه مصري ونمابه عيلاميّة (.. وهو نثال كورش، حسبما استقرَّ عليه الرأي أخيراً.. ويطبق على ذي العرب الذي جاء وصفه في القرآن وفي العهد القديم، باعتبار أنَّ لتاحه قرين، أحدهما إلى الأمام والآخر إلى الخلف)<sup>١</sup> هذا علاوة على الكثير من الحفريات التي تدلُّ على أنَّ الخرائب هي آثار مدينة عامرة وعريقة موغلة في القدم، لم يبق منها سوى خرائب وآثار قصور وأبنية كثيرة فحمة بقيت الأجزاء الحجرية منها يدلُّك على فخامتها تلك الدرج وهي مائة وست درجات في عرض سبعة أذرع تتصاعد إلى قاعة فسيحة عليها مائة عمود من الرخام وبعضها قائمة حتّى اليوم وعلى أجنحة الدرج تماثيل وتصاوير رجال منحوتة على الحجر وكان سرير الملك بحمله ٢٨ مجسمة حجرية، رمزٌ بي ممثلي لممالك التي سخرها داريوش، وهو جالس على السرير ويرى من خلفه رجل يُظنُّ أنه حشيارشا كما عثر المنقبون في

١ - ولعمرة صنع بأمره، بيتاً بها فاتحة دانيال من الرؤى التي كان قد رآه وهو في أسر البابليين تحت «أمة دحضه» حرف الباء، ص ١١٥٦٩، دوالقرين الثاني

سرورستان وغيروزآباد على أقواس وقد لأبنة قدمة، يُعتقد أنها من بقايا عصر كورش الكبير، كما يوجد حجر مكعب الشكل يعرف بتخت طاووس في پاسارگاد على مقربة من مقبرة كورش كان واحداً من أعقاب معبد مدمر

أضف إلى ذلك «ترعة سويس» - قناة تصل البحر الأحمر بالمتوسط - ذلك المشروع العظيم، كان أول من أمر بحفره هو الملك الفارسي داريوش الأول الهخامنشي وذلك بعد أن استولى على مصر وبلاد أريفيّة مجاورة وقد عثر في حفرات هناك على ضفاف الترعة كتيبة فيها دلالة واضحة على تسيرة الحسنة التي كان يراعيها ملوك فارس مع أبناء البلاد التي كانوا يمتلكونها آنذاك الأمر الذي يدلّ على حصاره راقية كانت تسود إمبراطورية فارس<sup>١</sup>

والأمثلة لا حصر لها في هذا المبحث من موضوعنا، وكلّها تعجب على السؤال المطروح هل كانت فارس على درجة من التحضر والتقدم بما يوفر الخبرة الهندسيّة لتشييد السدود والأعمال العمرانيّة؟

ومن العرض البسيط قد تحققنا من تقديم كورش الخبرة والمهندسين والإشراف لسكان منطقة سهول الفوقار وبحر قزوين والبحر الأسود



وأما عن الإمكانات التي يمكن أن يكون قد طلبها ذوالقربين من الأمم العسالة في المنطقة الوداعة، حسب فهمنا للآية الكريمة، فمأخذ أولاً، القوّة البشرية (العمالة) التي يمكن أن يكون كورش قد طلبها فإنّ المنطقة حسب التخمين العام كانت أهلة ومزدحمة بالسكان ويمكن حساب عدد السكان (تقريباً) في إقليم آذربيجان - أرمينية - داغستان - جورجيا وما والاها سنة ٥٥٠ ق م كان على الأرجح ما يفرب من ١٧٠/٠٠٠ نسمة<sup>٢</sup>

١ - رجع: تاريخ إيران، ص ١٢٤-١٢٢

٢ - وذلك على حسب الإحصاءات التقريبية والتي قدر عدد نفوس العالم قبل الميلاد بثمانية آلاف سنة، وكانت خمسة ملايين نسمة. وقبل خمسة عرون من الميلاد بعشرين مليون. وقبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة بأربعين مليون. وقبل الميلاد بألف سنة بمائة مليون. وبعد بألف ٢٧٥ ٠ ٠ ٠ وفي سنة ١٦٥ م - / - ٥٤٥/٠ وذلك على

فلو افترضنا أنَّ العمالة كانت تمثل بسببه ٦٪ من لسكان، لعرفنا أنَّ العمالة التي تقدر للاشتراك في بناء السد ما يزيد على (١٠٠/٠٠٠) مائة ألف عامل وهذا العدد يمكنه بالفعل إنجاز العمل في سدّ ثغرة «داريال» لمدة عشر سنوات تقريباً

والمواد الخام التي شيّد منها سدّ دى القرنين حسب وصف القرآن الكريم: خامات الحديد

تحتوي أراضي آذربيجان على معدن الحديد بكميات كبيرة، ويشهد لذلك قيام صناعة الحديد والصلب الآن في مدينة «نكو»، فإذا كان الإقليم غنياً به الآن فلا شك أنه كان أغنى زمن كورش بالطبع

أما أرمينية ففيّة بمعادنها، ويكثر بها على وجه الخصوص خام لحديد والحاس والرصاص والزرنيخ وحجر الشبّ والكبريت والذهب وابن الفقيه<sup>١</sup> هو الكاتب الإسلامي الوحيد الذي أمّدنا بمعلومات قيمة عن الثروة المعدنية في أرمينية

ويذكر المؤرخ الأرمي (ليونتيوس) أنَّ ساحم الحديد والقضة في تلك البلاد كشفت حوالي نهاية القرن الثامن للميلاد، وتدلّ ملامح الأرض على مناطق محفورة في العبال تشير إلى استنفاد السكان الأقدمين لاحتياطي الحديد القديم الذي كان يستخرج في العراء دون عناية كبيرة وهي تقع في منتصف الطريق بين أطرايرندة وأرزن الروم كما يوجد الحديد بوفرة في جورجيا بالقرب من «تسخلطانو» و«مصح قلعة» و«درند» في داغستان وغيرها وهي مناطق لحدود الأرمينية في تركيا إقليم الحديد المشهور الذي يقدر احتياطيه بحوالي ٢٥ مليون طنّ وتبلغ نسبة الحديد في القلر ما بين ٦٠-٦٦٪ وهي نسبة عالية وقد استخرج الحبيثون من آلاف لسنين كمّيات هائلة من الحديد من هذا الإقليم، وأهمّ مناطق إنتاجه الآن هناك إقليم «ديفرجي»

٥ حساب (FAO) المعروف، معاهيم جغرافية، ص ٢٠٤ وبذلك يقدر عدد نفوس العالم سنة (٥٥٠ ق.م) ١٦٨ مليون نسمة، ويكون قسط إقليم آذربيجان وأرمينية وداغستان وجورجيا ذلك العهد -على حساب التقييم على المائة مايعرب من ١٧٠/٠٠٠ نسمة

١ - كاتب شاعر مجيد من أهل الموصل توفي ٥٦٣/ ١٢٢٨م

أما عن الفحم والأخشاب اللازمين لصهر الحديد، فتكوينات منطقة «كلاكنت» بأرمينية فيها احتياطي كبير وفي سو حل البحر الأسود تعتبر مناجم «زوسفلداك» من المناطق الغنية جداً بخامات الفحم، وهو من النوع البيسومين ويعطي نوعاً جيّداً من فحم الكوك الذي يُستخدم في صناعة الحديد.

وأما عن الأخشاب فيذكر ابن حوقل أنّ إقليم أردبيل كثير البسامين والأشجار والمياه والأشجار والفواكه الحسنة والبحيرات والعلّات، وكذلك إقليم المراغة ويقول عن إقليم أرومية: «إنه كثير الكروم والمياه الجارية والصياح والرسانيق ويصمّ الإقليم أيضاً أشبه، كثيرة الشجر والخضر والخيرات ومدينة بردغة، كثيره الخصب والزرع والثمار والأشجار».

كما أنّ مجموعة أنهار كورا (كوروش) ونهر برك، وكذلك صولاق ونهر أراكس ونهر أيورا، كلّها محافظة بمساحات هائلة من الأخشاب، لانتشار أشجار الدردار والبلوط والصوبر والأرز والشوح والعرعر والزيتون البرّي.

وخامات النحاس - التي طلبها «كورش» - «دوالفرين» من سكّان الإقليم حسبما عبّر القرآن الكريم «قل آموني أفرغ عنده قطراً» هذه الخامات تبت علمياً ونارياً بختاً توفرها بالمنطقة، فالدراسات الجيولوجية الحديثة أثبتت وجودها بوفرة في تكوينات «رنجان» و«أنارك» وشمال إصفهان وفي جنوب آذربيجان، كميات هائلة منه وفي أرمينية أصبحت مناجم النحاس الكبيرة المعروفة منذ القدم، شاهد على استخراج السكّان القدماء لخاماته، خصوصاً في منطقة «كدابك» وما يتبعها من منجم فرعي في إقليم «كلاكنت» - بين البزوتبول وبحيرة كوك جاي - وقد أعيد إحياء منجم الإقليم في مجال استخراج النحاس حديثاً في السنوات الأخيرة، بفضل إدارة إخوان «سيمنس» مؤسسي مصانع سبك المعادن هناك.

ومن ناحية توفر العدد اللازم من حيوانات الجرّ والحمل، فالإقليم غني بالثروة الرعوية والحيوانية، لأنّه يقع بين خطّي عرض ٣٠ - ٤٥ شمالاً، وينحصر بين إقليم البحر

المتوسط غرباً وإقليم الصين شرقاً ويمتد في أوراسيا بين التركستان لصينية ورومايا، ويشمل بذلك كلَّ آذربيجان وأرمينية وأفوقر وجورجيا وداغستان وأنجارتيا وأجارتيا ولكثرة حشائش الإقليم سمّيت إقليم المراعي المعتدلة الدفيئة، وهي غنيّة تكفي رعي لماعز والصان على الهضاب، والأبقار وحوشي في السهول، والجمال أيضاً معروف هناك وهو من نوع ذي السنامين وحيوان الياك (YAK)<sup>١</sup> وقد استخدمه السكّان في النقل تماماً كالحمير، وهو يمتار على الحمير بوحود أظفار في رحليه تساعد على ارتقاء المرتفعات والتنقل بأحماله بينها كما يوجد هناك منذ القدم عشرات الآلاف من الخيول السبسي الشهيرة بقدرتها على حمل الأثقال وجرّ العربات

ومن حيث توفر لمؤن لموحهه ستهلاك العمال والمهندسين من عدا لارم حتى إتمام مشييد السّد، فقد عرف لإقليم جميع لحبوب من الآف السنين، وكانت أرمينية تعبر من أحصص أملاك الخلافة العباسية، وكانت العلال تستنت فيها بكثرة ويصدر إلى الخارج كمعداد مثلاً،<sup>٢</sup> وكان السملد بكتر في بحيراتها وأنهارها ويصدر إلى الخارج أيضاً،<sup>٣</sup> وكانت خيراب الإقليم تتوجّه رمن كورش إلى همدان وسائر البلاد المعروفة ذلك ليوم

وأودية هذا الإقليم الكبير مزدهمة بعديت الأشجار العثمة، وفي مناطق لعراء كانت زراعة البطاطا والشمندر السكّري من أهمّ حرف السكّان في العصور القديمة ففي آذربيجان كان القمح الشتوي يزرع هناك بنجاح كبير، علاوة على أنواع أخرى من الحبوب وكذلك الكروم والجور ودغستان بلاد رراعية بالدرجة الأولى من

١ - نوع من البقر الوحش عظيم الجثّة وقوتها يكثر وجوده في جبال آسيا الغربية والوسطى ولا سيما هضبات تيب. وقد استخدموه لحمل الأثقال.

٢ - أنظر تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٧٢-٢٧٥ (مفاهيم جغرافية، ص ٣١١)

٣ - وقد ورد أنّ شهرة الإقليم بالأسماك كمورد غذائي للسكّان والتصدير لا تُضارع، حيث كانت الأسماك تكثر في بحيرات أرمينية وسواحل القوقاز وخصوصاً بحيرة «دول» التي اشتهرت بسرع خاصّ وبكميات هائلة منه، وهو الذي يعرفه العرب باسم «الطريخ» وكان هذا السمك في العصور القديمة يمتّح ويصدر إلى الجهات البعيدة كالهند. أنظر الفروسي، طبعة قسنبلد، ج ٢، ص ٢٥٢ (مفاهيم جغرافية، ص ٣١١). ولا يرال الناس في أرمينية وآذربيجان وبلاد القوقاز وآسيا الصغرى يستطيعون هذا السمك الممتّح حتى يومنا هذا.

العصور القديمة حتى الآن، فهي تنتج لقمح والذرة والبطاطا والخضروات والكرمة، كما أن الماشية ترعى في سفوح الجبال وأشهر مواشها الأغنام ومناخ جورجيا (جرجستان) من آلاف السنين ملائم لزراعة الحبوب وخاصة الدرة والكرمة والحمصيات والشمندر السكري<sup>١</sup> وهذه المزروعات تجدها في كل أنحاء الإقليم وثروة الإقليم بالماشية هائلة، إذ ينتشر المراعي الواسعة كما رأينا وتربى عليها قطعان الماشية وخاصة الأغنام

ومن الملامح التي عرضناها بإيجاز نؤكد لنا قدرة الإقليم على تأمين العتال والمهندسين بالطعام ولشرب الكافي، دون أن يحدث نقص في إمدادات الغذاء، أي أن الأمن الغذائي كان مكفولاً

والمواد الخام اللازمة كانت متوفرة، من حديد ونحاس وفحم وأخشاب، وحيوانات الجر والحمل كانت موحودة، تعي بالفرص تماماً والأيدي العاملة الرخيصة كانت متوفرة كذلك والخبرة الفارسية، والتخطيط الدقيق لكورش كلها كانت معومات نجاح تشييد أعظم السدود في العالم، لدرجه جعلت القرار يصفه بالردم، أي الشد الضخم الهائل في قوله تعالى: «فَأَعْمَتُوا بَعْرَةَ أَجْعَلْ يَسْكُنُوا مِنْهُمْ رِءْماً»<sup>٢</sup>

وبعد فإليك الكلام عن السد (سد دي لقرنين الذي ذكره القرآن) وهل هو سد كورش التاريخي؟

### سد كورش (ذي القرنين) التاريخي؟

في وصف شامل لسد كورش (دي القرنين) وتحديد موقعه الجغرافي حالياً على الخريطة السياسية، وتحديد نوعية الدولة التي كانت تسيطر على المنطقة الجبلية التي شُيّد فيها، يمكن القول إنه من المعطيات السابقة، تتلور ملامح سد كورش التاريخي في.

١ - فقد عُرف الإقليم جميع الحبوب من آلاف السنين - حسب قول الجغرافيين التاريخيين - وهوثر عليها في الآثار القديمة، ووجدت قوارير ملوّهة بالحبوب وغيرها (القمح - الذرة - القصب - الأرز) أنظر مواطن الشعوب الإسلامية عقارباً لمحمود شاكر، ص ٦٢-٦٦ (معايير جغرافية، ص ٢١١)

٢ - معايير جغرافية، الفصل السابع، ص ٣٠١-٣١٢

أنَّ السَّدَّ بُني فيما بين عامي ٥٣٩ ق م و ٥٢٩ ق م في مكان جبلي شاهق شديد التضرس قائم كجدارين شامخين على جانبيه، وبذلك -وعلى هذه الصورة- يكون السَّدُّ حجازاً مضاعفاً على الجدارين، في مكان المصيق لحلي الذي كان موجوداً بينهما، ويعرف بمضيق «داريال»، وهو موسوم في جميع الخرائط الإسلامية والروسية في جمهورية جورجيا (جرجستان)

وقد استخدمت في تشييد سد زير الحديد أي قطع الحديد الكبيرة، وأفرغ عليها النحاس المنصهر، وهذا هو وصف القرآن، ولا نصل عنه بديلاً، مهما كانت درجة التقارب أو التشابه، وبرغص أي سدٌ آخر يكون قد شُيِّد من الحجارة -مثل سور الصين العظيم- حتى ولو كانت عناصر ومكونات وطروف يشابهه لما جاء عن سد ذي الفريين وقد رأينا خلال السرد التاريخي أنَّ لقبايل المعوليد -وراء سلسلة جبال قوقاز- كانت لا تتكاسل عن الانتقاص على مناطق آسيا الغربية خلال القرن السادس قبل الميلاد.

وكلُّ صفحات التاريخ نذكر لنا أنَّ ثمة بوقع معاصر حدث في عملته يدق هذه القنابل البدائية المتوحشة، وتشير أصابع ندفه النار بحثة نحو الحفبة التي ظهر فيها كورش الهخامنشي

ومن ثم جاء قول المؤرخين بأنَّ هذه لقبايل التي سُميت «ميكاك» عبد اليونان و «منكوغ» عند الصينيين، هم قوم «يأجوج وماجوج» الذين جاء ذكرهم في القرآن وقد تقدَّم الكلام عن ذلك

هذا وقد تتَّبع مولانا أبو الكلام آرد، من خلال استقراء التاريخ ومراجعة النصوص في العهد القديم وما جاء فيها عن مأحوج ومأحوج، ووصل إلى نفس ما هو قائم في الواقع في جمهورية جورجيا (جرجستان) الآن، وقد عُثر على كتل هائلة من الحديد المخلوط بالنحاس، موجودة في جبال قوقاز، مبعثرة في منطقة مضيق «داريال» الجبلي. وهذه حقيقة قائمة لكل من أراد أن يشاهدها برأي لعين

جبال شاهقة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين، التي تمتد لتصل بين البحرين طوال ١٢٠٠ كم وهي جبال أسوانية حديثة التكوين، شامخة متعانسه التركيب، إلا من كتل هائلة من الحديد الصافي المخلوط بالنحاس الصافي في مضيق داريال غير أن جسم الجبال الصخري (جبال قوقاز) من جانبي السد تأكل بفعل عوامل التعرية طوال ٢٥٠٠ سنة وصار هناك فراغ فيما بين الصحور الجبلية وجسم السد الحديدي النحاسي وصح كلاً ضخمة تبعثرب في معبر المضيق

ويُشار إلى هذا السد في الأطلال لبحر قزوين لحدثه بين فلادي (Fladi) وكوكس (Kiukass) وبين تقيس ويذكره الأرمن - هناك - في صفحات تاريخهم (الشاهد على أحداثهم) باسم «بهاك عورائي» و«كانان عورائي» أي مضيق كورش أو «ممر كورش». كما أن سكان جورجستان يعرفونه في بلادهم باسم الباب الحديدي، وذكره الأتراك في كتاباتهم أيضاً باسم «دامركا بو» (قابو) <sup>١</sup> و«دامر» - بالتركية - يعني الحديد و«قابو» - الباب

فالسد شُيد في منطقة جبلية بين صدين في مصب داريال، وليس في مناطق سهلية مثل سور الصين العظيم وقد أقيم لإيقاف زحف الأجناس المتوحشة عبر حبال القوقاز إلى شمال مملكة فارس وغرب آسيا، ولم يكن لحجز مياه السيول ولفيضان مثل سد مأرب

وقد شُيد من حامات الحديد وأشعلت النيران لنهر النحاس لُبَصَتْ فوق الحديد وبقياء تدلّ فعلاً على انطباق مواصفاته مع ما جاء في القرآن الكريم ولذلك عبّر القرآن عن متانته بقوله تعالى «لَمَّا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً»

إذن، لم يكن السد من الحجر مثل سور لصين العظيم <sup>٢</sup> أو جدار «دربند» الذي بناه

١ - كورش الكبير، ص ٢٨٠

٢ - بناء الإمبراطور «تشين شيه هوانج» بعد سنة ٢٢١ ق.م. حائراً بين «مبول» والصين وهو مشيد من الطوب (الطين)



أنوشيروان الملك الساساني<sup>١</sup> بعد (١٠٠٠ عام) من بناء سد كورش أو سد «مأرب» الذي شُيّد لتنظيم الريّ ووقاية المنطقة - وعاصمتها مدينة مأرب فاعدة المملكة السبئية (باليمن) - من أخطار الفيضانات الموسميّة. وبهدم بين (٥٧٠-٥٤٢ ق م) على أثر السيل القرم (الهائج المدمر) ونتيجة للإهمال بشأن ترميم ثلّمها<sup>٢</sup>

هذا هو سد كورش ذي العريس - كما وصفه القرآن الكريم - يشهد على ذلك جميع الشعوب التي دخلت أوربا عن شمال حبل قوقاز وشاهدته بعد ما شُيّد أو اجتازت مضيق داريال قبل تشييده هذا هو السدّ، في منطقة استراتيجية ذات أهمية كبيرة، جرّ عليها موقعها هذا صعباً كثيرة، فطعمت فيها كلّ الدول المجاورة!

وهكذا، فكلّ من سيطر على الإقليم صارب كلّ لمناطق شماله وجنوبه نحت رحمته، لذلك فقد وصل العزاة إلى المصطفة من بحر التاريخ ففزاها الآشوريّون والكلدانيّون والمصريّون والقديما، والفرسيّون، ثمّ اليونانيّون - وحصعت لتموذك بيرنطة في القرن الثالث الميلادي بعد أن انتشرت المسيحيّة في حوبها في القرن الأوّل الميلادي وكذلك استولت الصين على جنوب قوقاز في القرن الرابع الميلادي وكانت دولتنا الفرس والروم كهرسي رهان على امتلاك أرميسيا وقوقاز وآذربيجان طول التاريخ

### بناء جدار «دربند»

وفيما بين عامي (٥٣١-٥٧٩ م) حكم الفرس في عهد أنوشيروان هذه المنطقة ووجد الملك الفارسي أنّ السدّ (الذي ساء كورش قبل ١٠٠٠ عام) لم يعد يمنع المغيرين عن بلاد فارس، خصوصاً وأنّ الوعيّة قد تعيّرت، فقد أضيف إليها العنصر الروماني

١ - المحروق، والطين والمجارة، يبلغ طوله (١٥٠٠ ميلاً) ويمتد من البحر الأصغر حتّى سلاسل جبال «تايغ» ليعزل دون القبائل الهمجية والتي كانت تسكن صحراوات مغرب - الذمة الإغارة على سهول الصين، ويشتمل السور على عدد من البراريات الضخمة في مناطق مباحده يقوم من مراسها جود أُنشأه معاهيم جغرافيّة، ص ١٢٨-١٢٩

٢ - بناء في سبدرات جبال قوقاز حتى شواطئ بحر قزوين حيث مدينة دربند هي طول سبعه فراسخ سدّاً لهجمات الرومان البيزنطيين والأتراك حيث كانوا يتدفقون على شمال فارس عبر الشريط الساحلي الذي بلغ كُباعه ٣٠ ميلاً

بين بحر قزوين وجبال قوقاز معاهيم جغرافيّة، ص ٣١٥ ولست دعه بسخدا، حرف الدال

٢ - المعجد في الأعلام، حرف الميم

## والتركي

فمن أين جاء التهديد هذه لمرّة، وكف بطل مفعول السدّ الكورشي؟  
كان بحر قزوين يضرب بأمواحه أقدم جبال قوقاز من جهة الشرق، وكانت مياه  
البحر الأسود تضرب أقدامها من ناحيته غرب وكان من المستحيل على لغزاة بعد بناء  
سدّ كورش الشهير أن يتوغّلوا إلى جنوب قوقاز  
ولكن بعد (١٠٠٠ عام) من بناء السدّ في مضيق داريال، كان البحر قد فعل مفعوله  
في مياه بحر قزوين.

وبما أنّه بحر مغلق لا يتصل ببحار العالم ومبعضاتها، فقد تناقصت مياهه  
واحتسرت عن شواطئه، متراحة نحو المدع، فاكشف جزء مدرج على طول امتداد  
تعاريج الساحل وظهر بذلك شريط ساحلي صيّق بين خطّ ماء البحر الجديد وأقدام جبال  
قوقاز عند «درسد» وحصار الرومان «البيزنطيين» والأتراك يتدقّعون على شمال فارس عبر  
هذا الشريط الساحلي الذي يبع اتساعه ٣٠ ميلاً بين بحر قزوين وجبال قوقاز.  
لذلك أمر «أنوشيروان» ببناء حدر من الحجر بين مياه بحر قزوين وأقدام الجبال،  
بعرض هذا الشريط الساحلي، حتى أصبح الحدار تماماً بحال قوقاز، وبذلك عاد لسدّ  
كورش مفعوله مرّة أخرى<sup>١</sup>

## جدار «دربند»<sup>٢</sup>

ويجدر بنا ونحن على وشك الانتهاء من حديث ذي المربين، أن نتحدّث شيئاً عن  
السدود المعروفة في العالم القديم وربما انتهت سدّ ذي القرنين الآتي في القرآن  
الكريم:

١ - مقاطع جغرافية، ص ٣١٤-٣١٥.

٢ - دربند، مدينة في دغستان على ساحل بحر قزوين غرباً سماء العرب «باب الأبواب» مشهورة بأسوارها التي تسدّ  
المرز بين البحر والجيل. احتلّها المسلمون عام ٢٢ هـ / ٦٤٣م وكانت آخر مدينة على حدود إيران الشمالية حتّى  
عهد فتحعلي شاه قاجار فاستلمها الروس عام ١٧٩٦م.

منها، «جدار دربند» أو «حائط قوقاز» الذي بناه الملك الساساني أنوشيروان في امتداد جبال قوقاز حتى مياه بحر قزوين في طول سبعة فراسخ، سداً لهجمات أقوام همج كانوا وراء السد، كانوا يغيرون على حدود ممالك فارس، فصدهم ببناء هذا الحائط العظيم، وجعل له باباً ضخماً كان يوصد بوجه المغول والتار، واشتهر بباب الأبواب وكانت مدينة «دربند» والتي بناها أنوشيروان في نفس المكان، قد سُميت بنفس الاسم وهي اليوم عاصمة جمهورية «داغستان» على ساحل البحر،<sup>١</sup> لقد كانت الحروب دامية بين ملوك فارس والقبائل الوحش خلف جبال قوقاز منذ عهد بعيد، حيث أطماع تلك لأقوام الصحراويين في ثراء منطقة أذربيجان وأرمينية وداغستان وكرجستان وسائر لبلاد الخصبة الغنية بالحرب والنسل وكان الملك الساساني «قباد» (والد أنوشيروان) كان قد شنّ حملاته الدفاعية ضدّ أقوام التتر، ليمنعهم عن إغارة البلاد، وكانوا يغيرون عبر حدود ممالك فارس حتى نهر كورا (كورش القديم)، فعاربهم «قباد» ومزّق شملهم في حروب دامية وقتلهم شرّاً قتلة وسبى وغنم الكثير من أموالهم. وهكذا كانت لإغارات والهجمات ظلّت مستمرة بين حين وآخر حتى جاء دور «أنوشيروان» وتسلم الحكم، فكان ممّا شدّ العزم على إنهاء تلك العرقلة، أن قام بتشيد حائط متين يحجز دون إغارات الأقوام الهمج نهائياً، وليريع شعبه من المزاحين طول حقبات<sup>٢</sup>

وفيما بين عامي ٥٢١-٥٧٩ م (أي بعد بناء سدّ كورش بألف عام) وجد الملك أنوشيروان أنّ السدّ القديم لم يعد يمنع المغيّرين عن فارس، خصوصاً وأنّ النوعية قد تغيّرت، فقد أضيف إلى أقوام التتر والمغول، العنصر الروماني والتركي، وكان بحر قزوين قد أخذ في الانخفاض والانحسار عن أقدام جبال قوقاز، نظراً لأنّه بحر مغلق لا يتّصل بالمحيطات، فقد تناقصت مياهه وانحسرت عن شواطئه نحو القاع، فأنكشف جزء مدرّج على طول امتداد تعاريج الساحل، وظهر بذلك شريط ساحليّ ضيّق بين خطّ ماء لبحر الجديد وأقدام جبال القوقاز عند «دربند» وصار الرومان البيزنطيّون والأترّك، مع البقايا

٢- تاريخ إيران، ص ٢٠٥-٢٠٦ و ٢١٥

١- لمّت بابه دمحد، حرف الدال، ص ١٠٥٥٤

من أقوام التتر الهمج يتدقّون على شمال فارس، عبر هذا الشريط الساحلي الذي بلغ اتساعه (٣٠ ميلاً) بين بحر قزوين وجبال قوقاز.

لذلك قام نوشيروان ببناء حدار متين من الصخور انعلاط، معتدلاً من سفوح حبال قوقاز حتى مياه البحر، وأخذاً فيه بعض شيء - على ما ذكره المسعودي والحموي -<sup>٢</sup> حتى التحم الجدار مع الجبال تماماً



وهل كان أنوشيروان هو الذي تبنّى بناء جدار دربيد، أم كان هو القائم بتجديد بنائه بعد انهيارات حصلت في أطرافه وتضعّض وأشرف على الخراب، فأعاد أنوشيروان بناءه على أسس متينة وعلى استحكام بالغ في طيبة قرون (وقد كان قائماً حتى عهد المسعودي سنة ٣٢٣ هـ)؟

يبدو من كتاب تاريخ كرمان أن الجدار كان قد بُني قبل ذلك بما أثر فيه طول العهد

١ - حسب تقديره الآن وقد انجر البحر أكثر ووقد فقده الحموي هناك على عهد الملك أنوشيروان بسيمه فرائخ، كل ربيع ثلاثة أميال اليوم، هذا اتسع هذا الشريط بعد ألفي عام من عشرين فرائخ

٢ - قال الحموي: وعلى مديته باب الأبواب (درسد سور من الحجره ممد من الجبل طولاً ومع طول السور قد مدّت قطعة من البحر شبه أنف طولاني ليمسح من نهارب نسج من السور وهي محكمة البناء مرفقة الأساس من بناء أنوشيروان. وهي أحد الثغور الجديده الطيبة لأنها كثيرة الأعداء الذين حقوا بها من أعم شئ وألسه محتله وهدد كثير

قال: وأقام أنوشيروان يبني الحائط بالصخر والرصاص، ثم فاده في البحر وقد أحكم هذا الممد في البحر بحيث لا ينهياً سدوكه، وقد بناء بالحجارة المعقورة المربعة المهدمة لا يقل أضرف حمس ورجلاً، وقد أحكمت بالمسامير والرصاص وألقيت في فرار البحر حتى اعتلى السور على وجه البحر بما أسوى مع الذي في البر في عرضه وارتفاعه وقدر طول الحائط من البحر إلى سطح الجبل بسيمه فرائخ معجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٣ و ٣٣٥

وذكر المسعودي أن كسرى أنوشيروان بس السور من حروف البحر بمقدار ميل (٤٠٠ ذراع) بالصخر والحديد والرصاص، ويسمى هذا الموضع من السور في البحر لنصد وهو باق إلى وقتنا هذا، وهو سنة (٣٣٢ هـ) مانعاً للمراكب في البحر إن وردت من بعض الأعداء، ثم مد السور في كثير مابين الجبل والبحر

وزاد: أنه مد السور حتى أعالي الجبال ومنخفضاته وشعابه (أي سد جميع الجبل والفرج هناك) نحواً من أربعين فرسخاً إلى أن ينتهي إلى قفصة «طيرستان». مروج الذهب ج ١، ص ١٧٦ و ٢٦٤

قلت: ولعلّه الصاروخ بدن الرصاص وقد التبس عليهم لوجود المشابهة شكلياً وبعد مرور ألف عام على بنائه. والصاروخ، خيط من حجر الكلس وملاح الكنسيوم و بربون محروق القصب وغيره، يستعمل في طلاء الجدران والأحواض والعمائم. صنع قديمه استخدمت في أسس البيوت الضعفة وأعمدة الجسور ولتخازن المياه لدوامها تجاه تأثير الرطوبة واستحكتها عن كل مؤثرات البحر والمحيط وهي على مقاومه الإسبب هي هذا العصر.

من التضعف والإشراف على الانهيار، فكان نوشيروان قام بترميمه وتجديده عمارته جاء فيه: «أن شاهنشاه إيران نوشيروان عمد من «العدائن» عاصمة ملوك الفرس، قاصداً مدينة باب الأبواب لترميم السد في منطقته «شروان»<sup>١</sup> فأخذ طريقه على ساحل الخزر ومعه العمال والمهندسون لعمارة السد ونفق أموالاً طائلة، لكن المشروع استنفدها دون الاكتمال. وبعد التدبر والمشاورة رأى الملك أن أحداً من عظماء مملكته لا تسعه المساهمة في إكمال المشروع الحبل، سوى الأمير «آدرماهان» وكان والياً على بلاد كرمان من قبل السلطان. وكانت بلاد كرمان يومذاك غنية بالثروات الطبيعية والراعية بما يفوق سائر البلاد

عبر ن الملك لم يرقه تكلف موظفيه بأكثر من المقرر الرسمي لمفروض عليهم، حيث كان حلاف العدل السلطاني ولذلك عزم على السير إليه في ألف من خواصه المهندسين والعمال الفنيين، حتى ورد «إيلغار گواشير»<sup>٢</sup> بازلاً في دار الأمير، فوعدهم بالمساهمة في المشروع بما يكفي مؤنة إكمال سد نهائياً. ذكروا أن السد اكتمل بما بذله أمير كرمان آنذاك<sup>٣</sup>

### شكوك حول كوروش هل هو ذو القرنين؟

ربما تشكك البعض في الرأي القائل بأن ذا القرنين -الذي وصفه القرآن بالصلاح-

هو كوروش الكبير الملك الفارسي العظيم؟

وعمدة مسارب الشك هو حجاب سلوكه السياسي المنسجم مع أصحاب الأديان وحتى مع عبدة الأوثان، ومن غير أن يسير سعياً وراء إعلاء كلمة الله في الأرض يشهد لذلك سلوكه الخاص مع البائسين وإفساح المجال لهم في عقيدتهم الأولى ولا سيما تزلفه في تكريم كبير آلهم «مردوك» -حتى أنه عد نفسه موضعاً لعبادته في منشور عام، كما رد إلى عبدة الأوثان كل ما نهب منهم من أصنام وجعلها في معابد كانت تسمى «شادي

١- شروان منطقة في الجنوب الشرقي من بلاد فوقاريس عاصم نهر أرس وكودا كانت في القديم من نواحى باب الأبواب.

٢- إيلغار، لفظه تركية تعني المعسكر -الحامي- وكواشير اسم قديم لمدينة كرمان القديمة.

٣- راجع كوروش كبير، ص ٢٨٣ ٢٨٤ الهامش عن تاريخ كرمان، ص ٢٤

## دل «أي فرحة النفس

يقول في ذلك الأستاذ محمد خير رمضان: تلك المقاطع التاريخية إن دلت على شيء فإنما تدل على وثنية كورش وتعظيمه للآلهة وإسباح المجال لعبادتها لكل الشعوب المقدسة لها ويكفيك ما قاله في مشوره العام «أرجعتُ الآلهة التي نُقِلْتُ إليها (معابد بابل) إلى مواطنها. وأعدت إلى سومر وكند آلهتها التي حملت إلى بابل ووضعتها في قصورها التي تسمى «شادي دل» وبذلك نُهيت غضب الآلهة بأمر من مردوك الإله الكبير - ومردوك هو صنم بابلي

وهذا يقوى مادذهب إليه المؤرخون من قيل عن عقيدته وإعطائه الحرية الدينية كيفما كانت، وبخاصة عبادة الأصنام لا كما هي صفات دي القريين - حسما جاءت في القرآن - من أنه كان يحارب هذا الشرك ولا يتعامل معهم ولا يقلل منهم إلا الإيمان أو الحرب»<sup>١</sup>

ومن ناحية أخرى هي حجاب بناء السد - الذي ذكره القرآن - تشكك في كونه من عمل كورش بالذات، ولعله قام بترميمه نظير ما عمله أنوشيروان بعد ألف عام ومستند الشك أنه لم يأت في التاريخ ذكر عن بناء هذا السد على يد كورش، في حين أنه لم يكن بذلك البعيد بحيث يجهل تاريخ حياته ولا سيما في مثل هذا العمل الضخم، كما لم يذكره هو في مفاخره حيث ذكر مفاخره هي أقل شأن من بناء هذا السد العظيم

يقول الأستاذ محمد خير رمضان لا دليل لاستناد بناء السد إلى كورش، وعمدة ما يستدلون به: أن القبائل المملوكية كانت لا تتكامل عن الانعصاف على مناطق آسيا الغربية خلال القرن السادس قبل الميلاد - وكن صفحات التاريخ تذكر لنا أن ثمة توقفاً مفاجئاً حدث في عمليته تدفق هذه القبائل بعد ثمة المتوحشة - ونشير أصابع الدقة التاريخية نحو الحقبة التي ظهر فيها كورش الهخامشي

هذا هو الدليل الوحيد الذي استند إليه أصحاب القول بأن السد من عمل كورش

الكبير ولكن:

هل يعنى توقُّفُ هذه القبائل كُورِش بنى السدِّ؟

لماذا لا نقول: إنَّ السدَّ كان مبنياً من قبل، ولكنَّ الحوادث الطبيعيَّة انَّسرت في جوانب السدِّ، كأن تكون مياه بحر فروين قد انحسرت عن شواطئه فكانت القبائل تغزو من الساحل الذي كان مكانه الماء، ثُمَّ أُعيد برمسم أسدٍّ في عهد ذلك الملك. ووقفت هجمات القبائل المتوحشة على تلك المنطقة بعد هذا؟

وهذا نظير ما حدث على عهد أنوشيروان بعد ألف عام أفليس من المعقول أن يكون كورش قد فعل مثل صنيع أنوشيروان في ذلك، ويكون أسدٌّ - بطبيعته الحال - قد بُني قبله بزمان طويل؟

قال إنَّني أرى ما ذكرته أسلم، لأسباب:

- ١ - لم يثبت تاريخياً قط أنَّ كورش قد بُني سدّاً هناك
- ٢ - لم يذكر كورش في الوثيقة السابقة التي كتبها، أنه بنى السدَّ رغم أنَّ هذا يُعدُّ عملاً عظيماً جداً لا يرتقي إليه أيُّ حِصليٍّ من أعمال كورش السابقة فكيف يهمل كورش ذكر هذا السدِّ - وبنى استغرق بناؤه عشر سنوات كما يقول الأستاذ خضر - والذي هو أبلغ آثاره على مرِّ لسنين، ثُمَّ يذكر أشياء أحرَّ أبسط منه بكثير، والتي يشارك فيها ملوك غيره؟!!

٣ - ليس كورش بذلك الملك القديم جداً حتى تخفى أحصائه على جزيرة العرب في حين يجب أن لا ننسى أنَّ قصص فارس كانت منشورة بين العرب، وكان لهم أنصار بينهم، وقد تأثروا بأديهم وروياتهم وقصصهم الشعبيَّة وتحدَّثنا السيرة النبويَّة الشريفة عن النضر بن الحارث، الذي قدم من الحيرة وكان قد تعلَّم بها أحاديث مملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار وكان يحدث بها إثر ما يقوم رسول الله ﷺ من مجلسه حينذاك..

وإذا كان كورش من أعظم ملوك فارس، فلا بدَّ أنه كان له نصيب من بين تلك

## الأحاديث

قال: هذا ما بدا لي خلال هذا البحث، ولقارئ حرّ فيما يريه، وبخاصّة بعد أن بيّنت له كلّ الأوجه بدقّة وإنصاف..<sup>١</sup>



إذن فمن هو ذوالقرنين؟

يرى الأستاذ رمضان أنّه رجل آخر عاش في عصور غابرة قبل تُسَيِّح وفيل الإسكندر وقبل كورش فقد كان في زمن نبي الله وحليته إبراهيم عليه الصلاة والسلام (أي قبل كورش هذا مألّف عام) كما ذكره وصحّحه ثقات المؤرّخين!!

إذن فدوالقرنين رجل آخر صاعته أخبره على مرّ التاريخ ولم يسلم منها إلا ما ذكره الله - عزّ وجلّ - وما نُسب عن الرسول ﷺ وتنفّ أخرى قليلة من التاريخ، اعتمدها بعض الثقات من المؤرّخين<sup>٢</sup>

وهنا أورد روايات وحكايات - أسندها إلى السلف - بشأن ذي القرنين

## ذوالقرنين في الروايات

قال: وأنا هنا سأصل بالقارئ إلى النتيجة، من تلك الروايات إلى ما سنستقرّ عليه بعونه تعالى.

فقد ذكر الأزرقي وغيره أنّ ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل عليه السلام وطاف معه بالكعبة المكرّمة هو وإسماعيل عليه السلام

وروي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أنّ ذا القرنين حجّ ماشياً، وأنّ إبراهيم لما سمع بقدمه تلقّاه، فلما احتمعا دعا له الخليل ورضّاه وأنّ الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد

وقال إسحاق بن بشر عن عثمان بن مساح عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان ذوالقرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله وأثنى عليه في كتابه وكان مصوراً وكان



الخضر وزيره وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور<sup>١</sup> وروى الفاكهي من طريق عبد بن عمر أحد كبار التابعين - أن ذا القرنين حج ماشياً فسمع به إبراهيم فتلقاه ومن طريق عطا عن ابن عباس أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصاحبه، ويقال إنه أول من صافح<sup>٢</sup> ومن طريق عثمان بن الساج أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له فقال وكيف وقد أفسدتم ثري فقال ذا القرنين لم يكن ذلك عن مري، يعني أن بعض الحنابلة فعل ذلك بغير علمه! وذكر ابن هشام - في التيجان - أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له! وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل بين يدي الكعبة، فاستفهمهما عن ذلك، فقالا نحن عندنا مأموران، فقال من يشهد لكما؟ فقامت خمسة أكباش (!!) فشهدت أفعالهم صدقتما قال بن حجر هذه الآثار يشد بعضها بعضاً وتدل على قدم عهد ذي القرنين<sup>٣</sup>

### إزالة شبهات!

تلك شبهات أثرت حول الرأى القائل بأن ذا القرنين - الذي جاء وصفه في القرآن - هو كورش الهخامشي الملك الفارسي العظيم!!  
لكنها لم تحسب حسابها لدقيق، ومن ثم فإن الترحيح مع هذا القول المعتمد على أصول مثينة، أما لشبهات أو الشكوك فلا مجال لها بعد إحكام الدليل

١ - انظر البداية والنهاية لابن كثير، ج ٢ ص ١٠٣

٢ - وهكذا روى الشيخ في أساليبه (المجلد ٨ والحديث ٢٥ - ترتيب الأساليبي، ج ٢، ص ٤٥، رقم ١٠ ١٠٣) بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» وروى ابن أبي عمير عن إبراهيم وصاحبه.

وفي قصص الأنبياء للراوندي: وكان ذا القرنين من الملوك بعد نوح عليه السلام ملك ما بين المشرق والمغرب. بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٧٥.

قال الصدوق: والصحيح الذي أعقبه في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً، وإنما كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبته الله ووضح الله قصته قال أمير المؤمنين عليه السلام وفيكم مثله - يعني قصة الشريعة بحار الأنوار، ج ١٢ ص ١٨١، رقم ٩.

٣ - انظر: فتح الباري بشرح البخاري، ج ٦، ص ٢٧١

أولاً - ليس في الروايات أو لحكم بات التي مردوها تعرض إثبات قدم عهد ذي القرنين بما يقارن عهد إبراهيم الخليل لبس فيها ما يفيد اليقين، لضعف الأسناد واضطراب المتن إلى حد بعيد

يقول الدكتور صلاح عبدالفتاح عدي - رداً على اختيار الأستاذ محمد خير رمضان يوسف - «كم كنت أتمنى على الأستاذ أن يأتي على رأيه بأدلة علمية يقينية، وهذه لا تكون إلا فيما أخذ من القرآن والحديث الصحيح، أما اعتماده على كلام مؤرخين ومفسرين، لا دليل عليه من لمصادر المعتمدة، فهذا لا يقلل في البحث العلمي المنهجي اليقيني.

ولذلك نحن مصطرون أن نحالف لأستاذ محمد خير في ترجيحه عن ذي القرنين، من أنه كان يعيش في زمن إبراهيم عليه السلام كما تد مصطرون إلى ترك كل الأقوال المذكورة في كتب التاريخ والتفسير، عن التواء ذي القرنين إبراهيم عليه السلام في فلسطين أو الحجاز، لكونها غير مذكورة في حديث واحد صحيح، يمكن للإنسان أن يعتمد ويضمن به، والله أعلم»<sup>١</sup>.

### كورش هو ذلك العبد الصالح؟

جاء في وصف القرآن لذي القرنين ما ينم عن صلاح ويمان واعتقاد بالله العظيم، وأنه كان على بصيرة من أمره وموضع عنايته تعالى فيما انتهجه من الحياة السياسية الاجتماعية، وفي سبيل إحياء كلمة الله في الأرض، بما آتاه الله من القدرة والحكمة وحسن التدبير.

«إِنَّا مَكَّ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُنْهٍ شَيْئاً...»

«قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تُجِدَ فِيهِمْ حُسناً...»

١ مع قصص السابقين في القرآن (٢) من مجلتي القرآن (١٦) - دار العلم - دمشق، ط ٢ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م. دار الباسمة، بيروت، دار البشير بجدة، المملكة العربية السعودية

«قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي.»<sup>١</sup>

كان قد مكّنه الله في الأرض وكان قد استخدم سلطانه هدا في سبيل عمارة الأرض وإفشاء السلام فيها، وبذلك وسعته تعالى أصبح عبداً شكوراً! وهل تتصادق صفات كهذه مع سيرة كورش السياسية أبداً؟

المعنى في سيرة كورش بدقّة حده على الوصف الذي جاء في القرآن الكريم. كان مؤمناً معتقداً بالله العظيم وأن لا حول ولا قوة إلا به، والله تعالى هو الذي رعاه وألهمه الخير وهداه إلى سبيل لرشاده، في إصلاح البلاد والعناية بشؤون العباد الأمر الذي يبدو بوضوح من سيرته الحكيمة مع مختلف شعوب الأرض

يقول الدكتور حصر وبسبب كثر من المؤرخين إلى اعسار أن كورش كان ملكاً يتّصف بالعمل والحرم ولعزم والرفعة في آو وحده، والله كان يمضي إلى أحر المطاف في أي عمل يبدأه، ولا ينرك أي عمل دون إتمام. وكان يلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة

وكان يعامل الشعوب المغلوبة معاملة حسنة تتّصف بالرأفة والشفقة، بخلاف ما كان عليه الحال عند الملوك الآشوريين والسومريين، وكان يعامل الملوك المهزومين معاملة طيبة جداً لدرجة أنهم كانوا يصبحون أصدقاء حميمين له وكانوا يقدمون له العون إذا تطلب الأمر.

وكان العدل يرفرف على جميع الشعوب التي خضعت له من نهر السند حتى بحر إيجه (وهي مسافة تقرب من طول الولايات المتحدة الأمريكية من الشرق إلى الغرب) ومن خليج عدن حتى صحراء بحر قزوين وكان النظام الذي أرسى الحاكم العظيم كورش دعائمه في هذه الإمبراطورية لعمريمة الأطرف عملاً خارقاً يُعدّ من الأعمال الخالدة المجيدة في تاريخ الشرق بل في تاريخ العالم كله

حقاً. لقد كان حاكماً رحيماً مسنيراً يدعو إلى الخير وكان يُلقب بالملك

الأكبر. وظلّ هذا تقليداً عاماً لكلّ عاهل فارسي

ويرى العلامة أبو الكلام آزاد أن كورش كان يطبّق تعاليم الفيلسوف والحكمم المشهور «زرادشت» والتي تدعو إلى الخير وتعتقد بالحياة الأخرى وبقاء الروح كما يرى أبو الكلام آزاد في تعاليم «زرادشت» أنها محور دارت عليه الدعوة إلى طهارة النفس وحسن العمل، يرى فيها أيضاً تحريماً لعدة الأصنام في أي شكل من الأشكال

ومن دلائل تدبّر الحاكم العظيم كورش ما كشفه الأستاذ «هرترفلد» (Herzfeld) من بقايا معبد قديم، يُعتقد أن كورش هو الذي بنّاه في مدينته «پاسارگاد» ويقوم هذا المعبد على مقربة من قصر الملك، وقبره في تلك المنطقة وهذا المعبد يعبر عن مبلغ أهمية هذه الديانة في عهد كورش ومن بعده وبراهما المؤرّخون ديانة قديمة كانت ذات أهمية كبيرة عند أهل فارس القديمة، وأنها دعت كلّ إنسان وحشّته على اختيار أحد الطرفين إما أن يعلّق قلبه بالخير والنور أو يتغمّس في الشرّ والظلمة وعلى كلّ فسيلاقي جزاءه ويحاسب على ما آتاه ويعتبر المؤرّخون هذه العقيدة أقدم ديانته ظهرت في آسيا معتقد بالحساب بعد البعث

قال الذكور خضر ولعلنا نجد في قول دي القريين ما يشير إلى ذلك

«قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربه فعذبه عذاباً نكراً»

أي هناك إله، سيرد إليه كلّ إنسان يوم البعث للحساب، فإن كان ظالماً في حياته فسوف يعذّبه الله عذاباً شديداً

وقد ذكرت كتب المؤرّخين أن كورش لم يعمل السلب والنهب في القبائل الأيونية<sup>١</sup> التي أخضعها، ولم يسمح بالنهب وقتل فيما آل إليه من مدن وممالك وكان بذلك على العكس تماماً من الملوك الآشوريين فإنهم جعلوا المدن التي فتحوها في مستوى الأرض، وكانوا يتجنّبون بأنهم يركوها خراباً ياباً، فلم يعد يسمع فيها نباح كلب

١- أيونية، منطقة واسعة في غرب آسيا الصغرى تشمل السهول الساحلية لبحر إيجه والبحر الأسود وبحر مرمرة هناك، كان يسكنها المهاجرون اليونانيون القدماء وأُسّسوا هناك مملكة واسعة مقتدرة حاربت ليديا ومملكتها «كرروس» العاتية على كورش، لكن كورش سادهم بعد الاستيلاء عليهم جميعاً

أوصياح ديك وقد ورد نفس الشيء عن منك عيلام  
وحين رأى الناس سلوك كورش، وقربوا ذلك بما كان سائداً ومتبعاً آنذاك، كانوا  
يعتبرونه حاكماً عادلاً منصفاً، طيب القلب يحب الخير للناس<sup>١</sup>  
ويعتبره المؤرخون أول من أرسى الأسس الأخلاقية في العالم القديم وأدخل  
أسلوباً جديداً لمعاملة الممالك التابعة والشعوب المغلوبة<sup>٢</sup>  
ويذكر المؤرخ اليوناني الكبير «هيرودس» أن كورش - بعد إحصاع بابل - توجه  
نحو الشمال الغربي لإعادة الأمن على البلاد، وإحصاع القبائل الوحش (ماساجيت -  
ماجوج) التي كانت تشن إغاراتها على البلاد الآمنة بقول: وكان قد توجه لذلك الصوب  
مدافع إلهي أولاً أصالة نزعه لإلهته وناب تفته، النسبة اعتماداً على ما مكسه الله  
عالي من القوة والسلوة وقدرته العائفة على إحصاع كل الصعاب<sup>٣</sup>  
ويقول «ول ديورانت» كان كورش من الحكام الذين خلقوا ليكونوا حكاماً،  
والذين يقول فيهم «إمرسن» كان الناس يستهجون عندما يرون هؤلاء يتوجهون فليد كان  
ملكاً بحق في روحه وأعماله، قديراً في الأعمال الإدارية والفنوح الحاططة المحيرة،  
كربما في معاملته المغلوبين، محبوباً لدى أعدائه السامس، فلا عجب والحالة هذه أن  
يتخذ اليونان منه موضوعاً لعدة روايات بطولية وأن يصفوه بأنه أكبر أبطال العالم<sup>٤</sup>  
كان وسيما بهي الطلعة - وقد اتحد الفرس نموذجاً للجمال البشري حتى آخر أيام  
فنونهم القديمة -<sup>٥</sup> وأنه أسس الأسرة الهخ منسبة أسره المدوك العظام لتي حكمت بلاد  
الفرس في أزهي أيامها وأعظمها شهرة، وأنه نظم قوت ميديا و فارس الحربية، فجعل منها

١ - مفاهيم جغرافية، ص ٢٥٦-٢٥٥

٢ - تاريخ إيران ص ٧١-٧٢

٣ - «أنكبره» هاي متعددي ناشت: يكي صل و بار پردی و، دیگر پروزهای پی در پی - ٥: تاريخ هيرودس، ص ٩٩

٤ - قصة الحضارة، ج ٢، ص ٤٣

٥ - يسنو من وصف «ول ديورانت» من الشعب الفارسي أنهم كانوا أجمل شعوب الشرق الأدنى في الزمن القديم، فالآثار  
الباقية من عهدهم تصورهم شعباً معتدلاً القامات قوي الأجسام قد وهبهم طبيعة البلاد شدة وصلابة، ولكن ثروتهم  
الطائلة رقت طبعهم، وهم ذوو ملامح مسامية مسافة شم الأنوف، تبدو على وجوههم سمات النيل والروعة - ثم  
بأني مي وصف ملايسهم الجميلة دوت وقار و كبر - قصة الحضارة - تاريخ الشرق القديم، ج ٢، ص ٤٦٠

جيشاً قوياً لا يُقهر، وأنه استولى على سرديس (سارد) وبابل، وقضى على حكم الساميين في غربي آسيا، فلم تقم له بعدئذٍ قائمة مدى ألف عام كاملة، وضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التي كانت من قبل تحت سلطة آشور وبابل وليديا وآسيا الصغرى، حتى أصبحت تلك الإمبراطورية أوسع لمظلمات السياسة في العالم القديم ومن أحسنها حكماً في جميع عصور التاريخ

ويبدو - على ما نستطيع أن نتصوره فيما يحيط به من سُدُم الأساطير - أنه (كورش) كان حُبّ العاتحين إلى نفوس، وقد أقام دولته على قواعد من النبل وكرم السجائب، وأن أعداءه كانوا يعرفون عنه لين الجانب فلم يحاربوه بنذك القوة المستينة التي يحارب بها الرجال حين لا يحدون بداً من أن يقتلوا، أو يقتلوا

وكانت أولى القواعد الساسية التي تقوم عليها دولته أن سترك للشعوب المختلفة - التي تتألف دولته منها - حرية العهدة والعقيدة الدينية، لأنه كان عليماً كل العلم بالمبدأ الأول الذي يمي عليه حكم الشعوب، وهو أن الدين أقوى من الدولة، ومن أجل ذلك لا نراه يهيب المدن أو يحرب المعابد، بل رآه يبدي كثيراً من الإكبار والمعاملة لآلهة الشعوب المغلوبة، ويسهم بما له في المحافظة على أصرحتها<sup>١</sup>

ويريدك نباهة بشأن هذا الرجل العظيم، تلك وثائقه بشأن حقوق الأمم:

### وثيقة إعلان حقوق الأمم

التي أصدرها كورش الأكبر مؤسس الإمبراطورية الفارسية منذ سنة ٢٥٠٠ أي قبل الميلاد بـ ٥٠٠ عام وملك من المنشور الذي أصدره كورش إثر فتح بابل سنة ٥٣٩ ق م وقد نقش على أسطوانة من الصين المطبوخ (الخار) وجدت سنة ١٦٧٩ م في منطقة «أور» في ما بين النهرين من سهل العراق. وقد كتبت باللغة البابلية والأسطوانة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن:

## أنا كورش

«أنا كورش ملك العالم، الملك الكبير، الملك المقدر، ملك بابل وسومر وأكد، ملك الحواسب الأربعة للعالم، ابن قمبيز (كمبوجيد) الملك الكبير، ملك أشان (أنران = حورستان عيلام) حفيد ملك أشان الكبير، من أعقاب «چيش ييش» الملك الكبير، ملك أشان، دوحة السلطنة الأندية، موئل عناية «بعل وبو»<sup>١</sup> وموضع رعايتهما دخلت «تين تير = بابل» بلا حرب ولا مقاومة، فاستبشر الناس بي، وارتفعت على أريكة البلاد سلام، ود ربط «مردوك» الإله لكبير<sup>٢</sup> قلوب الناس بي، حيث احترمت جنابه طيلة حياتي. دحر جيشي العظيم بابل بكل سهولة، ولم أسمح لأي شخص أن يثير الحوف والرعب في أرض «سومر وأكد» وتأمل الأوصاع والسمي مشاهد ونها في بابل، فدلج جهدي في إحياء المعابد والهيكل وإصلاح عمارتها، كما سميت في الترفيه على أهل بابل ورفع شقاء العيش عنهم، فأصبحوا في ظلي مرفهين ومحررين من ير الدل الذي كان وضعه عليهم سلاطنتهم من قبل (يقصد: بؤسهم) وأحمادهم. فتمزق البلاد وأضلخت شؤون العباد، ومن ثم ابتلع «مردوك» كبير آلهة بابل بأعمالي وقد أنبت عليه نكل سرور، فعمري بعنايته الشاملة أنا كورش الذي أنبت عليه ركداً سني قمبيز وكل أفراد عسكري، فشمنا جميعاً ببركته فمدوك العالم، المكنون على أرائكهم في القصور، كلهم من البحر الأعلى حتى البحر لأسفل، وملوك المغرب الذين يعيشون في الحسام، قدموا لي الحراج والهدايا الكثيرة ولمسوا قدامي وقبلوهما بكل خضوع

وجمعت شمل الناس وأحييت بلادهم وشددت معابدهم على ما راموا، وأرحمت إليها كل ما نهب منها من محوهرات وصور آلهة وأموال، والتي كان «نبونيد» (آخر مدوك نابر، حفيد نبوكد نصر) قد استلبها وبهبا،

١ - ينقل: اسم للبارئ المتعالي عبد البابليين. وبو اسم تميم الذي يقوم بتدبير العالم عن أمره تعالى.

٢ - اسم لكبير الآلهة في معبد بابل، كان يمثل الإله ومعه الصالحين.

فأعدها في أماكنها الآمنة بكلّ صفاء وخلوص، وبذلك كنت قد أرضيت  
خاطر الإله الكبير «مردوك» والذي كان قد غضب من أعمال الحيايرة من  
قبل، وأرجو أن تستهل الآلهة التي أرجعتها إلى أماكنها، إلى الله وملائكته  
(بعل ونبو) كلّ صباح، ليدوم عمري في عافية. وليقولوا: إن كورش وولده  
قمير يكرمان من شأن الإله في إكبار وإعظام...»<sup>١</sup>

### وثيقة إعلام تحرير اليهود

التي أصدرها كورش بشأن بناء القدس الشريف وإعادة مجده وتحرير بني  
إسرائيل من الأسر البابلي وتزويدهم بالعدة والمال والوثيقة مسجلة في سفر عزرا، الذي  
تزعّم اليهود في عودتهم إلى أورشليم وإحياء مدارس من آثار الديانة اليهودية وصحائفها  
وكتبها...

جاء فيه:

«تبّه الربّ روح كورش ملك فارس، فأطلق نداءً في كلّ أرجاء مملكته الواسعة  
وكتب دستوره العامّ إلى كافّة الشعوب التي تحت حكمه. وهذا هو نصّ المنشور:  
«أنا كورش ملك فارس، أرفع ندائي بأنّ الربّ إله السماء، هو الذي منحني  
السلطة على جميع ممالك الأرض، وأمرني أن أعيّد بناء بيته في أورشليم التي في يهوذا.  
وعليه فأوجّه ندائي إلى جميع شعوب اليهود الذين يعيشون في ظلّ حكومتي، من كان  
منهم يريد الهجرة إلى أورشليم - موطنه الأصل - ويعمر بيت الإله إله إسرائيل، فالله معه  
وتحت رعايته، وعلى أولئك الذين يجاورون أبناء اليهود في أيّ البلاد، عليهم أن  
يساعدوا هؤلاء بالزاد والمال وحمولة الركوب، وهدايا يقدّمونها إلى بيت الربّ في  
أورشليم.

١ - راجع الصفحة الأولى من كتاب «توس وإيران - هرون من التلاحق المعضاري» تأليف مدّة أساتده تونسّين، الدار  
النوسية للنشر، عام ١٩٧١م (دولقرمين القائد القاتح والحاكم الصالح من ٢٢٦-٢٢٧) و«كورش الكبير» (دوالقرمين).



ويقول الأستاذ أبو الكلام آزاد إنَّ أهمَّ شيء في وصف ذي القرنين - حسبما جاء في القرآن الكريم - هو، خلوص نيته وطهارة إيمانه بالله، ونمجده لساحه قدسه تعالى، وعقيدته بالحياة الأخرى. فهل هذه الصفات تتصادق مع سمات كورش؟

ولعلَّ القرائن والشواهد الراهنة في حياة كورش، تؤيد جانب الإثبات، وأنَّ سماته نفس السمات والصفات المذكورة في وصف ذي القرنين.

وأولى هذه الشواهد، هي عقيدة اليهود بشأنه، حتى جعلوه المنحي المنتظر من قبل الله، ورفعوه إلى منزلة المسيح، أي الصفوة من أوبياته المحلصين.

ولاشكَّ أنَّ اليهود بصعب عليهم لايمان برجل هو خارج مذهبهم في الايمان بالله تعالى فضلاً عن عابد وث أو ساحد نار.

وأيضاً فمن المفتوح به أنَّ كورش كان على دين «زردشت» وهو دين التوحيد والعقيدة بوحي السماء ويوم الحزاء والدعوة إلى الطهارة والقداسة في الحياة. وكان لابدَّ أنَّ كورش كان مستقي في أخلاقه الكريمة من هذا المعين الصافي والضافي بمكارم الأخلاق، والنسب منها الدعوة إلى رؤوس الأخلاق الثلاثة.

١- «هو مَن (پندار نيك)» - صدق النية

٢- «هو حَسَن (گفتار نيك)» - صدق القول

٣- «هو وَرِشْت (کردار نيك)» - صدق العمل

هذا هو أساس تعاليم زردشت اندسته، ومن مثل هذه الأخلاق يمكن أن يتكوَّن مزاج كورش الملكي الفخيم!

قال فإن كان دوا القرنين يدين بدين «مزدسنا» أي بالدين الزردشتي، وبشبه له القرآن الإيمان بالله واليوم الآخر، ليس هذا فحسب، بل يجعله من الملهمين من عند الله، أفلا يلزم من هذا أنَّ دين زردشت كان ديناً صحيحاً إلهياً؟ أجل، يلزم هذا، وليس هنالك ما يحملنا على رفض هذا اللزوم، لأنَّه قد ثبت الآن نهائياً أنَّ دين زردشت كان دين

التوحيد والأخلاق الفاضلة، وأرض عبادة النار<sup>١</sup> ولعقيدة الثنوية<sup>٢</sup> ليستا منه، بل من بقايا محوسبة<sup>٣</sup> «ماد» التي احتفظت بالردشتية في العصور التالية<sup>٤</sup>

ثم يأخذ مولانا أبو الكلام أراد في الكلام عن ديانه زردشت وأنها كانت دين توحيد خالص وكانت دعوتها قائمة على أساس فضيلة الأخلاق والإيمان بيوم الحساب، وكان زدهار هذه الديانة على عهد الهخامنشيين كما يبدو من وثائق نحتها ملوكهم العظام على صحور الجبال

تلك وثائق داريوش - الذي تسلم لحكم بعد كورش بثمان سنوات - تتجلى على صفائح الجبال الشامخة قبل ألفين وخمسة عام، جاء في إحداها:

«هو الله العظيم»، «أهورا مزدا»<sup>٥</sup> خالق السماوات والأرض وخالق الإنسان ومنحه لذات الحياة، والذي أكرم داريوش بكرامة الملك والسلطة على مملكة واسعة الأرجاء، ومنحه برجال أكفاء وأفراس جياد..»

وجاء في أخرى

١- لم يكن هناك عبادة نار بمعنى عبادتها بل جعل حرم لها حفاظاً على الإيحاء لإشغالها لفرص استعادة العموم بها في حوائجها اليومية، حيث كان يهاد النار على العامة صعباً، فحفظوا مكاناً خاصاً لإشغالها ليس يهدر في خدمة الناس، ولئلا يعرض السفلة لإطاعتها فرضوا لها حريماً وفرضوا حرماً بدنت محضاً، بلا أن يكون ذلك قداسة أو عبادة. فلم يكن المحوس يوماً شامخاً أو يعبدون النار مع كانوا يأحدون بجانب حرمتها لفرص الخدمات العامة تسهلاً على الناس في مواعيدهم. وقد ظف هذه العادة مسخرة حتى الأيام التي لم بعد حاجة إلى ذلك. تليداً لسنة السلف محضاً

يقول الفردوسي في ذلك:

مگوئی که آتش پرستان بُدند      پرسنند میک پردان بُدند  
(الانقر إنهم عبدة النار)      إنما هم عبدة صالحون لله تعالى

٢- لا أساس للعقيدة الثنوية على مبدأ الوجود. وإنما هو أنه واحد (أهورا مزدا) هو خالق كل شيء، وبما أنه خير محض، فكل مخلوقاته خير مع كآب الشرود جعل «أهرمن» (الشیطان) الذي هو فاعل الشرور بسوئلاته، لأنه حالها. وقد صرح زردشت بأن ليس هناك إله هو خالق الشرور بل هناك مظهر للشرور سماء «أنكر» موبوش وتحويل إلى «أرومين» وأخيراً إلى «أهرمن»، هو الشيطان الرحيم ضد المسممين. دواقرين، ص ٢٥٧ - ٢٦٠

٣- مجوس، لفظة عبرية عربية معرب «موهوش» (موگوش - بالكاف الفارسية) أي «مغ» و «موبدان» يطلق على سدنة المعابد وبيوت النار عند المجوس. وراج استعماله على كل من اعتنق المحوسية

٤- كورش الكبير (دواقرين)، ص ٢٤٦-٢٥٤

٥- يعني الإله الحكيم. راجع تاريخ جامع أدیان، جان بیاس ترجمه علي صغر حکمت، ص ٤٥٦.

«يقول الملك داريوش «أهورا مزدا» هو الذي منحني بفضل الملك وعمرني بتوقيفه لإشادة ماضي العدل وسيادة الصلح ولأمن في كل البلاد وفي كل أصقاع الأرض. فيا أهورا مزدا أعني وأهلي وكن أهل لأرض لدين جعلتهم تحت سلطاني، لتكون في حمايتك وحراستك، رب كما دعوتك فاستجب لي دعائي»

وفي ثالثة

«أيها الإنسان، قول لك ما أمرني الإله «أهورا مزدا» كن على الصراط المستقيم ولا تعد عنه شيئاً، ولا تظن بأحد ظن سوء، ومن الأحرام والآثام فاحذر وكن على حذر»

يقول الأسناد آزاد: ولا تنس أن داريوش هو من بني أعمام كورش، وتسنم الحكم بعده بشعاني سنوات، ومن ثم فما يقوله داريوش، هو هي الحقيقة لسان حال سلفه كورش، وكل ما ذكره داريوش وتضرع إلى الله مبتهلاً أن توفيقه على القيام بمهام الأمور إنما هي بفضل ورحمته تعالى أهل لا يكون ذلك متصداً مع ما ذكره القرآن الكريم عن لسان ذي القرنين: «هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي!»<sup>١</sup>

وقد مرّ عديك منشور كورش بنش الأسرى اليهود وإعادة بناء الهيكل في أورشليم: «هكذا قال كورش ملك فارس جميع معالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا»<sup>٢</sup>

### هنا ملحوظة؟

إن كارثة الإسكندر المقدوني الفضيعة، والتي أصيبت بها إمبراطورية فارس ذاك العهد، هي عينها ككارثة بخت نصر العجيبة، والتي أصيبت بها القدس وحامعة اليهود في حينها. فقد أبادت وكسحت كل معالم الحضارة في المنطقة، ومزقتها شراً ممزقاً، فلم تبق

١- الكهف ١٨ ٩٨ وراجع: كورش الكبير (ذوالقرنين)، ص ٢٦٢-٢٦٣

٢- سفر عزرا - الأصحاح الأول

لها أثراً يذكر، ليس في المدينة محاسب بل وحتى وثائق الديانة السائدة هناك ذهبت أدراج الرياح

يقول الأستاذ آزاد في الحقيقة يجب أن لا تنسى الغزو الإسكندري، لم يكن ليبيد دولة الفرس وحدها، بل وشمل المقدّسات الدينيّة فمزّقها.. وفي رواية قديمة جاء: أن كتاب زردشت كان يحوي على إثني عشر ألف ورقة مكتوباً عليها بالذهب<sup>١</sup> وهذا وإن كان مبالغاً فيه، غير أن هذا الكتاب بهطله قد حترق حين هجم الإسكندر في صمن سائر الكتب والصحائف. على عرار ما أصيبت لتوراة بحملة بغت نصراً

ومن ثمّ عاملهم نبي الإسلام ﷺ معاملة أهل الكتاب، وقال «ستّوا بهم سنّه أهل الكتاب»<sup>٢</sup> وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «بني أعلم ما عليه المجوس، عندهم شريعة يعملون بها، وكتاب يؤمنون به فعاملوهم معاملة أهل الكتاب»<sup>٣</sup>



بقي هنا سؤال. كيف يُسَيَّر (جعل التوحيد على آلهة عبادة الوثن - كما عرفت في منشور بابل - لو كان كورش ذلك العبد الصالح (د العرّين) الذي يصمّه القرآن؟<sup>٤</sup> لكن يجب أن لا تنسى أن رجالاً لحكمة يرون الإنسان - على مختلف شعوبه - إنما يرنو بفطرته الذاتية إلى خالقه المتعالي، هدف ذلك الجمال الأولي، حتى ولو اختلفت التعابير وتنوّعت الأساليب.

عباراً ثانياً شتّى وحُسنك واحدٌ فكلُّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ وحتى الوثني إنما يهدف الزلفى إلى الله تعالى، وقد جعل الوثن رمزاً يهديه إلى ذلك

١ - جاءت هذه الرواية في «دين كُرت» كورش الكبير، ص ٢٦٤ وفي مروج الذهب، ج ١ ص ٢٢٩: أن هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب، فيه وعد ووعد وأمر وهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بها في هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر فأحرق بعض هذا الكتاب.

وهكذا ورد في كتاب النبي ﷺ إلى مشركي مِثْرَ بِشَارِ المِجُوس. راجع، الكامي، ج ٣ ص ٥٦٨، رقم ٤.

٢ - رواه البيهقي في السنن الكبرى، ج ٩، ص ١٨٩ - ١٩٠.

٣ - روى البيهقي مريباً منه، ج ٩، ص ١٨٨ - ١٨٩، وراجع، كتاب التخرّاج لأبي يوسف، ص ١٢٩.

المقصد الأعلى والمطلوب الأوفى، قالوا: «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلُومًا»<sup>١</sup> ومن ثم نرى كورش عند ما تتكلم مع بني جددنه وهي أوساط توحيدية حالصة، يذكر الإله تعالى ويصفه بأسى تمجيد: «آهور مزدا» يعني الخالق الحكيم، رب العالمين، رب السماوات والأرض ومدبرهما.<sup>٢</sup>

وهو عند ما يعلن بمشروعه العظيم بشأن إطلاق سراح بني إسرائيل والشعبنة لإعادة بناء القدس الشريف وإحياء معالم دين اليهود لمتروك، نراه يعبر عنه سبحانه بـ «يَهُوَه» على حدّ تعبير اليهود أنفسهم يريدون ذته المقدسة، خالق السماوات والأرض ومدبرهما.<sup>٣</sup>

وهو كذلك عندما يصف الإله المعالي بلسان البابليين، لكنه بصفه وصفاً لا يطق إلا على الله سبحانه، وإن كان التعبير منفرداً حسب مصطلح المنطقة فهو يعبر بـ «مردوك» - وفق تعبير أهل بابل - ولكن يصفه بمظمة ربّ، الأرباب وآله العالمين وهكذا عثر عنه بـ «بعل» بمعنى الربّ الأعلى والسيد المالك إله السماوات

وعد كان البابليّون يرون من «مردوك» ممثلاً للإله ربّ العالمين<sup>٤</sup> هذا، مضافاً إلى ما يراه المؤرّحون من أنّ هذا المنشور الملكي كان قد نظم بمعونة كبار الكهنة وعلى وفق آداب ومراسيمهم نديّة، والذي جاء تعقيباً على منشور سابق كتبه الكهنة أنفسهم ترحيباً بجاء الملك الفاتح، لبيل<sup>٥</sup> فلا غرو أن نجد فيه تعابير تتفق مع رسوم البابليين محصاً أمّا المعنى والمحتوى فمحتمل التأويل.



والسؤال الأخير، حتى ولو كانت الشوهد وفيرة على أنّ كورش هو ذو القرنين

٢ - تاريخ جامع أويان، ص ٤٥٦-٤٥٧.

١ - الزمر ٣٩: ٢

٣ - إيران باستان، كتاب ٢، كورش، لحسن بيريه ج ٢، ص ٤٠١.

٤ - واجع: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣، مادة بيل، وإيران باستان، ج ١، ص ١١٤ و ١١٩ و ج ٢، ص ٣٨٦-٣٨٧.

٥ - واجع إيران باستان، ج ٢، ص ٣٩١.

المذكور في القرآن، وأنه هو الذي بسى السدّ لحديدي العظيم فمثل هذا المشروع الجلل، والذي كان - على الفرض - من أكرم مفاخر الأسرة الهخامنشية ولا سيما كورش رأس السلسلة فلما لم يذكره المؤرخون، ولم يلهج به أساء الفرس المتعصّين على مفاخرهم في التاريخ، وهلاً ذكره كورش في مفاخره ضمن سائر مفاخره والذي هو أعظمها وأجلّها ولم لم يعرفه لعرب عنه ذلك وكسوا مولعين بذكر تاريخ الفرس ويطولانهم، ولا ننسى أنّ قصص الفرس كانت متشرة بين العرب، وكان لهم أنصار بينهم، وقد تأثروا بأدبهم ورواياتهم وقصصهم الشعبية.<sup>١٤</sup>

والإجابة على ذلك واضحة لمن سبر تاريخ ذلك العهد وما اعتورته من خطوب وأحداث كادت نكسح بكلّ آثاره وتدرّوه درو الريح العقيم إنّ ما حدث بعد عهد الهخامنشيين من هجمات الإسكندر المقدوني، العمياء، لم يدع شيئاً من معالم الحضارة قبلها إلّا طمسته وعملت في إمحائها عن صفحة الوجود، عملاً مستتراً طول أحقاب، بحيث أنست كلّ معالم التاريخ والثار المدنيّة العظيمة والتي شدتها الحكماء والبلاء من ذي قبل.

وفي العهد الساساني قامت حركة لإحياء التراث القديم، ولكن من غير جدوى وبعد عهد طويل، وإنّما هي مقتطفات من فناء الرمال وفيها الكثير من التحريف والنحوير، فهي بأن تكون صورة ممسوحة، أشبه منها أن تكون حقائق ناصعة تلك كانت مغتبة أجرام عام بها الإسكندر وأخلاقه (السلوكيون) حوالي قرن، ومن بعدهم (الأشكائيون) طيلة خمسة قرون، حتى جاء دور الساسانيين ليقوموا بإحياء التراث القديم من جديد

الأمر الذي جعل صفحة التاريخ حلوّ من ذكر تدكم الآثار العليقة والتي كان من حقّها الخلود مع الأبد

وحتى أنّ أبناء الفرس لم يكفد يعرف منهم شيئاً من جلائل آثار كورش وأعقابها،

فضلاً عن غيرهم من عرب الجزيرة.

وأما أن كورش نفسه، لم لم يذكر ضمن معاخره ساء ذلك السد العظيم، فالأمر أيضاً واضح، بعد أن علمنا أن بناء السد كان من أخريات أعماله الصالحة، والذي كان حثفه فيه ولم يمهله الأجل لتسجيله، كما سجل غيره من أعمال.

والعمدة في التدليل على عملية السد على يد كورش، ما ذكره الأستاذ خضر بهذا الشأن، قال:

«وقد رأينا خلال السرد التاريخي أن لقائنا المفولية كانت لا تتكامل حسن الانقضاخ على مناطق آسيا العربية خلال قرن السادس قبل الميلاد وكل صفحات التاريخ تذكر لنا أن ثمة توقف مفاجئ حدث في عملية مدق هذه لقائنا السدائية المتوحشة ونشير أصابع الدقة التاريخية نحو الحقبة التي ظهر فيها كورش الأحمسي أو الهامشي<sup>١</sup>

هذا بعد أن لم نعرف في التاريخ لديم ما يصلح تفسيراً نظيفاً للآية سوى ما عرفناه بشأن كورش العظيم. فلعلنا هو دو نغريش لدي جاء ذكره في القرآن - حيث الأكثر انطباقاً عليه - والله العالم بحقيقة الحال

### سد مأرب العظيم!

وحيث جرى الحديث عن سد دي القرنين، كان المناسب الحديث عن سد مأرب وقد اشتبه الأمر على بعضهم بحسبه هو المنسوب إلى دي القرنين

قال الحموي، هو بين ثلاثة جمال يصب ماء السيل إلى موضع واحد، وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة، فكان الأول قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص (الصاروج) فيجتمع فيه ماء عيون هلك، مع ما يفيض من مياه السيول، فيصير خلف السد كالمحر، فكانوا إذا أرادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم

بأبواب محكمة وحركات مهندسة، فيستقون حسب حاجتهم ثم يسدونه إذا أرادوا<sup>١</sup>  
ودكر البيروني (٣٦٢-٤٤٠) - في الآثار الباقية - أنه قيل هو شمر يرعش  
الحميري (وسمي بذلك لدؤ ثمن كانتا تنوس على عاتقيه، وقد بلغ مشارق الأرض  
ومغاريها وجاب شمالها وجنوبها ودوح البلاد وأخضع العباد وبه يفتخر أحد مفاول اليمن  
وهو أبو كرب أسعد بن عمرو الحميري في شعره الذي يقول فيه

قد كان دولقرين قبلي مسلماً      ملكاً على الأرض غير مُعَدِّد  
بلغ المشارق والمغارب يبتغي      أسباب مُلك من كريم سيّد  
لمرأى منيب الشمس وقت غروبها      في عين ذي حماء وثأط حمر مُد  
من قبله بلقيس كانت عمتي      حتى نفّض ملكها بالهدد<sup>٢</sup>

ورجع البيروني هذا القول ورآه أقرب لأقول بل، فإنّ الأذواء كانوا من اليمن، كذي  
المنار وذي الأدعار وذي الشناتر وذي بؤاس وذي جدن وذي يرس، وأخباره مع هذا تُشبه  
ما حكى عنه في القرآن...<sup>٣</sup>

وشمر يرعش هذا هو أول ملوك حمير من الطبقة الثانية، كانت مدّة ملكه  
(٢٧٥ - ٣٠٠ م)

وأُسعد أبوكرب هو سابع ملوكهم من نفس الطبقة (٣٨٥ - ٤٢٠ م)<sup>٤</sup>

ولعلّ الأمر اشتبه على البيروني، إذ لدى يفتخر به أسعد أبوكرب، هو ثاني ملوك  
حمير من هذه الطبقة، واسمه «الصعب» الملقب بذي القرنين عندهم وقد ملك سبأ وريدان  
وحضرموت (٣٠٠ - ٣٢٠ م) وبه فتحرت لعرب الأوائل في أشعارها وخطبها، منها  
خطبة قُسن بن ساعدة الأيادي<sup>٥</sup> المعروفة:

١ - معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥

٢ - في لفظ الآيات اختلاف مع ما سبق نقله، والصحيح ما أُتي به هناك

٣ - الآثار الباقية عن القرون الخالية تحقيق وتعليق برور أدكاني، ص ٤٧-٤٨، وراجع: البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٠٥

٤ - العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان، ص ١٤٢

٥ - خطيب جاهلي مات حدود (٦٠٠ م) كان يخطب به بعض في البلاغة وحسن اليبس يقال إنه كان من نصارى نجران،  
وكان يعظ قومه في سوق عكاظ



«يا معشر أياد! أين الصعب ذو القرنين، مَيْكَ الخافقين، وأدَلَّ الثَّقَلين، وعُمَرُ العَيْن،  
ثمَّ كان ذلك كالحظة عين»

وأنشد ابن هشام للأعشى

والصعب ذو القرنين أصبح ثارياً      بالحنو في حَدَث أميم مقيم

قوله بالحنو، يريد حنو قرق، لذي مات فيه ذو القرنين بالعراق<sup>١</sup>

وسببه أن تلك الآيات وهذه اللحظة من محتلاب الأواخر، وليس عليها صبغة  
جاهلية قديمة.

وأعرب منه ما ذكره المعجم في أحبار ملوك اليمن قال لقامات «ياسر بن نعم»  
(٢٥٠-٢٧٥م) آخر ملوك حمير من الطبقة الأولى، قام من بعده «شمير يرعش»  
(٢٧٥-٣٠٠م) - أول ملوكهم من الطبقة الثانية - فجمع حدوده وسار في (٥٠٠/٠٠٠)  
خمسائة ألف رجل حتى ورد العراق، فأعطاه «يشتاسف» (عامل ملوك الفرس على  
العراق) الطاعة فسار لا يصدّه شيء نحو بلاد الصّين، فلما صار بالصفد تحصّن أهلها  
بعدة «سمرقند» فاستنزلهم من غير أمان وقبل منهم مئة عقيقة وأمر بالمدنة فهُدِمت،  
وسميت شمركند، فعزّبتها العرب «سمرقند» وبكته مات هو وحووده في طريقهم إلى  
الصّين

فبقيت سمرقند خراباً إلى أن ملك «تيج لاقور» (ثالث ملوك حمير بعد شمير  
يرعش - على رواية حمزة الأصمّهاني) فسجّهر نحو الصّين، فورد العراق، فأعطاه «بهم  
بن اسنديار» الطاعة حتى وصل إلى سمرقند فوجدها خراباً فأمر بعمارته، وسار حتى  
أتى بلاداً واسعة فبنى «التبت»، ثم قصد الصّين فقتل وسى وأحرق، وعاد إلى اليمن  
مظفراً وعن الأصمعي، على باب سمرقند نقوش وكتابات بالحميرية تعيّن أبعاد البلاد  
عنها..<sup>٢</sup>

١- الروض الأثف للسيبي، ج ٢، ص ٥٩.

٢- أورده ياقوت في معجم البلدان بشأن مدينته سمرقند ج ٣، ص ٢٤٧-٢٤٨؛ وراجع العرب قبل الإسلام، ص ١٢٣ و

وهكذا ذكر ابن خلدون أنَّ سَمَرْقَنْدَ يَرِيش (٢٧٥-٣٠٠م) - سَمِّيَ بِذلك لِارتعاشِ  
كان به - ويُقال إنَّه وُطئ أرض العراق وفارس وخراسان واعتنق مذائها وخرب مدنه  
الصفد<sup>١</sup> وراء جيحون، فقالت لعجم «سَمَرْقَنْد» أي سمرخرب، وبني مدينة هناك باسمه  
وعزَّبه العرب فصار «سَمَرْقَنْد» ويُقال به لُدي قاتل «قُبَاد» ملك فارس وأسرهما وإنَّه  
الذي حَبَّر «الحيرة»<sup>٢</sup> وكان ملكه (١٦٠) سنة وذكر بعض الأخباريين أنَّه ملك بلاد الروم  
وأنَّه استعمل عليهم «ماهان قيصر» ذكر ذلك ولم يعلِّ شيئا<sup>٣</sup>

لكنَّه في المقدمة يأتي عليها ويدروها ذروا، ويجعلها أوهاما خرافية هي أشبه  
بقصص شعبية أساطيرية، يقول ومن الأخبار الواهية ما ينقلونه عن التبابعة ملوك اليمن  
وجريرة العرب، أنَّهم كانوا يغزون من مرهم بحوش حافلة إلى أقصى البلاد ويدوِّحون  
المعمورة كلَّها بحملات متتالية، وأنَّ دا، لإذعار من ملوكهم عرا المغرب ودوَّحه، وكذلك  
ياسر ابنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب، ونَّ تبع الآخر وهو أسعد أبوكرب، ملك  
الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأتحن ثم غراهم ثانية وثالثة، وأغرى بعد ذلك  
ثلاثة من بنيه بلاد فارس، وإلى بلاد الصفد من بلاد أمم الترك وراء النهر، وإلى بلاد الروم  
فملك الأوَّل البلاد إلى سمرقند ووطع المغازة إلى الصين فوجد أحماء الثاني قد سبَّه إليها.  
فأتحنها في بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنائم، وتركوا ببلاد الصين هائل من حمير، فهم

١ - صعد منطقة واسعة قصبتها سمرقند وهي مري مُصَّدة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى بخارى، من أزهى  
بلاد العالم وأجملها. قال الحموي: هي من أطيب أرض الله، كثير الأشجار غريرة الأنهار مسجوبة الأطياف. معجم  
البلدان، ج ٣، ص ٤٠٩

٢ - ولعلَّه والد أنوشيروان الملك الساساني، كانت مدَّة ملكه ٤٨٧-٥٣١م) وتوفي موثقاً في أمره عن عمر جاور الثمانين،  
كان قد غمر البلاد وأشدَّ كثيراً من المدن في حربه وفُوس الملك إلى به أنوشيروان بسلام. تاريخ إيران، ص  
٢٠٩-٢٠٥

٣ - مدينة كانت عامرة قرب الكوفة بالعراق، كانت مدَّة ملك الملوك الحميين (المبارزة) كان الدخميون عمَّال الفرس  
على أطراف العراق، كما كان الساسانيون عمَّال الروم على مشارف الشام، وكان أوَّل من حكم العراق آل تنوخ ومنهم  
جديعة الأيراني وصار الحكم بعده إلى بن أخته عمرو بن عدِّي وهو من آل مصر فرغ من لهم. ولذلك فإنَّ هذه الدولة  
تسمَّى دولة آل نصر، أو آل لهم، أو آل عمرو بن عدِّي. أو ملوك الحيرة أو البصرة - باعتبار حصة من ملوكهم سقوا  
بالمصدر، وآخرهم المنذر المعمر - وكانت البصرة قد تمصروا على مذهب الساسانية. كانت مدَّة ملكهم ٣٦٠ سنة  
(٢٦٨-٦٢٨م) وقصة ملكهم جميعاً الحيرة، على ثلاثة أميال من مكان الكوفة على ضفة الفرات الغربية في حدود  
البادية. وضع الآن في الجنوب الشرقي من النصف الأشرف ولم يكن للحيرة وملوكهم أيُّ صلة بملوك حمير اليمانيين.

٤ - ما يخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٢

العرب قبل الإسلام، ص ٢٢٦-٢٢٣

بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرّسها (هذهما ومحي أثرها نهائياً) ودوّخ بلاد الروم ورجع

قال وهذه الأخبار كلها بعيدة عن لصحة، عرفت في الوهم والعلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة ثم أخذ في التدليل على بطلانها بأساليب النقد النزيه.<sup>١</sup> وهكذا يقول الدكتور سيد سالم - هي حديثه عن تاريخ جاهلية العرب - «لا شك أن ما رواه العرب عن فتوحاته لا يعدو قصصاً خرافية والثابت أنه (تجّ الأكر - شعر يرعش) انتصر على ماطو من بلاد العرب لجنوبية وأنه تعلّب على قبائل تهامة التي كانت تسكن على ساحل البحر الأحمر.»<sup>٢</sup>

وهكذا يستبعد الدكتور «هو» تلك الأخبار عن ملوك التبابعة، بقول «معصر التبابعة عند العرب من أزهى العصور وأكثرها إثارة لخصالهم الحصب، إذ يرون القصص الخيالية والأساطير عن قوتهم وعظمتهم فينسحبون إليهم غزو أفريقيا والهند والصين وإخضاع فارس وبلاد ما وراء النهر ومصر والمغرب معاً دعا ابن خلدون إلى وصف هذه الروايات بالوهم والعلط.»<sup>٣</sup>



تلك أساطير بائدة أو شئت فقل قصص شعبية حاكها أوهام خيال هي أشبه بطيف أحلام

إن سبأ كانت هي أول أمرها إماره أو مشيخة صغيره تحكم ناحية صغيرة من اليمن، ثم أخذت تتسع حتى شملت اليمن كلّها وحصر موت وتهامة هذا فحسب ولم تتعدّ حدود اليمن في يوم من الأيام

كانت عاصمة سبأ مدينة مأرب حتى نهاية القرن الثالث للميلاد، ثم حلّت محلّها

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ١٢-١٤.

٢ - راجع كتابه «تاريخ العرب في عصر الجاهلية»، ص ١٤٠-١٥٣ ط ١٩٧١م. وكتابه الآخر «تاريخ العرب قبل الإسلام»، ص ٥٥ ودراسته في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١ ص ١١٤-١٢٧ فهي نفس الأبحاث مكررة في الكتب الثلاثة. (دوالقرين لمحمد حير رمضان، ص ١٨١، لهاشر)

٣ - تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور أحمد الرحيم هو، ص ١٣٢-١٣٣ راجع محمد حير رمضان، ص ١٨٢

مدينة ظفار. ولذلك أسباب سياسية واقتصادية ذكرها المؤرخون  
يقول حرجي زيدان أخبار السمر - على ما ترويه العرب - أكثرها مبالغ فيها،  
وبعضها أقرب إلى الحرافات منه إلى الحقائق. كعرو شمير يرعش المشرق فدوخ خراسان  
وهدم مدينة الصغد وبنى سمرقند. وأن أسعد أنوكرب غزا الصين والترك، وغير ذلك مما  
يخالف العقل فضلاً عن نصوص التاريخ العامة<sup>١</sup>  
وقد نبهنا أن الآيات المسبوبة إلى تتبع أو أسعد أبي كرب، تبدو محتلفة وأنها من  
صنع بعض أبناء اليمس بعد ظهور الإسلام، إذ ملامح الاقتباس من القرآن عليها لائحة  
والمنسوب إلى قس بن ساعدة، حرافة ملفعة لا يعترها شك!

### من الذي بنى سد مأرب؟

أما من الذي بنى سد مأرب، الذي حطمه سل لعزم، على ما جاء ذكره في القرآن  
الكريم؟

مأرب، وتسمى أيضاً «سبأ» هي أشهر مدن اليمس القديمة، وبلوح أن لفظها آرامي  
الأصل، مركب من «ماء» و«رأب» أي الماء الكثير أو السيل الكبير. ويؤخذ مما عثر عليه  
من أبقاصها أنها كانت مسديرة الشكل، قطرها نحو كيلومتر، يحدق بها سور مربع له بابان،  
أحدهما شرقي والآخر غربي. ويجانب باب الغربي، كتابة تفسيرها أنه من بناء بنعمر  
بين بن سمعلي بنوف مكرب سبأ وفي وسطها آثار هكل يسمى أهل تلك الناحية الآن:  
هكل سليمان

وكان السيل في وادي «أذنة» يجري في شرقيها، يسقي ما بين يديها وما حولها،  
فتصير كأنها في جنان وعباض، غير ما كن فيها من الأبنية الضخمة من الرخام

قال الطمجان يذكر مأرب.

أما ترى مأرباً ما كان أحصنه وما حواله من سور وبنيان

وقال علقمة يصف بناياتها:

ومنا الذي دانت له الأرض كلها بحارب يُبني بالرحام دياراً  
وبذلك جاء تصديق قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِنَبِيٍّ فِي مَشْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئْتَنِي عَنْ يَمِينٍ  
وَجِئْتَنِي مِنْ رِزْقِي رَغِيْبًا وَأَشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُوْرٌ...»  
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا الشَّيْرَ سَبْعَ لِيَالٍ  
وَأَنَامُوا سَوِيًّا...»<sup>١</sup>



أما السد، فقد كثر في بلاد اليمن بناء الأسداد، وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها  
في عرض الأودية لحجز السيول وخزن المياه ورفعها، لري الأرضين لمرتفعة، كما يفعل  
اليوم في بناء الخزانات. وإنما عمد السبأيون إلى بناء الأسداد، لقلة الأنهار ومجاري المياه  
في بلادهم (بل في الجزيرة كلها) مع رخصتهم في إحياء زراعتها، فلم يدعوا وادياً يمكن  
استثمار جانبيه بالماء إلا حجزوا سيله بسد، فمكثرت الأسداد بتكاثر الأودية التي تكثرت  
فيها السيول، حتى تجاوزت المئات وقد ذكر الهمداني في «يعصب العلوة» من مخالفين  
اليمن وحده ثمانين سداً، وكانوا يتون كل سد باسم خاص به  
وإلى ذلك أشار شاعرهم:

وبالبقعة الخضراء من أرض يعصب

ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً

وأشهر أسداد اليمن «العرم» وهو سد مأرب الشهير، هو أعظم أسداد بلاد العرب  
وأشهرها، وقد كثر ذكره في أخبار العرب وأشعارهم على سبيل العبرة، لما أصاب مأرب  
بانفجاره، وإليه أشار القرآن في سورة سبأ:

«فَاغْرُضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتِي ذَوَاتِ الْأَغْصَانِ الْفَاثِلِ

وَتَشِيءُ مِنْ بَيْتٍ قَلِيلٍ ..

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَدَهُمْ كُلٌّ مُتَرَقِّ بِرُءْيٍ ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ<sup>١</sup>

أما موضع هذا السد، ففي الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير، تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالي، وبين هذه الجبال أودية تصب في وادٍ كبير يعبر عنه العرب باسميزب، الشرقي، وهو أعظم أودية الشرق، تسمى له عن ميزاب «مور» أعظم أودية العرب المشبعة من جبل السراة المذكور

وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة تتجه في مصابها ومنحدراتها نحو الشرقي الشمالي، وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية «رداع العرش» و«ردمان» و«قرن» والحوال المشرفة على «سويق»، وهي ناحية «ذمار سد عس» جمعاً

فشعاب هذه المواضع وأوديتها، إذ أمطرت السماء تجمعت فيها السيول، وانحدرت حتى تنتهي أخيراً إلى وادي «أذنة» وهو يعلو نحو (١١٠٠ متر) عن سطح البحر، فمسير هذه المياه نحو الشرق الشمالي حتى تنتهي إلى مكان قبل مدينة مأرب ثلاث ساعات، هو مضيق بين جببين، يقال لكل منهما «بلو»،<sup>٢</sup> يعبر عن أحدهما بالأيمن وعن الآخر بالأسر، والمسافة بينهما (٦٠٠) ستمائة خطوة (أو ذراع) ويسمىها الهمداني «مأذمي مأرب» يجري السيل الأكبر بينهما من الغرب الجنوبي إلى الشرقي الشمالي في وادٍ هو وادي أذنة.

واليمن مثل سائر بلاد العرب، ليس فيها أنهر، وإنما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر، فإذا أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس، فيذهب معظمها ضياعاً في الرمال فإذا انقضى فصل المطر ظمئ لقوم وجفت أعراسهم، فكانوا إما في غريق أو حريق، وقتما يتمتعون حتى أيام السيول من استثمار البقاع المرتفعة (الهضبات) عن منحدرات الجبال وكان قد نفذ السيل حتى يسطو على

١ - سبأ ١٦، ١٧.

٢ - يقال يلق السيل الأعجاز تلقاً ويلوعاً جرفها. وقد كانت السيول جرفاً طرفي منفع الحيليين فسماً، التلغين

المدن والقرى، فينالهم من أدء أكثر ممّا يدلون من نفعه فساقتهم الحاجة إلى استنباط الحيلة في اختزان المياه ورفعها إلى مستوى نهضات ونوريه على قدر الحاجة فاختار السبائون المضيق بين جبلي «بلق» وبواقي عرصه سوداً عظماً عرف بسد مأرب أو سدّ العرم، لريّ ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول والنهضات

والجبلان المذكوران، بعد أن يتقاربا عند مضيق بلق، ينفرجان ويتسع الوادي بينهما، وعلى ثلاث ساعات منهما نحو الشمال شرقي من مدينته مأرب أو سدّ، هي الجانب الغربي أو الأيسر من وادي أدنة فهد حري السيل حادي بابها الشرقي، وبين المضيق والمدينة تتسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو (٣٠٠) ميل مربع، كات جرداء قاحلة، فصحت بعد نديير وإلحام المياه بالسدّ، عناصاً وبساتين على سمحي الجبلين، وهي المعبر عنها بالحسين بالشمال والبمين أو بالجنة اليمنى والجنة اليسرى، على ما جاءت الإشارة إليه في القرآن

والسدّ المشار إليه عبارة عن حائط ضخمة أقاموه في عرض الوادي، على نحو (١٥٠) ذراعاً نحو الشمال الشرقي من المضيق، سمّوه «العرم» وهو سدّ أصمّ طوله من الشرق إلى الغرب نحو (٨٠٠) ذراع، وعلوه بضعة عشر ذراعاً، وعرضه (١٥٠) ذراعاً، لا يزال ثلثه الغربي أو الأيمن باقياً إلى اليوم

ويظهر ممّا شاهدوه في جزئه الباقي أنّه مبنيّ من التراب والحجارة ينتهي أعلاه سطحين مائلين على زاوية منفرجة، كسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه

فالعرم يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض ويصدّه عن الحري، فتجتمع مياهه وترتفع ارتفاعاً عالياً في بري المرتفعات

وقد جعلوا طرفي السدّ عند الجبلين أبنية من حجاره صحمه متية، فيها منافذ ينصرف منها الماء إلى إحدى الجنتين أيمنى أو اليسرى.

فأنشأوا عند قاعدة الجبل الأيمن بناءً من شكل المحروط المقطوع، علو كل منهما

بضعة عشر ذراعاً، سمّوهما الصدفين، إحداهما قائم على الجبل نفسه، والآخر إلى يساره، وبينهما فرجة عريضها خمسة أذرع، وقاعدته لأبس منهما تعلو قاعدته الأيسر بثلاثة أذرع والأيسر مبني من حجارة منحوتة، بمتدّيه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤٠ ذراعاً ينتهي في العرم نفسه ويندغم فيه وعلو الجدران المذكور مثل علو الصدف ومثل علو العرم وفي جانب كل من الصدفين، عند وجهيهما المتقابلين، ميزاب يقابل ميزاباً في الصدف الآخر والميرانان مدرّجان، أي في دح كل منهما درجتان من حجارة كالسّلم، الدرجة فوق الأخرى ونظراً لشكل الصدفين المحروطين، ولما يقتضيه شكل الميزاب السّلمي، أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أقصر منها عند القمة

ويظهر من وضع المحروطين أو الصدفين على هذه الصورة، أن أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفاً يسيل منه الماء إلى سفح جبل بنى الأيمن فيسقي الحنة اليمنى وأنهم كانوا يقفلون المصروف بعوارض ضخمة من الحشب أو الحديد، تمرل في الميرانين عرصاً، وكل عارضة في درجة، فتكون العارضة السفلى أقصرها جميعاً، فوقها عارضة أطول منها فأطول إلى العليا وهي أطولها جميعاً والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تراكب فيه أو تسداخل، حتّى يتألف منها باب متين يسد المصروف سدّاً محكماً يمنع الماء مع الانصراف إلّا عند الحاجة.

فإذا بلغ الماء في علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا، فيجري الماء على ذلك العلو إلى سفح الجبل في قبة معدّة لذلك، وتقرّ أو أحواض لحزن الماء أو توزيعه في سفح ذلك الجبل فلا يزال الماء ينصرف حتّى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف، فمتى أرادوا ريّاً آخر نزعوا عارضة أخرى، وهكذا بالتدرّج وعلى قدر الحاجة وفي الطرف الأيسر من العرم - وهو العربي الذي ينتهي بالجنة اليسرى - كالحائط - دعونه السدّ الأيسر - عرضه عند قاعدته (١٥) ذراعاً، وطوله نحو (٢٠٠) ذراعاً، وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان أيمتان، أحدهما متّصل بالعرم نفسه والآخر بينه



وبين السدّ الأيسر، فيتكوّن من ذلك مصرف، مثل المصرف الأيمن، لكلّ منهما ميزابان مدرّجان متقابلان، تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لصرف الماء إلى لجنّة اليسرى، وينتهي العرم من هذه العري حائط منّحنيّ الشكل مبنيّ بحجارة منحوتة صلّة، لعلّه الذي وصفه الهمداني: العضاد

فكان السيل إذا جرى في وادي أدنى حتى تجاور المضيق بين حلي بلق، صدّه العرم عن الحري فيتعالى ويتحوّل جانب منه نحو اليسار إلى السدّ الأيسر، وإذا أرادوا ريّ الجنّة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين، الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا ريّ الجنّة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين بنفس الطريقة، فيجرى الماء في أقبنة وأحواض في سفح الجبل الأيسر حتى يأتي مأرب، لأنّها واقعة إلى اليسار من السدّ



وأما من هو الذي بنى السدّ (سدّ مأرب لعظيم) ومتى؟

فقد عثر المقبّون في أقباص سدّ مأرب على نقوش كتابية بالعرف المسند (الخط الحميري) استدلّوا بها على بانيه أهمّها نقوش، أحدهما على الصدف الأيمن الملاصق للجنّة اليمنى، تفسيره: «أنا بشعر بين بن سمة على نفوف مكرب سبأ، حرق جبل بلق وبنى مصرف رحب لتسهيل الرّي» والآخر على الصدف الآخر، تفسيره «أنا سمة على نفوف مكرب سبأ اخترق بلق وبنى رحب لتسهيل الرّي»

«سمه على» هذا هو والد «يشعر» المذكور، وكلّ منهما بنى صدفاً أو حائطاً، وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد. فهما مؤسّساء، ولم يتمكّن من إتمامه، فأنّته خلفاؤهما، وبنى كلّ منهما جزءاً ونقش اسمه عليه فعلى المخروط أو الصدف في اليسار نقش قرأوا منه: «كرب إيل بين بن شعر مكرب سبأ بنى»، وعلى جزء آخر من السدّ اسم «دَمَر على ذَرَح ملك سبأ»، وفي محلّ آخر اسم «يَدَع إيل وتار»، وعلى السدّ الأيسر مما يلي الجنّة اليسرى عدّة نقوش يمثل هذا المعنى ممّا يدلّ على أن هذا السدّ لم يستأثر

بينائه ملك واحد. تلك هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة في كل زمان.<sup>١</sup>  
ويجدر بالذكر أن نعلم أن اسم «شمر برعش» قد حلق على صخر عثر عليه في  
أنقاض مدينة مأرب، وليس في أنقاض السد. ويرجع تاريخه إلى سنة (٢٧٠) بعد  
الميلاد<sup>٢</sup>

ومن ثم فنوجه عتابنا للاذع إلى الأستاذ أحمد موسى سالم، في ذهابه إلى الرأي  
القاتل بأن ذا القرنين - المذكور في القرآن والمُسمَّى بساء سد بأجوج وماجوج - هو الملك  
لحميري «شمر برعش»<sup>٣</sup> بدافع عصبية عنصرية وليحتكر كل شخصية عظيمة  
لقوميه العربية حتى ولو خالف الواقع وعارضه التاريخ

فقد غضب الأستاذ (سالم) لأنهم قالوا بأنه (ذا القرنين) فارسي أو يوناني أو رومي،  
وليس عربياً وأعمص عينه عن كل شيء سوى الميل بكونه عربياً من اليمن إن هذا إلا  
تعصب مقبى يتنافى وعصرنا الحاضر، الذي تهدى فيه كل شيء، ولم يبق جانب إيهام  
على قضايا التاريخ القديم كما كانت قبل أيوه

كيف يرصى أستاذ يعيش في عصر لور، أن يجعل نفسه في غطاء التعامي عن كل  
مقومات التحقيق المعاصر، والتي دللتنا على أن ساء اسد - أي سد كان السد الحد يدي في  
جبال فوقاز أو سور الصين أو سد مأرب - لذي يرجع تاريخه إلى قرون قبل الميلاد  
ليجعله من بناء ملك عاش بعد الميلاد بقرون<sup>٤</sup>

فقد صحَّ قولهم: «حت الشيء يُعْمى ويُصَم»<sup>٥</sup>، والعصمة لله

١ - راجع العرب قبل الإسلام بهرجي زيدان، ص ١٦٢-١٦٣ و ١٦٩-١٧٦.

٢ - راجع تاريخ العرب للدكتور السيد سالم، ص ٥٤. (دواقرين) لمحمد حير رمضان، ص ١٨١.

٣ - راجع كتابه «قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح» ص ٢٢-٢٢١، ط ١٩٧٨م. (دواقرين) لمحمد  
حير رمضان، ص ٢٢٣.

٤ - كان بناء سد مأرب حسب الكتابات المنقوشة في أنقاضه ما يرجع تاريخه إلى (٦٤٠-٦١٠ ق.م)، ومعنى ذلك أنه كان  
قبل «شمر برعش» بحوالي (٩١٥) سنة.

وهل «شبع الأكبر» بحوالي (٩٦٠) سنة

وهل «الملك الصعب» - ذي القرنين - بحوالي ٩٤٠ سنة

ومنه يتضح عدم مشاكدة أي واحد من الملوك الثلاثة في بناء سد مأرب معدهم جغرافية، ص ٢١٥.

## سور الصين الكبير

تجمع «تشن شبه هوانغ» (Chin Chih Huang) سنة ٢٢١ ق.م لأول مرة في التاريخ في جمع شمال الولايات والإمارات لصبيته، وبذلك تجتمع لديه كل أسباب القوة البشرية والاقتصادية، فشرع في بناء سور الصين العظيم، وخصص لذلك آلاف المهندسين ومئات الألوف من العمال لاحت لأحجاره<sup>١</sup> وستمز البناء<sup>٢</sup> حتى تم سد الحدود الشمالية بين الصين ومعربا، حيث كنت نعش لقائل الهمجة الدائمة الإغارة على سهل الصين.

ويصل هذا السور من مياه البحر لأصغر (جزء من بحر الصين) حتى سلاسل جبال (تاين تاغ) وبلغ طوله (١٥٠٠) ميل، حوالي (٢٤٠٠ كم)<sup>٣</sup> في خط ممتد من الساحل المواجه لشبه جزيرة «لياو تويج» حتى «تشياو كون» آخر الحصون في وسط آسيا، عبر أقاليم «هوبي، وشانسي، وشنسي، وكاسو» كمساره يتلوّى ويلفّ تاعاً سلاسل الجبال - قممها وحوافها - ومسحوراً خلال الوديان العميقة، معطياً أكثر من (٣٢٠٠ كم)، ويتراوح ارتفاع السور في الجزء الشرقي منه بين (٥ أمتار) و(٣ أمتار)، وعرضه من (٨ أمتار) عند القاعدة إلى (٥ أمتار) عند القمة، حيث يوجد رصيف واسع يسمح بمرور ستة فرسان جباً إلى جنب، تحميهم متاريس محصنة وعند بناء السور كان له (٢٥٠٠٠) برج<sup>٤</sup> تبلغ مساحة كل منها خمسة أمتار مربعة، وارتفاعه (١٣ متراً)، وتبرر هذه الأبراج قائمة حتى اليوم

١ - يقال: استخدم الملك لإيجار هذا المشروع كل إنسان كانت له صلاحية العمل فمن كل ثلاث غرات من الصين اطرط للعمل منهم واحد، ولم يقتصر على الأفراد العديدين بل وحس الكتاب وأصحاب المهن، قاموا بقطع الأحجار وسحبها وما إلى ذلك، مرهنگ عميد، قسم الأعلام، ص ٥٥٢.

٢ - يقال: استغرق إيجار المشروع حوالي (١٨) عاماً المصدر: ص ٥٥٣.

٣ - في الموسوعة الأثرية العالمية بإشراف «ليونارد كوريل» تأليف (٤٨) عالماً أنشأ ترجمة الدكتور محمد عبدالقادر محمد، الدكتور ركي اسكندر مراجعة الدكتور عبدالمعصم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، وأصبح طوله النهائي

١٤٠ ميل حوالي ٢٢٥٠ كم، راجع جوائيز محمد خير رمضان، ص ٣٤٩، الهامش.

٤ - كان بعض كل برج من آخر (١٦٠٠) متر، وكان الجتود الذين يحرسون السور في تلك الأبراج يبلغ عددهم (١٠٠ / ٩٠٠) جندياً مرهنگ عميد، قسم الأعلام، ص ٥٥٣.

ويشتمل على عدد من لبواب الصخمة في ماطق متباعدة يقوم على حراستها جنود أشداء.

أما خارج السور فثمة العديد من بُرج المرافه فوق قمم التلال أو على المضائق وهذه مع أبراج السور كانت تستخدم للإمداد بالدخان أو الرايات نهاراً، وبالنيران ليلاً وهكذا يمكن الإبلاغ عن اقتراب العزة في حال، فتُرسل التعزيزات لأي جسر على الحدود.

التركيب المعماري للسور يتكوّن قلب لسور من التراب والحجر، تغطيه واجهة من الطوب (الأحمر)، وكل ذلك قد أقيم على أساس من الحجر<sup>١</sup>.

وفي المواضع التي تمر فوق التلال، حُفِر خندقان متوازيان أو نحتا في الصخر، بينهما (٨ أمتار)، وقد وضعت في الخندق كس صخمة من الجرانيت،<sup>٢</sup> يصل ارتفاعها إلى عدة أمتار، وعلى كل من الجانبين بنيت حوائط من الطوب الأحمر يصل طولها إلى أقل من المتر قليلاً، عموديه على واجهة السور، وقد ارتبط الطوب مع بعضه بملاط أبيض (لعله الصاروج) بلغ من الصلابه بحيث لا يمكن لأي مسمار أن ينفذ فيه.

وكانت المسافة بين حائطي الطوب سلاً بالتراب الذي يدك جيداً، وليس فرش بالرصيف من الأحجار، ممراً للجنود الفرسان.

وفي شمال «بكر» يتبع السور قمم جبال<sup>٣</sup> بالغة الانحدار، والتي لا يمكن حنى للعداء أن تتسلقها ويبدأ في الغرب في «شيسي وكاسو» غالباً ما يتبع السور أسهل الدروب.

وقد بني من الرواسب الطميّة أو التربة الصفراء، تعطى طبقة رقيقة من الطوب أو الحجر.

١ - بناء السور تتألف من جدارين باربعين متره واحصل (٨ أمتار) على امتداد السور وقد حشي بينهما بالتراب، ليكون السطح الأعلى رصيفاً في خمسة أمتار وعلى طرفي الرصيف حائطان بارتفاع متر ونصف، ليكون مجموع ارتفاع الجدار سبعة أمتار ونصف المصدر ص ٥٥٢.

٢ - الجرانيت: حجر صلب ذو ألوان مختلفة، يتخذ منه القمذ والأساطين.

٣ - بارتفاع (١٦٠٠) متر.

والسور القائم اليوم يرجع عهده كنه تقريباً إلى أسرة «مينج»، لكن الكثير من أساساته يبلغ عمرها أكثر من ألفي عام<sup>١</sup> والنخط الطويل من الطوب الرمادي يعود إلى تاريخ الصين القديم، إذ يفصل بين طريقتي للحياة ويحول بين الحياة البدوية وبين الفلاحين المسالمين

وبذلك يمثل حائطاً شاهقاً من انحصارة ونظوب والطين، من الشرق (حيث البحر) إلى الغرب (حيث جبال تاي تاغ)، وبذلك يحكم حصر صحراء «جوي» تماماً في الشمال وعزلها عن سهول الصين الخصبة الكثيرة الأمطار والأنهار والخيرات والمظيمة النحضر شعبها العريق، من فخر التاريخ، منذ (١٠٠٠) أربعة آلاف سنة!

ولم يقتصر اهتمام الإمبراطور «تشين شيه هوا» على حماية بلاده من ضائل المغول الهمج في صحراء منغوليا (جوي) وتوفير الأمن للبلاد بل تعداها إلى سنّ قوانين وتشريعات جديدة لتوحيد نظم الحكم وإنقضاء على الإقطاع

وبذلك تبيّن أنّ هذا السور العظيم، ليس بذلك السد المنيع الذي بناه ذو القرنين، جسماً جاء في القرآن، هذا مبني من الحجر والطوب ولصاروح، وذاك مبني من زبر الحديد المفرغ عليها صهير الحاس.<sup>٢</sup>

ويقول «ول ديورانت» في وصفه عن هذا السور العظيم: «إنّ «شي هونج - دي» لما بلغ الخامسة والعشرين بدأ يفتح البلاد ويصمّ الدويلات التي كانت الصين منقسمة إليها من زمن بعيد، فاستولى على دولة «هان» في عام (٢٢٠) ق م، وعلى «چو» في عام (٢٢٨) وعلى «ويه» في عام (٢٢٥)، وعلى «تشو» في عام (٢٢٣)، وعلى «ين» في عام (٢٢٢) واستولى أخيراً على دولة «تشي» المهمة في عام (٢٢١)، وبهذا خصعت الصين لحكم رجل واحد، لأول مرة، منذ فرون طول، وأولئك كان لأول مرة في لتاريخ كله ولقب الفاتح نفسه باسم «شي هونج - دي»، ثم وجه همه إلى وضع دستور ثابت دائم

١ - بني السور بعد سنة ٢٢١ ق-م على يد «تشين شيه هوا» الذي قام بإعادة الأمن إلى بلاده منذ تلك السنة.

٢ - راجع، معاهيم جغرافية، ص ١٢٨-١٢٣، ودواقرين لمحمد خير رمضان، ص ٣٤٩-٣٥١

لا إمبراطوريته الجديدة

وكان الرجل قوي الشكيمة، عيذاً لا يحول عن رأيه، وكان عقد العزم على أن يوحد بلاده بالدم والحديد

ولما أن وحد بلاد الصين وجلس على عرشها، كان أول عمل قام به أن حمى بلاده من الهمج لبرابرة لمجاورين لحدودها شمالية، وذلك بأن أتم الأسوار التي كانت مقامة من قبل عند حدودها، ووصلها كلها بعضاً بعض وقد وجد في أعدائه المقيمين في داخل البلاد مورداً سهلاً يستمد منه حاجته من القمّال لتشييد هذا البناء العظيم الذي يُعدّ رمزاً لمحد الصين ودليلاً على عظم صبرها وهو ضخّم بناء أقامه الإنسان في جميع عصور التاريخ ويقول عنه «ولنير» إن أهرام مصر قد يسب إليه لم تكن إلا كتلاً حجرية من عبت الصبيان لاتفع فيها»<sup>١</sup>.

إذن فمن عريب الأمر ما ذهب إليه بعضهم من أن هذا السور هو السدّ الذي بناه

ذوالقرنين

قال لأساد محمد خير ومصار يوسف ما كنت أظن أن الخطأ في التحقيق يصل بالبعض إلى هذا الحدّ فقد خلط بين السدّ والسور، رغم أنه معروف الفارق الكبير بينهما، من حيث الطول أو الهيئة أو المكان!

فيذكر الأساذ الطنّاخ أنه لا ينافي أن يكون السدّ (سور الصين) من آثار دي القرنين، لأنّ البّنائين إنّما هم صينيّون، وهو مفتضى قوله تعالى «فأعهموي بقوّة» أي بقوّة قوّلة أو بما اتقوى به من الآلات وهذا لا ينافي أيضاً أن ينسب بناؤه إلى ملك الصين الذي كان في ذلك الزم، حيث إنه كان يطلب منه وعمل على مرأى منه، إلا أنه لما كان ضعيفاً لا يتمكّن من عمله بنفسه ورعيته، وكان عدوّه قوياً ليس في الوسع مقاومته وردّ غارته، استنجد بذي القرنين، لقا وصل إليه دُفْع دي القرنين من الجنود مالا قبل لأحد بها، فاضطرّ المغوليّون إلى السكوت وعدم لممانعة، فتمكّن الصينيون بمعونة ذي القرنين

من القيام بعمل هذا السد الهائل<sup>١</sup>.

وأغرب منه ما كتبه الأستاذ محمد جميل بيهم مقالاً - في مجلة الإحياء التي كانت تصدر في طهران في عدد (٣٢) من لسنة ثلثه في ١/ح/٢١٣٨٢هـ - تشرين الأول سنة ١٩٦٢م - ردّاً على مقال الأستاذ أبو الكلام آرد، الذي نشر في نفس المجلة - أول آب سنة ١٩٦٢م -!

قال صاحب المقال (محمد جميل بيهم) كنت كتبت مقالاً شره مجلة العرفان في أيار سنة ١٩٥٥م برهنت فيه على أنّ السور نصيبي الكبير إنما هو سدّ يأجوج ومأجوج الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وحاك بعض صون حوله الحرافات والخرعلات ولما أتبع لي الوصول إلى الصين، وزرت هذا السور، ارددت وثوقاً بما ذهبت إليه في ذلك المقال، خصوصاً وإنّي رأيت بأّم عسي الصدين<sup>٢</sup>، أي رُسي الجبلين المتقابلين الدبس ساوى بينهما ذوانفريين. ورأيت أيضاً ربر الحديد في الأنقاض،<sup>٣</sup> حيث تقوم عتال الحكومة - اليوم - بترميم البناء...<sup>٤</sup>

يقول الأستاذ محمد خير رمضان تعقيباً عليه وأنا لا أزيد أن أقول إنّ هذا من أعجب ما قرأت في معالطة التحقيق<sup>٥</sup> في الله ولا وهام<sup>٦</sup>

### لمحة عن الإسكندر المقدوني!

ولعلك تتساءل ما هو السبب في شوع لقول بأنّ دوا القرنين المذكور في القرآن، هو الإسكندر المقدوني (اليوناني)، وقد شاع وصف سدّ ذي القرنين بالسدّ الاسكندري؟! قد تكرر آراء من يرى - من المفسرين وبعض أهل التاريخ - أنّه الإسكندر في عدة مراجع

١ - راجع ما كتبه بهذا الشأن في كتابه «دوا القرنين» ص ٥٥ (محمد خير رمضان، ص ٣٤٧).

٢ - ومن ربر الحديد التي شاهدت هناك كانت بقايا من معاول ومناحي العمال الذين كانوا يشتغلون في الحفر من الأنقاض، صحبها من بقايا الردم؟!.

٣ - انظر كتاب «أعاليق المؤرخين» للدكتور أبو اليسر عابد بن، ص ٣١٧، دمشق ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

٤ - دوا القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، ص ٣٤٩.

وأول من وجدناه ذكر ذلك من أهل التاريخ، هو أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في كتابه «الأخبار الطوال» ذكر فتوحاته في الهند والصين، وكرّر راجعاً إلى بلاد ياجوج ومأجوج، وبناءه السد، حيث قصّ الله خبرهم في القرآن<sup>١</sup> وبعده العلامة المؤرخ الجغرافي أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ) في كتابه «التبيين والإشراف» قال فيه: وأخبار الإسكندر وسيره ومسيره فسي مشارق الأرض ومعاربها وما وطئ من ممالك ونقى من ملوك وبنى المدائن ورأى من العجائب، وأخبار الردم..<sup>٢</sup>

ومن المفسرين الكبار الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير، استناداً إلى أن إنساناً هذا شأنه، قد ملك المشرق والمغرب وطاف البلاد، لا بد أن يبقى ذكره خالداً غير مضموس ولا مغمور، ولا أحد من ملوك عالم - فيما سجله التاريخ - يعرف بهذا الوصف سوى الإسكندر اليوناني.

ثم يعترض على هذا الرأي بأن الإسكندر هذا كان تلميذ أرسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه، فعظم الله إياه بوجوب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حقّ وصدق وذلك ممّا لا سبيل إليه قال وهو يشكك قوي<sup>٣</sup>

وتبعه على ذلك المتأثرون بتفسيره، منهم نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في تفسيره «عرب القرآن» قال فيه: وأصحّ الأقوال أن دا القرنين هو الإسكندر بن فيلقوس - ولكنه وصفه بالرومي، خطأً واستدل بما استدله به الرازي. وأجاب عن الإشكال بأن ليس كل ما ذهب إليه الفلاسفة باطلاً، فلعله أخذ منهم ما صفاً وترك ما كدر<sup>٤</sup>

وعلاّمة بغداد أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) في

١ - الأخبار الطوال، ص ٣٧

٢ - التبيين والإشراف، ص ١٠٠ (ط دار الصاوي، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

٣ - التفسير الكبير، ج ٢١ ص ١٦٣-١٦٥

٤ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، هامش جامع البيان ج ١٦، ص ١٨



تفسيره «روح المعاني» يرد الأقوال بشأن شخصية دي لقرنين، وينتهي أخيراً بأنه الإسكندر المقدوني - الموصوف تارةً باليوني وأخرى بالرومي - يقول: وكأني بك بعد الاطلاع على الأقوال، ومالها وما عليها، تختار أنه إسكندر بن فليقوس الذي غلب «درا» ملك فارس وأنه كان مؤملاً لم يركب مكفراً من عقد أو قول أو فعل أما تلمذته على أرسطو فلا تمنع من ذلك، فقد تتلمذ الأشعري على المعتزلة، كما خالف أرسطو أستاذه أفلاطون في كثير من المسائل هذا وقد ذكر لبيدوف صدر الدين الشيرازي أن أرسطو كان حكيماً عابداً موحداً قائلاً بحدوث انعام ودنوره<sup>١</sup>

وسبقهم إلى ذلك أصحاب التفسير بالمأثور

حاء في تفسير مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠) «وَسَأَلُوكَ عَنْ دِي الْقَرْنَيْنِ»<sup>٢</sup> يعني الإسكندر فيصراً ويسمى الملك الفارس على قاف، وهو جبل محيط بالعالم ودوالقرنين، لأنه أتى قرني الشمس المشرقي والمغرب<sup>٣</sup>.

وهي تفسير أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠) «كَانَ شَابِئاً مِنَ الرُّومِ، فَجَاءَ وَبَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَدَرِيَّةِ»<sup>٤</sup>

وهي تفسير الماوردي أبي الحسن علي بن محمد المصري (ت ٤٥٠) «قال معاذ بن جبل كان رومياً اسمه الإسكندروس قال ابن هشام، هو الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية»<sup>٥</sup>.

وأخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن قتاده الإسكندر هو ذو القرنين وعن وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلاً من الروم وكان اسمه الإسكندر وإنما سمي ذا القرنين، لأنّ صمحتي رأسه كانتا من نحس!

وأخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن السدي والحسن كان أنف الإسكندر ثلاثة أذرع. وعن عبيد بن يعلى كان له قرص صغيران تو ريهما العمامة!<sup>٦</sup>

٢ - بكف ١٨ ٨٣

١ - روح المعاني، ج ١٦ ص ٢٨

٤ - جامع البيان، ج ١٦ ص ٧

٣ - تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٥٩٩

٦ - التبرك المشهور، ج ٥، ص ٤٢٨-٤٣٩

٥ - تفسير الماوردي (الكوكب والعيون)، ج ٢، ص ٣٣٧

وللحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) هنا محاولة غريبة: <sup>١</sup> عمد إلى الجمع بين الروايات المختلفة بشأن الإسكندر، وأنه شخصان، هو في أحدهما رومي، وفي الآخر يوناني مقدوني

أخرج بإسناده إلى إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشير عن قتادة، قال: إسكندر هو ذوالقريس، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح

فأما ذوالقرنين الثاني فهو إسكندر بن فيلبس من ذرية إسحاق، قال: كذا نسبه ابن صاكر في تاريخه، المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية، وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة. وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

قال: وإنما تبهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك في خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير!

فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً وكان وزيره الخضر، وقد كان نبياً على ما قرّرناه قبل... وزاد في التفسير: أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل وأول ما بناء وآمن به وأتبعه.

وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا، لا يتويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور! <sup>٢</sup> ولعلك أيها القارئ النبیه، في غنى عن التدليل على مواضع الضعف من هذه الأوهام والتي هي أشبه بالخيال من الحقيقة! فإن الناقض والتهاافت فيما تلوناه عليك بادٍ بعيان من غير حاجة إلى البيان.

وللدكتور عبدالعليم عبدالرحمان خضر تفصيل وبيّين عن مواضع الإسكندر

١ - على غرار ما سبق عن رميله ابن قتيب ابن الجعفي (ت ٧٥١هـ)، هما رضيعاً ثدي واحد (تلميذا ابن تيمية، وكان هائماً في تحيلاته، وهكذا أثر على اعتقاده واتباعه!

٢ - البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٠٥-١٠٦، وراجع قصيره أيضاً، ج ٣، ص ١٠٠.

المقدوني، والتي لا تدع محالاً لاحتمال كونه ذا القريش لمذكور في القرآن، ولا احتمال أن يكون هناك إسكندران روميّ ويونانيّ - كما حسبه البعض - لأن القضية تعود إلى وثائق التاريخ وليس هناك عيب في الكلام.<sup>١</sup>

ومن المعاصرين، ذهب الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٢هـ) إلى أن ذا القريش الذي جاء ذكره في القرآن، هو الإسكندر الكبير المقدوني<sup>٢</sup> يقول اتفق المحققون على أن اسمه «د قريش» الإسكندر الأكبر ابن فيليبس باتي الإسكدرية بسعمانة وأربعة وخمسين سنة (٩٥٤) قبل الهجرة، وثلاثمائة واثنتين وثلاثين (٣٣٢) سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

ورد على ابن النسيم الحورثي في رعه أنه سبق هذا الإسكندر معروف كثيرة قال ابن قيم - في كتابه «إغاثته للبعض» في الكلام على الفلاسفة - ومن ملوكهم الإسكندر المقدوني وهو ابن فيليبس، وليس بالإسكندر ذي القريش الذي قص الله تعالى نبأه في القرآن، بل بينهما قرون كثيرة، وبينهما في الدين أعظم تباين عدو القريش - في القرآن - كان رجلاً صالحاً موحداً لله تعالى، يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكان يعزو عبادة الأصنام وينفع مشاوي الأرض ومعاربها، وبني السد بين الناس وبين بأسوح ومأحوج وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمئة سنة (١١) والصاري يؤرجح له وكان أرسطاطاليس وزيره وكان مشركاً يعبد الأصنام

وهنا يأتي القاسمي ليرد عليه قائلاً: «مرجعهم أئمة التاريخ، وقد أطلقوا على أنه (أي ذي القرنين) هو الإسكندر الأكبر بن فيليبس ناسي الإسكندرية وقد أصبح ذلك من الأوليات عند علماء الجغرافيا

وأما ما جاء في وصفه في القرآن، فعدته لحصال حسا لا تمسّ جانب عبادته

١ - راجع ما كتبه بهذا الشأن، في كتابه القيم «مفاهيم جديدة من القصص القرآني»، ص ٥ - ١٣٠ فإنه جيد دقيق.

٢ - تفسير القاسمي، ج ٥، ص ٥٤.

٣ - لقد اشتبه الأمر عليه كثير إذ الإسكندر المقدوني كان قبل المسيح بثلاثمائة وثلاث وثلاثين سنة نعم ذكروا أن الفصل الزمني بين ذي القريش الذي جاء ذكره في القرآن والذي ذكر على عهد إبراهيم الخليل - حسبنا - عموا - هو نحو هذا العدد (٦٠٠ سنة)!

للأوثان. بل لعلمه من المحتمل أنه حالف شعبه وتبع أستاذه في التوحيد، كما قيل<sup>١</sup> وهكذا ذكر الأستاذ محمد فريد وحدي لا يباقي أن يكون المقصود بذى القربين هو الإسكندر المقدوني، على ما كان فيه من تشدود في بعض الأمور<sup>٢</sup> هذا وإننا لنستعرب صدور مثل هذا الكلام من مثل لقاسمي والوجددي وقد عاشا القرن العشرين ودرسنا أساليب النقد التاريخي الصحيح، وعرفنا من الإسكندر المقدوني ذلك الطاعية الذي عاش حياته القصيرة في ثرى والرهو وقد بطرته النعمة وأطعمه العظمة، فعلا في لأرض واستكبر وأفسد فيها، وأهلك الحرث والنسل وحاول إبادة الحضارات والثقافات وأصول الديانات وأحرق المكتبات، وأهمك على اللذات واللهو العارم، فأشأ لنفسه سرايا على نسق ملو<sup>٣</sup> لشرق المطربين، وأحاط نفسه بالتدما وأهل الخلاعة، وتعلعل في ماهايا العلو، حتى ادعى أنه هو وحده يرجع إليه الفصل في تلك الفتوحات ثم تفر حتى ادعى أنه ابن الإله «جوة» ودعا إلى عبادته<sup>٤</sup>

### تسع آيات إلى فرعون وقومه

وهناك من أصعب الفكر الإسلامي الحديث - حسب مصطلحهم - من يستنكر على القائل بأن تلك الآيات حوادث واقعة، وبراها فصصاً شعبية تسلمها الحصوم فاستغلها القرآن جذلاً بالتتي هي أحسن!

يقول الأستاذ خديل عبدالكريم - ردأ على الأستاذ محمد أحمد خلف الله، مذهب في إصفاء الصفة التاريخية على هذه الأحداث - أما، والأعر من ذلك فإنه (الأستاذ خلف الله) يعتبر حكاية موسى وفرعون، وخروج بني إسرائيل من مصر، وضرب ملأ فرعون بالجراد والقمل والصفادع والدم، وبعدي موسى للسحرة، وانقلاب العصي إلى حية أو

١ - تفسير القاسمي، ج ٥، ص ٥٨. ٢ - دأره مدارى القرن العشرين، ج ١، ص ٢٢٥

٣ - راجع البحر الراخر، في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر لمحمود فهمي المسندس، ج ٢، ص ١٣٦-١٣٧ و ١٥٠-١٥١ (محمد خير رمضان، ص ١٤٦-١٤٧)

٤ - النمل ٨٧، الإسراء ١٧-١٠، ولقد تبا موسى تشع ايت يكت، فأنشأ بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له مؤعون: بئي لأظنك يا موسى مشهوراً. راجع قصص الأنبياء، للأستاذ النجار، ص ١٩٧-١٩٨

ثعبان أو جانن نقول إنه يعتبر كل هذه بحكايا تاريخاً، مع أنه لا يوجد في العالم بلدٌ حرص على تدوين تاريخه كتابةً كمصر، وليس في التاريخ المصري شيء من هذا، ومع ذلك فقد عذّبها المؤلف قصصاً تاريخياً...<sup>١</sup>

لما أخذت فرعون العزّة بالإثم وعنت عن أمر الله تعالى وتعالى في تكذيب موسى وهارون، واستمرّ في إعبات بني إسرائيل وإيقاع ضروب لإدلال والإهانة بهم، أمر الله تعالى موسى أن يعلن فرعون وقومه بوعود لعذاب بهم فكانوا كنّما وقع بهم عذاب بعد إنباء موسى إياهم به وعدوه بالإيمان تارة وإرسال بني إسرائيل أخرى إن كشف الله عنهم العذاب وكنّما كشف الله عنهم عادوا إلى طغيانهم وعدروا بعهدهم وخاسوا بوعدهم، وهكذا إلى أن وقعت الآية الكبرى والبطشه العظمى، وهي إغراق فرعون في اليمّ وبخاة بني إسرائيل والآيات - حسبما ذكره المفسرون - هي

- ١ - لجذب «أخذناهم بالسنين» بأن قلّ عنهم ماء النيل وقصر عن إرواء أراضيهم
- ٢ - النقص من الثمرات بسبب ما أتى عليهم من الحوانح والعاهات
- ٣ - الطوفان، قبل بطيخار النيل حتى دخل بيوتهم ومساكنهم فحرّبها، وقاض على مزارعهم فأفسدها في وقت كان الزرع فيها نامياً
- ٤ - الجراد، بأن هجمتهم جمافل انحد فاكل الزرع واجتاح الثمار
- ٥ - القمل، قبل هو السوس الذي يفسد الحبوب وقيل القراد، دويبة تتعلّق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان تلسه وتأخذ راحته وتلدتها لتوراة بالبعوض، كما يأتي
- ٦ - الضفادع، كثرت عندهم حتى نعست عندهم عيشتهم سقطها على فرشهم وأوانيهم وطعامهم

٧ - الدم، قال زيد بن أسلم سلّط الله عليهم الرعاف بحيث أزعج عليهم الحياة.

٨ - الطمس على أموالهم، فتوالت عندهم الحسرات في مكاسمهم

٩ - اليد البيضاء، إذ كان يضع يده في حبيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء

١ - الفقه الفصحي في القرآن الكريم، مع شرح وتعليق حسين عبدالكريم، ص ٤١٥-٤١٦

والأستاذ عبدالوهاب السجار - بعد أن ذكر كلام المفسرين - رجح أن تكون الآيات التسع كما يلي:

- ١ - السنون، ٢ - نقص الأموال، ٣ - نقص لأنفس، ٤ - نقص الثمرات، ٥ - الطوفان، ٦ - الجراد، ٧ - القتل، ٨ - الضفادع، ٩ - الدّم.



وقد ذكر التوراة الآيات التي جاء بها موسى إلى فرعون وملائه، وجعلتها اثنتي عشرة آية

- ١ - انقلاب المصي حية (الأصحاح ٧ من سفر الخروج عدد ١٢)
- ٢ - انقلاب نهر النيل دماً سبعة أيام وموت السمك فيه وستي مائه (أص ٧ ١٧-٢٤)

٣ - صعود الضفادع من النهر إلى أرض مصر ومضايقتها للمصريين حتى عطشت أرض مصر كلها (أص ٨ ١-١٠)

- ٤ - كثرة البعوض بأرض مصر على الناس والبهائم (أص ٨ ١٦-١٩)
- ٥ - كثرة الدباب في أرض مصر وبيوت المصريين كثرة فاحشة حتى تنعصب عيشتهم (أص ٨ ٢٠-٢٤)

٦ - تفشي الوباء في مواشي المصريين (أص ٩ ١-٧)

٧ - فشو الدماميل في الناس والبهائم (أص ٩ ٨-١٢)

٨ - نزول البرد العظيم فأهلك الحرث والنسل (أص ٩ ١٣-٣٥)

٩ - كثرة الجراد فأفسدت الررع والثمار (أص ١٠ ١-١٥)

١٠ - إظلام السماء ثلاثة أيام (أص ١٠ ٢١-٢٣)

١١ - موت كل بكر من الناس والبهائم (أص ١١ ١-٩)

١٢ - اليد البيضاء. (أص ٤: ٦-٩)



رأى فرعون الآيات ولكنه تمادى في كفره وصرَّ على عباده، وعاد هي اصطهاد بني إسرائيل، معتزاً بما له عليهم من القهر والعدة والسلطان. فطبيعي أن يضحج بنو إسرائيل بالشكوى إلى موسى ممّا حاق بهم من الحيف وتجاوز موصاتهم موسى بالصبر والاستعانة بالله، ووعدهم بالنصر وحسن العاقبة فلم يكف ذلك دموعهم وقالوا له «أؤذيك من قبل أن تأتيّا ومن بعد ما جئت»! همّاتهم هلاك عدوّهم وإخراجهم من الصيق إلى السعة وأن يكونوا خلفاء في الأرض التي وعدوا بها<sup>١</sup> وأراد فرعون أن يبطش بموسى، محدّياً إلهه حتى لا يكون منه تبدل لدين لقوم ولكن موسى عذّب الله من شرّ هذا المنكبر العاتى، فكان عياداً<sup>٢</sup> فأصيب فرعون وقومه الدمار والهلاك «ماتت بهم موزعون عتوده معشيتهم من اليمّ ما عشيهم»<sup>٣</sup>

انطلق موسى بقومه من أرض مصر، داهياً إلى أرض فلسطين، كما قال تعالى «وَأَوْخَتْنا إلى موسى أن أسر بعبيدي فأصْرِبْ ههْ ضَرْقاً في البحر يَمْسَا لَا تَحْمَاتُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى»<sup>٤</sup>

فهل كان هذا الانطلاق ساءً على أمر صدر له من فرعون، بعد أن أمضه الله وقومه بسوء العذاب، في الآيات التسع؟  
تقول لتوراة إن ذلك كان ساءً على سماح فرعون لهم بالانطلاق، ليخلص من ضروب العذاب التي حاقت بقومه

حاء في الاصحاح ١٢ ٢٩-٣٣ من سفر الخروج «وحدث في نصف الليل أن الربّ ضرب كل بكر في أرض مصر وكان صراح عظيم لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت. فدعا فرعون موسى وهارون وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي، أنتم وبنو إسرائيل جميعاً، وادهبوا اعبدوا الربّ كما تكلمتم حدوا غمكم أيضاً وبقركم كما

١- عاقر ٢٤-٢٧

٢- طه ٢٠-٧٧

١- الأمراء ٧ ١٢٩

٢- طه ٢٠: ٧٨

تكلّمتم واذهبوا، وباركوني أيضاً وكذلك نَحَّ المصريّون على بني إسرائيل ليخرجوا من أرض مصر، حيث خوفهم من الفناء

لكن فرعون ندم على سماحه لخروج بني إسرائيل - وقد كان هو وقومه يستعبدونهم - فعزم على اتّباعهم ليردّهم عيدين أدلاء - وكان بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر - على خليج السويس - وأُضِع عليهم فرعون مع شروق الشمس، وأيقن بنو إسرائيل بالهلاك وأنّ فرعون ياطش بهم

فسكّن موسى روعهم وضرب البحر، فكان فلتقتين وظهرت اليابسة بينهما، فأمر بني إسرائيل بالعبور، فعبروا من الشاطئ العربي إلى الشاطئ الشرقي وأشرف فرعون في ذلك لحين على نصوصع الذي عبر منه بنو إسرائيل، قرأى طريقاً في البحر لا وعوره فيه، وسو إسرائيل بين فرقي الماء لم يمستهم أدى فطمع أن يعبر في أثرهم هو وحنوده، فاقتحموا الطريق 'اليابس في البحر حلف بهي إسرائيل فلتاً جاز بنو إسرائيل البحر عن آخرهم وكان فرعون وحنوده قد توسّطوه انطبق عليهم البحر فكانوا من المعرّقين:

### لمحة عن حياة بني إسرائيل في مصر

ذكر الأستاذ أحمد يوسف أحمد - في كتابه فرعون موسى - قصّة الولادة والرسالة - والخروج - أنّ يوسف الصديق عليه السلام قد دخل مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة، في أيام أحد ملوكها المدعو «أبائي الأول» وقد وجدت لوحة أثرية عبارة عن شاهد مقبرة ذكر فيها اسم «فوتي فارع» وهو المذكور في التوراة «فوطيفار - عزيز مصر» كما استدلّ من بعض الآثار عن الأسرة السابعة عشرة، على حدوث حدث في مصر قبل هذه الأسرة، وهو ما ذكر في القرآن والتوراة عن سنّي الفحط

إذن فدخول يوسف يمكن تحديده قريباً من سنة (١٦٠٠ ق.م) في عهد الملك أبائي المذكور ويكون دخول بني إسرائيل بعد ذلك بنحو ما يقرب من (٢٧ عاماً) وهي



المدة التي أقامها يوسف في بيت سيده، مصموماً إليها المدة التي قصاها في السجن يضم إلى ذلك مدة الرحاء والخصب، ثم بعض مدة الجذب، إلى أن قال لإخوته «وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ»<sup>١</sup>

وإذا اطلعنا على حياة ملوك الفراعنة، فيما بين هذه الأسرة والأسرة التاسعة عشرة، لم نجد أيضاً ذكراً يشت أي اضطهاد حدث لقوم إسرائيل، ولا أي ذكر لهم أثناء ذلك

ولكن النوراة تذكر أن فرعون مصر لدى اضطهاد بني إسرائيل، كان يستخدمهم في بناء مدينتين: رعمسيس وفيثوم وقد ثبت من الحفائر الأثرية وجود مدينة باسم «فيثوم» أو «بر - نوم» ومعناها بيت الإله نوم ومدينه أخرى باسم «ررعمسيس» أي بيت أو قصر رعمسيس

والأولى اكتشفت بواسطة العالم الفرنسي «نافيل» سنة (١٨٨٣م) وموضعها الآن تل المسخوطة، في مديرية الشرقية والثانية اكتشفت بواسطة العالم المصري الأستاذ محمود حمزة في سنة (١٩٢٨م) وموضعها بلدة «قسيو» وتسمى بالمصري القديم «خبت نفر» أو الوسط الحميل وأيضاً «ررعمسيس» هي التي سماها «رعمسيس» الثاني، لتكون عاصمة لملكه في مصر في وسط الوجه البحري، ليكون بها قريباً من الحدود المصرية، لتساعده على صد الأعداء كما أنه أيضاً بسى مدينه «فيثوم»، واتضح من وجود بعض آثار الجدران في المدينة أنها أيضاً كانت حصصاً مصرياً ويكون التوراة قد أخطأت في حسابها مخازن للعلال.

إذن فرعمسيس الثاني قد يعتبر فرعون الذي اضطهد بني إسرائيل، وولد موسى ﷺ في زمنه ويضاف إلى ذلك عداؤه الشديد للشعوب الآسيوية التي ظل يحاربها متغيباً عن مصر زهاء تسع سنوات وقد يكون كرهه لبني إسرائيل المقيمين في مصر مترتباً على خشيته من أن يصبحوا حزباً ممالكاً لأعدائه المواطنين لهم من قبل، ولا سيما

وقد تكاثروا في عددهم وتناسلوا حتى كانت لهم جالية كبيرة تشمل جزءاً عظيماً من مديرية الشرقية

وحيث إنَّ الملك رعمسيس لثاني قد اشرك معه ابه الملك «منفتاح» في الحكم قبل وفاته، وكان «منفتاح» الولد الثالث عشر رعمسيس - وقد بلغ أولاده (١٥٠) - وكان (أي منفتاح) مستأجراً ولايته للعهد، فيكون قد عاصر موسى في بيت أبيه - وبحق قال لموسى: «أَلَمْ نَرْبِّكْ فِيهَا وَلِيداً وَلَيْسَ فِيكَ مِنْ عُمُرِكَ بَشِيرٌ»<sup>١</sup> ويكون «منفتاح» هو فرعون الخروج، الذي أرسل إليه موسى وهارون عليهما السلام لإخراج بني إسرائيل من مصر - وكان موسى حينما بعث إلى فرعون هذا قد بلغ خمسين، وأخوه هارون أكبر منه ثلاث سنين -<sup>٢</sup> وتكون التوراة على صواب عندما قالت وفي هذه الأثناء كان ملك مصر - تقصد الملك رعمسيس - قد مات .

وقد عثر العلامة «مدرس بتري» على حجر من الجرايت القاتم، ورقمه في دار الآثار (٥٩٩) وهو عبارة عن لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها (٣) أمتار و (١٤) سم، وهو منقوش من الوجهين، أحدهما للملك «امحتب» لثالث من الأسرة (١٨) يذكر فيه كل ما عمله لمعبد «آمون»

أمَّا الوجه الآخر فقد استعمل في شأن الملك «منفتاح» ابن رعمسيس الثاني من الأسرة (١٩) وذكر فيه عبارات بأسلوب شعري يفخر فيها بانتصاره على اللوِيِّين ويشير إلى سقوط عسقلان وجيزر ويانوعيم في فلسطين.

وجاء في ضمنها عبارة تشير إلى بني إسرائيل، ونصّها الحرفي: «لقد سُحق بنو إسرائيل ولم يبق لهم بذر» وهذا أوّل نصّ رسمي في الآثار، ذكر فيه بنو إسرائيل.

وقد عُثر على هذا الحجر في كوم العيتان بطيبة الأقصر وهذا الحجر يبدو منه للمدقق أنّ «منفتاح» لم يكتبه في عهده، وإلا لكانت لهذه الحوادث الخطيرة التي يذكرها فيه شأن عظيم كان يجب أن يدوّن في أثر خاص، لأن



وتقول التوراة إن الله أرسل ريحاً شرقية على البحر فأزالت الماء حتى ظهرت اليابسة، وعبر بنو إسرائيل فتبعهم فرعون فغرق وتعداه هكذا فقال الرب لموسى قل لبني إسرائيل أن يرحلوا، وارفع أرباب عصاك ومدك على البحر وشقّه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة

ومدّ موسى يده على البحر، فأجرى لوت أسحر بريح شرقية شديدة كلّ الليل وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم<sup>١</sup>

وأخذ بعضهم من ذلك شهة أن عنق البحر كان بهبوب العواصف، ولم تكن آية معجزة! لكن لم يعمد أن تعمل الريح بهم شدة هذا العمل العجيب في الحليج مرة أخرى، بل كلّ الدهر، سواء قبل هذه الحادثة أم بعدها، فلم فعلت ذلك حين أمر موسى بني إسرائيل بعبور البحر، ذلك العيب فقط؟<sup>٢</sup>

قال الأستاذ النجار فلم يكن ذلك إلا بعناية خاصة من الله تعالى لإيقاد ما هي علمه<sup>٣</sup>



وبعد فإذا قد علمنا أن سجلات التاريخ، غالبيتها إنما تُعنى بشؤون السلاطين وإصفاء وإبل الثناء عليهم خاصة، حتى ولو كان يقلب الحقائق وتبديل سيئاتهم حسنات وإعفاء ما سواها من شؤون فيأمرى هل نجد هناك مجالاً لوصف محاسن خصومهم أو لإشادة بذكرهم، ولا سيما إذا استدعى ذلك مسأ بكرامة الأسياد أو الحفاظ من شأنهم الرفيع!!

لم تكد الوثائق التاريخية القديمة تتجاوز رغبات حاشية الملوك والأمراء، فما يعود إلى تفخيم شأنهم وعظيم حاسهم، وت، وأن لا يذكر هناك شيء يشبههم أو يضع من شأنهم إطلاقاً فما هي إلا إملاءات تسمى الأسياد، حسب مبولهم وأثجاءاتهم

## الخاصة

أما المحاسن فتذكر وتسجل بتفصيل وتبين - حتى ولو كانت مصطنعة - وأما المساوي فتعفى، وتصبح نسباً متسبلاً

وقد عرفت مدى جهود السلطة استعمارية في طمس مآثر الحكم الهخامنشي الرهيب، بحيث طوى عليها التاريخ فتوسيع حتى عن أدهان أساء الفرس أنفسهم، حيث تداوم العمل المستمر في إخماد نار يريح السيف طيلة قرون

أفلا تعجب من تناسي ذكر كورش ومآثره وحتى اسمه ورسمه عند أكبر مؤرخي الفرس الحكيم الفردوسي فلم يتحدث عنه شيء!!

هذه جانب خطير من مصاعفات سلطة الأجانب على البلاد وهكذا الأمر بشأن موسى ومواقفه الرهيبه مع فرعون وملأته فباترى لم يأت له ذكر في سجلات مصر القديمة!!

فيا فضيلة الأساد خليل هذا الكريم، هل تجد فسحة لإنكار حضور موسى عليه السلام نفسه شخصياً في مصر ذلك العهد وفي تلك الحقبة من التاريخ القديم، هل يتخالف في فكرك (الإسلامي الحديث!!) إنكاره رأساً، بحجة أن سجلات مصر قد أهملته!! وأنت تحسب الحديث عن موسى المصري - حسبما جاء في القرآن الكريم - كسائر قصاياها التي حبيبت لها - أنت وزملاؤك - قصصاً شعبية لا واقع لها!!

فإن خالجتك نفسك في إنكار وجود موسى لمصري (ولادة ونشأة ومبعثاً) فقد ارتكبت خطأ عظيماً يجب الاستغفار منه!!

وهكذا سائر قصاياها في مصر، قد أعفيتها سجلات تاريخ مصر القديمة، لاشي إلا لكونها مخازي تفض من كبرياء هراعين مصر!!

وقد عرفت أن أول وثيقة مصرية سجلت عن بني إسرائيل، هي اللوحة المرقمة (٥٩٩) بدار الآثار المصرية، جاء فيها الحديث عن الملك «منفتاح» ابن رعمسيس الثاني من الأسرة (١٩) وجاء فيها عرضاً، الكلام عن بني إسرائيل باعتبار سحقهم على يد هذه

الملك الجبار.

هكذا جاء قلب الحقائق، وتديل المحازي محاسن، وثبتها مقلوبة في ذمة

التاريخ

هذا وقد تمّ ترقيم هذا البحث بجوار مشهد الإمام الرضا عليه السلام في ظهيرة يوم

الجمعة سادس عشر ربيع الثاني عام ١٤٢٣ هـ = ١٣٨١/٤/٧ هـ ش

والحمد لله رب العالمين - محمد هادي معرفة

## فهرس الآيات

### لبقرة

٢٠٢. دَبَّكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ هِيَ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ..... ٢٥٢
٨. وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٢٥١
١٧. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَهَبَتْ مَادَخُولَهُ دَخَبَ أَفَّا سَوْرَهُمْ وَكَرِهَهُمْ هِيَ ٤١٢
٢٥. وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوَعْدِ ٤٢
٣٠. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٣٧٦، ١٢٣، ٢٢
٢١. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ٣٩٦، ١٢٣، ٢١
٢٢. فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ٣٩٧
٢٤. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ١٢٣، ٢١
٢٦. فَأَرَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَدْ خَلَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي ٣٩٥
٢٨. قُلْنَا امْكُتُوا مِنْهَا خَمْسًا بِآيَاتٍ أَنْتُمْ حَسِبُّونَ أَنَّكُمْ هُدًى فَتَحَى هُدًى فَلَا حَزَفَ ... ٤٥١، ٤٠١، ٣٩٥، ٢
٦٢. إِنَّ الْأَدِينَ أَسْوَى وَتَدِينِ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالْمَسِيحِينَ ٣٧١
- ٦٣ و ٦٤. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا هَرَقَكُمْ الصُّورَ ثُمَّ تَوْبَيْتُمْ مِنْ تَعْدِ ذَلِكَ ٧٣
٦٥. فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ..... ٤٧٢
٧٣. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِخَصْفِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي قُلُوبَهُمْ وَتُرْمَكُهُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٤٧٢
٧٨. وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ وَلَا يَمَارُونَ هُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤٢١
٨٩. فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا هَرَقُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ لَعْنُ عَنَى نَكِيرِينَ ١٦
١٠٢. وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى مُنْكَ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ ٢٢٣، ٢١٩، ٢١١
- ١٠٦ و ١٠٧. مَا تَسْمَعُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسْهَى نَأْتٍ بِحَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يَنْهَى أَلَمْ تَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ٣٦٠
١١٥. وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَهُ وَخَهُ قَدِيرٌ عَاقِبَةُ عَسِيمٍ ٣٥٩
١٢٠. وَلَقَدْ أَتَيْنَا أَهْلَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْجَنِّ مَائِكَ مِنَ الْوَيْلِ وَلَا تَصِيرُ ١٤١
١٢١. لَدِينِ كَتَبْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُقِيمُونَ بِهِ ٢٥٢
١٢٣. تَعْلَمُ لَهُمْ وَآلَهُ أَبَابُكَ بَرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ٥٢

- ١٣٥ وَهَالِكُوا كُفُورًا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ تِلْ يَوْمَ يَرَاهُمْ جَبِيحًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٢
- ١٣٦: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن بَيْنِهِمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ لَا نَعْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ ١٢
- ١٣٧: فَإِنْ أَسُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ فَقَدْ عَادْتُمْ وَإِلَّا نُؤْتُوا عَذَابًا لَّهُمْ فِي شِقَاقٍ ١٢
- ١٣٨: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أُخْشِيَ مِنَ اللَّهِ صِغَةً وَخُشِيَ بِهِ عَذَابَ ١٢
- ١٥٠ و ١٥١ وَلَئِنَّمْ يَمُوتُنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنكُمْ ٣٠٥
- ١٦٤ وَالْقَلْبَ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ لُحْرٌ ٤١٥
- ١٧٧ وَالْمُؤْمِنُونَ يَهْتَدُونَ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي تَأْسَافٍ وَالنَّصْرَاءَ وَحِينَ النَّاسِ ٣٧١
- ١٨٥ تَهْتَدُ رِمَاصُ الَّذِي أُبْرِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى يَنْتَهِى بِكَ مِنْ لَهْدَى وَالْقُرْآنُ ٢٥٢
- ١٨٧ حَتَّى يَنْتَهِى نَكْمُ الْحَيْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ٢٠٠
- ٢١٢ وَالَّذِينَ تَتَّقُوا فَوَقَّعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّهُ يَزِيدُ مِنْ نِشَاءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٦٥
- ٢٢٨ وَانْطَلَعَتْ بِرَبْرِضٍ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ٢٨٣، ١٤٢،
- ٢٢٨ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ١٥٥، ١١٧، ١١٥
- ٢٢٨ وَلِلرَّجَالِ عَنَتُهُنَّ وَرَحْمَةٌ ١١٧
- ٢٢٩ ٢٣٢ اِطْلَاقُ مَرَاتِبٍ هِيَ سَائِلَةٌ بِمَقَرِّهَا أَوْ شَرْيْحٌ بِحَسَابٍ قَبْلَ طَلْقِهَا فَلَا يَجِلُّ لَهَا مِنْ تَعْدٍ ١٤
- ٢٢٩ فَإِنْ جِئْتُمْ أَنْ لَا تَقْبَلَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا حُنَاحَ عَلَيْنَا فَمَا أَفْعَلَتْ بِهِ ١٤٥
- ٢٣٣: لَا نَصَارَ وَاللَّهُ يُولِئُهَا ..... ١٣٩
- ٢٣٤ يَرْبُضُنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ٣٧٤، ٣٦٨
- ٢٣٥ وَلَا تَحْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَتْلَعَ الْكِتَابُ أَجْرَهُ ٢٢٥
- ٢٣٧ إِلَّا أَنْ يَتَخَوَّنَ أَوْ يَتَفَوَّنَ الَّذِي بَيْنَهُ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ٢٢٥
- ٢٥٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ١٧
- ٢٥٥ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ٣٣١
- ٢٥٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُطْرِقُونَ مِنْ ثَوْرٍ إِلَى طَلْطَمَاتٍ ٤١٥
- ٢٦٠: قَالَ أَوَلَمْ تَوَعْنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَعْظُمَ قَلْبِي ٣١٩
- ٢٧١: إِنَّ تَبَدُّلَ الصَّدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَإِنْ تَحَفُّوهَا وَتَوَتُّوهَا فَقَرَاءُهَا هُوَ حَبْرُ لَكُمْ وَكُفْرُ ٣٧٣
- ٢٧٥ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَوْمُ الَّذِي يَتَحَفُّهُ شَيْطَانٌ مِنَ النَّفْسِ، ذَلِكَ ١٩١، ٣٩٢، ٤٤٠
- ٢٨٢ إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَكُتِبَ ٢٤٠
- ٢٨٢: وَاشْتَهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ١٣٢
- ٢٨٤: وَإِنْ تُدْأُوا مَا هِيَ أَنْفُسُكُمْ أَوْ تُخْفَوْنَ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فِيمَنْ لَهُنَّ نِشَاءٌ وَيَعْدُبُ مَنْ نِشَاءُ ٢٦٤



٢٨٦. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَمَلُهَا مَا كَسَبَتْ ..... ٢٥٣

آل عمران

٧: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ..... ٣٩٣

١١: لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْطُطُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ..... ١٢٤

١٤: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ..... ٤٠٠

١٩: إِنْ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ..... ١٢

٣١: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ..... ٤٢٧، ١٥٧

٣٥: إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ..... ٨٣

٤٤: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ مُوحًى إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ تَسْمِعُ إِذْ يُنْفَخُ الْأَفْلاهُمُ أَنَّهُمْ يَكْفُرُ مَرَّةً ..... ٤٥٠، ٢٢٥، ٨٦

٤٦: وَبُكَتُمُ النَّاسَ فِي النَّهْرِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ..... ٨٨

٤٩: أَنِّي أَخَذْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَاسْمِعْ بِهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ..... ٢٨٢

٥٢: إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ..... ٣٧٦

٥٥: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ وَارْتَعْزِ بِأُتَى ..... ١٠٣

٥٩: خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ..... ٢٤٩

٦٤: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ..... ٧

٦٧: خَبِيرًا مُنْجِيًا ..... ٣٨٩

٨٥: وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ مِنَ الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ..... ١٢

١٠٦ و ١٠٧: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ..... ٢٠٠

١٣٨: هُدَايَاً لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ..... ٣٩٤، ٢٥٣

١٤٦: وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَّوْهُمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..... ٤٢٧

١٥٩: وَلَوْ كُنْتَ ظَلًّا خَلِيطَ الْغَلَبِ لَاتَقَضَوْا مِنْ حَوْلِكَ ..... ٢٨٣

١٨١: إِنْ اللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ..... ٣٥٨

١٨٧: فَكِدَوْهُ وِدَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمًّا قَلِيلًا ..... ٢٧٢

١٩٥: أَنِّي لَا أَصْبِحُ عَتَلٌ حَامِلٌ بِكُمْ مِنْ ذِكْرِ أَوْ أُنْشَى بِتَضُكُّكُمْ مِنْ بَعْضِ ..... ١١٦

النساء

١: إِنْ اللَّهُ كَانَ خَالِيَكُمْ رَفِيقًا ..... ١٦٧

٣ و ٤: وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَبِهَا حَقُّهُمْ أَنْ لَا تُبْطِلُوا فِي الْيَتَامَى مَا كَبَحُوا مَا طَابَ ..... ٤١١، ٤٠٨، ١٦٣، ١٦٢

٣: فَإِنْ جِئْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَ حَيْدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ دِينُ الْأُنْثَى أَنْ لَا تَعْلُوا ..... ٤٠٩، ١٧١، ١٦٧



١٦٦: لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْكَ إِلَٰهُكَ بِغَيْبِهِ ٣١٢

١٧٦: وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً أُفْلِدُكُمْ بِشَلِّ حُطٍّ لَّاسِيَّينَ ٤٠٤

١٧٦: إِيَّاكُمْ هَٰذِهِ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ . عَنِ كَاتِبَتَيْ قَلْبِهِمَا التَّكْرَارُ بِمَا تَرَكَ ٤٠٥

#### الصادقة

٧. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٣٢٠

١٨. تَخْشَى آيَاتَهُ وَاللَّهُ وَاجِبًا لَهُ ٣٦٢. ٣ ١

٢٣ أَوْ يُتَّقُوا مِنَ الْأَرْضِ ٣٤٧ . . . . .

٢٨. وَالتَّارِيقُ وَالتَّارِيقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٤ ٢

٤٤. إِنْ أَرْسَلْنَا الثَّورَافَةَ مَعَهَا هُدًى وَنُورًا يَهْدِيكُمْ بِهَا لِيُؤْمِنَ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لَكُمْ هَادُوا وَالزَّيَّاتِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ ٤٢٦

٤٦. وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٢٥٢

٤٨. وَأَتَرَكَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِاتِّخَافٍ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمًّا عَلَيْهِ ٤٢٧. . . . .

٦٤. وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَبَ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا . مَا دَلُّوا عَلَىٰ يَدِهِ مَنُوطَاتٍ يُثْبِتُونَ كَيْفَ يَشَاءُ ٣٥٩. ٣٥٦

٦٧. وَاللَّهُ يَتَّبِعُكَ مِنَ النَّاسِ . . . . . ١٧٤

٦٩. إِنَّ الَّذِينَ صُودُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالضَّالِّينَ . . . . . ٣٧٠. ٣٦٨

٨٢. وَإِذَا سَجَعُوا مَا أُرْسِلَ إِلَىٰ رُسُلِهِمْ تَقِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا قَرَعُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا . . . ١٥

١٠٥. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ حَقٍّ يَدٌ مِّنْهُ ثُمَّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ٢٥٤

١١٠. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ. إِذْ تُنْفِثُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ. ٨٨. ٩٠

١١٠. وَإِذْ نَخَعُنَا مِنَ الطَّيْرِ الطَّيْرَ بِإِذْنِي ٢٨٢

١١٦: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ فَكُنْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَآمَنَ بِالْهِتَابِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ٨٦

١١٧. فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّحِيمَ عَلَيْهِمْ ١٠٣

#### الاشعاع

٢. هُوَ الَّذِي حَقَّنَكُمْ مِنَ طِينٍ ثُمَّ قَصَىٰ أَعْنَاقًا وَاجِبًا مُّسَمًّى جِنَّةً ٢٧٨

١٢ و ٢٠: الَّذِينَ سَخِرُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٥٣ . . . . .

١٩. قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِدَ بَنِي وَبَنِيكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَتَدْرِكُكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَ ١٤

٢٠. الَّذِينَ تَتَّبِعُهُمُ الْكُتُبُ يَتَرَفَعُونَ كَمَا يَتَرَفَعُونَ نَبَاهُهُمْ ١٦

٢٣: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسْتَهْمِ إِلَّا أَنْ قَالُوا: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٦٩

٢٥: وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَبَرَدًا كُلُّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ٣٠٤

٣٨. مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ٢٤٦

- ٥٢: وَلَا تَطْغَوْا فِي الدِّينِ يَدْعُونَ بِهِمُ الْغَدَ وَانْفُسِي يَرِيدُونَ وَجْهَهُ  
٢٨٤... .
- ٥٩: وَصِدَّةٌ مِمَّا تَبَحُّ الْغَيْبِ  
٧٢
- ٦٠: وَهُوَ الَّذِي تَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا خَرَجْتُمْ سَلَامًا  
٢٦٨، ١٠٣
- ٦١: تَوَفَّقْتُ رُسُلًا  
٢٦٨
- ٧١: كَأَلَدِي اسْتَهْوَتْهُ شَيَاطِينُ هِيَ الْأَرْضُ خَيْرٌ  
١٩١
- ٧٢: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمْعَادَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَحَقُّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُلُّ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ  
٣٧٧
- ٧٤: وَإِذْ هَالِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ أَرِ  
٣٠٩، ٥١
- ٨٢- ٨٨: وَتَذَكَّرْتُ حَقًّا آيَاهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ شَاءَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ...  
٥٩
- ٨١ و ٨٥: وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِلَى قَوْلِهِ - وَهَبْنِي  
٥٣
- ٩٧: وَهُوَ الَّذِي حَقَّنَ لَكُمْ لُحُومَ لَنْتَقُدُوا بِهَا فِي طَبَعَاتِ السَّمَاءِ وَالْبَحْرِ  
٣٢٧
- ١٠٣: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ  
٢٧١
- ١٠٨: وَلَا تَسْتَوِ الدِّينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَوِ اللَّهُ عَدُوًّا بِعَمْرِ عِلْمِ  
٤٠٠
- ١١٢: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي  
٤٧١، ٤٢٨، ٢٢٨، ٢٢٣، ١٩٢، ١١٨
- ١١٤: وَالَّذِينَ ابْتَاهَتْهُمُ أَنْكِحَاطَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُرْسَلَةٌ مِنَ رَبِّكَ بِالْحَقِّ  
١٦...
- ١٢١: إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْعَلُوا لَكُمْ...  
٤٧١، ٢٢٨، ٢١٩، ١٨٨، ...
- ١٢٥: يَشْرَحُ حُذْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
٣٢٠
- ١٢٨: قَالَ الْبَارُّ مَتَوَاتَرًا حَالِدٌ مِنْ عِبَادِهِ، لَا مَا شَاءَ اللَّهُ بِرَبِّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ  
٣٠١
- ١٤١: وَالرَّيُّونَ وَالرَّامَانَ مَسْأَلَهَا وَغَيْرُ مَسْأَلَةٍ  
٣١٣، ٤٢
- ١٥١: قُلْ تَعَانُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... دَلِيلُكُمْ وَتَعَانُوا بِهِ  
١٢٨
- ١٥٥: وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  
٣٠٠
- ١٦٤: وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى  
٢٥٣
- الأعراف
- ٦: فَلْيَسْأَلِ الدِّينَ أَرْسَلَ إِلَهُهُمْ وَلَسْأَلِ لُتْرُسَلِينَ  
٢٦٠، ٢٥٠
- ٩ و ٨: وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ فَهُمْ يُغْلَبُونَ مُؤَدِّمَةٌ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُغْلَبُونَ... وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ...  
٢٦٤
- ١٠: وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاقِبَ...  
٣٢٦
- ٢٠- ٢٢: قَالَ مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ شَجَرَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَكِينٍ أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ... فَذَلَّلَاهُمَا...  
١٩
- ٢٢: وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا...  
٢٧٠
- ٢٣ و ٢٤: قَالَا رَبَّنَا ظَنَّمَا أَنْفُسَا نَا نَحْنُ نَحْنُ لَمْ نَعْمُرْنَا وَنَحْنُ مَكِينٌ مِنَ الْخَالِدِينَ... قَالَ اهْطُودَا...  
٤٠٢، ٣٩٥

- ٢٥: قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ٤٠٢ . . .
- ٢٨: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ..... ٢٥٦ .....
- ٢٧: قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ١٣٦
- ٤٠: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ نُورٌ السَّمَاءِ ٣٢٦
- ٥١: فَأَلْيَوْمَ تُسْأَلُهُمْ كَمَا تَسْأَلُونَ يَوْمَهُمْ هَـ ٢٧٢
- ٥١: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآخِرُ ٢٨٢
- ٥٩: ٦٤ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّخَذَ وَائِدِينَ مَعَهُ هِيَ الْقُبُورُ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ... ٣٢
- ٧٣ ٧٤: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ سِوَاهُ فَذُحَاهُ تَكُفُّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ ٤٥٧
- ١٠٧: فَأَدَا بِهِنَّ بُعْيَانَهُ ١٩٤
- ١٠٩: هَالِ الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـ لَسَاحِرٌ خَبِيرٌ ٤٣٤
- ١١٦: سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَقُوهُمْ وَحَدَّثُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ٢٢١، ٢٢٠، ٢٢٣
- ١١٧ ١١٩: وَأَوْخَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِنَّ هَـ لَمِنَ سَافِكِينَ هُوَ الْحَقُّ وَكَانُوا ٢٢١، ١٩٥
- ١٢٧: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ تَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَيَهِتَكَ ٢٥١
- ١٢٩: أَوَدَسَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَ... ٥٥٣
- ١٣٧: وَأَوْرَثَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَاعُونَ مِثْلَ بَنِي الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا كُلِّي بَارَكْنَا فِيهَا ٣٦٧ . . .
- ١٤٢: وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ... ٣٧٤
- ١٤٢ - ١٤٨: وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ... وَأَحَدُ مِائَتَيْ مُوسَىٰ مِنْ تَعْدِي مِنْ... ٦٥، ٦٤، ٣٧٤
- ١٤٨: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٦٨
- ١٥٠: قَالَ ابْنُ آدَمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَاعُوا وَكَذَّبُوا بِقَوْلِي فَلَا تَصْبِرْ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ... ٦٢
- ١٥٤: لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ لِقَابِ أَحَدِ الْأَنْوَاعِ وَهِيَ سُحُوتُهَا هَدَىٰ وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَرْتَدُّونَ ٦٣
- ١٥٥: وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَاتٍ بِمَا أَحَدَهُمُ الرِّقَّةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ... ٦٥، ٦٤
- ١٥٧: فَأَلْدَيْنَ فِئَتَهُ وَوَعَزَّوهُ وَنَضَّرُوهُ ٥٢
- ١٧١: وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَمَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ... ٧٣
- ١٧٢: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ... ٤٣٧
- ١٧٩: أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا مِنْ قَبْلُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادِلُونَ ٣٩٢ . . .
- ١٨٦: مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ٣٧٣
- ١٩٤ و ١٩٥: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَفْتَرْتُمْ لَهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْكُمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ... ٤٠٠
- ١٩٧: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمِعُ هَوْنًا بَصُرْتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٠٠

١٩٨: وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُنصِتُونَ ٢٥١.

٢٠٣: هَذَا صَاحِبُكُمْ وَهَذِي وَزَخْمَةُ نَقُومٍ يُزْمُونَ ٢٥٢

الأنفال

١: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوُا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ... ٢٠٥

٢: إِنَّمَا لِلَّذِينَ هُمْ بِدِينِهِمْ ٢٥١

٥: لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَنُفُوزٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٢٠٤

١٧: فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ٢٥٠

١٧: وَمَا رَمَيْتَ بِدُرِّمَيْنِ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ٢٥٠

٢١: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢٥١

٢٥: وَاتَّقُوا فَتَنَ الْأَعْيُنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِكُمْ خِصْمًا ٢٠٨

٢٢: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ ٢٦٣

٢٤: وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُفْسِدُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولَآئِئِهِ إِلَّا الشُّعْقُورُ ٢٦٣

٢٨: إِنْ يَنْتَهِوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ٢٤٠

١٦: وَلَا تَتَّخِذُوا أَمْثَلَكُمْ وَيَذْهَبَ بِرَبِّكُمْ... ٢١

٥٥: إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ... ٢٥٣

التوبة

٢٨: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ... ٥٣

٣٠: وَقَالَتِ الْيَهُودُ حُرِّيٌّ مِنْ اللَّهِ وَقَالَتِ الْبَصَرِيُّ نَسِجُ ابْنِ اللَّهِ ذَلِكَ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ٢٤٠، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٦٢

٢٢: وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَمُنُّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٣

٢٣: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يَتَّبِعُهُ عَلَى الَّذِينَ كَلَّمَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١١٠، ١١١، ١٧٤

٦٧: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ٢٧٢

٦٩: وَخُصِمْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ٤١٤

١١٤: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا يَهُ فَنَمَّا نَبِيٌّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلْبَغْيِ ٥٤

١٢٨: بِالنُّؤْمِيسِ زَوْجًا رَحِيمًا... ٢٨٦

يونس

٣: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ... ٣٣٥

٩: تُجْعَلِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٩٩

٢١: وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَنِي صَرَاءَ مَسْتَهْمٍ ٣٨٥

- ٢٢ - ٢٣: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ دَ كُنْهُ هِيَ تَقْنِي وَحَرَّيْنِ بِهِمْ يَرْجِعُ طَبِيعُ... ٢٨٦، ٤١٥  
 ٢٢: جَاءَ نَهَا رِيحٌ عَاصِفَةٌ...  
 ٢٦ و ٢٧: يَلْدَيْنِ أَحْسَنُوا الْعُشَى وَرِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وَحُوهُهُمْ فَكَّرَ وَلَا دَهْ  
 ٢٣: كَذَلِكَ حَقَّقَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَتَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٥٣  
 ٤٥: وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن مِّنْ بَلْتَنُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَبِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ وَ ٢٦٠  
 ٧٧: اتَّقُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَ كُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا تُفْسِحُ تَحَرُّونَ ٢٢٠  
 ٨٧: وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِتَابَةُ فِي الْأَرْضِ ٢٩  
 ٩٠: أَتَمَّتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنِّي أَنْتُمْ بِهِ مَوْسَى نَبِيَّ وَ مِنْ نُسَيْبِي ٢٦٦  
 ٩١: الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٢٦٦  
 ٩٢: فَالْيَوْمَ تُجَنَّبُ يَدَيْكَ يُتَكُونَ بِسَ حَقَّقَتْ أَنَّهُ ٢٦٦ ٥٥٧

هود

- ٢٠: يُصَافَتْ لَهُمُ الْمَدَابِ ٢٦٩  
 ٢٨: أَنْتُمْ تَكُونُهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ٣٧٤  
 ٤٠ - ٤١: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَهَارَ التَّوَرُّقُ فَلَدَّ حِينَ مَرَّهَا مِنْ كُرٍّ رَوْحِينَ أَسْبَبَ وَأَهْلَكَ ٣١، ٤٦، ٤٩، ٣١٤  
 ٤٢ و ٤٣: وَهِيَ مَعْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ، وَتَلَاوِي نُوحٍ الْبَحْرِ - قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ٣١، ٣٨، ٤٠  
 ٤٤: وَقِيلَ مَا أَرْضُ ابْنِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْبِصِي ٤٧٢  
 ٤٨: قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَنَىٰ أَنَّمِ مَعْنَىٰ مَعَكَ. وَأَنْتُمْ سَمِعْتَهُمْ ثُمَّ ٤٨، ٤٩، ٥  
 ٤٩: يَتْلُكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِينَ نَوَاحِيهَا يَتْلُكَ مَا كُنْتَ تَعْمَلُهَا تَبَ وَلَا تَقُومُ مِنْ قَتْلِ هَذَا ٣٧، ٤٢٦، ٤٥٠  
 ٦١: هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ٧٤  
 ١٠٥ - ١٠٨: يَوْمَ مَاتَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْ يَعْبُدُ سِوَيَّ وَمُسَبِّحٌ قَائِمٌ لِلدِّينِ شَقُّوا إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ٢٩٥  
 ١٠٧: هَكَالَ إِنَّمَا يَرِيدُ ٣٥٨  
 ١٠٨: وَأَمَّا الَّذِينَ سُجِدُوا فَفِي خُفَّةٍ حَادِيَيْنِ عَلَيْهَا مَادَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ غَطَاءً ٢٩٤  
 ١١٦: قُلُوا لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ هِيَ الْأَرْضُ ٥٠  
 ١٢٠: وَكَلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَتْ هِيَ الْخَقُّ وَمَوْعِظَةٌ ٤٢٨

يوسف

- ٢ - ٣: إِنَّا أَرْسَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ مَعْنَى نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ٤٢٥  
 ٤: إِنِّي زَيْتٌ أَحَدُ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رِئَاسَةً مِنْ مَجْدِي ٣٩٩  
 ١٩: فَأَرْسَلْنَا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ٢٨٠

- ٢١- وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ..... ١١٥
- ٢٩- يَوْسُفُ عَزِيزٌ مِّنْ عِندِ هَٰذَا وَاسْتَعْتَبَنِي بِنُفْسِكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ..... ٢٨٤
- ٣١- وَأَعْتَدْتُ لَهُمْ مَكْنَنًا ..... ٢٨٧
- ٣١- إِنَّ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ..... ٤٤٠
- ٤٥- هَٰذَا أَنَا ..... ٢٨٧
- ٤٩- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَمِّسُ النَّاسُ فِيهِ أَنْفُسُهُمْ ..... ٣٦٤
- ٥٥ و ٥٤- وَقَالَ الَّذِي لَمْ يُلَاقَ أَثَرَهُ ..... ٣٦٣
- ٦٧- وَقَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَةُ لَا تَقْرِبُنَّ الْمَوْءِدَ ..... ٢٢٩
- ٦٨- مَا كَانَ يُغَمِّسُ فِيهِمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ..... ٢٣٠
- ٨٠- خَلَصُوا نَجِيًّا ..... ٤١٦
- ٩٣- وَاسْتَوَىٰ بِأَعْيُنِنَا ..... ٥٥٤
- ١٠٢- ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ نَبِيِّنَا ..... ٤٥
- ١١١- وَلَكِنْ تَصْدَقُ لَدَيْ رَبِّكَ ..... ٢٥٢
- ١١١- لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهَا ..... ٤٢٥، ٤٢٢، ٤٢١
- الرعد
- ٣- وَمِنْ كُلِّ لُجْجَةٍ جَهَنَّمَ ..... ٣١٦، ٣١٣، ٤٢
- ٩- عَالَمٌ نَّحْنُ فِيهِ ..... ١٧
- ١٠- بَلَّغْتَ الْفَوْتُ الْحَاوِ ..... ٣٢٠
- ١٢- يَكَادُ سَاوِيَةٌ ..... ٣٤٢
- ١٩- إِنَّمَا يَنْتَظِرُ ..... ٢٩٣
- ٢٣- جَنَّاتٌ عَذْيٌ ..... ١٩٨
- ٢٨- لَدِينِ آمَنُوا ..... ٢٥١
- ٣٨ و ٣٩- لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ..... ٣٦١، ٣٥٩، ٣٥٨، ٢٧٩، ٢٧٨
- ابراهيم
- ٤- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ ..... ١١٣
- ٩- جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ ..... ٤٢٨
- ١٦- مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ..... ٣٧٩
- ١٧- وَيَأْتِيهِ الْخَوْفُ ..... ٣٧٩، ٢٥٠



- ٢٢: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْؤُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ ١٨٩  
 ٢٤: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٣٢٧  
 ٣٥ - ٤١: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَجْنِي إِلَى الْجَنَّةِ أَلَمْ تُبَدِّلْ لِي لُغَةً وَتُوحِّدْ بَيْنَ النَّاسِ ٥٤  
 ٤٨: يَوْمَ يُدْعَى الْأَرْضُ بِأَسْمَائِهَا وَالسَّمَاءُ سَبْعًا مِائَةً يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ٢٩٤  
 ٥٠: سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ ٢٩١

## الحجر

- ٦: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا صِرْ فِي السَّابِقِينَ السَّابِقِينَ ٦٧  
 ٩: إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الدَّكَرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافُونَ ٣٢٥  
 ١٦ - ١٨: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَكَّاهَا يَوْمَ تَبْيَضُّ بُحُورُ الْأَرْضِ وَآبُ السَّمَاءِ كَالزَّهَرِ ٣٢٨  
 ٢١: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ٣٣٥  
 ٢٦: مِنْ حَمَلٍ مَشْنُونٍ ٢٤٩  
 ٢٩: إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢٢  
 ٤٢: إِنَّ عِبَادِي لَنِيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ٢٢٠  
 ٦١ - ٧٣: فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ لُغْمُنُهُمْ قَالَ إِنَّكُم مَقْرُونُونَ ٤٣٢  
 ٧٧: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ٢٩٣  
 ٨٨: إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُمْ زَوْجًا مَبْتُغًى ٣١٣  
 ٨٨: وَأَخْبَعْنَاهُمْ فِيهَا جَهَنَّمَ ٢٨٣  
 ٨٩ - ٩١: وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْبَشِيرُ وَالنَّذِيرُ كَمَا تَرْنَا عَنْ الْمُتَشَكِّكِينَ ٣-٤  
 ٩٢ و ٩٣: فَوَرَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ لَفَتًا كَانُوا يُغْمَرُونَ ٢٦٠  
 ٩٧: يَصِيقُ الَّذِينَ يُضِلُّونَ إِلَهُهُمُ يَوْمَئِذٍ صِيقًا ظَلَمًا ٣٢٠

## الزلزال

- ٢٢: قَالَتِ ابْنَةُ طَاهِرٍ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَمَنْ يَمُنُّ هُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ ٢٥٣  
 ٢٥: لِيُجْعَلُوا أَوْدَارُهُمْ كَابِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَرَ بُدَيْنَ يَصْلَوْنَهُمْ يَصْرِحُهُمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢٥٤  
 ٢٨: تَتَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ٢٦٨  
 ٣٦: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوحَ ٤٢٦  
 ٥١: لَا تَسْتَعِيدُوا النَّاسَ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ مَوْجِدُ الْوَيْبِ ٣١٥  
 ٥٨: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٢٠٠  
 ٦٩: لَقَوْمٌ يُضِلُّونَ ٢٩٣

- ٨٩: وَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ..... ٢٥٢، ٢٥٤
- ١٠١: وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَآيَةٍ وَآيَةٍ أَعْدِمُوا بِهَا يَسْرُوقُوا إِنَّمَا أَنتَ مُقْتَرِبٌ إِلَهُ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْتَمِدُونَ ..... ٣٦١
- ١٢٠: قَابِئًا لَهُ حَسِبًا ..... ٣٨٩
- ١٢٧: وَلَا تَكُ فِي مِثْلٍ لِّمَن يَتَذَكَّرُونَ ..... ١٧٤
- الإسراء
- ٢: أَنْ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ..... ٤١٦
- ٣: ذُرِّيَّةً مِنْ حَقِّكَ مَعَ رُوحٍ ..... ٤٩
- ٤: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ..... ٣٩
- ١٢: وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْفُتَنَاءٌ طَائِرُهُ فِي عَصِيهِ وَنُخْرِجُهُ عَنْ يَوْمِهِ لِقَامَةٍ كِتَابًا يُفْقَاهُ مُتَشَوِّرًا ..... ٢٧٧
- ١٥: وَمَنْ حَمَلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْلُغَ رَسُولًا ..... ٢٥٦، ٢٥٣
- ١٦: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فَمَقَّوْا عَلَيْهَا لَقَوْلٌ فَدَمَّرْنَا بَالِغًا ..... ٢٥٦
- ٣٩: وَلَا تَحْمِلْ مَعَهُ اللَّهُ إِهْلًا آخَرَ ..... ٣١٥
- ٤٠: أَفَأَمَّا كُتُوبُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْظُنِّ وَأَتَّعِدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا إِنَّا لَنَقُولُ لِقَوْلِهِمْ ..... ١٢٣
- ٤١: نُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ ..... ٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٦
- ٥٧: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ هُدَاهُ إِنَّ ..... ٤٠٠
- ٦٥: إِنَّ عَادِي لَشَرَّ لَوْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لُكُلٌ مِمَّا فِي الْبَرِّ لَآتَيْنَهُمْ سُلْطَانًا ..... ٢٤
- ٧٠: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا نَبِيَّ آدَمَ ..... ٢٣
- ٧٦: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِغُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيَحْرِجُونَ بِهَا ..... ٢٣١، ٢٣٩
- ٧٩: وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ مَا لَكَ نَحْسٌ أَنْ يَنْفَعَكَ رَبُّكَ تَقَامًا مَحْمُودًا ..... ٣٠٠
- ٨٥: وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْقِلْمِ وَلَا قَلَمًا ..... ٣٢٨
- ١٠٤: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُوبُوا الْأَرْضَ ..... ٤٧٢
- الكهف
- ٢٢: فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ..... ٤٦٠
- ٢٦ و ٢٥: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدُوا فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ أَهْلًا بِمَا لَبِثُوا ..... ٤٦٤، ٣٠٩
- ٤٩: وَوَصَّعَ الْكِتَابَ فَتَرَىٰ الْمُخْرَجِينَ مُنْقِطِينَ مَقَاهِدَ وَوَعَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ ..... ١٦٧، ١١٨
- ٥٠: وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ..... ٤١٦
- ٦٤: فَأَرْسَلْنَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمَا قُصَصًا ..... ٤١٧
- ٧١: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ..... ٤٣٥

- ٧١: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا كَبِيرًا ٤٣٥
- ٧٧: حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ عَرْشِهِ اسْتَبَقُوا سُلْطَانًا فَأَمَرَ أَلَّا يُصَلُّوا هُمَا ٣٩١
- ٨٢: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الدِّينِ الْقَرِينِ ٥٤٧
- ٨٢-٩٨: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الدِّينِ الْقَرِينِ؟ قُلْ بَلَّغُوا عِبَادِي مَعَهُ دَعْوَاهُ ٤٧٠
- ٨٤: إِنَّا مَكَّالَةٌ فِي الْأَرْضِ وَنَبَاءٌ مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ ٥١٧
- ٨٦: حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبُوبٌ مَشَقَّتْ مِنْهُ وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَرْبُوبٌ إِلَىٰ رَبِّهِ ذَلِكُمُ الْحَقُّ ٤٧٦، ٤٧٤، ٣٤٧ ٥١٧
- ٨٧: ٨٨: قَالَ: أَتَأْتِيهِمْ صُورٌ مِمَّنْ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَمْرِ هَٰؤُلَاءِ قُلُوبُهُمْ خَلَدُوا بِهَا مِنْ يَوْمٍ مَقْضًى وَنَبُوءَاتٌ ٤٧٢
- ٩٤: قَالُوا: يَا دَا الدِّينِ الْقَرِينِ، إِنْ يَأْخُذْ بِمَا نَحْنُ يُحْسِنُ وَيَأْخُذْ بِمَا نَحْنُ يُحْسِنُ ٤٨٦
- ٩٥-٩٦: فَأَعْرَضُوا عَنْهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَّ أُولَٰئِكَ أَنْ يَدُلُّوهُمْ عَلَىٰ مَا يَكُونُونَ فِيهِ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ٤٩٧
- ٩٨: هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ٥٢٥، ٥١٧
- ١٠١: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ٣٣
- ١٠٢-١٠٦: قُلْ هَٰؤُلَاءِ نَسِيتُمْ بِالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٢٦٦
- ١٠٥: الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْيُنُهُمْ فَلَا تُبْصِرُ ٢٦٥
- مریم
- ١٦-٣٠: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهَا حَرْفًا فَأَنذَرْتُ مِنْ دُونِهَا حَرْفًا ٩٢
- ٢٧: فَاتَتْ بِهَا قَوْمَهُمْ فَخَلَعُوا عَلَيْهَا حِجَابًا ٨٣
- ٢٨: يَا أَيُّهَا هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَرِيَّةً ٨٣-٩
- ٢٩: فَأَمَّا زَكَرِيَّا إِلَيْهِ قَالَ كُنْتُ نَكِيفٌ مِمَّنْ كَانُوا ٨٨
- ٤١-٤٧: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ مِثْلَ نَسِيتُمْ بِالَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٥٤
- ٥٨: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ الَّتِي آمَنُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا حَقًّا ٤٢٩
- ٦٤: وَمَا تَشْعُرْ وَلَا تَأْمُرْ رَجُلًا ٣٣٥، ٢٧٢
- ٦٧: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢٩٣
- ٦٨-٧٢: قَوْلِكَ لِمَنْشُرُهُمْ وَالشَّيَاطِينِ وَنَذَرُ الْفَالِغِينَ فِيهَا جَنَّتًا ٢٨٠
- ٧١: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ حَسْرَةً ٢٨١، ٢٧٩
- ٧٢: ثُمَّ سَخَّرَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الْغُلَامَ وَنَذَرُ الْفَالِغِينَ فِيهَا جَنَّتًا ٢٨٠
- ٨١: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ٣١٥
- ٨٦: وَتَسْأَلُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَادًّا ١٩٧
- ٩٦: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَخَلَعُوا الصَّالِحَاتِ سِتْرًا لِيَسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ ٣٠٢

طه

- ١١ - ١٢ قَلَمًا أَنَا مَا يُودِي نَ مُوسَى إِلَى أَن رَّبُّهُمَا فَاصْنَعْ بِمُؤَلِّكَ إِلَٰهًا بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ٤٣٥
- ١٥ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ حَفِيهَا ٢٨٧
- ٢١ خُذْهَا وَلَا تَحْمِلْ ٤٣٥
- ٣١ أَشَدُّ بِهِ أَرَى ٥٢.....
- ٣٩ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ٣٠٢
- ٥٢ لَا يَعْصِي لِرَبِّي وَلَا لَنِي ٢٧٢، ١٣٦
- ٥٣ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَشْجَارًا مِن تَحْتِ شَجَى ٣١٣...
- ٦٣ إِنْ هَدَىٰ لَسَاحِرًا... وَتَذَكَّرَ بِطَرِيقِكُمْ لَمُنَى ٣٧٠، ٣٦٨، ٣٣٥
- ٦٦ فَاذْهَبْ لَهُمْ وَعَصَاهُ يُحْيِي لِيهِ مِنْ سَحَابٍ مِّمَّ سَمِي ٢٢١، ٢٢
- ٦٩ وَلَا يَفْلَحُ السَّاجِدُ حِينَ أَنِي ٢٢٠
- ٧٧ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي هَاضِمًا فِي الْبَحْرِ بِسَاءِ لَاحِقٍ لِّرَكَا ٥٥٣، ٦١
- ٧٨ فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِرُحُونٍ مِن مَّوَدِّهِ فَفُتِنْنَاهُم مِّنْ أَلْفَيْنِ مَا فَتِنْنَاهُمْ ٥٥٣... ..
- ٨٢ ٨٥ وَمَا أَفْجَلُكَ عَنِ قَوْلِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هُمُ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَنِّي وَقَعَلْتُ بِإِلَٰهِكَ رَبًّا لِّتَرْضَىٰ... ٦٣، ٦٥
- ٨٦ - ٩٧ فَرَفَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ عَصَاهُ فَنُفِثَ فِي قَوْمِ آلِهِ يَدْرِكُكُمْ رُكُومًا وَغَدَاً حَسْبًا أَهْطَال ٦٣
- ٨٥ وَأَمْلَأْنَاهُمُ التَّاسِيرَ ٦٧
- ٨٨ عِجْلًا حَسَدًا لَهُ خُور ٦٨
- ٨٩ أَفَلَا يَرَوْنَ أَن لَّا يَرْجِعُ بَيْنَهُمْ قَوْلًا ٦٨
- ٩٦ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ ثَرِّ الْأَرْضِ فَكَذَّبْتُهَا وَقَدَحْتُ مِمَّا لِي نَفْسِي ٦٦، ٦٤
- ١٠٣ إِنْ لَّيْسَ إِلَّا خَشْرًا ٢٧٥
- ١٠٤ إِنْ يَقُولُ أَفْلَاحُ طَرِيقَةً إِنْ لَّيْسَ إِلَّا يَوْمًا ٢٣٥
- ١١٠ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ٢٧١
- ١١٥ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ قَسِيٍّ وَتَمَّ نَجْدًا لَهُ عَرْمًا ٢٧٢
- ١١٧ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ١٩
- ١٢٢ ثُمَّ اخْتَصَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ٢٠
- ١٢٣ إِنْ هَاطَا وَنَهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّا نُلَيِّقُكُمْ بَنِي هَدَىٰ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى ٣٩٥
- ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسَّهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ٢٧٢

## لأنبياء

٢٨٢. ٢٠١ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ
- ٣٨٣ ٢ مَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
- ٤٦٦ ٣٢٥... ١٨ : بَلْ نَقُفُّ بِأَلْحَقٍ عَلَى نَبِيٍّ مِثْلِكَ قَدْ فَادَى هُوَ رَافِقٍ
- ٣٩٩ ٣٩٧ ٣٣٤ ٣٣ : وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ النَّبْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَانْقَسَرَ كُرٌّ فِي قَلْبِهِ مَنبُحُونَ
- ٤٧- وَصَحَّ الْمَوَارِثُ الْفَيْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُخْسَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ بَشَعًا حَقٌّ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ آتَيْنَا بِهَا وَ ٢٦٤
- ٦٣ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ ... ..
- ٤٧٢ ٦٩ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
- ٥٤ ٧٢ و٧١ وَتَجَنَّبْهُ وَاعْلُظْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِبَنِي آدَمَ وَوَعَدْنَا لَدُنْكَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّمَ... ٥٤
- ٧٤ و٧٥ وَلَوْطًا أَنْبِيَاءَ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَحْنُ مِنْ أَقْرَبِ قَبْلِ كَاتِبِ تَعْمُرُ الْعَالَمَاتِ وَدُخْلَانَا فِي رَحْمَتِنَا ٥٨
- ٧٨ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْنَسُونَ فِي الْغُرِّ إِذْ خَسَفَتْ بِهِ عَيْنُ الْقَوْمِ وَكَانَ لَعْنُهُمْ ٣٩٦ ٤٠٢ ٤٠٤
- ٧٩ وَتَحْنُوتُ مَعَ دَاوُدَ لِحَالٍ يُسْتَبْخَرُ وَتَحْنُوتُ ... ..
- ٣٨٧ ٨١ وَلَسْتَ بِمَعْنَى الرِّيحِ عَاصِفَةٍ
- ١٩١ ٨٣ إِذْ نَادَى رَبُّهُ أَمِّي شَيْئِينَ الْعَرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
- ٤٢٦ ٣٧٥ ٩٢ إِنْ هَدَى أَمْرُكُمْ أَمْرًا وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاصْبِرُوا
- ٤٩٣ ٩٦ حَتَّى إِذْ فَتَحْتُمْ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ
- ٢٨١ ٢٨ ١٠١ و١٠٢ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا لَعْنَتِي أُولَئِكَ عَنْهَا مُقْدِرُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا
- ٣٧٤ ١٠٣ لَا يَخْرُجُ لَهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ
- ٢٩٤ ١٠٤ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ
- ١٦٢ ١٠٥ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ لِذَلِكَ نُنْذِرُ الْأَرْضَ بِرَبِّهَا عَادِي الضَّالِّينَ

## الحج

- ٢٦١ ٢٥٠ ٢ يَوْمَ تَرَوْهَا تَدْخُلُ كُلُّ مَرْصِقَةٍ حَقًّا أَرْضَ صَفَتْ وَتَصْعَقُ كُلُّ دَابَّ حَمَلٍ حَمْلُهَا وَتَرَى النَّاسَ
- ٤٣٦ ٣١٥ ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَا كُنْهًا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ طِينٍ... وَأَنْشَأَتْ مِنْ كُلِّ... ٤٣٦
- ٢٤ ١٩ : هَذَانِ حَصْنَايَ اسْتَعَصِمُوا فِي رَيْبِهِمْ فَاتَّقِ اللَّهَ كَمَا تَقَرَّبُوا فَطَعَتْ لَهُمْ نِيَابَ مِنْ... ٤٠١ ٣٩٥
- ٣٨٩ ٣٠ و٣١ : وَاجْتَبُوا قَوْلَ ثَرْوَةٍ حَمَاءَةٍ
- ٤٥٩ ٤٤ : فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَحَدْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ
- ٤٥٩ ٤٥ فَكَايَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِدَةٌ عَنْ عُرُوشِهَا وَيَنْزِلُ مِنْهَا مُطَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ
- ٣٠٤ ٤٦ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ مَعْبُودَاتٌ بَدَلًا مِنْ بِلَادِهِمْ لِاتِّمْنَانِ الْأَكْصَا... ٣٠٤

- ٥٢ وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذْ تَقُولُ اتَّبِعْنِي أَعْبُدُوا اللَّهَ . ٣٢٥  
٧٨ وما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ١٤٦

#### المؤمنون

- ١٢ - ١٤ : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ فَحَنَّا لَعْنَةً مُصْعَدًا ٣٢١ . . . . .  
١٤ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ٢٨٢، ٢٢  
١٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَعْيُنَكُمْ سَنَعًا فَمَنْ ظَنَّنَ وَجْهًا صَافٍ ٣٣٤  
٢٦ هَيَّجَاتْ هَيَّجَاتٍ لَمَّا تَوَعَّدُوا ٢٣٩  
٥٢٠ : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٩٢ . . . . .  
٥٢ و ٥٣ : وَإِنْ هَؤُلَاءِ ائْتَمَّتْكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ فَانْقَبُوا فَتَعْلَمُوا أَنَّهُمْ يُرَوِّدُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ يُرَوِّدُونَ ٣٧٥  
٦٧ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ٤١٥  
٨٦ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ٣٣١  
١٠٠ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٧٩ . . .  
١٠١ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ٢٦٠

#### التور

- ١١ لِكُلِّ أُمِّيٍّ مِنْهُمْ مَا كَسَبَ مِنْ لَدُنْهِ ٢٥٣  
١٥ إِذْ تَلَقَّوهُ ٢٨٧ . . . . .  
٣٠ و ٣١ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتُخَّذُونَ أَنْصَارَهُمْ وَيَخْضَعُونَ لِرُؤُسِهِمْ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّخِذْنَ ٢٤١، ١٦١، ١٦٠  
٣٩ - وَلَيُضْطَرَّنَّ بِخَيْرِهِمْ عَلَى جَبِينِهِمْ ٢٤١، ١٦٢ . . .  
٣٩ كَسْرَابٍ بِقِيَمَةٍ يَغْسِبُ الْغُلَّاقُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ بِجِدَّةٍ شَيْئًا ٢١٢  
٤٠ : وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٣٠  
٤١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَنُطُورٍ حَاقِقَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ ٤٠٧، ٣٩٩، ٣٩٧  
٤٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَعَابًا ثُمَّ يَأْتِي بِسَلْطَنٍ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ٣٣٩ . . . . .  
١٥ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنٍ ٣٩٧، ٣٩٦

#### الفرقان

- ٥ . قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْنَى عَلَيْكَ يُكَرَّرُ وَأَصِيلًا ٤ . . . . .  
٦١ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ٣٣٧ . . . . .  
لشعراء  
٤ : فَطَلَّتْ أَحْشَاءُهُمْ لَهَا حَاصِرِينَ ٣٩٩

- ٣١٣ ٧: أَوَلَمْ يَمْزُوا لِي الْأَرْضَ كَمْ أَنْشَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ
- ٤٠٣, ٣٩٦ ١٥: كَلَّا قَادِفٌ يَا مَابِ إِنَّا نَعْتَكُم مُمْسِكُونَ
- ٤١١ ١٦: إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
- ٥٥٦ ١٨: أَلَمْ نَرْكُكْ فِيهَا وَلِيداً وَلَيْسَتْ فِيهَا مِنْ عَشْرِكَ يَسِيرٍ
- ٤١١, ٤٠٩ ٢٣: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
- ٤١١, ٤٠٩ ٢٤-٢٨: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رُكُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
- ٢٥٠ ٣٢: فَرَادَاهِي تُعْدِلُ مِيزِينَ
- ٤٣٤ ٣٤: قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلُهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَدِيمٌ
- ٦٦ ٦٣: فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ مِزْيَةٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ
- ٤٠١ ٧١-٧٣: قَالُوا اتَّبِعُوا أَصْنَاماً قُتِلَ لَهَا حَاكِمِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ بِدَعْوَتِهِمْ أَوْ يَنْصَرُّونَ أَوْ يَصْرُورُونَ
- ٤١٦ ٧٧: قَالَهُمْ عَدُوٌّ لِي
- ٥٤ ٨٦-٨٩: رَبُّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقُّقِي بِإِصْلَاحِينَ. وَغَيْرَ لِأَيِّ إِنْهُ كَانَ مِنْ لَعَالِي
- ٤١٦ ١٠٠ و ١٠١: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَكِيمٍ
- ٤٦٥ ١١٩: وَمَنْ مَعَهُ لِي الْفَتَكُ الْمَشْحُونُ
- ٤٥٥ ١٢٨-١٣٤: أَنْتُمْ يَكُلُّ رِيحَ آتَةٍ تَغْتَوِي وَتُحْدَوِي مَصَارِعَ لَعْنَتِكُمْ تَعْلُدُونَ وَرَدَا طُشْتُمْ...
- ٤٥٨ ١٤٦-١٤٨: أَتَنْتَرِكُونَ فِيمَا هَاهُنَا مَنَسَ فِي حَقَائِدِ وَشُيُوبٍ وَرُوحٍ وَخَلٍ طَنَّتْهَا خَصِيمٌ
- ٤٥٨ ١٥٦-١٥٧: عَالِ هَدْيٍ مَاقَةٌ لَهَا تَرْبُ وَبَكْمُ تَبْرُزُ يَوْمَ مَغْرُومٍ وَلَا تَمْسُوهُ بِسَوْءٍ عِيّاً حُدُكُمُ حِلَابٌ.
- ٣٣٩ ١٨٤: وَأَتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَّةَ الْأَوَّلِينَ
- ١٠ ١٩٦ و ١٩٧: وَإِنَّهُ لَمَنْ رُبُّ الْأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَتُوسُّ يُعْمِدُ عُتْمَاءُ سِي إِسْرَائِيلَ
- ٢٨٤ ٢١٥: وَاصْفُصْ صَخَاةَكَ لِمَنْ اتَّقَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
- النمل
- ٤٣٤ ..... ٨: فَلَمَّا جَاءَهَا لُؤْيِي أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ..
- ١٠ و ٩ ..... ١٠ و ٩: وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَدٌّ وَلَمْ يُعْطِ بِمُوسَى لَا تَخَفْ ١٩٤ ١٩٥, ٤٣٥
- ١٦ ١٤: جَعَدُوا بِهَا وَاسْتَعْتَبَهَا أَنْفُسُهُمْ طَلَمًا عُنُوا
- ٣٢٠ ..... ١٦: عَلَّمْنَا مَطْلِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَمْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ..
- ٣٢٠ ١٨ و ١٩: حَتَّى إِذَا اتُّوا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَتَقَبَّلْهُمْ صَاحِبِكاً
- ٣٤٦ ..... ٢٥: اللَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَاللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ وَاللَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَاللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ
- ٣٩٢ ٨٠ و ٨١: فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْغَوَاةَ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدَّاعِيَةً إِلَى الْوَيْلِ مِنْهُمْ يَوْمَ يُصْعَقُونَ الْإِنْسَانُ

- ٨٧ وَتَوَدَّ أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ فَفَرَّقَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مَنْ فِي الْأَرْضِ ٣٤٦  
 ٨٨. صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ ... .. ١١٩

### التقصي

٣. تَلَوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ٤٢٥ . . . . .  
 ٥ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ١٦٢ ..  
 ٦ وَنُكَحِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا يَهُتَّمُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٤٩، ١٦٢ . . .  
 ٧ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ٤٧١ . . . . .  
 ٨. فَانْقَضَتْ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَخَرَّ عَنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ٣٤٩ ... ..  
 ١١: وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ٤١٧ . . . . .  
 ١٥ فَاسْمِعْنِي الَّذِي مِنْ شَفْعِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّي ... .. ٣٦٤ . . . . .  
 ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَذِينٌ وَخَدَّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَقِرُّونَ ٣٦٤ . . . . .  
 ٢٧. فَإِنْ أَثْمَنَتِ حَضْرًا فَهِيَ عِنْدَكَ ٣٧٥ . . . . .  
 ٣٠ و ٣١ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ خَلْعَيْنِ لَوَاهِ الْأَيْمَنِ... وَأَنْ لَقِيَ عَصَاكَ فَمَتَا رَأَاهَا تَهْتَزُّ ٤٣٥ ٢٥٠، ١٦٥  
 ٢٨ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْفِدْ لِي يَا هَمْدَانُ عَلَى الطَّيْرِ... ٣٤٩، ٣٥٤  
 ٤٤ - ٤٦ وَمَا كُنْتُ بِحَاسِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ حَضَبَ إِلَىٰ مُوسَىٰ لِاتِّمْرِ، وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّكَ ٤٢٥ . . . . .  
 ٦٥ و ٦٦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ٢٦٠  
 ٧٦ إِنَّ هَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبِمَا هُم بِهِمْ وَأَنبَأَهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ حَايِجَةَ نِسْوَةٍ بِالْعَصَةِ أُولَىٰ ٧١ ٧٠  
 ٧٨: وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمُكْرَمُونَ ٢٦٠  
 ٧٩ يَا أَيَّتُهَا لَمَّا بَثَلْ مَا أَوْفَىٰ قَارُونَ إِنَّهُ لَدَوْ حَطَّ عَطِيهِ ٧١ . . . . .

### العكوبت

- ١٢ و ١٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بُعِثُوا نَبِيًّا وَتُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ الْكُتُبُ وَتُنَادِيكُمْ أَرْسَالُ رَبِّكُمْ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٢٥٤  
 ١٤ - ١٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ٤٢٩  
 ١٧: وَتَخْلُقُونَ أَفْكَأ ..... ٢٨٢ . . . . .  
 ٢٥. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ٢٦٢ ..  
 ٢٩ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرُ ٤٥٩ . . . . .  
 ٣٨: وَعَادُوا وَتَعَمَّدُوا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَائِكِهِمْ ٤٥٦ . . . . .  
 ٣٩: وَقَارُونَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِبَيِّنَاتٍ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٧١، ٣٥٠  
 ٤٣: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ٣٢٤ . . . . .



الزوم

- ٢٦ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَائِمُونَ ..... ٣٤٦..  
 ٣٠ قَائِمٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِىَ الْبَيْتِ الَّذِى فَطَرَ لَدُنَّ عِيسَى لَاتَّبِعِى لِحَقِّى اللَّهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ ٣٨٩، ٤٣٧  
 ٥٧ هَيَّؤْ لِي دِينَى لَئِنْ قَرَّبْتَنِى ظَلَمْتُمْ مَقْدَرَتَهُمْ ٢٦٨

لقمان

- ٣٠٢- يٰٓأَيُّهَا ابْنُ آدَمَ اُكْتُبْ لِحُكْمِ رَبِّى وَرَحْمَةً لِّمَنْ خَلَقَ  
 ١٥ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا هِىَ الدُّنْيَا تَمْرُوعًا. ٢٥٥  
 ٢٠. لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا هِىَ السَّمَاوَاتُ وَمِمَّا هِىَ الْأَرْضُ ٢٤٦.  
 ٣١ بَٰرُءُ هِىَ ذَلِكَ لَا يَأْتِ بِكُلِّ صَبَٰرٍ شَكُورٍ ٢٩٢

التجدة

- ٤ اِنَّ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا هِىَ سُبْحٰنُ ٢٥٨  
 ٥ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ هِىَ يَوْمَ كَدِّ يَمْدُ زُرَّةٌ تَفِ سَبْعَ مِائَةٍ وَتَسْعُونَ ٢٤٥ ٢٥٧، ٢٣٥  
 ١١ قُلْ يَتُوبَاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ هِىَ وَكُلُّ يَكْمٍ... ٢٦٨  
 ٢٠ وَأَنَا الَّذِى كَسَفْتُ قَتَاوَاهُمْ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْبَدُوا فِيهَا وَقُلْ لَهُمْ دَوْعُوا ٢٧٣، ٢٧٤

الأحزاب

- ٥ وما جَعَلَ أَذْعَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ دَلِكُمْ قَوْلُكُمْ مَا هُوَ أَهْلُكُمْ. أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ١٧٣  
 ٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ هِىَ رَسُولُ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ١٥٧  
 ٢٥ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْعَاطِفِينَ مَرْوَحَهُمْ وَالْعَاطِفَاتِ ١١٦ ٢٤١  
 ٣٦ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ١٤٤، ١٧٢  
 ٣٧ أَمْسَكَ عَيْنَيْكَ رَوْحَكَ وَأَتَّقِ اللَّهَ... فَلَمَّا قَضَىٰ رَدُّهَا وَطَرَأَ رَوْحُهَا كَمَا لَكُنِى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ... ١٧٣  
 ٣٨ ٤٠. مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةُ اللَّهِ هِىَ الدِّينُ خَلَوْا مِنْ قِتْلٍ وَ ١٧٤  
 ٥٢ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا ١٦٧

- ٧٢ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَ مِنْهَا وَخَفَىٰهَا الْإِنْسَانُ ٢١  
 سبأ

- ١٣- إِنْصَبُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِى الشَّاكِرُونَ ٧٨  
 ١٤ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّتَ بِالنَّجْمِ أَنْ تُلَاقُوا بِتِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِى كُنْتُمْ تُخْرَجُونَ مِنْهَا وَتَسْتَكْبِرُونَ ٤٤١  
 ١٥ و١٨: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ هِىَ مَسْكِنُهُمْ آيَةٌ جَنَّا مِّنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِّنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ... ٥٣٥  
 ١٦ و١٩. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِعَبَدَتِهِمْ جِنَّةً ذَاتَ أُكْحُ حِطِّ وَأَنْثَى... ٥٣٥.

- ٢٨ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ٢٦٩  
 ٤٢ وَتَقُولُ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ أَنَّى كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ٢٧٣  
 فاطر  
 ١ : الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٤٥  
 ١ . يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَمَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٥٨  
 ١٠ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ٢٢٧  
 ١١ وَمَا يَعْزَرُ مِنْ عَمَلٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ ٢٧٧  
 ١٣ و ١٤ : وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ غِثِّهِمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ ٤١  
 ١٨ وَلَا تَرَوْا بَرِيَّةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جُنْحِهَا لَا يُجْمَلُ بِهَا شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ٢٥٣  
 ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا تَسْمَعُ مِنْ فِي تَغْوَرٍ ٢٩٢  
 ٤١ إِنَّ اللَّهَ تُنْبِئُكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولَا ٢٤٥

يس

- ٢٩ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَنِيعَةً وَاحِدَةً  
 ٢٣ وَآيَةً لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ..... ٣٤٧  
 ٣٦ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا بِمَا تَشَاءُ الْأَرْضُ وَمَنْ أُنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يُفْقَهُونَ ٣١٦  
 ٤٠ لَا الشَّمْسُ يَنْصَرِفُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ أَفْقَ الْفَقْرِ وَلَا الْقَمَرُ يَنْصَرِفُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ أَفْقَ الْفَقْرِ ٣٣٤  
 ٦٠ - ٦١ . أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا لِلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَبِ عِبَادِي هَذَا ٤٢٧  
 ٨٢ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٢٧٧

الصفوات

- ١ - ٣ : وَالصَّافَاتِ صَفًا فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالَّتِ لَا تُدْرِكُهُنَّ ٤٠٧، ٣٩٧  
 ٦ ١٠ : إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءُ اذُنًا بَرِيَّةً نَكُونُ كَيْبٌ وَحَفْطٌ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا مِنْ خَطَفٍ ٤٤٠، ٣٢٦، ٣٢٢  
 ١١ مِنْ طَيْبٍ لَا رِبَ ٢٤٩  
 ٢٢ - ٣٤ حُشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كُنُوا يَتَكَبَّرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ ... ٣١٣، ٢٦٦  
 ٢٤ وَفَقُّوهُمْ إِنَّهُمْ يَسْتَوْوُونَ ٢٦٠، ٢٥٠  
 ٢٧ ٢٩ : وَأَقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ كُنُوا يَكْفُرُونَ كُنْتُمْ تَاتُونَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا ... ٢٦٠  
 ٤٠ - ٥٠ : إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْنُومٌ فَأَقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٦١  
 ٦٦ - ٦٧ : أُولَٰئِكَ خَيْرٌ أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُا ٤٣٩، ١٩١  
 ٧٥ ٨٤ : وَلَقَدْ مَادَدْنَا نوحًا قَلْبَهُ الْمُحْسِنِينَ وَبَعَثْنَا فِيهِهُ وَهُنَا وَإِلَىٰ مِنْ شَعْبِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ ... ٥١، ٢٦

- ٧٧ وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمَ لَبِيقِ ٥٠ ٣٩ ٣٨ .....
- ٧٩ سَلَامٌ عَلَىٰ نوحٍ فِي الْمَالِيسِ ٣٨٠ ..
- ٨٩ إِنِّي سَقِيمٌ ٢٨٠ ..
- ٩٨ - ١٠٠ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَيْنِ وَهَالِ إِنِّي دَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ ... ٥٤
- ١٠١ - ١١٣ فَتَشْرَانَاهُ بِقِلَامٍ حَلِيمٍ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلىٰ إِسْحَاقَ وَبِزَيْنِ دُرِّيَّتِهِمَا مُحَسِّنٌ وَخَالِدٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ٥٦
- ١٠٧ - ١١٣ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَشْرَانَاهُ ٣٨٠ ٢٦
- ١١٤ - ١٢٢ وَلَقَدْ مَتَّعْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ سَلَامًا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي ٢٨١ ٢٦
- ١١٦ . وَتَشْرَانَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ ..... ١١٥ .....
- ١٢٣ - ١٣٢ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْأَرْسَلِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ .. ٣٨١ ٢٦
- ١٣٣ ١٣٥ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ دَعَوْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَخَصَمِينَ إِلَّا عَصَاوَرًا فِي الْعَابِرِينَ ٥٨
- ١٣٧ - ١٣٨ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْطَفِينَ وَبِالْأُنثَىٰ ..... ٤٥٩ .....
- ١٤٥ هَبْنَاهُ بِالْأَعْرَابِ وَهُوَ سَقِيمٌ ..... ٣٠٨ .....
- ١٤٩ ١٥٥ فَاسْتَجَبْنَاهُمْ أَرَأَيْتَ الْآيَاتِ وَلَهُمُ الْتَوْنِ أَمْ خَشِيفُ الْأَتَاكِتَةِ إِنَّا نَا وَهُمْ شَاهِدُونَ ١٢٢
- ١٥١ و ١٥٢ . إِيَّاهُمْ مِمَّنْ فَكَيْفَ يَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ ..... ١٢٣
- ١٧٣ وَرَبُّ عَدْنَاهُ لَهُمُ الْعَالِيُونَ .....  ..... ٤٢٨ .....
- ص
- ١٧ ٢٠ . وَأَذْكُرْ عِدْنَاهُ دَاوُدَ دَا الْأَيْدِ إِنَّهُ قَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا لِيَحْيَىٰ مِمَّنْ يُسَبِّحُ وَإِنَّا لَنُكَلِّمُهُ الْعِزَّةَ وَهَضْلُ ... ٧٨
- ٢١ و ٢٢ . وَهَلْ أُنَاكَ تَبَا لِحَضْمٍ إِذْ تَسُورُوا لِمَغْرِبٍ بِدَعْنَاهُ عَلَىٰ دَاوُدَ قَرِيعَ يَنْهَمُ ٣٩٦ ٤٠٣ ٤٠٤
- ٣٠ . وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ مِمَّنْ الْقَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٧٨٠ ..
- ٣١ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ صَاعَاتُ الْإِجَابِ ٤٠٨
- ٤١ . إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَنِّي مَسْبُورٌ الشَّيْطَانُ يَمْسِكُ وَهَدَابٌ ١٩١
- ٤٥ ٤٧ . وَأَذْكُرْ عِدْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْفَوْبَ رَبِّهِ أَخَصَمْنَا هُمَ بِعَالِيَةِ ذِكْرِ الذَّكَرِ وَإِيَّاهُمْ هِنْدَانَا ... ٥٩
- ٥٨ : وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . ٣١٥
- ٦٤ - ٦٦ . إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاسُمُ أَهْلِ النَّارِ ٢٦٧
- ٦٧ ٧١ . قُلْ هُوَ تَبَا عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ... ٤٢٥
- ٧٥ . مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ ٢٢ ٢١
- ٨٨ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ٤٩٣

الزمر

- ٣: مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ٥٢٦
- ٦: تَعَايَنَ آدَمُ إِلَى رَبِّهِ ٣١٣
- ١٠: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٦٥
- ١٧: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا طَاعَةَ آلِ يَتِيمُوها ٤١٥
- ٢٣: تَفْشِيرُ بَنِي جُلُودٍ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَبُّ حُدُودَهُمْ وَقُتُوبُهُمْ إِلَى دِكْرِ اللَّهِ ٢٥١
- ٢٨: قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَرَبِيًّا عِوَج ٣١١
- ٣٢: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ٤١٤
- ٤٢: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي مَسْجِدِ ٢٦٨ ١٠٣
- ٥٣: إِنَّ اللَّهَ تَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمْعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٩
- ٦٠: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ٢٠٦
- ٦٣: لَهُ تَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٣٤٦
- ٧١: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ٢٩٩
- ٧٣: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ٢٩٩

غافر

- ٧: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَخِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ٣٩٦
- ٢٤ و ٢٣: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّسْرٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٧١ ٣٥٠
- ٣٦ و ٣٧: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَٰمَانُ إِنِّي فَتْرْتُ لَكَ نَارًا تَلْقَىٰ نَارَ الْأَشْيَابِ أَتَنْتَهِى أَشْيَابَ السَّمَاوَاتِ فَأُطْلِقَ ٣٥٠
- ٣٧: وَكَذَٰلِكَ رَجَّيْنَاهُ عَنْ شَوْءٍ خَفِيٍّ وَخَفِيَ السَّبِيلُ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ٣٥١
- ٤٠: فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٦٤
- ٥٢: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ ٢٦٨
- ٦٧: ثُمَّ يُعْرِضُكُمْ طُرُقًا ٤١٦

فصلت

- ٣: كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ١٠
- ٨: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٩٤
- ٩ - ١٢: قُلْ أَتُنْكِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ... فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ ٢٥٨ ٣٤٦ ٣٩٥ ٣٩٨ ٤٧٢
- ١٣: أُنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ٣٠٥
- ١٦: هَٰذَا مَثَلٌ خَلَقْنَا لَهُمْ رِيحًا حَرَّصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ٤٠٦ ٣٩٦

٣٠. إِنْ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَرَكُنَّ عَنْهُمْ تَلَكُفَ الْمَلِكَةِ ٣٢٦..

٣٧- ٣٩. وَمِنْ آيَاتِهِ النَّبْلُ وَلُتْهَارُ وَالشُّشُ وَأَنْفَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا ٤٣٦، ٤٠٧.

٤١- ٤٢. وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ عَمِيدٍ ١٠٢، ٥، ٣.

لشورى

٥. وَالتَّلَافِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ٣٩٦.

١١ و ١٢. فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَنْ كُنْهَهُ سِيٌّ؟ وَهُوَ سَمِيعُ الْبَصِيرِ لَهُ تَقَالِدُ السَّمَاوَاتِ ١٧

١٣. شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ١٢

٢٩. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِرَةٍ ٣٤٦

٣٣. وَتَرَفُّعُهُمْ كُلُّ مُرْفَعٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٢٩٣

٤٠. وَحَرَّةٌ شَجِيحَةٌ شَيْئَةً مِثْلَهَا ٢٦٩

٤٥. حَاشِبِينَ مِنْ نَدَلٍ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَافِيٍّ ٢٥١

٥١. وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ٢٧٠

الزحرف

٦. ٧. وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَاوَابٍ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤٢٨

١٦ و ١٨. أَمْ تَحَدُّ بِمَا يَخْلُقُ بَيَاتٍ وَأَصْنَافًا كَمَا بُدِّعَ ١٢٢

١٨. أَوْ مِنْ بَشَرٍ مِنْ نُحُلَةٍ وَهُوَ مِنَ الْجَعَامِ خَيْرٌ مِّنْهُمْ ١٣٧، ١٣٤، ١٢٢

١٩. وَحَمَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ بَشَرًا أَشْهَدُوا حَلْفَهُمْ سَوَّاتٍ شَهِادَتُهُمْ وَتُسَالُونَ ٣٩٦، ١٢٢

٢٨. وَجَعَلَهَا كَمِثْلَ بَاعِيَةٍ فِي عَقِيْبِهِ ٥

٤٠. أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٣٩٢

٧٠. وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ أَتْمًا وَأَرْوَجُكُمْ تُحْبَرُونَ ١٩٨..

٨٢. سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ ٢٤٦

الذحار

٤. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٢٧٧، ٢٧٦

٢٥ و ٢٦. كَمْ تَرَكُوا مِنْ خَلْقٍ وَعَجُوبٍ فَرْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٣٦٧

٢٧. وَنِعْمَ كَانُوا بِهَا خَالِفِينَ ٣٦٧، ١٩٩.

٢٨. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٣٦٨، ٣٦٧

٥٦. لَا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ لَا تَمُوتُ إِلَّا نَفْسٌ ٣٠١

٥٨. فَأَمَّا يَسْمُرُونَ يُسَامِرُونَ يَتَتَفَرَّغُونَ ٣٩٣

الجنائية

- ١٠: مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُفْصِي عَنْهُمْ مَا كَتَبُوا شَيْئاً ٣٧٩ . . . . .  
 ١٢: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ٢٢  
 ٢٠: هَدَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٢٥٢  
 ٢٤: مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٣١٢

الأحقاف

- ٩: قُلْ مَا كُنْتُ بِذَهَابٍ مِنَ الرُّسُلِ ٤٢٧، ١٤ . . . . .  
 ١٠: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى بَشِيرِهِ فَأَمَرَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ ١٥  
 ١٢: وَبِينَ قَبِيلِهِ كِتَابٌ مُوسَى، مِمَّا أَوْحَيْنَا وَرَحْمَةً وَهَدًى يُصَدِّقُ لِسَاناً عَرَبِيّاً ١٠ . . . . .  
 ١٧ و ١٨: وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُقُ لَوَيْدٍ أَنَّهُ تَحْتَايَا أَوْتَيْتُكَ الدِّينَ حَقَّ عَنْهُمْ الْقَوْلُ ٤١٤

محمّد

- ٤: فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ بَعْدِ وَإِنَّا هُدًى، حَتَّىٰ نَصْعَ الْعَرْشَ الْأَعْلَى ١٨٦

الفتح

- ٨ و ٩: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمَرُوا وَتُؤْمَرُوا وَتُسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٨١  
 ٢٨: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُمِّنَا لَهُ شَهِيدٌ ٢٢٥ . . . . .

العبقرات

- ٩: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ٤٠٢  
 ١١: لَا يَسْمُرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا حَيْرًا مِيمَةً وَلَا يُبَاسُ عَنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا حَيْرًا مِيمَةً ٢٠٣  
 ١٣: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَحَقْنَاهُمْ كُمٍ شُعْرًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ ١٧٧، ١١٦، ٢١

ق

- ٤: وَهَذَا كِتَابٌ حَمِيطٌ ١٦٧  
 ٦: أَقْلَمُ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِينَهَا وَرَبَّهَا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٣٣٧، ٣٢٨  
 ١٨: مَا يَلْعَلُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا نَدْيٌ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٦٧ . . . . .  
 ١٩: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ٢٨٧ . . . . .  
 ٢٢: فَصُرُّكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٥١  
 ٢٧: رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ٢٦٧ . . . . .  
 ٢٨: لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي. ٢٦٧ . . . . .  
 ٣٧: إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ فِصْلٌ عَنْ شَيْءٍ ٣٩٢، ٣١٩ . . . . .

الذاريات

- ٤٠٧ . ٤ . خَالِقُ الْمَشَارِقِ أَمْرًا .  
 ٣٣٥ . ٢٢ . وَهِيَ السَّمَاءُ يَرْفَعُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ .  
 ٥ . ٤٢ : مَا تَذَكَّرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ لَا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ .....  
 ٣٢٩ . ٤٧ : وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ  
 ٣١٦، ٣١٣ . ٤٩ . وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ  
 ١٨٨ . ٥٦ . وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .....

الطور

- ٣٠٤ . ٤١ : أَمْ جِئْتَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ

التجيم

- ٧ . ٤ . ١٢ . إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ غُلَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ .  
 ٢٧١ . ١٣ و ١٤ . وَلَقَدْ رَأَوْا مَرَّةً أُخْرَىٰ . جِدَّ يَدْرَهُ لَمْ تُكْهِى  
 ١٢٢ . ٢١ و ٢٢ : أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْآثَنُ . بِمَا كَذَّبَ آدَمُ فَخَسَفَ وَصَبْرُ  
 ١٥ ١٠ . ٢٦ . أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا هِيَ صُحُفٌ مُّوسَىٰ  
 ٢٥٣، ١٠ . ٢٧ و ٢٨ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَحَّىٰ أَنْ لَا تَرْجُ وَاِرَةً وَارَةً أُخْرَىٰ .  
 ١١٦ . ٢٩ . وَلَنْ نَّبْرَأَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا نَسَىٰ .....  
 ٢١٤ . ٤٥ . وَلَهُ خَلْقُ الرَّوْجِشِ الذَّكَرُ وَالْآثَنُ

الفر

- ٣٢٧ و ١١ : فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مُتَهَمُونَ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَاتَّسَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ ٤٧، ٣٤ .  
 ٤٠٦ . ١٩ . هِيَ يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِيرٍ  
 ٤٥٧ . ٢٧ - ٢٨ . إِنَّا مَرْسِلُو السَّافَةِ جِنَّةً لَهُمْ فَأَرْتَقَتْهُمْ وَأَضْطَرُّ وَبَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كَوْ سَرَبٍ مُّخْتَصِرٍ  
 ٢٧٧ . ٤٩ . إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقًا بِقَدَرٍ  
 ٢٧٧ . ٥٠ . وَمَا أَمْرُنَ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

الرحمان

- ٣٤٦ . ١٠ . وَبَيْنَ الْأَرْضِ بَيْنَهُنَّ  
 ٢٤٩ . ١٤ : مِنْ مَّصَالٍ كَالْمَخَارِ  
 ١٨٨ . ١٥ : وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ دُونِ  
 ٤٠٣ . ١٧ . رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ .

- ١٩: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ  
٦١ . . . . .
- ٢٩: كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
٣٥٨ . . . . .
- ٢٩: قَيُّومٌ لَا يُنَالُ عَنْ دِينِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ  
٢٦٠، ٢٥٠
- ٤٦ - ٧٠: وَبَيْنَ ذَلِكَ جَنَّاتٌ مِّنْهَا نَهَارٌ فِيهَا عُيُنٌ مَّضْحِكَةٌ... فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرِيَّانٌ...  
٣٩٥ . . . . .
- ٥٢: فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَّوْجَانٌ . . . . .  
٢١٣، ٤٢
- ٥٦: فِيهَا قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَغْيَبْ عَنْهُنَّ إِنْسٌ فَتَنَّهُنَّ وَلَا جَانٌ  
١٩٨
- الرواة
- ٧: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً  
٣١٣ . . . . .
- ٣٥ - ٣٧: إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثًا فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا  
١٩٨ . . . . .
- الحديد
- ١١: مَنْ رَأَى الَّذِي يُقْرِضُ آتَةً غَرَضًا حَسْبُ فِصَاعِهِ بِهِ  
٣٥٦
- ٢٠: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ الْكُفَّارِ بِهِ  
٢٩٣ . . . . .
- ٢٢: مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا . . . . .  
٢٧٧، ٢٧٦
- ٢٦: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِهِمَا الْكُفْرَ وَالْكِتَابَ  
٥٠
- المجادلة
- ١٩: اسْتَخُودَ عَلَيْهِمْ السُّيُفَانُ فَأَنسَاهُمْ دُكْرَ آتِهِ أُولَئِكَ جِزْمٌ نَّشِيطٌ إِلَّا إِنْ جِزْمَ الشَّجَابِ هُمْ  
١٩٦ . . . . .
- ٢١: كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَسُ إِنَّمَا أَرُوسُ بِنِ آتَةٍ قَوِيٍّ عَرَبٍ  
٤٢٨، ١١٥
- ٢٢: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ  
٢٥٥ . . . . .
- الحشر
- ١٩: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنَّهُمْ  
٢٧٢ . . . . .
- ٢٤ - ٢٢: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
١٧ . . . . .
- التغف
- ٦: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي...  
٩٤ . . . . .
- المنافقون
- ٤: هُمْ الْقَدُّوْا فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ إِلَى يُوعَدُونَ  
٤١٦ . . . . .
- ١٠: قَيُّوْلُ رَبِّ لَوْلَا نُحَرِّثُكَ إِلَى جَنِّ غَرِيبٍ فَاصْطَقِ وَكُنْ مِنْ لَصَالِحِينَ . . . . .  
٣٧٣، ٣٧٢
- الطلاق
- ٣: وَيَزْرَعُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ  
٢٣٩ . . . . .



١٢ : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ بَشَرًا  
التَّحْرِيم

٤- إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَبِإِنَّهُ هُوَ مَوْلَاؤُا وَجِبْرِيلُ... ٤٠٣، ٤٠٤، ٢٤٢  
٦ لَا يَتَقَبَّحُونَ اللَّهَ مَا آمَنَهُمْ وَيَتَعَلَّوْنَ مَا يُؤْمَرُونَ  
١٠ : صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ زُوحٌ وَامْرَأَةٌ نُورٌ كُنْتَ تَحْتَ خَبْدَيْهِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ٣١، ٢٤١  
١٢ وَمَرْيَمَ إِتَمَّهُ حِمْرَانُ.....

الملك

٣- ٥. الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَلَقَدْ رَآهُ نَسُوًا لِّلْأَلْبَابِ يَتَّصِلُ  
٤ : ثُمَّ رُجِعَ لِحَصْرِ كُرْسِيِّ  
٥ وَلَقَدْ رَآنَا السَّمَاءَ الَّتِي كُنَّا نَتَّصِلُهَا وَهَمَلْنَاهَا رُحُومًا لِّبَابِ طِينِ

القلم

٤ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ  
٤٩- لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ يَسْمُهُ مِنْ رَبِّهِ سُبُّهُ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ قَلَمٌ مُمِ  
٥١ ٥٢ : وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ ... ٢٢٩

الحاقة

٣٥ و٣٦- فَلَيْسَ لَهُمْ النُّوْمُ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا مَطَامِيرٌ إِلَّا مِنْ غَسَقٍ...

المعارج

٤. نَخْرُجُ اللَّيْلَ نَكْرًا وَالرُّوحُ إِلَيْهِ هِيَ يَوْمَ كَانَ مَقْدَرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ  
٨- ١٠ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ وَتَكُونُ لِبَاسًا كَالْهَبِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ خَمِيمًا  
٤٠ يَرْبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ

نوح

٢٦ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

الجن

١- قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا  
٨ : وَأَنَا لَنَمْسُ السَّمَاءَ فَنَجِدْنَاهَا مُبْتَلَتًا حَرًّا شَدِيدًا وَشَهْبًا  
٩ : وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَهَمَّ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ مِنْهَا بِأَرَصَدًا  
١١ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدْسًا  
١٦ وَأَنْ تَوَاسْتَعِينُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِيَهُمْ مَاءً صَدَقًا

## المذثر

٣٠. طَلَبَهَا بِشَعَةِ عَشْرٍ. . . . . ٣٧٥  
 ٣٨. كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ زَهِيَّةٌ ..... ٢٥٣  
 ٤٨ - ٣٩. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ عِبَادَ الْمُجْرِمِينَ مَا سَدَكُكُمْ فِي سَفَرٍ قَالُوا لَمْ

## القيامة

- ٢٢ ٢٥. وَجُودَ يُؤْمِنُ بِصِرَّةٍ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُودَ يُؤْمِنُ بِصِرَّةٍ تَقُولُ أَنْ أَفْعَلُ بِهَا عَاقِرَةٌ. . . . . ٢٧١، ٢٠١

## الإنسان

٦. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ..... ١٩٩  
 ١١. هَوَاهُمْ أَفَلَا تَعْلَمُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَفُزُّورًا ..... ٢٠١  
 ١٣ و ١٤. مُتَكَبِّينَ عَلَى الْأَرْضِ وَذَلَّلَ قُلُوبَهُمْ تَذَلُّلاً ..... ١٩٩

## المرسلات

١. وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْشًا ..... ١٢٤  
 ٥. فَالْمُنْصِبَاتُ دَكْرًا ..... ٤٠٧، ٣٩٧، ١٢٤  
 ٦. هُدًى أَوْ لُذْرًا ..... ٣٩٧  
 ٣٦. لَا يُؤْذِنُ لَهُمْ قَتْلُهُمْ ..... ٢٦٨

## النبا

٩. وَجَعَلْنَا نُورَكُمْ سُبَاتًا ..... ٣٠٢  
 ١٢. وَبَيَّنَّا لَكُمُ الْوَيْحَ إِذْ أُنْزِلَ ..... ٣٢٨  
 ٣٣. وَكَوَيْعًا أَنْزَلْنَا ..... ١٩٨

## القارعات

- ١ ٤. وَالْقَارِعَاتُ عُرْقًا وَلِنُاسِطَاتٍ شَطَطًا وَالسَّارِعَاتُ سَبْحًا فَالْمُتَّقَاتُ سُبْقًا ..... ١٢٤  
 ٥. فَالْمُدْبِرَاتُ أَمْرًا ..... ٤٠٧، ٣٩٧، ١٢٤  
 ٢٤. أَمَّا رَبُّكُمْ الْأَهْلِيُّ ..... ٢٥١  
 ٢٧ ٣٠. أَنْتُمْ أَنْتُمْ خَلْقًا أَمَّ السَّمَاءَ بَاهًا. وَالْأَرْضَ بِنْدٍ ذَلِكَ رَحَاحًا ..... ٢٥٨

## عبس

١. عَبَسَ وَتَوَلَّى ..... ٢٨٣  
 ٢٨ - ٤٢. وَوُجُودَ يُؤْمِنُ بِصِرَّةٍ. وَوُجُودَ يُؤْمِنُ بِصِرَّةٍ. تَزَهَّقُهَا قَتْرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ ..... ٢٠١

## التكوير

٣١٣ ٧: وَإِذَا نُفُوسٌ رُوحَتْ

المطققين

٢٠١ ٢٤. تَعْرِفُ فِي وَجْهِهِمْ نَصْرَةَ النِّعَمِ

الانشقاق

٢٦٤ ٨و٧. فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَنُفِخَ فِي نَافِثِهِ

الأعلى

٣٠٠ ٧و٦. سَقَرُونَ فَلَا تَسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ

١٤. ١٠ ١٨و١٩. إِنَّ هَذِهِ الصُّحُفُ الْأُولَى صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ

العاشية

٢٩١ ٦. لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ

٢٣٩ ٢٦و٢٥. إِنَّ إِلَهًا إِيَّاهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم

الفجر

٤٥٤ ٦. ١٤. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِي إِرَمَ دَاتٍ الْقَوْمَانِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ يَنْفُثُهَا فِي الْبِلَادِ. وَتَمُودَ الَّذِينَ ...

البلد

٢٦٢ ٢و١. لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَآتٍ حَقٌّ بِهَذَا الْقُرْآنِ ...

النفس

٤١٢، ٤٠٩، ٤٠٨ ٥. وَالسَّمَاءَ وَمَا بَهَا

٤٠٩... ٦-٧. وَالْأَرْضَ وَمَا حَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا

الليل

٤١٢، ٤٠٨ ٣. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى

الثبي

٢٦٢ ١-٣: وَالْقَبْرِ وَالرَّيْنَتَيْنِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ

٤١٥ ١-٦. وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

التقدر

٣٣٥ ٤: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ

اليبنة

٤٢٦ ٥. وَمَا أَمُرُّوا إِلَّا بِتَتَبِعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ. وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ

الثارعة

٥ كَالْبُهَيْشِ الشَّمْشِ

٢٨٧.

العصر

١ - ٣: وَالْقَصْرِ إِيَّ الْإِنْسَانِ لَهِي حُسْبٍ إِلَّا الَّذِينَ تَمَوَّ

٤١٥.

الكافرون

٢ و ٣. لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبِدُ

٤١٢، ٤-٨.

المسد

٤ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

٢٤٠، ٢٢٥...

الإخلاص

١ - ٤. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَهُ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

١٧

العلق

٤. وَمِنْ شَرِّ الْفَأَنَاتِ هِي الْمُقَدَّرُ

٢١١

٥. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

٣٢٢، ٢٢٩

الناس

١ ٦. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

٢٢٣

## المصادر

- آراء المنتشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رصاص، دار طبية - الرياض، ١٤١٣
- الأثار الباقية من القرون الحالية أبو ريحان البيريوني، وورث فريشك و برشاد إسلامي - طهران - ٢٠٠٠م.
- آلام الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد جواد البلاغي، مكتبة الوحداني - قم - الطبعة الثامنة.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني - القاهرة - ١٣٨٧
- لاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، النجف - ١٢٨٦
- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الحضا، دار الكتب - بيروت - ١٣٢٥
- إحياء علوم الدين، أبو حامد العربي، مصطفى الباني الحلبي - مصر - ١٣٥٨
- الأخبار الطوال، أحمد بن داود الديهوري، القاهرة - ١٩٦٠م.
- إسناد البلاغة، جلال الزمخشري، دار الكتب - مصر - ١٩٧٣م.
- الاستبصار الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية - طهران - ١٣٩
- الإسرائيليات و الموطوعات، أبو شهبة محمد بن محمد، مكتبة السنة - القاهرة - ١٤٠٨
- أسد الغابة: ابن الأثير، المطبعة الوهبة - ١٣٩٠
- الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة - مصر - ١٣٢٨
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، القاهرة - ١٩٦٣م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت - ١٣٩٠
- الأمالي، السيد الشريف المرتضى علم الهدى، دار الكتب - بيروت - ١٣٨٧
- الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، النجف - ١٣٨٩
- إملاء ما من به الرحمن أبو البقاء العكبري، مصطفى الباني الحلبي - مصر - ١٣٨٠
- بحار الأنوار محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت - ١٩٨٣م.
- مباية المجتهد محمد بن أحمد (ابن رشد الأندلسي) مكتبة الكليات الأزهرية - مصر - ١٣٨٩
- البنية و النهاية ابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٧٧م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية - ١٣٧٦
- البيان في تفسير القرآن، آية الله السيد أبو القاسم الحوئي، المطبعة العلمية - قم - ١٣٩٤
- تأريخ الطبري، محمد بن جرير، دار المعارف - مصر - ١٩٧١م.
- تأريخ القرآن، نولدكيه (نقلًا عن آراء المستشرقين)
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار التراث - القاهرة - ١٣٩٣
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية - طهران - ١٣٩٠
- تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن الرزي، المكتبة العصرية - بيروت - ١٤١٩
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية - مصر

- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨
- تفسير البرهان: السيد هاشم بحراني، مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٤١٩
- تفسير البصائر: عبد الله بن عمر البصيري، مؤسسة شعبان - بيروت
- تفسير التحرير والسويد: ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - ١٤٢٠
- تفسير الجلالين: دار إحياء الكتب العربية - مصر - ١٣٤٢
- تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم: الشيخ طهطاوي جواهري، مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٣٥٠
- تفسير الصافي المولى محمد محسن الكاشاني، المطبعة الإسلامية - طهران - ١٣٨٤
- تفسير العياشي: أبو نصر محمد بن مسعود، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران
- تفسير الفرقان: الدكتور محمد الصادقي، إسماعيليان - قم - ١٤١٠
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل): محمد جمال الدين القاسمي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - ١٤١٥
- تفسير القرطبي (جامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد القرطبي، القاهرة - ١٣٨٧
- تفسير القشيري: علي بن إبراهيم القشيري، النجف - ١٣٨٧
- تفسير الماوردي (المكتب والميور): أبو الحسن علي بن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢
- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مصر - دار الفكر
- تفسير النمار: الشيخ محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت
- تفسير جزم عم (تفسير القرآن العظيم): محمد عبده، نشر أدب الحوزة - ١٣٤١
- تفسير عبد الرزاق: ابن همام، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩
- تفسير عز رب القرآن و رعائب الفرقان نظام الدين الأنيسابوري (هاشم جامع النمار لطبري)
- تفسير مقاتل بن سليمان، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - ١٤٢٢
- التفسير الكبير (مفاتيح العبد): فخر الدين الرازي، الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - طهران
- تفسير مور الثقلين: الشيخ عبد العلي الحويزي، إسماعيليان - قم - ١٤١٥
- التفسير المبين: محمد جواد مفيد، دار الكتاب الإسلامي
- التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: مطبعة مهر - قم - ١٤٠٩
- التوحيد: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، دار المعرفة - بيروت
- تمزيه الأنبياء: السيد الشريف علم الهدى، مكتبة بصيرتي - قم
- تذرية القرآن عن المطاهر القاسمي عبد الجبار بن الأنهضه الحديثة - بيروت
- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار صادر - بيروت - ١٣٢٥
- ثواب الأعمال: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، النجف - ١٣٩٢
- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٢
- جامع الشواهد: محمد باقر الشريف الأردكاني، الطبعة الحجرية
- جمهرة اللغة: ابن دريد محمد بن الحسن البصري، جيدر آباد الهند - ١٣٤٥
- جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٨١ م

- حياة محمد ﷺ: محمد حسين هيكل، مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٥٤
- لحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر تحقيق يحيى الشاذلي، دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٦ م
- الحيوان، لدارالاسناد العتيق في جامعة بغداد
- الخزائج و الخزائج قطب الدين الرازي مؤسسه الإمام الخميني قم - ١٤٠٩
- الخزائج، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩
- الخصال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي لصدوق، مكتبة الصنوق - طهران - ١٣٨٩
- الحفظ المقريري: أحمد بن علي المقريري، دارالعرفان - بيروت
- الخلافة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، طهران - ١٣٨٢
- مآثر المعارف الإسلامية الكبرى، إشراف كاظم نجوردي، طهران - ١٩٩١ م.
- مآثر المعارف الإسلامية (المتروكة إلى العربية) دار المعرفة - بيروت
- مآثر معارف القرن العشرين محمد فريد وحدي، مطبعة مآثر معارف القرن العشرين - ١٣٨٦
- النز المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت - ١٤١٤
- الدروس الشرعية، الشهيد محمد بن مكي العاملي، الطبعة الحصرية
- الدفوع من القرآن صد منتقبة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة ممدولى الصغير
- دعائم الإسلام القاضي أبو نعيمة العمان المصري، دار المعارف - مصر - ١٩٦٥ م.
- دواقرين القائد، الفاتح و الحاكم الصالح (سلسلة تفصيل للقرآن) محمد خير رمضان يوسف، دار القلم - دمشق - ١٤١٥
- الرحلة المدرسية الشيخ محمد جواد اسلاتي، النجف
- روح المعاني أبو الفضل محمود الالوسي، إدارة الطباعة الممصرية - مصر
- الروض لألف، عبد الرحمن السهيلي، مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩١
- مسند السعد ابن طروس مبدع الديني، الفصح مؤسسه نشر الرضي - قم - ١٣٦٣
- سمن ابن ماجه (سمن المصطفى): أبو عبد الله محمد بن يزيد، دار الفكر - بيروت
- سمن البيهقي (سمن الكبرى): أبو بكر أحمد بن الحسين، دار المعرفة - بيروت
- سمن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، المكتبة الإسلامية
- سمن الدرهم: عبد الله بن عبد الرحمن، دار إحياء السنة النبوية
- سمن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٦
- سمن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، مصطفى القاسبي الحلبي - مصر - ١٣٨٣
- سمن أبي داود سليمان بن الأشعث، دار إحياء السنة النبوية
- سنيوية: أبو بشر عمرو، مؤسسه الأعلمي - بيروت - ١٣٨٧
- سير أعلام النبلاء، شعس الدين الأدهي، مؤسسه الرسالة - بيروت - ١٤١٠
- السيرة النبوية، بن هدم، مصطفى القاسبي الحلبي - مصر - ١٣٥٥
- شبهات حول الإسلام، سيد محمد قطب، مكتبة و هبة - الطبعة الثالثة - ١٩٥٨ م.

- شرح الكافية في النحو الشيخ رضي الدين الإسترابدي دار الكتب العلمية - بيروت.
- شرح التعليقات السبع. الحسين بن أحمد الرورمي، منشورات أرومية - قم. ١٤٠٥
- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية - مصر. ١٩٦٥م.
- الصماح: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم سلايين. بيروت - ١٢٧٦
- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، مطبع الشعب - ١٣٧٨
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، القشيري مكتبة محمد علي صبيح - ١٣٣٤
- العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان، دار الهلال - القاهرة
- عمل الشرائع، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، النجف - ١٣٨٥
- علم اليقين، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، بيدار - قم - ١٤٠٠
- عوالي النائل ابن أبي جمهور الإحصاني سيد الشهداء - قم - ١٤٠٢
- العين - الخليل بن أحمد الثراهددي، دار الجهرة - قم - ١٤٠٥
- عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، النجف - ١٣٩٠
- غنية للدرع ابن زهر النجد حمزة بن عبي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم - ١٤١٧
- فتح الباري، بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت - ١٣٠
- الفتوحات المكية، محيي الدين ابن عربي دار صائير، بيروت.
- الفصل في الملل والنحل، ابن حزم علي بن أحمد، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥
- لغة على المذاهب الأربعة عبدالرحمان الجبري دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٦
- فقه السنة و سنن العربيه أبو منصور الفخائي مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٩٢
- الفن القصصي في القرآن الكريم محمد أحمد حلف الله مع شرح و تعليق خليل عبدالكريم، مؤسسة الإشراف العربي - بيروت - ١٩٩٩م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة السادسة
- قرب الاستاذ، هبة الله بن جعفر الحميري، النجف
- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الثقافة - بيروت - ١٣٨٦
- القصص القرآني، السيد محمد باقر الحكيم للمركز العلمي للعلوم الإسلامية - قم - ١٤١٦
- قصة الحضارة، ول ديورانت، لجنة التأليف و الترجمة - القاهرة - ١٩٥٦م.
- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلي، دار الكتب الإسلامية - طهران - ١٣٨٩
- للكافي في الفقه، أبو الفضل الحلبي مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إصفهان
- الكامل في التاريخ: ابن اثير، دار صائير - بيروت - ١٣٩٩
- الكتاب المقدس (كتب العهد القديم و العهد الجديد: جمعية التوراة البريطانية و الأجنبية.
- الكتاب: جاز الله الزمخشري، الطبعة الثالثة - دار الكتب العلمية - طهران
- كفاية الأثر الحزاز الزاري الطبعة الحجرية - ١٢٠٥، في مجموعة كتب
- كمال الدين، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، طهران - ١٣٩٠



- كبر العمال: علي لمتقي الهمدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ٥ - ١٤
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت - ١٣٧٦
- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٣٦٩
- المسوط: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، المطبعة الخيرية - طهران
- مثنىابهاث القرآن و مستغنى: محمد بن علي بن شهر آشوب - بيار - قم - ١٣٦٩
- المجازات النبوية السيد الشريف الرضي أبو الحسن محمد مؤسسة الحلبي - القاهرة - ١٣٨٧
- مجمع الأمثال: أحمد بن محمد المدائني، بيروت - دار الفكر - ١٣٩٢
- مجمع البيان: أبو علي الفصل بن الحسن، المكتبة الإسلامية - طهران - ١٣٨٣
- المحاسن: أحمد بن محمد البرقي، مجمع العالمي لأهل البيت - قم - ١٤١٣
- المعجة النجماء الففيض الكاشي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - الطبعة الثانية
- المختلف (مختلف الشيعة): العلامة الحسن بن يوسف الحلبي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم - ١٤١٧
- مختصر في شواهد القرآن: ابن خالويه، مصر - ١٩٣٤ م
- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد نسيهر، تحرير عبدالحليم السحر العافرة - ١٣٧٤
- مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٨٤
- مسائل علي بن جعفر: مؤسسة آل البيت - قم - ١٤٠٦
- المستدرک على الصحيحين: الحاكم لنبأوري، مكتبة مطبوعات الإسلامية - حلب
- مستدرک الوصائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آية البيت - قم - ١٤٠٧
- المستند: أحمد بن الحنبل، دار صادر - بيروت
- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب، بغداد - ١٩٧٥ م
- المصاحف: أبو بكر عبد الله السحستاني، المطبعة الرحمانية - مصر - ١٣٥٥
- المطوّل: سعد الدين مسعود التفتازاني، المكتبة الداوري - قم
- معاني الأنصار: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، قم
- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء، مصر - ١٩٧٢
- المعجزة العائدة: السيد هبة الدين الشهرستاني، مكتبة الجوانين الكاظمية
- معجم البلدان: شهاب الدين الباقوت الحموي، دار صادر - بيروت - ١٣٧٦
- المعجم لأرولوجي: محمد كاظم الصكي، النجف - ١٣٧٦
- معجم لغات القرآن (نثر طوبى): أبو الحسن الشيرازي، ملحق تفسير أمي الفتوح الرازي
- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس أبو الحسن أحمد، مصطفى الماي الحلبي - مصر - ١٣٩٢
- المعجم الوسيط: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- المعرب: أبو منصور الجواليقي، دار القلم - دمشق - ١٤١٠
- مغنى اللبيب: ابن هشام جمال الدين يوسف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد و الطبعة الحجرية
- معاهم جغرافية في القصص القرآني: عبد العظيم عبد الرحمن حصر، دار الشروق - السعودية - ١٤٠١

- مفتاح الكرامة: السيد محمد جواد النعماني، مؤسسة آل البيت.  
 للمعردات، الرابع الإصفهاني، مصطفى البدي الحلي - مصر - ١٣٨١  
 مقدمة ابن خلدون، عيد لرحمان بن محمد، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة  
 المقدمة الشيخ محمد بن محمد بن محمد، المفيد، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤١  
 ملحق ترجمة كتاب «مقالة في الإسلام لتسالة» هاشم العربي، مطبعة النيل المسيحية - مصر - ١٩٢٥ م  
 للمناقب (مناقب آل أبي طالب): مكتبة هامة - قم  
 من لا يحضره الفقيه الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الهدوق، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩  
 منهاج الصالحين آية الله السيد أبو القاسم الحوئي، الطبعة الخامسة - المطبعة العلمية قم ١٣٩٥  
 المهذب: القاصي أبي البراج، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤٠٦  
 الموسوعة المصرية: لجنة التحرير، وزارة الثقافة والاعلام - مصر  
 الميزان في تفسير القرآن العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي طهران دار الكتب الإسلامية  
 نهاية المرام: السيد محمد بن علي العاملي (صاحب نهارك)، مؤسسة النشر الإسلامي - قم - ١٤١٢  
 النهاية في مجرّد الفقه والفتاوى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩  
 بهج الملاحة: تصحيح صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٨  
 البوارق: فصل الله بن علي الراوندي، دار الحديث - قم  
 الهدى إلى دين المصطفى: الشيخ جواد البلاغي النجف - ١٣٨٥  
 الهيئته والإسلام: السيد هبة الدين الشهرستاني، النجف - ١٣٨٤  
 الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيه الصفدي تاريخه التراث العربي بيروت ١٤٢  
 وسائل الشيعة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت - قم - ١٤١٢

## مصادر فارسية

- أيران باستان: حسن پيريا (مشير الدولة)، ابن سينا - طهران - ١٣٤٤  
 تاريخ تمدن إسلامي: ويل دورانت، الطبعة الرابعة - طهران - ١٣٧٣ ش.  
 تاريخ ایران: حسن پيريا، مكتبة حيا - طهران  
 تاريخ هيرودوت: ترجمة الماربدرائي، وزارت فرهنگ و هنر - تهران  
 تفسير أمي الفتوح الرازي (روح الجن و روح النجار): المطبعة الإسلامية - طهران - ١٣٥٢ ش.  
 لتفسير أبي مسلم (دروس آراء و نظرات تفسيری أبو مسلم اصفهانی): قم ١٣٧٤ ش.  
 تفسير حموت: لجنة التأليف، دار الكتب الإسلامية - قم الطبعة الأولى  
 قاموس كتاب مقدس: جيمس هاكس، مكتبة ظهوري - طهران - ١٩٢٨ م  
 كورش كبير دولقرنين أبو الكلام آزاد، ترجمة بهستني پازيري - نشر علم - طهران - ٢٠٠١ م.  
 لغت تامة: دهخدا، جامعه طهران - ١٤١٩

## فهرس المواضع

٦	الباب الاول - هل للقرآن من مصادر.....
٧	الوحي مصدر القرآن الواحد؟
١١	شرائع إبراهيمية منحدره عن أصل واحد .....
١٣	وحدة المنشأ هو انسب للتوافق على تسهيج
١٤	القرآن يشهد بأنه موحى .....
١٤	القرآن في زبر الأولين .....
١٥	«أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيََتْهُمْ عَلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ»
١٦	مقارنة عابرة بين القرآن وكتب سبعة معروفة .....
١٦	معارف فصيحة امتاز بها الإسلام . [معرفة]
١٧	جلال صفات الله في القرآن .....
١٨	وصفه تعالى كما في التوراة؟
٢٠	الله يهول ويهول ضد بني آدم؟ .....
٢١	الإنسان سرّ الحليقة .
٢٢	ميراث الإنسان الطرية .
٢٥	خلقت الأشياء لأهلك وخلعتك لأحلي!
٢٥	الحفاظ على كرامة الأنبياء .
٢٨	إبراهيم، لم يكذب قطاً. ....
٢٩	قصه الطوفان في التوراة ..
٣٠	حادث طوفان في لقرآن
٣١	مواضع عبر أغفلتها التوراة
٣٢	هل عمّ الطوفان وحة الأرض؟

٢٣	تقضى فرضية الشمول؟
٢٤	الطوفان ظاهرة طبيعية حيث أرادها الله
٢٧	لا شاهد على شمول الطوفان ..
٢٨	آثار جيولوجية؟
٢٩	«رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ»
٣٩	«لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»
٤١	«قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحِي أَنْبِئ»
٤٢	«وَأَشْتَوَتْ عَلَى الْحُودِيِّ»
٤٦	«حَتَّى إِذَا خَافَ امْتُرْنَا وَفَارَ التُّور» ..
٤٧	«فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلَفَ نَسَةٍ إِلَّا خُفْسِنَ غَامًا»
٤٨	«وَوَخَّلْنَا دُرَيْمَةً هُمْ الْيَامِينَ»
٥٠	نوح بعد الهبوط ..
٥١	والد إبراهيم نازح أو آزر؟ [ ]
٥٥	الديح هو إسماعيل وليس يسحق
٥٧	قصة لوط مع ابنتيه كما هي في التوراة
٥٨	يعقوب ينتهب النبوة من أخيه عيسو ..
٥٨	يعقوب يصارع الرب ..
٥٩	خروج بني إسرائيل وتجاوزهم البحر ..
٦٢	قصة العجل والسامري ..
٦٣	مواضع الاختلاف بين القرآن والتوراة بشأن العجل
٦٦	نظرة في قولة السامري ..
٦٨	ما كانت صفة العجل؟
٦٩	مَنْ هُوَ السامري؟
٧٠	مَنْ هُوَ قارون؟
٧١	«مَا إِنَّ مَعَاذَةَ لِسُوهُ بِالْعَصَةِ»

٧٢ . . . . .	حادث تنوي الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل
٧٧	هضة داود وامرأة أورثا .
٧٨ . . . . .	القرآن والأنجيل
٧٩ . . . . .	الصديقة مريم . . .
٨٣ . . . . .	يا أخت هارون؟
٨٥	اسنة عمران؟
٨٦	تأليه الصديقة مريم .
٨٨ . . . . .	وبكم الناس في المهد وكهلاً؟
٩١ .	مريم تعود بابها وقد جاور سن الرصاعه
٩٣ . . . . .	عيسى يحتاج العلماء في سن مبكر . . . . .
٩٣ . . . . .	الكهولة هو تخطي الثلاثين . . . . .
٩٤	النيشير بمقدم رسول الإسلام محمد . . . . .
٩٧ . . . . .	قصّة العلب . . . . .
١٠٢ . . . . .	مسألة التوفي . . . . .

١١٠ . . . . .	الباب الثاني - القرآن و ثقافات عصره
١١١ . . . . .	لتأثر بالبيئة؟ . . . . .
١١١ . . . . .	هل تأثر القرآن بثقافات عصره؟ . . . . .
١١٢ . . . . .	١ - مجاراه في الاستعمال . . . . .
١١٣ . . . . .	٢ - خطاب القرآن هام . . . . .
١١٤ . . . . .	٣ - حقيقة لا تخيل . . . . .
١١٥	ثقافات جاهلية كافحها الإسلام
١١٥ . . . . .	المرأة وكرامتها في القرآن . . . . .
١١٧ . . . . .	وللرجال عليهن درجة
١٢١ . . . . .	تفضيل السب على البات

١٢٤	للذكر مثل حظ الأنثس
١٢٦	محاولات فاشله
١٢٩	دس المرأة على النصف
١٣٢	المرأة في مجال الشهادة
١٣٥	نكته أدبسة في الآس
١٣٦	المرأة في مجال العضاء
١٣٧	المرأة في مجال الحضانه
١٣٩	الطلاق والعدة والعدة
١٤٩	واضربوهن؟
١٥٨	ولنضربن بضمربهن على جوبهن
١٦٢	تعدد الروحاح
١٦٧	تعدد زواحاس اسس
١٧٤	لحربر الرقبس تدرسباً
١٨٦	خرافات جاهلسة مائده
١٨٧	الحن في ماببر القرآن
١٩٠	كلام عن مس الحن
١٩١	التشسبه في رؤوس الشساطسب
١٩٥	أوصاف حاءس على مقاببس عامه
١٩٦	الحور العس
١٩٩	الأشجار والأنهار
٢٠٠	ابصاص الوحوه وامودادها
٢٠٢	كلام عن السحر في القرآن
٢٠٥	أقسام السحر
٢٢٠	سخره فرعون
٢٢٢	سخره بابل

- ٢٢٤ ..... التفاتات في القصد
- ٢٢٧ ..... ظواهر روحية غريبة ..
- ٢٢٩ ..... كلام عن إصابة العين .....
- ٢٣٢ ..... نظرة فاحصة عن إصابة العين .....
- ٢٣٧ ..... هل تأثر القرآن بالشعر الجاهلي؟ .....
- ٢٣٨ ..... الاقتباس .....
- ٢٤٠ ..... هل في القرآن تصاوير جافية؟ ..
- ٢٤٠ ..... «التي أحصنت فرجها» .....
- ٢٤١ ..... «صاحتاها» .....
- ٢٤٣ ..... الباب الثالث - موهم الاختلاف و التناقض .....
- ٢٤٤ ..... كلام عن موهم الاختلاف في القرآن .....
- ٢٤٨ ..... السلامة من الاختلاف إمعاناً .....
- ٢٤٩ ..... الأسباب الموهمة للاختلاف .....
- ٢٥٢ ..... هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
- ٢٥٣ ..... ولا ترزقوا زرعاً ولا زرعاً أخرى .....
- ٢٥٥ ..... وصاحبهما في الدنيا معروفاً .....
- ٢٥٦ ..... إن الله لا يأمر بالفحشاء .....
- ٢٥٧ ..... ألف سنة أو خمسون ألف سنة ..
- ٢٥٨ ..... خلق السماوات والأرض في ستة أيام .....
- ٢٦٠ ..... تساؤل بعضهم بعضاً ..
- ٢٦٢ ..... لا أقسم بهذا البلد
- ٢٦٣ ..... وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
- ٢٦٤ ..... والوزن يومئذ الحق .....
- ٢٦٦ ..... مواطن القيامة متعاقبة .....

٢٦٨	الله يتوفى الأنفس حين موتها .....
٢٦٩	ولا يكتمون الله حدثا .....
٢٦٩	مضاعفه العذاب .....
٢٧٠	التكليم من وراء حجاب .....
٢٧١	نظرة أو انتظار؟ .....
٢٧٢	التناسي أو السيان .....
٢٧٣	كسب التائب والتذكير .....
٢٧٥	هرعون يقتل أبناء إسرائيل قبل حنة موسى أم بعدها؟ ..
٢٧٦	التقدير أرك أم في ليله القدر؟ .....
٢٧٧	متى وقع التقدير؟ وهل لا يتنافى التقدير مع الاختيار؟
٢٧٩	إن مككم إلا واردة .....
٢٨١	فتنار الله أحسن العالقم .....
٢٨٢	عس وتولى .....
٢٨٦	أسئلة مع أحوبتها لاس قنية .....
٢٨٧	احلاف القراءة هل يوجب اختلافاً في لقراء؟
٢٨٨	القرآن شيء والقراءات شيء آخر .....
٢٩١	موهم الاختلاف والتناقض زيادة على ماسبق
٣٠٣	مطاعن رة عليها قطب الدين الراوندي .....
٣١١	الباب الرابع - هل هناك في القرآن مخالفات .....
٣١٢	مخالفات علمية؟ .....
٣١٢	هل هناك في القرآن ما يحالف العلم؟
٣١٢	ومن كل شيء م خلقنا زوجين .....
٣١٨	ولكن تغمى القلوب التي في الصدور
٣٢٠	فتمسّم ضاحكاً من قولها



- ٣٢١ ..... فخلقنا المضغة عظاماً؟
- ٣٢٢ ..... وجعلناها رجوماً للشياطين.
- ٣٢٨ ..... سبع سماوات علًا.
- ٣٣٤ ..... مسائل ودلائل
- ٣٣٤ ..... ١ - «كُلُّ فِي قَلْبِكَ بِسَبْحُونَ»
- ٣٣٤ ..... ٢ - «فوقكم سبع طرائق»
- ٣٣٦ ..... ٣ - «وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحُبُوكِ»
- ٣٣٧ ..... ٤ - «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا»
- ٣٣٧ ..... ٥ - «وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ»
- ٣٣٩ ..... ٦ - «وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَاجِلَ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»
- ٣٤٢ ..... ٧ - «وَمِنَ الْأَرْضِ مَنَاجِلٌ»
- ٣٤٣ ..... تقاسيم الأرض
- ٣٤٣ ..... محتملات ثلاثة
- ٣٤٤ ..... أرضون لا تُحصى
- ٣٤٥ ..... المختار في تفسير «منلهن»
- ٣٤٨ ..... ٨ - «وَجَدَهَا تُقْرَبُ فِي عَيْنِ حَبِيبَةٍ»
- ٣٤٩ ..... أخطاء تاريخية
- ٣٤٩ ..... مشكلة هامان
- ٣٥٤ ..... فأوقد لي يا هامان على الطين!
- ٣٥٥ ..... صناعة الأجر واستخدامه منذ عهد قديم
- ٣٥٦ ..... قولة اليهود: يد الله مغلولة!
- ٣٦٢ ..... قولة اليهود: عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ!
- ٣٦٣ ..... قال اجعلني على خزائن الأرض
- ٣٦٤ ..... عامٌ فيه يُغَاثُ الناس وفيه يُخَصَّرُونَ
- ٣٦٦ ..... فالיום ننجيك بيدتك

- ٣٦٧ ..... من هو فرعون موسى؟
- ٣٦٧ ..... «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»
- ٣٦٨ ..... شبهة وجود اللحن في القرآن
- ٣٦٩ ..... ليس في القرآن لحن
- ٣٧٥ ..... «وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَسْمَاءً»
- ٣٧٦ ..... «وَتَقَدَّسَ لَكَ»
- ٣٧٦ ..... ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
- ٣٧٨ ..... «وَكَانَ وَرَائِهِمْ مَلَكٌ بِأَخْذِ كُلِّ سَفِينَةٍ غَصْبًا»
- ٣٧٩ ..... «وَطُورٍ سَيْنِينَ»
- ٣٨١ ..... «سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ»
- ٣٨٢ ..... «وَأَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا»
- ٣٨٣ ..... ثلاثة فروء
- ٣٨٤ ..... الالتفات وتنوع الكلام
- ٣٨٧ ..... «جاءتها ريح عاصف»
- ٣٨٧ ..... «قُلْ يَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا»
- ٣٩٠ ..... «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا»
- ٣٩١ ..... أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا
- ٣٩١ ..... إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا
- ٣٩٢ ..... «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ»
- ٣٩٣ ..... «وَهَذَا لِنَاسٍ عَرِيبٍ»
- ٣٩٥ ..... موارد زعموا فيها مخالقات في عود الضمير
- ٣٩٧ ..... تغليب جانب ذوي العقول
- ٣٩٨ ..... استعارة تخيلية
- ٤٠١ ..... مُشْنَى يراد به الجماعات
- ٤٠٢ ..... جمع يراد به الاثنان فما فوق

- ٤٠٦ ..... يجوز في جماعة غير ذوي العقول اعتبار جمع التأنيث  
 ٤٠٨ ..... التعبير عن العقلاء بـ«ما» الموصولة  
 ٤١٢ ..... ضماير تخالف مراجعها  
 ٤١٥ ..... ما يستوي فيه المفرد والجمع

## الباب الخامس - القصص القرآني ..... ٤١٨

- ٤٢٠ ..... أسلوب القصة في القرآن  
 ٤٢١ ..... ميزات القصة في القرآن  
 ٤٢٥ ..... أغراض القصة في القرآن  
 ٤٣١ ..... أسرار التكرار في القصص القرآني  
 ٤٣٢ ..... الحرية الفنية في قصص القرآن  
 ٤٣٧ ..... حالات كائنة أبرزها الترسيم  
 ٤٣٩ ..... القصة في القرآن حقيقة واقعة  
 ٤٤٩ ..... وقفة فاحصة؟  
 ٤٥٢ ..... حديث ابني آدم!  
 ٤٥٤ ..... حديث الطوفان والسفينة  
 ٤٥٤ ..... حديث عاد وثمود وقوم هود  
 ٤٥٨ ..... ناقة صالح!  
 ٤٦٠ ..... حديث سدوم!  
 ٤٦١ ..... أصحاب الكهف والرقيم!  
 ٤٦٣ ..... من هم أصحاب الكهف؟  
 ٤٦٥ ..... متى كان هذا الهروب واللجوء؟  
 ٤٦٨ ..... حديث ذي القرنين؟  
 ٤٧٥ ..... نحو مغرب الشمس!  
 ٤٧٨ ..... وجدها تغرب في عين حمئة!

٤٨٢	من هم ياجوج ومأجوج؟
٤٩٥	يأجوج ومأجوج في التاريخ
٤٩٧	أين السد وأين موضعه الآن؟
٤٩٧	التحضر البشري في عهد ذي القرنين
٥٠٥	سد كورش (ذي القرنين) التاريخي؟
٥٠٨	بناء جدار «دريند»
٥٠٩	جدار «دريند»
٥١٢	شكوك حول كورش؛ هل هو ذو القرنين؟
٥١٥	ذو القرنين في الروايات
٥١٦	إزاحة شبهات؟
٥١٧	كورش هو ذلك المبد الصالح؟
٥٢١	وثيقة إعلان حقوق الأمم
٥٢٢	أنا كورش
٥٢٣	وثيقة إعلان تحرير اليهود
٥٢٦	هنا ملحوظة؟
٥٣٠	سد مأرب العظيم
٥٣٥	من الذي بنى سد مأرب؟
٥٤٢	سور الصين الكبير
٥٤٦	لمحة عن الإسكندر المقدوني
٥٥١	تسع آيات إلى فرعون وقومه
٥٥٥	لمحة عن حياة بني إسرائيل في مصر
٥٦٢	فهرس الآيات
٥٩٢	المصادر
٥٩٨	فهرس المواضع